T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı:

RAĞIP P.
Ka. Nu.
~~83~~
83

سورة الصافات ١	سورة ص ١٩	سورة الزمر ٤٠	سورة المؤمن ٥٣	سورة فصلت ٦٤
سورة شورى ٧٢	سورة الزخرف ٨٥	سورة دخان ٩٤	سورة الجاثية ١٠٦	سورة الاحقاف ١١٠
سورة القتال ١١٤	سورة الفتح ١٢٧	سورة الحجرات ١٣٥	سورة ق ١٤٦	سورة الذاريات ١٥٣
سورة الطور ١٥٤	سورة النجم ١٦٤	سورة القمر ١٧٣	سورة الرحمن ١٧٨	سورة الواقعة ١٨٧
سورة الحديد ١٩٦	سورة المجادلة ٢٠٤	سورة الحشر ٢١٢	سورة الممتحنة ٢٢٢	سورة الصف ٢٢٧
سورة الجمعة ٢٣٠	سورة المنافقون ٢٣٦	سورة التغابن ٢٣٨	سورة الطلاق ٢٤٠	سورة التحريم ٢٤٦
سورة الملك ٢٥٢	سورة ن ٢٥٤	سورة الحاقة ٢٦٠	سورة المعارج ٢٦٤	سورة نوح ٢٦٧
سورة الجن ٢٧٠	سورة المزمل ٢٧٥	سورة المدثر ٢٨٠	سورة القيمة ٢٨٦	سورة الانسان ٢٩١

سورة المرسلات ٢٩٧	سورة النبأ ٣٠٠	سورة والنازعات ٣٠٤	سورة عبس ٣٠٧	سورة التكوير ٣١٠
سورة التكوير	سورة الانفطار ٣١٣	سورة المطففين ٣١٤	سورة الانشقاق ٣١٨	سورة البروج ٣٢٠
سورة الطارق ٣٢٤	سورة الاعلى ٣٢٥	سورة الغاشية ٣٢٨	سورة الفجر ٣٣٠	سورة البلد ٣٣٤
سورة والشمس ٣٣٦	سورة والليل ٣٣٨	سورة والضحى ٣٤٠	سورة الم نشرح ٣٤٢	سورة والتين ٣٤٣
سورة العلق ٣٤٥	سورة القدر ٣٤٧	سورة البينة ٣٤٨	سورة الزلزال ٣٥٠	سورة العاديات ٣٥١
سورة القارعة ٣٥٣	سورة التكاثر ٣٥٣	سورة العصر ٣٥٧	سورة الهمزة ٣٥٧	سورة الفيل ٣٥٨
سورة قريش ٣٦٠		سورة الماعون ٣٦٢	سورة الكوثر ٣٦٣	سورة الكافرون ٣٦٣
سورة النصر ٣٦٦	سورة تبت ٣٦٧	سورة الاخلاص ٣٦٨	سورة الفلق ٣٧٠	سورة الناس ٣٧١

T. C.
[Millî] EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP P. ŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 64/4

مما انعم الله الملك الجواد على عبده ... والزاد
وانا الراجي عفو ربه في المبدا والمعاد
مؤمن زاده السيد احمد حسيب القاضي
بمدينة بغداد غفر له

RAĞIP P.
Ka. Nü.
83

٨٤

المجلد الرابع
من تفسير القرطبي
وهو المجلد الاخير

٨٤

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا سورة الصافات مكية في
قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملإ الاعلى ويقذفون من كل
جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم اهم
اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون
واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم
مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق و
صدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين
اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون قوله تعالى والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا هذه قراءة اكثر القراء وقرا حمزة بالادغام فيهن وهذه القراءة
التي نفر احمد بن حنبل منها لما سمعها النحاس وهذه بعيدة في العربية من ثلاث جهات احداهن ان التاء
ليست من مخارج الصاد ولا من مخارج الزاي ولا من مخارج الذال ولا من اخواتهن وانما اختاها
الطاء والدال واخت الزاي والصاد والسين واخت الذال الظاء والثاء والجهة الثانية في كلمة وما
بعدها في كلمة اخرى والجهة الثالثة انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين وانما يجوز الجمع
بين ساكنين في مثل هذا اذا كان في كلمة واحدة نحو دابة وشابة ومجاز قراءة حمزة ان التاء قريبة
المخرج من هذه الحروف والصافات قسم والواو بدل من الباء والمعنى برب الصافات والزاجرات عطفا
عليه ان الهكم لواحد جواب القسم واجاز الكسائي فتح ان في القسم والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله
فالتاليات ذكرا الملائكة في قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة تصف
في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقيل تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد
وهذا كما تقوم العبيد بين ايدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل
هي الطير دليله قوله اولم يروا الى الطير فوقهم صافات والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة
والصافات جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم يجمع صافات وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا قاموا
صفا في الصلاة او في الجهاد ذكره القشيري فالزاجرات الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود ومسروق
وغيرهم على ما ذكرناه اما لانها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي واما لانها تزجر عن المعاصي
بالمواعظ والنصائح وقال قتادة هي زواجر القران فالتاليات ذكرا الملائكة تقرا كتاب الله قاله

ابن

ابن مسعود وابن عباس والاعمش والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبريل وحده
فذكر بلفظ الجمع لانه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود واتباع وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله
تعالى وكتبه وقيل هي ايات القران وصفها بالتلاوة كما قال ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
ويجوز ان يقال لايات القران تاليات لان بعض الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي
ان المراد بالتاليات الانبياء يتلون الذكر على اممهم فان قيل ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات
قيل اما ان تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب
كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الاكمل فالاكمل
واعمل الاحسن فالاحسن واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين
فعلى هذه القرائن الثلاث ينساق امر الفاء العاطفة في الصافات قاله الزمخشري ان الهكم لواحد جواب
القسم قال مقاتل وذلك ان الكفار بمكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع هذا الخلق فرد
اله فاقسم الله تعالى بهؤلاء تشريفا ونزلت الاية قال ابن الانباري وهو وقف حسن ثم يبتدئ رب السموات
والارض على معنى هو رب السموات والارض النحاس ويجوز ان يكون بدلا من واحد قلت وعلى
هذين الوجهين لا يوقف على الواحد وحكى الاخفش رب السموات ورب المشارق بالنصب على
النعت لاسم ان بين سبحانه معنى وحدانيته والوهيته وكمال قدرته بانه رب السموات والارض اي
خالقهما ومالكهما وما بينهما ورب المشارق اي مالك مطالع الشمس ابن عباس للشمس كل يوم مشرق
ومغرب وذلك ان الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها
على عدد ايام السنة الشمسية تطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في تلك الكوة
الا في ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع الا وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني
اراهم يعصونك ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد عن عكرمة قال قلت
لابن عباس ارايت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في امية بن ابي الصلت امن شعره وكفر قلبه قال
هو حق فما انكرتم من ذلك قلت انكرنا قوله والشمس تطلع كل اخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا تجلد ما بال الشمس تجلد فقال والذي نفسي
بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها سبعون الف ملك فيقولون لها اطلعي اطلعي فتقول لا اطلع
على قوم يعبدونني من دون الله فياتيها ملك فيستقبل لضياء بني ادم فياتيها شيطان فيريد ان
يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تحتها وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما طلعت الا بين قرني شيطان ولا غربت الا بين قرني شيطان وما غربت قط الا خرت لله
ساجدة فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها
فلذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غربت الا بين قرني شيطان لفظ ابن الانباري وذكر
عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق امية بن ابي الصلت في هذا الشعر
زحل وثور تحت رجل يمينه • والنسر للاخرى وليث مرصد • والشمس تطلع كل اخر ليلة • حمراء يصبح
لونها يتورد • ليست بطالعة لهم في رسلها • الا معذبة والا تجلد • قال عكرمة فقلت لابن عباس
يا مولاي اتجلد الشمس فقال انما اضطره الروي الى الجلد لكنها تخاف العقاب ودل بذكر المطالع على
المغارب فلهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص المشارق بالذكر لان الشروق
قبل الغروب وقال في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين اراد بالمشرقين اقصى مطلع تطلع
منه الشمس في الايام الطوال واقصر يوم في الايام القصار على ما تقدم في يس والله اعلم قوله تعالى

انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب قال قتادة خلقت النجوم ثلاث رجوما للشياطين ونورا
يهتدى بها وزينة السماء الدنيا وقراء مسروق والاعمش والنخعي وعاصم وحمزة بزينة مخفوض
منون الكواكب خفض على البدل من الزينة لانها هي وقراء ابو بكر كذلك الا انه نصب الكواكب
بالمصدر الذي هو زينة والمعنى بان زينا الكواكب فيها ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني
كانه قال انا زيناها بزينة اعني الكواكب وقيل هي بدل من زينة على الموضع ويجوز بزينة الكواكب
او يعني هي الكواكب الباقون بزينة الكواكب على الاضافة والمعنى زينا السماء الدنيا تزيين الكواكب
اي بحسن الكواكب ويجوز ان تكون كقراءة من نون الا انه حذف التنوين استحقاقا وحفظا مصدر
اي حفظناها حفظا من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملائكة تنزل بالوحي من السماء بين انه حرس
السماء عن استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا
قوله تعالى لا يسمعون الى الملاء الاعلى قال ابو حاتم اي لان لا يسمعون ثم حذف ان فرفع الفعل والملاء
الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمي الكل ملاء اعلى بالاضافة الى ملاء الارض والضمير في
يسمعون للشياطين وقراء جمهور الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقراء حمزة وعاصم
في رواية حفص لا يسمعون بتشديد السين والميم من التسميع منتفي على القراءة الاولى سماعهم و
ان كانوا يسمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله انهم عن السمع لمعزولون وينتفي على القراءة
الاخيرة ان يقع منهم استماع او سماع قال مجاهد كانوا يستمعون ولكن لا يسمعون وروي عن ابن
عباس لا يسمعون الى الملاء قال هم لا يسمعون ولا يستمعون واصل يسمعون يتسمعون فادغمت
التاء في السين لقربها منها واختاره ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمعت
اليه ويقذفون من كل جانب اي يرمسون من كل جانب اي بالشهب دحورا مصدر لان معنى يقذفون يدحرون
دحرته دحورا ودحورا اي طردته وقراء السلمي ويعقوب الحضرمي دحورا بفتح الدال يكون مصدرا على
فعول واما القراءة فتقديره على انه اسم للفاعل اي ويقذفون بما يدحرهم اي بدحور ثم حذف الباء و
الكوفيون يستعملون هذا كثيرا ❊ بمروا الديار ولم يعرجوا ❊ واختلف هل كان هذا القذف قبل البعث
او بعده لاجل البعث على قولين وجاءت الاحاديث بذلك على ما ياتي ذكرها في سورة الجن عن ابن عباس
وقد يمكن الجمع بينهما ان يقال ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترجم بالنجوم قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم ثم رميت اي لم تكن ترجم رميا يقطع عن السمع ولكنها كانت ترمي وقتا ولا ترمي
وقتا وترمي من جانب ولا ترمي من جانب ولعل الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا و
لهم عذاب واصب الى هذا المعنى وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون
واصبا وانما كانوا من قبل كالمتجسسة من الانس يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره ويسلم
واحد ولا يسلم غيره بل يقتبض عليه ويعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وزيد في حفظه
السماء واعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا عن جميع جوانب السماء ولا يقروا في مقعد من المقاعد
التي كانت لهم منها فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها الا ان يختطف احد منهم بخفة
حركته خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان ينزل الى الارض فيلقيها الى اخوانه فيحرقه فبطلت من
ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة فان قيل ان هذا القذف ان كان لاجل النبوة فلم دام بعد
النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه دام بدوام النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ببطلان الكهانة
ولا يجوز ذلك بعد ان بطل ولان قطع الحراسة عن السماء اذا وقع لاجل النبوة فعادت الكهانة
دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين ولم يؤمن ان يظنوا ان الكهانة انما عادت لتناهي النبوة

قيل لت

ضمير ان الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ان توفاه الله تعالى الى
كرامته صلى الله عليه وسلم وعلى اله اجمعين ولهم عذاب واصب اي دائم عن مجاهد وقتادة
وقال ابن عباس شديد الكلبي والسدي وابو صالح موجع اي الذي يصل وجعه الى القلب ماخوذ
من الوصب وهو المرض الا من خطف الخطفة استثناء من قوله ويقذفون من كل جانب وقيل
الاستثناء يرجع الى غير الوحي لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد منهم شيئا مما
يتفاوض فيه الملائكة مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض وهذا لخفة اجسام الشياطين
فيرجمون بالشهب حينئذ وروي في هذا الباب احاديث صحاح تضمنها ان الشياطين تصعد الى
السماء فتقعد للسمع واحدا فوق واحد يتقدم الاجرء نحو السماء ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي
الله الامر من امر الارض فتتحدث به اهل السماء فيسمعه منهم الشيطان الادنى فيلقيه الى الذي تحته
فربما احرقه شهاب وقد القى الكلام وربما لم يحرقه على ما بيناه فتنزل تلك الكلمة الى الكهان فيكذبون
معها مائة كذبة وتصدق تلك فيصدق الجاهلون الجميع كما بيناه في الانعام فلما جاء الله بالاسلام
حرست السماء بشدة فلا يفلت شيطان سمع منه والكواكب الراجمة هي التي يراها الناس
تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب الجارية في السماء لان تلك لا ترى حركتها لانها قريبة
منا وقد مضى هذا الباب في سورة الحجر من البيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبا حديث الترمذي وفيه
والشياطين بعضهم فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عباس تختطف
الشياطين السمع فيرمون فيقذفون الى اوليائهم فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه و
يزيدون قال هذا حديث حسن صحيح والخطف اخذ الشيء بسرعة يقال خطف وخطف وخطف وخطف
والاصل في المشددات اختطف فادغمت التاء في الطاء لانها اختها وفتحت الخاء لان حركة التاء القيت
عليها ومن كسرها فلالتقاء الساكنين ومن كسر التاء اتبع الكسر الكسر فاتبعه شهاب ثاقب اي مضيء
قاله الضحاك والحسن وغيرهما وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تسقطهم في البحر وقال ابن عباس
في الشهب تحرقهم من غير موت وليست الشهب التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية
حركتها والثابتة تجري ولا ترى حركتها لبعدها وقد مضى هذا وجمع شهاب شهب والقياس في
القليل اشهبة وان لم يسمع من العرب وثاقب معناه مضيء قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز ومنه
قوله وزندك اثقب زنادها اي اضوا وحكى الاخفش في الجمع شهب ثقب وثواقب وثقاب وحكى
الكسائي ثقبت النار تثقب ثقابة وثقوبا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم في الثاقب انه
المستوقد من قولهم اثقب زندك اي استوقد نارك وقاله الاخفش وانشد قول الشاعر بينما
المرء شهاب ثاقب ❊ ضرب الدهر سناه فخمد قوله تعالى فاستفتهم اي سلهم يعني اهل مكة من استفتيا
المفتي اهم اشد خلقا ام من خلقنا قال مجاهد اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار
وقيل يدخل فيه الملائكة ومن سلف من الامم الماضية يدل على ذلك انه اخبر عنهم بمن قال سعيد
بن جبير الملائكة وقال غيره من الامم الماضية وقد هلكوا وهم اشد خلقا منهم نزلت في ابي الاشد
بن كلدة سمي بابي الاشد لشدة بطشه وقوته وسياتي في البلد ذكره ونظير هذا لخلق السموات و
الارض اكبر من خلق الناس وقوله ءانتم اشد خلقا ام السماء انا خلقناهم من طين لازب اي لاصق قاله ابن
عباس ومنه قول علي رضي الله عنه تعلم فان الله زادك بسطة ❊ واخلاق خير كلها لك لازب ❊ وقال
قتادة وابن زيد معنى لازب لازق الماوردي والفرق بين اللاصق واللازق ان اللاصق هو الذي يلصق
بعضه ببعض واللازق هو الذي يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب لزج سعيد بن جبير

اي جيد حر يلصق باليد مجاهد لازب لازم والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل البا من الميم
ومثله قولهم لاتب ولاتم على ابدال التاء من الميم فاللازم الثابت تقول صار الشي ضربة لازم
وهذا يصح من لازم قال النابغه ولا يحسبون الخير لا شر بعده ، ولا يحسبون الشر ضربة لازب ،
وقال قتادة وابن زيد يعني لازق وحكى الفرا عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت تقول
منه لتب يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب يلزب بالضم لزوبا وانشد ابو الجراح فان يك هذا من
نبيذ شربته ، فاني من شرب النبيذ لتائب ، صداع وتوصيم العظام وفترة ، وهم مع الاشواق في الجوف
لاتب ، واللاتب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري وقال السدي والكلبي في
اللازب انه الخالص مجاهد والضحاك هو المنتن قوله تعالى بل عجبت ويسخرون قراءة اهل المدينة
وابي عمرو وعاصم بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما نزل عليك من القران
وهم يسخرون به وهي قراءة شريح وان الله تعالى لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم وقيل
المعنى بل عجبت من انكارهم البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التاء واختارها ابو عبيد و
الفرا وهي مروية عن علي وابن مسعود رواه شعبة عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله بن مسعود
انه قرا بل عجبت بضم التاء ويروى عن ابن عباس قال الفرا في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون قراها
الناس بنصب التاء ورفعها والرفع احب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم وقال
ابو زكريا الفرا العجب ان اسند الى الله عز وجل فليس معناه من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله
الله يستهزئ بهم وليس ذلك من الله كمعناه من العباد وفي هذا بيان الكسر لقول شريح حيث انكر القراءة
بها روى جرير عن الاعمش عن ابي وائل شقيق بن سلمة قال قراها عبد الله يعني ابن مسعود بل عجبت ويسخرون
قال شريح ان الله لا يعجب من شي انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان
يعجبه رايه ان عبد الله كان اعلم من شريح وكان يقراها عبد الله بل عجبت قال الهروي وقال بعض الايمة
معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم لان الله تعالى اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق
فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا لشي عجاب اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم فقال تعالى بل عجبت جازيتهم على التعجب قلت وهذا تمام معنى قول الفرا واختاره البيهقي
وقال علي بن سليمان معنى القراءتين واحد التقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلم
مخاطب بالقران النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان
يكون اخبار الله عن نفسه بالعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب من
المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه و
سلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازا واتساعا قال
الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال تعالى ويمكرون
ويمكر الله معناه ويجازيهم الله على مكرهم ومثله في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وقد يكون
التعجب بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل عظم فعلهم عندي قال
البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يعجب ربك من شاب ليست له صبوة قال البيهقي وقد يكون هذا الحديث وما ورد من امثاله انه يعجب
ملائكته من كرمه ورافته بعباده حيث حملهم على الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا
امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى بل عجبت بل انكرت حكاه النقاش وقال الحسين بن الفضل التعجب من
الله انكار الشي وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جاء في الخبر عجب ربكم من الكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو

واو الحال اي عجبت منهم في حال سخريتهم وقيل تم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال
ويسخرون منك اذا دعوتهم قوله تعالى واذا ذكروا اي وعظوا بالقران في قول قتادة لا يذكرون
لا ينتفعون به وقال سعيد اي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا
واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون اي يسخرون في قول قتادة ويقولون انها سحر ويستسخر وسخر بمعنى
مثل استقر وقر واستعجب وعجب وقيل يستسخرون اي يستدعون السخر من غيرهم وقال مجاهد
يستهزءون وقيل اي يظنون ان تلك الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا عن مقابلة
المعجزات بشي قالوا هذا سحر وتخييل وخداع ائذا متنا اي انبعث اذا متنا فهو استفهام انكار
منهم وسخرية او اباؤنا الاولون اي او يبعث اباؤنا دخلت الف الاستفهام على حرف العطف وقرا
نافع او اباؤنا بسكون الواو وقد مضى هذا في سورة الاعراف في قوله تعالى او امن اهل القرى قوله تعالى
قل نعم وانتم داخرون اي اذلا لانهم اذا راوا وقوع ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل ستقوم القيمة
وان كرهتم فهو امر واقع على رغمكم وان انكرتموه اليوم بزعمكم فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة
قاله الحسن وهي النفخة الواحدة وسميت الصيحة زجرة لانها مقصودها الزجر اي يزجر بها كزجر
الابل والخيل عند السوق فاذا هم قيام ينظرون اي ينظر بعضهم الى بعض وقيل المعنى ينتظرون
ما يفعل بهم وقيل هي مثل قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل اي ينظرون الى
البعث الذي انكروه قوله تعالى وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين نادوا على انفسهم بالويل لانهم يومئذ
يعلمون ما حل بهم وقيل هو منصوب على انه مصدر عند البصريين وزعم الفرا ان تقديره يا وي
لنا ووي بمعنى حزن النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم الجزا
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قيل هو من قول بعضهم لبعض اي هذا يوم الحكم بين الناس
فيبين المحق من المبطل ففريق في الجنة وفريق في السعير قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وا
ازواجهم هو من قول الله تعالى للملايكة اي احشروا المشركين وازواجهم اي اتباعهم في الشرك
والشرك الظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافر قاله قتاده وابو العالية
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قول الله احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزاني مع الزاني
وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة وقال ابن عباس وازواجهم اي اشباههم
وهذا يرجع الى قول عمر وقيل ازواجهم نساؤهم الموافقات على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه
النعمان بن شيبة عن عمر بن الخطاب وقال الضحاك وازواجهم قرناؤهم الشياطين وهذا قول
مقاتل ايضا يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون من دون الله اي من الاصنام
والشياطين وابليس فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم يقال هديته الى الطريق وهديته
الطريق اي دللته عليه واهديت الهدية وهديت العروس ويقال اهديتها اي جعلتها بمنزلة
الهدية قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وحكى عيسى بن عمر انهم بفتح الهمزة قال الكسائي لانهم
وبانهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا يتعدى ولا يتعدى اي احبسوهم وهذا
يكون قبل السوق الى الجحيم وفيه تقديم وتاخير اي قفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار وقيل
يساقون الى النار اولا ثم يحشرون للسؤال اذا قربوا من النار انهم مسئولون عن اعمالهم واقوالهم
وافعالهم قاله القرطبي والكلبي الضحاك عن خطاياهم ابن عباس عن لا اله الا الله وعنه ايضا عن
ظلم الخلق وفي هذا كله دليل على ان الكافر يحاسب وقد مضى في الحجر الكلام فيه وقيل سؤالهم ان يقال
لهم الم ياتكم رسل منكم اقامة للحجة ويقال لهم ما لكم لا تناصرون على جهة التقريع والتوبيخ اي

ينصر بعضكم بعضا بمنعه من عذاب الله وقيل هو اشارة الى قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر
واصله تتناصرون فطرحت احدى التائين تخفيفا وشدد البزي التاء في الوصل قال الله تبارك
وتعالى بل هم اليوم مستسلمون قال قتادة مستسلمون في عذاب الله ابن عباس خاضعون ذليلون
الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم والمعنى متقارب واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء
والاتباع يتساءلون يتخاصمون ويقال لا يتساءلون فسقطت لا النحاس وانما غلط الجاهل
باللغة فتوهم ان هذا من قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون بالارحام فيقول احدهم
اسالك بالرحم الذي بينك وبيني الا نفعتني واسقطت لي حقا لك علي او وهبت لي حسنة وهذا
بين لان قبله فلا انساب بينهم اي ليس ينتفعون بالانساب التي بينهم كما جاء ان الرجل ليسر بان يجب
له على ابيه او على ابنه حق كما جاء في الحديث فياخذه منه لانها الحسنات والسيئات وفي حديث
آخر رحم الله امرا كان لاخيه عنده مظلمة في مال او عرض فاتاه فاستحله قبل ان يطالبه فياخذ من
حسناته فان لم يكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب ويتساءلون هيهنا انما هو ان يسال
بعضهم بعضا ويوبخه في انه اضله او فتح له بابا من المعصية يبين ذلك ان بعده انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين قال مجاهد هو قول الكفار للشياطين قتادة هو قول الانس للجن وقيل هو من
قول الاتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول الاية قال سعيد عن قتادة اي تاتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس
نحو منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل
بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل تاتوننا عن اليمين تاتوننا مجيء من اذا حلف صدقناه وقيل
تاتوننا من قبل الدين فتهونون علينا امر الشريعة وتنفروننا عنها **قلت** وهذا القول حسن جدا
لان من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين اي كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل اليمين
بمعنى القوة اي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر ومنه قوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة
الرجل في يمينه **وقال الشاعر** اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة والقدرة
وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق انه معكم وكله متقارب قالوا
بل لم تكونوا مؤمنين قال قتادة هذا قول الشياطين لهم وقيل من قول الرؤساء اي لم تكونوا
مؤمنين قط حتى ننقلكم منه الى الكفر بل كنتم على الكفر فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا
عليكم من سلطان اي من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين اي ضالين متجاوزين الحد فحق علينا
قول ربنا هو ايضا من قول المتبوعين اي وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب كما
كتب الله واخبر على السنة الرسل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا موافق للحديث ان
الله عز وجل كتب للنار اهلا وللجنة اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فاغويناكم اي زينا لكم ما كنتم
عليه من الكفر انا كنا غاوين بالوسوسة والاستدعاء ثم قال خبرا عنهم فانهم يومئذ في العذاب
مشتركون الضال والمضل انا كذلك اي مثل هذا الفعل نفعل بالمجرمين اي المشركين انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون اي اذا قيل لهم قولوا فاضمر القول ويستكبرون في موضع نصب على
خبر كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ان وكان ملغاة ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي
طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ابوا وانفوا
من ذلك وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله في كتابه فذكر قوما فقال انهم في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى و

كانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة ذكر هذا الخبر البيهقي والذي قبله القشيري **قوله تعالى**
ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون فرد الله عز وجل عليهم فقال بل جاء بالحق يعني القرآن و
التوحيد وصدق المرسلين فيما جاؤا به من التوحيد انكم لذائقوا العذاب الاليم الاصل لذائقون
فحذفت النون استخفافا وخفضت للاضافة ويجوز النصب كما **انشد سيبويه** فالفيته غير مستعتب
ولا ذاكر الله الا قليلا واجاز سيبويه والمقيمي الصلاة على هذا وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا بما
عملتم من الشرك استثنى ممن يذوق العذاب وقراءة اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام
يعني الذين اخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا لله
العبادة وقيل هو استثناء منقطع اي انكم ايها المجرمون ذائقوا العذاب لكن عباد الله المخلصين
لا يذوقون **قوله تعالى** اولئك لهم رزق معلوم يعني المخلصين اي لهم عطية معلومة لا تنقطع
قال قتادة يعني الجنة وقال غيره يعني رزق الجنة وقيل هي الفواكه التي ذكرها قال مقاتل حين
يشتهونه وقال ابن السائب بمقدار الغداة والعشي قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة و
عشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى وامددناهم بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس
وهم مكرمون اي ولهم اكرام من الله عز وجل برفع الدرجات وسماع كلامه ولقائه في جنات النعيم اي
في بساتين يتنعمون فيها وقد تقدم ان الجنان سبع في سورة منها النعيم **قوله تعالى** على سرر متقابلين
قال عكرمة ومجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلا وتحاببا وقيل الاسرة تدور كيف شاؤا
فلا يرى احد قفا احد وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد السرير ما بين صنعا
الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله اعلم **قوله تعالى** يطاف عليهم
بكاس من معين لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم والكاس عند اهل اللغة اسم شامل لكل اناء مع
شرابه فان كان فارغا فليس بكاس قال الضحاك والسدي كل كاس في القرآن فهي الخمر والعرب
تقول للاناء اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر قالوا اناء وقدح النحاس وحكى من يوثق به من
اهل اللغة ان العرب يقول للقدح اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان
اذا كان عليه طعام مائدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مائدة قال ابو الحسن بن كيسان ومنه
ظعينة للهودج اذا كان فيه المراة قال الزجاج بكاس من معين من خمر تجري كما تجري العيون على
وجه الارض والمعين الماء الجاري الظاهر بيضاء صفة للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن
خمر الجنة اشد بياضا من اللبن قال الزجاج اي ذات لذة فحذف المضاف وقيل هو مصدر جعل اسما
اي بيضاء لذيذة شراب لذ ولذيذ مثل نبات غض وغضيض فاما **قول القائل** ولذ كطعم الصرخدي تركته
بارض العدا من خشية الحدثان فانه يريد النوم وقيل بيضاء اي لم يعتصرها الرجال باقدامهم لا فيها
غول اي لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب
عقولهم بشربها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول للنفس اي يذهب بهما ويقال نزف الرجل ينزف
فهو منزوف ونزيف اذا سكر **وقال الشاعر** فلذ اهي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر **وقال اخر** نزيف
اذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفؤاد الرخص الا تخترا **وقال اخر** فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب
النزيف ببرد ماء الحشرج وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف القوم اذا حان منهم النزف وهو
السكر يقال احصد الزرع اذا حان حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا حان
ركوبه وقيل المعنى لا ينفدون شرابهم لانه دايم لهم يقال انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره و

قال الحطيئة لعمري ان نزفتموا او صحوتموا لبئس الندامى كنتم آل ابجرا قال النحاس والقراءة الاولى ابين و
اوضح في المعنى لان معنى ينزفون عند حذاق اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فنفى الله عز وجل عن
خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر ومعنى ينزفون الصحيح فيه
ان يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه وهو يبعد ان يوصف به شراب الجنة ولكن مجازه ان يكون
بمعنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج وابو علي على ما ذكره القشيري و
المهدوي ولا يكون معناه يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا وهذا يسوغ
ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى لا فيها غول لا يمرضون فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون لا
يسكرون ولا ينفد شرابهم قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد لا فيها
غول قال لا فيها وجع بطن الحسن صداع وهو قول ابن عباس لا فيها غول صداع وحكى الضحاك عنه انه
قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال
مجاهد ابن كيسان مغص وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا فيها غول اي اثم نظيره لا لغو فيها
ولا تاثيم وقال الشعبي والسدي وابو عبيدة لا تغتال عقولهم فيذهب بها ومنه قول الشاعر وما
زالت الكاس تغتالنا • وتذهب بالاول الاول • اي تصرع واحدا واحدا وانما صرف الله تعالى السكر
عن اهل الجنة لئلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفا يقال
اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه في خفية ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية قوله تعالى وعندهم
قاصرات الطرف اتراب اي نساء قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد
ومحمد ابن كعب وغيرهم مأخوذ عكرمة قاصرات الطرف اي محبوسات على ازواجهن والتفسير الاول ابين
لانه ليس في الآية مقصورات ولكن في موضع آخر مقصورات ياتي بيانه وقاصرات مأخوذ من
قولهم قد اقتصر على كذا اي اقنع به وعدل عن غيره قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا ويروى فوق الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير من الذر
وقال مجاهد ايضا معناه لا يغرن عين عظام العيون الواحدة عينا قاله السدي مجاهد عين حسان
العيون الحسن الشديدات بياض العين شديدات سوادها والاول اشهر في اللغة يقال رجل اعين
واسع العين بين العين والجمع عين واصله عين بالضم فكسرت العين لئلا تنقلب الواو ياء ومنه قيل
لبقر الوحش والثور اعين والبقرة عيناء كانهن بيض مكنون اي مصون قال الحسن وابن زيد شبههن ببيض
النعام يكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النساء وقال ابن
عباس وابن جبير والسدي شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدي وقال عطا شبههن
بالسحا الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول الطبري قال هو القشر الرقيق الذي
على البيضة من داخل وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراة بالبيض لصفائه
وبياضه قال امرؤ القيس وبيضة خدر لا يرام خباؤها • تمتعت من لهو بها غير معجل • وتقول
العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كانه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن
الكسر اي انهن عذارى وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كقوله تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون
اي في اصدافه قال ابن عباس ايضا ومنه قول الشاعر وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت الى اللفظ قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن
بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن
المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه

فمؤداه

في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك
خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد
ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم و
جعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه
بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب
العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال
الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب
هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتفاوضون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس
في الجنة وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشراب
قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام • فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون
عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في اخباره قوله تعالى قال
قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي صديق ملازم يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث و
الجزاء وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في تسميتهما
مستوفى عند قوله واضرب لهم مثلا رجلين وفيهما انزل الله عز وجل قال قائل منهم اني كان لي قرين
الى من المحضرين وقيل المراد بالقرين قرينه من الشياطين كان يوسوس اليه بانكار البعث وقرئ ائنك
لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي بن كيسة عن سليم عن حمزة قال النحاس ولا يجوز ائنك لمن
المصدقين لانه لا معنى للصدقة ههنا وقال القشيري وفي قراءة حمزة ائنك لمن المصدقين بتشديد
الصاد واعترض عليه بان هذا من التصدق لا من التصديق والاعتراض باطل لان القراءة اذا
ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال للطعن فيها فالمعنى ائنك لمن المصدقين بالمال طلبا في
ثواب الآخرة قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي مجزيون محاسبون بعد الموت
فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون وقيل هو من قول المؤمن لاخوانه في الجنة هل
انتم مطلعون الى النار لننظر كيف حال ذلك القرين وقيل هو من قول الملائكة وليس هل انتم
مطلعون باستفهام انما هو بمعنى الامر اي اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه لما نزلت
آية الخمر قام عمر قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع راسه الى السماء ثم قال يا رب بيانا اشفى
من هذا في الخمر فنزلت فهل انتم منتهون قال فنادى عمر انتهينا يا ربنا وقرا ابن عباس هل انتم
مطلعون باسكان الطاء خفيفة فاطلع بقطع الالف مخففة على معنى هل انتم مقبلون فاقبل

قال النحاس فاطلع فرايه فيه قولان انه يكون فعلا مستقبلا اي فاطلع انا ويكون منصوبا على
جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلا ماضيا فيكون اطلع واطلع واحدا قال
الزجاج يقال طلع واطلع بمعنى واحد وقد حكى هل انتم مطلعون بكسر النون وانكر ابو حاتم
وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لانه جمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لكان هل انتم مطلعي
وان كان سيبويه والفرا قد حكيا مثله وانشد هم القايلون الخير والامرونه * اذا ما خشوا من
محدث الامر معظما * وانشد الفرا والفاعلون وانشد سيبويه وحده ولم يرتفق والناس محتضرونه
وهذا شاذ خارج من كلام العرب وما كان مثل هذا لم يحتج في كتاب الله عز وجل ولا يدخل في الفصيح
وقد قيل في توجيهه انه اجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه فجرى مطلعون مجرى يطلعون
ذكره ابو الفتح عثمان بن جني وانشد ارايت ان جئت به املودا * مرجلا ويلبس البرودا * يا قائلين
احضروا الشهودا * فاجرى قائلين مجرى يقولون وقال بن عباس في قوله هل انتم مطلعون فاطلع
فراه ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار واهلها وكذلك قال كعب فيما ذكر ابن المبارك
قال ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض
الكوى قال الله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم اي في وسط النار والحسك حواليه قاله ابن
مسعود ويقال تعبت حتى انقطع سواي اي وسطي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا
ابا عبيدة هل ينقطع سواي عن قتادة قال بعض العلما لولا ان الله عز وجل عرفه اياه لما عرفه لقد تغير
خبره وشره فعند ذلك يقول تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة دخلت على كاد كما تدخل
على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
في النار وقال الكسائي لتردين اي لتهلكني والردى الهلاك وقال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في
النار لكان جائزا ولولا نعمة ربي اي عصمته وتوفيقه بالاستمساك بعروة الاسلام والبراة من القرين
السوء وما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لكنت من المحضرين قال الفرا لكنت
معك من المحضرين لا يستعمل مطلقا الا في الشر قاله الماوردي قوله تعالى افما نحن بميتين وقرئ
بمائتين والهمزة في افما للاستفهام دخلت فاء العطف والمعطوف محذوف معناه نحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين الا موتتنا الاولى يكون استثناء ليس من الاول ويكون مصدرا
لانه منعوت وهو من اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت يقال يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا
اهل النار خلود ولا موت وقيل هو من قول المؤمن على جهة الحديث بنعمة الله في انهم لا يموتون ولا
يتعذبون اي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المؤمن توبيخا للكافر لما كان ينكره من البعث
وانه ليس الا الموت في الدنيا ثم قال المؤمن مشيرا الى ما هو فيه ان هذا لهو الفوز العظيم يكون هو مبتدا
وما بعده خبر عنه والجملة خبر ان ويجوز ان يكون هو فاصلا لمثل هذا فليعمل العاملون يحتمل ان
يكون من كلام المؤمن لما راى ما اعد الله له في الجنة وما اعطاه قال لمثل هذا العطاء والفضل
فليعمل العاملون النحاس وتقدير الكلام والله اعلم فليعمل العاملون لمثل هذا فان قال قايل الفاء
في العربية تدل على ان الثاني بعد الاول فكيف صار ما بعدها سوى بالتقديم فالجواب ان
التقديم مثل التاخير لان حق حروف الخفض وما بعدها ان تكون متاخرة قوله تعالى اذلك خير
مبتدا وخبره وهو من قول الله عز وجل نزلا على البيان والمعنى انعيم الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم خير
نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة النحاس وكذا النزل والنزول الا انه يجوز ان يكون
النزل باسكان الزاي لغة ويجوز ان يكون اصله النزول ومنه اقيم للقوم نزلهم واشتقاقه

انه القدر الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه وقد مضى هذا في اخر سورة ال عمران وشجرة الزقوم
مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها قال المفسرون وهي في الباب السادس
وانها تحيى بلهب النار كما تحيي الشجرة ببرد الماء فلا بد لاهل النار من ان ينحدر من كان فوقها
فياكلون منها وكذلك يصعد اليها من كان اسفل واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا ومن قال
بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل
نبات قاتل القول الثاني انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت هذه الاية في شجرة الزقوم قالت كفار
قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من افريقية فسالوه فقال هو عندنا الزبد والتمر
فقال ابن الزبعرى اكثر الله لنا في بيوتنا الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر
ثم قال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد بن عم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر
قوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين اي المشركين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة و
النار تحرق الشجر وقد مضى هذا المعنى في سبحان واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى عليها
تسعة عشر ما الذي يخصص هذا العدد حتى قال بعضهم انا اكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين
فقال الله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والفتنة الاختبار وكان هذا القول منهم
جهلا اذ لا يستحيل في العقل ان يخلق الله في النار شجرا من جنسها لا تاكله النار كما يخلق الله فيها
الاغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار وهذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي
وقع الان للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم او عقاب تحله الارواح وحملوا وزن الاعمال و
الصراط واللوح والقلم على معاني زوروها في انفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع و
اذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل
في موضع اجماع المسلمين على انه تاويل لا يجوز والمسلمون مجمعون على الاخذ بهذه الاشياء من غير مصير
الى علم الباطن وقيل انها فتنة اي عقوبة للظالمين كما قال ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي قعر النار ومنها منشاها ثم هي متفرعة في جهنم طلعها
ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رؤوس الشياطين باعيانهم شبهها برؤوسهم لقبحهم ورؤوس الشياطين
متصور في النفوس وان كان مرئي ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشياطين ولكل صورة
حسنة هو كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن صواحب يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
وهذا تشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس والقرطبي ومنه قول امرئ القيس ومسنونة زرق
كانياب اغوال ولم تر الغول قط ولكن لما تصور من قبحها في النفوس وقد قال الله تعالى
شياطين الانس والجن فمردة الانس شياطين مرئية وفي الحديث الصحيح وكان نخلها رؤوس الشياطين
وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين والغيلان وقال الزجاج والفرا الشياطين حيات لها
رؤوس واعراف وهي من اقبح الحيات واخبثها واخفها جسما قال الراجز وقد شبه المراة بحية لها
عرف عجيز تحلف حين احلف * كمثل شيطان الحماط اعرف * الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف
وقال الشاعر يصف ناقته تلاعب مثنى حضرمي كانه * تعمج شيطان بذي خروع قفر * التعمج
الاعوجاج في السير ومنه عموج يتلوى في ذهابه وتعمجت الحية اذا تلوت في سيرها وقال يصف
زمام الناقة تلاعب مثنى حضرمي كانه * تعمج شيطان بذي خروع قفر * وقيل انما شبه ذلك
بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن والشياطين قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب الزمخشري
وهو شجر خشن اللمس منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين النحاس وقيل الشياطين ضرب من الحيات

فاح فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق اهل الجنة و
قال في الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع وسيأتي ثم ان لهم عليها اي بعد الاكل من الشجر
لشوبا من حميم الشوب الخلط والشوب لغتان كالفقر والفقر والفتح اشهر قال الفرا شاب طعامه
وشرابه اذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشيابة فاخبر انه يشاب لهم والحميم الماء الحار ليكون اشنع
قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم السدي يشاب لهم الحميم بغساق اعينهم وصديد
من قيحهم ودمائهم وقيل يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظا
لعذابهم وتجديدا لبلائهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قيل انه هذا يدل على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم
في عذاب غير النار ثم يردون اليها وقال مقاتل الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم
يردون الى الجحيم لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ثم
ان منقلبهم لالى الجحيم وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون ثم بمعنى الواو القشيري ولعل الحميم في موضع
من جهنم على طرف منها انتهى قوله تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين اي صادفوهم كذلك فاقتدوا
بهم فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد كهيئة الهرولة قال الفرا الاهراع
الاسراع برعدة وقال ابو عبيدة يهرعون يستحثون من خلفهم ونحوه قول المبرد قال المهرع المستحث
يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقيل يزعجون من شدة الاسراع قال المفضل الزجاج
يقال هرع واهرع اذا استحث وازعج قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
اي اخر امرهم الا عباد الله المخلصين اي الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم ثم قيل هو
استثناء من المنذرين وقيل هو من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين قوله تعالى ولقد
نادانا نوح النداء الذي هو استغاثة ودعاء قيل بمسئلة هلاكهم فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون قال الكسائي اي فلنعم المجيبون له كنا فنجيناه واهله يعني
اهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم وهو الغرق وجعلنا
ذريته هم الباقين قال ابن عباس لما خرج نوح عليه الصلاة والسلام من السفينة مات من معه
من الرجال والنساء الا ولده ونساءه فذلك قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال سعيد بن المسيب
كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى
وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر
وغيرهم ويافث ابو الصقالبة والترك والان والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وقال قوم
كان لغير ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله قلنا يا نوح اهبط بسلام منا
وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فعلى هذا معنى الاية و
جعلنا ذريته هم الباقين دون ذرية من كفر فانا اغرقنا اولئك قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين اي
تركنا عليه ثناء حسنا في كل امة فانه محبب الى الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه افريدون روي
معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي ان فيه تقديرين احدهما وتركنا عليه في الاخرين
يقال سلام على نوح اي تركنا عليه هذا الثناء الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا
عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله تعالى سورة
انزلناها والقول الاخر ان يكون المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح اي
سلامة له من ان يذكر بسوء في الاخرين قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوبا بتركنا

اي تركنا

اي تركنا عليه ثناء حسنا سلاما وقيل في الاخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الانبيا
اذ لم يبعث بعده نبي الا امر بالاقتداء به قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقال
سعيد بن المسيب وبلغني انه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب
ذكره ابو عمر في التمهيد وفي الموطا عن خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل
منزلا فليقل اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شيء حتى يرتحل وفيه عن ابي
هريرة ان رجلا من اسلم قال ما نمت هذه الليلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي شيء
فقال لدغتني عقرب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق لم يضرك قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نبقي عليهم الثناء
الحسن والكاف في موضع نصب اي جزاء كذلك انه من عبادنا المؤمنين هذا بيان احسانه قوله
تعالى ثم اغرقنا الاخرين اي من كفر وجمعه اخر والاصل فيه ان يكون معه من فلا انها حذفت لان المعنى
معروف ولا يكون اخر الا وقبله شيء من جنسه وثم ليس للتراخي ههنا بل هو لتعديد النعم كقوله
او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا اي ثم اخبركم اني قد اغرقت الاخرين وهم الذين
تاخروا عن الايمان قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم قال ابن عباس اي من اهل دينه وقال مجاهد
اي على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار
الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفرا المعنى وان من شيعة محمد لابرهيم فالهاء في
شيعته على هذا لمحمد عليه الصلاة والسلام وعلى الاول لنوح وهو اظهر لانه هو المذكور اولا وما كان
بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة
حكاه الزمخشري قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقال عوف الاعرابي
سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم قال الناصح لله عز وجل في خلقه وذكر الطبري عن غالب
القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجاج مسكين ابو محمد ان عذبه الله فبذنبه
وان غفر له فهنيئا له وان كان قلبه سليما فقد اصاب الذنوب من هو خير منه قال عوف فقلت
لمحمد ما القلب السليم قال ان تعلم ان الله حق وان الساعة اتية وان الله يبعث من في القبور وقال
هشام بن عروة كان ابي يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الى ابرهيم لم يلعن شيئا قط فقال
تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم ويحتمل مجيئه الى ربه وجهين احدهما عند دعائه الى توحيده وطاعته
الثاني عند القائه في النار اذ قال لابيه وهو آزر وقد مضى الكلام فيه وقومه ماذا تعبدون
تكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره ويجوز ان تكون ما وذا في موضع نصب بتعبدون ائفكا
نصب على المفعول به بمعنى اتريدون افكا قال المبرد والافك اسوء الكذب وهو الذي لا يثبت
ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الارض الهة بدل من افك دون الله تريدون اي تعبدون و
يجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم به
اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فهو تحذير مثل قوله تعالى ما غرك بربك الكريم وقيل المعنى اي
شيء توهمتموه حتى اشركتم به غيره قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن زيد ابيه
ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا فنظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي
وكان علم النجوم مستعملا عندهم منظورا فيه فاوهمهم هو من تلك الجهة واراهم معتقدهم
عذرا لنفسه وذلك انهم اهل رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما الى نظر في النجوم
وقال ابن عباس كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون ابطل

ذلك فنظر ابرهيم فيها علما نبوئيا وحكى جويبر عن الضحاك كان علم النجوم باقيا الى زمن عيسى عليه
حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من اين علمتم بموضعه قالوا من النجوم فدعا
ربه عند ذلك فقال اللهم فهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم احد فصار علمها في الشرع محظورا وعلمها في الناس مجهولا
قال الكلبي وكانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز جرد وكانوا
ينظرون في النجوم فهذا قول وقال الحسن المعنى انهم لما كلفوه الخروج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى
على هذا انه نظر فيما نجم له من الراي اي فيما طلع له منه فعلم ان كل حي سقيم فقال اني سقيم الخليل و
المبرد يقال للرجل اذا فكر في نفسه تدبر ونظر في النجوم وقيل كانت الساعة التي دعوه الى الخروج
معهم فيها ساعة تغشاه فيها الحمى وقيل المعنى فنظر فيما نجم من الاشيا فعلم ان لها خالقا و
مدبرا وانه يتغير كتغيرها فقال اني سقيم وقال الضحاك ساسقم سقم الموت لان من كتب عليه
الموت سقم في الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال للملك لما سال عن سارة هي اختي
يعني اخته في الدين وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك ايضا اشار لهم الى مرض وسقم يعدي
كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون ولذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين خوفا منه خوفا
من العدوى وروى الترمذي الحكيم قال حدثنا ابي قال حدثنا عمر بن حماد عن اسباط عن السدي عن
ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن الهمداني عن ابن مسعود قال قال ابو ابرهيم ان لنا عيدا
لو خرجت معنا لاعجبك ديننا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه وخرج معهم فلما كان ببعض
الطريق القى بنفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فوطئوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادى
في اخرهم وتالله لاكيدن اصنامكم قال ابو عبيد الله وهذا ليس معارض لما قال ابن عباس وابن
جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع له امران قلت وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب
ابرهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات الحديث وقد مضى في سورة الانبيا وهو يدل على انه لم يكن سقيما
وانما عرض لهم وقد قال عز وجل انك ميت وانهم ميتون فالمعنى اني سقيم فيما استقبل فتوهموا
هو سقيم الساعة وهذا من معاريض الكلام على ما ذكرنا ومنه المثل السائر كفى بالسلامة داء
قال لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ٭ ليصحني فاذا السلامة داء ٭ وقد مات رجل فجاءة
فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فابرهيم
صادق لكنه لما كان الانبياء لقرب محلهم واصطفائهم عد هذا ذنبا ولهذا قال والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقد مضى هذا كله مبينا وقيل اراد سقيم النفس لكفركم والنجوم
جمع نجم ويكون واحدا مصدرا قوله تعالى فراغ الى الهتهم قال السدي ذهب اليهم وقال ابو مالك
جاء اليهم وقال قتادة مال اليهم وقال الكلبي اقبل عليهم وقيل عدل والمعنى متقارب راغ يروغ
روغا وروغانا اذا مال وطريق رايغ اي مائل وقال الشاعر ويريك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ عنك كما يروغ الثعلب فقال الا تاكلون فخاطبها كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها
تلك المنزلة وكذا ما لكم لا تنطقون قيل كان بين يدي الاصنام طعام تركوه لياكلوه اذا رجعوا
من العيد وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم بزعمهم وقيل تركوه للسدنة وقيل قرب هو اليها
طعاما على جهة الاستهزاء فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين خص الضرب
باليمين لانها اقوى والضرب بها اشد قاله الضحاك والربيع بن انس وقيل المراد باليمين اليمين
التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال الفراء وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة
وقيل بالعدل اليمين ههنا العدل ومنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا

منه باليمين اي بالعدل فالعدل لليمين والجور للشمال الا ترى ان العدو عن الشمال والمعاصي
عن الشمال والمعاصي عن الشمال والطاعة عن اليمين ولذلك قال انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
اي من قبل الطاعات فاليمين هو الموضع للعدل من المسلم والشمال موضع الجور الا ترى انه بايع
الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين ولذلك يعطى كتابه غدا بيمينه لانه وفى بالبيعة
ويعطى الناكث للبيعة الهارب برقبته من الله بشماله لان الجور هناك فقوله فراغ عليهم ضربا
باليمين اي بذلك العدل الذي كان بايع الله عليه يوم الميثاق ثم وفى له ههنا فجعل تلك
الاوثان جذاذا اي فتاتا كالجذيذة وهو السويق وليس من قبيل القوة قاله الترمذي الحكيم
فاقبلوا اليه يزفون قرا حمزة يزفون بضم اليا الباقون بفتحها اي يسرعون قاله ابن زيد قتادة والسدي
يمشون وقيل يمشون بجمعهم على مهل اي يصيب احدهم بضربة قيل المعنى يتسللون تسللا بين
المشي والعدو ومنه زفيف النعامة وقال الضحاك يسعون وحكى يحيى بن سلام يرعدون غضبا
وقيل يختالون وهو مشي الخيلا قاله مجاهد ومنه اخذ زفاف العروس الى زوجها قال الفرزدق
وجا قريع الشول قبل افالها ٭ يزف وجاءت خلفه وهي زفف ٭ ومن قرا يزفون فمعناه يزفون غيرهم
اي يحملونهم على الزفيف وعلى هذا فالمفعول محذوف قال الاصمعي ازففت الابل اي حملتها على ان تزف
وقيل هما لغتان يقال زف القوم وازفوا وزففت العروس وازففتها وادففتها بمعنى والمزفة المحفة
التي تزف فيها العروس حكى ذلك عن الخليل النحاس يزفون بضم الياء وزعم ابو حاتم انه لا يعرف
هذه اللغة وقد عرفها جماعة من العلما منهم الفرا وشبهها بقولهم اطردت الرجل اي صيرته
الى ذلك وطردته نحيته وانشد هو وغيره تمنى حصين ان يسود جزاعة ٭ فامسى حصين قد اذل
واقهرا اي صير الى ذلك يزفون يصيرون الى الزفيف قال محمد بن يزيد الزفيف الاسراع قال ابو اسحق
الزفيف اول عدو النعام وقال ابو حاتم وزعم الكسائي ان قوما قروا فاقبلوا اليه يزفون خفيفة
من وزف يزف مثل وزن يزن قال النحاس فهذه حكاية ابي حاتم وابو حاتم لم يسمع من الكسائي
شيئا وروى الفرا وهو صاحب الكسائي عن الكسائي انه لا يعرف يزفون مخففة وقال الفرا وانا
لا اعرفها قال ابو اسحق وقد عرفها غيرهم وزف يزف التاسرع قال النحاس ولا نعلم احدا قرا
يزفون هي قراءة عبد الله بن زيد فيما ذكر المهدوي الزمخشري ويزفون على البنا للمفعول ويزفون
من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزف بعضا لتسارعهم اليه وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد
وابن السميقع يرفون بالراء وهو رفيف النعام وهو ركض بين المشي والطيران قوله تعالى قال اتعبدون
ما تنحتون فيه حذف اي قالوا من فعل هذا بالهتنا فقال محتجا اتعبدون اي اتعبدون اصناما
انتم تنحتونها بايديكم والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت
ما ينحت به والله خلقكم وما تعملون ما في موضع نصب اي وخلق ما تعملونه من الاصنام يعني
الخشب والحجارة وغيرهما كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل ان ما استفهام
وقيل معناه التحقير لعملهم وقيل هو نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان
تكون ما مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب اهل السنة ان الافعال
خلق الله عز وجل واكتساب للعباد وفي هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خالق كل صانع وصنعته هو الخالق وهو الصانع سبحانه
وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا يملونه حطبا
فتضرمونه ثم القوه فيها وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون

ذراعا وملوه نارا وطرحوه فيها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص فلما صار في البنيان قال حسبي
الله ونعم الوكيل والالف واللام في الجحيم يدل على الكناية اي في جحيمه اي جحيم ذلك البنيان
وذكر الطبري ان قايل ذلك اسمه الهزن رجل من اعراب فارس وهو الترك وهو الذي جاء فيه الحديث
بينا رجل يمشي في حلة له يتبختر فيها اذ هو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة فارادوا به كيدا اي بابرهيم
والكيد المكر اي احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين المغلوبين اذا نفذت حجته
من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم **قوله تعالى** وقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين رب هب لي من الصالحين فيه مسئلتان **الاولى** هذه الهجرة والعزلة واول من فعل
ذلك ابرهيم عليه السلم وذلك حين خلصه الله من النار قال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر من بلد
قومي ومولدي الى حيث اتمكن من عبادة ربي فانه سيهدين فيما نويت الى الصواب قال مقاتل هو
اول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة الى الارض المقدسة وهي ارض الشام وقيل ذاهب بعملي و
عبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد مضى بيان هذا في الكهف مستوفى
وعلى الاول المهاجرة الى الشام وبيت المقدس وقيل خرج الى حران فاقام بها مدة ثم قيل قال ذلك
لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك ترغيبا و
قيل قال هذا قبل القائه في النار وفيه على هذا القول تاويلان احدهما اني ذاهب الى ما قضاه
على ربي الثاني اني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب الى الله تعالى لانه عليه السلم تصور انه يموت بالقائه
في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما فحينئذ سلم ابرهيم
منها وفي قوله سيهدين على هذا القول تاويلان احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنة
وقال سليمان بن صرد وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما ارادوا القاء ابرهيم في النار جعلوا
يجمعون له الحطب فجعلت المراة العجوز تحمل على ظهرها وتقول اذهب به الى هذا الذي يذكر الهتنا
فلما ذهب به ليطرح في النار قال اني ذاهب الى ربي فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل قال
الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان النار لم تحرقه من اجل قرابته
مني فارسل الله عنقا من النار فاحرقه **الثانية** قوله رب هب لي من الصالحين لما عرفه الله تعالى انه مخلصه
دعا الله ليعضده بولد يانس به في غربته وقد مضى في ال عمران القول في هذا وفي الكلام حذف
اي هب لي ولدا صالحا من الصالحين وحذف مثل هذا كثير قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم اي انه
يكون حليما في كبره فكانه بشر ببقاء ذلك الولد لان الصغير لا يوصف بذلك وكانت البشرى على السنة
الملائكة كما تقدم في هود ويأتي ايضا في الذاريات **قوله تعالى** فلما بلغ معه السعي الى قوله تعالى و
ظالم لنفسه مبين فيه سبع عشرة مسئلة **الاولى** قوله تعالى فلما بلغ معه السعي اي فوهبنا له الغلام
فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع ابيه في امور دنياه معينا له على اعماله قال يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك وقال مجاهد فلما بلغ معه السعي اي شب وادرك سعيه سعي ابيه وقال الفرا كان يومئذ
ابن ثلاث عشرة سنة وقال ابن عباس هو الاحتلام قتادة مشى مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي
العقل الذي تقوم به الحجة ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلى الم تسمع ان الله عز و
جل يقول وسعى لها سعيها واختلف العلماء في المامور بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحق وممن قال
بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه وروى الثوري وابن جريج يرفعانه
الى ابن عباس قال الذبيح اسحق وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود ان رجلا قال له يا ابن الاشياخ
الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله صلوات الله

عليهم قال ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلم
وروى ابو الزبير عن جابر قال ان الذبيح اسحق وذلك مروي ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وعن عبد الله بن عمر ان الذبيح اسحق وهو قول عمر رضي الله عنه فهؤلاء سبعة من الصحابة و
التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق
والقاسم بن ابي بزة وعطا ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن ابي
الهذيل ومالك بن انس كلهم قالوا الذبيح اسحق وعليه اهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره
غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما قال سعيد بن جبير اري ابرهيم ذبح اسحق في المنام فسار به
مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح وامره ان يذبح الكبش فذبحه
وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال وقال اخرون هو اسمعيل وممن
قال ذلك ابو هريرة وابو الطفيل عامر بن واثلة وروي ذلك عن عمر وابن عباس ايضا ومن التابعين
سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع ومحمد بن كعب القرظي والكلبي و
علقمة وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح **فانشد** ان الذبيح هديت اسمعيل نطق القران بذاك
والتنزيل شرف به خص الاله نبينا واتى به التفسير والتاويل ان كنت امته فلا تنكر له شرفا
به قد خصه التفضيل وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين
عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه
والمنحر بمكة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل والاول اكثر عن النبي صلى الله عليه و
سلم وعن اصحابه والتابعين واحتجوا بان الله تعالى قد اخبر عن ابرهيم حين فارق قومه فـ
هاجر الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال
رب هب لي من الصالحين فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب ولان الله تعالى قال وفديناه بذبح عظيم فذكر انه في الغلام الحليم الذي بشر به
ابرهيم وانما بشر باسحق لانه قال فبشرناه باسحق وقال هنا فبشرناه بغلام حليم وذلك قبل ان يعرف
هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس في القران انه بشر بولد الا اسحق احتج من قال انه اسمعيل
بان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى قال وبشرناه باسحق نبيا فكيف يامره بذبحه وقد وعده
ان يكون نبيا وايضا فان الله تعالى قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يؤمر بذبح
اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب وايضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان
الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع اما
قولهم كيف يامره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا فانه يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد
ان كان من امره ما كان قاله ابن عباس وسياتي ولعله امر بذبح اسحق بعد ان ولد لاسحق يعقوب
او يقال لم يرد في القران ان يعقوب يولد له من اسحق واما قولهم لو كان الذبيح اسحق لكان الذبح
يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج الله اعلم ايهما
الذبيح وهذا مذهب ثالث **الثانية** قوله تعالى قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا
ترى قال مقاتل راى ذلك ابرهيم عليه السلم ثلث ليال متتابعات وقال محمد بن كعب كانت الرسل
تاتيهم بالوحي من الله تعالى ايقاظا ورقودا فان الانبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع

قال صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رؤيا الانبيا
وحي واستدل بهذه الاية وقال السدي لما بشر ابرهيم باسحق قبل ان يولد له قال هو اذن لله
ذبيح فقيل له في منامه قد نذرت نذرا فوف بنذرك ويقال ان ابرهيم راي ليلة التروية كان قائلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روي نفسه اي فكر اهذا الحلم من الله او من الشيطان
فسمي يوم التروية فلما كانت الليلة الثانية راي ذلك ايضا وقيل له الوعد فلما اصبح عرف ان ذلك
من الله فسمي يوم عرفة ثم راي مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وروي انه لما ذبحه
قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر قال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة
وقد اختلف الناس في وقوع هذا الامر وهي الثالثة فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع وانما
وقع الامر بالذبح قبل ان يقع الذبح ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل
لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفداء وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا اي
قد حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل في
هذا الباب وقالت طائفة ليس هذا مما نسخ بوجه لان معنى ذبحت الشيء قطعته واستدل على هذا
بقول مجاهد قال اسحق لابرهيم لا تنظر الي فترحمني ولكن اجعل وجهي الى الارض فاخذ ابرهيم
السكين فامرها على حلقه فانقلبت فقال له ما لك قال انقلبت السكين فقال اطعن بها طعنا
وقال بعضهم كان كلما قطع جزءا التام وقالت طائفة وجد حلقه نحاسا او مغشا بنحاس وكان كلما
اراد قطعا وجد منعا فهذا كله جايز في القدرة الالهية لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك
بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى تعظيما لرتبة اسمعيل وابرهيم
صلوات الله عليهما وكان اولى بالبيان من الفداء وقال بعضهم ان ابرهيم ما امر بالذبح الحقيقي
الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما راي انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي فلما اتى
به من الاضجاع قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح
ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشياء لما
احتيج الى الفدا الرابعة قوله تعالى فانظر ماذا ترى قرا اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التا
وكسر الراء من اري يري قال الفرا فانظر ماذا تري من صبرك وجزعك قال الزجاج لم يقل هذا احد
غيره وانما قال العلماء ماذا تشير اي ما تريك نفسك من الراي وانكر ابو عبيد يري وقال انما يكون
هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال ابو حاتم النحاس وهذا غلط وهذا يكون من رؤية العين و
غيرها وهو مشهور يقال اريت فلانا الصواب واريته رشده وهذا ليس من رؤية العين الباقون
ترى مصادع رايت وقد روي عن الضحاك والاعمش ترى غير مسمى الفاعل ولم يقل ذلك على جهة
المؤامرة في امر الله وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله او لتقر عينه اذا راي من ابنه طاعة الله في امر
الله قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به فوصل الفعل الى الضمير فصار تؤمره ثم حذفت الهاء كقوله وسلام على عباده الذين اصطفى
اي اصطفاهم على ما تقدم وما يعنى الذي ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال بعض
اهل الاشارة لما استثنى وفقه الله تعالى للصبر وقد مضى الكلام في يا ابت وكذا في يا بني في يوسف
وغيرها الخامسة قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في
الاخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق

نبيا

نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين
ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم
الغالبين واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في
الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس
لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب
اباءكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام على
ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا
تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا
فمتعناهم الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين
ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون و
انا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا
يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
الخامسة قوله تعالى فلما اسلما اي انقادا لامر الله وقرا ابن مسعود وابن عباس وعلي رضوان الله عليهم
فلما سلما اي فوضا امرهما الى الله وقال ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما نفسه لله
عز وجل واسلم الاخر ابنه وتله للجبين فديناه بكبشين وقال الكوفيون الجواب ناديناه والواو
زائدة مقحمة كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اي اوحينا وقوله وهم من كل
حدب ينسلون واقترب اي اقترب وقوله فلما جاؤها وفتحت ابوابها وقال اي قال لهم خزنتها
وقال امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى والواو زائدة وقال ايضا حتى اذا حملت
بطونكم ورايتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم الفاجر الخب اراد قلبتم
النحاس والواو من حروف المعاني لا يجوز ان تزاد وفي الخبر ان الذبيح قال لابرهيم عليه السلام حين
اراد ذبحه يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي
فتراه امي فتحزن واسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت اهون علي واقذفني للوجه لئلا
تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى الشفرة فاجزع واذا اتيت الى امي فاقرها مني السلام فلما
جر ابرهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تفعل السكين شيئا ثم ضرب به على جبينه وحز
في قفاه فلم تعمل السكين شيئا فذلك قوله تعالى وتله للجبين كذلك قال ابن عباس معناه
كبه على جبهته فنودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت فاذا كبش ذكره المهدوي وقد تقدمت

الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما انعقد الوجوب ونهيا للعمل هذا بهيئة الذابح وهذا بصورة
المذبوح اعطيا محلا للذبح فداء ولم يكن هنا مرتبكين وعلى هذا يتصور النسخ قبل الفعل
على ما تقدم والله اعلم قال الجوهري وتله للجبين اي صرعه كما تقول كبه لوجهه الهروي والتل الدفع
والصرع ومنه حديث ابي الدرداء رضي الله عنه وتركوك لتلك اي لمصرعك وفي حديث اخر فجاء بناقة
كوما فتلها اي اناخها وفي الحديث بينما انا نائم اتيت بمفاتيح خزائن الارض فتلت في يدي قال
ابن الانباري اي فالقيت في يدي يقال تللت الرجل اذا القيته وقال ابن الاعرابي فصبت في يدي
والتل الصب يقال تل يتل اذا صب وتل يتل اذا سقط **قلت** وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره اشياخ فقال
للغلام اتاذن لي ان اعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله لا اوثر بنصيبي منك احدا قال فتله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في يده يريد جعله في يده وقال بعض اهل الاشارة ان الولد ادعى محبة الله ثم نظر الى
الولد بالمحبة فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فقيل له يا ابرهيم اذبح ولدك في مرضاتي فاخذ واخذ
السكين واضجع ولده ثم قال اللهم تقبله مني في مرضاتك فاوحى اليه يا ابرهيم لم يكن المراد ذبح
الولد وانما المراد ان ترد قلبك الينا فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك اليك وقال كعب
وغيره لما ارى ابرهيم ذبح ولده في منامه قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا ال ابرهيم لا افتن
منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل ثم اتى ام الغلام وقال اتدرين اين يذهب
ابرهيم بابنك قالت لا قال انه يريد ليذبحه قالت كلا هو ارحم من ذلك فقال انه يزعم ان ربه امره بذلك
قالت فان كان ربه قد امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال اتدري اين يذهب
بك ليذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره الله به سمعا وطاعة لامر الله
ثم جاء ابرهيم فقال اين تريد والله لاظن ان الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك
فعرفه ابرهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر الله فلم يصب الملعون منهم شيئا وقال
ابن عباس لما امر ابرهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب
ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم عرض له عند الجمرة الاخرة فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم مضى ابرهيم لامر الله تعالى واختلف في المكان الذي اراد ذبحه فيه فقيل بمكة في المقام وقيل
في المنحر بمنى عند الجمار التي رمى بها ابليس قاله ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وحكي
عن سعيد بن جبير انه ذبحه على الصخرة التي باصل ثبير بمنى وقال ابن جريج ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس
على ميلين والاول اكثر فانه ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على انه ذبحه بمكة وقال
ابن عباس فوالذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة
قد وحش يعني يبس اجاب من قال ان الذبح وقع بالشام لعل الراس حمل من الشام الى مكة والله اعلم
السادسة قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والاخرة
ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة الظاهرة يقال ابلاه الله ابلاء وبلاء اذا انعم عليه وقد يقال بلاه
قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فزعم قوم انه جاء باللغتين وقال اخرون بل الثاني من بلاه
يبلوه اذا اختبره ولا يقال من الابتلاء يبلوه واصل هذا كله من الاختبار اي يكون بالخير والشر قال الله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال ابو زيد هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ابنه قال وهذا
في البلاء المكروه **السابعة** قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن
اسم المطحون والذبح بالفتح المصدر عظيم اي عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة وانما عظم قدره لانه فدي

به

به الذبيح او لانه متقبل قال النحاس عظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف واهل التفسير على انه ههنا
للشريف اي المتقبل وقال ابن عباس هو الكبش الذي تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى وفدى به
اسمعيل وعنه ايضا انه ارسله الله من الجنة كان قد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال الحسن
ما فدي اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير فذبحه ابرهيم فداء عن ابنه وهذا قول
علي رضي الله عنه فلما راه ابرهيم اخذه فذبحه واعتق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحق الزجاج
قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي واهل التفسير على انه بكبش فدي **الثامنة** في هذه الاية
دليل على ان الاضحية بالغنم افضل من الابل والبقر وهذا مذهب مالك واصحابه قالوا افضل
الضحايا الفحول من الضان واناث الضان خير من فحول المعز وفحول المعز خير من اناثها واناث المعز
خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه بذبح عظيم اي ضخم الجثة سمين وذلك كبش
لا جمل ولا بقرة وروى مجاهد وغيره عن ابن عباس انه سال رجل اني نذرت ان انحر ابني فقال يجزئك
كبش سمين ثم قرا وفديناه بذبح عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل من الكبش لفدى به
اسحق وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين واكثر ما ضحى به الكباش وذكر ابن ابي شيبة
عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاة **التاسعة** واختلفوا ايما افضل الاضحية
او الصدقة بثمنها فقال مالك رحمه الله واصحابه الضحية افضل الا بمنى لانه ليس موضع الاضحية
حكاه ابو عمر وقال ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي ان لا اضحي الا بديك ولان اضعه في يتيم
قد ترب فيه هكذا قال المحدث احب الي من ان اضحي وهو قول الشعبي ان الصدقة افضل هنا وبه قال
مالك وابو ثور وفيه قول ثان وهو ان الضحية افضل هذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال
اصحاب الراي زاد ابو عمر واحمد بن حنبل قالوا الضحية افضل من الصدقة لان الضحية سنة وكيدة
كصلاة العيد ومعلوم ان صلاة العيد افضل من سائر النوافل وكذلك صلوات السنن افضل
من التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل الضحايا اثار حسان منها ما رواه سعيد بن داود
ابن ابي الزبير عن مالك عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من نفقة بعد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم قال ابو عمر وهو حديث غريب من
حديث مالك وعن عائشة رضي الله عنها قالت للناس ضحوا وطيبوا انفسا فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته الى القبلة الا كان دمها وقرنها وصوفها حسنات محضرات
في ميزانه يوم القيمة فان الدم ان وقع في التراب فانما يقع في حرز الله يوفيه صاحبه يوم القيمة
ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وخرجه الترمذي ايضا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
عمل ادمي من عمل يوم النحر احب الى الله من اهراق الدم انها لتاتي يوم القيمة بقرونها واشعارها
واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب
عن عمران بن حصين وزيد بن ارقم وهذا حديث حسن **العاشرة** الضحية ليست بواجبة و
لكنها سنة ومعروف وقال عكرمة كان ابن عباس يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشتري له لحما ويقول
من لقيت فقل هذه اضحية ابن عباس وقال ابو عمر ومحمل هذا وما روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
انهما لا يضحيان عند اهل العلم لئلا يعتقد في المواظبة عليها انها واجبة فرض وكانوا ائمة
يقتدي بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه اليهم لانهم الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
امته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم وقد حكى الطحاوي في مختصره
قال ابو حنيفة رضي الله عنه الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل الامصار ولا يجب

على المسافر قال ويجب على الرجل من الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه في نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا ليست بواجبة ولكنها سنة غير مرخصة لمن وجد السبيل اليها في تركها وقال ابو عمر وهذا قول مالك قال ولا ينبغي لاحد تركها مسافرا او مقيما فان تركها فبئس ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الامام الشافعي رضي الله عنه هي سنة على جميع الناس وعلى الحاج بمنى وليست بواجبة واحتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا بردة بن نيار ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لم يؤمر فيه بالاعادة احتج الاخرون بحديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم العشر واراد ان يضحي قالوا فلو كان ذلك واجبا لم يجعل ذلك الى ارادة المضحي وهو قول ابي بكر وعمر وابي مسعود البدري وبلال **الحادية عشر** والذي يضحى به باجماع المسلمين الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر وقد حكي عن الحسن بن صالح انه قال يضحي ببقر الوحش عن سبعة وبالظبي عن رجل وقال الامام الشافعي لو نزا ثور وحشي بقرة انسية او ثور انسي بقرة وحشية لا يجوز شيء من هذا اضحية وقال اصحاب الراي جائزة **الثانية عشر** قد مضى في سورة الحج في وقت الذبح والاكل من الاضحية مستوفى وفي صحيح مسلم عن انس قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما في رواية قال ويقول بسم الله والله اكبر وقد مضى في اخر الانعام حديث عمران بن حصين ومضى في المائدة القول في التذكية وبما هي وما يذكى به وان ذكاة الجنين ذكاة امه مستوفى وفي صحيح مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بكبش اقرن يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فاتي به ليضحي به فقال لها يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به وقد اختلف العلماء في هذا فكان الحسن البصري يقول في الاضحية بسم الله والله اكبر هذا منك واليك تقبل من فلان وقال مالك ان فعل ذلك فحسن وان لم يفعل وسمى الله اجزاه وقال الشافعي والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد بعد ذلك شيئا من ذكر الله تعالى او صلى على النبي صلى الله عليه وسلم لم اكرهه او قال اللهم تقبل مني او قال تقبل من فلان فلا باس وقال النعمان يكره ان يذكر مع اسم الله غيره يكره ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح وقال لا باس اذا كان قبل التسمية وقبل ان يضجع للذبح وحديث عائشة يرد هذا القول وقد تقدم ان ابرهيم عليه السلم لما اراد ان يذبح ابنه قال وسر الحمد فبقي سنة **الثالث عشر** روى البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ماذا يتقى من الضحايا فاشار بيده اربع وكان البرا يشير بيده ويقول يدي اقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم العرجا البين عرجها والعورا البين عورها والمريضة البين مرضها والعجفا لا تنقي لفظ مالك ولا خلاف واختلف في اليسير من ذلك وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقا ولا خرقا قال والمقابلة ما قطع طرف اذنها والمدابرة ما قطع من جانب الاذن والشرقا المشقوقة والخرقا المثقوبة قال هذا حديث حسن صحيح وفي الموطا عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا والبدن ما لم تسن والتي نقص من خلقها قال مالك وهذا احب ما سمعت الي قال العتبي اي لم تنبت اسنانها وهذا كما يقال فلان لم يلبن اي لم يعط عسلا وهذا مثل النهي في الاضاحي عن الهتما قال ابو عمر ولا باس ان يضحي عند مالك بالشاة الهتما اذا كان سقوط اسنانها من الكبر والهرم وكانت سمينة فان كانت ساقطة الاسنان وهي فتية لم يجز ان يضحي بها لانه عيب غير خفيف والنقصان

كله

كله مكروه وشرحه وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري **الرابع عشر** ودلت الاية على ان من نذر نحر ابنه او ذبحه انه يفديه بكبش كما فدى به ابرهيم ابنه قاله ابن عباس وفي رواية اخرى ينحر مائة من الابل كما فدى بها عبد المطلب ابنه روي الروايتين عن الشعبي وروي عن القاسم بن محمد يجزيه كفارة يمين وقال مسروق لا شيء عليه وقال الشافعي هو معصية يستغفر الله منها وقال ابو حنيفة هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شيء وقال محمد عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده اذا حنث وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند مقام ابرهيم في يمين ثم حنث فعليه هدي قال ومن نذر ان ينحر ابنه ولم يقل عند مقام ابرهيم ولا اراده فلا شيء عليه قال ومن جعل ابنه هديا اهدى عنه قال القاضي ابن العربي يلزمه شاة كما قال ابو حنيفة لان الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعا فالزم الله ابرهيم ذبح الولد واخرجه عنه بذبح شاة وكذلك اذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه ان يذبح شاة لان الله تعالى قال ملة ابيكم ابرهيم والايمان التزام اصلي والنذر بذبح الولد هو معصية والامر بالمعصية لا يجوز **قلنا** هذا اعتراض على كتاب الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد الاسلام فكيف ممن يفتي في الحلال والحرام وقد قال الله تعالى افعل ما تؤمر والذي يجلو الالتباس عن قلوب الناس في ذلك ان المعاصي والطاعات ليست باوصاف ذاتية للاعيان انما الطاعة عبارة عما تعلق به الامر من الافعال والمعصية عبارة عما تعلق به النهي من الافعال فلما تعلق الامر بذبح الولد اسمعيل من ابرهيم صار طاعة وابتلاء ولهذا قال الله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد والنفس ولما تعلق النهي بنا في ذبح ابنائنا صار معصية **فان قيل** كيف يصير نذرا وهو معصية **قلنا** انما يكون معصية لو كان يقصد ذبح الولد بنذره ولا ينوي الفدا **فان قيل** فلو وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو الفدا **قلنا** لو قصد ذلك لم يضره في قصده ولا اثر في نذره لان ذبح الولد صار عبارة عن ذبح الشاة شرعا **الخامس عشر** قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي على ابرهيم ثناء جميلا في الامم بعده فما من امة الا تصلي عليه وتحبه وقيل هو دعاء ابرهيم عليه السلم واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال عكرمة هو السلام على ابرهيم اي سلام منا وقيل سلامة له من الافات مثل سلام على نوح في العالمين حسب ما تقدم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اي من الذين اعطوا العبودية حقها حتى استحقوا الاضافة الى الله تعالى **السادس عشر** قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال ابن عباس بشر بنبوته وذهب الى ان البشارة كانت مرتين فعلى هذا الذبيح اسحق بشر بنبوته جزاء على صبره ورضاه بامر ربه واستسلامه وباركنا عليه وعلى اسحق اي ثنينا عليهما النعمة وقيل كثرنا ولدهما اي باركنا على ابرهيم وعلى اولاده وعلى اسحق حين اخرج انبياء بني اسرائيل من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه تعود على اسمعيل وانه هو الذبيح قال المفضل الصحيح الذي يدل عليه القران انه اسمعيل وذلك انه قص قصة الذبح فلما قال في اخر القصة وفديناه بذبح عظيم ثم قال سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه اي على اسمعيل وعلى اسحق كنى عنه لانه قد تقدم ذكره ثم قال ومن ذريتهما فدل على ان ذرية اسمعيل واسحق وليس تختلف الرواة في ان اسمعيل كان اكبر من اسحق بثلاث عشرة سنة **قلت** قد ذكرنا اولا ما يدل على ان اسحق اكبر من اسمعيل وان المبشر به هو اسحق بنص التنزيل فاذا كانت البشارة باسحق نصا فالذبيح لا شك هو اسحق وبشر به ابرهيم مرتين الاولى بولادته والثانية بنبوته

كما قال ابن عباس ولا تكون النبوة الا في خال الكبير ونبيا نصب على الحال والهاء في عليه عائدة الى
ابرهيم وليس لاسمعيل في الاية ذكر حتى ترجع الكناية اليه واما ما روي من طريق معاوية
قال سمعت رجلا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال معاوية ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر لله ان سهل عليه امرها ليذبحن
احد ولده لله فسهل الله عليه امرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه اخواله بنو مخزوم وقالوا
افد ابنك ففداه بمائة من الابل وهو الذبيح واسمعيل هو الذبيح الثاني فلا حجة فيه لان سنده
لا يثبت على ما ذكرناه في كتاب الاعلام في معرفة سؤاله عليه الصلاة والسلام ولان العرب تجعل
العم ابا قال الله تعالى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وقال ورفع ابويه على
العرش وهما ابوه وخالته وكذلك ما روي عن الشاعر الفرزدق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو صح اسناده فكيف والفرزدق في نفسه مقال الرابع عشر قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم
لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال منهم محسن ومنهم مسيء وان المسيء لا تنفعه بنوة النبوة فاليهود
والنصارى وان كانوا من ولد اسحق والعرب وان كانوا من ولد اسمعيل فلا بد من الفرق بين المحسن
والمسيء والمؤمن والكافر وفي التنزيل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية
اي ابناء رسل الله فراوا لانفسهم فضلا وقد تقدم قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون لما ذكر
انجاء اسحق من الذبح وما من به عليه بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهرون من ذلك و
قوله من الكرب العظيم قيل من الرق الذي لحق بني اسرائيل وقيل من الغرق الذي لحق فرعون ونصرناهم
قال الفراء الضمير لموسى وهرون وحدهما وعلى هذا ان الاثنين جمع قوله واتيناهما وهديناهما وقيل
الضمير لموسى وهرون وقومهما وهذا هو الصواب لان قوله ونجيناهما وقومهما والكتاب المستبين التورية
يقال استبان كذا اي صار بينا واستبانه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان والصراط
المستقيم الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وتركنا عليهما في الاخرين يريد الثناء
الجميل سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين تقدم قوله تعالى
وان الياس لمن المرسلين قال المفسرون الياس نبي من بني اسرائيل وروي عن ابن مسعود قال اسرائيل
هو يعقوب والياس هو ادريس وقرأوا ان ادريس وقال عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وان ادريس
لمن المرسلين وانفرد بهذا القول وقال ابن عباس هو عم اليسع وقال ابن اسحق وغيره كان القيم بامر
بني اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الاحداث في بني
اسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان من دونه فبعث الله اليهم الياس نبيا وتبعه اليسع وامن به
فلما عتا عليه بنو اسرائيل دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له اخرج يوم كذا الى موضع كذا وكذا فما
استقبلك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج ومعه اليسع فقال يا الياس ما تامرني فقذف اليه
بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان اخر العهد به وقطع الله
عن الياس لذة المطعم والمشرب وكساه الريش والبسه النور وطار مع الملائكة فكان انسيا ملكيا
قال ابن قتيبة وذلك ان الله تعالى قال لالياس سلني اعطك قال ترفعني اليك وتؤخر عني مذاق
الموت فصار يطير مع الملائكة وقال بعضهم كان قد مرض واحس الموت فبكى فاوحى الله اليه لم تبكي
حرصا على الدنيا او جزعا من الموت او خوفا من النار قال لا ولا شيء من هذا وعزتك انما جزعي كيف
يحمدك الحامدون بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك ويصوم الصائمون بعدي
ولا اصوم ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعزتي لاؤخرنك الى وقت لا يذكرني فيه ذاكر

يعني

يعني يوم القيمة وقال عبد العزيز بن ابي رواد ان الياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان في
كل عام ببيت المقدس ويوافقان الموسم في كل عام وذكر ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند فراقهما
عن الموسم ما شاء الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله
ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله ما شاء الله توكلنا على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وقد
مضى في الكهف وذكر من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا
بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتوب
عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل
فاذا انا برجل ابيض اللحية والراس عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر الي قال انت
رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقرئه مني السلام وقل هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا
فنزل عليهما شيء من السماء شبه السفرة فدعواني فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس فلما
اكلت قمت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي به فقلت للنبي
صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي هذا الطعام الذي اكلنا امن السماء نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سالته عنه فقال يا تيني به جبريل في كل اربعين يوما اكلة وفي كل عام شربة من ماء زمزم وربما رايته
على الجب يملاء بالدلو فشرب وربما سقاني قوله تعالى اذ قال لقومه يعني بني اسرائيل الا تتقون يعني الله
عز وجل وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم لهم كانوا يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك
قال ثعلب اختلف الناس في قوله عز وجل هنا بعلا فقالت طائفة البعل هنا الصنم وقالت طائفة
البعل هيهنا ملك وقال ابن اسحق امراة يعبدونها والاول اكثر وروى الحكم بن ابان عن ابن عباس
اتدعون بعلا قال ربا النحاس والقولان صحيحان اي اتدعون صنما عملتموه ربا يقال هذا بعل الدار اي
ربها فالمعنى اتدعون ربا اختلقتموه واتدعون بمعنى اتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد و
عكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا من اهل اليمن يسوم ناقة
بمنى فقال من بعل هذه اي من ربها ومنه سمي البعل زوجا قال ابو داود ورايت بعلك في الوغاء
متقلدا سيفا ورمحا مقاتل صنم كسره الياس وهرب منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرون
ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم ابناءه فكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس
وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا وتذرون احسن الخالقين اي
احسن من يقال له خالق وقيل المعنى احسن الصانعين لان الناس يصنعون ولا يخلقون الله
ربكم ورب ابائكم الاولين بالنصب في الاسماء الثلاثة قراءة الربيع بن خثيم والحسن وابن ابي اسحق وابن
وثاب والاعمش وحمزة والكسائي واليها يذهب ابو عبيد وابو حاتم وحكى ابو عبيد انها على النعت
النحاس وهو غلط وانما هو على البدل ولا يجوز النعت لانه ليس بحلية وقرا ابن كثير وابو عمرو و
عاصم وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع قال ابو حاتم هو الله ربكم النحاس واولى مما قال انه مبتدأ
وخبر بغير اضمار ولا حذف ورايت علي بن سليمان يذهب الى ان الرفع اولى واحسن لان قبله
راس اية فالاستيناف اولى ابن الانباري من نصب او رفع على احسن الخالقين على جهة التمام لان
الله عز وجل مترجم عن احسن الخالقين من الوجهين جميعا قوله تعالى فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم
كذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب الا عباد الله المخلصين اي من قومه فانهم نجوا من العذاب

وقرئ المخلصين وقد تقدم وتركنا عليه في الآخرين تقدم سلام على ال ياسين قراءة الاعرج و
شيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي سلام على الياسين وقرا
الحسن سلام على الياسين بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليها الالف واللام التي للتعريف
والمراد الياس عليه السلام وعليه وقع التسليم ولكنه اسم اعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسما الاعجمية
ويكثر تغيرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس و
الياسين شيء واحد الزمخشري وكان حمزة اذا وصل نصب واذا قطع رفع وقرئ على الياسين وادريس
وادراسين على انها لغات في الياس وادريس لعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى النحاس
ومن قرا سلام على آل ياسين فكانه والله اعلم جعل اسمه ياسين ثم سلم على الراي اهل دينه ومن
كان على مذهبه وعلم انه اذا سلم على آله من اجله فهو داخل في السلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل ابي اوفى وقال الله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن قرا الياسين مثل
ابرهيم ذهب الى انه اسم له وابو عبيدة يذهب الى انه جمع التسليم على انه واهل بيته سلم عليهم
وانشد قدني من نصر الخبيبين قدي • يقال قدني وقدي لغتان بمعنى حسبي وانما يريد ابا خبيب عبد
الله بن الزبير فجمعه على ان من كان على مذهبه داخل معه وعن ابي عبيدة يريد الخبيبين على التثنية
يريد عبد الله ومصعبا ورايت علي بن سليمان يذهب الى اكثر من هذا فان العرب تسمي قوم الرجل باسم
الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا سلام على
الياسين سمى كل رجل منهم بالياسين وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئا من هذا الا انه ذكر ان العرب
تفعل هذا على جهة النسبة فيقولون الاشعرون يريدون به النسب المهدوي ومن قرا ال ياسين فهو
جمع يدخل فيه الياس فهو جمع الياسي فحذفت ياء النسبة كما حذفت ياء النسبة في الجمع المكسر في نحو المهالبة
في جمع مهلبي كذلك حذفت في المسلم فقيل المهلبون وقد حكى سيبويه الاشعرون والنميرون يريد
الاشعريين والنميريين السهيلي وهذا لا يصح لانها في الياسين ولو ارادوا ما قالوه لادخل الالف
واللام كما يدخل في المهالبة والاشعريين فكان يقول سلام على الالياسين لان العلم اذا جمع ينكر
حتى يعرف بالالف واللام لا تقول سلام على زيدين بل على الزيدين بالالف واللام فالياس عليه
السلام ثلاث لغات النحاس واحتج ابو عبيد في قراءته سلام على الياسين وانه اسمه كما ان اسمه الياس
لانه ليس في السورة سلام على آل لغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فكما سمى الانبياء كذا
سمى هو وهذا الاحتجاج اصله لابي عمرو وهو غير لازم لانا بينا قول اهل اللغة انه اذا سلم على آل
من اجله فهو سلام عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل ورواية فقد وقع في الامر
اشكال قال الماوردي وقرا الحسن سلام على ياسين باسقاط الالف واللام وفيه وجهان احدهما
انهم آل محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس الثاني انهم آل ياسين فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان
احدهما انها زيدت لتساوي الاي كما قال في موضع طور سينا وفي موضع اخر طور سينين فعلى هذا
يكون السلام على اهله دونه وتكون الاضافة اليه تشريفا له الثاني انها دخلت للجمع فيكون داخلا
في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي قال بعض المتكلمين في معاني القران آل ياسين
آل محمد عليه السلام ونزع الى قول من قال في تفسير ياسين يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها
ان سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم ان تكون كما هي في قصة ابرهيم ونوح وموسى وهرون وان
التسليم راجع اليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الاية الاخرى مع ضعف
ذلك القول ايضا فان ياسين وحم والم ونحو ذلك القول فيها واحد انما هي حروف مقطعة اما

مأخوذة من اسماء الله تعالى كما قال ابن عباس واما من صفات القران واما كما قال الشعبي لله في
كل كتاب سر وسره في القران فواتح القران وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسما
ولم يذكر فيها يس وايضا فانه قد جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي صلى
الله عليه وسلم لقال ياسين بالضم كما قال تعالى يوسف ايها الصديق واذا بطل هذا القول
لما ذكرناه فالياسين هو الياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال ابو عمرو بن العلاء هو مثل ادريس و
ادراسين وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وان ادريس لمن المرسلين ثم قال سلام على ادراسين انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا
عجوزا في الغابرين تقدم قصة لوط ثم دمرنا الاخرين اي بالعقوبة وانكم لتمرون عليهم مصبحين
خاطب العرب اي تمرون على منازلهم واثارهم مصبحين وقت الصباح وبالليل تمرون عليهم
ايضا وتم الكلام ثم قال افلا تعقلون اي تعتبرون وتتدبرون قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين
فيه ثمان مسائل الاولى يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياسين
فاستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها و
تؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس سيم ضيق البيوت فلحق بالجبال ومات ابن
المراة يونس فخرجت في اثر الياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته فسالته ان يدعو الله لها
لعله ان يحيي لها ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما من موته فتوضا وصلى ودعا
الله فاحيا الله يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام وارسل الله يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل
وكانوا يعبدون الاصنام ثم تابوا حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس ومضى في الانبيا قصة
يونس في خروجه مغاضبا واختلف في رسالته هل كانت قبل التقام الحوت اياه او بعده قال الطبري
عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه السلام اتى يونس فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب
قد حضرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال
فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب في السفينة احتبست لا تتقدم ولا تتاخر فتساهموا قال
فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت ايا حوت انا لم نجعل لك يونس رزقا انما جعلناك له حرزا و
مسجدا قال فالتقمه الحوت من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق به حتى مر به على دجلة
ثم انطلق حتى القاه في نينوى حدثنا الحرث قال حدثنا الحسن قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا
شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت واستدل
هؤلاء بان الرسول لا يخرج مغاضبا لربه فكان ما جرى منه قبل النبوة وقال اخرون كان ذلك منه
بعد دعائه الى ما امره الله بدعائهم اليه وتبليغهم اياهم رسالة ربه ولكنه وعدهم نزول ما حذرهم
من باس الله في وقت وقته لهم ففارقهم اذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله فلما اظل القوم
العذاب وغشيهم كما قال الله تعالى في تنزيله تابوا الى الله فرفع الله العذاب عنهم وبلغ يونس
سلامتهم وارتفاع العذاب الذي وعدهموه فغضب من ذلك وقال وعدتهم وعدا فكذب وعدي
وذهب مغاضبا ربه وكره الرجوع اليهم وقد جربوا عليه الكذب رواه سعيد بن جبير عن ابن
عباس وقد مضى بيان هذا في الانبياء وهو الصحيح على ما ياتي عند قوله تعالى وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون ولم ينصرف يونس لانه اسم اعجمي ولو كان عربيا لانصرف وان كانت في اوله
الياء لانه ليس في الكلام يفعل كما انك اذا سميت بيعفر لم تصرفه الثانية اذ ابق قال المبرد
اصل ابق تباعد وقال غيره انما قيل ليونس ابق لانه خرج بغير امر الله تعالى مستترا من الناس الى الفلك

المشحون اي المملوء والفلك يذكر ويؤنث ويكون واحدًا وجمعًا وقد تقدم قال الترمذي الحكيم سماه ابقا لانه ابق عن العبودية بترك الهوى وبذل النفس عند امور الله فلما لم يبذل النفس عندما استوت عليه العزمة من الملك حسب ما تقدم بيانه في الانبياء واثر هواه لزمه اسم الابق وكانت عزمة الملك في امر الملك لا في امر نفسه وبحظ حق الله لا بحظ نفسه وتحرى يونس فلم يصب الصواب الذي عند الله فسماه ابقا ومليمًا **الثالثة** قوله تعالى فساهم قال المبرد اي فقارع واصله السهام التي تجال فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفرا ادحضت حجته وادحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر قتلنا المدحضين بكل فج · فقد قرت بقتلهم العيون · اي المغلوبين **الرابعة** قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فاما الملوم فهو الذي يلام استحق ذلك اولم يستحق وقيل المليم المعيب يقال لام الرجل اذا احتمل شيئا فصار به يلام لذلك العمل فلولا انه كان من المسبحين قال الكسائي لم تكسر ان لدخول اللام لان اللام ليست لها النحاس والامر كما قال انما اللام في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبرًا له الى يوم القيمة عطا سبعة ايام واختلف كم اقام في بطن الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل ساعة واحدة والله اعلم **الخامسة** روى الطبري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ذكره حبس يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسًا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى وهو سقيم وكان سقمه الذي وصفه الله تعالى انه القاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعًا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح لم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن العربي اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني انه سئل عن الباري في جهة فقال لا هو يتعالى عن ذلك قيل له ما الدليل عليه قال الدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل في هذا الخبر فقال لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى رمى نفسه الى البحر فالتقمه الحوت فصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه به واوحى اليه ما اوحى باقرب الى الله تعالى من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر **السادسة** ذكر الطبري ان يونس عليه السلام لما ركب السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه بخطية احدكم فقال يونس وعرف انه صاحب الذنب فقال هذه خطيتي فالقوني في البحر وانهم ابوا عليه حتى افاضوا بسهامهم فساهمهم فكان من المدحضين فقال لهم قد اخبرتكم ان هذا الامر بذنبي وانهم ابوا عليه حتى افاضوا بسهامهم الثانية فكان من المدحضين وانهم ابوا ان يلقوه في البحر حتى اعادوا سهامهم الثالثة فكان من المدحضين فلما راى ذلك القى نفسه في البحر

ذكر

وذلك تحت الليل فابتلعه الحوت وروي انه لما ركب السفينة تقنع ورقد فسار وا غير بعيد اذ جاءتهم ريح كادت السفينة ان تغرق فاجتمع اهل السفينة فدعوا فقالوا ايقظوا الرجل النايم يدعوا فدعا الله معهم فرفع الله عنهم تلك الريح ثم انطلق يونس الى مكانه فرقد فجاءت ريح فكادت السفينة ان تغرق فايقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح قال فبينما هم كذلك اذ رفع حوت عظيم راسه اليهم اراد ان يبتلع السفينة فقال لهم يونس يا قوم هذا من اجلي فلو طرحتموني في البحر لسرتم ولذهب الريح عنكم والروع قالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه رميناه في البحر قال فتساهموا فوقع على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فذلك قوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين اي وقع السهم عليه فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه في البحر فاذا الحوت فاتح فاه ثم جاؤا به الى جانب السفينة ليلقوه في البحر فاذا الحوت فاتح فاه ثم جاؤا به الى جانب السفينة فاذا بالحوت ثم رجعوا به الى الجانب الاخر فاذا بالحوت فاتح فاه فلما راى ذلك القى نفسه فالتقمه الحوت فاوحى الله تعالى الى الحوت اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقد تقدم ويأتي وفي هذا من الفقه ان القرعة كانت معمولا بها في شرع من قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في ال عمران بيانه قال ابن العربي وقد وردت القرعة في الشرع في ثلاثة مواطن الاول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا اعتق ستة اعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم فاعتق اثنين وارق اربعة الثالث ان رجلان اختصما اليه في مواريث قد درست فقال اذهبا فتوخيا الحق واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه فهذه ثلاثة مواطن وهي القسم في النكاح والعتق والقسمة وجريان القرعة فيها برفع الاشكال وحسم داء التشهي واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في الغزو على قولين الصحيح منهما الاقتراع وبه قال فقهاء الامصار وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن واختيار واحدة منهن ايثار فلم يبق الا القرعة وكذلك في مسئلة الاعبد الستة فان كل اثنين منها ثلث وهو القدر الذي يجوز له فيه العتق في مرض الموت وتعيينها بالتشهي لا يجوز شرعا فلم يبق الا القرعة وكذلك التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز الحق الا القرعة فكانت اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل قال والحق عندي ان تجري في كل مشكل فذلك ابين لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال عنها ولذلك قلنا ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق **السابعة** الاقتراع على القاء الادمي في البحر لا يجوز وانما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل ولا يرمى به في النار والبحر وانما تجري عليه الحدود والتعزير على مقدار جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هاج على القوم واضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخف برمي بعض الرجال وانما ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل **الثامنة** اخبر الله عز وجل ان يونس كان من المسبحين وان تسبيحه كان سبب نجاته ولذلك قيل ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر قال ابن عباس من المسبحين من المصلين قال قتادة كان يصلي قبل ذلك فحفظ الله عز وجل فنجاه وقال الربيع بن انس لولا انه كان قبل ذلك عمل صالح للبث في بطنه الى يوم يبعثون قال ومكتوب في الحكمة يرفع به اذا عثر وقال مقاتل من المسبحين من المصلين المطيعين قبل المعصية وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة في

بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره في حال البلاء وان العمل الصالح ليرفع عن صاحبه واذا عثر وجد متكا قلت ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم ان يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل فيجتهد العبد ويحرص على خصلة من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه ويدخرها ليوم فاقته وفقره ويخبأها بجهده واسترها من خلقه يصل اليه نفعها احوج ما كان اليه وقد خرج البخاري ومسلم انه قال بينما ثلاثة نفر في رواية ممن كان قبلكم يتماشون اخذهم الطوفان فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم الحديث بكماله وهو مشهور شهرته اغنت عن تمامه وقال سعيد بن جبير لما قال في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قذفه الحوت وقيل من المسبحين من المصلين في بطن الحوت قلت والاظهر انه تسبيح اللسان الموافق للجنان وعليه يدل حديث ابي هريرة المذكور قبل الذي ذكره الطبري قال فسبح في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة تسبيحه قالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة ويكون على هذا القول زائدة اي فلولا انه كان من المسبحين وفي كتاب ابي داود عن سعد ابن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعاء ذو النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع به مسلم قط في شيء الا استجيب له وقد مضى هذا في سورة الانبياء فيونس عليه السلم كان قبل مصليا مسبحا وفي بطن الحوت كذلك وفي الخبر فنودي الحوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حرزا ومسجدا وقد تقدم قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين الراوي ان الحوت قذفه بساحل قريب من الموصل وقال ابن قسيط عن ابي هريرة طرح يونس بالعراء وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريرة ما اليقطينة قال شجرة الدباء هيأ الله له اروية وحشية تاكل من خشاش الارض او هشاش الارض فتفشخ عليه فترويه من لبنها كل عشية و بكرة حتى نبت وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فخرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر مثل الصبي المنفوش لم ينقص من خلقه شيء وقيل ان يونس لما القاه الحوت على ساحل انبت الله عليه شجرة من يقطين وهي فيما ذكر شجرة القرع يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت اليه قوته ثم رجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها يبست فحزن وبكى فعوتب فقيل له احزنت على شجرة وبكيت عليها ولم تحزن على مائة الف و زيادة من بني اسرائيل من اولاد ابراهيم خليلي اسرى في العدد اردت هلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها والاكثر انها شجرة اليقطين على ما ياتي ثم ان الله تبارك وتعالى اجتباه فجعله من الصالحين ثم امره ان ياتي قومه ويخبرهم ان الله تعالى قد تاب عليهم فعمد اليهم حتى لقي راعيا فسأله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم فاخبره انهم بخير وانهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم فقال اخبرهم اني قد لقيت يونس فقال لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه فقال هذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وهذه البقعة التي انت فيها تشهد لك انك لقيت يونس وانه رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه لقي يونس فكذبوه وهموا به شرا فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فلما اصبح غدا الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فاخبرتهم انه لقي يونس واستنطقوا الشاة والشجرة فاخبرتهم انه لقي يونس ثم ان يونس اتاهم بعد ذلك ذكر هذا وما قبله الطبري رحمه الله ونبذناه طرحناه وقيل تركناه بالعراء بالصحراء قاله ابن الاعرابي الاخفش بالفضا ابو عبيدة الواسع من الارض الفراء العراء المكان الخالي قال وقال ابو عبيدة العراء وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة فرفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي • وحكى الاخفش

قوله

في قوله وهو سقيم جمع سقيم سقامى وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء وقال في ن و القلم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم والجواب ان الله تعالى اخبر ههنا انه نبذه بالعراء ولولا رحمة من الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم قاله النحاس وقوله وانبتنا عليه شجرة من يقطين يعني عليه اي عنده كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقيل عليه بمعنى له شجرة من يقطين اليقطين شجرة الدبا وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر الدبا والبطيخ من الجنة وقد ذكرنا في كتاب التذكرة وقال المبرد يقال لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدبا والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق يقلها فهي شجرة فقط وان كانت قائمة اي بعروق تفترش فهي نجمة وجمعها نجم قال الله تعالى والنجم والشجر يسجدان وروي نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل قالوا كل نبت يمتد ويبسط على الارض ولا يبقى على استواء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل فهو يقطين وقال سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز قلت وهو مما له ساق الجوهري واليقطين ما لا ساق له كشجر القرع ونحوه الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اي اقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين بالذكر لانه لا ينزل عليه ذباب وقيل ما كان ثم يقطين فانبته الله في الحال القشيري وفي الاية ما يدل على انه كان مفروشا ليكون له ظل الثعلبي كانت تظله فرأى خضرتها فاعجبته فيبست فجعل يحزن عليها فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن على شجرة فانا الذي خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استاصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فاين رحمتي يا يونس انا ارحم الراحمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس وقال انس قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دبا وقديد فجعل يتبع الدبا من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدبا من يومئذ خرجه الائمة قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلم بعد الحوت وليس له طريق الا عن شهر بن حوشب النحاس واجود منه اسنادا واصح ما حدثناه علي بن الحسين قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا عمرو العنقزي قال حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال عن يونس عليه السلام قال ان يونس وعد قومه العذاب واخبرهم ان ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الى الله عز وجل واستغفروا فكف الله عز و جل عنهم وغدا يونس عليه السلم ينتظر العذاب فلم ير شيئا وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبا فاتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينا وشمالا فقالوا ما لسفينتكم قالوا ما ندري فقال يونس فيها عبد ابق من ربه وانها لن تسير حتى تلقوه قالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك قال فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس فابوا ان يدعوه قال فاقترعوا فقرعهم يونس ثلاث مرات وقال ثلاثا فوقع وقد وكل الله عز وجل به حوتا فابتلعه وهو يهوي الى قرار الارض فسمع يونس عليه السلم تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله عز وجل اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج رسول الله يونس صلى الله عليه وسلم فاذا هو بغلام يرعى قال يا غلام من انت قال من قوم يونس قال فاذا جئت اليهم

فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال ان كنت يونس فقد علمت انه من كذب قتل اذا لم يكن له بينة فمن يشهد لك قال هذه الشجرة وهذه البقعة قال فمرهما فقال لهما يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالا نعم قال فرجع الغلام الى قومه وكان في منعة وكان له اخوة فاتى الملك فقال اني لقيت يونس وهو يقرئك السلام قال فامر به ان يقتل فقالوا ان له بينة فارسلوا معه فاتى الشجرة والبقعة فقال لهما انشدكما بالله اتشهدان اني لقيت يونس قالا نعم قال فرجع القوم مذعورين يقولون له شهدت له الشجرة والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا قال عبد الله فتناول الملك يد الغلام فاجلسه في مجلسه فقال انت احق بهذا المكان مني قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة قال ابو جعفر النحاس فقد تبين في هذا الحديث ان يونس كان قد ارسل قبل ان يلتقمه الحوت بهذا الاسناد الذي لا يؤخذ بالقياس وفيه ايضا من الفائدة ان قوم يونس امنوا وندموا قبل ان يروا العذاب لان فيه انه اخبرهم انه ياتيهم العذاب الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وهذا هو الصحيح في الباب انه لم يكن حكم الله فيهم كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية وقال بعض العلماء انهم راوا مخايل العذاب فتابوا وهذا لا يمتنع وقد تقدم ما للعلماء في هذه في سورة يونس فلينظر هناك قوله تعالى او يزيدون قد مضى في البقرة محل او في قوله تعالى او اشد قسوة وقال الفراء او بمعنى بل وقال غيره انها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر فلما اشتد امر الحرب فينا ، تاملنا رياحا او رزاما ، اي ورزاما وهذا كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال جعفر بن محمد الى مائة الف ويزيدون بغير همز فيزيدون في موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي وهم يزيدون النحاس ولا يصح هذان القولان عند البصريين وانكروا كون او بمعنى بل وبمعنى الواو لان بل للاضراب عن الاول والايجاب لما بعده وتعالى الله عز وجل عن ذلك او خروج من شيء الى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى او فلو كان احدهما بمعنى الاخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان و ارسلناه الى اكثر من مائتي الف اخصر وقال المبرد وارسلناه الى جماعة لو رايتموهم لقلتم مائة الف او اكثر وانما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل هو كما تقول جاءني زيد او عمرو وانت تعرف من جاءك منهما الا انك ابهمت على المخاطب وقال الاخفش والزجاج او يزيدون في تقديركم قال ابن عباس زادوا على مائة الف عشرين الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعا وعن ابن عباس ايضا ثلاثين الفا الحسن والربيع بضعا وثلاثين الفا وقال مقاتل وابن عباس سبعين الفا فامنوا فمتعناهم الى حين اي الى منتهى اجالهم قوله تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون لما ذكر اخبار الماضين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم احتج على كفار قريش في قولهم ان الملائكة بنات الله فقال فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة اي فسل يا محمد اهل مكة الربك البنات وذلك ان جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ ام خلقنا الملائكة اناثا كما قال عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ثم قال الا انهم من افكهم وهو اسوأ الكذب ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم ان لله ولدا وهو الذي لا يلد ولا يولد وان بعد الا مكسورة لانها مبتدا وحكى سيبويه انها تكون بعد اما مفتوحة ومكسورة فالفتح على ان تكون اما بمعنى حقا والكسر على ان تكون اما بمعنى الا النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول يجوز فتحها بعد الا تشبيها باما فاما في الاية فلا يجوز الا كسرها لان بعدها اللام وتمام الكلام لكاذبون ثم يبتدي على معنى التقريع والتوبيخ كانه قال

بحكم

بحكم اصطفى البنات اي اختار البنات وترك البنين وقراءة العامة اصطفى بقطع الالف لانها الف الاستفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل اطلع الغيب على ما تقدم وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزة اصطفى بوصل الالف على الخبر بغير استفهام واذا ابتدا كسر الهمزة وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها لان بعدها مالكم كيف تحكمون فالكلام جار على التوبيخ من جهتين احدهما ان يكون تبيينا وتفسيرا لما قالوه من الكذب ويكون مالكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله والجهة الثانية انه قد حكى نحويون منهم الفراء ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما قال عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على اضمار القول اي ويقولون اصطفى البنات ويكون بدلا من قوله ان ولادة البنات واتخاذهم اصطفى لهن فابدل مثال الماضي من مثال الماضي فلا يوقف على هذا على لكاذبون افلا تذكرون في انه لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان مبين حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اكثر اهل التفسير ان الجنة ههنا الملائكة روى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قالوا يعني كفار قريش الملائكة بنات الله عز وجل فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهن قالوا مخدرات الجن وقال اهل الاشتقاق قيل لهم جنة لانهم لا يرون و قال مجاهد انهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وروي عن ابن عباس وروى اسرائيل عن السدي عن ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم خزان على الجنان والملائكة كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة والكلبي ومقاتل قالت اليهود لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم وقال مجاهد والسدي ومقاتل ايضا القائل ذلك كنانة وخزاعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سرواتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قلت قول الحسن في هذا احسن دليله قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو قولهم ان الله تعالى وابليس اخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم يعني قائل هذا القول لمحضرون في النار قاله قتادة وقال مجاهد للحساب الثعلبي الاول اولى لان الاحضار متكرر في هذه السورة ولم يرد به غير العذاب سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله تعالى عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فانكم وما تعبدون بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر فانكم وعبادتكم هذه الاصنام وقيل اي فانكم مع ما تعبدون من دون الله يقال جاء فلان وفلان وجاء فلان مع فلان ما انتم عليه اي على الله بفاتنين بمضلين النحاس اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما انتم بمضلين احدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل قال الشاعر فرد بنعمته كيده ، عليه وكان لنا فاتنا ، اي مضلا الثانية في هذه الاية دليل على الرد على القدرية قال عمرو بن ذر دخلنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر فقال عمر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيئة وان في ذلك لعلما في كتاب الله عز وجل عرفه من عرفه وجهله من جهله ثم قرا فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من كتب الله عليه انه لا يهتدي ولو علم الله انه يهتدي لحال بينه وبينهم وعلى هذا قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي لست تصل منهم الى شيء الا الى ما في علمي وقال لبيد بن ربيعة في تثبيت القدر فاحسن ، ان تقوى ربنا خير نفل ، وباذن الله ريثي وعجل ، احمد الله فلا ند له ، بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى • نا علم البالك ومن شاء اضل • قال الفرا اهل الحجاز يقولون فتنته واهل
نجد يقولون افتنته **الثالثة** روي الحسن انه قري الامن هو صال الجحيم بضم اللام النحاس وجماعة
اهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاضي المدينة ومن احسن ما قيل فيه ما سمعت علي بن
سليمان يقول قال هو محمول على المعنى لان معنى من جماعة فالتقدير صالون فحذفت النون للاضافة
وحذفت الواو لالتقاء الساكنين وقيل اصله فاعل الا انه قلبت من صال الى صايل وحذفت الياء
وبقيت اللام مضمومة فهو مثل شفا جرف هار ووجه ثالث تحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب
على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافا ونظيره قراءة من قرا
وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت اجرى الاعراب على العين والاصل في قراءة الجماعة صالي بالياء
فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ **قوله تعالى** وما منا الا له مقام معلوم هذا من قول
الملائكة تعظيما لله عز وجل وانكارا منهم عبادة من عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
قال مقاتل هذه الثلاث ايات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هنا تفارقني فقال ما استطيع ان اتقدم عن مكاني هذا وانزل الله تعالى حكاية
عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الايات والتقدير عند الكوفيين وما منا الا من له
مقام معلوم فحذف الموصول وتقديره عند البصريين وما منا ملك الا له مقام معلوم اي مكان
معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك
يصلي ويسبح وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم
الا عليه ملك ساجد او قايم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني لو كنت شجرة تعضد خرجه ابو عيسى الترمذي
وقال فيه حديث حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه ان ابا ذر قال لوددت اني كنت شجرة تعضد
يروى عن ابي ذر موقوفا وقال قتادة كان يصلي الرجال والنساء جميعا حتى نزلت هذه الاية وما منا
الا له مقام معلوم قال فتقدم الرجال وتاخر النساء وانا لنحن الصافون قال الكلبي صفوفهم كصفوف
اهل الدنيا في الارض وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملائكة
عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان عمر يقول اذا قام الى الصلاة اقيموا
صفوفكم واستووا انما يريد الله بكم هدي الملائكة واقرؤا وانا لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم
يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في سورة الحجر بيانه وقال ابو مالك كان الناس يصلون متبددين
فانزل الله تعالى وانا لنحن الصافون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصطفوا وقال الشعبي جاء جبريل
صلى الله عليه وسلم فقال تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ان الملائكة لتصلي وتسبح ما في السماء
ملك فارغ وقيل اي لنحن الصافون اجنحتنا في الهوى وقوفا ننتظر ما نؤمر به وقيل نحن الصافون
حول العرش وانا لنحن المسبحون اي المصلون قاله قتادة وقيل اي المنزهون لله عز وجل عما اضافه اليه
المشركون والمراد انهم يعبدون الله بالتسبيح والصلاة وليسوا معبودين ولا بنات الله وقيل وما
منا الا له مقام معلوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين للمشركين اي لكل واحد منا ومنكم
في الاخرة مقام معلوم وهو مقام الحساب وقيل اي منا من له مقام الخوف ومنا من له مقام الرجا

ومنا من له مقام الاخلاص ومنا من له مقام الشكر الى غيرها من المقامات **قلت** والاظهر ان ذلك
راجع الى قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم **قوله تعالى** وان كانوا ليقولون عاد الى الاخبار
عن المشركين اي كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم اذا عيروا بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا
من الاولين اي لو بعث الينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه ولما خففت ان دخلت على الفعل و
لزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب والكوفيون يقولون ان بمعنى ما واللام بمعنى الا وقيل
معنى لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الانبياء لكنا عباد الله المخلصين اي لو جاءنا
ذكر كما جاء الاولين لاخلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر والفرا تقديره على حذف اي فجاءهم
محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر فكفروا به وهذا تعجب منهم اي فقد جاءهم نبي وانزل عليهم كتاب
فيه بيان ما يحتاجون فكفروا وما وفوا بما قالوا فسوف يعلمون قال الزجاج يعلمون بعثه كفرهم
قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين قال الفراي بالسعادة وقيل اراد بالكلمة
قوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل من اصحاب الشرائع قط احد انهم لهم
المنصورون اي سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة وان جندنا لهم الغالبون على المعنى ولو كان
على اللفظ لكان هو الغالب مثل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب وقال الشيباني جاء ههنا
على الجمع من اجل انه راس اية **قوله تعالى** فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال قتادة الى الموت وقال
الزجاج الى الوقت الذي امهلوا اليه وقال ابن عباس يعني القتل ببدر وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية
منسوخة باية السيف وابصرهم فسوف يبصرون قال قتادة سوف يبصرون حين لا ينفعهم الابصار
وعسى من الله الوجوب وعبر بالابصار عن تقريب الامر اي عن قريب يبصرون وقيل المعنى فسوف يبصرون
العذاب يوم القيمة افبعذابنا يستعجلون كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب اي لا
تستعجلونه فانه واقع بكم **قوله تعالى** فاذا نزل بساحتهم اي العذاب قال الزجاج وكان عذاب هؤلاء
بالقتل ومعنى بساحتهم اي بدارهم عن السدي وغيره والساحة والسحسة في اللغة فناء الدار
الواسع الفرا نزل بساحتهم ونزل بهم سواء فساء صباح المنذرين اي بئس صباح الذين انذروا
بالعذاب وفيه اضمار اي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب كان ياتيهم
فيه ومنه الحديث الذي رواه انس رضي الله عنه قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر و
كانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه
وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين وهو يبين معنى فاذا نزل
بساحتهم يريد النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** سبحان ربك رب العزة عما يصفون فيه اربع مسائل
الاولى نزه نفسه سبحانه عما اضاف اليه المشركون رب العزة على البدل ويجوز النصب على
المدح والرفع بمعنى هو رب العزة اي من الصاحبة والولد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى
سبحان فقال هو معنى تنزيه الله من كل سوء وقد مضى في البقرة مستوفى **الثانية** سئل محمد بن
سحنون عن معنى رب العزة ولما جاز ذلك والعزة من صفات الذات ولا يقال رب القدرة ونحوها
من صفة ذاته عز وجل فقال العزة تكون صفة ذات وصفة فعل فصفة الذات نحو قوله فلله العزة جميعا
وصفة الفعل نحو قوله رب العزة والمعنى رب العزة التي يتعازها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله
عز وجل قال وقد جاء في التفسير ان العزة ههنا يراد بها الملائكة قال وقال بعض علمائنا من حلف
بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته فحنث فعليه الكفارة وان اراد التي جعلها الله بين
عباده فلا كفارة عليه الماوردي رب العزة يحتمل وجهين احدهما مالك العزة الثاني رب كل شيء

متفرد من ملك ومتحيز قلت وعلى الوجهين فلا كفارة اذا نواها الحالف الثالثة روى حديث ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما
يصفون الى اخر السورة ذكره الثعلبي قلت قرأت على الشيخ الامام المحدث الحافظ ابي علي الحسن بن محمد
بن محمد بن عمر البكري بالجزيرة قبالة المنصورة بالديار المصرية قال اخبرتنا الحرة ام المؤيد زينب
بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الاولى قال انا ابو محمد اسمعيل بن ابي بكر القاري
قال حدثنا ابو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي قال حدثنا ابو سهل بشر بن احمد الاسفرايني قال انا ابو
سليمن داود بن الحسين البيهقي قال حدثنا ابو زكريا يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري
قال حدثنا هشيم عن ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته او حين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين قال الماوردي روى الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان
يكتال بالكيل الاوفى من الاجر يوم القيمة فليقل اخر مجلسه حين اراد ان يقوم سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي من حديث علي مرفوعا
الرابعة قوله تعالى وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا الرسالة والتوحيد عن الله صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وقال انس رضي الله عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما
انا رسول من المرسلين وقيل معنى وسلام على المرسلين اي امن لهم من الله عز وجل يوم الفزع الاكبر و
الحمد لله رب العالمين اي على ارسال الانبياء مبشرين ومنذرين وقيل اي جميع ما انعم الله به على
الخلق اجمعين وقيل اي على هلاك المشركين دليله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
قلت والكل مراد والحمد لله وحده ومعنى يصفون يكذبون والتقدير عما يصفونه من الكذب والله اعلم بالصواب

سورة ص مكية في قول الجميع وهي ست وثمانون اية قوله تعالى ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا
في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملا منهم ان
امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق
ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من
فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا
الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب و
شددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا
على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا
الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني
في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على
بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قوله تعالى ص والقران ذي الذكر قراءة العامة
بجزم الدال على الوقف لانه حرف من حروف الهجا مثل الم والمر وقراءة ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحق
ونصر بن عاصم بكسر الدال بغير تنوين ولقراءته مذهبان احدهما انه من صادى يصادي اذا عارض

ومنه

ومنه فانت له تصدى اي تعرض والمصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في
الاماكن الخالية فالمعنى صاد القران بعملك اي عارضه بعملك وقابله به واعمل باوامره وانته
عن نواهيه النحاس وهذا المذهب يروى عن الحسن انه فسر به قراءته رواية صحيحة وعنه ان المعنى اتله
وتعرض لقراءته والمذهب الاخر ان تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين وقراءة عيسى ابن عمر صاد
بفتح الدال ومثله ق ونون بفتح اخرها ثلاثة مذاهب احدها ان تكون بمعنى اتل صاد والثاني
ان يكون فتح لالتقاء الساكنين واختار الفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبا
على القسم بغير حرف كقولك الله لافعلن وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق و
استمالها حتى امنوا به وقرا ابن ابي اسحق ايضا صاد بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوضا على
حذف حرف القسم وهذا بعيد وان كان سيبويه قد اجاز مثله ويجوز ان يكون مشبها بما يتمكن
من الاصوات وغيرها وقرا هارون الاعور ومحمد بن السميقع صاد وقاف ونون بضم اخرهن لانه
المعروف بالبناء في غالب الحال نحو منذ وقط وقبل وبعد وصاد اذا جعلته اسما للسورة لم ينصرف
كما انك اذا سميت مؤنثا بمذكر لم ينصرف وان قلت حروف وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد
سئلا عن صاد فقالا لا ندري ما هي سال نافع بن الازرق ابن عباس عن صاد فقال صاد كان بحرا
بمكة وكان عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار وقال سعيد بن جبير صاد بحر يحيي الله به الموتى بين
النفختين وقال الضحاك صاد صدق الله وعنه ان صاد قسم اقسم الله تعالى به وهو من اسمائه
تعالى وقاله السدي وروي عن ابن عباس وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى صمد وصانع
المصنوعات وصادق الوعد وقال قتادة هو اسم من اسماء القران وقال مجاهد هو فاتحة السورة و
قيل ما استاثر الله تعالى بعلمه وهو معنى القول الاول وقد تقدم جميع هذا في البقرة قوله
تعالى والقران خفض بواو القسم والواو بدل من الباء اقسم بالقران تنبيها على جلالة قدره فان فيه
بيان كل شيء وشفاء لما في الصدور ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ذي الذكر خفض على النعت و
علامة خفضه الياء وهو اسم معتل والاصل فيه ذوي على فعل قال ابن عباس ومقاتل ذي الذكر
ذي البيان الضحاك ذي الشرف اي من امن به كان له شرف في الدارين كما قال الله تعالى لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القران شريف في نفسه لاعجازه واشتماله على ما لا يشتمل
عليه غيره وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر وجواب القسم محذوف واختلف فيه على اوجه فقيل جواب القسم
ص لان معناه حق فهي جواب لقوله صاد كما تقول حقا والله نزلت وانه وجب والله فيكون الوقف
من هذا الوجه على قوله والقران ذي الذكر حسنا وعلى في عزة وشقاق تاما قاله ابن الانباري و
حكى معناه الثعلبي عن الفرا وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة وشقاق لان بل نفي لامر سبق
واثبات لغيره قاله القتبي فكانه قال والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق عن قبول الحق
وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم او والقران ذي الذكر ما الامر كما يقولون من انك ساحر كذاب لانهم
يعرفونك بالصدق والامانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله ق والقران المجيد بل عجبوا
وقيل الجواب كم اهلكنا فاته قال والقران لكم اهلكنا فلما تاخرت كم حذفت اللام منها كقوله و
الشمس وضحاها ثم قال قد افلح اي لقد افلح قال المهدوي وهذا مذهب الفراء ابن الانباري من
هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله في عزة وشقاق وقال الاخفش جواب القسم ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب ومنه قوله تعالى ان كنا لفي ضلال مبين وقوله والسماء والطارق ان كل نفس ابن
الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الايات والقصص وقال الكسائي جواب

القسم قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ابن الانباري وهذا اقبح من الاول لان الكلام اشتد طوله
فيما بين القسم وجوابه وقيل الجواب قوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاذ وقال قتادة الجواب محذوف
تقديره والقران ذي الذكر لتبعثن ونحوه قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة اي تكبر وامتناع عن قبول
الحق كما قال عز وجل واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والعزة عند العرب الغلبة والقهر
يقال من عزّ بزّ يعني من غلب سلب ومنه وعزني في الخطاب اراد غلبني وقال جرير يعز على الطريق بمنكبيه
كما ابترك الخليع على القداح ، اراد يغلب وشقاق في اظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كان هذا
في شق وذاك في شق وقد مضى مستوفى قوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من قوم كانوا
اشنع من هؤلاء وكم لفظة التكثير فنادوا اي بالاستغاثة والتوبة والنداء رفع الصوت ومنه
الخبر القه على بلال فانه اندى منك صوتا اي ارفع ولات حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة و
ليس حين التوبة ولا حين نفع العمل النحاس وهذا تفسير منه لقوله عز وجل ولات حين مناص فاما
اسرائيل فروى عن ابي اسحق عن التميمي عن ابن عباس ولات حين مناص قال ليس بحين نزول ولا فرار و
قال ضبط القوم جميعا قال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم
بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله عز وجل ولات حين مناص قال
القشيري وعلى هذا فالتقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة بقية الكلام اي ليس الوقت
وقت ما تنادون به وفي هذا نوع تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من القرون كانوا يقولون مناص
عند الاضطرار ولات حين مناص اي لا خلاص وهو نصب بوقوع لا عليه قال القشيري وفيه نظر
لان لا معنى للواو في ولات حين مناص وقال الجرجاني فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجا ولا فوت
فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما يقتضي الحال اذا جعل ابتداء وخبرا مثل قولك جاء زيد
راكبا فاذا جعلته مبتدا وخبرا اقتضى الواو مثل جاءني زيد وهو راكب فحين ظرف كقوله فنادوا
والمناص بمعنى التاخر والفرار والخلاص اي نادوا لطلب الخلاص قال الفرا النوص التاخر وانشد
لامرئ القيس امن ذكر ليلى اذ ناتك تنوص ، يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وزاغ النحاس
ويقال ناص ينوص اذا تقدم قلت فعلى هذا يكون من الاضداد والنوص الحمار الوحشي واستناص اي تاخر
قاله الجوهري وتكلم النحويون في ولات حين وفي الوقف عليه وكثر فيه ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب
القراات وكل ما جاء به الا يسيرا مردود فقال سيبويه لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اي ليست
احياننا حين مناص وحكى ان من العرب من يرفع بها فيقول ولات حين مناص وحكى ان الرفع قليل
ويكون الخبر محذوفا كما كان الاسم محذوفا في النصب اي ولات حين مناص وهو قول ابن كيسان و
الزجاج قال ابو الحسن ابن كيسان والقول كما قال سيبويه لانه شبهها بليس فكما يقال ليس يقال
لات والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء ولاه وهو قول المبرد ومحمد بن يزيد وحكى علي بن سليمان ان الحجة
في ذلك انها دخلت الهاء التانيث للكلمة كما يقال ثمه وربه وقال القشيري وقد يقال ثمت بمعنى ثم و
ربت بمعنى رب فكانوا زادوا في لا هاء فقالوا لاه كما قالوا في ثم ثمه ثم عند الاصل صارت تاء و
قال الثعلبي وقال اهل اللغة ولات حين مفتوحتان فانهما كلمة واحدة وانما هي لا زيدت فيها
التاء نحو رب وربت وثم وثمت قال ابو زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان ، فاجبنا ان ليس حين
بقاء وقال اخر تذكر حب ليلى لات حينا ، وامسى الشيب قد قطع القرينا ، ومن العرب من يخفض بها
وانشد الفرا فلتعرفن خلائقا مشمولة ، ولتندمن ولات ساعة مندم ، وكان الكسائي والفرا و
الخليل وسيبويه والاخفش يذهبون الى ان ولات حين التاء منقطعة من حين ويقولون معناها

وليت

وليت وكذلك هي في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من حين ويقولون معناها و
ليت وكذلك هو في المصادر والى هذا كان يذهب ابو عبيدة معمر بن المثنى وقال ابو عبيد
القاسم بن سلام الوقف عندي على هذا الحرف ولا والابتداء تحين مناص فتكون التاء مع حين
وقال بعضهم لات ثم يبتدى فيقول حين مناص قال المهدوي وذكر ابو عبيد ان التاء في المصحف
متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وهو خلاف قول المفسرين ومن حجة قول عبيدة ان قال انا
لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين واوان وانشد لابي وجزة السعدي العاطفون تحين
ما من عاطف ، والمطعمون زمان من المطعم وانشد لابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان ليس حين بقاء ، فادخل التاء في اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم التاء في الان حديث ابن
عمر وسال رجل عن عثمان رضي الله عنه فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تالان معك وكذلك قول
الشاعر نولي قبل يوم سرحانا ، وصلينا كما زعمت تلانا قال ابو عبيد ثم مع هذا كله اني تعمدت
النظر في الذي يقال له الامام مصحف عثمان فوجدت التاء متصلة مع حين قد كتبت قال ابو
جعفر النحاس البيت الاول الذي انشده لابي وجزة رواه العلماء باللغة على اربعة اوجه كلها
على خلاف ما انشده وفي احدها تقديران ورواه ابو العباس محمد بن يزيد ، العاطفون ولات ما
من عاطف ، والرواية الثانية ، العاطفون ولات حين تعاطف ، والرواية الثالثة رواها ابن
كيسان ، العاطفونه حين ما من عاطف ، جعلها هاء في الوقف وتاء في الادراج وزعم انها لبيان
الحركة شبهت بتاء التانيث والرواية الرابعة العاطفونه حين ما من عاطف ، وفي هذه الرواية
تقديران احدهما وهو مذهب اسمعيل بن اسحق ان الهاء في موضع نصب كما تقول الضاربون زيدا
فاذا كنيت قلت الضاربوه واجاز سيبويه في شعر الضاربونه فجاء اسمعيل بالبيت على مذهب
سيبويه في اجازته مثله والتقدير الاخر العاطفونه على ان الهاء لبيان الحركة كما تقول مر بنا
المسلمونه الوقف ثم اجريت في الاصل مجراها في الوقف كما قرا اهل المدينة ما اغنى عني ماليه هلك
عني سلطانيه واما البيت الثاني فلا حجة فيه له لانه يوقف ولات اوان غير ان فيه شيئا مشكلا لانه
يروى ولات اوان بالخفض وانما يقع بعدها مرفوعا او منصوبا وان كان قد روي عن عيسى
بن عمر انه قرا ولات حين مناص فبنى لات على الكسر ونصب حين فاما ولات اوان ففيه تقدير
ان قال الاخفش فيه مضمر اي ولات حين اوان قال النحاس هذا القول بين الخطا والتقدير الاخر
عن ابي اسحق قال تقديره ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقا
الساكنين وانشده محمد بن يزيد ولات اوان بالرفع واما البيت الثالث فبيت مولد لا يعرف
قائله ولا تصح به حجة واما احتجاجه بحديث ابن عمر لما ذكر الرجل مناقب عثمان فقال له اذهب
تلان الى اصحابك فلا حجة فيه لان المحدث انما يروي هذا على المعنى والدليل على هذا ان مجاهدا
روى عن ابن عمر هذا الحديث وقال فيه اذهب فاجهد جهدك ورواه اخر اذهب بها الان معك
واما احتجاجه بانه وجدها في الامام تحين فلا حجة فيه لان معنى الامام انه امام المصاحف
فان كان مخالفا لها فليس بامام لها وفي المصاحف كلها ولات ولو لم يكن في هذا الا هذا الاحتجاج
لكان مقنعا وجمع مناص مناوص قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ان في موضع نصب
والمعنى من ان جاءهم قيل هو متصل بقوله في عزة وشقاق وعجبوا وقوله كم اهلكنا معترض
وقيل لا بل هذا ابتداء كلام ومن جهلهم انهم اظهروا التعجب من ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا ساحر اي يجي بالكلام المموه الذي يخدع به الناس وقيل يفرق بسحره بين الوالد

ووالده والرجل وزوجته كذاب اي في دعوته النبوة قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا مفعولان اي
صير الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي عجيب وقراء السلمي عجاب بالتشديد والعجاب الذي
يجاوز حد العجب قاله والطويل الذي فيه طول والطوال الذي قد تجاوز حد الطول قال الجوهري العجيب
الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد منه وكذلك الاعجوبة وقال مقاتل
عجاب لغة ازد شنوءة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فجاءت قريش وجاء النبي
صلى الله عليه وسلم وعند راس ابو طالب مجلس رجل فقام ابو جهل حتى منعوه وشكوه الى ابي طالب فقال
يا ابن اخي ما تريد من قومك قال يا عم انا اريد منهم كلمة تدل لهم بها العرب وتؤدي اليهم الجزية العجم
فقال كلمة واحدة قال وما هي قال لا اله الا الله قال فقالوا اجعل الالهة الها واحدا قال فنزل فيهم
القران ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق حتى بلغ ان هذا الا اختلاق خرجه
الترمذي ايضا بمعناه وقال هذا حديث حسن صحيح وقيل لما اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق على
قريش اسلامه فاجتمعوا الى ابي طالب اقض بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسئلك السواء فلا تمل كل الميل على قومك قال وماذا يسئلونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا
من ذلك وقاموا فقالوا اجعل الالهة الها واحدا فكيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله فيهم
هذه الايات الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح قوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا والانطلاق الذهاب
بسرعة اي انطلق هؤلاء الكافرون من عند الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا
اي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه واصبروا على الهتكم وقيل هو اشارة الى مشيهم الى ابي طالب
في مرضه كما سبق وفي رواية محمد بن اسحق انهم ابو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة بن عبد
شمس وامية بن خلف والعاص بن وايل وابو معيط جاؤا الى ابي طالب فقالوا انت سيدنا وانصفنا في
انفسنا فاكفنا امر ابن اخيك وسفهاء معه فقد ترك الهتنا وطعن في ديننا فارسل ابو طالب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ان قومك يدعونك الى السواء والنصفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما
ادعوهم الى كلمة واحدة فقال ابو جهل وعشرا فقال تقولون لا اله الا الله فنفروا وقاموا وقالوا اجعل
الالهة الها واحدا الايات ان امشوا ان في موضع نصب والمعنى بان امشوا وقيل ان بمعنى اي وانطلق
الملا منهم اي امشوا وهذا تفسير انطلاقهم لانهم تكلموا بهذا اللفظ وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم
فقالوا للعوام امشوا واصبروا على الهتكم اي على عبادة الهتكم ان هذا اي هذا الذي جاء به محمد لشيء
يراد باهل الارض من زوال نعم القوم وغير نزل بهم وقيل ان هذا الشيء يراد كلمة تحذير اي انما يريد
محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا ونكون له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فاحذروا ان تطيعوه وقال
مقاتل ان عمر لما اسلم وقوي به الاسلام شق ذلك على قريش فقالوا ان اسلام عمر في قوة الاسلام
لشيء يراد انتهى قوله تعالى ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس والقرظي وقتادة ومقاتل
والكلبي والسدي يعني ملة عيسى النصرانية وهي اخر الملل والنصارى يجعلون مع الله الها وقال
مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون اخر الزمان وقيل اي ما
سمعنا من اهل الكتاب ان محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق اي كذب وتخرص عن ابن عباس وغيره
يقال خلق واختلق اي ابتدع وخلق الله عز وجل الخلق من هذا اي ابتدعهم على غير مثال قوله تعالى
ءانزل عليه الذكر من بيننا هو استفهام انكار والذكر ههنا القران انكروا اختصاصه بالوحي
من بينهم فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي من وحيي وهو القران اي قد علموا انك لم تزل

صدوقا

صدوقا فيما بينهم وانهم شكوا فيما انزلته عليك هل هو من عندي ام لا بل لما يذوقوا عذاب اي انما
اغتروا بطول الامهال ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك ولكن لا
ينفع الايمان حينئذ ولما بمعنى لم وما زائدة كقوله عما قليل وبما نقضهم ميثاقهم قوله تعالى
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب قيل ام لهم هذا فيمنعون محمدا صلى الله عليه وسلم مما انعم
الله عز وجل به عليه من النبوة وام قد ترد بمعنى التقريع اذا كان الكلام متصلا بكلام قبله
كقوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه وقد قيل ان قوله ام عندهم
خزائن رحمة ربك متصلا بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم والمعنى ان الله عز وجل يرسل من يشاء لان
خزائن السموات والارض له ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي فان ادعوا ذلك
فليرتقوا في الاسباب اي فليصعدوا الى السماء وليمنعوا الملائكة من انزال الوحي على محمد صلى الله
عليه وسلم يقال رقي يرقى وارتقى يرتقي اذا صعد ورقى يرقي رقيا مثل رمى يرمي رميا عن
الرقية وقال الربيع بن انس الاسباب ارق من الشعر واشد من الحديد ولكن لا ترى والسبب في اللغة
كل ما يوصل الى المطلوب من حبل او غيره وقيل الاسباب ابواب السموات التي تنزل الملائكة منها قاله
مجاهد وقتادة قال زهير ولو رام اسباب السماء بسلم وقيل الاسباب السموات نفسها اي فليصعدوا
سماء سماء وقال السدي في الاسباب الفضل والدين وقيل اي فليعلوا في الاسباب لقوة ان ظنوا انها
مانعة وهو معنى قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال يعني ان وجدوا حبالا يصعدون فيها الى السماء
فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر عليهم جند ما هنالك ما فاصلة
وتقديره هم جند فجند خبر ابتداء محذوف مهزوم اي مقموع ذليل اي قد انقطعت حجتهم لانهم
لا يصلون الى ان يقولوا هذا لنا ويقال تهزمت القربة اذا انكسرت وهزمت الجيش كسرته والكلام
مرتبط بما قبله اي بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا يغمك عزتهم
وشقاقهم فاني اهزم جمعهم واسلب عزهم وهذا تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل بهم
هذا يوم بدر قال قتادة وعده الله انه سيهزمهم وهو بمكة فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة
لبدر وهو موضع تحزبهم وقتالهم لمحمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة وتحزبوا على النبي
صلى الله عليه وسلم وقد مضى ذلك في الاحزاب والاحزاب الجند كما يقال جند من قبائل شتى وقيل المراد
بالاحزاب القرون الماضية من الكفار اي هؤلاء جند على طريقة اولئك كقوله فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني اي على ديني ومذهبي وقال الفرا المعنى هم جند مغلوب اي ممنوع
ان يصعد الى السماء وقال القتبي يعني انهم جند لهذه الالهة مهزوم فهم لا يقدرون على ان
يدعوا لشيء من الهتهم ولا لانفسهم شيئا من خزائن رحمة الله ولا من ملك السموات والارض قوله
تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الاية ذكرها تعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم وتسلية له اي هؤلاء من
قومك يا محمد جند من الاحزاب المتقدمين الذين تحزبوا على انبيائهم وقد كانوا اقوى من هؤلاء فهلكوا
وذكر الله تعالى القوم بلفظ التانيث واختلف اهل العربية في ذلك على قولين احدهما انه قد يجوز
فيه التذكير والتانيث الثاني انه مذكر اللفظ لا يجوز تانيثه الا ان يقع المعنى على العشيرة والقبيلة
فيغلب في اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيها عليه كقوله تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل
ذكرها لانه لما كان الضمير مذكرا ذكره وان كان اللفظ مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو
الاوتاد وقد اختلف في تاويل ذلك فقال ابن عباس المعنى ذو البناء المحكم وقال الضحاك كان
كثير البنيان والبنيان يسمى اوتادا وعن ابن عباس ايضا وقتادة وعطا انه كان له اوتاد وارسان

وملاعب يلعب عليها وقال الضحاك ايضا ذو القوة والبطش وقال الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس
بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب
والحيات حتى يموت وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب
فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل ذو الاوتاد اي ذو الجنود الكثيرة فسميت الجنود اوتادا
لانهم يقومون امره كما يقوي الوتد البيت وقال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد وملك
ثابت الاوتاد يريدون دائما شديدا واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد
قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٭ وواحد الاوتاد وتد بالكسر وبالفتح لغة وقال
الاصمعي وتد ووتد كما يقال شغل شاغل وانشد لاقت على الماء جذيلا واتدا ٭ ولم يكن يخلفها المواعدا
قال شبه الرجل بالجذل وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اي الغيضة وقد مضى ذكرها في الشعراء
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بفتح اللام والتاء من غير همز وهمز الباقون وكسروا التاء وقد
تقدم هذا اولئك الاحزاب اي هم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولك فلان هو الرجل ان كل بمعنى
ما كل الا كذب الرسل فحق عقاب اي فنزل بهم العذاب كذلك التكذيب واثبت يعقوب الياء في
عذابي وعقابي في الحالين ونظير هذه الاية قوله عز وجل وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود فسمى هذه الامم احزابا قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا
صيحة واحدة ينظر بمعنى ينتظر ومنه انظرونا نقتبس من نوركم هؤلاء يعني كفار مكة الا صيحة
واحدة اي نفخة القيمة اي ما ينتظرون بعد ما اصيبوا ببدر الا صيحة القيمة وقيل ما ينتظرون
احياؤهم الان الا الصيحة التي هي النفخة في الصور كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم و
هم يخصمون فلا يستطيعون توصية وهذا اخبار عن قرب القيمة والموت وقيل اي ما ينتظر كفار
هذه الامة المتدينين بدين اولئك الا صيحة واحدة وهي النفخة وقال عبد الله بن عمر ولم يكن صيحة
في السماء الا بغضب من الله عز وجل على اهل الارض ما لها من فواق اي من ترداد عن ابن عباس ومجاهد
ما لها من رجوع قتادة من مثنوية السدي ما لها من افاقة وقرا حمزة والكسائي ما لها من فواق بضم
الفاء الباقون بالفتح الجوهري والفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة
يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة
وقوله تعالى ما لها من فواق يقرا بالفتح والضم اي ما لها من نظرة وراحة وافاقة والفيقة
اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها قال الاعشى يصف بقرة حتى
اذا فيقة في ضرعها اجتمعت ٭ جاءت لترضع شق النفس لو رضعا ٭ والجمع فيق ثم افواق مثل شبر واشبار
ثم افاويق قال ابن همام السلولي وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ٭ افاويق حتى ما يدر لها ثعل و
الافاويق ايضا ما اجتمع في السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة وافاقت الناقة افاقة اي اجتمعت
الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاويق وقال الفراء وابو عبيدة وغيرهما من
فواق بفتح الفاء اي راحة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه ومن فواق بضم الفاء
من انتظار وقد تقدم انهما بمعنى وهو ما بين الحلبتين قلت والمعنى المراد انها عند الا تقطيع فيها
وروى ابو هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طائفة من اصحابه الحديث وفيه يامر الله
عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السماء واهل الارض الا من شاء
الله فيمدها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وذكر الحديث
خرجه علي بن معبد وغيره وقد ذكرناه في التذكرة قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب

قال مجاهد اي عذابنا وكذا قال قتادة نصيبا من العذاب الحسن نصيبنا من الجنة لنتنعم به في
الدنيا وقال سعيد بن جبير ومعروف في اللغة ان يقال للنصيب قط وللكتاب المكتوب بالجائزة
قط قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط وقال ابو عبيدة والكسائي
القط الكتاب بالجوائز والجمع القطيط وقال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته ٭ بغبطته يعطي
القطوط ويافق ٭ يعني كتب الجوائز ويروى بامته بدل بغبطته اي بنعمته وقال الخليل ويافق يصلح
ويقال في جمع قط قططه وفي القليل اقط واقطاط ذكره النحاس وقال السدي سالوا ان يمثل
لهم منازلهم من الجنة ليعلموا ان حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن ابي خالد المعنى
عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني اي يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك
استهزاء لكتبهم التي يعطونها بايمانهم وشمائلهم حين تلي عليهم بذلك القران وهو فاما من
اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره واصل القط القط وهو القطع ومنه قط القلم
فالقط اسم للقطعة من الشيء كالقسم والقسم فاطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه
عن غيره الا انه في الكتاب استعمالا واقوى حقيقة قال امية بن ابي الصلت قوم لهم ساحة العراق
وما ٭ يجبى اليه القط والقلم ٭ قبل يوم الحساب اي قبل يوم القيمة في الدنيا ان كان الامر على ما يقول
محمد وكل هذا استهزاء منهم قوله تعالى اصبر على ما يقولون امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لما
استهزؤا به وهذه منسوخة باية السيف قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد لما ذكر من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على
اذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء ليتسلى بصبر من صبر منهم
وليعلم ان له في الاخرة اضعاف ما اعطيه داود وغيره من الانبياء وقيل المعنى اصبر على قولهم واذكر
لهم اقاصيص الانبياء ليكون برهانا على صحة نبوتك ذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم
يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وافضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى
العدو وكان قويا في الدعاء الى الله تعالى وقوله عبدنا اظهارا لشرفه بهذه الاضافة ويقال ذا
الايد والاد كما تقول العيب والعاب قال لم يك ينآد فامسى انآدا ٭ ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشيء
تقوى قال الشاعر اذا القوس وترها ايد رمى ٭ فاصاب الكلى والذرى ٭ يقول اذا الله تعالى وتر القوس
التي في السحاب رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر انه اواب قال
الضحاك اي تواب وعن غيره انه كلما ذكر ذنبه او خطر على باله استغفر منه كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة يقال اب يؤب اذا رجع قوله تعالى انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فيه اربع مسائل الاولى قوله يسبحن في موضع نصب على الحال ذكر
تعالى ما اتاه من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله عز وجل
ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا
معجزة اذا راه الناس وعرفوه وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال
دوي حسن وما تصغي الطير لحسنه وتصوت معه فهذا تسبيح الجبال والطير وقيل سخرها الله عز وجل
لتسير معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله تعالى عن شبه المخلوقين وقد مضى القول في
هذا في سبا وفي سبحان عند قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وان ذلك تسبيح مقال على الصحيح من
الاقوال والله اعلم بالعشي والاشراق الاشراق ابيضاض الشمس بعد طلوعها يقال شرقت الشمس
اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها

الثانية روي عن ابن عباس انه قال كنت امر بهذه الاية بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي حتى
حدثتني ام هانئ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى
وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق وقال عكرمة قال ابن عباس كان في نفسي من صلاة الضحى
حتى وجدتها في القران يسبحن بالعشي والاشراق قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم
صلاها بعد وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس اني اجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس
هي صلاة الاوابين فقال ابن عباس وانا اوجدك في القران ذلك في قصة داود يسبحن بالعشي و
الاشراق الثالثة صلاة الضحى نافلة مستحبة وهي في ادا العصر في العشي لا ينبغي ان تصلى حتى
تبيض الشمس طالعة وترتفع كورها وتشرق بنورها كما لا يصلى العصر اذا اصفرت الشمس وفي صحيح
مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال و
الفصال جمع فصيل وهو الذي يفطم من الرضاعة من الابل والرمضاء شدة الحر في الارض وخص
الفصال هنا بالذكر لانها هي التي ترمض قبل انتهاء شدة الحر التي ترمض بها امهاتها لقلة جلدها
وذلك يكون في الضحى او بعده بقليل وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها قال القاضي
ابو بكر بن العربي ومن الناس من يبادرها قبل ذلك استعجالا لاجل شغله فيخسر عمله لانه يصليها
في الوقت المنهي عنه ويأتي بعمل هو عليه لا له الرابعة روى الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال هو حديث
غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة
فكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن المنكر
صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وروى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة قال اوصاني خليلي بثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة
الضحى ونوم على وتر لفظ البخاري وقال مسلم وركعتي الضحى وخرجه من حديث ابي الدرداء كما خرجه
البخاري من حديث ابي هريرة وهذا كله يدل على ان نافلة الضحى ركعتان واكثره ثنتا عشرة ركعة و
الله اعلم واصل السلامى بضم السين عظام الاصابع والاكف والارجل ثم استعمل في ساير عظام
الجسد ومفاصله وروي من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه خلق الله كل انسان
من بني ادم على ستين وثلثماية مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل وسبح واستغفر وعزل حجرا
عن طريق الناس او شوكا او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثماية فانه يمشي
يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار قال ابو توبة وربما قال يمسي خرجه مسلم وقوله ويجزي من
ذلك ركعتان اي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الاعضاء ركعتان وذلك ان الصلاة عمل
بجميع اعضاء الجسد فاذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الاصل قوله تعالى والطير
محشورة معطوف على الجبال قال الفرا ولو قرئ والطير محشورة لجاز لانه لم يظهر الفعل قال ابن
عباس كان داود اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه فاجتماعها اليه حشرها
والمعنى وسخرنا الطير مجموعة اليه تسبح لله معه وقيل وسخرنا الريح لتحشر الطيور اليه لتسبح
معه او امرنا الملائكة تحشر الطيور كل له اواب اي لداود اواب مطيعة اي تائبة وتسبح معه وقيل
الهاء راجعة لله عز وجل قوله تعالى وشددنا ملكه اي قويناه حتى ثبت بالهيبة والقاء الرعب منه
في القلوب وقيل بكثرة الجنود وقيل بالتاييد والنصر وهذا اختيار ابن العربي فلا ينفع الجيش الكثير

العدد

العدد غير منصور وغير معان وقال ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس
محرابه كل ليلة نيف وثلاثون الف رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله والملك
عبارة عن كثرة الملك فقد يكون للرجل ملك ولكن لا يكون ملكا حتى يكثر ذلك فلو ملك
الرجل دارا وامراة لم يكن ملكا حتى يكون له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي
يفتقر اليها لضرورة الادمية وقد مضى هذا المعنى في براءة وحقيقة الملك في الكهف مستوفى
قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واتيناه الحكمة و
اي النبوة عن السدي مجاهد العدل ابو العالية العلم بكتاب الله تعالى قتادة السنة شريح العلم
والفقه وفصل الخطاب قال ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة يعني الفصل في القضا وهو
قول ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وقال ابن عباس بيان الكلام علي بن ابي طالب هو
البينة على المدعي واليمين على من انكر وقال شريح والشعبي وقتادة ايضا وقال ابو موسى الاشعري
والشعبي ايضا هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان الفاصل
بين الحق والباطل وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل والمعنى في هذه الاقوال
متقارب وقول علي رضي الله عنه يجمعه لان مدار الحكم عليه في القضا ما عدا قول ابي موسى الاشعري
الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي فاما علم القضا فلعمر الهك انه لنوع من العلم مجرد و
فصل منه مؤكد غير معرفة الاحكام والبصر بالحلال والحرام ففي الحديث اقضاكم علي واعلمكم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل فقد يكون الرجل بصيرا باحكام الافعال عارفا بالحلال والحرام
ولا يقوم بفصل القضا يروى ان عليا رضي الله عنه قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر
قوم زبية الاسد فوقع فيها الاسد واجتمع الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق باخر وتعلق
الاخر باخر حتى صاروا اربعة فجرحهم الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح وكاد يكون بينهم
قتال قال فاتيتهم فقلت اتقتلون مائتي رجل من اجل اربعة فقال اقضي بينكم بقضا فان رضيتموه
فهو قضا بينكم وان ابيتم رفعتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو احق بالقضاء فجعل للاول
ربع الدية وجعل للثاني ثلث الدية وجعل للثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية وجعل الديات
على من حفر الزبية على القبايل الاربع فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال انا اقضي بينكم فقال قايل ان عليا قد قضى بيننا فاخبروه
بما قضى علي فقال صلى الله عليه وسلم القضا كما قضى في رواية فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قضا علي وكذلك يروى في المعرفة بالقضا ان ابا حنيفة رضي الله عنه جاء اليه رجل فقال ان
ابن ابي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امراة مجنونة قالت لرجل يا ابن الزانيين حدين في المسجد وهي
قايمة فقال اخطا من ستة اوجه قال ابن العربي وهذا الذي قاله ابو حنيفة بالبديهة لا
يدركه احد بالروية الا العلما فاما قضية علي فلا يدركها الشادي ولا يلحقها بعد التمرن في
الاحكام الا العاكف المتمادي وتحقيقها ان هؤلاء الاربعة مقتولون خطاء بالتدافع على
الحفرة من الحاضرين عليها فلهم الديات على من حضر على وجه الخطا بيد ان الاول مقتول بالمدافعة
قاتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل وعليه ثلاثة ارباع الدية للثلاثة الذين قتلهم و
اما الثاني فله ثلث الدية وعليه الثلثان للاثنين قتلهما بالمجاذبة واما الثالث فله نصف
الدية وعليه نصف لانه قتل واحدا بالمجاذبة فوقعت المحاصة وغرموا العواقل هذا التقدير
بعد القصاص الجاري بينهم وهذا من بديع الاستنباط واما ابو حنيفة فانه نظر الى المعاني

ذكرها ستة الاول المجنون لا حد عليه لان الجنون يسقط التكليف وهذا اذا كان القذف في
حالة الجنون واما اذا كان يجن مرة ويفيق اخرى فانه يحد بالقذف في حالة افاقته الثاني
قولها يا ابن الزانيين فجلدها حدين لكل اب حد وانما خطاه ابو حنيفة على مذهبه في ان
حد القذف يتداخل لانه عنده حق الله تعالى كحد الخمر والزنا واما الشافعي ومالك فانهما
يريان ان حد القذف حق الادمي فيتعدد بتعدد المقذوف الثالث جلدها بغير مطالبة المقذوف
ولا يجوز اقامة الحد القذف باجماع من الامة الا بعد المطالبة باقامته من يقول انه حق الله تعالى
ومن يقول انه حق الادمي اذ لو كان حقا لله تعالى لما وقف على المطالبة كحد الزنا الرابع انه والى
بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال عليه بينهما بل يحد لاحدهما ثم يترك حتى يندمل
الضرب ثم يقام عليه الحد الاخر الخامس انه حدها قائمة ولا تحد المراة الا جالسة مستورة قال بعض
في تبيين السادس انه اقام الحد في المسجد ولا تقام الحدود فيه اجماعا وفي القصاص في المسجد و
التعزير فيه خلاف قال القاضي فهذا هو فصل الخطاب الذي وقعت الاشارة اليه على احد
التاويلات في الحديث المروي اقضاكم علي واما من قال انه الايجاز فذلك للعرب دون العجم
ولمحمد صلى الله عليه وسلم دون العرب وقد بين هذا بقوله واوتيت جوامع الكلم واما من قال
انه قوله اما بعد ويروي ان من قالها في الجاهلية سحبان بن وايل اول من امن بالبعث واول من
توكا على العصا وعمر مائة وثمانين سنة ولو صح ان داود قالها لم يكن ذلك منه بالعربية على هذا
النظم وانما كان بلسانه قوله تعالى وهل اتاك نبؤ الخصم الى قوله وحسن ماب فيه اثنان وعشرون
مسئلة الاولى الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لان اصله المصدر قال الشاعر وخصم غضاب
ينفضون لحاهم كنفض البراذين الغراب المخالبا · النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير انه يراد
ههنا ملكان وقال تسوروا وان كانا اثنين حملا على الخصم اذا كان بمعنى الجمع ومصدرا على مثل
الراكب والصحب وتقديره للاثنين ذوا خصم وللجماعة ذوو خصم ومعنى تسوروا المحراب اتوه من
اعلا سوره يقال تسور الحائط تسلقه والسور حائط المدينة وهو بغير همز وكذلك السور جمع
سورة مثل بسرة وبسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القران لانها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن
الاخرى وقد مضى في مقدمة الكتاب بيان هذا وقول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب · يريد شرفا ومنزلة فاما السؤر بالهمز فهو بقية الطعام في الاناء
ابن العربي والسور الوليمة بالفارسية وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب
ان جابرا صنع لكم سورا فحي هلا بكم والمحراب هنا الغرفة لانهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى بن سلام
وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقد مضى القول فيه في غير موضع اذ دخلوا على داود
جاءت اذ مرتين لانهما فعلان وزعم الفراء ان احدهما بمعنى لما وقول اخر تكون الثانية مع ما بعدها
تبيينا لما قبلها قيل انهما كانا انسيين قاله النقاش وقيل ملكين قاله جماعة وعينهما جماعة فقال انهما
جبريل وميكائيل وقيل ملكين في صورة انسيين بعثهما الله اليه يوم عبادته فمنعهما الحرس الدخول فتسوروا
المحراب عليه فما شعر وهو في الصلاة الا وهما بين يديه جالسين وهو قوله تعالى وهل اتاك نبؤ الخصم
اذ تسوروا المحراب اي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب قاله سفيان الثوري وغيره وسبب ذلك ما
حكاه ابن عباس ان داود حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم فقيل له انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى
فيه فخذ حذرك فاخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه فبينما هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر
احسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه فهم ان يتناوله فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا

منه

منه ليأخذه فانقض فاطلع ليبصره فاشرف على امراة تغتسل فلما راته غطت جسدها بشعرها
قال السدي فوقعت في قلبه قال ابن عباس وكان زوجها غازيا في سبيل الله وهو اوريا ابن
حنان فكتب داود الى امير الغزاة ان يجعل زوجها في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما
ان يفتح الله عليهم او يقتلوا فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود واشترطت عليه
ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة بعده وكتبت عليه بذلك كتابا واشهدت عليه خمسين رجلا
من بني اسرائيل فلم تستقر نفسه حتى ولدت سليمان وشب وتسور الملكان وكان من شانهما
ما قص الله في كتابه ذكره الماوردي وغيره ولا يصح وقال ابن العربي وهو امثل ما روي في ذلك قلت
ورواه مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن يزيد الرقاشي سمع انس بن مالك يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلم حين نظر الى المراة قطع على
بني اسرائيل بعثا واوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا وسماه قال فقربه بين يدي
التابوت وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى
يقتل او ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله فقدم فقتل زوج المراة ونزل الملكان على داود فقصا
القصة وقال سعيد عن قتادة كتب الى زوجها وذلك في حصار عمان مدينة بلقاء ان تاخذوا
بحلقة التابوت وفيه الموت الاحمر فتقدم فقتل قال الثعلبي قال قوم من العلماء انما امتحن الله داود
بالخطيئة لانه تمنى يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله ان يمتحنه نحو ما امتحنهم ويعطيه
نحو ما اعطاهم وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه
بعبادة ربه ويوم يخلو فيه بنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق
ويعقوب فقال يا رب ان الخير كله قد ذهب به اباءي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها
غيرهم فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وابتلي يعقوب
بالحزن على يوسف وذهاب بصره ولم تبتل انت بشيء من ذلك فقال داود فابتلني بمثل ما ابتليتهم
واعطني مثل ما اعطيتهم فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم الجمعة فلما كان ذلك دخل
محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ مثل له الشيطان في صورة حمامة
من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين رجليه فمد يده ليأخذها فدفعها لابن له صغير فطار غير
بعيد ولم تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب
ليأخذها فطارت فنظر داود يرتفع اثرها ليبعث اليها من يأخذها فنظر امراة في بستان على شط
بركة تغتسل قاله الكلبي وقال السدي تغتسل عريانة على سطح لها فراها اجمل النساء خلقا فابصرت
ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا بها وكان زوجها اوريا بن حنان في غزاة مع ايوب
ابن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ايوب ان ابعث باوريا الى مكان كذا وقدمه قبل التابوت
وكان من قدم قبل التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه او يستشهد فقدم ففتح
له فكتب الى داود يخبره بذلك قال الكلبي وكان اوريا سيف الله في ارضه في زمان داود وكان
اذا ضرب ضربة وكبر كبر جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله وكبرت ملائكة السماء بتكبيره حتى ينتهي
ذلك الى العرش فتكبر ملائكة العرش بتكبيره قال وكان سيوف الله هكذا ثلاثة كالب بن يوحنا
في زمن موسى واوريا في زمن داود وحمزة بن عبد المطلب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كتب ايوب الى داود يخبره ان الله قد فتح على اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في بعث كذا و
قدمه قبل التابوت ففتح الله عليه فقتل في الثالثة شهيدا فتزوج داود تلك المراة حين انقضت

عدتها فهي ام سليمان بن داود عليه السلم وعلى نبينا وقيل سبب امتحان داود عليه السلم انه نفسه
حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة قال الحسن ان داود جزا الدهر اربعة اجزاء جزء لنسائه
وجزء لعبادته وجزء لبني اسرائيل يذاكرونه ويذاكرهم ويبكونه ويبكيهم وجزء للقضا فتذاكروا
هل يمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود انه يطيق ذلك فاغلق الباب على نفسه يوم
عبادته وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة الزبور فوقعت حمامة من ذهب بين يديه وذكر
نحو ما تقدم قال علماؤنا وفي هذا دليل **الثانية** على ان ليس للحاكم ان ينتصب للناس كل يوم وانه
ليس للانسان ان يترك وطء نسائه وان كان مشغولا بالعبادة وقد مضى هذا المعنى في النساء وحكم
كعب بذلك بحضرة عمر رضي الله عنهما وقد قال عليه السلم لعبد الله بن عمرو ان لزوجتك عليك حقا الحديث
وقال الحسن ايضا ومجاهد ان داود عليه السلم قال لبني اسرائيل حين استخلف والله لاعدلن بينكم
ولم يستثن فابتلي بهذا وقال ابو بكر الوراق كان داود كثير العبادة فاعجب بعمله وقال هل في الارض
احد يعمل كعملي فاوحى الله اليه فقال ان الله تعالى يقول لك عجبت بعبادتك والعجب ياكل العبادة
كما تاكل النار الحطب فان عجبت ثانية وكلتك الى نفسك قال يا رب كلني الى نفسي سنة قال ان
ذلك كثير قال فشهرا قال ان ذلك كثير قال فيوما قال ان ذلك لكثير قال يا رب فكلني الى نفسي ساعة
قال فشانك بها فوكل الاحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فكان من
امر المراة ما كان وقال سفيان قال داود ذات يوم يا رب ما من يوم الا ومن آل داود فيه صائم وما
من ليلة الا ومن آل داود فيها قائم فاوحى الله اليه يا داود منك ذلك ام مني وعزتي وجلالي لاوكلنك
الى نفسك قال يا رب اعف عني قال اوكلك الى نفسك سنة قال لا بعزتك قال فشهرا قال لا بعزتك قال
فاسبوعا قال لا بعزتك قال فيوما قال لا بعزتك قال فساعة قال لا بعزتك قال فلحظة فقال له الشيطان
وما قدر اللحظة قال فكلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل له في يوم كذا في وقت كذا فلما
جاء ذلك اليوم جعله للعبادة ووكل الاحراس حول مكانه قيل اربعة الاف وقيل ثلاثين الفا
او ثلاث وثلاثين الفا وخلا بعبادة ربه ونشر الزبور بين يديه فجاءت الحمامة فوقعت له فكان من
امره في لحظته مع المراة ما كان وارسل الله عز وجل اليه الملكان بعد ولادة سليمان وضربا له المثل
بالنعاج فلما سمع المثل ذكر خطيئته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما ياتي **الثالثة** قوله تعالى
ففزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصم وقيل لدخولهم عليه بغير اذنه وقيل لانهم
تسوروا عليه المحراب ولم ياتوه من الباب قال ابن العربي وكان محراب داود عليه السلم من الامتناع
بالارتفاع بحيث لا يرتقي اليه آدمي بحيلة الا ان يقيم اياما فيها او اشهرا بحسب مع اعوان يكثر
عددهم والات جمة مختلفة الانواع ولو قلنا انه يوصل اليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مخبرا عن
ذلك تسوروا المحراب اذ لا يقال تسور المحراب والغرفة لمن طلع من درجها وجاءها من اسفلها الا ان
يكون مجازا واذا شاهدت الكوة التي دخل منها الخصمان علمت انهما ملكان لانها من العلو بحيث لا ينالها
الا علوي قال الثعلبي وقيل كان المتسوران اخوان من بني اسرائيل لاب ولام فلما قضى داود بينهما
بقضية قال له ملك من الملائكة فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود قال الثعلبي والاول احسن
انهما كانا ملكين نبها داود على ما فعل **قلت** وعلى هذا اكثر اهل التاويل فكيف يجوز ان يقول الملكان
بغى بعضنا على بعض وذلك كذب والملائكة نقلة منزه فالجواب عندي انه لا بد في الكلام من تقدير
فكانهما قالا قدرنا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق وعلى ذلك يحمل قولهما ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة لان ذلك وان كان بصورة الخبر فالمراد ايراده على طريق التقدير لينبه

داود

داود على ما فعل **الرابعة** ان قيل لم فزع داود وهو نبي وقد قويت نفسه بالنبوة واطمانت بالوحي
ووثقت بما آتاه الله من المنزلة واظهر عليه من الايات وكان من الشجاعة في غاية المكانة
قيل له ذلك سبيل الانبياء قبله لم يامنوا القتل والاذية ومنها كان يخاف الا ترى الى
موسى وهرون كيف قالا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال الله تعالى لا تخافا وقالت
الرسل للوط لا تخف انا رسل ربك لن يصلوا اليك وكذا قال الملكان هنا لا تخف قال محمد
ابن اسحق بعث الله اليه ملكين يختصمان اليه وهو في محرابه مثلا ضربه الله له ولاوريا فراهما
واقفين على راسه فقال ما ادخلكما علي قالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتقضي
بيننا **الخامسة** قال ابن العربي فان قيل كيف لم يامر باخراجهما اذ قد علم مطلبهما وهلا ادبهما وقد دخلا
عليه بغير اذن فالجواب عليه من اربعة اوجه الاول انا لم نعلم كيفية شرعه في الحجاب
والاذن فيكون الجواب بحسب تلك الاحكام وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا مهملا حتى هذه
الاحكام حتى اوضحها الله تعالى بالبيان الثاني انا لو نزلنا الجواب على احكام الحجاب لاحتمل
ان يكون الفزع الطارئ عليه اذهله عما كان يجب في ذلك له الثالث انه اراد ان يستوفي
كلامهما الذي دخلا له حتى يعلم اخر الامر منه ويرى هل يحتمل التقحم بغير اذن امر لا وهل
يقترن بذلك عذر لهما ام لا يكون لهما عذر فيه فكان من اخر الحال ما انكشف له بلاء
ومحنة ومثلا ضربه الله في القصة وادب وقع على دعوى العصمة الرابع يحتمل ان يكون في
مسجد ولا اذن في المسجد لاحد اذ لا حجر فيه على احد **قلت** وقول خامس ذكره القشيري وهو انهما
قالا لما يا اذن لنا الموكلون بالحجاب توصلنا الى الدخول بالتسور وخفنا ان يتفاقم الامر بيننا
فقبل داود عذرهم واصغى الى قولهم **السادسة** قوله تعالى خصمان وقبل هذا اذ تسوروا فقيل
لان الاثنين جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا اذا كنتما اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا
فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقال الزجاج المعنى
نحن خصمان وقال غيره القول محذوف اي يقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي
ولو كان بغى بعضنا على بعض لجاز الماوردي وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين
ولا ياتي منهما كذب وتقدير كلامهما ما تقول ان اتاك خصمان قالا بغى بعضنا على بعض
وقيل اي نحن فريقان من الخصوم بغى بعضنا على بعض لجاز وعلى هذا يحتمل ان تكون
الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل ان يكون لكل واحد من هذا الفريق
خصومة مع واحد من هذا الفريق الاخر فحضر والخصومات ولكن ابتدا منهم اثنان فعرف
داود بذكر النكاح القصة واغنى بذلك عن التعرض للخصومات الاخر والبغي التعدي والخروج
عن الواجب يقال بغى الجرح اذا افرط وجعه وترامى الى ما يفحش ومنه بغت المراة اذا اتت
الفاحشة **السابعة** قوله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر قاله السدي وحكى ابو
عبيد شططت عليه واشططت اي جرت وفي حديث تميم الداري انك لشاطي اي جائر علي في
الحكم وقال قتادة لا تمل الاخفش لا تسرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والاصل فيه
البعد من شطت الدار اي بعدت واشط في السوم واشتط اي ابعد واشطوا في طلبي اي امعنوا
قال ابو عمرو الشطط مجاوزة القدر في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط
اي لا نقصان ولا زيادة وفي التنزيل لقد قلنا اذا شططا اي جورا من القول وبعدا عن
الحق واهدنا الى سواء الصراط اي ارشدنا الى قصد السبيل **الثامنة** قوله تعالى ان هذا اخي

لدتسع وتسعون نعجة اي قال الملك الذي تكلم عن اوريا ان هذا اخي اي على ديني واشار الى المدعى
عليه وقيل اخي اي صاحبي له تسع وتسعون نعجة وقرا الحسن تِسع وتِسعون بفتح التاء فيهما وهي لغة
شاذة وهي الصحيحة من قراءة الحسن وقال النحاس والعرب تكني عن المراة بالنعجة والشاة لما
هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة لان الكل
مركوب قال ابو فرعون انا ابوهن ثلاث هن ، رابعة في البيت صغراهنه ، ونعجتي خمسا توفي هينه
الافتى سمح يغذي هنه ، طي النعاف الجوع بطونهنه ، وبل الرغيف وبل ميمنه ، وقال عنترة يا شاة
ما قنص لمن حلت له ، حرمت علي وليتها لم تحرم ، فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي ، فتحسسي
اخبارها لي واعلمي ، قالت رايت من الاعادي غرة ، والشاة ممكنة لمن هو مرتمي ، فكانما
التفتت بجيد جدايه ، رشاء من الغزلان حر ارثم ، وقال آخر فرميت غفلة عينه عن شاته ،
فاصبت حبة قلبها وطحالها ، وهذا احسن من التعريض كنى بالنعاج عن النساء قال الحسين بن الفضل
هذا من الملكين تعريض وتنبيه كقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على التحقيق
كانه قال نحن خصمان هذا حالنا وقال ابو جعفر النحاس احسن ما قيل في هذا المعنى يقول خصمان
بغى بعضنا على بعض على جهة المسئلة كما يقول الرجل لامراته كذا ما يجب عليه قلت وقد تاول المزني
صاحب الشافعي هذه الاية وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن شهاب حجر الموطا وغيره هو لك
يا عبد بن زمعة على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي والله اعلم ان يكون النبي صلى
الله عليه وسلم اجاب عن المسئلة فاعلمهم بالحكم ان هذا يكون اذا ادعى صاحب فراش وصاحب زنى لا انه
قبل على عتبة قول اخيه سعد ولا على زمعة قول ابيه انه ولد زنا لان كل واحد منهما اخبر عن غيره
وقد اجمع المسلمون انه لا يقبل اقرار احد على غيره وقد ذكر الله سبحانه في كتابه مثل ذلك في قصة
داود والملائكة اذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان ولم يكونوا خصمين ولا كان لواحد
تسع وتسعون نعجة ولكنهم كلموه على المسئلة ليعرف بها ما ارادوا تعريفه فيحتمل ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم حكم في هذه القصة على المسئلة وان لم يكن احد يوقفني على هذا التاويل في الحديث
فانه عندي صحيح التاسعة قال النحاس وفي قراءة ابن مسعود ان هذا اخي كان له تسع وتسعون نعجة
انثى وكان هذا مثل قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما فاما قوله انثى فهو تاكيد كما يقال هو رجل ذكر
وهو تاكيد وقيل لما كان يقال هذه مائة نعجة وان كان منها من الذكور شيء يسير جاز ان يقال انثى
ليعلم انه لا ذكر فيها وفي التفسير له تسع وتسعون امراة قال ابن العربي ان كان جميعهن احرارا فذلك
شرعه وان كان اماء فذلك شرعنا والظاهر ان شرع من تقدم قبلنا لم يكن محصورا بعدد وانما
الحصر في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لضعف الابدان وقلة الاعمار وقال القشيري ويجوز ان يقال
لم يكن هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما تقول لو جئتني مائة مرة لم اقض حاجتك اي
مرارا كثيرة قال ابن العربي قال بعض المفسرين لم يكن لداود مائة امراة وانما ذكر التسعة والتسعين
مثلا المعنى هذا غني عن الزوجة وانا مفتقر اليها وهذا فاسد من وجهين احدهما ان العدول عن
الظاهر بغير دليل لا معنى له ولا دليل يدل عليه ان شرع من قبلنا كان مقصورا من النساء على
ما في شرعنا الثاني انه روى البخاري وغيره ان سليمان قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد
كل امراة غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي ان يقول ان شاء الله وهذا نص العاشرة قوله تعالى
ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة فقال اكفلنيها اي انزل لي عنها حتى اكفلها وقال ابن عباس اعطنيها
وعنه تحول لي عنها وقاله ابن مسعود وقال ابو العالية ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان اجعلها

كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش
مني يقال عزه يعزه بضم العين في المستقبل عزا غلبه وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب والاسم
العزة وهي القوة والغلبة قال الشاعر قطاة عزها شرك فباتت ، تجاذبه وقد علق الجناح ، وقرا
ابن مسعود وعبيد بن عمير وعازني في الخطاب اي غالبني من المعازة وهي المغالبة عازه اي غالبه قال
ابن العربي واختلف في سبب الغلبة فقيل معناه غلبني ببيانه وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سأله
لم يستطع خلافه كان ببلادنا امير يقال له سير بن ابي بكر فكلمته في ان يسال لي رجلا حاجة
فقال لي اما علمت ان طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت اما اذا كان عدلا فلا فعجبت من
عجمته وحفظه لما تمثل به وفطنته كما عجب من جوابي له واستغربه الحادية عشرة قوله تعالى قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال النحاس فيقال ان هذه كانت خطيئة داود لانه قال
لقد ظلمك من غير تثبت ببينة ولا اقرار من الخصم هل كان هذا كذا ام لم يكن فهذا قول قلت وسياتي
بيانه في المسئلة بعد هذا وهو حسن ان شاء الله تعالى قال ابو جعفر النحاس فاما قول العلماء الذين
لا يدفع قولهم منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس فانهم قالوا ما زاد داود عليه السلم على ان
قال للرجل انزل لي عن امراتك قال ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على هذا ونبهه عليه وليس هذا
بكبير من المعاصي ومن تخطى الى غير هذا فانما ياتي بما لا يصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم كذا قال في
كتاب اعراب القران وقال في كتاب معاني القران له بمثله قال رضي الله عنه قد جاءت اخبار و
قصص في امر داود عليه السلم واوريا واكثرها لا يصح ولا يتصل اسناده ولا ينبغي ان يجترا على
مثلها الا بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال ما زاد داود عليه السلم على ان قال اكفلنيها اي تحول لي عنها وضمها الي قال ابو جعفر فهذا اجل ما
روي في هذا والمعنى عليه ان داود عليه السلم سال اوريا ان يطلق امراته كما يسال الرجل الرجل ان
يبيع جاريته فنبهه الله عز وجل على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون انكر عليه ان
يتشاغل بالدنيا بالتزيد منها الاحترا عليه قال ابن العربي واما قولهم لما اعجبته امر بتقديم
زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فان داود صلى الله عليه وسلم لم يكن ليريق دمه
في غرض نفسه وانما كان من الامر ان داود قال لبعض اصحابه انزل عن اهلك وعزم عليه في
ذلك كما يطلب الرجل من الرجل الحاجة برغبة صادقة كانت في الاهل او في المال وقد قال سعد
ابن الربيع لعبد الرحمن بن عوف حين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما لي زوجتان انزل لك
عن احسنهما فقال له بارك الله لك في اهلك ومالك وما يجوز فعله ابتدا يجوز طلبه على من في
نقله يعتمد وليس يا ثر عن الثقات الاثبات احد ما في سورة الاحزاب نكتة تدل على ان
داود صارت له المراة زوجة وذلك قوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في
الذين خلوا من قبل يعني في احد الاقوال تزويج داود المراة التي نظر اليها كما تزوج النبي صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش الا ان تزويج زينب كان من غير سؤال للزوج في فراق بل امره بالتمسك
بزوجيتها وكان تزويج داود للمراة بسؤال زوجها فراقها وكانت هذه المنقبة لمحمد صلى
الله عليه وسلم على داود مضافة الى مناقبه العلية صلى الله عليه وسلم ولكن قد قيل ان
معنى سنة الله في الذين خلوا من قبل ان الانبياء صلوات الله عليهم فرض لهم ما يمتثلونه في
النكاح وغيره وهذا اصح الاقوال وقد روى المفسرون ان داود عليه السلم نكح مائة امراة وهذا
نص القران وروي ان سليمن كانت له ثلثمائة امراة وسبعمائة جارية وربك اعلم وذكر

الكيا الطبري في احكام في قوله عز وجل وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الاية ذكرها
المحققون الذين يرون تنزيه الانبياء عليهم السلم عن الكبائر ان داود عليه السلم كان قد اقدم على
خطبة امراة قد خطبها يقال اهوا اوريا فمال القوم الى تزويجها من داود راغبين فيه وزاهدين في
الخاطب الاول ولم يكن بذلك داود عارفا وقد كان يمكنه ان يعرف ذلك فيعدل عن هذه الرغبة
وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك من حيث اعجبته اما وصفا او مشاهدة على غير تعمد وقد كان
لداود عليه السلم من النساء العدد الكثير وذلك الخاطب لا امراة له فنبهه الله تعالى على ما فعل بما كان
من تسور الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه التعريض ليفهم من ذلك موقع العتب فيعدل
عن هذه الطريقة ويستغفر ربه من هذه الصغيرة الثانية عشر قوله تعالى لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه فيه الفتوى في النازلة بعد السماع من احد الخصمين وقبل ان يسمع من الاخر فظاهر
هذا القول قال ابن العربي وهذا مما لا يجوز عند احد ولا في ملة من الملل ولا يمكن ذلك للبشر
انما تقدير الكلام ان احد الخصمين ادعى والاخر سلم في الدعوى فوقعت بعد ذلك الفتوى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض لاحدهما حتى تسمع من الاخر وقيل ان
داود عليه السلم لم يقض للاخر حتى اعترف صاحبه بذلك وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان كذلك والله
اعلم بتعيين ما يمكن من هذه الوجوه قلت ذكر هذين الوجهين القشيري والماوردي وغيرهما قال
القشيري وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك من غير ان يسمع كلام الخصم مشكل فيمكن ان يقال انما
قال ذلك بعد مراجعة الخصم الاخر وبعد اعترافه وقد روي هذا وان لم يثبت روايته فهذا معلوم
من قراين الحال او اراد لقد ظلمك ان كان الامر على ما تقول فسكته بهذا وصبره الى ان يسال خصمه
قال ويحتمل ان يقال كان من شرعهم التعويل على قول المدعي عند سكوت المدعى عليه اذا لم يظهر منه
انكار بالقول وقال الحليمي ابو عبد الله في منهاج الدين لرو مما جاء في شكر النعمة المنتظرة اذا حضرت
او كانت خافية فظهرت السجود لله عز وجل قال والاصل في ذلك قوله تعالى وهل اتاك نبؤ الخصم
الى قوله وحسن مآب اخبر الله عز وجل عن داود عليه السلم انه سمع قول المتظلم من الخصمين ولم يخبر عنه انه
سال الاخر انما حكى انه ظلمه فكان ظاهر ذلك انه رأى في المتكلم مخايل الضعف والخضيمة فحمل امره
على انه مظلوم كما يقول ودعاه ذلك الى انه لا يسال الخصم فقال له مستعجلا لقد ظلمك مع امكان
انه لو سأله لكان يقول كانت لي مائة نعجة ولا شيء لهذا فسرق مني هذه النعجة فلما وجدتها عنده قلت
له اردها وما قلت له اكفلنيها وعلم اني مرافعه اليك فجرني قبل ان اجره وجاءك متظلما مني قبل
ان احضره لتظن انه المحق واني انا الظالم ولما تكلم داود بما حملته العجلة عليه علم ان الله خلاه ونفسه
في ذلك الوقت وهو الفتنة التي ذكرناها وان ذلك لم يكن الا عن تقصير منه فاستغفر ربه وسجد
لله تعالى شكرا على ان عصمه بان اقتصر على تظليم المشكو ولم يزده على ذلك شيئا من انتهار او
ضرب او غيرهما مما يليق بمن تصور في القلب انه ظالم فغفر الله له ثم اقبل عليه يعاتبه فقال يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فبان بما
اقتصه الله تعالى من هذه الموعظة وجاء بها بعد المغفرة ان خطيئته انما كانت للتقصير في الحكم
والمبادرة الى تظليم من لم يثبت عنده ظلمه ثم جاء عن ابن عباس انه قال سجدها داود شكرا وسجد
النبي صلى الله عليه وسلم اتباعا فثبت ان السجود للشكر سنة متواترة عن الانبياء صلوات الله عليهم
بسؤال نعجتك اي بسؤاله نعجتك فاضاف المصدر الى المفعول والقى الهاء من السؤال وهو كقوله تعالى
لا يسام الانسان من دعاء الخير اي من دعائه الخير الثالثة عشر قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء

يقال الخليط

يقال خليط وخلط ولا يقال طويل وطول لثقل الحركة في الواو وفيه وجهان احدهما انهما الاصحاب
الثاني الشركاء قلت اطلاق الخلطاء على الشركاء فيه بعد وقد اختلف العلماء في صفة الخلطاء فقال
اكثر العلماء هو ان ياتي كل واحد بغنمه فيجمعها راع واحد والدلو والمراح وقال طاوس وعطا
لا يكون الخلطاء الا الشركاء وهذا خلاف الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا يجمع بين مفترق
ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية وروي
فانهما يترادان الفضل ولا موضع لتراد الفضل بين الشركاء فاعلمه واحكام الخلطة مذكورة في كتب
الفقه ومالك واصحابه وجمع من العلماء لا يرون على من ليس في حصته ما تجب فيه الزكاة وقال
ربيعة والليث وجمع من العلماء منهم الشافعي اذا كان في جميعها ما تجب فيه الزكاة اخذت منها الزكاة
قال مالك وان اخذ المصدق بهذا ترادوا بينهم للاختلاف في ذلك ويكون كحكم حاكم اختلف فيه
الرابعة عشر قوله تعالى ليبغي بعضهم على بعض اي يتعدى ويظلم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم يعني الصالحين اي وقليل هم فما زائدة وقيل بمعنى الذي و
تقديره وقليل الذين هم وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من عبادك
القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال اردت قول الله عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم فقال عمر كل الناس افقه منك يا عمر الخامسة عشر قوله تعالى وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا
داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب ووهبنا لداود سليمن
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر
ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص
واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار قوله تعالى وظن داود انما فتناه اي ابتليناه
وظن معناه ايقن قال ابو عمرو والفراء ظن بمعنى ايقن الا ان الفراء شرحه بانه لا يجوز في المعاني ان
يكون الظن الا بمعنى اليقين والقراءة فتناه بتشديد النون دون التاء وقرأ عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فتّناه بتشديد التاء والنون على المبالغة وقرأ قتادة وعبيد بن عمير وابن السميفع فتناه
بتخفيفهما ورواه علي بن نصر عن ابي عمرو والمراد الملكان اللذان دخلا على داود السادسة عشر
لما قضى داود بينهما في المسجد نظر احدهما الى صاحبه فضحك فلم يفطن داود فاحبا ان يعرفاه

فصعد الى السماء قبال وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك ونبهه على ما ابتلاه به قلت و
ليس في القران ما يدل على القضا في المسجد الا هذه الاية وبها استدل من قال يجوز القضا في المسجد
ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي لما اقرهم داود على ذلك ويقول انصرفا الى موضع القضا و
كان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء يقضون في المسجد وقد قال مالك القضا في المسجد من الامر
القديم يعني في اكثر الامور ولا باس ان يجلس في رحبته ليصل اليه الضعيف والمشرك والحايض و
لا يقيم فيه الحدود ولا باس بخفيف الادب وقد قال اشهب يقضي في منزله واين احب السابعة عشر
قال مالك رحمه الله وكان الخلفاء يقضون بانفسهم واول من استقضى معاوية قال مالك وينبغي
للقضاة مشاورة العلما وقال ابو عمر بن عبد البر لا يستقضى حتى يكون عالما بالاثار من مضى
مستشيرا لذوي الراي حليما نزها قال ويكون ورعا قال مالك وينبغي ان يكون متيقظا كثير التحذر
من الحيل وان يكون عالما بالشروط التي تضمن حقوق المحكوم له وينبغي له ان يقول قبل انجاز الحكم
للمطلوب ابقيت لك حجة فان قال لا حكم عليه ولا يقبل منه حجة بعد انفاذ حكمه الا ان ياتي بما له وجه
او بينة القضا فيما لهم وعليهم مذكورة في غير هذا الموضع الثامنة عشر قوله تعالى فاستغفر ربه
اختلف المفسرون في الذنب الذي استغفر منه على اقوال ستة الاول انه نظر الى المراة حتى شبع منها
قال سعيد بن جبير انما كانت فتنته النظرة قال ابن اسحق ولم يتعمد داود النظر الى المراة لكنه عاود
النظر اليها فصارت الاولى له والثانية عليه الثاني انه اغزى زوجها في حملة التابوت الثالث انه نوى
ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع ان اوريا خطب المراة فلما غاب خطبها داود فتزوجت منه لجلالته
فاغتم لذلك اوريا فعتب الله على داود اذ لم يتركها لخاطبها وقد كانت عنده تسع وتسعون امراة
الخامس انه لم يجزع على قتل اوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امراته فعاتبه
الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله السادس انه حكم لاحد الخصمين
قبل ان يسمع من الاخر قال القاضي ابن العربي اما قول من قال انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من
الاخر فلا يجوز على الانبياء وكذلك تعريض زوجها للقتل واما من قال انه نظر اليها حتى شبع فلا
يجوز ذلك عندي بحال لان طموح النظر لا يليق بالاولياء المتجردين للعبادة فكيف بالانبياء الذين
هم وسايط الله المكاشفون بالغيب وحكى السدي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لو سمعت ان
رجلا يقول ان داود عليه السلم قارف من تلك المراة محرما لجلدته ستين وماية لان حد الناس
ثمانون وحد الانبيا ستون ومائة ذكره الماوردي والثعلبي ايضا قال الثعلبي قال الحارث الاعور
عن علي من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص معتقدا جلدته حدين لعظم ما ارتكب برمي
من قد رفع الله محله وارتضاه من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمهتدين وقال ابن العربي وهذا
ما لم يصح عن علي فان قيل فما حكمه عندكم قلنا اما من قال ان نبيا زنا فانه يقتل واما من نسب اليه
ما دون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف الناس في ذلك فان صمم احد على ذلك فيه ونسب
اليه قتلته فانه يناقض التعزير المامور به فاما قولهم انه وقع بصره على امراة تغتسل عريانة
فلما راته اسبلت شعرها فسترت جسدها فهذا لا حرج عليه فيه من الامة لان النظرة الاولى
تكشف المنظور اليه ولا ياثم الناظر بها واما النظرة الثانية فلا اصل لها واما قولهم انه خطب
على خطبة اوريا فباطل يرده القران والاثار التفسيرية كلها وقد روى اشهب عن مالك قال
بلغني ان تلك الحمامة اتت فوقعت قريبا من داود عليه السلم وهي من ذهب فلما راها اعجبته فقام
لياخذها فطارت قريبا منه ثم صنع مثل ذلك مرتين ثم طارت واتبعها بصره فوقعت عينه على

تلك

تلك المراة وهي تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من
دموع عينيه قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطاير درج عنده فهم باخذه واتبعه فهذا
لا يناقض العبادة لانه مباح فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال فريضة وانما اتبع الطاير
لذاته لا لجماله فانه لا منفعة له فيه وانما ذكرهم بحسن الطاير حرز في الجهالة اما انه روي انه كان
طايرا من ذهب فاتبعه لياخذه لانه من فضل الله سبحانه كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلم
كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي منه ويجعل في ثوبه فقال له الله يا ايوب الم
اكن اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقال القشيري فهم داود ان ياخذه
ليدفعه الى ابن له صغير فطار ووقع على كوة البيت وقاله الثعلبي ايضا وقد تقدم التاسعة عشر
قوله وخر راكعا واناب اي خر ساجدا وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر فخر على وجهه راكعا و
تاب الى الله من كل ذنب قال ابن العربي لا خلاف بين العلما ان الركوع ههنا السجود فان السجود هو
الميل والركوع هو الانحناء واحدهما يدخل على الاخر ولكنه قد يختص كل واحد بهيئة ثم جاء هذا
على تسمية احدهما بالاخر فسمي السجود ركوعا وقال المهدوي وكان ركوعهم سجودا وقيل بل كان
سجودهم ركوعا وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدا لله اي لما احس بالامر قام الى الصلاة ثم
وقع من الركوع الى السجود لاشتمالهما جميعا على الانحناء وقال الحسين بن الفضل سالني عبد الله
ابن طاهر وهو الوالي عن قوله عز وجل وخر راكعا واناب هل يقال للراكع خر فقلت لا قال فما
معنى الاية قال معناها فخر بعد ان كان راكعا فسجد واناب اي تاب من خطيئته ورجع الى الله انتهى
الموفية عشرين واختلف في سجود داود وهل هي من السجود المامور به في القران فروى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة فسجد
وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قراها فتشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه و
سلم انها توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد وهذا لفظ ابي داود وفي البخاري وغيره
عن ابن عباس انه قال ص ليست من عزايم القران وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها
وقد روي من طرق عن ابن مسعود انه قال ص توبة نبي ولا يسجد فيها وعن ابن عباس انها توبة
نبي ونبيكم ممن امر ان يقتدى به قال ابن العربي الذي عندي انها ليست موضع سجود ولكن النبي
صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا فيها بالاقتداء به ومعنى السجود ان داود سجد خاضعا
لربه معترفا بذنبه تائبا من خطيئته فاذا سجد احد فيها فليسجد بهذه النية فلعل الله تعالى ان يغفر له
بحرمة داود الذي اتبعه وسوا قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فان هذا امر مشروع في كل ملة
لكل احد والله اعلم الثالثة قال ابن خويز منداد قوله وخر راكعا واناب فيه دلالة على ان السجود
للشكر مفردا لا يجوز لانه ذكر معه الركوع واما الذي يجوز ان ياتي بركعتين شكرا فاما
سجدة مفردة فلا وذلك ان البشارات كانت تاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمة
بعده فلم ينقل ان احدا منهم سجد شكرا ولو كان ذلك مفعولا لهم لنقل نقلا متواترا لحاجة
العامة الى جوازه وكونه قربة وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله ابن ابي اوفى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى يوم بشر براس ابي جهل ركعتين وخرج من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا اتاه امر يسره او بشر به خر ساجدا شكرا لله وهذا قول الشافعي وغيره
الرابعة روى الترمذي وغيره واللفظ للغير ان رجلا من الانصار على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يصلي من الليل يستتر بشجرة وهو يقرا سورة ص والقران ذي الذكر فلما

بلغ السجدة سجد وسجدت معه الشجرة فسمعها وهي تقول اللهم اعظم لي بهذه السجدة اجرا وارزقني بها
شكرا **قلت** خرج ابن ماجة في سننه عن ابن عباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل
فقال اني رايت البارحة فيما يرى النائم كاني اصلي الى شجرة فقرأت السجدة فسجدت الشجرة لسجودي
فسمعتها تقول اللهم احطط عني بها وزرا واكتب لي بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا قال ابن
عباس فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا السجدة فسجد فسمعته يقول مثل الذي اخبره الرجل
عن قول الشجرة وذكر الثعلبي عن ابي سعيد الخدري قال قلت يا رسول الله رايتني في المنام كاني تحت
شجرة والشجرة تقرا ص فلما بلغت السجدة سجدت فيها فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها
اجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فسجدت انت يا ابا سعيد فقلت لا والله يا رسول الله فقال لقد كنت
احق بالسجود من الشجرة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم ص حتى بلغ السجدة فسجد وقال مثل ما قالت
الشجرة **الحادية والعشرون** قوله تعالى فغفرنا له ذلك فغفرنا له ذنبه وقال ابن الانباري فغفرنا له
ذلك تام ثم يبتدي وان له وقال القشيري ويجوز الوقف على فغفرنا له ثم يبتدي ذلك وان له
كقوله هذا وان للطاغين لشر اي الامر ذلك وقال عطاء الخراساني وغيره ان داود سجد اربعين
يوما حتى نبت المرعى حول وجهه وغمر راسه فنودي اجائع فتطعم ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج المرعى
من حر جوفه فغفر له وستر بها فقال يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته وكيف بفلان
وكذا وكذا رجلا من بني اسرائيل تركت اولادهم ايتاما ونساؤهم ارامل قال يا داود لا يجاوزني
يوم القيامة ظلم امكنه منك واستوهبك منه بثواب الجنة قال يا رب هكذا تكون المغفرة
الهنية ثم قيل يا داود ارفع راسك فذهب ليرفع راسه فاذا به نشب في الارض فاتاه جبرائيل
فاقتلعه عن وجه الارض يقتلع من الشجرة صمغها رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطاء قال
الوليد واخبرني منير بن الزبير قال فلزق موضع مساجده على الارض من فروة وجهه ما شاء الله قال
الوليد بن لهيعة وكان يقول في سجوده سبحانك هذا شرابي دموعي وهذا طعامي رماد بين يدي
في رواية انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه الا للصلاة المكتوبة يبكي حتى نبت العشب من دموعه
وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود مكث اربعين ليلة ساجدا
حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده يا رب داود
زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلته حديثا في
الخلق من بعده فقال له جبريل بعد اربعين يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به وقال وهب
ان داود عليه السلام نودي اني قد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى جاءه جبريل فقال له لم لا ترفع راسك
وربك قد غفر لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا فقال الله لجبريل اذهب الى داود فقل له
يذهب الى قبر اوريا فيتحلل منه فانا اسمعه نداك فلبس داود المسوح وجلس عند قبر اوريا ونادى
يا اوريا فقال لبيك من ذا الذي قطع علي لذتي وايقظني فقال انا اخوك داود اسئلك ان تجعلني
في حل فاني عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل وقال الحسن وغيره كان داود بعد
الخطيئة لا يجالس الا الخطائين ويقول تعالوا الى داود الخطاء ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه
وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الرماد و
الملح فياكل ويقول هذا اكل الخطائين وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف
الدهر ثم صام بعد الدهر كله وقام الليل كله وقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته

منقوشة

منقوشة في كفه فكان لا يبسطها لطعام ولا شراب ولا شيء الا راها فابكته وان كان ليؤتى بالقدح
ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه وروى الوليد
بن مسلم حدثني ابو عمرو الاوزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل عيني داود مثل
القربتين تنطفان ولقد خدد الدموع على وجه داود خديد الماء في الارض قال الوليد وحدثنا
عثمان بن ابي العاتكة انه قال من قول داود اذ هو خلو من الخطيئة شدة قوله في الخطائين ان كان
يقول اللهم لا تغفر للخطائين وصار الى ان يقول رب اغفر للخطائين لكي تغفر لداود معهم سبحان
خالق النور الهي خرجت اطلب اطباء عبادك ان يداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلوني الهي اخطات
خطيئة قد خفت ان تجعل حصادها عذابك يوم القيامة ان لم تغفرها سبحان خالق النور الهي
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي رب اغفر للخطائين
كي تغفر لداود معهم وكان ينعس على سبعة افرش من الليف محشوة بالرماد فكان يستنقع دموعه
تحت رجليه حتى ينفذ الى فرشه كلها وكان اذا كان يوم نوحه نادى مناديه في الطرق والاسواق
والاودية والشعاب على رؤوس الجبال وافواه الغيران الا ان هذا نوح داود فمن اراد ان يبكي على
ذنبه فليات داود فيسعد فيهبط السياح من الغيران والاودية وترتج الاصوات حول منبره فاذا
اخذ في العويل والنوح واثارة الحرقات منابع دموعه صاحت الجماعة صيحة واحدة نوحا وبكاء حتى
يموت حول منبره خلق كثير في مثل ذلك اليوم ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم السبت فجاءة
اتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه وينزل فقال جئت لاقبض روحك فقال دعني حتى انزل او
ارتقي فقال ما لي الى ذلك سبيل نفدت الايام والشهور والسنين والاثار والارزاق فما انت بمؤثر
بعدها اثرا قال فسجد داود على مرقاة من الدرج فقبض نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين
موسى عليهما السلام خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل تسع وسبعون وعاش مائة سنة واوصى الى
ابنه سليمان عليهما السلام **الثانية والعشرون** قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال محمد
ابن كعب ومحمد بن قيس وان له عندنا لزلفى اي قربة بعد المغفرة وحسن مآب قالا والله ان اول
من يشرب الكاس يوم القيامة داود وقال مجاهد عن عبد الله بن عبد الله بن عمر الزلفى الدنو من
الله عز وجل يوم القيامة وعن مجاهد قال يبعث الله داود يوم القيامة وخطيئته منقوشة في كفه
فاذا راها اهاله يوم القيامة لم يجد منها محرزا الا ان يلجا الى رحمة الله تعالى قال ثم يرى خطيئته
فيقلق فيقال له هاهنا فذلك قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ذكره الترمذي الحكيم قال
حدثنا الفضل بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن الاصبغ قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ابراهيم
ابن محمد الفزاري عن عبد الملك بن سليمان عن مجاهد فذكره قال الترمذي ولقد كنت
امرر بها زمانا طويلا بهذه الايات فلا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا والقط
الصحيفة في اللغة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى عليهم فاما من اوتي كتابه بيمينه
وقال انكم ستجدون هذا كله في صحائفكم تعطونها بشمائلكم فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي
صحيفتنا قبل يوم الحساب قال الله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد فقص
قصة خطيئته الى منتهاها فكنت اقول امره بالصبر على ما قالوا وامره بذكر داود فاي شيء اريد
من هذا الذكر وكيف اتصل هذا بذاك كلا اقف على شيء يسكن قلبي عليه حتى هداني الله يوما
فالهمته ان هؤلاء انكروا قوله انهم يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاء بامر
الله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فاوجع ذلك من استهزائهم فامره بالصبر

على مقالتهم وان يذكر عبده داود سأل تعجيل خطيئته ان يراها منقوشة في كفه فنزل بما نزل
من انه كان اذا راها بكى حتى تنفذ سبعة افرش من الليف يحشوه الرماد فانما سالها بعد المغفرة
وبعد تبعة ضمان الخصم فان الله تبارك وتعالى يتوهبه منه وهو حبيبه ووليه وصفيه فرؤية
نفس الخطيئة في هذه المرتبة صنعت به هكذا فكيف كان يحل باعداء الله تعالى وبعصاته من خلقه
واهل حربه ولو عجلت لهم صحائفهم فنظروا الى تلك الصحائف وقد اخبر الله عنهم فقال فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فداود
صلوات الله عليه وسلم مع المغفرة والبشرى لو احطه لم يعتم لرؤية صورتها وقد روينا في
الحديث اذا راها يوم القيمة منقوشة في كفه قلق حتى يقال له ههنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له ههنا
ثم يرى فيقلق حتى يقرب فيسكن قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فيه خمس مسائل
الاولى قوله جعلناك خليفة اي ملكناك لتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من
الانبياء والائمة الصالحين وقد مضى في البقرة القول في الخليفة واحكام مستوفى الثانية قوله
تعالى فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل وهذا امر على الوجوب وقد ارتبط هذا بما قبله وذلك ان
الذي عوتب عليه داود طلب المراة من زوجها وليس ذلك بعدل فقيل له بعد هذا فاحكم بين الناس بالعدل
ولا تتبع الهوى اي لا تقتدي بهواك المخالف لامر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن طريق الجنة ان
الذين يضلون عن سبيل الله اي يحيدون عنها ويتركونها لهم عذاب شديد في النار بما نسوا
يوم الحساب اي بما تركوا من سلوك طريق الله فقوله نسوا اي تركوا الايمان به او تركوا العمل به فصاروا
كالناسين ثم قيل هذا لداود لما اكرمه الله بالنبوة وبعد ان تاب الله عليه وغفر خطيئته الثالثة
قال العلماء الاصل في الاقضية قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وقد مضى القول فيه الرابعة قال ابن عباس في قوله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
الله قال ان ارتفع لك الخصمان فكان لك في احدهما هوى فلا تشته في نفسك الحق له ليفلج له
على صاحبه فان فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهل كرامتي فدل هذا على بيان
وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الى احد الخصمين لقرابة او رجاء نفع او سبب يقتضي الميل من صحبة او صداقة
او غيرها وقال ابن عباس انما ابتلي سليمان بن داود عليهما السلام لانه تقدم اليه خصمان فهوي ان
يكون الحق لاحدهما وقال عبد العزيز بن ابي رواد بلغني ان قاضيا كان في زمن بني اسرائيل بلغ من اجتهاده
ان طلب الى ربه ان يجعل بينه وبينه علما اذا هو قضى بالحق عرف ذلك واذا قصر عرف ذلك فقيل له
ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك ثم انظر كيف تبلغ اصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا
فاذا انت قمت من مجلس القضاء فارجع الى ذلك الخط فامدد يدك اليه فانك متى كنت على الحق فانه
ستبلغه وان قصرت عن الحق قصر بك فكان يغدو الى القضاء وهو مجتهد فكان لا يقضي
الا بالحق واذا قام من مجلسه وفرغ لم يذق طعاما ولا شرابا ولم يفض الى اهله بشيء من الامور حتى
ياتي ذلك الخط فاذا بلغه حمد الله وافضى الى كل ما احل الله له من اهل او مطعم او مشرب فلما كان
ذات يوم وهو في مجلس القضاء اقبل اليه رجلان يريدانه فوقع في نفسه انهما يريدان ان يختصما اليه و
كان احدهما صديقا له وخدنا فتحرك قلبه اليه فلما قام من مجلسه ذهب الى خطه كما كان يذهب
كل يوم فمد يده الى الخط فاذا الخط ذهب وتشمر الى السقف فاذا هو لا يبلغه فخر ساجدا وهو

يقول

يقول يا رب شيئا لم اتعمده ولم اردده فبينه لي فقيل له احسبن الله لم يطلع على خيانة قلبك
حيث احببت ان يكون الحق لصديقك فتقضي له به قد اردته واحببته ولكن الله تعالى قد رد
الحق الى اهله وانت كاره وعن الليث قال تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا
فاقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما الي فوجدت لاحدهما ما لم اجد
لصاحبه فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك
ففصلت بينهما وقال الشعبي كان بين عمر وابي خصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا
عليه اشار لعمر الى وسادته فقال عمر هذا اول جورك اجلسني واياه مجلسا واحدا فجلسا
بين يديه الخامسة هذه الاية تمنع من حكم الحاكم بعلمه لان الحكام لو مكنوا ان يحكموا بعلمهم
لم يشأ احدهم اذا اراد ان يحفظ وليه ويهلك عدوه الا ادعى علمه فيما حكم به ونحو ذلك روي
عن جماعة من الصحابة منهم ابو بكر قال لو رايت رجلا على حد من حدود الله ما اخذته بما يشهد
على ذلك عندي وروي ان امراة جاءت الى عمر فقالت له احكم لي على فلان بكذا فانك تعلم ما
لي عنده فقال لها ان اردت ان اشهد لك فنعم واما الحكم فلا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اشترى
فرسا فجحده البايع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي فقام خزيمة فشهد فحكم خرج الحديث
ابو داود وغيره وقد مضى في البقرة قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا اي
هزوا ولعبا اي ما خلقناهما الا لامر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا ذلك ظن الذين كفروا فويل
للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال ام نجعل الذين امنوا الميم صلة تقديره انجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض فكان هذا ردا على المرجئة لانهم يقولون يجوز ان
يكون المفسد كالصالح او ارفع درجة منه وبعده ايضا ام نجعل المتقين كالفجار ام نجعل
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالكفار قاله ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين والمتقين و
الفجار والكافرين وهو احسن وهو رد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي الى
شيء واحد قوله تعالى كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد ليدبروا اي ليتدبروا فادغمت التاء
في الدال وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القران ودليل على ان الترتيل افضل من الهذ
اذ لا يحصل التدبر مع الهذ على ما بيناه في كتاب التذكار وقال الحسن تدبر ايات الله اتباعها وقراءة
العامة ليدبروا وقرا ابو جعفر وشيبة لتدبروا بتاء وتخفيف الدال وهي قراءة علي رضي الله عنه
والاصل لتتدبروا فحذف احدى التاءين تخفيفا وليتذكر اولو الالباب اي اصحاب العقول واحدها
لب وقد جمع على البب كما جمع بؤس على ابؤس ونعم على انعم قال ابو طالب قلبي اليه مشرف الالبب وربما
اظهروا التضعيف في ضرورة الشعر قال الكميت اليكم ذوي ال النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والبب
قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب لما ذكر داود ذكر سليمن واواب معناه
مطيع اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد يعني الخيل جمع جواد للفرس اذا كان شديد الحضر
كما يقال للانسان جواد اذا كان كثير العطية غزيرها يقال قوم اجواد وخيل جياد جاد الرجل
بماله يجود جودا فهو جواد وقوم جود مثل قذال وقذل وانما سكنت الواو لانها حرف علة و
اجواد واجاود وجوداء وكذا امراة جواد ونسوة جود مثل نوار ونور قال الشاعر صناع باشفاها
حصان بشكرها ... جواد بقوت البطن والعرق زاخر ... وتقول سرنا عقبة جوادا وعقبتين جوادين
وعقبا جيادا واجاد الفرس اي صار رابعا يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل

جياد واجياد واجاويد وقيل انها الطوال الاعناق ماخوذة من الجيد وهو العنق لان طول
اعناق الخيل من صفات فراهتها وفي الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها قال
العتبي والعوا الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او من غيرها ومنه ماروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من سره ان يقوم له الرجال صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام
حكاه قطرب ايضا وانشد قول النابغة لنا قبة مضروب بفنائها • عتاق المهاري والجياد الصفون
وهذا قول قتادة الثاني ان صفونها رفع احدي اليدين على طرف الحافر حتي يقوم على ثلاث كما
قال الشاعر الف الصفون فما يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا وقال عمرو بن كلثوم تركنا
سلمية مقلدة اعنتها صفونا • وهذا قول مجاهد وقال الكلبي غزا سليمن اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فارس وقال مقاتل ورث سليمان من ابيه الف فرس وكان ابوه اصابها من
العمالقة وقال الحسن بلغني انها خيل خرجت من البحر لها اجنحة وقال الضحاك وانها كانت خيلا
خرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات اجنحة ابن زيد اخرج الشيطان لسليمان الخيل من مروج
البحر وكانت لها اجنحة وكذلك قال علي رضي الله عنه كانت عشرين فرسا ذات اجنحة وقيل كانت
مائة فرس وفي الخبر عن ابرهيم التيمي انها كانت عشرين الفا والله اعلم قوله اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي يعني بالخير الخيل والعرب تسميها كذلك وتعاقب بين الراء واللام فتقول انهملت
العين وانهمرت وختلت وخترت اذا خدعت قال الفرا الخير في كلام العرب والخيل واحد
النحاس وفي الحديث الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة فكانها سميت خيرا لهذا وفي الحديث
لما وفد زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير ان الله عرض على ادم جميع الدواب
وقيل له اختر منها واحدا فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك فصار اسمه الخير من هذا الوجه وسمي
خيلا لانها موسومة بالعز وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو افتراس الاسد وثبانا ويقطعها
كالالتهام بيديه على شيء خبطا وتناولا وسمي عربيا لانه جاء به من بعد ادم لاسمعيل جزا على رفع
قواعد البيت واسمعيل عربي فصارت له نحلة من الله فسمي عربيا وحب مفعول في قول الفرا
المعنى اني اثرت حب الخير وغيره يقدره مصدر اضيف الى المفعول اي احببت حب الخير حبا فالها
ني عن ذكر ربي وقيل ان معنى احببت قعدت وتاخرت من قولهم احب البعير اذا برك وتاخر واحب
فلان طاطا راسه قال ابو زيد يقال بعير محب وقد احب احبابا وهو ان يصيبه مرض او كسر فلا
يبرح مكانه حتى يبرا او يموت وقال ثعلب يقال ايضا للبعير الحسير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربي
وحب على هذا مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان احببت بمعنى لزمت من قوله
مثل السو اذ احبا حتى توارت بالحجاب يعني الشمس كناية عن غير مذكور ومثله قوله تعالى ما ترك على
ظهرها من دابة اي على ظهر الارض وتقول العرب هاجت باردة اي هاجت الريح باردة وقال
الله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم اي بلغت النفس الحلقوم وقال انها ترمي بشرر وكم يتقدم للنار
ذكر وقال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء او دليل الذكر وقد جرى هيهنا ذكر الدليل
وهو العشي والعشي ما بعد الزوال والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب جبل اخضر محيط
بالخلايق قاله قتادة وكعب وقيل هو من جبل قاف وقيل جبل دون قاف والحجاب الليل سمي حجابا لانه
يستر ما فيه وقيل حتى توارت اي الخيل في المسابقة وذلك ان سليمان كان له ميدان يسابق عليه
بين الخيل حتى توارت عنه وتغيب عن عينيه في المسابقة لان الشمس لم يجر لها ذكر وذكر النحاس ان
سليمن عليه السلم كان في صلاة فجيء اليه بخيل لتعرض عليه غنمت فاشار بيده لانه كان يصلي حتى

توارت

توارت وسترها جدر الاصطبلات فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق مسحا اي فاقبل
يمسحها مسحا وفي معناه قولان احدهما انه اقبل يمسح سوقها واعناقها بيده اكراما منه لها ف
ليرى ان الجليل لا يقبح ان يفعل مثل هذا بخيله وقال قايل هذا القول كيف يقتلها وفي ذلك
افساد المال ومعاقبة من لا ذنب له وقيل المسح هيهنا هو القطع اذن له في قتلها قال الحسن و
الكلبي ومقاتل صلى سليمان الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه وكانت الف فرس
فعرض عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم
بذلك هيبة له فاغتم فقال ردوها علي فردت فعقرها بالسيف قربة لله وبقي منها مائة فما في
ايدي الناس من الخيل العتاق من نسل تلك وقال القشيري وقيل ما كان في ذلك الوقت صلاة
ظهر ولا صلاة عصر بل كان تلك الصلاة نافلة فشغل عنها وكان سليمان رجلا مهيبا فلم
يذكره احد ما نسي من الفرض او النفل وظنوا التاخر مباحا فتذكر سليمن تلك الصلاة الفايتة
وقال على سبيل التلهف اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي عن الصلاة وامر برد الخيل اليه وامر
بضرب عراقيبها واعناقها ولم يكن ذلك معاقبة للخيل اذ ذبح البهايم جايز اذا كانت ماكولة بل
عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة ولعله عرقبها ليذبحها فحبسها بالعرقبة
عن النفار ثم ذبحها ليتصدق بلحمها اولان ذلك كان مباحا في شرعه فاتلفها لما شغلته عن ذكر الله
حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله فاثنى الله عليه بهذا وبين انه اثابه بان سخر له الريح فكان
يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على الخيل في شهرين غدوا ورواحا وقد قيل ان
الهاء في قوله ردوها علي للشمس لا للخيل قال ابن عباس سالت عليا عن هذه فقال ما بلغك فيها
فقلت سمعت كعبا يقول ان سليمان لما اشتغل بعرض الخيل حتى توارت الشمس بالحجاب وفاتته الصلاة
قال اني احببت حب الخير اي اثرت حب الخير عن ذكر ربي الاية ردوها علي يعني الافراس وكانت اربع عشرة
فضرب سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل فقال علي
ابن ابي طالب كذب كعب لكن سليمن اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت اي غربت الشمس بالحجاب
فقال بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس يعني ردوها فردوها حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء
الله لا يظلمون لانهم معصومون قلت الاكثر في التفسير ان التي توارت بالحجاب هي الشمس وتركها
لدلالة السامع عليها بما ذكر بما يرتبط بها ويتعلق بذكرها حسب ما تقدم بيانه وكثيرا ما يضمرون
الشمس حتى قال لبيد حتى اذا القت يدا في كافر • واجن عورات الثغور • والهاء في ردوها للخيل ومسحها قال
الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها ويكشف الغبار عنها حبا لها وقاله ابن عباس والحسن و
قتادة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رئي وهو يمسح وجه فرسه بردائه وقال اني عوتبت
الليلة في الخيل خرجه الموطا عن يحيى بن سعيد مرسلا وهو في غير الموطا مسندا متصلا عن مالك عن
يحيى بن سعيد عن انس وقد مضى في الانفال قوله عليه الصلاة والسلام وامسحوا بنواصيها واكفالها
وروى ابن وهب عن مالك انه مسح اعناقها وسوقها بالسيوف قلت وقد استدل الشبلي وغيره من
الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا وهو استدلال فاسد لانه لا يجوز ان
ينسب الى نبي معصوم انه يفعل الفساد والمفسرون اختلفوا في معنى الاية فمنهم من قال مسح على
اعناقها وسوقها اكراما لها وقال انت في سبيل الله فهذا اصلاح ومنهم من قال عرقبها ثم ذبحها
وذبح الخيل واكل لحمها جايز وقد مضى في النحل بيانه وعلى هذا فما فعل شيئا عليه فيه جناح فاما
افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجايز ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون

في شرعنا وقد قيل انما فعل بالخيل ما فعل باباحة الله له ذلك وقد قيل انه مسحه اياها وسمها بالكي
وجعله في سبيل الله وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست بمحل الوسم بحال وقد
يقال للكي على الساق علاط وعلى العنق وثاق والذي في الصحاح للجوهري علط البعير علطا كواه في عنقه
بسمة العلاط والعلاطان جانبا العنق قلت ومن قال لان الهاء في ردوها ترجع للشمس فذلك من
معجزاته وقد اتفق مثل ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل
العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت من الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال الطحاوي
وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات قلت وضعف ابو الفرج الجوزي هذا الحديث فقال و
غلو الرافضة في حب علي حتى حملهم ان وضعوا احاديث كثيرة في فضائله منها الشمس غابت ففاتت علي
العصر فردت له الشمس وهذا من حيث النقل محال ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع
متجدد لا يرد الوقت ومن ان الهاء ترجع الى الخيل تبعد عن عين سليمان في الساق ففيه دليل على
المسابقة بالخيل وهو امر مشروع وقد مضى القول فيه في يوسف قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الاية
قال فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ذكره الزمخشري و
فتنا ابتليناه وعاقبناه وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اختصم الى سليمان عليه السلام
فريقان احدهما من اهل جرادة امراة سليمان وكان يحبها فهوى ان يقع القضا لهم ثم قضى بينهما
بالحق فاصابه الذي اصابه عقوبة لذلك الهوى وقال سعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن
الناس ثلثة ايام لا يقضي بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحى الله اليه اني لم استخلفك
عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم وقال شهر بن حوشب ووهب بن منبه ان سليمان
سبا ابنت ملك غزاه في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون فالقيت عليه وهي تعرض عنه لا
تنظر اليه الا شزرا ولا تكلمه الا نزرا وكان لا يرقا لها دمع حزنا على ابيها وكانت في غاية من الجمال
ثم انها سالته ان يصنع لها تمثالا على صورة ابيها حتى تنظر اليها فامر فصنع لها فعظمته وسجدت
له وسجد له جواريها وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتى مضت اربعون ليلة وفشا خبره
في بني اسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذره في البحر وقيل ان سليمان لما اصاب بنت الملك
صيدون واسمها جرادة فيما ذكر الزمخشري اعجبته فعرض عليها الاسلام فابت فخوفها فقالت
اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوت اربعين يوما في خفية من
سليمان الى ان اسلمت فعوتب عليها سليمان بزوال ملكه اربعين يوما وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل
بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه في شي من حيض او غيره وقيل انه امر ان لا
تتزوج امراة الا من بني اسرائيل فتزوج امراة من غيرهم فعوقب على ذلك والله اعلم قوله تعالى
والقينا على كرسيه جسدا قيل شيطان في قول اكثر اهل التفسير القى الله شبه سليمان عليه واسمه
صخر بن عمير صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر سليمان ببناء بيت المقدس فصوتت
الحجارة لما صنعت بالحديد فاخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والفصوص وغيرها ولا
تصوت قال ابن عباس كان ماردا لا تقوى عليه جميع الشياطين ولم يزل يحتال حتى ظفر بخاتم
سليمان وكان سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امراة
من نساء سليمان ام ولده يقال لها الامينة قاله شهر بن حوشب وقال ابن عباس وابن جبير اسمها جرادة

فقام

فقام اربعين يوما على ملك سليمان وسليمان هارب حتى رد الله عليه الخاتم والملك وقال
سعيد بن المسيب كان سليمان قد صنع خاتمه تحت فراشه فاخذه الشيطان من تحته وقال
مجاهد اخذه الشيطان من يد سليمان لان سليمان سال الشيطان وكان اسمه اصف كيف
تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى اخبرك فاعطاه خاتمه فلما اخذ الشيطان
الخاتم جلس على كرسي سليمان متشبها بصورته داخلا على نسائه يقضي بغير الحق ويامر بغير الصواب
واختلف في اصابته لنساء سليمن فحكي عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان ياتيهن في
حيضهن وقال مجاهد منع من اتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا الى ساحل البحر
يتضيف الناس ويحمل السمك للصيادين بالاجر واذا اخبر الناس انه سليمن كذبوه وقال قتادة
ثم ان سليمان بعد ان استنكر بنو اسرائيل حكم الشيطان اخذ حوتة من صياد قيل انه استطعمها
وقال ابن عباس اخذها اجرة في حمل حوت وقيل ان سليمان صاده فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها
وذلك بعد اربعين يوما من زوال ملكه وهي عدد الايام التي عبد الصنم في داره وانما وجد
الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان الذي القاه في البحر وقال علي ابن ابي طالب بينما سليمان على شاطئ
البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه وقال جابر بن عبد الله قال
النبي صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمن بن داود لا اله الا الله محمد رسول الله وحكى يحيى عن
ابي عمرو الشيباني ان سليمن وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها الى بيت المقدس تواضعا لله تعالى
قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان لما رد الله عليه ملكه اخذ صخرا الذي اخذ خاتمه ونقر له صخرة و
ادخله فيها وسد عليه باخرى واوثقها بالحديد والرصاص وختم عليه بخاتمه والقاها في
البحر وقال هذا محبسك الى يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان الخاتم اقبلت اليه
الشياطين والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب الشيطان الذي خلف في اهله فاتى جزيرة
في البحر فبعث اليه الشياطين فقالوا لا نقدر عليه ولكنه يرد عينا في الجزيرة في كل سبعة ايام يوما
ولا نقدر عليه حتى يسكر قال فنزح سليمان ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فاذا هو
بالخمر فقال والله انك لشراب طيبة الا انك تطيشين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش عطشا
شديدا ثم اتاها فقال مثل مقالته ثم شربها فغلبت على عقله فاروه الخاتم فقال سمعا و
طاعة فاتوا به سليمان فاوثقه وبعث به الى جبل فذكروا انه جبل الدخان فقالوا ان الدخان
الذي ترون من نفسه والما الذي يخرج من الجبل من بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان
اصف وقال السدي اسمه حبقيق فالله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان الشيطان لا يتصور
بصورة الانبياء ثم من المحال ان يلتبس على اهل مملكته سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا
انهم مع نبيهم في حق وهم مع الشيطان في باطل وقيل ان الجسد ولد ولد لسليمان وانه لما
ولد اجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ابن لم ننفك مما نحن فيه من البلاء و
السخرة فتعالوا نقتل ولده او نخبله فعلم سليمن ذلك فامر الريح حتى حملته الى السحاب وغدا
ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشياطين فعاقبه الله بخوفه من الشياطين فلم يشعر الا و
قد علا كرسيه ميتا قال معناه الشعبي فهو الجسد الذي قال الله والقينا على كرسيه جسدا و
حكى النقاش وغيره ان اكثر ما وطي سليمن جواريه طلبا للولد فولد نصف انسان فهو كان
الجسد الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فالقته هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس

مجاهدٌ في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعًا فلم
تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا اجمعون وقيل ان الجسد هو آصف بن برخيا الصديق كاتب سليمان
وذلك ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده اليه فسقط فايقن
بالفتنة فقال له اصف انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك ففر الى الله تعالى تائبًا
وانا اقوم مقامك في عالمك الى ان يتوب الله عليك ولك من حين افتتنت اربعة عشر يومًا
ففر سليمان هاربًا الى ربه واخذ اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وكان عنده علم من
الكتاب واقام اصف في ملك سليمان وعياله يسير بسيره ويعمل بعمله الى ان رجع سليمان الى منزله
تائبًا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام اصف من مجلسه وجلس على كرسيه واعاد الخاتم
وقيل الجسد سليمان نفسه وذلك انه مرض مرضا شديدًا حتى صار جسدًا وقد يوصف به المريض المضنى
فيقال كالجسد الملقى صفة كرسي سليمن وملكه روي عن ابن عباس قال كان سليمن يوضع له ستمائة
كرسي ثم يجي اشراف الناس فيجلسون مما يليه ثم ياتي اشراف الجن فيجلسون مما يلي الانس ثم يدعو الطير
فتظلهم ثم يدعو الريح فتنقلهم وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر وقال وهب وكعب وغيرهما
ان سليمان لما ملك بعد ابيه امر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضا وامر ان يعمل بديعًا مهولًا بحيثًا
اذا راه مبطل او شاهد زور ارتدع وتهيب فامر ان يعمل من انياب الفيلة مفصصة بالدر و
الياقوت والزبرجد وان يحف بنخل الذهب فحف باربع نخلات شماريخها الياقوت والزمرد
الاخضر على راس نخلتين منهما طاووسان من ذهب وعلى راس النخلتين نسران من ذهب بعضها
يقابل بعضًا وجعلوا في جنبتي الكرسي اسدين من ذهب على راس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر
وقد عقدوا على النخلات اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر
بحيث اظل عريش الكروم النخل والكرسي وكان سليمان اذا اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة
السفلى فيستدير الكرسي عليه بما فيه دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس اجنحتها
وتبسط الاسدان ايديهما وتضربان الارض باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان
فاذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على راسه ثم يستدير
الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والاسدان مايلان برؤسهما الى سليمن وينضح
عليه من اجوافهن المسك والعنبر ثم تناول حمامة من ذهب قايمة على عمود من اعمدة الجواهر فوق
الكرسي التورية فيفتحها سليمن ويقراها على الناس ويدعوهم الى فصل القضا قالوا ويجلس عظماء
بني اسرائيل على كراسي الذهب المفصصة بالجواهر وهي الف كرسي عن يمينه ويجلس عظماء الجن على كراسي
الفضة عن يساره وهي الف كرسي ثم يحف بهم الطير تظلهم ويتقدم الناس لفصل القضا فاذا تقدمت
الشهود للشهادة دار الكرسي بما فيه وعليه دوران الرحى المسرعة ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان
الارض باذنابهما وينشر النسران والطاووسان اجنحتهما فتفزع الشهود فلا يشهدون الا بالحق وقيل
ان الذي كان يدور بذلك الكرسي تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله له صخر الجني
فاذا احست بدورانه تلك النسور والاسد والطواويس التي في اسفل الكرسي الى اعلاه درن معه فاذا
وقف وقفن كلهن واقفات على راس سليمان وهو جالس ثم ينضحن جميعًا على راسه ما في اجوافهن من
المسك والعنبر فلما توفي سليمان بعث بخت نصر فاخذ الكرسي فحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد
عليه ولم يكن له علم فكيف يصعد عليه فلما وضع رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان

اذا صعد وضع قدميه جميعًا ومات بخت نصر وحمل الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك
ان يجلس عليه ولكن لم يدر احد عاقبة امره ولعله رفع ثم اناب اي رجع الى الله وتاب
وقد تقدم قال رب اغفر لي ذنبي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يقال كيف
اقدم سليمان على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى وبغضه فيها وحقارتها لديه فالجواب
ان ذلك محمول عند العلماء على اداء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه وترتيب منازل خلقه
واقامة حدوده والمحافظة على رسومه وتعظيم شعائره وظهور عبادته ولزوم طاعته ونظم
قانون الحكم النافذ عليهم منه وتحقيق الموعود في انه يعلم ما لا يعلم احد من خلقه حسب ما خرج
بذلك للملائكة فقال اني اعلم ما لا تعلمون وحاشا سليمان عليه السلم ان يكون سؤاله طلبًا
لنفس الدنيا لانه هو والانبياء ازهد خلق الله فيها وانما سال مملكتها الله كما سال نوح دمارها
وهلاكها فكانا محمودين مجابين الى ذلك فاجيب نوح فاهلك من عليها واعطي سليمان المملكة
وقد قيل ان ذلك كان بامر من الله عز وجل على الصفة التي علم انه لا يضبطه الا هو وحده دون سائر
عباده واراد ان يقول ملكا عظيمًا فقال لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا فيه نظر والاول اصح
ثم قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال الحسن ما من احد الا ولله عليه
تبعة من نعمه غير سليمان بن داود فانه قال هذا عطاؤنا الاية وهذا يرده ما روي في الخبر
اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلم لمكان ملكه في الدنيا وفي بعض الاخبار
يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا ذكره صاحب القوت وهو حديث لا اصل له لانه سبحانه
اذا كان عطاؤه لا تبعة فيه لانه من طريق المنة فكيف يكون اخر الانبياء دخولا الجنة وهو سبحانه
وتعالى يقول وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وفي الصحيح لكل نبي دعوة مستجابة وقد تقدم
فجعل له من قبل السؤال حاجة مقضية فكذلك لم يكن عليه تبعة وقوله لا ينبغي من بعدي ليكون محله
وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السماء والارض فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لهم منافس في
المحل عنده فكل يحب ان يكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا لما اخذ النبي صلى
الله عليه وسلم العفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه اراد ربطه ثم تذكر
قول اخيه سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده خاسئا فلو اعطي احدا
مثله ذهبت الخصوصية بعد ان علم ان الشي هو الذي خص به من سخرة الجن وانه اجيب الى انه لا يكون
لاحد بعده والله اعلم فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة مع قوتها وشدة هبها
لا تضر باحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكان موكبه فيما روي فرسخا في فرسخ مائة درجة
بعضها فوق درجة صنف من الناس وكان هو في اعلاه درجة مع جواريه وحشمه وخدمه صلوات الله
وسلامه عليه وذكر ايوب حدثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس عن وهب بن منبه قال حدثني ابي قال
كان لسليمان بن داود عليهما السلم الف بيت اعلاه قوارير واسفله حديد فركب الريح يومًا فمر
بحراث فنظر الحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيمًا فحملت الريح كلامه فالقته في اذن سليمان
فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة
واحدة يقبلها الله منك خير مما اوتي ال داود فقال الحراث اذهب الله همك كما اذهبت همي
حيث اصاب اي اراد قاله مجاهد والعرب تقول اصاب الصواب واخطا الجواب
قاله ابن الاعرابي اصاب الكلام فلم يستطع فاخطا الجواب لدى المفصل وقيل اراد
بلغة حمير وقال قتادة هو بلسان هجر وقيل حيث اصاب حيث ما قصده وهو ماخوذ من اصابة

النهم الغرض المقصود والشياطين كل بناء وغواص اي وسخرنا له الشياطين وما سخرت لاحد من قبله كل بناء بدل من الشياطين اي كل بناء منهم فهم يبنون له ما يشاء قال الاسليمان اذ قال للجليل له فتمر في البرية فاحددها عن الفند وحبس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد وغواص يغوص يعني في البحر يستخرجون له الدر فسليمان اول من استخرج له اللؤلؤ من البحر واخرين مقرنين في الاصفاد اي وسخرنا مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد وقيود الحديد قال قتادة والسدي في الاغلال ابن عباس في وثاق ومنه فاتوا بالنهاب وبالسبايا وابناء الملوك مصفدينا قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم ولم يسخرهم هذا عطاؤنا الاشارة الى الملك اي هذا الملك عطاؤنا فاعط من شئت و امنع من شئت لا حساب عليك عن الحسن والضحاك وغيرهما قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه فيها تبعة الا سليمن عليه السلم فان الله يقول هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقال قتادة الاشارة في قوله تعالى هذا عطاؤنا الى ما اعطيه من القوة على الجماع وكانت له ثلثماية امراة و سبعماية سرية وكان في ظهره ماية رجل رواه عكرمة عن ابن عباس ومعناه صحيح في البخاري وعلى هذا فامنن من المني يقال امنى يمني ومنى يمني لغتان فاذا امرت من امنى قلت امن وقلت من منى يمني في الامر فاذا جئت بنون الفعل بنون الحقيقة قلت امنن ومن ذهب به الى المنة قال من عليه فاذا اخرجه مخرج الامر ابرز النونين لانه كان مضاعفا فقال امنن فيروى في الخبر انه سخر له الشياطين فمن شاء من عليه بالعتق والتخلية وان شاء امسكه وقال قتادة والسدي على ما روى عكرمة عن ابن عباس اي جامع من شئت من نسائك واترك جماع من شئت منهن لا حساب عليك وان له عندنا لزلفى و حسن مآب اي انعمنا عليه في الدنيا فله في الاخرة قربة وحسن مرجع واذكر عبدنا ايوب امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره ايوب بدل اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وقرا عيسى بن عمر اني بكسر الهمزة قال الفرا واجمعت القراء على ان قروا بنصب بضم النون والتخفيف النحاس وهذا غلط وبعده مناقضة وغلط ايضا لانه قال اجمعت القراء على هذا وحكى بعضهم انهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع انه قرا بنصب بفتح النون والصاد فغلط على ابي جعفر وانما قرا ابو جعفر بنصب بضم النون فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكي بنصب بفتح النون وكسر الصاد عن ابي جعفر وهذا كله عند اكثر النحويين النصب فنصب ونصب كحزن وحزن ويجوز ان يكون نصب جمع نصب كوثن ووثن و يجوز ان يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة فاما وماذح على النصب فقيل انه جمع نصاب وقال ابو عبيدة وغيره النصب الشر والبلاء والنصب التعب والاعيا وقيل في معنى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي ما يلحقه من وسوسة لا غير والله اعلم وذكر النحاس وقيل ان النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه في ماله وفيه بعد وقال المفسرون ان ايوب كان روميا من البثنية و كنيته ابو عبد الله في قول الواقدي اصطفاه الله بالنبوة واتاه جملة عظيمة من الثروة من انواع الاموال والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا للعباد الله برا رحيما ولم يؤمن به الا ثلثة نفر وكان لابليس موقف من السماء السابعة في يوم من العام فوقف ابليس على عادته فقال الله له او قيل له عنه اقدرت على عبدي ايوب على شيء فقال يا رب وكيف اقدر منه على شيء وقد ابتليته بالمال و العافية فلو ابتليته بالبلاء والفقر ونزعت منه ما اعطيته لحال عن حاله ولخرج عن طاعتك قال الله لقد سلطتك على اهله وماله فانحط عدو الله فجمع عفاريت الجن فاعلمهم فقال قائل

منهم

منهم اكون اعصارا فيه نار اهلك ماله فجاء ايوب في صورة قيم ماله فاعلمه بما جرى فقال الحمد لله هو اعطاه وهو منعه ثم جاء قصره باهله وولده فاحتمل القصر من نواحيه حتى القاه على اهله وولده ثم جاء اليه واعلمه فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السماء فسبقته توبة ايوب قال يا رب سلطني على بدنه قال لقد سلطتك على بدنه الا على لسانه وقلبه وبصره فنفخ في جسده نفخة اشتعل فصار في جسده ثاليل فحكه باظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه فقال عند ذلك مسني الشيطان ولم يخلص الى شيء من حشوة البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو ياكل ويشرب فمكث كذلك ثلاث سنين فلما غلب ايوب اعترض لامراته في هيبة اعظم من هيبة بني ادم في القدر والجمال وقال لها انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت عليه حاله وماله وهم عندي وعرض لها في بطن الوادي ذلك كله في صورته اي اظهره لها فاخبرت ايوب فاقسم ان يضربها ان عافاه الله وذكروا كلاما طويلا في رجعته لوبره وتبريه من البلاء الذي نزل به وان النفر الثلثة الذين امنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه وقيل استغاث به مظلوم فلم ينصره فابتلي من سبب ذلك و قيل استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول فابتلي بذلك وقيل كان ايوب يغزو ملكا وكان له غنم في ولايته فداهنه لاجلها بترك غزوه فابتلي وقيل كان الناس يعدون امراته ويقولون نخشى العدوى وكانوا يستقذرونها فلهذا قال مسني الضر وامراته ليا بنت يعقوب فكان ايوب في زمن يعقوب عليهما السلم ذكر القولين الطبري قال ابن العربي ما ذكره المفسرون من ان ابليس كان له مكان في السماء السابعة يوما من العام فقول باطل لانه اهبط منها بلعنة وسخط الى الارض فكيف يرقى الى محل الرضا ويجول في مقامات الانبياء ويخترق السموات العلى ويعلو الى السابعة الى منازل الانبياء فيقف موقف الخليل ان هذا لخطب من الجهالة عظيم واما قولهم ان الله تعالى قال له هل قدرت من عبدي ايوب على شيء فباطل قطعا لان الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم جند ابليس الملعون فكيف يكلم من تولى اضلالهم واما قولهم ان الله تعالى قد سلطتك على ماله وولده فذلك ممكن في القدرة ولكن بعيد في هذه القصة وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حين سلط عليه فهو ابعد والباري سبحانه قادر على ان يخلق ذلك كله من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له لعنة الله عليه عين بالتمكين من الانبياء في اموالهم و اهليهم وانفسهم واما قولهم انه قال لزوجته انا اله الارض ولو تركت ذكر الله وسجدت انت لعافيته فاعلموا وانكم لتعلمون انه لو عرض لاحدكم وبه الم وقال هذا الكلام ما جاز عنده ان يكون الها في الارض وانه يسجد له وانه يعافي من البلاء فكيف ان يسترهب بزوجة نبي ولو كان زوجة سوداوي اقدم بربري ما ساغ ذلك عندها واما تصويره الاموال والاهل في واد للمراة فذلك ما لا يقدر عليه ابليس بحال ولا هو في طريق السحر فيقال انه من جنسه ولو تصور لعلمت المراة انه سحر كما نعلمه نحن وهي فوقنا في المعرفة بذلك فانه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين الناس وتصويره قال القاضي والذي جراهم على ذلك وتدعوا به الى ذكر هذا قوله تعالى اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فلما راوه قد شكى مس الشيطان اضافوا اليه من رايهم ما سبق من التفسير في هذه الاقوال وليس الامر كما زعموا والافعال كلها خيرها وشرها في ايمانها وكفرها طاعتها وعصيانها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ولا في خلق شيء غيرها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان موجودا منه خلقا ادبا

ادبنا به وتحمدنا اعلمناه وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته والخير في يديك والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابرهيم واذا مرضت فهو يشفين وقال الفتى للكليم وما انسانيه الا الشيطان واما قولهم انه استغاث به مظلوم فلم ينصره فمن لنا بصحة هذا القول ولا يخلو ان يكون قادرا على نصره فلا يحل لاحد ترك فيلام على انه عصى وهو منزه عن ذلك او كان عاجزا فلا شيء عليه في ذلك وكذلك قولهم انه منع فقيرا من الدخول ان كان علم به فهو باطل وان لم يعلم به فلا شيء عليه واما قولهم انه داهن على غنم الملك الكافر فلا تقل داهن ولكن قل دارى ودفع الكافر والظالم او الملك بالمال جائز نعم ويحسن الكلام قال ابن العربي ولم يصح في ايوب في امره الا ما اخبرنا الله عنه في كتابه في ايتين الاولى في قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر والثانية في ص اني مسني الشيطان بنصب وعذاب واما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه انه ذكره بحرف واحد الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل من جراد من ذهب الحديث واذا لم يصح عنه قرانا ولا سنة الا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع الى ايوب خبره ام على اي لسان سمعه والاسرائيليات موصوفة عند العلماء على البتات فاعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها اذنك فانها لا تعطي فكرك الا خيالا ولا تزيد فؤادك الا اختلالا وفي الصحيح واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسألون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم فلا والله ما راينا رجلا منهم يسالكم عن الذي انزل عليكم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطاء على عمر قراءته التوراة

اركض برجلك الركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض ثوبه وقال المبرد الركض التحريك ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن وفي الكلام اضمار اي قلنا له اركض قاله الكسائي وهذا لما عافاه الله هذا مغتسل بارد وشراب اي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه وقال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابية فاغتسل من احدهما فاذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه ونحوه عن الحسن ومقاتل قال مقاتل نبعت عين حارة فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا وقيل امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده والمغتسل الماء الذي يغتسل به قاله القتبي وقيل انه الموضع الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسلت بالماء والغسول الماء الذي يغتسل به او لذلك المغتسل يقول هذا مغتسل بارد وشراب والمغتسل الذي يغتسل فيه والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل واختلف كم بقي ايوب في البلاء فقال ابن عباس سبع سنين وتزك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بخت نصر وحول في السباع سبع سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين وقيل ثمان عشرة سنة رواه انس مرفوعا فيما ذكره الماوردي وذكر ابن المبارك اخبرنا يونس بن زيد عن عقيل بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من البلاء وذكر ان البلاء الذي اصابه كان به ثمان عشرة سنة وذكر الحديث القشيري وقيل اربعين سنة ووهبنا له اهله ومثلهم معهم تقدم

في الانبياء الكلام فيه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب اي عبرة لذوي العقول قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فيه سبع مسائل الاولى كان ايوب حلف في مرضه ان يضرب امراته مائة جلدة وفي سبب ذلك اربعة اقوال احدها ما حكاه ابن عباس ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته الى مداواة ايوب فقال اداويه على انه اذا برئ قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على ايوب بذلك فحلف ليضربها وقال ويحك ذلك الشيطان الثاني ما حكاه سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تاتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربها الثالث ما حكاه يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه وانه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربها ان عوفي وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيئا تحمله الى ايوب وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربها فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضرب به فاخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة وقيل الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب واليابس وقال ابن عباس انه اثكال النخل الجامع شماريخه الثانية تضمنت الاية جواز ضرب الرجل امراته تاديبا وذلك ان امراة ايوب اخطات فحلف ليضربنها مائة فامره الله تعالى ان يضربها بعثكول من عثاكيل النخل وهذا لا يجوز في الحدود وانما امر الله بذلك لئلا يضرب امراته فوق حد الادب وذلك انه ليس للزوج ان يضرب امراته فوق حد الادب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام واضربوهن ضربا غير مبرح على ما تقدم في النساء بيانه الثالثة واختلف العلماء في هذا الحكم هل هو عام او خاص بايوب وحده فروي عن مجاهد انه عام للناس ذكره ابن العربي وحكي عن القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى المهدوي عن عطاء ابن ابي رباح انه ذهب الى ان ذلك الحكم باق وانه اذا ضرب بمائة قضيب ونحوه ضربة واحدة بر وروي نحوه عن الشافعي وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقعد الذي حملت منه الوليدة وامر ان يضرب بعثكول فيه مائة شمروخ ضربة واحدة وقال القشيري وقيل لعطاء هل يعمل بهذا اليوم فقال ما انزل الله القران الا ليعمل به ويتبع ابن العربي وروي عن عطاء انه لايوب خاص وكذلك روى ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من حلف ليضرب عبده مائة ضربة فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر قال بعض علمائنا يريد مالك بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ان ذلك منسوخ بشريعتنا قال ابن المنذر وقد روينا عن علي انه جلد الوليد بن عقبة بسوط له طرفان اربعين جلدة وانكر مالك هذا وتلا قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب اصحاب الراي وقد احتج الشافعي لقوله بحديث وقد تكلم في اسناده قلت الحديث الذي احتج به الشافعي خرجه ابو داود في سننه قال احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة بن سهل بن حنيف انه اخبره عن بعض النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اشتكى رجل منهم حتى اضني فعاد جلده على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال من قومه يعودونه اخبرهم بذلك وقال استفتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني وقعت على جارية دخلت علي فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما راينا باحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا له مائة شمروخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الاية ولا يحنث قال ابن المنذر واذا حلف الرجل ليضربن

عبده مايتر ضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وابي ثور واصحاب الراي وقال مالك ليس
الا الضرب الذي يولم الرابعة قوله تعالى ولا تحنث دليل على الاستثناء في اليمين لا يرفع حكمها
اذا كان متراخيا وقد مضى القول فيه في المائدة يقال حنث في يمينه يحنث اذا لم يبر بها وعند
الكوفيين الواو مقحمة اي فاضرب لا تحنث الخامسة قال ابن العربي قوله تعالى فاضرب به ولا
تحنث يدل على احد وجهين اما ان يكون انه لم يكن في شرعهم كفارة وانما كان البر والحنث الثاني ان
يكون صدر منه نذر لا يمين واذا كان النذر معينا فلا كفارة فيه عند مالك وابي حنيفة وقال
الشافعي في النذر كفارة قلت قوله انه لم يكن في شرعهم كفارة فليس بصحيح فان ايوب عليه السلام لما بقي في
البلاء ثمان عشرة سنة كما في حديث ابن شهاب قال له صاحباه لقد اذنبت ذنبا ما اظن احدا بلغه
فقال ايوب عليه السلام ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين يتزاعمان كل
يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا ياثم احد يذكره
ولا يذكره الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وذكر الحديث فقد افادك هذا الحديث
ان الكفارة كانت من شرع ايوب وان من كفر عن غيره بغير اذنه فقد قام بالواجب وسقطت عنه الكفارة
السادسة استدل بعض جهال المتزهدة وطغام المتصوفة بقوله تعالى لايوب اركض برجلك على جواز
الرقص قال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج بارد لانه لو امر بضرب الرجل فرحا كان فيه شبهة وانما
امر بضرب الرجل حتى ينبع الماء قال ابن عقيل اين الدلالة في امر عند كشف البلاء بان يضرب برجله الارض
لينبع الماء اعجازا من الرقص ولئن جاز ان يكون تحريك الرجل قد نحاها بحكم الهوام دلالة على جواز
الرقص في الاسلام جاز ان يجعل قوله لموسى اضرب بعصاك الحجر دلالة على ضرب المخاد بالقضبان
نعوذ بالله من التلاعب بالشرع وقد احتج بعض قاصريهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا فحجل و
منهم من احتج بان الحبشة زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم والجواب اما الحجل فهو نوع من
المشي يفعل عند الفرح فاين هو والرقص وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي يفعل عند اللقاء للحرب
السابعة قوله تعالى انا وجدناه صابرا اي على البلاء نعم العبد انه اواب اي تواب رجاع مطاع و
سئل سفيان عن عبدين ابتلي احدهما فصبر وانعم على الاخر فشكر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى
اثنى على عبدين احدهما شاكر والاخر صابر ثناء واحدا فقال في وصف ايوب نعم العبد انه اواب وقال في
وصف سليمان نعم العبد انه اواب قلت وقد رد هذا القول صاحب القوت واستدل بقصة
ايوب في تفضيل الفقير على الغني وذكر كلاما كثيرا اشيد به كلامه وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من
كتاب منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد الانبياء من الانبياء
قبل البلاء وبعده وانما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظيم البلاء في جسده وكذلك الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم صبروا على ما امتحنوا وفتنوا فايوب عليه السلام دخل في البلاء على صفة فخرج منه كما
دخل فيه وما تغير منه حال ولا مقال وكذلك سليمان دخل في الملك وخرج منه وما تغير له
حال ولا مقال فقد اجتمع مع ايوب في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل بعضهم
بعضا وبهذا الاعتبار يكون الغني الشاكر والفقير الصابر سواء وهو كما قال سفيان والله اعلم وفي
حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب خرج لما كان يخرج من حاجته فاوحى الله اليه
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاغتسل فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما
كان ثم شرب فاذهب الله كل ما كان في جوفه من الم او ضعف وانزل الله عليه ثوبين من السماء

ابيضين فائتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي الى منزله وراث على امراته فاقبلت حتى لقيته
وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت اي يرحمك الله هل رايت هذا الرجل المبتلى قال من هو قالت
نبي الله ايوب اما والله ما رايت احدا قط اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني ايوب واخذ
ضغثا فضربها به فزعم ابن شهاب ان ذلك الضغث كان ثماما ورد الله اليه اهله ومثلهم
معهم فاقبلت سحابة حتى سجلت في اندر قمحه ذهبا حتى امتلا واقبلت سحابة اخرى الى اندر شعيره و
قطانيه فسجلت فيه ورقا حتى امتلا قوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن عباس
عبدنا باسناد صحيح رواه ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عنه وهي قراءة مجاهد وحميد وابن محيصن
وابن كثير وعلى هذه القراءة يكون ابرهيم بدلا من عبدنا واسحق ويعقوب عطف والقراءة
بالجمع ابين وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويكون ابرهيم وما بعده على البدل النحاس وشرح هذا
من العربية انك اذا قلت رايت اصحابنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الاصحاب
واذا قلت رايت صاحبنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد وحده بدل وهو صاحبنا وعمرو وخالد
عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة الا بدليل غير هذا غير انه قد علم ان قوله واسحق ويعقوب
داخل في العبودية وقد استدل بهذه الاية من قال ان الذبيح اسحق لا اسمعيل وهو الصحيح على
ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي عليه الصلاة والسلام اولي الايدي والابصار قال النحاس
اما الابصار فمتفق على تاويلها على البصائر في الدين والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها
فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب
النعم اي الذين انعم الله عليهم وقيل هم اصحاب النعم والاحسان لانهم قد احسنوا وقدموا
خيرا وهذا اختيار الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي الذين اصطفيناهم من الادناس
واخترناهم لرسالتنا والمصطفين جمع مصطفى والاصل مصتفى وقد مضى في البقرة عند قوله ان
الله اصطفى لكم الدين والاخيار جمع خير وقرا الاعمش وعبد الوارث والحسن وعيسى الثقفي اولي
الايد بغير ياء في الوصل والوقف على معنى اولي القوة في طاعة الله ويجوز ان يكون كمعنى قراءة الجماعة
وحذفت الياء تخفيفا قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قراءة العامة بخالصة منون
وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا نافع وشيبة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى
الدار بالاضافة فمن نون خالصة فذكرى الدار بدل منها التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا
الدار الاخرة ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس ويجوز ان يكون خالصة مصدرا لخالص وذكرى في موضع
رفع بانها فاعل والمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار تذكير الدار الاخرة ويجوز ان
يكون خالصة مصدرا لاخلصت فحذفت الزيادة فيكون ذكرى على هذا في موضع نصب التقدير
بان اخلصوا ذكرى الدار والدار يجوز ان يراد بها الدنيا اي ليذكروا الدنيا وليزهدوا وليخلصوا لهم
بالثناء الحسن عليهم كما قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها الاخرة وتذكير
الخلق بها ومن اضاف خالصة الى الدار فهي مصدر بمعنى الاخلاص والذكرى مفعول به اضيف
اليه المصدر اي باخلاصهم ذكرى ويجوز ان يكون المصدر مضافا الى الفاعل والخالصة مصدر
بمعنى الخلوص اي بان اخلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الاخرة او الدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد
معنى اخلصناهم بذكر الاخرة اي يذكرون الاخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا وقال
مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم قوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل و
كل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين

فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون
ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم
معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار قل هو نبا عظيم انتم عنه غافلون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ
يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
وكنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك
رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما
اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين
قوله واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل مضى ذكر اليسع في الانعام وذا الكفل في الانبياء وكل من
الاخيار اي ممن اختير للنبوة هذا ذكر يعني هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به في الدنيا
ابدا وان للمتقين لحسن مآب اي لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع في القيمة ثم بين
ذلك عز وجل بقوله جنات عدن والعدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام وقال
عبد الله بن عمرو جنة عدن قصر في الجنة له خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا
يدخله الا نبي او صديق او شهيد مفتحة لهم الابواب رفعت الابواب لانها اسم ما لم
يسم فاعله قال الزجاج اي مفتحة لهم الابواب منها وقال الفرا مفتحة لهم ابوابها واجاز
الفرا مفتحة لهم الابواب بالنصب قال الفرا اي مفتحة الابواب ثم جئت بالتنوين فنصبت و
انشد هو وسيبويه ونأخذ بعده بذناب عيش ، اجب الظهر ليس له سنام ، وانما قال مفتحة
ولم يقل مفتوحة لانها تفتح لهم بالامر لا باللمس قال الحسن تكلم انفتحي تنفتح انغلقي فتنغلق
وقيل تفتح الملائكة الابواب والله اعلم قوله تعالى متكئين فيها هو حال قدمت على العامل و
هو قوله يدعون في الجنات متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة اي بالوان الفواكه وشراب اي و
شراب كثير فحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا
ينظرون الى غيرهم وقد مضى في والصافات اتراب اي على سن واحد وميلاد امراة واحدة وقد
تساوين في الحسن والشباب بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن عباس يريد الادميات واتراب
جمع ترب وهو نعت لقاصرات لان قاصرات نكرة وان كان مضافا الى المعرفة والدليل على ذلك
ان الالف واللام يدخلانه كما قال من القاصرات الطرف لو دب محول ، من الذر فوق الاتب
منها لاثرا ، قوله تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب اي هذا الجزا الذي وعدتم به وقراءة
العامة بالتاء اي ما توعدون ايها المؤمنون وقرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب بالياء

على الخ

على الخبر وهي قراءة السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله وان للمتقين فهو خبر ليوم الحساب اي في
يوم الحساب قال الاعشى المهينين ما لهم لزمان السوء ، حتى اذا ما افاق افاقوا اي في زمان السوء
قوله تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد دليل على ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع كما قال عطاء غير
مجذوذ وقال لهم اجر غير ممنون قوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب لما ذكر ما للمتقين ذكر ما
للطاغين قال الزجاج هذا خبر ابتدا محذوف اي هذا الامر والامر هذا فيوقف على هذا قال ابن
الانباري هذا وقف حسن ثم يبتدي وان للطاغين اي وهم الذين كذبوا الرسل لشر مآب اي
منقلب يصيرون اليه ثم بين ذلك بقوله جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا لانفسهم
او بئس الفراش لهم ومنه مهد الصبي وقيل فيه حذف اي بئس موضع المهاد وقيل اي هذا الذي
وصفت لهؤلاء المتقين ثم قال وان للطاغين لشر مآب اي لشر مرجع فيوقف على هذا ايضا قوله
تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق هذا في موضع رفع بالابتداء وخبره حميم على التقديم و
التاخير اي هذا حميم وغساق فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا في موضع
رفع بالابتداء وفليذوقوه في موضع الخبر ودخلت الفاء للتنبيه الذي في هذا فيوقف على فليذوقوه
ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم
تجعلهما خبرا فرفعتهما على معنى هو حميم وغساق والفرا يرفعهما على معنى منه حميم وغساق وانشد
حتى اذا ما اضاء الصبح في غلس ، وغودر البقل ملوي ومحصود ، وقال اخر لها متاع واعوان غدون لها ،
قتب وغرب اذا ما افرغ انسحقا ، ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما
تقول زيدا اضربه والنصب في هذا اولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدي حميم وغساق على تقدير
هذا حميم وغساق وقراءة اهل المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين في وغساق
وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وغساق بالتشديد وهما لغتان بمعنى واحد في
قول الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد
قال هو اسم فاعل نقل للمبالغة نحو ضراب وقتال وهو فعال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق
قال ابن عباس هو الزمهرير يخوفهم ببرده وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده
وقال غيرهما انه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحره وقال عبد الله بن عمرو هو قيح غليظ لو وقع منه شيء
بالمشرق لانتن من في المغرب ولو وقع منه شيء بالمغرب لانتن من في المشرق وقال قتادة هو ما
يسيل من فروج الزناة ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح والنتن وقال محمد بن كعب
هو عصارة اهل النار وهذا القول اشبه باللغة يقال غسق الجرح يغسق غسقا اذا خرج منه
ماء اصفر قال الشاعر اذا ما تذكرت الحياة وطيبها ، الي جرى دمع من الليل غاسق ، اي بارد ويقال
ليل غاسق لانه ابرد من النهار وقال السدي الغساق الذي يسيل من اعينهم ودموعهم يسقونه مع
الحميم وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض النار فيسقونه والصديد الذي يخرج من جلودهم
والاختيار على هذا وغساق حتى يكون مثل سيال وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي
حمة من عقرب وحية وقيل هو ماخوذ من الظلمة والسواد والغسق اول ظلمة الليل وقد غسق
الليل يغسق اذا اظلم وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو
ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قلت وهذا اشبه بالاشتقاق الاول كما
بيناه الا انه يحتمل ان يكون الغساق مع سيلانه اسود مظلما فيصح الاشتقاق قوله تعالى واخر
من شكله ازواج قرا ابو عمرو واخر من شكله جمع اخرى مثل الكبرى والكبر الباقون واخر مفرد

منكر وانكر ابو عمرو واخر لقوله ازواج اي لا يخبر بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري اخر
قال ولو كان واخر لكان من شكلها وكلا الردين لا يلزم والقراءتان صحيحتان واخر اي وعذاب
اخر سوى الحميم والغساق من شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود هو الزمهرير وارتفع
واخر بالابتداء وازواج مبتدا ثان ومن شكله خبره والجملة خبر اخر ويجوز ان يكون واخر
مبتدا والخبر مضمر دل عليه هذا فليذوقوه حميم وغساق لان فيه دليلا على انه لهم فكانه
قال ولهم اخر ومن شكله ازواج صفة اخر فالمبتدا متخصص بالصفة وازواج مرفوع بالظرف
ومن قرا واخر اراد وانواع من العذاب اخر ومن جمع فهو يريد الزمهرير فعلى انه جعل الزمهرير
اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس لانه جعل الزمهرير الذي هو نهاية البرودة بازاء الجمع في قوله هذا
فليذوقوه حميم وغساق والضمير في شكله يجوز ان يعود الى الحميم او على الغساق ومعنى ولخر
من شكل ما ذكرنا ورفع اخر على قراءة الجمع بالابتداء ومن شكله صفة له وفيه ذكر يعود على
الابتداء وازواج خبر المبتدا ولا يجوز ان يحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله صفة لاخر وازواج
مرتفعة بالظرف كما جاء في الافراد لان الصفة لا ضمير فيها من حيث ترتفع ازواج بالظرف و
لا ضمير في الظرف والهاء في شكله لا تعود على اخر لانه جمع والضمير مفرد قاله ابو علي وازواج اي
اصناف والوان من العذاب وقال يعقوب الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل قوله تعالى
هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت
الخزنة للقادة هذا فوج يعني الاتباع والفوج الجماعة مقتحم معكم اي داخل النار معكم فقالت
السادة لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبة المسجد
وغيره وهو مذهب الدعا فلذلك نصب قال النابغة لا مرحبا بغد ولا اهلا به ٭ ان كان تفريق
الاحبة في غد ٭ وقال ابو عبيدة العرب لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك الارض ولا اتسعت انهم
صالوا النار قيل هو من قول القادة اي انهم صلوا النار كما صليناها وقيل هو من قول الملائكة
متصل بقولهم هذا فوج مقتحم معكم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش
ان الفوج الاول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر والفوج الثاني اتباعهم ببدر والظاهر
من الاية انها عامة في كل تابع ومتبوع انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان فبئس القرار
لنا ولكم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا قال الفرا من سوغ لنا هذا وسنه وقال غيره من
قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى المعاصي فزده عذابا ضعفا في النار وعذابا بدعائه
ايانا فصار ذلك ضعفا وقال ابن مسعود يعني عذابا ضعفا في النار الحيات والافاعي ونظير
هذه الاية قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قوله تعالى وقالوا يعني
المشركين ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ابن عباس يريدون اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم يقول ابو جهل اين بلال اين صهيب اين عمار اولئك في الفردوس ولا عجبا لابي جهل مسكين
اسلم ابنه عكرمة وابنته جويرية واسلمت امه واسلم اخوه وكفر هو قال ونور اضاء الارض
شرقا ومغربا ٭ وموضع رجلي منه اسود مظلم ٭ اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار قال مجاهد
اتخذناهم سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم الابصار فلم نعلم مكانهم قال الحسن كل ذلك
قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم في الدنيا محقرة لهم وقيل معنى ام زاغت عنهم
الابصار اي هم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي
يقرؤن من الاشرار اتخذناهم بحذف الالف في الوصل وكان ابو جعفر وشيبه ونافع وعاصم و

ابن عامر يقرؤن اتخذناهم بقطع الالف على الاستفهام وسقطت الف الوصل لانه قد استغني
عنها فمن قرا بحذف الالف لم يقف على الاشرار لان اتخذناهم حال وقال النحاس والسجستاني هو نعت
لرجال قال ابن الانباري وهذا خطا لان النعت لا يكون ماضيا ولا مستقبلا ومن قرا اتخذناهم
بقطع الالف وقف على الاشرار وقال الفرا والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب ام زاغت عنهم
الابصار اذا قرات بالاستفهام كانت ام للتسوية واذا قرات بغير الاستفهام فهي بمعنى بل وقرا
ابو جعفر ونافع وشيبه والمفضل وهبيرة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي سخريا بضم السين
الباقون بالكسر قال ابو عبيدة من كسر جعله من الهزو ومن ضم جعله من التسخير وقد تقدم ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار لحق خبر ان وتخاصم خبر مبتدا محذوف بمعنى هو تخاصم ويجوز ان يكون
خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا من ذلك على الموضع اي ان تخاصم اهل النار لحق يعني قولهم
لا مرحبا بكم الاية وشبهه من قول اهل النار قوله تعالى قل انما انا منذر اي مخوف عقاب الله لمن
عصاه وقد تقدم وما من اله اي معبود الا الله الواحد القهار الذي لا شريك له رب السموات و
الارض وما بينهما العزيز الغفار بالرفع على النعت وان نصبت الاول نصبته ويجوز رفع الاول
ونصب ما بعده على المدح والعزيز معناه المنيع الذي لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه
قوله تعالى قل هو نبا عظيم اي وقل لهم يا محمد هو نبا عظيم اي ما انذركم من الحساب والثواب
والعقاب خبر عظيم القدر فلا ينبغي لاحد ان يستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالى عم
يتساءلون عن النبا العظيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني القران الذي انباكم به خبر
جليل وقيل عظيم المنفعة انتم عنه معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون
الملا الاعلى هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر ادم حين خلق فقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها وقال ابليس انا خير منه وفي هذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عن قصة ادم
وغيره وذلك لا يتصور الا بتاييد الهي فقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم اعرضوا عن تدبر
القران ليعرفوا صدقه ولهذا وصل بقوله قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون وقول ثان رواه ابو الاشهب
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالني ربي فقال يا محمد فيما اختصم الملا الاعلى
قلت في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات قلت المشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ
الوضوء في السبرات والتعقيب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات قال وما الدرجات
قلت افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام خرجه الترمذي بمعناه
عن ابن عباس وقال فيه حديث حسن غريب وعن معاذ بن جبل ايضا وقال حديث حسن صحيح و
قد كتبناه بكماله في كتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله وقد
مضى في يس المشي الى المساجد وان الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملا الملائكة و
الضمير في يختصمون لفرقتين يعني قول من قال منهم الملائكة بنات وقيل الملا الاعلى هيهنا
قريش يعني اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع الله نبيه على ذلك ان يوحى الي الا انما انا نذير
مبين اي ان يوحى الي الا الانذار وقرا ابو جعفر بن القعقاع الا انما بكسر الهمزة لان الوحي
قول كانه قال يقال انما انت نذير مبين ومن فتحها جعلها في موضع رفع لانها اسم ما لم
يسم فاعله قال الفرا كانك قلت ما يوحى الي الا الانذار النحاس ويجوز ان تكون في موضع
نصب بمعنى الا لانما والله اعلم قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اذ من صلة يختصمون المعنى ما
كان لي من علم بالملا الاعلى حين يختصمون حين قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين و

قيل واذ قال ربك بدل من اذ يختصمون ويختصمون معلق محذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام
الملاء الاعلى وقت اختصامهم فاذا سويته اذا ترد الماضي الى المستقبل لانها تشبه حروف الشرط وجوابها
بجوابه اي خلقته ونفخت فيه من روحي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري فهذا معنى الاضافة
وقد مضى هذا المعنى مجردا في النساء في قوله في عيسى وروح منه فقعوا له ساجدين نصب على الحال
وهذا سجود تحية لا سجود عبادة وقد مضى في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون اي امتثلوا الامر
وسجدوا خضوعا له وتعظيما لله بتعظيمه الا ابليس انف من السجود له جهلا بان السجود له طاعة
لله والانفة من طاعته استكبار كفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى وقد
مضى الكلام في هذا في البقرة مستوفى قوله تعالى قال يا ابليس ما منعك اي صرفك ان تسجد اي
عن ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقه الى نفسه تكريما له وان كان خالق كل شيء وهذا كما اضاف
الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب الخلق بما يعرفونه في تعاملهم فان الرئيس من
المخلوقين لا يباشر شيئا بيده الا على سبيل الاعظام والتكرم فذكر اليد هنا بمعنى هذا قال مجاهد
اليد هنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت انا كقوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وقيل
التثنية في اليد تخلق الله تعالى على انه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة وانما هما صفتان من
صفات ذاته تعالى وقيل اراد باليد القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد وما لي بالحمل الثقيل يدان و
يدل عليه ان الخلق لا يقع الا بالقدرة بالاجماع وقال الشاعر تحملت من دلفا ما ليس لي يد ولا للجبال
الراسيات يدان وقيل لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة استكبرت اي عن السجود ام كنت من
العالين اي من المتكبرين على ربك وقرا محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير واهل مكة بيدي استكبرت
موصولة الالف على الخبر وتكون ام منقطعة بمعنى بل مثل ام يقولون افتراه وشبهه ومن استفهم
فام معادلة لهمزة الاستفهام وهو تقرير وتوبيخ اي استكبرت بنفسك حتى ابيت عن السجود لادم ام
كنت من القوم الذين يتكبرون فلهذا تكبرت قوله تعالى قال انا خير منه قال الفرا ومن العرب من
يقول انا اخير منه واشر وهذا هو الاصل الا انه حذف لكثرة الاستعمال خلقتني من نار وخلقته من
طين فضل النار على الطين وهذا جهل منه لان الجواهر متجانسة فقاس فاخطا القياس وقد مضى في
الاعراف بيانه قال فاخرج منها يعني الجنة فانك رجيم اي مرجوم بالكواكب والشهب وان عليك لعنتي
اي طردي وابعادي من رحمتي الى يوم الدين تعريف باصراره على الكفر لان اللعن ينقطع حينئذ
ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن قال رب فانظرني الى يوم يبعثون وهي النفخة الاخرة اراد
الملعون ان لا يموت فلم يجب الى ذلك واخر له فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم
يموت الخلق واخر اليه تهاونا به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لما طرده بسبب ادم حلف بعزة
الله ان يضل بني ادم بتزيين الشهوات وادخال الشبه عليهم فمعنى لاغوينهم لاستدعينهم
الى المعاصي وقد علم انه لا يصل الى الوسوسة ولا يفسد الا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا
قال الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى هذا
في الحجر قوله تعالى قال فالحق والحق اقول هذه قراءة اهل الحرمين واهل البصرة والكسائي وقرا ابن
عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزة برفع الاول واجاز فيه الفرا الخفض ولا اختلاف في
الثاني انه منصوب باقول ونصب الاول على الاغراء اي فاتبعوا الحق واستمعوا الحق والثاني بايقاع
القول عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اي افعله قال ابو علي الحق الاول منصوب بفعل مضمر اي يحق
الله الحق او على القسم وحذف حرف الجر كما تقول الله لافعلن ومجازه قال فبالحق وهو الله تعالى

اقسم

اقسم بنفسه والحق اقول جملة اعترضت بين القسم والمقسم عليه وهو توكيد القصة واذا جعل الحق
منصوبا باضمار فعل كان لاملان على ارادة القسم وقد اجاز الفرا وابو عبيد ان يكون
الحق منصوبا بمعنى حقا لاملان جهنم وذلك عند جماعة من النحويين خطا لا يجوز زيد لاضربن
لان ما بعد اللام مقطوع مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير على قولهما لاملان جهنم حقا
ومن رفع الحق رفعه بالابتداء اي فانا الحق والحق مني رويا جميعا عن مجاهد ويجوز ان يكون التقدير
هذا الحق وقول ثالث على مذهب سيبويه والفرا ان معنى فالحق لاملان جهنم بمعنى فالحق ان
املا جهنم وفي الخفض قولان وهي قراءة ابن السميقع وطلحة بن مصرف احدهما انه على حذف
حرف القسم هذا قول الفرا كما يقول الله عز وجل لاملان وقد اجاز مثل هذا سيبويه وغلطه فيه
ابو العباس ولم يجز الخفض لان حروف الخفض لا تضمر والا الاخر ان تكون الفاء
بدلا من واو القسم كما انشدوا فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا • لاملان جهنم منك اي من نفسك
وذريتك وممن تبعك منهم من بني ادم اجمعين قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر اي من جعل
على تبليغ الوحي وكناية من غير مذكور وقيل هو راجع الى قوله ءانزل عليه الذكر من بيننا وما
انا من المتكلفين اي لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر به وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ولا يتكلف فان قوله لا اعلم علم وقد قال عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وروى
الدارقطني من حديث نافع عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسار
ليلا فمروا على رجل جالس على مقراة له فقال له عمر يا صاحب المقراة اولغت السباع الليلة في
مقراتك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف لها ما حملت
في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور وفي الموطا عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ان عمر بن الخطاب
خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض يا صاحب
الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر بن الخطاب يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع و
ترد علينا وقد مضى القول في المياه في سورة الفرقان ان هو الا ذكر يعني القران للعالمين من الجن
والانس ولتعلمن نباه بعد حين اي نبا الذكر وهو القران انه حق بعد حين قال قتادة بعد
الموت وقاله الزجاج ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم القيامة وقال الفرا بعد الموت وقبله
ليظهر لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف اي اذا اخذتكم سيوف المسلمين قال السدي
وذلك يوم بدر وكان الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر وسئل عكرمة عمن حلف
ليصنعن كذا بعد حين قال ان من الحين ما لا تدركه لقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد الحين و
منه ما تدركه لقوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها من صرام النخل الى طلوعه ستة اشهر
وقد مضى القول في هذا في البقرة وابرهيم والحمد لله سورة الزمر وهي مكية خمس وسبعون اية
وقيل ثنتان وسبعون اية ويقال الغرف قال وهب بن منبه من احب ان يعرف قضاء الله
في خلقه فليقرا سورة الغرف وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر بن زيد و
قال ابن عباس الا ايتين نزلتا بالمدينة احدهما الله نزل احسن الحديث والاخرى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم الاية وقال اخرون الا سبع ايات من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم الى اخر سبع ايات نزلت في وحشي واصحابه على ما ياتي روى الترمذي عن عائشة

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا الزمر وبني اسرائيل بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له
الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له
الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات
الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو
اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل
اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قوله تعالى تنزيل
الكتاب رفع بالابتدا وخبره من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل قاله
الفرا واجاز الكسائي والفرا ايضا تنزيل بالنصب على انه مفعول به قال الكسائي اي اتبعوا واقرءوا
تنزيل الكتاب وقال الفرا هو على الاغراء مثل كتاب الله اي الزموا والكتاب القران سمي بذلك
لانه مكتوب قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي هذا تنزيل الكتاب من الله وقد
انزلناه بالحق اي بالصدق وليس بباطل وهزل فاعبد الله مخلصا فيه مسئلتان الاولى
مخلصا نصب على الحال اي موحدا لا تشرك به شيئا له الدين اي الطاعة وقيل العبادة وهو
مفعول به الا لله الدين الخالص اي الذي لا يشوبه شيء وفي حديث الحسن عن ابي هريرة ان رجلا قال
يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واصنع الشيء اريد به وجه الله وثناء الناس فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه ثم تلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا لله الدين الخالص وقد مضى هذا المعنى في البقرة والنسا والكهف مستوفى الثانية
قال ابن العربي هذه الاية دليل على وجوب النية الخالصة في كل عمل واعظمه الوضوء الذي هو
شطر الايمان خلافا لابي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان ان الوضوء يكفي من غير
نية وما كان ليكون من الايمان شطرا ولا ليخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر بغير نية قوله تعالى
والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني الاصنام والخبر محذوف اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق السموات والارض وانزل من
السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا
لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام في الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة والزلفى القربة اي ليقربونا اليه تقريبا فوضع زلفى موضع المصدر وفي قراءة ابن مسعود

وابن

وابن عباس ومجاهد والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وفي حرف ابي والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس
قال والحكاية في هذا بينة ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم القيمة فيما هم فيه
يختلفون فيجازي كلا بما يستحق ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من سبق له القضاء
بالكفر لم يهتدي اي للدين الذي ارتضاه وهو دين الاسلام كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا
وفي هذا رد على القدرية وغيرهم كما تقدم قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي هو
قادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعبادة لا ان يشرك
به ونبه بهذا على ان له ان يتعبد العباد بما شاء وقد فعل قوله تعالى يكور الليل على النهار و
يكور النهار على الليل قال الضحاك اي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة
وهو طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اي القى بعضه على بعض ومنه كور العمامة
وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الاية قال ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من
النهار دخل في الليل وهو معنى قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل تكوير
الليل على النهار تغشيته اياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل حتى يذهب ظلمته وهذا
قول قتادة وهو معنى قوله تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وسخر الشمس والقمر اي بالطلوع
والغروب لمنافع العباد كل يجري لاجل مسمى اي في فلكه الى ان تنصرم الدنيا وهو يوم القيمة حين
تنفطر السما وتنتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر
الى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي يسيران الى اقصى منازلهما ثم يرجعان الى
ادنى منازلهما لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة يس الا هو العزيز الغفار الا تنبيه
اي تنبهوا فاني انا العزيز الغالب الغفار اي الساتر لذنوب خلقه برحمته قوله تعالى خلقكم من
نفس واحدة يعني ادم عليه السلم ثم جعل منها زوجها يعني حوى ليحصل التناسل وقد مضى
هذا في الاعراف وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول لانها تكونت
بالنبات والنبات بالماء المنزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا
الاية وقيل انزل انشا وقال سعيد بن جبير خلق وقيل ان الله تعالى خلق هذه الانعام في الجنة
ثم انزلها الى الارض كما قيل في قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان ادم لما اهبط الى
الارض انزل معه الحديد وقيل انزل لكم اي اعطاكم وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق انما
يكون بامر ينزل من السماء فالمعنى خلق لكم كذا بامره النازل قال قتادة من الابل اثنين ومن
البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج وقد تقدم هذا يخلقكم في
بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم
عظما ثم لحما ابن زيد خلقا من بعد خلق خلقا في بطون امهاتكم بعد خلقكم في ظهر ادم وقيل
خلقا في ظهر الاب ثم خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد الوضع ذكره الماوردي في ظلمات ثلث
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة و
الضحاك وقال ابن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل والقول الاول اصح وقيل
ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المراة وظلمة الرحم وهذا مذهب ابي عبيدة اي لا تمنعه الظلمة
كما تمنع المخلوقين ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشياء هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون
اي كيف تنقلبون وتنصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقرا حمزة امهاتكم بكسر الهمزة والميم

والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم الباقون بضم الهمزة وفتح الميم قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني
عنكم شرط وجوابه ولا يرضى لعباده الكفر اي ان يكفروا اي لا يحب ذلك منهم وقال ابن عباس
والسدي معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله فيهم ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكقوله عينا يشرب بها عباد الله اي المؤمنون وهذا على قول من لا يفرق بين الرضى
والارادة وقيل لا يرضى الكفر وان اراد الله يريد الكفر من الكافر وباراده كفر ولا يرضاه ولا
يحبه فهو يريد كون ما لا يرضاه وقد اراد الله عز وجل خلق ابليس وهو لا يرضاه فالارادة غير
الرضى وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لكم لان تشكروا
يدل عليه وقد مضى القول في الشكر في البقرة وغيرها ويرضى بمعنى يثيب ويثني فالرضا على
هذا اما ثوابه فيكون صفة فعل لئن شكرتم لازيدنكم واما ثناؤه فهو صفة ذات و
يرضه بالاسكان في الهاء قرا ابو جعفر وابو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم واشبع الضمة ابن ذكوان
وابن كثير وابن محيصن وورش عن نافع واختلس الباقون ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور تقدم في غير موضع قوله تعالى واذا مس
الانسان اي الكافر ضر اي الشدة من الفقر والبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مخبتا مطيعا
له مستغيثا به في ازالة تلك الشدة عنه ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه وملكه يقال خولك الله
الشيء اي ملكك اياه وكان ابو عمرو بن العلاء يتمثل هنا لك ان يستخولوا المال يخولوا وان يسالوا
يعطوا وان ييسروا يغلوا وخول الرجل حشمه الواحد خايل وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل
كوم الذرى من خول المخول نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل
في كشف الضر عنه فما على هذا الوجه لله عز وجل بمعنى الذي وقيل بمعنى من كقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد والمعنى واحد وقيل نسي الدعا الذي كان يتضرع به الى الله عز وجل اي ترك كون
الدعاء منه الى الله فما والفعل على هذا القول مصدر وجعل لله اندادا اي اوثانا واصناما وقال
السدي يعني اندادا من الرجال يعتمدون عليهم في جميع امورهم ليضل عن سبيله اي ليقتدي
به الجهال قل تمتع بكفرك قليلا اي قل لهذا الانسان تمتع وهو امر تهديد فمتاع الدنيا قليل
انك من اصحاب النار اي مصيرك الى النار قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل بين تعالى ان المؤمن
ليس كالكافر الذي مضى ذكره وقرا الحسن وابو عمرو وعاصم والكسائي امن بالتشديد وقرا نافع
وابن كثير ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة امن هو بالتخفيف على معنى النداء كانه قال يا من هو قانت قال
الفرا الالف الف نداء تقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وحكي ذلك عن سيبويه وجميع النحويين كما قال اوس بن
حجر ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد وقال اخر هو ذو الرمة اذا الغي تغرورقت العين عبرة
فالهوى يرفض او يترقرق فالتقدير على هذا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يا من هو
قانت انك من اصحاب الجنة كما يقال في الكلام فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من يصلي ويصوم ابشر
فحذف لدلالة الكلام عليه وقيل ان الالف في امن الف استفهام اي امن هو قانت اناء الليل
افضل امن جعل لله اندادا والتقدير الذي هو قانت خير ومن شدد امن فالمعنى العاصون المتقدم
ذكرهم خير امن هو قانت فالجملة التي عادلت ام محذوفة والاصل ام من فادغمت في الميم النحاس
وام بمعنى بل ومن بمعنى الذي والتقدير الذي هو قانت افضل ممن ذكر وفي قانت اربعة
اوجه احدها انه المطيع قاله ابن مسعود الثاني انه الخاشع في صلاته قاله ابن شهاب الثالث
انه القايم في صلاته قاله يحيى بن سلام الرابع انه الداعي لربه وقول ابن مسعود يجمع ذلك وقد

عن النبي صلعم انه قال كل قنوت في القران فهو طاعة لله عز وجل وروي عن جابر عن النبي صلعم
انه سئل اي الصلوة افضل فقال طول القنوت وتاوله جماعة من اهل العلم على انه طول القيام
وروى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت فقال ما اعرف القنوت الا طول القيام
وقراءة القران وقال مجاهد من القنوت طول القنوت وغض البصر وكان العلماء اذا وقفوا
في الصلوة غضوا ابصارهم وخضعوا ولم يلتفتوا ولم يذكروا شيئا من امر الدنيا الا ناسين قال النحاس
اصل هذا ان القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل فهذه الاشياء كلها داخلة
في الطاعة وما هو اكثر منها كما قال نافع قال لي ابن عمر قم فصل فقمت اصلي وكان علي ثوب خلق
فدعاني فقال لي ارايت لو وجهتك في حاجة اكنت تمضي هكذا فقلت كنت اتزين قال فالله
احق ان اتزين له واختلف في تعيين القانت ها هنا فذكر يحيى بن سلام انه رسول الله صلعم
وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه هو ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عمر هو عثمان
وقال مقاتل انه عمار بن ياسر الكلبي صهيب وابو ذر وابن مسعود رضي الله عنهم اجمعين وعن الكلبي
ايضا انه مرسل فيمن كان على هذه الحال اناء الليل قال الحسن ساعاته اوله واوسطه واخره وعن
ابن عباس اناء الليل جوف الليل قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيمة
فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وقيل ما بين المغرب والعشا
وقول الحسن عام يحذر الاخرة اي قال سعيد بن جبير اي عذاب الاخرة ويرجوا رحمة ربه اي
نعيم الاخرة وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجوا فقال هذا متمن ولا يقف على
قوله رحمة ربه من خفف امن هو قانت على معنى النداء لان قوله قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون متصل الا ان يقدر في الكلام حرفا وهو ايسر على ما تقدم بيانه قال الزجاج
اي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي وقال غيره
الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به فاما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة
من لم يعلم انما يتذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول من المؤمنين قوله تعالى قل يا عبادي الذين
امنوا اتقوا ربكم اي قل يا محمد لعبادي المؤمنين اتقوا ربكم اي اتقوا معاصيه والتاء مبدلة من واو
وقد تقدم وقال ابن عباس يريد جعفر بن ابي طالب والذين خرجوا معه الى الحبشة الذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة يعني بالحسنة الاولى الطاعة وبالثانية الثواب في الجنة وقيل المعنى
للذين احسنوا في الدنيا حسنة فيكون ذلك زيادة على ثواب الاخرة وان الحسنة الزايدة في
الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة قال القشيري والاول اصح لان الكافر قد نال نعم الدنيا
قلت وينالها معه المؤمن ويزاد الجنة اذا شكر تلك النعم وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء
الحسن وفي الاخرة الجزاء وارض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي وقد
مضى القول في هذا مستوفى في النساء وقيل المراد ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها
كما قال وجنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضا قال الله تعالى الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء والاول اظهر فهو امر بالهجرة اي ارحلوا
من مكة الى حيث تامنون الماوردي ويحتمل ان يريد بسعة الارض سعة الرزق لانه يرزقهم
من الارض فيكون معناه ورزق الله واسع وهو اشبه لانه اخرج سعتها مخرج الامتنان
قلت فتكون الاية دليلا على الانتقال من الارض الغالية الى الارض الراخصة كما قال
سفيان الثوري كن في موضع تملا فيه جرابك بدرهم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب

اي بغير تقدير وقيل يزاد على الثواب لانه لو اعطى بقدر ما عمل لكان بحساب وقيل بغير حساب اي بغير متابعة ولا مطالبة كما يقع المطالبة بنعيم الدنيا والصابرون هنا الصائمون دليله قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به قال اهل العلم كل اجر يكال كيلا ويوزن وزنا الا الصوم فانه يحثا حثوا ويغرف غرفا وحكي عن علي رضي الله عنه وقال مالك بن انس في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال هو الصبر على فجايع الدنيا واحزانها ولا شك ان كل من سلم فيما اصابه وترك ما نهي عليه فلا مقدار لاجره وقال قتادة لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان حدثني انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين فيؤتى باهل الصدقة فيوفون اجرهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر بغير الحساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اداء الفرايض تكن من اعبد الناس وعليك بالقنوع تكن من اغنى الناس يا بني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولفظ صابر يمدح به وانما هو لمن يصبر عن المعاصي واذا اراد انه صبر عن المعصية قلت صابر على كذا قاله النحاس وقد مضى في البقرة مستوفى قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين تقدم اول السورة وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة وكذلك كان اول من خالف دين اباءه وخلع الاصنام وحطمها واسلم لله وامن به ودعا اليه صلى الله عليه وسلم واللام في قوله لان اكون زائدة قاله الجرجاني وغيره وقيل لام اجل وفي الكلام حذف اي امرت بالعبادة لان اكون من المسلمين قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يريد عذاب يوم القيمة وقاله حين دعاه قومه الى دين اباءه قاله اكثر اهل التفسير وقال ابو حمزة الثمالي وابن المسيب هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكانت هذه الاية من قبل ان يغفر ذنب النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعا قل الله اعبد نصب باعبد مخلصا له ديني طاعتي وعبادتي فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وقيل منسوخة باية السيف قوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك

هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة قال ميمون بن مهران عن ابن عباس ليس من احد الا وقد خلق الله له زوجة في الجنة فاذا دخل النار خسر نفسه واهله في رواية عن ابن عباس فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل الا ما كان له قبل ذلك وهو قوله تعالى اولئك هم الوارثون قوله تعا لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل سمي ما تحتهم ظللا لانها تظل من تحتهم وهذه الاية نظير قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك يخوف الله به عباده قال ابن مسعود اولياءه يا عبادي فاتقون اي يا اوليائي فخافون وقيل هو عام في المؤمن والكافر وقيل خاص بالكفار قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز ان يكون واحدة مؤنثة وقد تقدم اي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها قال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل انه اسم اعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وقيل انه اسم عربي مشتق من الطغيان وان في موضع نصب بدلا من الطاغوت تقديره والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادته وطاعته لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالجنة في العقبى روي انها نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم سالوا ابا بكر رضي الله عنهم فاخبرهم بايمانه فامنوا وقيل نزلت في عمرو بن نفيل وابي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قال ابن عباس هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون القران واقوال الرسول فيتبعون احسنه اي محكمه فيعملون به وقيل يستمعون عزما وترخيصا فياخذون بالعزم دون الرخص وقيل يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فياخذون بالعفو وقيل ان احسن القول على من جعل الاية فيمن وحد الله قبل الاسلام لا اله الا الله وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا احسن ما صار من القول اليهم اولئك الذين هديهم الله لما يرضاه واولئك هم اولوا الالباب اي الذين انتفعوا بعقولهم قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الاية قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صم عن الايمان وكرر الاستفهام في قوله افانت تاكيدا

لطول الكلام وكذا قال سيبويه في قول الله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون على ما تقدم والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ والكلام شرط
وجوابه وجيء بالاستفهام ليدل على التوقيف والتقريب وقال المعنى افانت تنقذ من حقت عليه
كلمة العذاب والمعنى واحد وقيل ان في الكلام حذفا والتقدير افمن حق عليه العذاب ينجو منه
وما بعده مستانف وقال افمن حق عليه وقال في موضع اخر حقت عليه كلمة العذاب لان الفعل
اذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير والتانيث على ان التانيث هنا
ليس بحقيقي بل الكلمة بمعنى الكلام والقول اي افمن حق عليه قول العذاب قوله تعالى لكن
الذين اتقوا ربهم لما بين ان للكفار ظللا من النار من فوقهم ومن تحتهم بين ان للمتقين
لهم غرف من فوقها غرف لان الجنة درجات يعلو بعضها بعضا ولكن ليس للاستدراك
لانه لم يات نفي كقوله ما رايت زيدا لكن عمرا بل لترك قصة الى قصة مخالفة للاولى كقولك
جاءني زيد لكن عمرو لم يات مبنية قال ابن عباس من زبرجد وياقوت تجري من تحتها
الانهار اي هي جامعة لاسباب النزهة وعد الله نصب على المصدر لان معنى لهم غرف وعدهم
الله ذلك وعدا ويجوز الرفع وعد الله لا يخلف الله الميعاد اي ما وعد الفريقين قوله تعالى الم
تر ان الله انزل من السماء ماء اي انه لا يخلف الميعاد في احياء الخلق والتمييز بين المؤمن والكافر
وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السماء اي من السحاب ماء اي المطر فسلكه اي
فادخله في الارض واسكنه فيها كما قال فاسكناه في الارض ينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع
ينبع وينبع بالرفع والنصب والخفض النحاس وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر ينباع من ذفرى
غضوب جسرة ان معناه ينبع فاشبع الفتحة فصارت الفاء ينبوعا خرج والينبوع عين الماء
والجمع الينابيع وقد مضى في سبحان ثم يخرج به زرعا اي بذلك الماء الخارج من ينابيع الارض زرعا
هو للجنس اي زروعا شتى مختلفا الوانه حمرة وصفرة وزرقة وخضرة ونورا قال الشعبي والضحاك
كل ما في الارض فمن السماء نزل انما ينزل من السماء الى الصخرة ثم يقسم منها العيون والركايا ثم
يهيج ييبس فتراه مصفرا اي بعد خضرته مصفرا قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا ادبر
نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت هياجا اي يبس وارض هائجة يبس بقلها واصفر واهاجت
الريح النبت ايبسته واهيجنا الارض اي وجدناها هائجة النبات وهاج هائجه اي ثار غضبه و
هدا هائجه اي سكنت فورته ثم يجعله حطاما اي فتاتا مكسرا من تحطم العود اذا تفتت من
اليبس والمعنى ان من قدر على هذا قادر على الاعادة وهو مثل ضربه الله للقران ولصدور من في
الارض اي انزل من السماء قرانا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اي دينا
مختلفا بعضه افضل من بعض فاما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج
كما يهيج الزرع وقيل هو مثل ضربه الله للدنيا اي كما يتغير النبت الاخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد
بهجتها ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام شرح فتح ووسع
قال ابن عباس وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه وقال السدي وسع صدره بالاسلام حتى ثبت
فيه للفرح والطمانينة اليه فعلى هذا لا يجوز ان يكون الشرح الا بعد الاسلام وعلى الوجه الاول
يجوز ان يكون الشرح قبل الاسلام فهو على نور من ربه اي على هدى من ربه كمن طبع على قلبه و
اقساه ودل على هذا المحذوف قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم قال المبرد يقال قسا القلب اذا
صلب وكذلك عتا وعسا مقاربة لها وقلب قاس اي صلب لا يرق ولا يلين والمراد بشرح الصدر

هاهنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما وحكى النقاش انه عمر رضي الله عنه وقال مقاتل
عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية عامة فيمن شرح الله صدره
بخلق الايمان فيه وروى مرة عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله قوله تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف انشرح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح و
انفتح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث
ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اي المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له
استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع قالوا فما اية ذلك يا رسول الله قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر صلى الله عليه
وسلم خصالا ثلاثة ولا شك ان من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الايمان فان الانابة
انما هي اعمال البر لان دار الخلود انما وضعت جزاء لاعمال البر الا ترى كيف ذكره الله تعالى في
تنزيله في مواضع ثم قال بعقب ذلك جزاء بما كنتم تعملون فالجنة جزاء الاعمال فاذا انغمس
العبد في اعمال البر فهو انابته الى دار الخلود واذا خمد حرصه على الدنيا ولهى عن طلبها واقبل على
ما يعنيه منها فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى فكان ناظرا
في كل امر واقفا متادبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه فقد استعد للموت فهذه علاماتهم في
الظاهر وانما صار هكذا لرؤية الموت ورؤية صرف الاخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا انها
دار الغرور وانما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج في القلب قوله فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله اولئك في ضلال مبين قيل المراد ابو لهب وولده ومعنى من ذكر الله ان قلوبهم
تزداد قسوة من سماع ذكره وقيل من بمعنى عن والمعنى قست عن ذكر الله وهذا اختيار الطبري
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله اطلبوا الحوائج من السمحاء
فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال مالك بن
دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم
قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى احسن الحديث يعني القران لما
قال فيتبعون احسنه بين ان احسن ما يسمع ما انزله الله وهو القران وقال سعد بن وقاص قال
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث فقالوا لو
قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا لو ذكرتنا فنزل الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت والحديث ما يحدث به المحدث وسمي القران حديثا لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به اصحابه وقومه وهو كقوله فباي حديث بعده يؤمنون وقوله
افمن هذا الحديث تعجبون وقوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وقوله ومن اصدق من الله
حديثا وقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث قال القشيري وتوهم قوم ان الحديث من الحدوث
فيدل على ان كلامه محدث وهو وهم لانه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله وما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث وقد قالوا ان الحدوث يرجع الى التلاوة لا الى المتلو وهو كالذكر مع المذكور
اذا ذكرنا اسماء الرب تعالى كتابا نصب على البدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه
متشابها يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا

اختلاف وقال قتادة يشبه بعضها في الاي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على انبيائه
لما يتضمنه من امر ونهي وترغيب وترهيب وان كان اعم واعجز نظما ووصفا فقال مثاني تثنى فيه
القصص والمواعظ والاحكام وثني للتلاوة فلا يمل تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند
اية رحمة وقيل الى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل الى ذكر الله يعني الاسلام الثانية عن اسما
بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرئ عليهم القران كما نعتهم
الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فقيل لها ان اناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران فقال
بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان
رمى بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني وعظ موسى عليه السلم بني اسرائيل ذات يوم فشق رجل
قميصه فاوحى الله الى موسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فاني لا احب المبذرين يشرح لي عن
قلبه الثالثة قال زيد بن اسلم قرا ابي بن كعب عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه الله
عليه النار وعن شهر بن حوشب عن ام الدرداء قالت انما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة
اما تجد القشعريرة قلت بلى قالت فادع الله ان الدعاء عند ذلك مستجاب وعن ثابت
البناني قال قال فلان اني لاعلم متى يستجاب لي قالوا ومن اين تعلم ذلك قال اذا اقشعر
جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي فذاك حين يستجاب لي يقال اقشعر جلد الرجل اقشعرارا فهو
مقشعر والجمع قشاعر فتحذف الميم لانها زائدة يقال اخذته قشعريرة قال امرؤ القيس فبت اكابد
ليل التمام والجلد من خشيته مقشعر وقيل ان القران لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا
اذا راوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما له وتعجبا من حسن ترصيعه وتهيبا
لما فيه وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فا
لتصدع قريبا من الاقشعرار والخشوع قريبا من قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ومعنى
لين القلوب رقتها وطمانينتها وسكونها ذلك هدى الله اي القران هدى الله وقيل ان الذي
وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجاء ثوابه هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من
هاد اي من خذله فلا مرشد له وهو رد على القدرية وغيرهم وقد مضى هذا كله مستوفى في
غير موضع ووقف ابن كثير وابن محيصن على قوله هاد في الموضعين بالياء الباقون بغير ياء قوله تعالى
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة قال عطا وابن زيد يرمى به مكتوفا في النار فاول شيء تمس
منه النار وجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال مقاتل هو ان الكافر يرمى في النار مغلولة
يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه
فحرها ووهجها في وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال والخبر محذوف قال الاخفش اي افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من سعد مثل افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة
وقيل للظالمين اي ويقول الخزنة للكافرين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزاء كسبكم من المعاصي
ومثله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزاء كسبكم من المعاصي ومثله هذا ما كنزتم
لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قوله تعالى كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

فاذاقهم

فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا تقدم معناه وقال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من
شيء قد ذاقته اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما والخزي المكروه والخزاية
من الاستحياء ولعذاب الاخرة اكبر اي مما اصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قوله تعالى كذب
الذين من قبلهم ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي من كل مثل يحتاجون اليه
مثل قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء
لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا نصب على الحال وقرانا توطئة للحال كما تقول مررت
بزيد رجلا صالحا فقولك صالحا هو المنصوب على الحال وقال الزجاج عربيا منصوب على الحال
وقال الزجاج وقرانا توكيد غير ذي عوج احسن ما قيل فيه قول الضحاك قال غير مختلف وهو قول
ابن عباس ذكره الثعلبي وقال عثمان بن عفان غير متضاد وقال مجاهد غير ذي لبس وقال بكر بن
عبد الله المزني غير ذي لحن وقال غير ذي شك قاله السدي فيما ذكره الماوردي قال وقد اتاك مبين
غير ذي عوج من الاله وقيل غير مخلوق لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالى ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال الكسائي نصب رجلا لانه ترجمة للمثل وتفسير له وان
شئت نصبته بنزع الخافض مجازه ضرب الله مثلا برجل فيه شركاء متشاكسون قال الفراء اي مختلفون
وقال المبرد اي متعاسرون من شكس يشكس شكسا مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر يقال رجل شكس
وشرس وضرس والتشاكس والتشاخص الاختلاف يقال تشاكست احواله وتشاخصت اسبابه
ويقال شاكسني فلان اي ماكسني وشاخصني في حقي قال الجوهري رجل شكس بالتسكين اي
صعب الخلق قال الراجز شكس عبوس عنبس عذور والقوم شكس مثل رجل صدق وقوم
صدق وقد شكس بالكسر شكاسة وحكى الفراء رجل شكس وهو القياس وهذا مثل من
عبد الهة كثيرة ورجلا سلما لرجل اي خالصا لسيد واحد وهو مثل من عبد الله وحده هل
يستويان مثلا هذا الذي يخدم جماعة شركاء اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل
الا جره واستخدمه فهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضي
واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته والذي يخدم واحدا لا ينازعه احد ولا اذا اطاعه
وحده عرف ذلك له وان اخطا صفح عن خطائه فايهما اقل تعبا او على هدى مستقيم وقراءة
اهل الكوفة واهل المدينة ورجلا سلما وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وعاصم الجحدري و
ابو عمرو وابن كثير ويعقوب ورجلا سالما واختاره ابو عبيد لصحة التفسير قال لان السالم
الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس وهذا الاحتجاج لا يلزم
لان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا على اولاهما فهذا وان كان السلم ضد الحرب فله موضع
اخر كما يقال لك في هذا المنزل شركاء فصار سلما لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم في
لانه يقال شيء سالم اي لا عاهة به والقراءتان حسنتان قرا بهما الائمة واختار ابو حاتم قراءة
اهل المدينة سلما قال وهو الذي لا تنازع فيه وقرا سعيد بن جبير وعكرمة وابو العالية ونصر
سلما بكسر السين وسكون اللام وسلما وسلما مصدران والتقدير ورجلا ذا سلم فحذف
المضاف ومثلا صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر على
التمييز على الواحد لبيان الجنس بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيتبعونه قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق انك مايت وانهم مايتون
وهي قراءة حسنة وبها قرا عبد الله بن الزبير النحاس ومثل هذه الالف تحذف في الشواذ ومايت في

المستقبل كثير في كلام العرب ومثله ميتا كان مريضا وانه لما رضي هذا الطعام وقال الفرا
والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح
فلذلك لم يخفف هنا قال قتادة نعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم
انفسكم وقال ثابت البناني نعى رجل الى صلة بن اشيم اخا له فوافقه ياكل فقال اذ فكل فقد
نعي الي اخي منذ حين قال وكيف وانا اول من اتاك بالخبر قال ان الله تعالى نعاه الي فقال
انك ميت وانهم ميتون وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اخبره بموته وموتهم فاحتمل خمسة
اوجه الاول ان يذكر ذلك تحذيرا من الاخرة الثاني ان يذكره حثا على العمل الثالث ان يذكره
توطئة للموت الرابع لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الامم في غيره حتى ان عمر رضي الله عنه لما انكر
موته احتج ابو بكر رضي الله عنه بهذه الاية فامسك الخامس ليعلمه ان الله تعالى قد سوى فيه بين خلقهم
مع تفاضلهم في غيره ليكثر فيه التسلوة وتقل فيه الحسرة ثم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
يعني تخاصم الكفار والمؤمن والظالم والمظلوم قاله ابن عباس وغيره وفي خبر فيه طول ان الخصومة
تبلغ يوم القيمة الى ان يحاج الروح الجسد وقال الزبير لما نزلت هذه الاية قلنا يا رسول الله
ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى
كل ذي حق حقه فقال الزبير والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى
هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقلنا كيف نختصم
ونبينا واحد وديننا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت
وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما
كان صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابرهيم النخعي لما نزلت هذه
الاية جعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خصومتنا بيننا فلما قتل عثمان رضي الله
عنه قالوا هذه خصومتنا بيننا وقيل تخاصمهم هو تحاكمهم الى الله تعالى فيستوفي من حسنات الظالم
بقدر مظلمته ويردها في حسنات من وجبت له وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان
المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا او ضرب هذا و
قذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل انقضاء ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار خرجه مسلم وقد
مضى هذا المعنى مجوزا في ال عمران وفي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كانت له عند اخيه مظلمة من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم
ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه ثم حمل
عليه وفي الحديث المسند اول ما تقع الخصومات في الدنيا وقد ذكرنا هذا الباب كله في التذكرة
قوله تعالى فمن اظلم اي لا احد اظلم ممن كذب على الله فزعم ان له ولدا او شريكا وكذب بالصدق يعني
بالقران اذ جاءه اليس في جهنم استفهام تقرير مثوى للكافرين اي مقاما للجاحدين وهو مشتق من
ثوى بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضى مضيا ومضيا ولو كان من اثوى لكان مثوى و
هذا يدل على ان ثوى هي اللغة الفصيحة وحكى ابو عبيد اثوى وانشد قول الاعشى اثوى وقصر ليله
ليزودا فمضت والاصمعي لا يعرف الا ثوى ويروي البيت اثوى نفسي واثوى غيري يتعدى ولا يتعدى
قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به في موضع رفع بالابتداء وخبره اولئك هم المتقون واختلف

في الذي جاء بالصدق وصدق به فقال علي رضي الله عنه الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال مجاهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه السدي الذي
جاء بالصدق جبرائيل عليه السلم والذي صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة
الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق به المؤمنون واستدلوا على ذلك بقوله كما قال
هدى للمتقين وقال النخعي ومجاهد الذي جاء بالصدق وصدق به المؤمنون الذين يجيئون
بالقران يوم القيمة فيقولون هذا الذي اعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه فيكون الذي على هذا بمعنى
جمع وقيل بل حذفت النون منه لطول الاسم وتاوله الشعبي على انه واحد وقال الذي جاء بالصدق محمد
صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا خبره جماعة كما يقال لمن يعظم هو فعلوا وزيد فعلوا كذا وكذا
وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله عز وجل قاله ابن عباس وغيره واختاره الطبري وفي
قراءة ابن مسعود والذي جاءوا بالصدق وصدقوا به وهذه قراءة على التفسير وفي قراءة ابي صالح
الكوفي والذي جاء بالصدق وصدق به مخففا على معنى وجئ به اي صدق في طاعة الله عز وجل و
قد مضى في البقرة الكلام في الذي انه يكون واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاؤن عند ربهم اي من
النعيم في الجنة كما يقال لك اكرام عندي اي ينالك مني ذلك جزاء المحسنين الثناء في الدنيا والثواب
في الاخرة قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند
ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن
يهدي الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سالتهم من خلق السموات و
الارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا
عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا و
مثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا
ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم عندي بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون
قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوا الذي
عملوا ويجزيهم اجرهم اي يثيبهم على الطاعات في الدنيا باحسن الذي كانوا يعملون قوله تعالى
اليس الله بكاف عبده حذفت الياء من كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل ان
لا تحذف في الوقف لزوال التنوين الا انها حذفت ليعلم انها كذلك في الوصل ومن العرب من
يثبتها في الوقف على ما يقول بكافي وقراءة العامة عبده بالتوحيد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم وقرا حمزة والكسائي عباده وهم الانبياء او الانبياء و
المؤمنون بهم واختار ابو عبيد قراءة الجماعة لقوله عقيبه ويخوفونك بالذين من دونه ويحتمل
ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وعلى هذا تكون القراءة الاولى راجعة
الى الثانية والكفاية شر الاصنام فانهم كانوا يخوفون المؤمنين بالاصنام حتى قال ابرهيم عليه السلم
وكيف اخاف ما اشركتم اي بالله وقال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب
وهذا بالعقاب قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم
مضرة الاوثان فقالوا اتسب الهتنا لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك او تصيبك بسوء وقال
قتادة مشى خالد بن الوليد ليكسرها بالفاس فقال له سادنها احذرها يا خالد فان لها شدة لا
يقوم لها شيء لا يقوم لها شيء فعمد خالد الى العزى فهشم انفها حتى كسرها بالفاس وتخويفهم لخالد
تخويف للنبي صلى الله عليه وسلم لانه الذي وجه خالد ويدخل في الاية تخويفهم للنبي صلى الله عليه و
سلم بكثرة جمعهم وقوتهم كما قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من هاد
تقدم ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام اي ممن عاداه وعادا رسله قوله
تعالى ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع عبادتهم
الاوثان يقرون بان الخالق هو الله واذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بالهتهم التي هي مخلوقة
لله وانت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والارض قل افرايتم اي قل لهم يا محمد بعد
اعترافهم بهذا افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر اي بشدة وبلاء هل هن كاشفات
ضره اي هذه الاصنام او ارادني برحمة اي نعمة ورخاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسالهم
النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئا قدره ولكنها تشفع فنزلت قل
حسبي الله وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعني فسيقولون لا فقل حسبي الله اي عليه يتوكل
المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم الكلام في التوكل وقرا نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا
عاصما كاشفات ضره بالاضافة بغير تنوين وكذا ممسكات رحمته وقرا ابو عمرو وشيبة وهي المعروفة
من قراءة الحسن وعاصم هل هن كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وهي قراءة
ابي عبيد وابي حاتم لانه اسم فاعل في معنى الاستقبال واذا كان كذلك كان التنوين اجود قال الشاعر
الضاربون عميرا عن بيوتهم ۔ بالتل يوم عمير ظالم عاد ۔ ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف
التنوين على التخفيف فاذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالاضافة وحذف
التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة وقال انا مرسلوا الناقة
ومثله غير محلي الصيد وانشد سيبويه هل انت باعث دينار لحاجتنا ۔ او عبد رب اخا عون بن
مخراق وقال النابغة احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ۔ الى حمام شرع وارد الثمد ومعناه وارد الثمد
فحذف التنوين مثل كاشفات ضره قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اي على مكانتي اي
على جهتي التي تمكنت عندي فسوف تعلمون وقرا ابو بكر مكاناتكم وقد مضى في الانعام من ياتيه عذاب
يخزيه اي يهينه ويذله اي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف ويحل عليه اي في الاخرة عذاب مقيم قوله
تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما
انت عليهم بوكيل تقدم الكلام في هذه الاية مستوفى في غير موضع قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
فيه اربع مسائل الاولى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها اي يقبضها حين فناء اجالها والتي لم تمت في
منامها اختلف فيه فقيل يقبضها عن التصرف مع بقاء ارواحها في اجسادها فيمسك التي قضى

عليها الموت ويرسل الاخرى وهي النائمة فيطلقها بالتصرف الى اجل موتها قاله ابن عيسى وقال
الفراء المعنى ويقبض التي لم تمت في منامها عند انقضاء اجلها قال وقد يكون توفيها نومها فيكون
التقدير على هذا والتي لم تمت وفاتها نومها وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء
والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء منها فاذا اراد جميعها الرجوع الى الاجساد امسك الله
ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح
الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء اذا ناموا فيتعارف ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها قال علي رضي الله عنه فما رات نفس النائم وهي في السماء
قبل ارسالها الى جسدها فهي الرؤيا الصادقة وما راته بعد ارسالها وقبل استقرارها في
جسدها تلقيها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرؤيا الكاذبة وقال ابن زيد النوم
وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما تنامون فكذلك تموتون وكما توقظون فكذلك
تبعثون وقال عمر النوم اخو الموت وروي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله
انيام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها خرجه الدارقطني وقال ابن عباس في
ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها
النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض نفسه ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري والزجاج
قال القشيري ابو نصر وفي هذا بعد اذ المفهوم من الاية ان النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد
ولهذا قال فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فاذا يقبض الله الروح في حالين
في حالة النوم وحالة الموت فما قبضه في حال النوم فمعناه انه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكانه
شيء مقبوض وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيمة وقوله ويرسل الاخرى اي
يرسل الحابس له فيعود كما كان فتوفي الانفس في حالة النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والافة
في محل الادراك وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وازالة الحس بالكلية فيمسك التي قضى عليها
الموت بان لا يخلق فيها الادراك كيف وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى بان يعيد اليها
الاحساس الثانية وقد اختلف الناس في هذه الاية في النفس والروح هل هما شيء واحد او
شيئان على ما ذكرنا والاظهر انهما شيء واحد وهو الذي تدل عليه الاثار الصحاح على ما نذكره
في هذا الباب من ذلك حديث ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سلمة وقد
شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر وحديث ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الم تروا الانسان اذا مات شخص بصره وذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم و
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي ايتها النفس
الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا
يزال يقال كذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء وذكر الحديث واسناده صحيح خرجه ابن
ماجة وقد ذكرناه في التذكرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاه ملكان
يصعدان بها وذكر الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ بنفسي يا رسول الله الذي اخذ
بنفسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقابلا له في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها
الناس ان الله قبض ارواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا الثالثة والصحيح فيه انه جسم
لطيف مشابك للاجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفي اكفانه يلف ويدرج وبه الى السماء يعرج لا
يموت ولا يفنى وهو مما له اول وليس له اخر وهو بعينين ويدين وانه ذو ريح طيب وخبيث كما

في حديث ابي هريرة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض وقد ذكرنا الاخبار بهذا كله في كتاب
التذكرة باحوال الموتى والاخرة وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني النفس عند خروجها
من الجسد وهذه صفة الجسم والله اعلم الرابعة روى البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فلياخذ ازاره فلينفض بها فراشه وليسم
الله فانه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه فان اراد ان يضطجع فليضطجع على شقه وليقل سبحانك
ربي وضعت لك جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وقال البخاري وابن ماجه والترمذي
فارحمها بدل فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين زاد الترمذي واذا
استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي واذن لي بذكره وخرج البخاري
عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده
ثم يقول اللهم باسمك اموت واحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه
النشور قوله تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراءة العامة على انه مسمى الفاعل الموت
نصبا اي قضاها الله عليها واختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول الاية الله يتوفى الانفس حين موتها
فهو يقضي عليها وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي قضي عليها الموت على ما لم يسم فاعله
النحاس والمعنى واحد غير ان القراءة الاولى ابين واشبه بنسق الكلام لانهم اجمعوا على ويرسل
الاخرى ولم يقرؤوا ويرسل وفي الاية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالالوهية وانه يفعل
ما يشاء ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه ان في ذلك لايات يعني في قبض الله نفس الميت والنائم
وارساله نفس النائم وحبسه نفس الميت لقوم يتفكرون وقال الاصمعي وسمعت معتمرا يقول روح
الانسان مثل كبة الغزل فترسل الروح فتمضي ثم تمضي ثم تطوى فتجيء فتدخل فمعنى الاية انه يرسل من
الروح شيء في حال النوم ومعظمها في البدن متصل بما يخرج منها اتصالا خفيا فاذا استيقظ
المرء جذب معظم روحه ما انبسط منها فعاد وقيل غير هذا وفي التنزيل ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي اي لا يعلم حقيقته الا الله وقد تقدم في سبحان قوله تعالى ام اتخذوا من
دون الله شفعاء يعني الاصنام وفي الكلام ما يتضمن ام الهمزة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ولكنهم اتخذوا من دون الله الهة شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون لانها
جمادات وهذا استفهام انكار قل لله الشفاعة جميعا نص في ان الشفاعة لله وحده كما قال من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فلا شافع الا من شفاعته ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميعا نصب
على الحال فان قيل جميعا انما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب ان الشفاعة مصدر
والمصدر يؤدي عن الاثنين والجمع له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا
ذكر الله وحده نصب على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه اشمازت قال المبرد
انقبضت وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة نفرت واستكبرت وكفرت وتعصت وقال
المورج انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار قال عمرو بن كلثوم اذا عض الثقاف بها اشمازت
وولته عشوزنة زبونا وقال ابو زيد اشماز الرجل ذعر من الفزع وهو المذعور وكان المشركون
اذا قيل لهم لا اله الا الله نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان حين القى الشيطان
في امنيته النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة النجم تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهم
لترتجى قاله جماعة من المفسرين اذا هم يستبشرون اي يظهر في وجوههم البشر والسرور لانه نداء
مضاف وكذا عالم الغيب والشهادة لا يجوز عند سيبويه ان يكون نعتا انت تحكم بين عبادك فيما

كانوا

كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال سالت عائشة رضي الله
عنها باي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام
من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ولما بلغ الربيع ابن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما قرا
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة الاية وقال سعيد بن جبير اني لاعرف
موضع اية ما قراها احد قط فسال الله شيئا الا اعطاه اياه قوله تعالى فاطر السموات والارض الى
يختلفون قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي كفروا واشركوا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى هذا في ال عمران والرعد وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون من اجل ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال عملوا اعمالا توهموا
انها حسنات فاذا هي سيئات وقاله السدي وقيل عملوا اعمالا توهموا انهم يتوبون منها قبل الموت
فادركهم الموت قبل ان يتوبوا وقد كانوا ظنوا انهم ينجون بالتوبة ويجوز ان يكونوا توهموا انه
يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم اي ظهر لهم سيئات
ما كسبوا من الكفر والمعاصي وحاق بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى فاذا مس
الانسان ضر دعانا قيل انها نزلت في ابي حذيفة ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم قال
قتادة على علم عندي بوجوه المكاسب وعنه ايضا على علم على خير عندي وقيل على علم اي على علم
من الله بفضلي وقال الحسن على علم اي بعلم علمني الله اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت اني اذا
اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة فقال الله بل هي فتنة اي بل النعم التي اوتيتها فتنة تختبر
بها قال الفراء انث لتانيث الفتنة ولو كان بل هو فتنة لجاز النحاس التقدير بل عطيته فتنة ولكن
اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاءهم المال اختبار قوله تعالى قد قالها انث على تانيث
الكلمة الذين من قبلهم يعني الكفار من قبلهم كقارون وغيره حيث قال انما اوتيته على علم
عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي لم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا
وقيل اي فما الذي اغنى عنهم فما استفهام فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات اعمالهم
وقد يسمى الجزاء السيئة سيئة والذين ظلموا اي اشركوا من هؤلاء الامة سيصيبهم سيئات
ما كسبوا اي بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فائتين الله ولا سابقيه وقد تقدم قوله تعالى
او لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون خص
المؤمن بالذكر لانه هو الذي يتدبر الايات وينتفع بها ويعلم ان سعة الرزق قد يكون مكرا او
استدراجا وتقتيره رفعة واعظاما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله وان شئت حذفت الياء لان النداء موضع حذف النحاس ومن اجل ما روي
فيه ما رواه محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت انا وهشام
ابن العاصي بن وائل السهمي وعياش بن ابي ربيعة فقلنا الموعد اضاءة بني غفار وقلنا من تاخر
منا فقد حبس فليمض صاحبه فاصبحت انا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام واذا به قد فتن
فافتتن فكنا نقول بالمدينة هؤلاء قوم قد عرفوا الله وامنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ثم
افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا هم يقولون هذا في انفسهم فانزل الله عز و
جل في كتابه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله اليس في جهنم

مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثت بها الى هشام قال هشام فلما قدمت علي خرجت
بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قوم من المشركين قتلوا فاكثروا
وزنوا فاكثروا فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ان ما تدعوا اليه لحسن لو يخبرنا ان
لنا توبة فانزل الله عز وجل الاية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ذكره البخاري بمعناه ومسلم وقد
مضى في اخر الفرقان وعن ابن عباس ايضا نزلت في اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان
وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله الها اخر وقتلنا النفس
التي حرم الله فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قوم من المسلمين اسرفوا على انفسهم في العبادة و
خافوا ان لا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية وقال ابن عباس ايضا وعطا نزلت في
وحشي قاتل حمزة لانه ظن ان الله لا يقبل اسلامه روى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال اتى
وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما اذا اتيتني مستجيرا فانت في
جواري حتى تسمع كلام الله قال فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت هل يقبل
الله مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الى اخر الاية فتلاها عليه فقال ارى شرطا
فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فدعا به فتلاها عليه فقال لعلي ممن لا يشاء انا في جوارك حتى اسمع كلام
الله فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية فقال نعم الان لا ارى شرطا
فاسلم وروى حماد بن سلمة عن شهر بن حوشب عن اسما انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي انه هو
الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قال ابو جعفر النحاس وهاتان
القراءتان على التفسير اي يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله من شاء ان يغفر له وهو التائب او من عمل
صغيرة ولم تكن له كبيرة ودل على انه يريد التائب ما بعده وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له
ذنوبه جميعا يدل على ذلك واني لغفار لمن تاب فهذا لا اشكال فيه وقال علي بن ابي طالب ما في القران
اية اوسع من هذه الاية قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقد مضى هذا في سبحان وقال عبد الله
بن عمر وهذه ارجى اية في القران فرد عليه ابن عباس وقال ارجى اية في القران قوله تعالى وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد مضى في الرعد وقرئ لا تقنطوا بكسر النون وفتحها وقد مضى
في الحجر بيانه قوله تعالى وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له
امر بالتوبة والرجوع اليه والانابة الرجوع الى الله بالاخلاص واسلموا له اي اخضعوا له واطيعوا
من قبل ان ياتيكم العذاب في الدنيا ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه وروي من حديث جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من السعادة ان يطيل الله عمر العبد في طاعته ويرزقه
الانابة وان من الشقوة ان يعمل المرء ويعجب بعمله قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون احسن ما انزل الله به في كتابه وكله حسن والمعنى
ما قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه و
قال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل انزل الله كتب التوراة والانجيل والزبور

ثم

ثم انزل القران ثم امر باتباعه فهو الاحسن وهو المعجز وقيل هو احسن لانه ناسخ قاض على جميع الكتب
وجميع الكتب منسوخة وقيل يعني العفو لان الله خير نبيه صلى الله عليه وسلم بين العفو والقصاص
وقيل ما علم الله النبي صلى الله عليه وسلم وليس بقران فهو حسن وما اوحى اليه من القران فهو
الاحسن وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتي ان في
موضع نصب اي كراهة ان تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند البصريين حذرا ان
تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا من قبل ان ياتيكم العذاب الزمخشري فان
قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يريد بها نفسا متميزة
من الانفس اما بلجاج بالكفر شديد او بعقاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب
بقيع انه هتفت بخوه . اتاني كريم ينفض الراس مغضبا . وهو يريد افواجا من الكرام ينظرون له لا كريما
واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وهو لا يقصد الا التكثير يا حسرتا والاصل يا
حسرتي فابدل من الياء الف لانها اخف وامكن في الاستغاثة بمد الصوت وربما الحقوا بها الها
وانشد الفرا يا مرحباه بحمار ناجيه . اذا اتى قربته للسانيه . وربما الحقوا بها الياء بعد الالف لتدل
على الاضافة وكذلك قراها ابو جعفر يا حسرتاي والحسرة الندامة على ما فرطت في جنب الله قال
الحسن في طاعة الله وقال الضحاك في ذكر الله عز وجل قال يعني القران والعمل به وقال ابو عبيدة
في جنب الله اي في ثواب الله وقال الفرا الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش في جنب فلان
اي في جواره ومنه والصاحب بالجنب اي على ما فرطت في جنب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج
اي على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني اليه والعرب تسمي السبب والطريق الى
الشيء جنبا تقول تجرعت في جنبك غصصا اي لاجلك وسببك ولاجل مرضاتك وقيل في
جنب الله اي في الجانب الذي يؤدي الى رضى الله عز وجل وثوابه والعرب تسمي الجانب جنبا قال
الشاعر قسم مجهودا لذاك القلب . للناس جنب والامير جنب . يعني للناس من جانب والامير من
جانب وقال ابن عرفة اي تركت من امر الله يقال ما فعلت ذلك في جنب حاجتي قال كثير الا تتقين
الله في جنب عاشق . له كبد حرى عليك تقطع . وكذا قال مجاهد اي ضيعت من امر الله ويروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس رجل مجلسا ولا مشى ممشى ولا اضطجع مضجعا لم يذكر
الله عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيمة اي حسرة اخرجه ابو داود بمعناه وقال ابراهيم
التيمي من الحسرات يوم القيمة ان يرى الرجل ماله الذي اتاه الله في الدنيا يوم القيمة في ميزان غيره
قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له اجره وعلى الاخر وزره ومن الحسرات ان يرى الرجل عبده الذي
خوله الله في الدنيا اقرب منه منزلة من الله تعالى او يرى رجلا يعرفه اعمى في الدنيا قد ابصر يوم
القيمة وعمي هو وان كنت لمن الساخرين اي وما كنت الا من المستهزئين بالقران وبالرسول في
الدنيا وباولياء الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب
على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وقيل وما كنت الا في سخرية ولعب
وباطل اي كان سعيي في غير عبادة الله قوله تعالى او تقول هذه النفس لو ان الله هداني اي ارشدني
الى دينه لكنت من المتقين اي الشرك والمعاصي وهذا القول لو ان الله هداني قول صدق وهو قريب
من احتجاج المشركين فيما اخبر الرب عز وجل عنهم في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا فهي كلمة حق اريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه لما قال قائل من الخوارج لا حكم الا لله
او تقول يعني هذه النفس حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجعة فاكون من المحسنين نصب على

جواب التمني وان شئت كان معطوفا على كرة لان معناه ان اكر كما قال الشاعر للبس عباءة وتقر
عيني احب الي من لبس الشفوف وانشد الفرا فما لك منها غير ذكري وخشية وتسئل عن ركبانها
اين يمموا فنصب وتسئل على موضع الذكرى لان معنى الكلام فما لك منها الا ان تذكر ومنه للبس
عباءة اي لان البس عباءة وتقر وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل وجد رقعة ان العبد
ليعمل الزمن الطويل بطاعة الله فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل الزمن
الطويل بمعصية الله ثم يختم له بعمل رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولاي شيء اتعب نفسي فترك
عمله واخذ في الفسوق والمعصية وقال له ابليس لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم تتوب فاخذ في الفسوق
وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان له فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب
الله ذهب عمري في طاعة الشيطان فندم لا ينفع الندم فانزل الله خبره في القران وقال قتادة هولاء
اصناف صنف منهم قال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال لو ان الله هداني
لكنت من المتقين وقال اخر لو ان لي كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالى ردا لكلامهم بلى
قد جاءتك اياتي وقال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي ولكن معنى لو ان الله هداني
ما هداني وكان هذا القائل ما هديت فقيل بلى قد بين لك طريق الهدى فكنت بحيث لو اردت
ان تؤمن امكنك ان تؤمن اياتي القران وقيل عنى بالايات المعجزات اي وضح الدليل فانكرته وكذبته
فكذبت بها واستكبرت اي تكبرت عن الايات وكنت من الكافرين وقال استكبرت وكنت وهو خطاب
المذكر لان النفس تقع على الذكر والانثى يقال ثلاثة انفس وقال المبرد تقول العرب نفس واحد اي
انسان واحد وروى الربيع بن انس عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قرا قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين وقرا الاعمش بلى قد جاءته اياتي وهذا يدل على التذكير والربيع
بن انس لم يلحق ام سلمة الا ان القراءة جائزة لان النفس تقع للمذكر والمؤنث وقد انكر هذه
القراءة بعضهم وقال يجب اذا كسرت التاء ان تقول وكنت من الكوافر او كنت من الكافرات قال
النحاس وهذا لا يلزم الا ترى ان قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت لمن الساخرين ولم يقل من
السواخر ولا من الساخرات والتقدير في العربية على كسر التاء واستكبرت وكنت من جميع الساخرين
او من الناس الساخرين او من القوم الساخرين قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة اي مما احاطهم من غضب الله ونقمته وقال الاخفش ترى غير عامل في قوله وجوههم مسودة
انما هو ابتداء وخبر الزمخشري جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان
ان كان من رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى
التكبر فقال عليه الصلاة والسلام سفه الحق وغمص الناس اي احتقارهم وقد مضى في البقرة و
غيرها وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر
يلحقهم الصغار حتى يؤتى بهم الى سجن في جهنم قوله تعالى فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا
من هولاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم و
اسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتى على ما
فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او
تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت

بهاو

بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات
الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من
الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس
ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها و
قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده و
اورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من
حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين قوله تعالى
فاصابهم سيئات ما كسبوا الى قوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين تقدم قبل هذا قوله
تعالى وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي اي من الشرك والمعاصي بمفازتهم على التوحيد قراءة
العامة لانه مصدر وقرا الكوفيون بمفازاتهم وهو جائز كما تقول بسعاداتهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم تفسير هذه الاية من حديث ابي هريرة قال يحشر الله مع كل امرئ عمله فيكون
عمل المؤمن معه في احسن صورة واطيب ريح فكلما كان رعب او خوف قال له لا ترع فما انت بالمراد
به ولا انت بالمعني به فاذا كثر ذلك عليه قال ما احسنك فمن انت فيقول اما تعرفني انا عملك
الصالح حملتني على ثقلي فوالله لاحملنك ولادفعن عنك فهي التي قال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل اي حافظ وقائم به وقد
تقدم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض واحدها مقليد وقيل مقلاد واكثر ما يستعمل
فيه اقليد والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وقال السدي خزائن السموات والارض وقال غيره خزائن
السموات المطر وخزائن الارض النبات وفيه لغة اخرى اقاليد وعليها فيكون واحدها اقليد
قال الجوهري والاقليد المفتاح والمقلد مفتاح كالمنجل وربما يقلد به الكلا كما يقلد القت
اذا جعل حبالا اي يفتل والجمع المقاليد واقلد البحر على خلق كثير اي غرقهم كانه اغلق عليهم وخرج
البيهقي عن ابن عمر ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالني عنها احد
تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ذكره
الثعلبي في تفسيره وزاد من قالها اذا اصبح او امسى عشر مرات اعطاه الله ست خصال اولها
يحرس من ابليس والثانية يحضره اثنا عشر الف ملك والثالثة يعطى قنطارا من الاجر والرابع

ترفع له درجة والخامسة يزوجه الله من الحور العين والسادسة يكون له من الاجر كمن قرا
القران والتورية والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته
فان مات من ليلته مات شهيدا وروي الحارث عن علي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن تفسير المقاليد فقال يا علي لقد سالت عن امر عظيم المقاليد هو ان تقول عشرا اذا اصبحت و
عشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا
قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير
من قالها عشر مرات اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرس من الشيطان
وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان والثانية يعطى قنطارا في الجنة هو اثقل في ميزانه من
جبل احد والثالثة ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين و
الخامسة يشهده اثنا عشر ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيمة و
السادسة يكون له من الاجر كمن قرا التورية والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر
فقبل الله حجه وعمرته وان مات من يومه وليلته او شهره طبع الله بطابع الشهداء وقيل
المقاليد الطاعة يقال القى الي فلان بالمقاليد اي اطاعه فيما يامره فمعنى الاية له طاعة من في
السموات والارض والله اعلم قوله تعالى والذين كفروا بايات الله اي القران والحجج والدلالات
اولئك هم الخاسرون وتقدم قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك حين
دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما هم عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين ابائك وغير نصب
باعبد على تقدير اعبد غير الله فيما تامروني ويجوز ان ينتصب بتامروني على حذف حرف الجر
التقدير اتامروني بغير الله ان اعبده لان ان مقدرة وان والفعل مصدر وهي بدل من غير
التقدير اتامروني بعبادة غير الله وقرا نافع تامروني بنون واحدة مخففة وفتح الياء وقرا ابن
عامر تامرونني بنونين مخففتين على الاصل الباقون بنون واحدة مشددة على الادغام واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة وقرا نافع على حذف النون
الثانية وانما كانت المحذوفة الثانية لان التكرير والتثقيل يقع بها وايضا حذف الاولى لا
يجوز لانها دلالة الرفع وقد مضى في الانعام بيانه عند قوله اتحاجوني اعبد اي ان اعبد فلما
حذف ان رفع قاله الكسائي ومنه قول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغا • والدليل على صحة
هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب قوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن
اشركت قيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولقد اوحي اليك لئن اشركت واوحي الى
الذين من قبلك كذلك وقيل هو على بابه قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد
والتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وهو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل الخطاب له والمراد امته اذ علم الله انه لا يشرك ولا يقع منه
اشراك والاحباط الابطال والفساد وقال القشيري فمن ارتد لم تنفعه طاعاته ولكن احباط
الردة العمل مشروط بالوفاة على الكفر ولهذا قال من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم فالمطلق ههنا محمول على المقيد ولهذا قلنا من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام
لا يجب عليه اعادة الحج قلت هذا مذهب الشافعي وعند مالك يجب عليه الاعادة وقد مضى في البقرة
بيان هذا مستوفى قوله تعالى بل الله فاعبد النحاس في كتابه عن ابي اسحق لفظ اسم الله عز وجل
منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين قال النحاس وقال الفرا

يكون

يكون منصوبا باضمار فعل وحكاه المهدوي عن الكسائي فاما الفاء فقال الزجاج انها
للمجازاة وقال الاخفش هي زائدة وقال ابن عباس فاعبد فوحد وقال غيره بل الله فاطع وكن
من الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره قال المبرد ما عظموه
حق عظمته اذ عظموا معه غيره وهو خالق الاشياء ومالكها ثم اخبر عن قدرته وعظمته
فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ثم نزه نفسه عن ان يكون
ذلك بجارحة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الترمذي عن عبد الله قال جاء
يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين
على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه ثم قال وما قدروا الله حق قدره قال هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري و
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيمة و
يطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الترمذي عن عائشة انها
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه قالت قلت فاين الناس يومئذ يا رسول الله قال على جسر جهنم في رواية
قال على الصراط يا عائشة قال حديث حسن فقوله والارض جميعا قبضته وقبض الله الارض
عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته يقال ما فلان الا في قبضتي بمعنى ما فلان الا في قدرتي
والناس يقولون الاشياء في قبضته اي يريدون في ملكه وقدرته وقد يكون معنى القبض والطي
افناء الشيء واذهابه فقوله عز وجل والارض جميعا قبضته يحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا
ذاهبة فانية يوم القيمة والارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله و
السموات ولان الموضع موضع تفخيم فهو مقتضى للمبالغة وقوله والسموات مطويات بيمينه
ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كان
فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا دهر بمعنى المضي والذهاب واليمين في كلام العرب قد يكون بمعنى
القدرة والملك ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد به الملك وقال تعالى لاخذنا منه
باليمين اي بالقدرة والقوة وانشد اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقال اخر ولما
رايت الشمس اشرق نورها • تناولت منها حاجتي بيميني • قتلت شنيفا ثم فاران بعده • فكان على الايام
غير امين • وانما خص يوم القيمة بالذكر وان كانت قدرته شاملة لكل شيء ايضا لان الدعاوي
تنقطع ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة و
لذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا
وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله ثم تطوى الارض بشماله قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون بين
ما يكون بعد قبض الارض وطي السماء وهو النفخ في الصور وانما هما نفختان يموت الخلق في الاولى
منهما ويحيون في الثانية وقد مضى الكلام في هذا في النمل والانعام ايضا والذي ينفخ في
الصور هو اسرافيل عليه السلم وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر
حتى يؤمران خرجه ابن ماجة في السنن وفي كتاب ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل واختلف في المستثنى

من هم فقيل هم الشهداء متقلدين اسيافهم حول العرش روي مرفوعا من حديث ابي هريرة
فيما ذكره القشيري ومن حديث ابن عمر فيما ذكر الثعلبي وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت عليهم السلام وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى ونفخ في الصور الاية فقالوا
يا نبي الله من هم الذين استثنى الله قال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول الله
لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم فيقول يا رب بقي جبرائيل وميكائيل و
اسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخران ميتان
كالطودين العظيمين فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقي فيقول
تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى
يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا
الجلال والاكرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على
الضرب من الضرب ذكره الثعلبي وذكره النحاس ايضا من حديث محمد بن اسحق عن يزيد الرقاشي عن
انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل فصعق من في السموات ومن في الارض الا
من شاء الله قال جبريل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت واسرافيل وفي هذا الحديث ان اخرهم
موتا جبريل عليه السلام وعليهم اجمعين وحديث ابي هريرة في الشهداء اصح على ما تقدم في النمل وقال
الضحاك هو رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب اهل النار وحياتها وقال الحسن هو الله
الواحد القهار وما يدع من اهل السموات والارض الا اذاقه الموت وقال قتادة الله اعلم بثنائه و
قيل الاستثناء في قوله الا من شاء الله يرجع الى من مات قبل النفخة الاولى فيموت من في السموات و
الارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وفي الصحيحين وابن ماجة واللفظ له عن ابي هريرة قال
قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه
وقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري
ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وخرجه الترمذي
وقال فيه حديث حسن صحيح قال القشيري ومن حمل الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا
غير انهم احياء عند الله فيجوز ان تكون الصعقة بزوال العقل دون زوال الحياة ويجوز ان تكون
بالموت ولا يبعد ان يكون الموت والحياة وكل ذلك مما يجوز العقل والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق
قلت جاء في بعض طرق ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون
اول من يفيق فاذا انا بموسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان فيمن استثنى الله
خرجه مسلم ونحوه عن ابي سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن غشية وزوال عقل لا عن موت برد
حياة قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون اي فاذا الاموات من اهل السماء والارض احياء بعثوا من
قبورهم واعيدت اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل قيام على ارجلهم
ينظرون الى البعث الذي وعدوا به وقيل هذا النظر بمعنى الانتظار اي ينتظرون ما يفعل بهم
واجاز الكسائي قياما بالنصب كما تقول خرجت فاذا زيد جالسا قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها
اضاءت وانارت يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها بعدل ربها
قاله الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى واحد اي انارت واضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين

عباده والظلم ظلمات والعدل نور وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض
فتشرق الارض به وقال ابن عباس النور المذكور ههنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور
يخلقه الله فيضيء به الارض وروي ان الارض يومئذ من فضة تشرق بنور الله تعالى حين ياتي
لفصل القضاء والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله فاضاف النور اليه على حد اضافة الملك الى
المالك وقيل انه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لانه نهار لا ليل وقرا ابن عباس وعبيد بن عمير
واشرقت الارض على ما لم يسم فاعله وهي قراءة على التفسير وقد ضل قوم ههنا فتوهموا ان
الله عز وجل من جنس النور والضياء المحسوس وهو متعال عن مباينة المحسوسات بل هو منور السموات
والارض فمنه كل نور خلقا وانشاء وقال ابو جعفر النحاس وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور
ربها يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح تنظرون الى الله عز وجل لا تضامون في رؤيته
وهو يروى على اربعة اوجه لا تضامون ولا تضارون ولا تضامون ولا تضارون معنى تضامون
لا يلحقكم ضيم كما يلحقكم في الدنيا في النظر الى الملوك ولا تضارون لا يلحقكم ضير ولا تضامون لا
ينضم بعضكم الى بعض ليسأله ان يريه ولا تضارون لا يخالف بعضكم بعضا يقال ضاره مضارة
وضرارا اي خالفه قوله تعالى ووضع الكتاب قال ابن عباس يريد اللوح المحفوظ وقال قتادة يريد
الكتب والصحف التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وجيء بالنبيين اي جيء بهم فيسالون
عما اجابتهم به اممهم والشهداء الذين يشهدون على الامم من امة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في
سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقال ابن زيد الحفظة الذين
يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق
يسوقها الى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان على ما ياتي بيانه في ق
وقضي بينهم بالحق اي بالصدق والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم
ولا يزاد على سيئاتهم ووفيت كل نفس ما عملت من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة
به عز وجل الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة قوله تعالى و
سيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار والمؤمن
الى الجنة والزمر الجماعات واحدها زمرة كظلمة وغرفة وقال الاخفش وابو عبيدة زمرا جماعات
متفرقة بعضها اثر بعض قال الشاعر وترى الناس الى منزلته ٭ زمرا تنتاب بعد زمره وقال اخر حتى
احزالت زمر بعد زمر وقيل دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها
جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال لهم خزنتها واحدهم خازن نحو سادن وسدنة
يقولون لهم تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم يتلون عليكم ايات ربكم اي الكتب
المنزلة على الانبياء وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى اي قد جاءتنا وهذا اعتراف
منهم بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وهي قوله تعالى لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى الكلام في ابوابها
قال وهب تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فانه ليقع بالدفعة الواحدة الى
النار بعدد ربيعة ومضر فبئس مثوى المتكبرين تقدم بيانه قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة زمرا يعني من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله وعمل بطاعته وقال في
حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل النار طردهم اليها بالخزي والهوان كما يفعل بالاسارى

والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى الحبس او قتل وسوق اهل الجنة سوق مراكبهم الى دار
الكرامة والرضوان فلا يذهب بهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض
الملوك فشتان ما بين الفريقين حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قيل الواو ههنا للعطف عطف
جملة على جملة والجواب محذوف قال المبرد اي سعدوا وفتحت وحذف الجواب بليغ في كلام العرب
وانشد فلو انها نفس تموت جميعه ، ولكنها نفس تساقط انفسا ، فحذف جواب لو والتقدير لكان
ازوح وقال الزجاج حتى اذا جاؤها دخلوها وهو قريب من الاول وقيل الواو زائدة قال الكوفيون
وهو خطأ عند البصريين وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا
لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى اذا جاؤها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن
مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد
وقوفهم اذلالا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس فاما الحكمة في اثبات الواو في الثاني
وحذفها من الاول فقد تكلم فيه بعض اهل العلم بقول لا اعلم انه سبقه اليه احد وهو انه لما قال
تعالى في اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مفتحة قبل ان يجيئوها والله
اعلم وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة
سبعة وثمانية فاذا بلغوا السبعة قالوا وثمانية قاله ابو بكر بن عياش قال الله تعالى سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقال تعالى التائبون ثم قال في الثامن والناهون وقال تعالى
ويقولون سبعة وثامنهم وقال تعالى ثيبات وابكارا وقد مضى القول في هذا في سورة براءة
مستوفى وفي الكهف ايضا قلت وقد استدل بهذا من قال ان ابواب الجنة ثمانية وذكروا حديث
عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضوء
ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من
ايها شاء خرجه مسلم وغيره وقد خرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيه فتح له من ابواب الجنة ثمانية
يوم القيمة بزيادة من وهو يدل على ان ابوابها اكثر من ثمانية وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة و
انتهى عددها الى ثلاثة عشر بابا وذكرنا هناك عظم ابوابها وسعتها حسب ما ورد في الحديث فمن
اراده وقف عليه هناك وقال لهم خزنتها قيل الواو ملغاة تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي في الدنيا قال مجاهد بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح حكاه النقاش
والمعنى واحد وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض
مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم بمعنى التحية
طبتم فادخلوها خالدين قلت خرج البخاري من حديث القنطرة هذا في جامعه من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار
فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة
فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وحكى النقاش ان
على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من احدهما فتطهر اجوافهم فذلك قوله
تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب ابشارهم فعندها يقول لهم
خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده اي اذا دخلوا الجنة قالوا هذا واورثنا الارض اي ارض الجنة قيل انهم
ورثوا الارض التي تكون لاهل النار لو كانوا مؤمنين قاله ابو العالية وابو صالح وقتادة والسدي

وذكر

واكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا على التقديم والتاخير مجازه قوله تعالى فنعم اجر العاملين وقيل
هو من قولهم نعم الثواب هذا وقيل هو من قول الله تعالى اي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم
قوله تعالى وترى الملائكة يا محمد حافين اي محدقين من حول العرش في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم
متلذذين بذلك لا متعبدين به اي يصلون حول العرش شكرا لربهم والحافون اخذين من حافات
الشيء ونواحيه قال الاخفش واحدهم حاف وقال الفراء لا واحد له اذ لا يقع لهم الاسم الا مجتمعين
ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل يتعدى الى الظرف وبغير حرف وقال الاخفش من زائدة
اي حافين حول العرش وهو كقولك ما جاءني من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل الباء في التسبيح
احيانا وتحذفها احيانا فيقولون سبح بحمد ربك وسبح حمد الله قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
وقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل الجنة والنار وقيل قضي بين
النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين اممهم بالحق والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي
يقول المؤمنون الحمد لله على ما اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الاية
افتتح الله اول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات و
النور وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فلزم الاقتداء به والاخذ
في ابتداء كل امر بحمده وقيل ان قول الحمد لله رب العالمين من قول الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم
لله تعالى على عدله وقضائه وروي من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر
اخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين والله اعلم سورة غافر وهي سورة المؤمن مكية وتسمى سورة الطول في
قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر وعن الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة
وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها
وهي خمس وثمانون اية وقيل ثنتان وثمانون اية وفي مسند الدارمي حدثنا جعفر بن عون عن مسعر
عن سعد بن ابرهيم قال كن الحواميم يسمين العرائس وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الحواميم ديباج القران وروي عن ابن مسعود قوله قال الجوهري وابو عبيدة وال حم سور
في القران قال ابن مسعود ال حم ديباج القران وقال الفراء انما هو كقولك ال فلان وال فلان كانه
نسب السور كلها الى حم قال الكميت وجدنا لكم في ال حم اية ، تاولها منا تقي ومعرب ، فاما قول العامة
الحواميم فليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة الحواميم سور في القران على غير قياس وانشد وبا
لحواميم التي قد سبعت ، قال والاولى ان تجمع بذوات حم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل
شيء ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض
الجنة فليقرا الحواميم وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب
ذكرهما الثعلبي وقال ابو عبيد وحدثني حجاج بن محمد عن ابي معشر عن محمد بن قيس قال راى رجل
سبع جوار حسان مزينات في النوم فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرانا نحن ال حم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم
في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين
كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به و
يستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك

وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير

قوله تعالى حم اختلف في معناه فقال عكرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم حم اسم من اسماء الله وهي مفاتيح خزائن ربك وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وعنه ايضا اسم من اسماء الله تعالى اقسم به وقال قتادة انه اسم من اسماء القرآن مجاهد فواتح السور وقال عطا الخراساني الحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحنان وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن يدل عليه ما روي انس ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فانها لا نعرفها في لساننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بدو اسما وفواتح سور وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كاين كانه اراد الاشارة الى تهجي حم لانها تصير حم بضم الحاء و تشديد الميم اي قضي ووقع قال كعب بن مالك فلما التقيناهم ودارت بنا الرحى ، وليس لامر حمه الله دافع ، وعنه ايضا حم امر الله اي قرب قال الشاعر قد حم يوم فرحوهم ، بهم غفلة ونوم ، ومنه سميت الحمى لانها تقرب من المنية والمعنى المراد قرب نصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه كيوم بدر وقيل حروف هجا قال الجرمي ولهذا تقرا ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجي واذا سميت سورة بشيء من هذه الحروف اعربت فتقول قرات حم فتنصب قال الشاعر يذكرني حم والرمح ساجر ، فهلا تلا حم قبل التقدم ، وقرا عيسى بن عمر الثقفي حم بفتح الميم على معنى اقرا حم ولالتقاء الساكنين او على وجه القسم وقرا ابو جعفر بقطع الحاء من الميم الباقون بالوصل وكذلك في حم عسق وقرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بالامالة في الحاء وروي عن ابي عمرو بين اللفظين وهي قراءة نافع وابي جعفر وشيبة الباقون بالفتح مشبعا قوله تعالى تنزيل الكتاب ابتداء والخبر من الله العزيز العليم ويجوز ان يكون تنزيل خبرا لمبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون حم مبتدا وتنزيل خبره والمعنى ان القرآن انزله الله وليس منقولا ولا مما يجوز ان يكذب به قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال الفرا جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة وقال الزجاج هي خفض على البدل النحاس وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز ان يكونا معرفتين على انهما لما مضى فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب على الحال فاما شديد العقاب فهو نكرة ويكون خفضه على البدل قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقال التيمي قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله وقال ثابت البناني كنت الى سرادق مصعب بن الزبير في مكان لا تمر فيه الدواب

قال

قال فاستفتح حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فمر علي رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي فلما قلت وقابل التوب قال قل يا قابل التوب تقبل توبتي فلما قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب اعف عني فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل علي بخير فقمت اليه فاخذ ببصري فالتفت يمينا وشمالا فلم ار شيئا وقال اهل الاشارة غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد الله اليك الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقروها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر توبته قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم احدا قد زل فسددوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والتوب يجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توبا ويجوز ان يكون جمع توبة نحو دومة ودوم وعزمة وعزم ومنه قوله فيخبوا ساعة ويهب ساعا ويجوز ان يكون التوب بمعنى التوبة قال ابو العباس الذي يسبق الى قلبي ان يكون مصدرا اي يقبل هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات ذي الطول على البدل وعلى النعت لانه معرفة واصل الطول الانعام والفضل يقال منه اللهم طل علينا اي انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم وقال مجاهد ذي الغنى والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغنى عمن يقول لا اله الا الله وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه وتطول عليه اذا امتن وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي التفضل قال الماوردي بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والطول ماخوذ من الطول كانه طال بانعامه على غيره وقيل لانه طالت مدة انعامه لا اله الا هو اليه المصير اي المرجع قوله تعالى ما يجادل في ايات الله اي في دفع ايات الله الا الذين كفروا سجل سبحانه على المجادل في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال لايضاح ما التبس منها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه مستوفى فلا يغررك وقرئ يغرك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد فاني وان امهلتهم فلا اهملهم بل اعاقبهم قال ابن عباس يريد تجارتهم من مكة الى الشام والى اليمن وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة والرزق فانه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح على تانيث الجماعة اي كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم اي والامم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ يرد بمعنى الاهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكير والعرب تسمي

11

الاسير الاخيذ لانه ماسور للقتل قال الشاعر فاما تاخذوني تقتلوني ، ومن اخذ فليس الى خلود ،
وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم و
جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة والباطل لانه يزلق
ويزول فلا يستقر وقال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي
بالعذاب فكيف كان عقاب اي عاقبة الامم المكذبة اي اليس وجدوه حقا قوله تعالى وكذلك
حقت اي وجبت ولزمت ماخوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه القراءة قراءة العامة على
التوحيد وقرأ نافع وابن عامر كلمات جمعا على الذين كفروا انهم الاخفش اي لانهم وبانهم قال
الزجاج انهم ويجوز انهم بكسر الهمزة اصحاب النار اي المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتدا فقال
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا روي ان
حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم
اشراف الملائكة وافضلهم ففي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام
على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة ويقال خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين
القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف قيام
وقد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف
قد وضعوا اليمين على الشمال ما منهم من احد الا وهو يسبح بما يسبح به الاخر وقال ابن عباس العرش يضم
العين ذكر جميعه الزمخشري وقيل اتصل هذا بذكر الكفار لان المعنى والله اعلم الذين يحملون
العرش ومن حوله ينزهون الله عز وجل عما يقوله الكفار ويستغفرون للذين امنوا اي يسئلون
لهم المغفرة من الله تعالى واتفق اهل التفسير على ان العرش هو السرير وانه جسم مجسم خلقه الله عز و
جل وامر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الارض بيتا وامر بني ادم بالطواف به
واستقباله في الصلاة روى ابرهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر وعن جابر بن
عبد الله الانصاري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة
الله من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام ذكره البيهقي وقد مضى في البقرة
في اية الكرسي عظم العرش وانه اعظم المخلوقات خلقا وروى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن
كعب الاحبار انه قال لما خلق الله تعالى العرش قال لن يخلق الله تعالى خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه
الله بحية للحية سبعون الف جناح في الجناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف
وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها في كل يوم من
التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة
اجمعين فالتوت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به وقال مجاهد بين السماء السابعة
وبين العرش سبعون الف حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة ربنا اي يقولون
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء فلما نقل الفعل عن الرحمة نصب
على التفسير فاغفر للذين تابوا اي من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك اي دين الاسلام وقهم عذاب
الجحيم اي اصرفه عنهم حتى لا يصل اليهم قال ابرهيم النخعي كان اصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير
من ابن الكوا هم يستغفرون لمن في الارض وابن الكوا يشهد عليهم بالكفر قال ابرهيم وكانوا لا يحجبون
الاستغفار عن احد من اهل القبلة وقال مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله لعباد الله
الملائكة ووجدنا الغش عباد الله لعباد الله وتلا هذه الاية وقال يحيى بن معاذ الرازي لاصحابه في هذه

الاية

الاية افهموها فما في العالم جنة ارجى منها ان ملكا واحدا لو سال الله ان يغفر لجميع المؤمنين
لغفر لهم وكيف وجميع الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين وقال خلف بن هشام
البزار القاري كنت اقرا على سليم بن عيسى فلما بلغت ويستغفرون للذين امنوا بكى وقال يا خلف
ما اكرم المؤمنين على الله نائما على فراشه والملائكة تستغفر له قوله تعالى ربنا وادخلهم جنات
عدن يروى ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار ما جنات عدن قال قصر من ذهب في الجنة
يدخله النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وائمة العدل التي وعدتهم التي في محل نصب
نعتا للجنات ومن صلح في محل نصب عطفا على الهاء والميم في قوله وادخلهم ومن صلح بالايمان من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقد مضى في الرعد نظير هذه الاية قال سعيد بن جبير
يدخل الجنة الرجل فيقول يا رب اين ابي وجدي وامي واين ولدي وولد ولدي واين زوجاتي فيقال
لهم لم يعملوا بعملك فيقول يا رب كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم تلا الذين يحملون العرش
ومن حوله الى قوله ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وقد مضى في الرعد ويقرب من هذه
الاية والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله تعالى وقهم السيئات قال
قتادة وقهم ما يسوؤهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيئات وهو امر من وقاه الله يقيه
وقاية بالكسر اي حفظه ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي بدخول الجنة وذلك هو الفوز العظيم
اي النجاة الكبيرة قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم قال الاخفش
لمقت هذه لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول وقال غيره يقال لهم
لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقت بعضكم بعضا يوم القيمة
فاذعنوا عند ذلك وخضعوا وطلبوا الخروج من النار وقال الكلبي يقول كل انسان من اهل
النار لنفسه مقتك يا نفس فتقول الملائكة لهم وهم في النار لمقت الله اياكم وانتم في الدنيا
وقد بعث اليكم الرسل فلم تؤمنوا اشد من مقتكم اليوم انفسكم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا
نظروا الى سيئاتهم مقتوا انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال معناه مجاهد وقال قتادة المعنى لمقت الله لكم اذ تدعون
الى الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذا عاينتم النار فان قيل كيف يصح ان يمقتوا انفسهم ففيه وجهان
احدهما انهم احلوها بالذنوب محل الممقوت الثاني انهم صاروا الى حال زال عنهم الهوى وعلموا ان
نفوسهم التي هي اوبقتهم في المعاصي مقتوها وقال محمد بن كعب القرظي ان اهل النار لما يئسوا مما
عند الخزنة وقال انكم ماكثون على ما ياتي قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب
ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا
فاجمع رايهم على الصبر ثم جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي من ملجا فقام
ابليس عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الى قوله وما انتم بمصرخي
يقول بمغن عنكم شيئا اني كفرت بما اشركتمون من قبل فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم قال فنودوا
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الى قوله فهل الى خروج من سبيل قال فرد عليهم ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين اختلف اهل التاويل في معنى قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فقال ابن عباس
وابن مسعود وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم ثم اماتهم الموتة التي لا
بد منها في الدنيا ثم احياهم للبعث والقيامة فهاتان حياتان وموتتان وهو كقوله تعالى كيف

تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احياهم في
قبورهم للمسئلة ثم اميتوا ثم احيوا في الاخرة وانما صار الى هذه الان لفظ الميت لا يطلق في العرف
على النطفة واستدل العلماء من هذا في اثبات سؤال القبر ولو كان الثواب والعقاب على الروح
دون الجسد فما معنى الاحياء والاماتة والروح عند من يقصر احكام الاخرة على الارواح لا انها
لا تموت ولا تتغير ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يتطرق اليه موت ولا غشية ولا فنا وقال ابن زيد ربنا
امتنا اثنتين الاية قال خلقهم في ظهر ادم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم
في الدنيا ثم اماتهم وقد مضى هذا في البقرة فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا
حيث لا ينفعهم الندم فهل الى خروج من سبيل اي هل نرد الى الدنيا لنعمل بطاعتك نظيره فهل الى مرد من
سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد الاية قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
ذلكم في موضع رفع اي الامر ذلكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وفي الاية متروك تقديره فاجيبوا
ان لا سبيل الى الرد وذلكم لانه اذا دعي الله وحده اي وحد الله وحده كفرتم وانكرتم ان تكون الالوهية له
خاصة وان اشرك به مشرك صدقتموه وامنتم بقوله قال الثعلبي وسمعت بعض العلماء يقول وان
يشرك به تؤمنوا بعد الرد الى الدنيا لو كانوا يؤمنوا تصدقوا المشرك نظيره ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
فالحكم لله العلي الكبير عن ان يكون له صاحبة او ولد قوله تعالى هو الذي يريكم اياته اي دلايل توحيده
وقدرته وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين اظهار الايات وانزال الارزاق لان بالايات قوام الاديان
وبالرزق قوام الابدان وهذه الايات بين السموات والارضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر
والنجوم والرياح والسحاب والبحار والانهار والعيون والجبال والاشجار واثار قوم هلكوا وما
يتذكر الا من ينيب اي لا يتعظ بهذه الايات فيوحد الله الا من ينيب اي يرجع الى طاعة الله فادعوا الله
اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادة وقيل الطاعة ولو كره الكافرون عبادة الله فلا تعبدوا
انتم غيره قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش على اضمار مبتدا قال الاخفش ويجوز نصبه على المدح و
معنى رفيع اي رفيع الصفات وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع وقال
يحيى بن سلام هو رفعة درجات اوليائه في الجنة فرفيع على هذا بمعنى رافع فعيل بمعنى فاعل وهو على
القول الاول من صفات الذات ومعناه الذي لا ارفع منه وهو المستحق لدرجات المدح والثناء وهي
اصنافها وابوابها لا مستحق لها غيره قال الحليمي وقد ذكرناه في الكتاب الاسنى ذو العرش اي خالقه ومالكه
لا انه محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل عرش فلان اي زال ملكه وعزه فهو سبحانه ذو العرش بمعنى ثبوت
ملكه وسلطانه وقد بيناه في الكتاب الاسنى يلقي الروح من امره اي الوحي والنبوة على من يشاء من عباده
وسمي ذلك روحا لان الناس يحيون به اي يحيون من موت الكفر كما تحيى الابدان بالارواح وقال ابن زيد الروح
القران قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل قال الله تعالى نزل به الروح
الامين على قلبك وقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق من قوله اي من قوله وقيل من قضائه وقيل من
بمعنى الباء اي بامره على من يشاء من عباده وهم الذين يشاء هو ان يكونوا انبياء وليس لاحد فيهم مشيئة لينذر يوم التلاق
اي انما يبعث الرسول لانذار يوم البعث فقوله لينذر يرجع الى الرسول وقيل اي لينذر الله ببعثه الرسل
الى الخلائق يوم التلاق وقرا ابن عباس والحسن وابن السميقع لتنذر بالتاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم يوم
التلاق قال ابن عباس وقتادة يوم تلتقي اهل السماء واهل الارض وقال قتادة ايضا وابو العالية و
مقاتل تلتقي فيه الخلق والخالق وقيل العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي كل
انسان جزاء عمله وقيل يلتقي الاولون والاخرون في صعيد واحد روي معناه عن ابن عباس وكله صحيح

يوم

يوم هم بارزون يكون بدلا من يوم الاول وقيل هم في موضع رفع بالابتداء وبارزون خبره والجملة
في موضع خفض بالاضافة فلذلك حذفت النون من يوم وانما يكون هذا عند سيبويه اذا كان الظرف
بمعنى اذ تقول لقيته يوم زيد امير وان كان بمعنى اذا لم يجز نحو انا القاك يوم زيد امير ومعنى بارزون
خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيه ولا امتا على ما
تقدم في طه بيانه لا يخفى على الله منهم شيء قيل ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون اي لا يخفى
عليه شيء منهم ومن اعمالهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك عند فناء الخلق قال الحسن
هو السائل وهو المجيب تعالى لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار
النحاس واصح ما قيل فيه ما رواه ابو وائل عن ابن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضاء مثل الفضة
لم يعص الله عليها فيؤمر مناديا ينادي لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار
فيقول المؤمنون هذا السرور او تلذذا ويقول الكافرون هذا رغما وانقيادا وخضوعا فاما
ان يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد لانه لا فائدة فيه والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو
مما يؤخذ بالقياس ولا بالتاويل قلت والقول الاول ظاهر جدا لان المقصود اظهار انفراده تعالى
بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر
وملكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم ودل على هذا قوله الحق عند قبض الارض والارواح وطي السماء
انا الملك اين ملوك الارض كما تقدم في حديث ابي هريرة وفي حديث ابن عمر ثم يطوي الارض بشماله
ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وعند قوله سبحانه لمن الملك اليوم هو انقطاع زمن
الدنيا وبعده يكون البعث والنشور قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك اليوم بين النفختين حين
فني الخلق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا ولا مملوكا فيقول لمن الملك فلا يجيبه احد لان الخلق
اموات فيجيب نفسه لله الواحد القهار لانه بقي وحده وقهر خلقه وقيل انه ينادي مناد فيقول
لمن الملك اليوم فيجيبه اهل الجنة لله الواحد القهار ذكره الزمخشري قوله تعالى اليوم تجزى كل
نفس بما كسبت اي يقال لهم اذا اقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير
او شر لا ظلم اليوم اي لا ينقص احد شيئا مما عمله ان الله سريع الحساب اي لا يحتاج الى تفكر وعقد
يد كما يفعله الحساب لانه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء فلا يؤخر جزاء احد للاشتغال بغيره
وكما يرزقهم في ساعة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وفي الخبر لا ينتصف النهار حتى يقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيمة سميت
بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو ات قريب وازف فلان قرب يازف ازفا قال النابغة ازف الترحل غير ان
ركابنا ، لما تزل برحالنا وكان قد ، اي قرب ونظير هذه الاية ازفت الازفة اي قربت الساعة وكان
بعضهم يتمثل ويقول ازف الرحيل وليس لي من زاد ، غير الذنوب لشقوتي ونكاد ، اذ القلوب
لدى الحناجر كاظمين في حال كظمهم واجاز الفراء ان يكون التقدير وانذرهم كاظمين واجاز رفع
كاظمين على انه خبر للقلوب وقال المعنى اذ هم كاظمون وقال الكسائي يجوز رفع كاظمين على
الابتداء وقد قيل ان المراد بيوم الازفة يوم حصول المنية قال قطرب وكذا اذ القلوب لدى
الحناجر عند حضور المنية والاول اظهر وقال قتادة وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا
تعود في امكنتها وهذا لا يكون الا يوم القيمة كما قال وافئدتهم هواء وقيل هو اخبار عن نهاية
الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واضيف اليوم الى الازفة على تقدير يوم القيمة الازفة و
يوم المجادلة الازفة وعند الكوفيين هو من باب اضافة الشيء الى نفسه مثل مسجد الجامع و

صلاة الاولى ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفع ولا شفيع يطاع فيشفع فيهم قوله تعالى يعلم
خائنة الاعين قال المورخ فيه تقديم وتاخير اي يعلم الاعين الخائنة وقال ابن عباس هو
الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المراة فيسارقهم النظر اليها وعنه هو الرجل ينظر الى المراة فاذا
نظر اليه اصحابه غض بصره فاذا راى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظر اليه اصحابه غض بصره و
قد علم الله انه يود لو نظر الى عورتها وقال مجاهد هي مسارقة نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وقال
قتادة هي الهمزة بعينه والغماضة فيما لا يحب الله تعالى وقال الضحاك هو قول الانسان ما رايت و
قد راى ورايت وما رايت وقال السدي انه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة و
قال الفرا خائنة الاعين النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الاولى وقال ابن عباس وما تخفي
الصدور اي هل يزني بها لو خلا بها ام لا وقيل تخفي الصدور تكنه وتضمره ولما جي بعبد الله بن ابي
سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان اهل مكة وطلب له الامان عثمان رضي الله عنه
صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا اشرق له ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن
حوله ما صمت الا ليقوم اليه احدكم ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول
الله فقال ان النبي لا ينبغي ان تكون له خائنة الاعين والله يقضي بالحق اي يجازي من غض بصره
عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة الفواحش اذا قدر عليها والذين يدعون من دونه يعني
الاوثان لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر عليه وقراءة العامة بالياء على الخبر عن الظالم
وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا نافع وشيبة وهشام تدعون بالتاء ان الله هو السميع البصير
هو زايدة فاصلة ويجوز ان تكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبر عنها والجملة خبر ان قوله
تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا و
سلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا
اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون
ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال
موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من ال فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا
فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون
ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل
يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا
قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما
له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى و
اني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب

وقال

وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة
هي دار القرار قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا في موضع جزم عطف على يسيروا ويجوز ان يكون
في موضع نصب على انه جواب والجزم والنصب في التثنية والجمع كيف كان عاقبة اسم كان والخبر كيف و
واق في موضع خفض معطوف على اللفظ ويجوز ان يكون في موضع رفع على الموضع فرفعه وخفضه
واحد لان الباء محذوف وتبقى الكسرة دالة عليها وقد مضى الكلام في معنى هذه الاية في غير موضع
فاغنى عن الاعادة قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي التسع ايات المذكورة في قوله تعالى ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات وقد مضى تعيينها وسلطان مبين اي حجة واضحة بينة وهو يذكر ويؤنث
وقيل اراد بالسلطان التورية الى فرعون وهامان وقارون خصهم بالذكر لان مدار التدبير في عداوة
موسى كان عليهم ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال والكنوز فجمعه الله معهما
لان عمله في الكفر والتكذيب كاعمالهما فقالوا ساحر كذاب لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر
قوله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا وهي المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه و
استحيوا نساءهم قال قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان
وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى اعاد القتل على بني اسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الناس من الايمان
ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من اولادهم فشغلهم الله عن ذلك بما انزل عليهم من انواع
العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله وهذا معنى قوله
وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في خسران وهلاك وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم
مثل هذا فكيده يذهب باطلا قوله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اقتل جزم لانه
جواب الامر وليدع جزم لانه امر وذروني ليس بمجزوم وان كان امرا ولكن لفظه لفظ المجزوم و
هو مبني وقيل هذا يدل على انه قيل لفرعون انا نخاف ان يدعو عليك فيجاب فقال وليدع ربه اي لا
يهولنكم ما يذكر من ربه فانه لا حقيقة له وانا ربكم الاعلى اني اخاف ان يبدل دينكم اي عبادتكم الي عبادة
ربه وان يظهر في الارض الفساد اي يقع بين الناس بسببه الخلاف وقراءة المدنيين وابي عبد الرحمن
السلمي وابن عامر وابي عمرو وان يظهر في الارض بفتح الياء الفساد بالرفع وكذلك هي في مصاحف
الكوفيين او بالف واليه يذهب ابو عبيدة لان فيه زيادة حرف وفيه فصل ولان او تكون بمعنى الواو
لما احتيج الى هذا ههنا لان معنى الواو اني اخاف الامرين جميعا ومعنى او لاحد الامرين اي اني اخاف ان
يبدل دينكم فان اعوزه ذلك اظهر في الارض الفساد قوله تعالى وقال موسى اني عذت بربي وربكم لما
هدده فرعون بالقتل استعاذ موسى بالله من كل متكبر اي متعظم عن الايمان بالله وصفته انه لا يؤمن
بيوم الحساب قوله تعالى وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه فيه اربع مسائل الاولى وقال
رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه فيه اربع مسائل ذكر بعض المفسرين ان اسم هذا الرجل حبيب
وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي وهو اصح ما قيل فيه وفي تاريخ الطبري اسمه خبر وقيل حزقيل
ذكره الثعلبي عن ابن عباس واكثر العلماء الزمخشري واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل و
اختلف هل كان اسرائيليا او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا ويقال انه كان ابن عم فرعون
قال السدي وهو الذي نجا مع موسى عليه السلم ولهذا قال من ال فرعون وهو المراد بقوله وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى الاية وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس لم يكن من ال فرعون مؤمن
غيره وامراة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال يا موسى ان الملا ياتمرون بك وفي هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تعجب من مشركي قومك وكان هذا الرجل له وجاهة عند فرعون

ولهذا لم يتعرض له بسوء وقيل كان هذا الرجل من بني اسرائيل يكتم ايمانه من ال فرعون عن السدي
ايضا ففي الكلام على هذا تقديم وتاخير والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ال فرعون فمن جعل
الرجل قبطيا فمن عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال رجل مؤمن منسوب من ال فرعون
ومن جعله اسرائيليا فمن متعلقة بيكتم في موضع مفعول ثان ليكتم القشيري ومن جعله اسرائيليا
ففيه بعد لانه لا يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه قال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان
فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل هذا القول **الثانية** قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي لان
يقول ولاجل ان يقول ربي الله فان في موضع نصب بنزع الخافض وقد جاءكم بالبينات يعني بالايات
التسع من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفا
في الاستكفاف واستنزالا عن الاذى ولو كان وان يكن بالنون جاز الاستكفاف ولكن حذفت النون
لكثرة الاستعمال على قول سيبويه ولانها نون الاعراب على قول ابي العباس وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم الا بعض الذي يعدكم هلكتم ومذهب ابي عبيدة ان معنى بعض
الذي يعدكم كل الذي يعدكم **وانشد قول لبيد** تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس
حمامها فبعض بمعنى كل لان البعض اذا اصابهم الكل لا محالة لدخوله في الوعيد وهذا ترقيق الكلام
في الوعظ وذكر الماوردي ان البعض قد يستعمل في موضع الكل تلطفا في الخطاب وتوسعا في الكلام
كما **قال الشاعر** قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وقيل انما قال ذلك
لانه حذرهم انواعا من العذاب كل نوع منها مهلك فكانه حذرهم ان يصيبهم بعض تلك الانواع
وقيل وعدهم موسى بعذاب الدنيا او بعذاب الاخرة ان كفروا فالمعنى يصبكم بعض العذابين وقيل
اي يصيبكم هذا العذاب بقوله في الدنيا وهو بعض الوعيد ثم يترادف العذاب في الاخرة ايضا وقيل
وعدهم العذاب ان كفروا والثواب ان امنوا فاذا كفروا يصيبهم بعض ما وعدوا ان الله لا يهدي من
هو مسرف على نفسه كذاب على ربه اشارة الى موسى ويكون هذا من قول المؤمن وقيل مسرف في عناده
وكذاب في ادعائه اشارة الى فرعون ويكون هذا من قول الله تعالى **الثالثة** قوله تعالى يكتم ايمانه
قال القاضي ابو بكر بن العربي ظن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه ولم يتلفظ بلسانه انه يكون مؤمنا
باعتقاده وقد قال مالك ان الرجل اذا نوى بقلبه طلاق امراته انه يلزمه كما يكون مؤمنا بقلبه و
كافرا بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وانه كذلك ليس على الاطلاق وقد بيناه في اصول الفقه
بيانه ان المكلف اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يلفظ بلسانه واما اذا نوى الايمان بقلبه
لا يكون مؤمنا بحال حتى يتلفظ بلسانه ولا يمنعه التقية والخوف من ان يتلفظ بلسانه فيما بينه و
بين الله تعالى انما يمنعه التقية من ان يسمعه غيره وليس من شرط الايمان ان يسمعه الغير في صحته
من التكليف وانما يشترط اسماع الغير ليكف عن نفسه وماله **الرابعة** روى البخاري ومسلم عن عروة
ابن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه
ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم لفظ البخاري خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي
الله عنهم قال اجتمعت قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث فارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل
هذا يجاه وهذا يتلتله فاستغاث النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ فلم يغثه احد الا ابو بكر وله

ظفيرتان فاقبل يجاه ذا ويتلتل ذا ويقول باعلا صوته ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
والله انه لرسول الله فقطعت احدى ظفيرتي ابي بكر يومئذ فقال علي والله ليوم ابي بكر خير من مؤمن
ال فرعون ان ذلك رجل كتم ايمانه فاثنى الله عليه في كتابه وابو بكر اظهر ايمانه وبذل ماله ودمه
لله عز وجل **قلت** قول علي رضي الله عنه ان ذلك رجل كتم ايمانه يريد في اول امره بخلاف الصديق
فانه اظهر ايمانه ولم يكتمه والا فالقران مصرح بان مؤمن ال فرعون اظهر ايمانه لما ارادوا قتل
موسى على ما ياتي بيانه وفي نوادر الاصول ايضا عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالوا لها ما اشد
شيء رايت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا في المسجد
يتذاكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول في الهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه باجمعهم وكانوا اذا سالوه عن شيء صدقهم فقالوا له الست تقول كذا
في الهتنا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقال له ادرك صاحبك فخرج من عندنا
وان له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر فرجع الينا ابو بكر فجعل لا يمس
شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام اكرام اكرام **قوله تعالى** يا قوم لكم
الملك اليوم هذا من قول مؤمن وعظاء ال فرعون وفي قوله يا قوم دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم
الى نفسه فقال يا قوم ليكونوا اقرب الى قبول وعظه لكم الملك اليوم فاشكروا الله على ذلك ظاهرين
في الارض اي غالبين وهو نصب على الحال اي في حال ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول السدي
كقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي من
عذاب الله تحذير لهم من نقمه ان كان موسى صادقا فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته قال
فرعون ما اريكم الا ما ارى قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما اشير عليكم الا بما ارى لنفسي وما
اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان بي **قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم زادهم
في الوعظ اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام العذاب التي عذب فيها المتحزبون على
الانبياء المذكورين فيما بعد **قوله تعالى** ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف
وافصح عن ايمانه اما مستسلما موطنا نفسه على القتل او واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد
وقاه الله شرهم بقوله الحق فوقاه الله سيئات ما مكروا وقراءة العامة التناد بتخفيف الدال وهو
يوم القيامة **قال امية بن ابي الصلت** وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التناد سمي بذلك
لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وينادي اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء وينادي المنادي ايضا بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة
لا يسعد بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهذا عند وزن
الاعمال وتنادي الملائكة اصحاب الجنة ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وينادي حين
يذبح الموت يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وينادي كل قوم بامامهم الى غير
ذلك من النداء وقرا الحسن وابن السميقع ويعقوب وابن كثير ومجاهد التنادي باثبات الياء في
الوصل والوقف على الاصل وقرا ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التناد بتشديد الدال قال
بعض اهل العربية هذا لحن لان من ند يند اذا مر على وجهه هاربا كما **قال الشاعر** وبرك هجود
قد اثارت مخافتي بواديها امشي بعضب مجرد فلا معنى لهذا في القيمة قال ابو جعفر النحاس وهذا غلط

والقراءة به حسنة على معنى يوم التنادّ اي يوم التنافر قال الضحاك ذلك اذا سمعوا زفير جهنم ندّوا هرباً فلا يأتون قطراً من اقطار الارض الا وجدوا صفوفاً من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم التنادّ وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا الاية وقوله والملك على ارجائها ذكره ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر قال حدثنا عبد الجبار بن عبد الله بن سليمان في قوله اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالدم فيبكون حتى ينفد الدم ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح قال يرسل عليهم من امر الله فيولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح فيبكون القيح حتى ينفد القيح فتغور اعينهم كالخرق في الطين وقيل ان هذا يكون عند نفخ اسرافيل عليه السلم في الصور نفخة الفزع ذكره علي بن معبد والطبري وغيرهما من حديث ابي هريرة وفيه فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها الامواج فتميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتطاير الشياطين هاربة فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين ينادي بعضهم ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد الحديث بكماله وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وروي عن علي بن نصر عن ابي عمرو واسكان الدال من التناد في الاصل وروى ابو معمر عن عبد الوارث زيادة الياء في الوصل خاصة وهو مذهب ورش والمشهور عن ابي عمرو وحمزة حذفها في الحالين وكذلك قرا سائر السبعة سوى ورش على ما ذكرنا وسوى ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيمة يوم التناد لان الكافر ينادي فيه بالويل والثبور والحسرة قاله ابن جريج وقيل فيه اضمار اي اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد فالله اعلم يوم تولون مدبرين على البدل من يوم التناد ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادي له وفي قائله قولان احدهما موسى الثاني مؤمن ال فرعون وهو الاظهر والله اعلم **قوله تعالى** ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات قيل ان هذا من قول موسى وقيل هو من تمام وعظ مؤمن ال فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء واراد يوسف بن يعقوب جاءهم بالبينات ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قال ابن جريج هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولاً الى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرؤيا وقال ابن عباس هو يوسف ابن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلم اقام فيهم نبياً عشرين سنة وحكى النحاس عن الضحاك ان الله تعالى بعث اليهم رسولاً من الجن يقال له يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر وغيره يقول هو اخر النحاس وليس في الاية ما يدل على انه هو لانه اذا اتى نبي معه ولمن بعده فقد جاءهم جميعاً بها وعليهم ان يصدقوه بها فما زلتم في شك مما جاءكم به اي اسلافكم كانوا في شك حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً اي من يدعي الرسالة كذلك يضل الله اي مثل ذلك الضلال من هو مسرف مشرك مرتاب شاك في وحدانية الله والله اعلم **قوله تعالى** الذين يجادلون في ايات الله اي في حججه الظاهرة بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان والذين في موضع نصب على البدل من من وقال الزجاج اي كذلك يضل الله الذين يجادلون في ايات الله فالذين نصب قال ويجوز ان يكون رفعاً على معنى هم الذين او على الابتداء والخبر كبر مقتاً ثم قيل هذا من كلام مؤمن ال فرعون وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى مقتاً على البيان اي كبر جدالهم مقتاً كقوله كبرت كلمة ومقت الله تعالى ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم كذلك اي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع الله اي يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يعقل

الرشاد

الرشاد ولا يقبل الحق وقراءة العامة على كل قلب متكبر باضافة قلب الى المتكبر واختاره ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والمعنى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فحذف كل الثاني لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لم يستقم المعنى لانه يصير معناه انه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلباً قلباً ومما يدل على حذف كل **قول ابي داود** اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل ناراً يريد وكل نار وقراءة ابن مسعود على قلب كل متكبر فهذه قراءة على التفسير والاضافة وقرا ابو عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام قلب منون على ان متكبر نعت للقلب فكنى بالقلب عن الجملة لان القلب هو الذي يتكبر وسائر الاعضاء تبع له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب **قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لما قال مؤمن ال فرعون ما قال وخاف فرعون ان يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم اوهم انه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فان بان له صوابه لم يخفه عنهم وان لم يصح ثبتهم على دينهم فامر وزيره هامان ببناء الصرح وقد مضى في القصص بيانه لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بدل من الاول واسباب السماء ابوابها في قول قتادة والسدي والاخفش **وانشد** ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم وقال ابو صالح اسباب السموات طرقها وقيل الامور التي تستمسك بها السموات وكرر اسباب تفخيماً لان الشيء اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيماً لشانه فاطلع الى اله موسى فانظر اليه نظر مشرف عليه توهم انه جسم تحويه الاماكن وكان فرعون يدعي الالهية ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف وقراءة العامة فاطلع بالرفع نسقاً على قوله ابلغ وقرا الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب قال ابو عبيد هو على جواب لعل بالفاء النحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب اطلعت ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا ان ثم اشد تراخياً من الفاء واني لاظنه كاذباً اي واني لاظن موسى كاذباً في ادعائه الهاً دوني وانما افعل ما افعل لازاحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في امر الله وقيل ان الظن بمعنى اليقين اي وانا اتيقن انه كاذب وانما اقول ما اقوله لازالة الشبهة عمن لا يتيقن ما اتيقنه والله اعلم **قوله تعالى** وكذلك زين لفرعون سوء عمله اي كما قال هذه المقالة وارتاب فيه زين له الشيطان او زين الله له سوء عمله اي الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراءة الكوفيين وصد على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويجوز على هذه القراءة وصد بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد وهي قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة وقرا ابن اسحق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد بالرفع والتنوين الباقون وصد بفتح الصاد والدال صد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي في خسران وضلال ومنه تبت يدا ابي لهب وقوله وما زادوهم غير تتبيب وفي موضع غير تخسير فهلكه الله صرحه وغرقه هو وقومه على ما تقدم **قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم اتبعون هذا من تمام ما قاله مؤمن ال فرعون اقتدوا بي في الدين اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى وهو الجنة وقيل من قول موسى وقرا معاذ بن جبل الرشاد بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية لانه انما يقال ارشد يرشد ولا يكون فعال من افعل انما يكون من الثلاثي فان اردت التكثير من الرباعي قلت مفعال قال النحاس يجوز ان يكون رشاد بمعنى يرشد لا على انه مشتق ولكن كما يقال لآل من اللؤلؤ فهو بمعناه وليس جارياً عليه ويجوز

ان يكون رشاد بمعنى رشد اي صاحب رشاد كما قال عبس لهم تامية ناهب الزمخشري وقري الرشاد
فعال من ارشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك
لان فعالا من افعل لم يجي الا في عدة احرف نحو دراك وحصار وجبار ولا يصح القياس على القليل
ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبنات غير منظور فيه الى فعل ووقع في المصحف اتبعون
بغير ياء وقراها يعقوب وابن كثير بالاثبات في الوصل والوقف وحذفها ابو عمرو ونافع في الوقف
واثبتاها في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين وكذلك الباقون لانها في المصحف بغير ياء ومن اثبتها
فعلى الاصل انتهى قوله تعالى يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي يتمتع بها قليلا ثم تنقطع
وتزول وان الاخرة هي دار القرار اي الاستقرار والخلود ومراده بالدار الاخرة الجنة والنار لانهما
لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئة يعني الشرك فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب قوله
تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما
تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار
فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما
مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا
كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد
حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال انا
لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى
وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي و
الابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببا
لغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون قوله تعالى ومن عمل صالحا قال ابن عباس يريد قول لا اله الا الله وهو مؤمن مصدق
بقلبه لله وللانبياء فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء على ما لم يسم فاعله وهي قراءة ابن كثير وابن
محيصن وابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يرزقون فيها بغير حساب الباقون يدخلون
بفتح الياء قوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة الى طريق الايمان الموصل الى الجنان وتدعونني
الى النار بين انما قال فرعون من قوله وما اهديكم الى سبيل الرشاد سبيل الغي عاقبته النار وكانوا
ادعوه الى اتباعه ولهذا قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو فرعون وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا انما تدعونني اليه ما بمعنى الذي ليس

٥

له دعوة قال الزجاج ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة توجب له الالوهية في الدنيا
ولا في الاخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى
عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ثم
دعى باخرى لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى وان مردنا الى الله وان المسرفين هم
اصحاب النار قال قتادة وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون
للدماء بغير حقها وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع
لما ذكر وان في المواضع في موضع نصب باسقاط حرف الجر وعلى ما حكاه سيبويه عن الخليل من ان
لا جرم رد الكلام يجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب انما تدعونني اليه كانه قال وجب
بطلان ما تدعونني اليه والمرد الى الله وكون المسرفين المشركين اصحاب النار قوله تعالى فستذكرون
ما اقول لكم تهديد ووعيد وما يجوز ان يكون بمعنى الذي اي الذي اقوله لكم ويجوز ان يكون مصدرية
اي فستذكرون قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض امري الى الله اي اتوكل عليه واسلم امري اليه
وقيل هذا يدل على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه
وقد قيل القائل موسى والاظهر انه مؤمن ال فرعون وهو قول ابن عباس قوله تعالى فوقيه الله
سيئات ما مكروا اي من الحاق انواع العذاب به فطلبوه فما وجدوه لانه فوض امره الى الله قال
قتادة كان قبطيا فنجاه الله مع بني اسرائيل فالهاء على هذا المؤمن ال فرعون وقيل انها لموسى
كما تقدم من الخلاف وحاق بال فرعون سوء العذاب قال الكسائي يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا
اذا لزم ونزل بهم بين العذاب فقال النار يعرضون عليها وفيه ستة اوجه يكون رفعا على البدل
من سوء ويجوز ان يكون بمعنى هو النار ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وقال الفراء يكون
مرفوعا بالعايد على معنى النار عليها يعرضون فهذه اربعة اوجه في الرفع وقال الفراء يجوز النصب
لان بعدها عايد وقبلها ما يتصل به واجاز الاخفش الخفض على البدل من العذاب والجمهور
على ان هذا العرض في البرزخ فاحتج بعض اهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ما دامت الدنيا كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال
هذه الاية تدل على عذاب القبر في الدنيا الا تراه يقول عن عذاب الاخرة ويوم القيمة ادخلوا ال
فرعون اشد العذاب وفي الحديث عن ابن مسعود ان ارواح ال فرعون ومن كان مثلهم من الكفار
تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو
على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها وروى شعبة عن يعلى بن عطا قال سمعت ميمون
بن ميسرة قال كان ابو هريرة اذا اصبح ينادي اصبحنا والحمد لله وعرض ال فرعون على النار
وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر
اذا مات عرض على النار بالغداة والعشي ثم تلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وان
المؤمن اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان
كان من اهل النار فمن اهل النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة
قال الفراء في الغداة والعشي بمقادير ذلك في الدنيا وهو قول مجاهد قال غدوا وعشيا قال من
ايام الدنيا وقال حماد بن محمد الفزاري قال للاوزاعي راينا طيورا تخرج من البحر تاخذ ناحية البحر
بيضا صغارا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشي رجعت مثلها سودا قال
تلك الطيور في حواصلها ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى اوكارها و

قد احترقت ارياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريشا ابيضا ويتناثر السواد ثم تغدوا
فتعرض على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى اوكارها فذلك دابها ما كانت في الدنيا فاذا كان
يوم القيمة قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وهي الهاوية قال الاوزاعي فبلغنا انهم
الفا الف وستمائة الف وغدوا مصدر جعل ظرفا على السعة وعشيا عطف عليه وتم الكلام ثم
تبتدى ويوم تقوم الساعة على ان تنصب يوما بقوله ادخلوا ويجوز ان يكون منصوبا بيعرضون
على معنى يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف عليه وقرأ نافع واهل المدينة
وحمزة والكسائي ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء وهي اختيار ابي عبيد اي يامر الله الملائكة ان يدخلوهم
ودليله النار يعرضون عليها الباقون ادخلوا بوصل الالف وضم الخاء من دخل اي يقال لهم ادخلوا
يا ال فرعون اشد العذاب وهو اختيار ابي حاتم قال في القراءة الاولى مفعول اول واشد مفعول
ثان بحذف الجر وفي القراءة الثانية منصوب لانه نداء مضاف وال فرعون من كان على دينه وعلى مذهبه
واذا كان من كان على دينه وعلى مذهبه واذا كان من كان على دينه ومذهبه في اشد العذاب كان هو
اقرب الى ذلك وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت
مؤمنا منهم يحيى بن زكريا ولد مؤمنا وحيي مؤمنا ومات مؤمنا وان العبد يولد كافرا ويحيى مومنا و
يموت كافرا منهم فرعون ولد كافرا وحيي كافرا ومات كافرا ذكره النحاس وجعل القراءة في الاية
تقديما وتاخيرا مجازه ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فجعل العرض
في الاخرة وهذا خلاف ما ذهب اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم والله اعلم قوله
تعالى واذ يتحاجون في النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفاء للذين استكبروا عن الانقياد
للانبياء انا كنا لكم تبعا فيما دعوتمونا اليه من الشرك في الدنيا فهل انتم مغنون عنا اي متحملون عنا
نصيبا من النار اي جزءا من العذاب والتبع يكون واحدا ويكون جمعا في قول البصريين واحده تابع
وقال اهل الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر فلذلك لم يجمع ولو جمع لقيل اتباع قال الذين استكبروا
انا كل فيها اي في جهنم قال الاخفش كل مرفوع بالابتداء واجاز الكسائي والفراء انا كلا بالنصب
على النعت والتاكيد للمضمر في انا وكذلك قرا ابن السميقع وعيسى بن عمر والكوفيون يسمون التاكيد
نعتا ومنع ذلك سيبويه قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت بها ولا يجوز فيها البدل لان الخبر عن نفسه
لا يبدل منه غيره وقال معناه المبرد وقال لا يجوز ان يبدل من المضمر هنا لانه مخاطب ولا من المخاطب
لانهما لا يشكلان فيبدل منهما هذا نص كلامه ان الله قد حكم بين العباد اي بان لا يؤاخذ احدا بذنب
احد فكل منا كافر والله اعلم قوله تعالى وقال الذين في النار من الامم الكافرة ومن العرب من يقول
اللذون على انه جمع مسلم معرب ومن قال الذين في الرفع بناه كما كان في الواحد مبنيا وقال
الاخفش ضمت النون الى الذي فاشبه خمسة عشر فبني على الفتح لخزنة جهنم جمع خازن ويقال
خزان وخزن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب يخفف جواب مجزوم ولو كان بالفاء كان منصوبا
الا ان الاكثر في كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه ان يكون بغير فاء وعلى هذا جاء القرآن
بافصح اللغات كما قال قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قال محمد بن كعب القرظي بلغني انه او ذكر
لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم قالوا اولم
تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال الخبر بطوله و
في الحديث عن ابي الدرداء واخرجه الترمذي وغيره قال يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من

العذاب

العذاب فيستغيثون منه فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فياكلون عنهم شيئا فيستغيثون
فيغاثون بطعام ذي غصة فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالما
فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم بالكلاليب فاذا دنا من وجوههم شواها فاذا وقع في بطونهم
قطع امعاءهم وما في بطونهم فيستغيثون بالملائكة يقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فيجيبونهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا
في ضلال اي في خسار وتبار قوله تعالى انا لننصر رسلنا ويجوز حذف الضمة لثقلها فيقال رسلنا
والمراد موسى عليه السلم والذين امنوا في موضع نصب عطف على الرسل والمراد المؤمنين الذين وعظ و
قيل هو عام في الرسل والمؤمنين ونصرهم باعلاء الحجج وافلاجها في قول ابي العالية وقيل بالانتقام
من اعدائهم قال السدي ما قتل قوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق من المؤمنين الا بعث الله عز و
جل من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا ويوم يقوم الاشهاد يعني القيمة قال زيد
ابن اسلم الاشهاد اربعة الملائكة والنبيون والمؤمنون والاجساد وقال مجاهد والسدي الاشهاد
الملائكة تشهد للانبيا بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقال قتادة الملائكة والانبيا ثم قيل الاشهاد
جمع شهيد مثل شريف واشراف وقال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب النحاس ليس
على باب فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموعا ادي على ما سمع وكان
على حذف الزايد واجاز الاخفش والفرا ويوم تقوم الاشهاد بالتاء على تانيث الجماعة وفي الحديث
عن ابي الدرداء وبعض المحدثين يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن اخيه المسلم كان حقا على الله
ان يرد عنه نار جهنم ثم تلى انا لننصر رسلنا والذين امنوا وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال
من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله عز وجل ملكا يحميه يوم القيمة من النار ومن ذكر مسلما
بشي يشينه به وقفه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال يوم بدل من يوم الاول لا تنفع
الظالمين معذرتهم قرا نافع والكوفيون ينفع بالياء الباقون بالتاء ولهم اللعنة ولهم سوء الدار
اللعنة البعد من رحمة الله وسوء الدار جهنم قوله تعالى ولقد اتينا موسى الهدى هذا دخل في نصرة
الرسل في الدنيا والاخرة اي اتيناه التورية والنبوة وسميت التورية هدى بما فيها من الهدى
والنور وفي التنزيل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التورية
جعلناها لهم ميراثا هدى بدل من الكتاب ويجوز بمعنى هو هدى يعني ذلك الكتاب وذكرى لاولي
الالباب اي موعظة لاصحاب العقول قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد على اذى
المشركين كما صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك واظهارك كما نصرت موسى وبني اسرائيل وقال
الكلبي نسخ هذا باية السيف واستغفر لذنبك اي لذنب امتك حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقيل لذنب نفسك على قول من يجوز الصغاير على الانبيا ومن قال لا يجوز قال
هذا تعبد للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء كما قال واتنا ما وعدتنا والفائدة زيادة الدرجات
وان يصير الدعاء سنة لمن بعده وقيل فاستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار يعني صلاة الفجر وصلاة العصر قاله الحسن وقتادة وقيل هي صلاة
كانت بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية ايضا عن الحسن ذكره الما
وردي فيكون هذا مما نسخ والله اعلم وقوله بحمد ربك اي بالشكر والثنا عليه وقيل سبح بحمد ربك
اي استدم التسبيح في الصلاة وخارجا منها بذلك عن استحقاق النصرة قوله تعالى ان الذين
يجادلون يخاصمون في ايات الله بغير سلطان اي حجة اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه

قال الزجاج المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال الزجاج المعنى ما في صدورهم
الا كبر ما هم بالغي ارادتهم فيه قدره على الحذف وقال غيره المعنى ما هم ببالغي الكبر على
غير حذف لان هؤلاء قوم راوا انهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم ونقصت احوالهم
وانهم يرتفعوا اذا لم يكونوا اتباعًا فاعلم الله عز وجل انهم لا يبلغوا الارتفاع الذي املوه بالتكذيب
والمراد المشركون وقيل اليهود فالاية مدنية على هذا كما تقدم اول السورة والمعنى ان تعظموا عن
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك الينا وتسير معه الانهار و
هو اية من ايات الله تعالى فنزلت الاية فيهم قاله ابو العالية وغيره وقد تقدم في ال عمران انه يخرج
ويطا البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي
واسمه صاف ويكنى ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا احسن لانه يعم وقال
مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل المراد الامر الكبير اي يطلبون
النبوة او امرا كبيرا يصلون به اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك او يتمنون موتك قبل ان
يتم دينك ولا يبلغونه قوله تعالى فاستعذ بالله قيل من فتنة الدجال على قول من قال ان الاية نزلت
في اليهود وعلى القول الاخر من شر الكفار وقيل من مثل ما ابتلوا به من الكبر والكفر انه هو
السميع البصير هو يكون فاصلا ويكون مبتدا وما بعده خبر والجملة خبر ان على ما تقدم قوله
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس مبتدا وخبر قال ابو العالية اعظم من خلق الدجال
حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث اي هما اكبر من اعادة خلق الناس
فلم اعتقدوا عجزي عنها ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير اي
المؤمن والكافر والضال والمهتدي والذين امنوا وعملوا الصالحات اي ولا يستوي العامل للصا
لحات ولا المسيء الذي يعمل السيئات قليلا ما يتذكرون قراءة العامة على الخبر واختاره ابو عبيد وابو
حاتم لاجل ما قبله من الخبر وما بعده وقرا الكوفيون بالتاء على الخطاب قوله تعالى ان الساعة لاتية هذه
لام التوكيد دخلت على خبر ان وسبيلها ان تكون في اول الكلام لانها توكيد الجملة الا انها تزحلق عن موضعها
كذا قال سيبويه تقول ان عمرا لخارج وانما اخرت عن موضعها لئلا يجمع بينها وبين ان لانهما لا
يؤديان عن معنى واحد وكذا لا يجمع بين ان وان عند البصريين واجاز هشام ان زيدا لمنطلق حق
فان حذفت حقا لم يجز عند واحد من النحويين علمته قاله النحاس لا ريب فيها لا شك ولا مرية ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بها وعندها يتبين ما بين الطائع والعاصي قوله تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم روى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة
ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح فدل هذا على ان الدعاء هو العبادة وكذا قال اكثر المفسرين وان
المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم وقيل هو الذكر والدعاء والسؤال قال انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع ويقال الدعاء
هو ترك الذنوب وحكى قتادة عن كعب الاحبار قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم تعطهن امة قبلهم الا
نبي كان اذا ارسل نبي قيل له انت شاهد على امتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس و
كان يقال للنبي ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال
للنبي ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم قوله تعالى مثل هذا لا يقال من جهة الراي و
قد جاء مرفوعا رواه ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول اعطيت امتي ثلاثا لم تعط الا الانبياء كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعوني استجب لك وقال
لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة
شهداء على الناس ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي يقول عجبا لهذه الامة
قيل لها ادعوني استجب لكم امرهم بالدعاء ووعدهم الاجابة وليس بينهما شرط قال له قائل مثل ما
ذا قال مثل قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات فهاهنا شرط وقال وبشر الذين امنوا ان
لهم قدم صدق فليس فيه شرط العمل ومثل قوله فادعوا الله مخلصين له الدين فهاهنا شرط وقوله
ادعوني استجب لكم ليس فيه شرط فكانت الامة تفزع الى انبيائها في حوائجهم حتى تسال الانبياء لهم
ذلك وقد قيل ان هذا من باب المطلق والمقيد على ما تقدم في البقرة بيانه اي استجب لكم ان شئت
كقوله ما تدعون اليه ان شاء وقد تكون الاجابة من غير عين المطلوب على حديث ابي سعيد الخدري
على ما تقدم في البقرة فتامله هناك وقرا ابن كثير وابن محيصن ورويس عن يعقوب وعياش عن
ابي عمرو وابو بكر والمفضل عن عاصم سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله الباقون
يدخلون بفتح الياء وضم الخاء ومعنى داخرين صاغرين اذلاء وقد تقدم قوله تعالى الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه جعل هنا بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت بمعنى خلق وبين جعل اذا
لم تكن بمعنى خلق فاذا كانت بمعنى خلق فلا يعدونها الا الى مفعول واحد واذا لم تكن بمعنى خلق عدتها
الى مفعولين نحو قوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا وقد مضى هذا المعنى في غير موضع والنهار مبصرا
اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معائشكم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله و
انعامه عليهم قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شيء بين الدلالة على وحدانيته وقدرته لا اله الا
هو فانى تؤفكون اي كيف تنقلبون وتنصرفون عن الايمان بعد ان تبين لكم دلائله كذلك يؤفك
اي كما صرفتم عن الايمان مع قيام الدليل عليه فكذلك يصرف عن الحق الذين كانوا بايات الله يجحدون
قوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا زاد في تاكيد التعريف والدليل اي جعل لكم الارض
مستقرا لكم في حياتكم وبعد الموت والسماء بناء تقدم وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم في
احسن صورة وقرا ابو رزين والاشهب العقيلي صوركم بكسر الصاد قال الجوهري والصور بكسر
الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت على هذه اللغة يصف الجواري اشبهن من بقر
الخلصاء اعينها * وهن احسن من صيرانها صورا وقد جمعها الشاعر اذا لاح الصوار ذكرت ليلى * واذكرها
اذا نفخ الصوار * والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
تقدم هو الحي اي الباقي الذي لا يموت لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة
الحمد لله رب العالمين قال الفراء هو خبر وفيه اضمار امر اي ادعوه واحمدوه وقد مضى هذا كله مستوفى
في البقرة وغيرها وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين قوله تعالى ذلكم
الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون
الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم
الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب
العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت
ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم
لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون

في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شيء الى قوله الحمد لله رب العالمين تقدم معناه قوله تعالى قل اني نهيت اي قل يا محمد نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا اله غيره ان اعبد غيره لما جاءني البينات من ربي اي دلايل توحيده وامرت ان اسلم لرب العالمين اذل واخضع لرب العالمين وكانوا دعوه الى دين ابائه فامرهم ان يقول هذا قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد تقدم هذا ثم لتبلغوا اشدكم وهو حال اجتماع القوة وتمام العقل وقد مضى في الانعام بيانه ثم لتكونوا شيوخا بضم الشين قرا نافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وابو عمرو على الاصل لانه جمع فعل نحو قلب وقلوب وراس ورؤس وقرا الباقون بكسر الشين لمراعاة الياء وكلاهما جمع كثرة وفي العدد القليل اشياخ والاصل اشيخ مثل فلس وافلس الا ان الحركة في الياء ثقيلة وقرئ شيخا على التوحيد لقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخا والمراة شيخة قال عبيد كانها شيخة رقوب، وقد اشاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك على اصله وشيخوخة واصل الياء متحركة فسكنت لانه ليس في الكلام فعول وشيخا تشييخا اي شاخ ودعوته شيخا للتبجيل وتصغير الشيخ شييخ وشييخ ايضا بكسر الشين ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر شاعر جاز ان يقول اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها مؤنثة والشيخ من جاوز الاربعين سنة ومنكم من يتوفى من قبل قال مجاهد اي من قبل ان يكون شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى قال مجاهد الموت للكل واللام لام العاقبة ولعلكم تعقلون ذلك ان لا اله غيره قوله تعالى هو الذي يحيي ويميت زاد في التنبيه اي هو الذي يقدر على الاحياء والاماتة فاذا اراد قضى امرا اي اراد فعلا فانما يقول له كن فيكون ونصب فيكون ابن عامر على جواب الامر وقد مضى في البقرة القول فيه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية وقال ابن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن نزلت وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا

الذين يجادلون الذين امنوا وقال عقبة ابن عامر قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في القدرية ذكره المهدوي قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم اي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه اذا دخلوا النار وغلت ايديهم الى اعناقهم قال التيمي لو ان غلا من اغلال جهنم وضع على جبل لرهصه حتى يبلغ الماء الاسود والسلاسل بالرفع قراءة العامة عطفا على الاغلال قال ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه القراءة وقال غيره هو في موضع نصب على الحال والتقدير اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل مسحوبين وقرا ابن عباس وابو الجوزاء وعكرمة وابن عياش والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح الياء والتقدير في هذه القراءة يسحبون السلاسل قال ابن عباس اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم وحكي عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه انه محمول على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفراء وقال الزجاج ومن قرا والسلاسل يسحبون بالخفض فالمعنى عنده وفي السلاسل وقال ابن الانباري والخفض على هذا غير جائز لانك اذا قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ولكن الخفض جائز على معنى اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فتخفض السلاسل على النسق على تاويل الاغلال لان الاغلال في تاويل الخفض كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين فتنصب العاقلين ويجوز رفعهما لان احدهما اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه انشد الفراء قد سالم الحيات منه القدما، الافعوان والشجاع الشجعما، فتنصب الافعوان على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمها القدم فمن نصب السلاسل او خفضها لم يقف عليها في الحميم المتناهي في الحر وقيل الصديد المغلي ثم في النار يسجرون اي يحرقون فيها فيكونون وقودها قاله مجاهد يقال سجرت التنور اي اوقدته وسجرته ملاته ومنه والبحر المسجور اي المملوء فالمعنى على هذا تملا بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا اذا شاء طالع مسجورة، ترى حولها النبع والسماء سما، اي عينا مملوءة ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله وهذا تقريع وتوبيخ قالوا ضلوا عنا اي هلكوا وذهبوا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن اي خفي اي صاروا بحيث لا نجدهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي شيئا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وليس هذا انكارا للعبادة الصنم بل هو اعتراف بان عبادتهم الاصنام كانت باطلة قال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هؤلاء من الاضلال يفعل بكل كافر قوله تعالى ذلكم اي ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق يقال لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والاتباع والصحة وقيل ان فرحهم بما عندهم انهم قالوا للرسل نحن نعلم انا لا نبعث ولا نعذب وكذا قال مجاهد في قوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وبما كنتم تمرحون قال مجاهد وغيره اي تبطرون وتاشرون وقد مضى في سبحان بيانه وقال الضحاك الفرح والسرور والمرح العدوان وروى خالد عن ثور عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين و يبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل حبر سمين فاما اهل بيت لحمين الذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة واما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس يعني المستكثر من علمه ولا ينتفع به الناس ذكره الماوردي وقد قيل في اللحمين انهم الذين يكثرون اكل اللحم ومنه قول عمر اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ذكره المهدوي والاول قول سفيان الثوري ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي يقال لهم ذلك اليوم وقد قال الله لها سبعة ابواب فبئس مثوى المتكبرين تقدم جميعه قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انا لننتقم لك منهم اما في

حياتك او في الاخرة فاما نرينك بعض الذي نعدهم في موضع جزم بالشرط وما زائدة للتوكيد و
كذا النون وزال الجزم وبني الفعل على الفتح او نتوفينك عطف عليه فالينا يرجعون الجواب
قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك عزاه ايضا بما لقيت الرسل قبله منهم من قصصنا
عليك اي انبائناك باخبارهم وما لقوا من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول
ان ياتي باية اي من قبل نفسه الا باذن الله فاذا جاء امر الله اي اذا جاء الوقت المسمى لعذابهم
اهلكهم الله وانما التاخير لاسلام من علم الله اسلامه منهم ولمن في اصلابهم من المؤمنين وقيل
اشار بهذا الى القتل ببدر وقضي بينهم بالحق وخسر هنالك المبطلون الذين يتبعون الباطل والشرك
قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام قال ابو اسحق الزجاج الانعام ههنا الابل لتركبوا منها ومنها
تاكلون فاحتج من منع اكل الخيل واباح اكل الجمال ان الله تعالى قال في الانعام ومنها تاكلون
وقال والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يذكر اباحة اكلها وقد مضى في النحل مستوفى قوله
تعالى ولكم فيها منافع في الوبر والصوف والشعر واللبن والزبد والسمن والجبن وغير ذلك ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم اي تحمل الاثقال في الحضر والاسفار وقد مضى في النحل بيان هذا كله
فلا معنى لاعادته ثم قال وعليها يعني الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم اياته اي
اياته الدالة على وحدانيته وقدرته فيما ذكر فاي ايات الله تنكرون لان الاستفهام له صدر
الكلام فلا يعمل فيه ما قبله ولو كان مع الفعل هاء لكان الاختيار الرفع ولو كان الاستفهام بـ
الالف او هل وكان بعدها اسم بعده فعل معه هاء لكان لا تنكرون اي ان هذه الاشيا من الله فلم
تنكرون قدرته على البعث والنشر قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم حتى يشاهدوا اثار الامم السالفة وكانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من الابنية والاموال وما ادالوا به من الاولاد والاتباع وعلى هذا ما للجحد اي
فلم يغن عنهم ذلك شيئا وقيل ما للاستفهام اي اي شيء اغنى عنهم كسبهم حين هلكوا ولم
ينصرف اكثر لانه على وزن افعل وزعم الكوفيون ان كل ما لا ينصرف فانه يجوز ان ينصرف الا افعل
من كذا فانه لا يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا غيره اذا كانت معه من قال ابو العباس ولو كانت
المانعة من صرفه لوجب ان لا يقال مررت بخير منك وشر من عمرو قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة اقوال قال مجاهد ان الكفار الذين فرحوا بما
عندهم من العلم قالوا نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم اعلمهم الله عز وجل انه مهلك
الكفار ومنجيهم والمؤمنين ففرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وحاق بهم اي بالكفار ما
كانوا به يستهزؤن اي عقاب استهزائهم بما جاء به الرسل قوله تعالى فلما راوا باسنا اي عاينوا العذاب
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي بالاوثان التي اشركناهم في العبودية فلم يك
ينفعهم ايمانهم بالله عند معاينة العذاب لما راوا باسنا وحين راوا الباس سنة الله التي قد
خلت في عباده المصدر لان العرب تقول سن يسن سنا وسنة اي سن الله عز وجل في الكفار انه لا
ينفعهم الايمان اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النساء ويونس وان التوبة لا تقبل بعد رؤية
العذاب وحصول العلم الضروري وقيل اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في اهلاك الكفرة فسنة منصوب
على التحذير والاغراء وخسر هنالك الكافرون قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك الا انه
تبين لنا الخسران لما راوا العذاب وقيل فيه تقديم وتاخير اي لم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا

وخسر

وخسر هنالك الكافرون كسنتنا في جميع الكافرين فسنة منصوب بنزع الخافض اي كسنة الله في
الامم كلها سورة فصلت وهي اربع وخمسون اية مكية في قول الجميع وقيل ثلاث وخمسون اية بسم
الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا و
نذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو
شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا
يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون قوله تعالى حم تنزيل من
الرحمن الرحيم قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت اياته وهذا قول البصريين و
قال الفرا يجوز ان يكون رفعه على اضمار فعل ويجوز ان يقال كتاب بدل من قوله تنزيل وقيل نعت
لقوله تنزيل وقيل حم اي هذه حم كما تقول باب كذا اي هو باب كذا فحم خبر ابتداء مضمر اي هو
حم وقوله تنزيل مبتدا اخر وقوله كتاب خبر فصلت اياته اي بينت وفسرت قال قتادة ببيان حلاله من
حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد والوعيد سفيان بالثواب والعقاب وقرئ فصلت اي
فرق بين الحق والباطل وفصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل اي تباعد من
البلد قرانا عربيا في نصبه وجوه قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل اي اذكر
قرانا عربيا وقيل على اعادة الفعل اي فصلنا قرانا عربيا وقيل على الحال اي فصلت اياته في حال كونها
قرانا عربيا وقيل لما شغل التفصيل بالايات حتى صارت بمنزلة الفاعل انتصب القران لوقوع البيان
عليه وقيل على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اي القران منزل من عند الله وقال مجاهد اي يعلمون
انه الواحد في التوراة والانجيل وقيل يعلمون انه بالعربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي
لما علموه قلت هو الاصح والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في اعجاز القران بشيرا ونذيرا حالان
من الايات والعامل فيه فصلت وقيل هما نعتان للقران بشيرا لاوليائه ونذيرا لاعدائه وقرئ بشير
ونذير صفة للكتاب وخبر مبتدا محذوف فاعرض اكثرهم يعني اهل مكة فهم لا يسمعون سماعا ينتفعون
به روي ان الريان بن حرملة قال قال الملاء من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي ان كان كذلك فقالوا ايته فحدثه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انت خير ام قصي بن كلاب انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت

خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان كنت انما
تريد الرياسة عقدنا لك الويتنا فتكون رئيسنا ما بقيت وان كنت تريد البنات زوجناك
عشرة نسوة من اي بنات قريش ما شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به انت و
عقبك من بعدك وان كان هذا الذي ياتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا
ما نداويك به او نغلب فيك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا الوليد
قال نعم قال اسمع بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم
وناشده الله والرحم ليسكت ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فجاءه ابو جهل وقال اصبوت الى
محمد ام اعجبك طعامه فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد تعلمون اني من اكثر
قريش مالا ولكني لما اقتصصت عليه القصة اجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ثم تلى
عليهم ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود وامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد
علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فوالله لقد خفت ان ينزل بكم العذاب يعني الصاعقة وروى
هذا الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له عن محمد بن كعب القرظي وان النبي صلى الله عليه وسلم قرا حم
فصلت حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ مستمع قد اعتمد على يديه من وراء ظهره فلما قطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة قال له يا ابا الوليد قد سمعت الذي قرات عليك فانت وذاك
فانصرف عتبة الى قريش في ناديها فقالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من
عندكم ثم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما سمعت مثله قط و
الله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فاطيعوني في هذه وانزلوها بي خلوا محمدا وشانه واعتزلوه
فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبا فان اصابته العرب كفيتموه بايدي غيركم وان كان ملكا او نبيا
كنتم اسعد الناس به لان ملكه ملككم وشرفه شرفكم فقالوا هيهات سحرك محمد يا ابا الوليد فقال هذا
رايي لكم فاصنعوا ما شئتم قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاكنة جمع كنان و
هو الغطاء وقد مضى في البقرة قال مجاهد الكنان كالجعبة للنبل وفي اذاننا وقر اي صمم فكلامك
لا يدخل في اسماعنا وقلوبنا مستورة عن فهمه ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين لانهم
يعبدون الاصنام وهو يعبد الله عز وجل قال معناه الفراء وغيره وقيل ستر مانع عن الاجابة و
قيل ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه حكاه النقاش
وذكره القشيري فالحجاب هنا الثوب فاعمل اننا عاملون اي اعمل في هلاكنا انا عاملون في مثل ذلك
قاله الكلبي وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا عاملون لالهتنا التي نعبدها وقيل اعمل
بما يقتضيه دينك فانا عاملون بما يقتضيه ديننا ويحتمل خامسا فاعمل لاخرتك فانا نعمل لدنيانا
ذكره الماوردي قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي لست بملك بل انا انا من بني ادم قال الحسن علمه
الله التواضع يوحى الي من السماء على ايدي الملائكة انما الهكم اله واحد فامنوا به واستقيموا اليه
اي وجهوا وجوهكم اليه بالدعاء والمسالة اليه كما تقول للرجل استقم الى منزلك اي لا تعرج الى شيء غير
القصد الى منزلك واستغفروه اي من شرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن
عباس لا يشهدون ان لا اله الا الله وهي زكاة الانفس وقال قتادة لا يقرون بالزكاة انها واجبة
وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة فرعهم بالشح الذي يانف منه الفضلاء
وفيه دلالة على ان الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه وقال الفراء وغيره كان المشركون

ينفقون

ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فيهم وهم بالاخرة هم كافرون فلهذا لا ينفقون في الطاعة ولا يستقيمون
ولا يستغفرون الزمخشري فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر
بالاخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك
اقوى دليل على ثباته الا ترى الى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا
بلمظة من الدنيا فقويت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف
شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من مننت الحبل اذا قطعته ومنه
قول ذي الاصبع اني لعمرك ما بابي بذي غلق • على الصديق ولا خيري بممنون وقال الاخر فترى خلفها
من الرجع والوقع • منينا كانه اهباء • يعني بالمنين الغبار المتقطع الضعيف وعن ابن عباس ومقا تل
غير منقوص ومنه المنون لانها تنقص من الانسان اي قوته وقاله قطرب وانشد قول زهير
فضل الجواد على الخيل البطاء فما • يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا • قال الجوهري والمن القطع ويقال
النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وانشد لبيد غبسا كواسب لا يمن طعامها وقال مجاهد
غير ممنون غير محسوب وقيل غير ممنون عليهم به قال السدي نزلت في الزمنى والمرضى والهرمى
اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وائنكم بالف بين همزتين وهو استفهام
معناه التوبيخ امره بتوبيخهم والتعجب من فعلهم اي لم تكفرون بالله وهو خالق السموات والارض
في يومين الاحد والاثنين وتجعلون له اندادا اي اضدادا وشركاء ذلك رب العالمين وجعل فيها
اي في الارض رواسي من فوقها يعني الجبال وقال وهب لما خلق الله الارض مادت على وجه الماء فقال
لجبريل ثبتها يا جبريل فنزل فامسكها فغلبته الرياح قال يا رب انت اعلم لقد غلبت فيها فثبتها
بالجبال وارساها وبارك فيها اي خلق فيها من المنافع قال السدي انبت فيها شجرها وقدر فيها
اقواتها قال السدي والحسن ارزاق اهلها ومصالحهم وقال قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها و
اشجارها ودوابها في يوم الثلاثاء والاربعاء وقال عكرمة والضحاك معنى قدر فيها اقواتها اي ارزاق
اهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد قال عكرمة حتى انه في بعض البلاد ليتبايعون الملح
بالذهب مثلا بمثل وقال مجاهد والضحاك السابري من سابور والطيالسة من الري والحبر من
اليمن في اربعة ايام يعني في تتمة اربعة ايام ومثاله قول القائل خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة
ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما قال معناه ابن الانباري وغيره سواء للسائلين قال الحسن المعنى
في اربعة ايام مستوية تامة الفراء في الكلام تقديم وتاخير المعنى وقدر فيها اقواتها سواء
للسائلين اي المحتاجين واختاره الطبري وقرا الحسن البصري ويعقوب الحضرمي سواء للسائلين
بالجر وعن ابن القعقاع سواء بالرفع فالنصب على المصدر سواء بمعنى استوى اي استوت استواء وقيل
على الحال او القطع والجر على النعت لايام او لاربعة اي في اربعة ايام مستوية تامة والرفع على
الابتداء والخبر للسائلين او على تقدير هذه سواء للسائلين وقال اهل المعاني معنى سواء للسائلين

ولغير السائلين اي خلق الارض ومن فيها لمن سال ولمن لم يسال او يعطي من سال ومن لا يسال
قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان اي عمد الى خلقها وقصد لتسويتها والاستواء من
صفات الافعال على اكثر الاقوال يدل عليه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات
وقد مضى القول هناك وروى ابو صالح عن ابن عباس في قوله ثم استوى الى السماء يعني صعد
امره الى السماء وقاله الحسن ومن قال انه صفة ذاتية زائدة قال استوى في الازل بصفاته ثم يرجع
الى نقل السماء من صفة الدخان الى حالة الكثافة وكان ذلك الدخان من تنفس الماء وحين
تنفس على ما مضى في البقرة عن ابن مسعود وغيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي جيئا بما
خلقت فيكما من المنافع والمصالح واخرجاها لخلقي قال ابن عباس قال الله للسماء اطلعي شمسك وقمرك
وكواكبك واجري رياحك وسحابك وقال للارض شقي انهارك واخرجي شجرك وثمرك طائعتين او
كارهتين قالتا اتينا طائعين وفي الكلام حذف اي اتينا امرك طائعين وقيل معنى هذا الامر التسخير
اي كونا فكانتا كما قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فعلى هذا قال ذلك
قبل خلقهما وعلى القول الاول قال ذلك بعد خلقهما وهو قول الجمهور وفي قوله تعالى لهما وجهان
احدهما انه قول تكلم به الثاني انها قدرة منه ظهرت لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد
ذكره الماوردي قالتا اتينا طائعين فيه ايضا وجهان احدهما انه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا
واجابا فقام مقام قولهما ومنه قول الراجز امتلاء الحوض وقال قطني ، مهلا رويدا قد ملأت
بطني ، يعني ظهر ذلك فيه وقال اكثر اهل العلم بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد الله تعالى
قال ابو نصر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحيالها فوضع الله فيه حرمة
وقال طائعين ولم يقل طايعتين على اللفظ ولا طايعات على المعنى لانها سموات وارضون لانه
اخبر عنهما وعمن فيهما وقيل لما وصفهما بالقول والاجابة وذلك من صفات من يعقل اجراهما
في الكناية مجرى من يعقل ومثله رايتهم لي ساجدين وقد تقدم وفي الحديث ان موسى عليه السلام قال يا رب لو ان السموات
والارض حين قلت لهما ائتيا طوعا او كرها عصاك ما كنت تصنع بهما قال كنت امر دابة من دوابي فتبتلعهما
قال يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال يا رب واين ذلك المرج قال في علم من علمي ذكره
الثعلبي وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة اتيا بالمد والفتح وكذلك اتينا
طائعين قال معناه اعطيا الطاعة من انفسكما قالتا اتينا طائعين فحذف المفعولين جميعا وهو
احسن ان يكونا اتينا فاعلنا فحذف مفعول واحد ومن قرا اتينا طائعين فالمعنى جئنا بما فينا على ما
تقدم بيانه قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اكملهن وفرغ منهن وقيل احكمهن كما
قال وعليهما مسرودتان قضاهما ، داود او صنع السوابغ تبع ، في يومين سوى الاربعة ايام التي
خلق الله فيهن الارض فوقع خلق السموات والارض في ستة ايام كما قال خلق السموات والارض
على ما تقدم في الاعراف بيانه قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وعن
عبد الله بن سلام قال خلق الله الارض في يومين وقدر فيها اقواتها في يومين وخلق السموات في يومين
خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وقدر فيها اقواتها يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات
يوم الخميس والجمعة واخر ساعة من يوم الجمعة خلق الله ادم في عجل وهي التي تقوم فيها الساعة وما
خلق الله من دابة الا وهي تفزع من يوم الجمعة الا الانسان والشيطان وعلى هذا اهل التفسير الا ما رواه
مسلم من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم
السبت الحديث وقد تكلمنا على اسناده في اول سورة الانعام واوحى في كل سماء امرها قال قتادة و

السدي

السدي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة
والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس قال ولله في كل
سماء بيت تحج اليه وتطوف الملائكة بحذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور
وقيل اوحى في كل سماء امرها اي اوحى فيها ما اراده وما امر به فيها والايحاء قد يكون امرا كقوله
بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين وزينا السماء الدنيا
بمصابيح اي بكواكب تضيء وقيل ان الكواكب مختصة بالسماء الدنيا وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ،
وحفظناها حفظا اي من الشياطين الذين يسترقون السمع وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها
الشياطين على ما تقدم في الحجر بيانه وظاهر الاية يدل على ان الارض خلقت قبل السماء وقال في اية
الاخرى ام السماء بنيها ثم قال والارض بعد ذلك دحيها وهذا يدل على ان خلق السماء فقال قوم خلقت
الارض قبل السماء فاما قوله والارض بعد ذلك دحيها فالدحو غير الخلق فالله خلق الارض ثم خلق السموات
ثم دحى الارض اي مدها وبسطها قاله ابن عباس وقد مضى هذا المعنى مجردا في البقرة والله اعلم قوله
تعالى فان اعرضوا يعني كفار قريش عما تدعوهم اليه يا محمد من الايمان فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن
خلفهم يعني الرسل اليهم ومن قبلهم الا تعبدوا الا الله موضع ان نصب باسقاط الخافض اي بان
لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة بدل الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار و
التبشير قيل هذا استهزاء منهم بارسالهم ثم بعده جحود وعناد قوله تعالى فاما عاد فاستكبروا
في الارض اي على عباد الله هود ومن امن به بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اغتروا باجسامهم حين تهددهم
هم
بالعذاب وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن انفسنا بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي اجسام
طوال وخلق عظيم وقد مضى في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم كان ستين
ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقدرة وانما يقدر
العبد باقدار الله فالله اقدر اذا وكانوا باياتنا يجحدون اي بمعجزاتنا يكفرون قوله تعالى فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا هذا تفسير الصاعقة التي ارسلها عليهم اي ريحا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت
والهبوب ويقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا
وتجفجف الثوب اصله تجفف ابو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة عكرمة وسعيد بن جبير شديدة البرد وانشد
قطرب قول الحطيئة المطعمون اذا هبت بصرصرة ، والحاملون اذا استودوا على الناس ، استودوا اذا
سالوا الدية مجاهد الشديدة السموم وروى معمر عن قتادة قال باردة وقال عطاء ان صرصر ماخوذة من
صر وصر في كلام العرب البرد كما قال لها عذر كقرون النساء ، ركبن في يوم ريح وصر ، وقال السدي
الشديدة الصوت ومنه صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت ويقال درهم صري وصري للذي يصوت
اذا نقد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ويجوز ان يكون من صرصر الباب و
من الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر اسم نهر بالعراق في ايام نحسات اي مشومات
قاله مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما
قال ابن عباس ما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه النقاش وقيل متتابعات
عن ابن عباس وعطية الضحاك شداد وقيل ذات غبار حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز قد اغتدي قبل
طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين و
دامت الرياح عليهم من غير مطر وخرج قوم منهم الى مكة يستسقون برب العباد وكان الناس في ذلك

الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا الى الله تعالى الفرج منه وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته
الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة عارف حرمتها
ومكانها عند الله تعالى وقال جابر بن عبد الله التيمي اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس
عنهم كثرة الرياح واذا اراد الله بقوم شرا حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به الباقون نحسات بكسر
الحاء اي ذوات نحس ومما يدل على ان النحس مصدر قوله في يوم نحس مستمر ولو كان صفة لم يضف اليوم
اليه وبهذا كان يحتج ابو عمرو على قراءته واختاره ابو عبيد واختار ابو عبيد القراءة الثانية وقال لا تصح
حجة ابي عمرو لان اضافة اليوم الى النحس فاسكن وانما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت واسكن
فقال في يوم نحس وهذا لم يقرا به احد نعلمه وقال المهدوي ولم يسمع في نحس الا الاسكان قال
الجوهري وقرئ في قوله في يوم نحس على الصفة والاضافة اكثر واجود وقد نحس الشيء بالكسر فهو نحس ايضا
قال الشاعر ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم طيا وبهرا قوم نصرهم نحس ومنه قيل ايام نحسات لنذيقهم اي
لكي نذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بالريح العقيم ولعذاب الاخرة اخزى اي اعظم واشد وهم لا ينصرون
قوله تعالى واما ثمود فهديناهم اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس وغيره وقرا الحسن وابن ابي
اسحق وغيرهما واما ثمود بالنصب وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على الهدى اختاروا الكفر
على الايمان وقال ابو العالية اختاروا العمى على البيان السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون بالضم الهوان وهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر اخو كنانة واسد واهلها
استخف به والاسم الهوان والمهانة واضيف الصاعقة الى العذاب لان الصاعقة اسم للمهين المهلك
كانه قال مهلك العذاب اي العذاب المهلك والهون وان كان مصدرا فمعناه الاهانة والاهانة
عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر فكانه قال صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم اليقين و
عندي العلم اليقين ويجوز ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال عذاب هون اي مهين كما قال انه لبثوا في
العذاب المهين وقيل اي صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة
على ما تقدم ونجينا الذين امنوا يعني صالحا ومن امن به اي ميزناهم عن الكفار فلم يحل بهم ما حل بالكفار
وهكذا نفعل يا محمد بمؤمني قومك وكفارهم قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قراءة
نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب الباقون يحشر بياء مضمومة اعداء بالرفع ومعناهما بين واعداء الله
الذين كذبوا رسله وخالفوا امره فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى جهنم قال قتادة والسدي يحبس
اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا قال ابو الاحوص اذا تكاملت العدة بدا بالاكابر فالاكابر جرما وقد مضى في
النمل الكلام في يوزعون مستوفى قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها ما جاؤها ما زائدة شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني بها الجلود باعيانها في قول اكثر المفسرين وقال السدي
وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وانشد بعض الادباء لعامر بن جوير المرء يسعى للسلامة
والسلامة حسبه • او سالم من قد تثنى جلده وابيض راسه • وقال جلده كناية عن فرجه وقالوا يعني الكفار
لجلودهم لم شهدتم علينا وانما كنا نجادل عنكم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لما خاطبت وخوطبت
اجريت مجرى من يعقل وهو خلقكم اول مرة اي ركب الحياة فيكم بعد ان كنتم نطفا فمن قدر عليه قدر على ان
ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء وقيل وهو خلقكم اول مرة ابتداء كلام من الله واليه ترجعون وفي صحيح
مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال
قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول

اني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا
قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وفي حديث ابي هريرة ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في
نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله
ذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق الذي سخط الله عليه خرجه مسلم ايضا قوله تعالى وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم يجوز ان يكون هذا من قول الجوارح لهم ويجوز ان يكون من قول الله تعالى
لهم والملائكة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان
وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال احدهم ما ترون ان الله يسمع ما نقول فقال الاخر
يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فهو يسمع اذا اخفينا فانزل الله
عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الاية خرجه الترمذي فقال اختصم
عند البيت ثلاثة نفر ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال حدثنا
ابو معاوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله كنت مستترا باستار
الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان او ثقفي وختناه قرشيان
فتكلموا بكلام لم افهمه فقال احدهم اترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الاخر اذا رفعنا اصواتنا
سمعه واذا لم نرفع اصواتنا لم يسمعه فقال الاخر ان سمع منه شيئا سمعه كله قال عبد الله فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم الى قوله فاصبحتم من الخاسرين قال هذا حديث حسن قال الثعلبي والثقفي عبد يا ليل وختناه
ربيعة وصفوان بن امية ومعنى تستترون تستخفون في قول اكثر العلماء اي ما كنتم تستخفون من
انفسكم حذرا من شهادة الجوارح عليكم لان الانسان لا يمكنه ان يخفي من نفسه عمله فيكون الاستخفاء
بمعنى ترك المعصية وقيل الاستتار بمعنى الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم
جوارحكم في الاخرة فتتركوا المعاصي خوفا من الشهادة قال معناه مجاهد وقال قتادة وما كنتم
تستترون اي تظنون ان تشهد عليكم سمعكم بان يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز
من المعاصي ولا ابصاركم فيقول رايت ايات الله وما اعتبرت ونظرت الى ما لا يجوز ولا جلودكم
تقدم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من اعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم
جوارحكم باعمالكم روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان
تشهد عليكم الاية قال يدعون يوم القيامة فتقدم افواههم بفدام فاول ما يبين على الانسان
فخذه وكفه وقال عبد الله بن عبد الاعلى الشامي فاحسن • العمر ينقص والذنوب تزيد • ويقال
عثرات الفتى فيعود • هل يستطيع جحود ذنب واحد • رجل جوارحه عليه شهود • والمرء يسال عن
سنيه فيشتهي • تقليلها وعن الممات يحيد • وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من يوم ياتي على ابن ادم الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تفعل عليك غدا شهيد فاعمل
فيّ خيرا اشهد لك به فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك ذكره ابو نعيم
الحافظ وقد ذكرناه في كتاب التذكرة في باب شهادة الارض والليالي والايام والمال وقال
محمد بن بشير فاحسن مضى امسك الادنى شهيدا معدلا • ويومك هذا بالفعال شهيد • فان
تك بالامس اقترفت اساءة • فثن باحسان وانت حميد • ولا ترج فعل الخير منك الى غد • لعل غدا ياتي
وانت فقيد • قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اي اهلككم واوردكم النار قال

قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان
قوما اساؤا الظن بربهم فاهلكهم الله فذلك قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال
الحسن البصري ان قوما الهتهم الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة يقول احدهم اني احسن الظن
بربي وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلى قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم
من الخاسرين وقال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو يحسن الظن بربه فليفعل فان الظن
اثنان ظن ينجي وظن يردي وقال عمر بن الخطاب في هذه الاية هؤلاء قوم كانوا يدمنون للمعاصي ولا يتوبون
منها ويتكلمون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرا هذه الاية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارديكم فاصبحتم من الخاسرين قوله تعالى فان يصبروا فالنار مثوى لهم فان يصبروا في الدنيا على اعمال
اهل النار فالنار مثوى لهم نظيره فما اصبرهم على النار على ما تقدم وان يستعتبوا في الدنيا وهم مقيمون
على كفرهم فما هم من المعتبين وقيل المعنى فان يصبروا في النار او يجزعوا فالنار مثوى لهم اي لا محيص
لهم عنها ودل على الجزع قوله وان يستعتبوا لان المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه قال النابغة
فان اك مظلوما فعبد ظلمته وان يك ذا عتبى فمثلك يعتب اي مثلك من قبل الصلح والمراجعة اذا سئل
قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة يقال عاتبه معاتبة وبينهم اعتوبة يتعاتبون بها
يقال اذا تعاتبوا اصلح ما بينهم العتاب واعتب فلان اذا عاد الى مسرتي راجعا من الاساءة والاسم منه
العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب واستعتب وعتب بمعنى واستعتب ايضا طلب ان
يعتب تقول استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني فمعنى وان يستعتبوا اي طلبوا الرضى لم ينفعهم
ذلك بل لا بد لهم من النار وفي التفاسير وان يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين وقرا عبيد بن عمير و
ابو العالية وان يستعتبوا فما هم بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول فما هم من المعتبين
بكسر التاء اي ان اقالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله تعالى من الشقا
قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكره الهروي وقال ثعلب يقال اعتب اذا غضب واعتب
اذا رضي قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم
من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا
يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون و
قال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من
الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعى الى الله و
عمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك

من

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان
استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى انه على
كل شيء قدير ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي
امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه
لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قوله ويوم يحشر اعداء
الله الى قوله فما هم من المعتبين تقدم معناه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء قال النقاش اي
هيانا لهم شياطين وقيل سلطنا عليهم قرناء فزينوا لهم المعاصي وهؤلاء القرناء من الجن والانس
ومن الانس ايضا اي سببنا لهم قرناء يقال قيض الله فلانا لفلان اي جاءه به واتاحه له ومنه
قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء القشيري ويقال قيض الله رزقا اي اتاحه كما كنت طلبه والتقييض
الابدال ومنه المقايضة قايضت الرجل مقايضة اي عاوضته بمتاع وهما قيضان كما يقال
بيعان فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا فحسنوه لهم حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم
حسنوا لهم ما بعد مماتهم ودعوهم الى التكذيب بامور الاخرة عن مجاهد وقيل المعنى قيضنا
لهم قرناء في النار فزينوا لهم اعمالهم في النار والمعنى قدرنا عليهم ان ذلك سيكون وحكمنا به
عليهم وقيل المعنى احوجناهم الى الاقتران اي احوجنا الفقير الى الغني لينال منه والغني الى الفقير
ليستعين به فزين بعضهم لبعض المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا على ما بين ايديهم بل المعنى
وانسوهم ما خلفهم ففي هذا الاضمار قال ابن عباس ما بين ايديهم تكذيبهم بامور الاخرة وما خلفهم
التسويف والترغيب في الدنيا الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على ان يعملوه
وقد تقدم قول مجاهد وقيل المعنى لهم ما تقدم من المعاصي وما خلفهم ما يعمل بعدهم وحق عليهم
القول في امم اي وجب عليهم من العذاب ما وجب على الامم الذين قد خلت من قبلهم الذين كفروا
ككفرهم وقيل في بمعنى مع والمعنى هم داخلون مع الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه وقيل
في امم في جملة امم ومنه قول الشاعر ان تك عن احسن الصنيعة ماتوفكا ففي اخرين قد افكوا يريد
فانت في جملة اخرين لست باوحد ومحل في امم النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين
في جملة امم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم القيمة قوله
تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح
وغيرهم اخبر عن مشركي قريش وانهم كذبوا القران فقالوا لا تسمعوا وقيل معنى لا تسمعوا لا تطيعوا
يقال سمعت لك اي طعتك والغوا فيه قال ابن عباس قال ابو جهل اذا قرا محمد فصيحوا في وجهه
حتى لا يدري ما يقول وقيل انهم فعلوا ذلك لما اعجزهم وقال مجاهد المعنى والغوا فيه بالمكاء و
التصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول
وقال ابو العالية وابن عباس ايضا تعوا فيه وعيبوه لعلكم تغلبون محمدا على قراءته فلا تظهر
ولا تستميل القلوب وقرا عيسى بن عمر والجحدري وابن ابي اسحق وابو حيوة وبكر بن حبيب
السهمي والغوا فيه بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو وقراءة الجماعة من لغي يلغى قال الهروي وقوله
والغوا فيه قيل عارضوه بكلام لا يفهم يقال لغوت الغو ولغي والغي ولغى يلغى ثلاث لغات وقد
مضى معنى اللغو في البقرة وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا محصل قوله تعالى فلنذيقن الذين

كفروا عذابا شديدا قد تقدم ان الذوق يكون محسوسا ومعنى والعذاب الشديد ما يتوالى ولا
ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزائهم ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون اي ولنجزينهم في الاخرة
جزاء قبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا واسوء الاعمال الشرك قوله تعالى ذلك جزاء اعداء الله
النار اي ذلك العذاب الشديد ثم بينه بقوله النار وقرا ابن عباس ذلك جزاء اعداء الله النار
دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون فترجم بالدار عن النار وهو مجاز الاية وذلك ابتداء و
خبر الخبر والنار بدل من جزاء او خبر مبتدا مضمر والجملة في موضع بيان للجملة الاولى قوله تعالى وقال
الذين كفروا يعني في النار فذكر بلفظ الماضي والمراد المستقبل ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن و
الانس يعني ابليس وابن ادم الذي قتل اخاه عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد لهذا
القول الحديث المرفوع ما من مسلم يقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمه لانه اول من
سن القتل ويروى اسن القتل خرجه الترمذي وقيل هو بمعنى الجنس وبني على التثنية لاختلاف
الجنس نجعلهما تحت اقدامنا سالوا ذلك حتى يشتفوا منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم ليكونا من الاسفلين
في النار وهو الدرك الاسفل سالوا ان يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالتهم من الجن والانس و
قرا ابن محيصن والسوسي عن ابي عمرو وابن عامر وابو بكر والمفضل ارنا باسكان الراء وعن ابي عمرو ايضا
اختلاسها واشبع الباقون كسرها وقد تقدم في الاعراف انتهى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا الاية قال عطا عن ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك
ان المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا وقال ابو بكر
ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام وفي الترمذي عن انس
ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قاله الناس
ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام قال حديث غريب ويروى في هذه الاية عن النبي صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي معنى استقاموا ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل
امنت بالله ثم استقم زاد الترمذي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه
وقال هذا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيئا وروي عنه
الاسود بن هلال انه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة فقال
ابو بكر لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا
ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر وهو
يخطب ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال استقاموا والله على الطريق لطاعته ثم لم يروغوا
روغان الثعالب وقال عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرائض
واقوال التابعين بمعناها وقال ابن زيد وقتادة ثم استقاموا على طاعة الله الحسن استقاموا على
امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا
الله حتى ماتوا وقال سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله و
قال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا
اقرارا وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وقال انس لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه و
سلم امتي ورب الكعبة وقال الامام ابن فورك السين سين الطلب مثل استسقى اي سالوا من الله

ان يثبتهم

ان يثبتهم على الدين وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة قلت وهذه
الاقوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك تتنزل
عليهم الملائكة قال ابن زيد ومجاهد عند الموت وقال مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث
وقال ابن عباس هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الاخرة وقال وكيع وابن زيد البشرى في ثلاث
مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ان لا تخافوا اي بان لا تخافوا ولا تحزنوا قال مجاهد لا
تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطا ابن ابي رباح ان لا تخافوا رد
ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما
خلفكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة اي
يقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم قال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين كنا
معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي اي نحن الحفظة
لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة ويجوز ان يكون هذا من قول الله تعالى والله ولي المؤمنين
ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي من الملاذ ولكم فيها ما تدعون تسالون وتتمنون نزلا
اي رزقا وضيافة وقد تقدم في ال عمران وهو منصوب على المصدر اي انزلناه نزلا وقيل على الحال
وقيل هو جمع نازل اي لكم ما تدعون نازلين فيكون حالا من الضمير الذي في تدعون او من المجرور في
لكم من غفور رحيم قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا هذا توبيخ للذين تواصوا
باللغو في القران والمعنى اي كلام احسن من القران ومن احسن قولا من الداعي الى الله وطاعته و
هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان الحسن اذا تلا هذه الاية يقول هذا رسول الله هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله
هذا خيرة الله صلى الله عليه وسلم هذا والله احب اهل الارض الى الله اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى
ما اجاب اليه وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين
قال فضيل بن رفيدة كنت مؤذنا لاصحاب عبد الله بن مسعود فقال لي عاصم بن هبيرة اذا اذنت فقل
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقل وانا من المسلمين ثم قرا هذه الاية قال ابن العربي والاول اصح لان
الاية مكية والاذان مدني فانما يدخل فيها بالمعنى لا بانه كان المقصود وقت القول ويدخل فيه ابو بكر
حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ويتضمن
كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والايمان قلت وقول ثالث وهو احسنها قال الحسن هذه الاية عامة
في كل من دعا الى الله وكذا قال قيس بن ابي حازم قال نزلت في كل مؤمن قال ومعنى وعمل صالحا الصلاة
بين الاذان والاقامة وقاله ابو امامة قال صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وقال عكرمة وعمل صالحا
صلى وصام وقال الكلبي اداء الفرائض قلت وهذا احسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب
والله اعلم وقال انني من المسلمين قال ابن العربي وما تقدم يدل على الاسلام لكن لما كان الدعاء
بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة وكان العمل للرياء والاخلاص دل على انه لا بد من التصريح
بالاعتقاد لله في ذلك وان العمل لوجهه مسئلة لما قال تعالى وقال انني من المسلمين ولم يقل له
اشترط ان شاء الله كان في ذلك ردا على من يقول انا مسلم ان شاء الله قوله تعالى ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة قال الفراء لا صلة اي ولا تستوي الحسنة والسيئة وانشد وليس رضي رسول الله فعلهم
والطيبان ابو بكر ولا عمر اراد ابو بكر وعمر اي لا يستوي ما انت عليه من التوحيد وما المشركون
عليه من الشرك قال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقيل الحسنة الطاعة و

السيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو السيئة الانتصار وقال الضحاك الحسنة العلم والسيئة الفحش وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة حب آل واصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والسيئة بغضهم قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن نسخت باية السيف وبقي المستحب من ذلك حسن العشرة والاحتمال والاغضاء قال ابن عباس اي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك وعنه ايضا هو الرجل يسب الرجل فيقول الاخر ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وكذلك يروى في الاثر ان ابا بكر رضي الله عنه قال لرجل نال منه ذلك وقال مجاهد بالتي هي احسن يعني السلام اذا لقي من يعاديه وقاله عطا وقول ثالث ذكره القاضي ابن العربي في الاحكام وهو المصافحة وفي الاثر تصافحوا يذهب الغل ولم ير مالك المصافحة وقد اجتمع مع سفيان فتكلما فيها فقال سفيان قد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفرا حين قدم من ارض الحبشة فقال له مالك ذلك خاص فقال له سفيان ما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصنا وما عمه يعمنا والمصافحة ثابتة فلا وجه لانكارها وقد روي قتادة قال قلت لانس هل كانت المصافحة في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهو حديث صحيح وفي الاثر من تمام المحبة الاخذ باليد ومن حديث محمد بن اسحق وهو امام مقدم عن الزهري وعن عروة عن عايشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع الباب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رايته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله قلت قد روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة من العلما وقد مضى في يوسف وقد ذكرناه هناك حديث البرا بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي قريب صديق قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان موذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فصار وليا في حميما بالقرابة وقيل هذه الاية نزلت في ابي جهل بن هشام كان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره الماوردي وذكره الثعلبي والقشيري والاول اظهر لقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقيل كان هذا قبل الامر بالقتال قال ابن عباس امره الله تعالى في هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل ذلك عصمهم الله تعالى من الشيطان وخضع لهم عدوهم وروي ان رجلا شتم قنبرا مولى علي بن ابي طالب فناداه علي يا قنبر دع شاتمك واله عنه ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب شاتمك فما عوقب الاحمق بمثل السكوت عنه وانشدوا

وللكف عن شتم اللئيم تكرما، اضر عليه من شتمه حين يشتم، وقال اخر وما شيء احب الى سفيه، اذا سب الكريم من الجواب، متاركة السفيه بلا جواب، اشد على السفيه من السباب وقال محمود الوراق سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب، وان كثرت منه لدي الجرائم، وما الناس الا واحد من ثلاثة، شريف ومشروف ومثل مقاوم، فاما الذي فوقي فاعرف فضله، واتبع فيه الحق والحق لازم، واما الذي دوني فان قال صنت عن، اجابته عرضي وان لام لايم، واما الذي مثلي فان زل او هفا، تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم، وما يلقاها يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين صبروا بكظم الغيظ واحتمال الاذى وما يلقيها الا ذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الخير قاله ابن عباس وقال قتادة الحظ العظيم الجنة قال الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل الكناية في يلقاها عن الجنة اي ما يلقيها الا الصابرون والمعنى متقارب قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ تقدم

في اخر الاعراف مستوفى فاستعذ بالله من كيده وشره انه هو السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واقوالك قوله تعالى ومن اياته اي علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن السجود لهما لانهما وان كانا خلقين عجيبين فليس ذلك لفضيلة لهما في انفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله لان خالقهما هو الله ولو شاء لاعدمهما او لطمس نورهما واسجدوا لله الذي خلقهن وسخرهن فالكناية ترجع للشمس والقمر والليل والنهار وقيل للشمس والقمر لان الاثنين جمع وقيل الضمير عايد على معنى الايات ان كنتم اياه تعبدون وانما انث على جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لانه فيما لا يعقل فان استكبروا يعني الكفار عن السجود لله فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يملون عبادته قال زهير سيمت تكاليف الحياة ومن يعش، ثمانين حولا لا ابا لك يسام مسئلة هذه اية سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك موضعه ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وكان علي وابن مسعود يسجدان عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وقال ابن وهب والشافعي موضعه وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال وبه قال ابو حنيفة وكان ابن عباس يسجد عند قوله يسأمون وقال ابن عمر اسجدوا بالاخرة منهما وكذلك يروى عن مسروق وابي عبد الرحمن السلمي وابرهيم النخعي وابي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد الايامي والحسن وابن سيرين وكان ابو وايل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله يسأمون قال ابن العربي والامر قريب والله اعلم مسئلة ذكر ابن خويز منداد ان هذه الاية تضمنت صلاة الكسوف قلت صلاة الكسوف ثابتة في الصحاح البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها اختلافا كثيرا لاختلاف الاثار وحسبك ما في صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة في الباب والله اعلم قوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الخطاب لكل عاقل اي ومن اياته الدالة على انه يحيي الموتى انك ترى الارض خاشعة اي يابسة جدبة هذا وصف الارض بالخشوع قال النابغة رماد ككحل العين لايا ابينه ونوي كجذم الحوض اثلم خاشع والارض الخاشعة الغبراء التي لا تنبت وبلدة خاشعة اي مغبرة لا منزل بها ومكان خاشع فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت بالنبات قال مجاهد يقال اهتز الانسان اي تحرك ومنه تراه كنصل السيف يهتز للندا، اذا لم يجد عند امرئ السوء مطمعا، وربت اي انتفخت وعلت قبل ان تنبت قاله مجاهد اي تصعدت عن النبات بعد موتها وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الارض وقد يكونان بعد خروج النبات الى وجه الارض فربوها ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقرا ابو جعفر وخالد وربات ومعناه عظمت من الربية وقيل اهتزت اي استبشرت بالمطر وربت اي انتفخت بالنبات والارض اذا انشقت بالنبات وصفت بالضحك فيجوز وصفها بالاستبشار ايضا ويجوز ان يقال الربو والاهتزاز واحد وهي حالة خروج النبات وقد مضى هذا المعنى في الحج ان الذي احياها لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير تقدم في غير موضع قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في ادلتنا والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه اميل الى ناحية منه يقال الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل ولحد لغة فيه وهذا يرجع الى الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وهم الذين الحدوا في اياته ومالوا عن الحق فقالوا ليس القران

من عند الله او هو سحر او شعر والايات ايات القران قال مجاهد يلحدون في اياتنا اي عند تلاوة
القران بالمكا والتصدية واللغو والغنا وقال بن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه
وقال قتادة يلحدون في اياتنا يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن
زيد يشاكون ويكذبون والمعني متقارب لا يخفون علينا وقال مقاتل نزلت في ابي جهل و
قيل الايات المعجزات وهو يرجع الى الاول فان القران معجز افمن يلقى في النار على وجهه وهو ابو
جهل في قول ابن عباس وغيره خير امن ياتي امنا يوم القيمة قيل النبي صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل
وقيل عثمان وقيل عمار ابن ياسر وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي
وقيل المؤمنون وقيل انها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر والذي ياتي امنا يوم القيمة المؤمن
قاله ابن البحر اعملوا ما شئتم امر تهديد اي بعد ما علمتم انهما لا يستويان فلا بد لكم من الجزا انه بما
تعملون بصير وعيد فتهدد وتوعد قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الذكر ههنا القران
في قول الجميع لانه ذكر ما يحتاج اليه من الاحكام والخبر محذوف اي هالكون او معذبون وقيل
الخبر اولئك ينادون من مكان بعيد واعترض قوله ما يقال لك ثم رجع الى الذكر فقال ولو جعلناه
قرانا اعجميا ثم قال اولئك ينادون والاول الاختيار بالاختيار وقال النحاس عند النحويين جميعا
فيما علمت وانه لكتاب عزيز على الله قال ابن عباس وعنه عزيز من عند الله وقيل كريم على الله وقيل
عزيز اي اعزه الله فلا يتطرق اليه الباطل وقيل ينبغي ان يعز ويجل وان لا يلغى فيه وقيل عزيز
من الشيطان ان يبدله قال السدي مقاتل منيع من الشيطان والباطل السدي غير مخلوق فلا
مثل له وقال بن عباس ايضا عزيز اي ممتنع عن الناس ان يقولوا مثله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه اي لا يكذبه شيء مما انزل الله من قبل ولا ينزل من بعده كتاب يبطله وينسخه قاله
الكلبي وقال السدي لا ياتيه الباطل يعني الشيطان من بين يديه ولا من خلفه لا يستطيع ان يغيره و
لا يزيد ولا ينقص وقال سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب من بين يديه من الله تعالى ولا من خلفه
يريد من جبرئيل عليه السلم ولا من محمد صلى الله عليه وسلم تنزيل من حكيم حميد ابن عباس حكيم في خلقه حميد
اليهم قتادة حكيم في امره حميد الى خلقه قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك
لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي قل
هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون
من مكان بعيد ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي
بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم
يناديهم اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل و
ظنوا ما لهم من محيص لا يسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل
ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط قوله ما يقال لك
اي من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه ان ربك لذو مغفرة

لك ولاصحابك وذو عقاب اليم يريد لاعدائك وجيعا وقيل اي ما يقال لك من اخلاص العبادة
لله الا ما قد اوحي الى من قبلك ولا خلاف بين الشرايع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله تعالى و
لقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي لم تدعهم الا الى ما دعوا اليه جميع
الانبياء فلا معنى لانكارهم عليك وقيل هو استفهام اي اي شيء يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك وقيل ان ربك كلام مبتدا وما قبله كلام تام اذا كان الخبر مضمرا وقيل هو متصل بما
يقال لك اي انما يقال لك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم اي انما امرت بالانذار والتبشير
قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا اي
بلغة غير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم الاعجمية فبين انه
انزله بلسانهم ليتقرر به معنى الاعجاز اذ هم اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا
عن معارضته كان من ادل الدليل على انه من عند الله ولو كان بلسان العجم قالوا لا علم لنا بهذا
اللسان الثانية واذا ثبت هذا ففيه دليل على ان القران عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس
اعجميا وانه اذا نقل عنها الى غيرها لم يكن قرانا الثالثة قوله تعالى ءاعجمي وعربي قرا ابو بكر وحمزة و
الكسائي ءاعجمي وعربي بهمزتين مخففتين والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحا او غير فصيح
والاعجمي الذي لا يفصح كان من العرب او من العجم فالاعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه
ويقال للحيوان غير الناطق اعجم ومنه صلاة النهار عجماء اي لا يجهر فيها بالقراءة فكانت
النسبة الى الاعجم اكد لان الرجل العجمي الذي ليس من العرب قد يكون فصيحا بالعربية والعربي
قد يكون غير فصيح فالنسبة الى الاعجمي اكد في البيان والمعنى اقران اعجمي ونبي عربي وهو استفهام
انكار وقرا الحسن وابو العالية ونصر بن عاصم اعجمي بهمزة واحدة على الخبر والمعنى لولا فصلت
اياته فكان منها عربي يفهمه العرب وعجمي يفهمه العجم وروى سعيد بن جبير قال قالت قريش
لولا انزل القران اعجميا وعربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضها عربيا فنزلت الاية وانزل في القران
من كل لغة فمنه السجيل وهي فارسية واصلها سنك كيل اي طين وحجر ومنه الفردوس رومية وكذلك
القسطاس وقرا اهل الحجاز وابو عمرو وابن ذكوان وحفص على الاستفهام الا انهم لينوا الهمزة
على اصولهم والقراءة الصحيحة قراءة الاستفهام قوله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
اعلم الله ان القران هدى وشفاء لكل من امن به من الشك والريب والاوجاع والذين لا يؤمنون في
اذانهم وقر صمم عن سماع القران ولهذا تواصوا باللغو فيه ونظير هذا وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد مضى مستوفى وقراءة العامة عمى على المصدر
وقرا ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاصي ومعاوية وسليمان بن قبة وهو عليهم عمٍ بكسر
الميم اي لا يتبين لهم واختار ابو عبيد القراءة الاولى لاجماع الناس فيها ولقوله اولا هدى وشفاء
ولو كان هاد وشاف لكان الكسر في عمي اجود ليكون نعتا مثلهما تقديره والذين لا يؤمنون في ترك
قبوله بمنزلة من في اذانهم وقر وهو يعني القران عليهم ذو عمى لانهم لا يفقهون فحذف المضاف
قيل المعنى والوقر عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد العرب تقول ذلك لمن لا يفهم على
التمثيل وحكى اهل اللغة انه يقال للذي يفهم انت تسمع من قريب ويقال لكل من لا يفهم انت
تنادي من كل مكان بعيد اي كانه ينادي من موضع بعيد منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وقال
الضحاك ينادون يوم القيمة باقبح اسمائهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم وفضيحتهم
وقيل اي من لم يتدبر القران صار كالاعمى الاصم فهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي

عنه وهو لم يسمع وقال علي رضي الله عنه ومجاهد اي من بعيد من قلوبهم وفي التفاسير كانما ينادون
من السماء فلا يسمعون وحكى معناه النقاش قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية فا
ختلف فيه اي امن به قوم وكذب به قوم والكناية ترجع الى الكتاب وهو تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم اي لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم وقيل الكناية ترجع
الى موسى ولولا كلمة سبقت من ربك اي في امهالهم لقضي بينهم اي بتعجيل العذاب وانهم لفي
شك منه اي من القران مريب اي شديد الريبة وقد تقدم وقال الكلبي في هذه الاية لولا ان الله
اخر عذاب هذه الامة الى يوم القيمة لاتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الامم وقيل تاخير العذاب
لما يخرج من اصلابهم من المؤمنين قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه شرط وجوابه وكذا ومن اساء
فعليها والله عز وجل مستغن عن طاعة العباد فمن اطاع فالثواب له ومن اساء فالعقاب عليه وما
ربك بظلام للعبيد نفى الظلم عن نفسه عز وجل قليله وكثيره واذا انتفت المبالغة انتفى غيرها دليله
قوله الحق ان الله لا يظلم الناس شيئا وروى العدول الثقات والائمة الاثبات عن الزاهد العدل
عن امين الارض عن امين السماء عن الرب عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا الحديث وايضا فهو الحكيم المالك وما يفعله المالك في ملكه فلا اعتراض
عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد قوله تعالى اليه يرد علم الساعة اي حين وقتها وذلك انهم قالوا
يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت وما تخرج من ثمرة من زائدة اي وما تخرج ثمرة
من اكمامها اي من اوعيتها فالاكمام اوعية الثمرة واحدها كمة وهي كل ظرف لمال او غيره ولذلك
سمي قشر الطلع اعني كفرا الذي ينشق عن الثمرة كمة قال ابن عباس الكمة الكفرى قبل ان ينشق فليست
بكمة وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات على الجمع الباقون
ثمرة على التوحيد والمراد الجمع كقوله وما تحمل من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم الساعة كما
يرد اليه علم الثمار والنتاج ويوم يناديهم اي ينادي الله المشركين اين شركائي قالوا اذناك اسمعناك
واعلمناك يقال اذن يأذن اذا علم قال اذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء ما منا من شهيد
اي نعلمك ما منا احد يشهد بان لك شريكا لما عاينوا القيمة تبروا من الاصنام وتبرات الاصنام منهم
كما تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وظنوا اي ايقنوا و
علموا ما لهم من محيص اي فرار عن النار وما هنا حرف وليس باسم فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل
الفعل ملغا تقديره وظنوا انهم ما لهم من محيص ولا مهرب حاص يحيص حيصا اذا هرب وقيل ان
الظن هنا الذي هو اغلب اي لا يشكون في انهم اصحاب النار ولكن يطمعون ان يخرجوا منها وليس يبعد
ان يكون لهم ظن ورجاء الى ان ييأسوا قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير والخير هنا المال والصحة
والسلطان والعز قال السدي والانسان ههنا يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة
ابني ربيعة وامية بن خلف وفي قراءة عبد الله لا يسام الانسان من دعاء المال وان مسه الشر الفقر
والمرض فيؤس من روح الله قنوط من رحمته وقيل يؤس من اجابة الدعاء قنوط بسوء الظن بربه وقيل
يؤس اي ييأس من زوال ما به من المكروه يظن انه يدوم والمعنى متقارب قوله تعالى ولئن اذقناه
رحمة منا رخاء وغناء من بعد ضراء مسته ضر وسقم وشدة وفقر ليقولن هذا لي اي هذا شيء استحقه
على الله لرضاه بعملي فيرى النعمة حتما واجبا على الله تعالى ولم يعلم انه ابتلاه بالنعمة والمحنة ليتبين
شكره وصبره وقال ابن عباس هذا لي هذا من عندي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى اي الجنة واللام للتاكيد يتمنى الاماني بلا عمل قال الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب

للكافر

للكافر امنيتان اما في الدنيا فيقول لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيقول يا
ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ويا ليتني كنت ترابا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنخبرنهم
فتم اقسم الله عليه ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان يريد
الكافر اعرض ونأى بجانبه قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وامية بن خلف اعرضوا عن الاسلام
ومعنى نأى بجانبه اي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر عن انبياء الله ويقال نأى اي تباعد يقال نأيته
ونأيت عنه نأيا بمعنى اي بعدت عنه وانأيته فانتأى اي بعدته فبعد وتناءوا تباعدوا والمنتأى
الموضع البعيد قال النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
وقرا يزيد بن القعقاع وناء بجانبه بالالف قبل الهمزة فيجوز ان يكون من ناء اذا نهض ويجوز ان
يكون على قلب الهمزة بمعنى الاول واذا مسه الشر اي اصابه المكروه فذو دعاء عريض كثير والعرب
تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعاء اذا اكثر وقال
ابن عباس فذو دعاء عريض فذو تضرع واستغاثة والكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في
الرخاء قوله تعا قل ارايتم اي قل لهم ارايتم يا معشر المشركين ان كان هذا القران من عند الله ثم
كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي فاي الناس اضل اي لا احد اضل منكم لفرط شقاقكم و
عداوتكم وقوله ان كان من عند الله يرجع الى الكتاب المذكور في قوله اتينا موسى الكتاب والاول
اظهر وهذا قول ابن عباس قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في
الافاق يعني خراب منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض وقال ابن زيد في الافاق ق
ايات السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الافاق فتح القرى فيسر الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق و
المغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض
قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم
على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفي انفسهم فتح مكة وهو
اختيار الطبري وقال المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الافاق وقائع الله في
الامم وفي انفسهم في يوم بدر وقال عطا وابن زيد ايضا في الافاق يعني اقطار السموات والارض
من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات
والاشجار والجبال والبحار وغيره وفي الصحاح الافاق النواحي واحدها افق وافق مثل عسر وعسر
ورجل افقي بفتح الهمزة والفاء اذا كان من افاق الارض حكاه ابو نصر وبعضهم يقول افقي بضمهما
وهو القياس وانشد اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع وفي انفسكم من لطيف
الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول فان الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز
ذلك من مكانين وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السماء
الى الارض مسيرة خمسمائة عام وفي اذنيه التي يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع
حكمة الله فيه وقيل في انفسهم في كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في المؤمنين
بيانه وقيل المعنى سنريهم ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن واخبار الغيوب حتى
يتبين لهم انه الحق فيه اربعة اوجه احدها انه القران والثاني الاسلام جاءهم به الرسول ودعاهم
اليه والثالث ان ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق والرابع ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول
الحق اولم يكف بربك في موضع رفع بانه فاعل بيكفي وانه بدل من ربك فهو رفع ان قدرته بدلا على الموضع

وجران قدرته لا على اللفظ ويجوز ان يكون نصبًا بتقدير حذف اللام والمعنى اولم يكفهم ربك
بما دلهم عليه من توحيدك لانه على كل شيء شهيد واذا شهد جاز عليه وقيل المعنى اولم يكف
بربك يا محمد انه شاهد على اعمال الكفار وقيل اولم يكف بربك شاهدا على ان القران من عند
الله وقيل اي اولم يكفك من ربك انه على كل شيء مما يفعله العبد شهيد والشهيد بمعنى العالم
او هو من الشهادة التي هي الحضور الا انهم في مرية في شك من لقاء ربهم في الاخرة وقال السدي اي
من البعث الا انه بكل شيء محيط اي احاط علمه بكل شيء قاله السدي وقال الكلبي احاطت قدرته
بكل شيء وقال الخطابي هو الذي احاطت قدرته بجميع خلقه وهو الذي احاط علمه بكل شيء علما و
احصى كل شيء عددا وهذا الاسم اكثر ما يجي في معرض الوعيد وحقيقته الاحاطة بكل شيء واستيفاء
المحاط به واصله محيط نقلت حركة الياء الى الحاء فسكنت يقال منه احاط يحيط احاطة وحيطة و
من ذلك حائط الدار واحيط بثمره حوطها اهلها واحاطته الخيل بفلان اذا اخذته اخذا حاصرا
من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون اية مكية في قول الحسن
وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى الى اخرها بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حمعسق كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد
السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا
ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في
الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل
شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم
وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة
بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير قوله تعالى حمعسق قال عبد المؤمن سالت الحسين بن الفضل
لم قطع حم من عسق ولم تقطع كهيعص والمر والمص فقال لان حم عسق بين سور اولها حم فجرت
مجرى نظائرها قبلها وبعدها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدت ايتين وعدت اخواتها
اللواتي كتبت جملة اية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث انها اس البيان و
قاعدة الكلام ذكره الجرجاني وكتبت حم عسق منفصلا وكهيعص متصلا لانه قيل حم اي حم ما هو كائن
ففصلوا ما بعده وقيل وبين ما لا يقدر ثم لو فصل هذا ووصل ذا لجاز حكاه القشيري وفي قراءة
ابن مسعود وابن عباس حم سق قال ابن عباس وكان علي رضي الله عنه يعرف الفتن بها وقال
ارطاة بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان اخبرني عن تفسير قوله حم عسق فاعرض

عنه حتى اعاد عليه ثلاثا فاعرض عنه فقال له حذيفة بن اليمان انا انبئك بها قد عرفت لم
تركها نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الاله او عبد الله ينزل على نهر من انهار المشرق
يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا فاذا اراد الله تعالى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم
بعث على احدهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحترق كلها كانها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها
متعجبة كيف قلبت فما هو الا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد ثم يخسف الله بها وبهم
جميعا فذلك قوله حم عسق اي عزيمة من عزائم الله تعالى وفتنة وقضاء حم ع عدلا منه س
سيكون ق واقع بها بين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيها
جبابرة الارض يجبى اليها الخزائن يخسف بها وفي رواية يخسف باهلها فلهي اسرع ذهابا في الارض
من الوتد الجيد في الارض الرخوة وقرا ابن عباس حم سق بغير عين وكذلك هو في مصحف عبد الله
ابن مسعود حكاه الطبري وروى نافع عن ابن عباس الحاء حكمه والميم مجده والعين علمه والسين
سناه والقاف قدرته اقسم الله بها وعن محمد بن كعب اقسم بحكمه ومجده وعلمه وسناه وقدرته ان لا
يعذب من عاذ بلا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحاء من الرحمن
والميم من المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال مجاهد فواتح
السور وقال عبد الله بن بريدة انه اسم الجبل المحيط بالدنيا وذكر القشيري واللفظ للثعلبي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية عرفت الكابة في وجهه فقيل له يا رسول الله ما احزنك
قال اخبرت ببلايا تنزل بامتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وايات متتابعات
متصلات بنزول عيسى وخروج الدجال والله اعلم وقيل هذا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فالحاء
حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف
قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب
كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال يوحي اليك والى الذين من قبلك المهدوي قد جاء في الخبر
ان حم عسق اوحيت الى الانبياء المتقدمين وقرا ابن محيصن وابن كثير ومجاهد يوحى بفتح الحاء على ما
لم يسم فاعله وروي عن ابن عمرو فيكون الجار والمجرور في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل ويجوز
ان يكون اسم ما لم يسم فاعله مضمرا اي يوحى اليك القران الذي تضمنته هذه السورة ويكون
اسم الله مرفوعا باضمار فعل التقدير يوحيه الله اليك كقراءة ابن عامر وابي بكر يسبح له فيها بالغدو
والاصال اي يسبحه رجال وانشد سيبويه ليبك يزيد ضارع لخصومة واشعث ممن طوحته الطوائح
فقال ليبك يزيد ثم بين من ينبغي ان يبكيه فالمعنى يبكيه ضارع ويجوز ان يكون مبتدا والخبر
محذوف كانه قال الله يوحيه او على تقدير اضمار مبتدا اي الموحي الله او يكون مبتدا والخبر العزيز
الحكيم وقرا الباقون يوحي بكسر الحاء ورفع الاسم على انه الفاعل له ما في السموات وما في الارض
هو العلي العظيم تقدم في غير موضع قوله تعالى تكاد السموات قراءة العامة بالتاء وقرا نافع و
ابن وثاب والكسائي بالياء يتفطرن وقرا نافع وغيره بالياء والتاء والتشديد في الطاء وهي
قراءة وقرا ابو عمرو والمفضل وابو بكر وابو عبيد ينفطرن من الانفطار لقوله اذا السماء انفطرت
وقد مضى في سورة مريم بيان هذا وقال ابن عباس تكاد السموات يتفطرن اي تكاد كل واحدة منها
تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقال الضحاك والسدي يتفطرن اي يتشققن
من عظمة الله وجلاله من فوقهن وقيل من فوقهن فوق الارضين لو كن مما يعقل قوله تعالى والملائكة

يسبحون بحمد ربهم اي ينزهه عما لا يجوز في وصفه وما لا يليق بجلاله وقيل يتعجبون من جراة المشركين فذكر التسبيح في موضع التعجب وعن علي رضي الله عنه ان تسبيحهم تعجبهم مما يرون من تعرضهم لسخط الله تعالى وقال ابن عباس تسبيحهم خضوع لما يرونه من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم بامر ربهم قاله السدي ويستغفرون لمن في الارض قال الضحاك لمن في الارض من المؤمنين وقاله السدي بيانه في سورة المؤمن ويستغفرون للذين امنوا وعلى هذا تكون الملائكة هنا حملة العرش وقيل جميع ملائكة السماء وهو الظاهر من قول الكلبي وقال وهب بن منبه هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص للمؤمنين وقال ابو الحسن الماوردي عن الكلبي ان الملائكة لما رات الملكين الذين اختيروا وبعثا الى الارض ليحكما بينهم فافتتنا بالزهرة وهربا الى ادريس وهو جد نوح عليهما السلام وسالاه ان يدعو لهما سبحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني ادم قال ابو الحسن بن الحصار وقد ظن بعض من جهل ان هذه الاية نزلت بسبب هاروت وماروت وانها منسوخة بالاية التي في المؤمن وما علموا ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين خاصة ولله ملائكة اخر يستغفرون لمن في الارض الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان احدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل الثاني انه طلبوا الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي قلت وهو الاظهر لان الارض تعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر وقد روي في هذا الباب خبر رواه عاصم الاحول عن ابي عثمان عن سلمان قال ان العبد اذا كان يذكر الله في السراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة صوت معروف من ادمي ضعيف كان يذكر الله في السراء فنزلت به الضراء فيستغفرون له فاذا كان لا يذكر الله في السراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة صوت منكر من ادمي كان لا يذكر الله في السراء فنزلت به الضراء فلا يستغفرون له فهذا يدل على ان الاية في الذاكر الله تعالى في السراء والضراء فهي خاصة ببعض من في الارض من المؤمنين والله اعلم ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما قاله الزمخشري وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين وقد تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال بعض العلماء هيب وعظم عز وجل في الابتداء وبشر والطف في الانتهاء قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني اصناما يعبدونها الله حفيظ عليهم اي يحفظ اعمالهم ليجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل وهذه منسوخة باية السيف وفي الخبر اطت السماء وحق لها ان تئط اي صوتت من ثقل سكانها لكثرتهم فهم مع كثرتهم لا يفترون عن عبادة الله وهؤلاء الكفار يشركون به قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا اي وكما اوحينا اليك والى الذين من قبلك هذه المعاني كذلك اوحينا اليك قرانا عربيا بيناه بلغة العرب وقيل اي انزلنا عليك قرانا عربيا بلسان قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد لتنذر ام القرى يعني مكة وقيل لمكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها من سائر الخلق وتنذر يوم الجمع اي يوم الجمع وهو يوم القيامة لا ريب فيه لا شك فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ابتدا وخبر واجاز الكسائي النصب على تقدير لتنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة واهل هدى ولكن يدخل من يشاء في رحمته قال انس بن مالك في الاسلام والظالمون رفع بالابتداء والخبر ما لهم من ولي ولا نصير عطف على اللفظ ويجوز ولا نصير بالرفع على

الوضع ومن زائدة قوله تعالى ام اتخذوا اي بل اتخذوا من دونه اولياء يعني اصناما فالله هو الولي اي وليك يا محمد وولي من اتبعك لا ولي سواه وهو يحيي الموتى يريد عند البعث وهو على كل شيء قدير وغيره من الاولياء لا يقدر على شيء قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين من امر الدين فقولوا لهم حكمه الى الله لا اليكم وقد حكم ان الدين هو الاسلام لا غيره وامور الشرائع انما تتلقى من بيان الله ذلكم الله ربي اي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه اضمار اي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيي الموتى ويحكم بين المختلفين هو الله ربي عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع قوله تعالى فاطر السموات والارض بالرفع على النعت لاسم الله او على تقدير هو فاطر ويجوز النصب على النداء والجر على البدل من الهاء في عليه والفاطر المبدع والخالق وقد تقدم جعل لكم من انفسكم ازواجا معناه اناثا وانما قال من انفسكم لانه خلق حوى من ضلع ادم وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا يعني الثمانية التي ذكرها في الانعام ذكور الابل والبقر والضان والمعز واناثها يذرؤكم اي يخلقكم وينشئكم فيه اي في الرحم وقيل في البطن وقال الفراء وابن كيسان فيه بمعنى به وكذلك قال الزجاج معنى يذرؤكم فيه يكثركم به اي يكثركم يجعلكم ازواجا اي حلائل لانهن سبب النسل وقيل ان الهاء في فيه للجعل ودل عليه جعل كانه قال يخلقكم ويكثركم في الجعل ابن قتيبة يذرؤكم فيه اي في الزوج اي يخلقكم في بطون الاناث قال ويكون فيه في الرحم وفيه بعد لان الرحم مؤنثة ولم يتقدم لها ذكر ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قيل ان الكاف زائدة للتوكيد اي ليس مثله شيء قال

وصاليات كما يؤثفين

فادخل على الكاف كافا تاكيدا للتشبيه وقيل المثل زائد للتوكيد وهو قول ثعلب ليس مثله شيء نحو قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وفي حرف ابن مسعود فان امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا قال اوس بن حجر

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

اي كجذوع والذي يعتقد في هذا الباب ان الله جل اسمه وعظمته وكبرياؤه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به شيء وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم عز وجل بخلاف صفات المخلوق اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل باسمائه وصفاته على ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وكفى في هذا قوله الحق ليس كمثله شيء وقد قال بعض العلماء المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم في الزمر بيانه النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزاين يقال للمفتاح اقليد وجمعه على غير قياس كمحاسن والواحد حسن يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم تقدم ايضا في غير موضع قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فيه مسئلتان الاولى قوله شرع لكم اي الذي له مقاليد السموات والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابرهيم وموسى ثم بين ذلك بقوله ان اقيموا الدين وهو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد تقدم القول فيه ومعنى شرع اي نهج واوضح وبين المسالك

وقد شرع لكم يشرع شرعا اي سن والشارع الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان على طريق نافذ
وشرعت الابل اذا امكنتها من الشريعة وشرعت الاديم اذا سلخته وقال يعقوب اذا شققت ما
بين الرجلين وسمعته من ام الحمار بين البكرية وشرعت في هذا الامر شروعا اي خضت ان في
محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحا ان اقيموا الدين ولا يوقف على هذا الوجه على عيسى وقيل
هو نصب اي شرع لكم اقامة الدين وقيل هو جر بدلا من الهاء في به كانه قال بان اقيموا الدين ولا
يوقف على عيسى على هذين الوجهين ويجوز ان يكون ان مفسرة مثل ان امشوا فلا يكون لها محل من
الاعراب الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض
فياتون نوحا فيقولون انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان
ادم اول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم يكن معه الا بنوه ولم يفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم و
انما كان تنبيها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش واخذا بوظايف الحياة والبقا واستقر
الى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الامهات والاخوات والبنات ووظف عليه الواجبات واوضح له
الاداب في الديانات ولم يزل ذلك يتاكد بالرسل ويتناصر بالانبياء صلوات الله عليهم واحدا
بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا يعني في الاصول التي لا تختلف فيها الشريعة
وهي التوحيد والصلاة والزكوة والصيام والحج والتقرب الى الله تعالى بصالح العمل والزلف اليه بما
يرد القلب والجارحة اليه والصدق والوفا بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل
والزنا والاذاية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدنات وما يعود
تخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان اختلفت
اعدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه قائما يريد دائما محفوظا
مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث فانما ينكث على
نفسه واختلفت الشرايع وراء هذا في معان حسبما اراد الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة
وضعه في الازمنة على الامم والله اعلم قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلوة
وايتاء الزكوة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقاله الوالبي عن ابن عباس وهو
قول الكلبي وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والاخوات و
البنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الاقوال ويزيد عليها وخص نوحا وابرهيم وموسى وعيسى بالذكر
لانهم ارباب الشرايع قوله تعالى كبر على المشركين اي عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض
الاوثان وقال قتادة كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده وضاق بها
ابليس وجنوده فابى الله الا ان ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها على من ناواها ثم قال الله يجتبي
اليه من يشاء اي يختار والاجتباء الاختيار اي يختار للتوحيد من يشاء ويهدي اليه من ينيب اي
يستخلص لدينه من رجع اليه وما تفرقوا قال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون
ان يبعث اليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير يريد
نبيا وقال في سورة البقرة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به على ما تقدم بيانه هناك وقيل امم الانبيا
المتقدمين وانهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا يعني
اهل الكتاب دليله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فالمشركون قالوا لم خص

بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى بغيا بينهم اي بغيا من بعضهم على بعض طلبا
للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العقاب عن هؤلاء الى اجل مسمى وقيل القيمة لقوله
تعالى بل الساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضى فيه بعذابهم لقضي بينهم اي بين من امن
وبين من كفر بنزول العذاب وان الذين اورثوا الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم
اي من بعد المختلفين في الحق الذي وصى به الانبياء والكتاب هنا التورية والانجيل وقيل
ان الذين اورثوا الكتاب قريش من بعدهم من بعد اليهود والنصارى لفي شك من القران او من
محمد وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى قوله تعالى
فلذلك فادع واستقم لما جاز ان يكون الشك لليهود والنصارى او لقريش قيل له فلذلك فادع
اي فتبينت شكهم فادع الى الله اي الى ذلك الدين الذي شرعه للانبياء ووصاهم به فاللام بمعنى
الى كقوله بان ربك اوحى لها اي اليها وذلك بمعنى هذا وقد تقدم اول البقرة والمعنى فلهذا القران
فادع وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع و
قيل ان اللام على بابها والمعنى فمن اجل ذلك الذي تقدم ذكره فادع واستقم قال ابن عباس اي الى
القران فادع الخلق واستقم خطاب له عليه الصلوة والسلام قال قتادة اي استقم على امر الله
وقال سفيان اي استقم على القران وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة ولا تتبع اهواءهم
اي لا تنظر الى خلاف من خالفك وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل
كقوله وامرت ان اسلم لرب العالمين وقيل هي لام كي اي لكي اعدل قال ابن عباس وابو العالية لا
سوى بينكم في الدين فاومن بكل كتاب وبكل رسول وقال غيرهما لاعدل في جميع الاحوال وقيل
هذا العدل هو العدل في الاحكام وقيل في التبليغ الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود اي لنا ديننا ولكم دينكم قال ثم
نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية قال مجاهد ومعنى لا حجة بيننا
وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقيل ليس بمنسوخ لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العنا
وبعد العناد لا حجة ولا جدال قال النحاس ويحوز ان يكون معنى لا حجة بيننا وبينكم على ذلك القول
لن نؤمن ان نحتج عليكم ونقاتلكم ثم نسخ هذا كما ان قائلا لو قال من قبل ان تحول القبلة لا تصل الى
الكعبة ثم حول الناس بعد لجاز ان يقال نسخ ذلك الله يجمع بيننا واليه المصير يريد يوم القيمة
واليه المصير فهو يحكم بيننا اذا صرنا اليه ويجازي كلا بما كان عليه وقيل ان هذه الاية نزلت
في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن دعوته
ودينه الى دين قريش على ان يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته قوله تعالى والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب
شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين
يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في
الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل
لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع

بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو
الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون
افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم
بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير
وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن اياته خلق السموات
والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
قوله تعالى والذين يحاجون في الله رجع الى المشركين من بعد ما استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلم
الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة الذين يحاجون في الله اليهود
والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة
بانهم اهل كتاب وانهم اولاد الانبياء وكان المشركون يقولون اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
فقال الله تعالى ان هؤلاء يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة اي لا ثبات لها
كالشيء الذي يزل عن موضعه والهاء في له يجوز ان تكون لله عز وجل اي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا
له بالوحدانية ويجوز ان تكون للنبي صلى الله عليه وسلم اي من بعد ما استجيب لمحمد في دعوته من اهل
بدر ونصر الله المؤمنين يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض الازلاق ومكان
دحض ودحض ايضا بالتحريك اي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس عن
كبد السماء زالت وعليهم غضب يريد في الدنيا ولهم عذاب شديد يريد في الاخرة عذاب دايم قوله تعالى
الله الذي انزل الكتاب يعني القران وسائر الكتب المنزلة بالحق اي بالصدق والميزان اي العدل قاله
ابن عباس واكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا لان الميزان الة الانصاف والعدل وقيل الميزان ما
بين في الكتب مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقال قتادة الميزان العدل فيما امر به ونهى عنه
هذه الاقوال متقاربة المعنى وقيل هو الجزا على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل
انه الميزان نفسه الذي يوزن به انزل من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس
قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
قال مجاهد هو الذي يوزن به ومعنى انزل الميزان هو الهام للخلق ان يعملوه ويعملوا به وقيل الميزان محمد
صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وما يدريك لعل الساعة قريب فلم يخبره بها يحضه على العمل
بالكتاب والعدل والتوبة والعمل بالشرايع قبل ان يفاجي اليوم الذي تكون فيه المحاسبة ووزن
الاعمال فيوفى لمن اوفى ويطفف لمن طفف وكذلك قال لعل الساعة قريب اي منك وانت لا تدري
وقال قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي لانها كالوقت قاله الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل
مجي الساعة قريب وقال الكسائي قريب نعت ينعت به المؤنث والمذكر والجميع بمعنى ولفظ واحد قال
الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الشاعر وكنا قريبا والديار بعيدة فلما وصلنا نصب
اعينهم غبنا قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يعني على طريق الاستهزاء منهم انها غير
اتية او ليهابها الضعيف انها لا تكون والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون وجلون لاستقصارهم

انفسهم

انفسهم مع الجهد في الطاعة كما قال والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون و
يعلمون انها الحق اي التي لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة اي يشكون ويخاصمون في قيام
الساعة لفي ضلال بعيد اي عن الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا لعلموا ان الذي انشاهم من تراب
ثم من نطفة الى ان بلغوا ما بلغوا قادر على بعثهم قوله تعالى الله لطيف بعباده قال ابن عباس
حفي بهم وقال عكرمة بار وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبار والفاجر حيث لم يقتلهم
جوعا بمعاصيهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة قال غلا عند موالي الخلق للخلق موقف
يبا يليهم فيه الجليل ويلطف وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يلطف بهم في الرزق من وجهين
احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن
الفضل لطيف بهم في القران وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد لطيف باوليائه حتى عرفوه ولو لطف
باعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكناني اللطيف لمن لجأ اليه من عباده اذا يئس من الخلق توكل
عليه ورجع اليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يطلع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل امحت اثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب
وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم وقال ابو علي الثقفي رحمه الله
امر بافناء القبور كانني اخو بطنة والثوب فيه يخيف ومن تتوفاه قد رزق ومن يمت
يلجاء اليه لطيف وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم يا من اظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير
وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة
ولا يكلفه الطاعة فوق الطاقة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله ان يخفف عنكم وقيل هو الذي
يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي
لا يرد سائله ولا يوئس امله وقيل هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه و
قيل هو الذي اوقد في اسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم منهاجا واجزل
لهم من سحائب بره ماء ثجاجا وقد مضى في الانعام قول ابي العالية والجنيد وقد ذكرنا جميع
هذا في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى عند اسم اللطيف والحمد لله يرزق من يشاء ويحرم
من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
فكان هذا لطفا بالعباد وليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
على ما تقدم بيانه وهو القوي العزيز قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الحرث
العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمر واحرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك
تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى من طلب بما رزقناه حرثا لاخرته فادى حقوق الله وانفق
في اعزاز الدين فانما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا الى سبعمائة فاكثر ومن كان يريد حرث الدنيا اي
طلب بالمال الذي اتاه الله رياسة الدنيا والتوصل الى المحظورات فانا لا نحرمه الرزق اصلا ولكن
لا حظ له في الاخرة من ماله قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فاولئك كان سعيهم مشكورا وقيل نزد له في حرثه نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل حرث
الاخرة الطاعة اي من اطاع فله الثواب فيل نزد له في حرثه نعطيه الدنيا مع الاخرة وقيل الاية في

الغزو اي من اراد بغزوه الاخرة اوتي الثواب ومن اراد بغزوه الغنيمة اوتي منها قال القشيري والظاهر
ان الاية في الكافر يوسع عليه اي لا ينبغي ان يغتر بذلك لان الدنيا لا تبقي وقال قتادة ان الله
يعطي على نية الاخرة ما شاء من امر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا وقال ايضا
يقول الله تعالى من عمل لاخرته زدناه في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبناه له ومن اثر
دنياه على اخرته لم نجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه
له لا ان كان يؤتاه مع ايثار او غير ايثار قلت قول قتادة حسن والاية تعم وروى جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس قال في قوله من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح
ثواب الاخرة نزد له في حرثه اي في حسناته ومن كان يريد حرث الدنيا اي من كان من الفجار يريد
بعمله الحسن الدنيا نؤته منها ثم نسخ ذلك في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد والصواب ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والاشياء كلها بارادة الله عز وجل الا ترى انه قد صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت وقد
قال قتادة ما تقدم ذكره عنه وهو يبين لك ان لا نسخ وقد ذكرنا في هود ان هذا من باب المطلق
والمقيد وان النسخ لا يدخل في الاخبار والله اعلم مسئلة هذه الاية تبطل مذهب ابي حنيفة
في قوله انه من توضا تبردا انه يجزيه عن فريضة الوضوء الموضوع عليه فان فريضة الوضوء من حرث
الاخرة والتبرد من حرث الدنيا فلا يدخل احدهما على الاخر ولا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الاية قاله
ابن العربي قوله تعالى ام لهم شركاء اي الهم والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان كانوا لا يؤمنون
به فهل لهم الهة شرعوا لهم الشرك الذي لم ياذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك
فمن اين تدينون ولولا كلمة الفصل يوم القيمة حيث قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم في الدنيا
فعاجل الظالم بالعقوبة واثاب الطائع وان الظالمين اي المشركين لهم عذاب اليم في الدنيا القتل
والاسر والقهر وفي الاخرة عذاب النار وقرا ابن هرمز وان بفتح الهمزة على العطف على ولولا كلمة
والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب لولا جائز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير
وجب ان الظالمين لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله على قراءة الكسر فاعلمه قوله تعالى
ترى الظالمين مشفقين اي خائفين مما كسبوا اي من جزاء ما كسبوا والظالمون ههنا الكافرون
بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر وهو واقع بهم اي نازل بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات الروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى هذا في الروم لهم ما يشاؤون
عند ربهم اي من النعيم والثواب الجزيل ذلك هو الفضل الكبير اي لا يوصف ولا تهتدي العقول
الى كنه صفته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده
الذين امنوا قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره وفيه حذف اي يبشر الله به عباده المؤمنين
ليتعجلوا السرور ويزدادوا جدا في الطاعة قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فيه
مسئلتان الاولى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا اي قل يا محمد لا اسئلكم على تبليغ الرسالة جعلا
الا المودة في القربى قال الزجاج الا المودة استثناء ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني
والخطاب لقريش خاصة وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس علينا
في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسئله عنها فكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم الا
وقد ولده فقال الله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي منكم اي تراعوا ما بيني وبينكم

تقدهوني

تقدهوني فالقربى ههنا قرابة الرحم كانه قال اتبعوني للقرابة ان لم تتبعوني للنبوة قال عكرمة
كانت قريش تصل ارحامها فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعته فقال صلوني كما كنتم تفعلون
فالمعنى على هذا قل لا اسئلكم عليه اجرا لكن اذكركم قرابتي على الاستثناء ليس من الاول ذكره
النحاس وفي البخاري عن طاوس عن ابن عباس انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد
بن جبير قربى ال محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان
له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينكم من القرابة فهذا قول وقيل القربى قرابة الرسول صلى الله
عليه وسلم اي لا اسئلكم عليه اجرا الا ان تودوا قرابتي واهل بيتي كما امر باعطائهم ذوي القربى وهذا
قول علي بن الحسين وعمرو بن شعيب والسدي وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس لما انزل الله عز
وجل قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين نودهم قال
علي وفاطمة وابناؤهما ويدل عليه ايضا ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى النبي صلى الله عليه وسلم
حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين
وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة
على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها
فانا اجازيه غدا اذا لقيني يوم القيمة وقال قتادة والحسن المعنى الا ان تودوا الى الله وتتقربوا الى
الله بطاعته فالقربى على هذا بمعنى القربة يقال قربة وقربى بمعنى كالزلفة والزلفى وروى قزعة
ابن سويد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسئلكم على ما اتيتكم
به اجرا الا ان توادوا وتقربوا اليه بالطاعة وروى منصور وعوف عن الحسن قل لا اسئلكم عليه
اجرا الا المودة في القربى قال تتوددون الى الله عز وجل وتتقربون منه بطاعته وقال قوم الاية
منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه
الاية وامرهم بمودة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر اوته الانصار ونصروه واراد
الله ان يلحقه باخوانه من الانبياء حيث قالوا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فانزل الله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فنسخت بهذه الاية وبقوله قل ما
اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسالهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون قاله الضحاك والحسين بن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن
عباس قال الثعلبي وليس بالقوي وكفى قبحا بقول من يقول ان التقرب الى الله بطاعته وبمودة نبيه
صلى الله عليه وسلم واهل بيته منسوخ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على حب ال محمد
مات شهيدا ومن مات على حب ال محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة ومن مات على حب ال محمد
على السنة والجماعة ومن مات على بغض ال محمد جاء يوم القيمة مكتوبا بين عينيه ايس اليوم من رحمة
الله ومن مات على بغض ال محمد لم يرح رائحة الجنة ومن مات على بغض ال بيتي فلا نصيب له في
شفاعتي قلت وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره باطول من هذا فقال وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مات على حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب ال محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان
الا ومن مات على حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب ال محمد
زف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب ال محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة
الا ومن مات على حب ال محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد مات
على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة

الله الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات على
بغض ال محمد لم يشم رايحة الجنة قال النحاس ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة قال كانوا يصلون ارحامهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعوه فقال قل لا اسئلكم عليه اجرا الا ان تودوني وتحفظوا
لقرابتي ولا تكذبوني قلت وهذا هو معنى قول ابن عباس وفي البخاري والشعبي عنه بعينه وعليه
لا نسخ قال النحاس وقول الحسن حسن ويدل على صحته الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما حدثناه احمد بن محمد الازدي قال اخبرنا الربيع بن سليمان المرادي قال اخبرنا اسد بن موسى قال حدثنا
قزعة وهو بن يزيد البصري قال حدثنا عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا اسالكم على ما اتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان توادوا الله عز وجل
وان تتقربوا اليه بطاعته فهذا المبين عن الله عز وجل قد قال هذا وكذا قالت الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبله ان اجري الا على الله الثانية واختلفوا في سبب نزولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فقالت الانصار هذا الرجل هداكم الله به و
هو ابن اختكم وتنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له ففعلوا ثم اتوه به فنزلت قال الحسن
نزلت حين تفاخرت الانصار والمهاجرون فقالت الانصار نحن فعلنا وفخرت المهاجرون بقرابتهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم روى مقسم عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
فخطب فقال للانصار الم تكونوا اذلاء فاعزكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي الم تكونوا
خائفين فامنكم الله بي الا تردون علي فقالوا بم نجيبك فقال تقولوا الم يطردك قومك فاويناك الم
يكذبك قومك فصدقناك فرد عليهم قال فجثوا على ركبهم فقالوا انفسنا واموالنا لك فنزلت قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى وقال قتادة قال المشركون لعل محمدا فيما يتعاطاه يطلب اجرا فنزلت هذه
ليحثهم على مودته ومودة اقربائه قال الثعلبي وهذا اشبه بالاية لان السورة مكية قوله تعالى ومن
يقترف حسنة اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله اي يكتسب والاقتراف
الاكتساب وهو ماخوذ من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا وقد مضى في الانعام القول فيه وقال ابن
عباس ومن يقترف حسنة قال المودة لال محمد صلى الله عليه وسلم نزد له فيها حسنا اي نضاعف له الحسنة
بعشرة فصاعدا ان الله غفور شكور قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور
لذنوب ال محمد عليه الصلاة والسلام شكور لحسناتهم قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا الميم
صلة والتقدير ايقولون افترى واتصل الكلام بما قبله لان الله تعالى لما قال قل امنت بما انزل
الله من كتاب وقال الله الذي انزل الكتاب بالحق قال اتماما للبيان ام يقولون افترى على الله كذبا
يعني كفار قريش قالوا ان محمدا اختلق الكذب على الله فان يشا الله يختم على قلبك قال قتادة
يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم الله لو افترى عليه لفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم ما اخبرهم
به في هذه الاية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يدخل
قلبك مشقة من قولهم وقيل المعنى ان يشا يزل تمييزك وقيل لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا
لطبع على قلبك قاله ابن عيسى وقيل فان يشا الله يختم على قلوب الكفار وعاجلهم بالعقاب فالخطاب
له والمراد الكفار ذكره القشيري ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل قال ابن الانباري يختم على قلبك
تام وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير والله يمح الباطل فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع
رفع كما حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع الانسان ولانه عطف على قوله يختم على قلبك وقال
الزجاج ام يقولون افترى على الله كذبا تمام وقوله ويمح الله الباطل احتجاج على من انكر ما اتى به النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين ويحق الحق اي الاسلام
فيبينه بكلماته اي بما انزله من القران انه عليم بذات الصدور عام اي بما في قلوب العباد وقيل
خاص والمعنى انك لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك قوله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قال قوم منهم في نفوسهم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه من بعده فاخبر جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم وانهم قد اتهموه فانزل ام يقولون على الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول الله فانا
نشهد انك صادق ونتوب فنزلت وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال ابن عباس اي عن اوليائه
واهل طاعته والاية عامة وقد مضى الكلام في معنى التوبة واحكامها ومضى هذا اللفظ في براءة ويعفو
عن السيئات اي عن الشرك قبل الاسلام ويعلم ما يفعلون اي من الخير والشر وقرا حمزة والكسائي
وحفص وخلف بالتاء على الخطاب وهي قراءة ابن مسعود واصحابه الباقون بالياء على الخبر واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لانه بين خبرين الاول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والثاني ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين في موضع نصب اي يستجيب
الله الذين امنوا اي يقبل عبادة من اخلص له بقلبه واطاع ببدنه وقيل يعطيهم مسالتهم اذا دعوه وقيل
يجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض يقال اجاب واستجاب بمعنى وقد مضى في البقرة وقال ابن عباس
ويستجيب الذين امنوا يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوان اخوانهم وقال المبرد
معنى ويستجيب الذين امنوا وليستدع للذين امنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل فالذين في موضع
رفع والكافرون لهم عذاب شديد قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فيه مسئلتان
الاولى في نزولها قيل انها نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق وقال خباب بن الارت فينا
نزلت نظرنا الى اموال بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت ولو بسط الله الرزق معناه
وسع وبسط الشيء نشره وبالصاد ايضا لبغوا في الارض طغوا وعصوا وقال ابن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل اراد لو اعطاهم الكثير لطلبوا
اكثر منه لقوله عليه الصلوة والسلام لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا وهذا هو البغي
وهو معنى قول ابن عباس وقيل لو جعلناهم سوى في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع
وقيل اراد بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق اي لو دام المطر لتشاغلوا به عن الدعاء فيقبض تارة
ليتضرعوا ويبسط اخرى ليشكروا وقيل كانوا اذا اخصبوا اغار بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي على هذا
الزمخشري لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة
وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا و
كثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا • وبين بني رومان نبعا وشوحطا • يعني انهم احيوا
فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر
من العلو والفساد ولكن ينزل بقدر ما يشاء اي ينزل بقدر ما يشاء لكفايتهم وقال مقاتل ينزل بقدر
ما يشاء يجعل من يشاء غنيا ومن يشاء فقيرا الثانية قال علماؤنا افعال الرب سبحانه لا تخلو عن مصالح بح
وان لم يجب على الله الاستصلاح فقد يعلم من حال عبد انه لو بسط عليه قاده ذلك الى الفساد فيزوي
عنه الدنيا مصلحة له فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعة الرزق فضيلة وقد اعطى اقواما مع علمه بانهم
يستعملونه في الفساد ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا اقرب من الصلاح والامر على الجملة مفوض
الى مشيئته ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من افعال الله تعالى وروي انس عن

النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
واني لاسرع شيء الى نصرة اوليائي واني لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرب وما ترددت في شيء انا فاعله
ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره اساءته ولا بد له منه وما تقرب الي عبدي المؤمن
بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا فان سالني اعطيته وان دعاني اجبته وان من عبادي المؤمنين
من يسالني الباب من العبادة واني عليم لو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من عبادي المؤمنين من لا
يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده الفقر وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته
لافسده الغنى واني لادبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير ثم قال انس اللهم اني من عبادك المؤمنين
الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرا
ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد وابو عمرو ويعقوب وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي و
ينزل مخففا الباقون بالتشديد وقرا ابن وثاب والاعمش وغيرهما قنطوا بكسر النون وقد تقدم جميع هذا
والغيث المطر وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق وقد غاث الغيث الارض اي اصابها وغاث الله البلاد
يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغيوثة وعن الاصمعي قال مررت ببعض
قبائل العرب وقد مطروا فسالت عجوزا منهم كم اتاكم المطر فقالت غثنا ما شئنا اي غيثنا اي مطرنا وقال
ذو الرمة قاتل الله امة بني فلان ما افصحها قلت لها كيف كان المطر عندكم فقالت غثنا ما شئنا ذكر
الاول الثعلبي والثاني الجوهري وربما سمي السحاب والنبات غيثا والقنوط الاياس قاله قتادة ذكر
ان رجلا قال لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين قحط المطر وقل الغيث وقنط الناس فقال مطرتم ان شاء الله
ثم قرا وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون ضارا او
نافعا في وقته وغير وقته قاله الماوردي وينشر رحمته قيل المطر وهو قول السدي وقيل ظهور الشمس بعد المطر
ذكره المهدوي وقال مقاتل نزلت في حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر وقيل
نزلت في الاعرابي الذي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم المطر يوم الجمعة في خبر الاستسقاء ذكره
القشيري والله اعلم وهو الولي الحميد الولي الذي ينصر اولياءه الحميد المحمود بكل لسان قوله تعالى ومن اياته
خلق السموات والارض اي علاماته الدالة على قدرته وما بث فيهما من دابة قال مجاهد يدخل في هذا
الملائكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقال الفراء اراد ما بث في الارض دون السماء كقوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال ابو علي تقديره وما بث في احدهما فحذف
المضاف وقوله يخرج منهما اي من احدهما وهو على جمعهم اي يوم القيامة اذا يشاء قدير قوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرا نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء الباقون بالفاء فيها واختار
ابو عبيد وابو حاتم للزيادة في الحرف والاجر قال المهدوي ان قدرت ان ما الموصولة جاز حذف الفاء
واثباتها والاثبات احسن ان قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه واجازه الاخفش واحتج
بقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن وقال الضحاك ما
تعلم الرجل القران ثم نسيه الا بذنب قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم قال
واي مصيبة اعظم من نسيان القران ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن ابي رواد عنه قال ابو
عبيد انما هذا على الترك فاما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه الا ان النسيان يغلبه فليس من ذلك
في شيء ومما يحقق ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القران حتى يذكره من ذلك حديث عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع قراءة رجل في المسجد فقال ما له رحمه الله لقد اذكرني ايات كنت انسيتها

من سورة

من سورة كذا وكذا وقيل ما بمعنى الذي والمعنى الذي اصابكم فيما مضى بما كسبت ايديكم وقال علي رضي الله
عنه هذه الاية ارجى اية في كتاب الله عز وجل واذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد
كفاراته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه قال الا اخبركم بافضل اية في كتاب
الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية يا علي ما اصابكم
من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما
عفي عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وقال الحسن
دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لا بد ان اسالك عما ارى بك من الوجع فقال عمران يا اخي لا تفعل
فوالله اني لاحب الوجع ومن احبه كان احب الناس الى الله قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي اكثر وقال مرة الهمداني رايت على ظهر كف شريح
قرحة فقلت يا ابا امية ما هذا قال هذا بما كسبت يدي ويعفو عن كثير وقال محمد بن عون ان محمد بن سيرين لما
ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقال
احمد بن ابي الحواري قيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم فقال لانهم
علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بها او لينال درجة
لم يكن ليوصله اليها الا بها وروي ان رجلا قال لموسى يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها هو اعلم
بها ففعل موسى فلما نزل فاذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا
قال الله تعالى يا موسى انه سالني درجة علمت انه لا يبلغها بعمله فاصبته بما ترى لاجعلها وسيلة
له في نيل تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل ما يشاء قلت ونظير هذه الاية في المعنى قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به وقد مضى القول فيه قال علماؤنا وهذا في حق المؤمنين فاما الكافر فعقوبته مؤخرة
الى الاخرة وقيل هذا خطاب للكفار وكان اذا اصابهم شر قالوا هذا بشؤم محمد فرد الله عليهم وقال
بل ذلك بشؤم كفركم والاول اكثر واظهر واشهر وقال ثابت البناني انه كان يقال ساعات الاذى يذهبن
ساعات الخطايا ثم فيها قولان احدهما انها خاصة في البالغين ان تكون عقوبة لهم وفي الاطفال
ان تكون مثوبة لهم الثاني انها عقوبة عامة للبالغين في انفسهم وفي الاطفال في غيرهم من والد ووالدة
ويعفو عن كثير من المعاصي ان لا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل اي يعفو عن كثير من العصاة
ولا يعجل عليهم بالعقوبة وما انتم بمعجزين في الارض اي بفائتين الله اي لن تعجزوه ولن تفوتوه وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير تقدم في غير موضع قوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام
ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور او يوبقهن
بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فما له من ولي

من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتريهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من
الله ما لكم من ملجاء يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك
الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان
الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في
الارض الا الى الله تصير الامور قوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام اي ومن علاماته الدالة
على قدرته السفن الجارية في البحر كانها من عظمها اعلام والاعلام الجبال وواحد الجواري جارية قال الله
تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية سميت جارية لانها تجري في الماء والجارية هي المراة الشابة سميت
بذلك لانه يجري فيها ماء الشباب وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم ذكره وذكر الماوردي عنه
انها الجبال وقال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا وان صخرا
لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح كذا قراءه اهل المدينة الرياح بالجمع فيظللن
رواكد على ظهره اي تبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري ركد الماء ركودا سكن وكذلك الريح والسفينة
والشمس اذا قام قايم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدوا و
المراكد المواضع التي يركد فيها الانسان وغيره وقرا قتادة فيضللن بكسر اللام الاولى على ان يكون لغة
مثل ظللت اظل وفتح اللام هي اللغة المشهورة ان في ذلك لايات اي دلالات وعلامات لكل صبار
شكور اي صبار على البلوى شكور على النعماء قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا اعطى شكر
واذا ابتلي صبر قال عون بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر قوله تعالى او يوبقهن
بما كسبوا اي وان يشا يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن اي يغرقهن بذنوب اهلها وقيل يوبق اهل
السفن ويعف عن كثير من اهلها فلا يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل ويعف عن كثير اي يتجاوز عن
كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك قال القشيري والقراءة الفاشية ويعف بالجزم وفيها اشكال
لان المعنى ان يشا يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد او يهلكهم بذنوب اهلها فلا يحسن عطف على هذه
لانه يصير المعنى ان يشا يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو
اذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرا قوم ويعفو بالرفع وهي جيدة
في ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني الكفار انهم اذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح
من كل مكان او بقيت السفن رواكد علموا انه لا ملجا لهم سوى الله ولا دافع لهم ان اراد الله اهلاكهم
فيخلصون له العبادة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع وقد مضى القول في ركوب البحر في البقرة وغيرها
بما يغني عن اعادته وقرا نافع وابن عامر ويعلم بالرفع الباقون بالنصب فالرفع على الاستيناف بعد
الشرط والجزا كقوله في سورة التوبة ويخزهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب الله على من يشاء رفعا و
نظيره في الكلام ان تاتني اتك وينطلق عبد الله على انه خبر ابتداء محذوف والنصب على الظرف لقوله

ولما

ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا كراهية لتوالي
الجزم كقول النابغة فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام ونمسك بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام وهذا معنى قول الفرا قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب
على اضمار ان لان قبلها جزما تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك ان شئت قلت واكرمك بالجزم وفي
بعض المصاحف وليعلم وهذا يدل على ان النصب بمعنى وليعلم او لان يعلم وقال ابو علي والمبرد
والنصب باضمار ان على ان يجعل الاول في تقدير المصدر اي ويكون منه عفو وان يعلم فلما حمله على
الاسم اضمر ان كما تقول ان تاتني وتعطيني اكرمك فتنصب تعطيني اي يكن منك اتيان وان تعطيني ومعنى
من محيص من فرار ومهرب قاله قطرب السدي من ملجا وهو ماخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة
اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق اي يميل عنه قوله تعالى فما اوتيتم من شيء من الغنى والسعة
في الدنيا فمتاع الدنيا اي فانما هو متاع في ايام قليلة تنقضي وتذهب فلا ينبغي ان يتفاخر به والخطاب
للمشركين وما عند الله خير وابقى يريد من الثواب على الطاعة للذين امنوا صدقوا ووحدوا وعلى ربهم
يتوكلون نزلت في ابي بكر الصديق حين انفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس وجاء في الحديث انه
انفق ثمانين الفا قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون الذين في موضع جر معطوف على قوله للذين امنوا اي وهو
للذين يجتنبون كبائر الاثم وقد مضى القول في الكبائر في النسا وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم و
الواحد قد يراد به الجمع عند الاضافة كقوله وان تعدوا نعمة الله وكما جاء في الحديث منعت العراق
درهمها وقفيزها الباقون بالجمع هنا وفي النجم والفواحش قال السدي يعني الزنا وقاله ابن عباس
وقال كبير الاثم الشرك وقال قوم كبائر الاثم ما تقع الصغائر مغفورة عند اجتنابها والفواحش
داخلة في الكبائر ولكنها تكون افحش واشنع كالقتل بالنسبة الى الجرح والزنا بالنسبة الى المراودة
وقيل الفواحش والكبائر بمعنى واحد فكرر لتعدد اللفظ اي يجتنبون المعاصي لانها كباير وفواحش و
قال مقاتل الفواحش موجبات الحدود الثانية قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون اي يتجاوزون
ويحلمون عمن ظلمهم قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر حين لامه الناس على انفاق ماله كله
وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال مرة فتصدق به كله في
سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت وما اوتيتم من شيء الى قوله واذا ما غضبوا
هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل من المشركين ابا بكر فلم يرد عليه شيئا فنزلت الاية وهذا من
محاسن الاخلاق يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى و
عفوه كقوله تعالى في ال عمران والكاظمين الغيظ الاية وهو ان يتناولك الرجل فتكظم غيظك
عنه وانشد بعضهم اني عفوت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علمي ما زال يظلمني وارحمه حتى بكيت
له من الظلم قوله تعالى والذين استجابوا لربهم الى قوله ينفقون فيه ثلاث مسائل الاولى قوله والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوة قال عبد الرحمن بن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان
بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجرة واقاموا الصلوة اي ادوها لمواقيتها بشروطها
وهيئاتها الثانية قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون في الامور والشورى مصدر
شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه فكانت الانصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم اذا
ارادوا امرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش وقال الحسن اي انهم
لانقيادهم الى الراي في امورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم

فقط الا هدوا لارشد امورهم وقال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله
عليه وسلم وورد النقبا اليهم حين اجتمع رايهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له وقيل
تشاورهم في ما يعرض لهم فلا يستاثر بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي الشورى الفة
للجماعة ومسبار للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا وقد قال الحكيم اذا بلغ
الراي المشورة فاستعن، براي لبيب او مشورة حازم، ولا تجعل الشورى عليك غضاضة، مكان
الخوافي نافع للقوادم، فمدح الله تعالى المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك و
قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في الاراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الاراء
كثير ولم يكن يشاورهم في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب
والمكروه والمباح والحرام فاما الصحابة بعد استيثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الاحكام
ويستنبطونها من الكتاب والسنة واول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم
لم ينص عليها حتى كان فيها بين ابي بكر والانصار ما سبق بيانه وقال عمر رضي الله عنه نرضى لدنيانا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وتشاوروا في اهل الردة فاستقر راي ابي
بكر على القتال واختلفوا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى تشاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلما في المغازي فقال له الهرمزان مثلها ومثل من
فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فان كسر احدى الجناحين
نهضت الرجلان بجناح والراس وان كسر الجناح الاخر نهضت الرجلان والراس وان شدخ الراس
ذهب الرجلان والجناحان والراس كسرى والجناح الواحد قيصر والاخر فارس فمر المسلمين فلينفروا
الى كسرى وذكر الحديث وقال بعض العقلاء ما اخطات قط اذا حزبني امر شاورت قومي ففعلت الذي
يرون فان اصبت فهم المصيبون وان اخطات فهم المخطئون الثالثة قد مضى في آل عمران ما تضمنته
الشورى من الاحكام عند قوله تعالى وشاورهم في الامر والمشورة بركة والمشورة الشورى وكذلك
المشورة بضم الشين تقول منه شاورته في الامر واستشرته بمعنى وروى الترمذي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاؤكم وامركم شورى
بينكم فظهر الارض خير من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاؤكم واموركم الى نسائكم
فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي ومما اعطيناهم
وقد تقدم في البقرة قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من عزم الامور فيه احدى
عشرة مسئلة الاولى قوله والذين اذا اصابهم البغي اي اصابهم بغي المشركين قال ابن عباس وذلك ان
المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واذوهم واخرجوهم من مكة فاذن الله
لهم بالخروج ومكن لهم في الارض ونصرهم عن من بغى عليهم وذلك في قوله في سورة الحج اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا الايات كلها وقيل هو عام في بغي
كل باغ من كافر وغيره اي اذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه وهذا اشارة الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واقامة الحدود قال ابن العربي ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر
العفو عن الجرم في موضع اخر في معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما رافعا للاخر واحتمل ان يكون
ذلك راجعا الى حالتين احدهما ان يكون الباغي معلنا بالفجور وقحا في الجمهور مؤذيا للصغير والكبير
فيكون الانتقام منه افضل وفي مثله قال ابرهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجتري
عليهم الفساق الثانية ان تكون الفلتة او يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسال المغفرة فالعفو

ههنا

ههنا افضل وفي مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله
فليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قلت هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في احكامه
قال قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون يدل ظاهره على ان الانتصار في هذا الموضع
افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله سبحانه واقام الصلوة وهو محمول على ما ذكر ابرهيم النخعي
انهم كانوا يكرهون للمؤمنين ان يذلوا انفسهم فيجتري عليهم الفساق فهذا فيمن تعدى واصر على ذلك
والموضع المامور فيه بالعفو اذا كان الجاني نادما مقلعا وقد قال عقيب هذه الاية ولمن انتصر بعد
ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويقتضي ذلك اباحة الانتصار لا الامر به وقد عقبه بقوله ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وهو محمول على الغفران عن غير المصر فاما المصر على البغي والظلم
فالافضل الانتصار منه بدلالة الاية التي قبلها وقيل اي اذا اصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه
عنهم ويدفعوه قاله ابن بحر وهو راجع الى العموم على ما ذكرنا الثانية قوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها قال العلماء جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن الظالم فبدا بذكرهم في
قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم ثم بين حد الانتصار بقوله وجزاء سيئة
سيئة فينتصر ممن ظلمه من غير ان يتعدى قاله مقاتل وهشام بن حجيرة هذا في المجروح ينتقم من الجارح
بالقصاص دون غيره من سب او شتم وقاله الشافعي وابو حنيفة وسفيان قال سفيان وكان ابن
شبرمة ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعي في هذه الاية ان للانسان ان ياخذ من مال من خانه
مثل ما خانه من غير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم لهند زوج ابي سفيان خذي
من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز لها اخذ ذلك بغير اذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في
البقرة وقال ابن ابي نجيح انه محمول على المقابلة في الجراح واذا قال اخزاه الله او لعنه الله ان يقول مثله
ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب وقال السدي انما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه
من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب تفعله وسمي الجزاء سيئة لانه في
مقابلتها فالاول شاهد في مال او بدن وهذا القصاص يسوءه بمثل ذلك ايضا وقد مضى هذا كله
مستوفى الثالثة قوله تعالى فمن عفا واصلح قال ابن عباس من ترك القصاص واصلح بينه وبين
الظالم بالعفو فاجره على الله اي ان الله ياجره على ذلك قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة
وقد مضى في آل عمران في هذا ما فيه كفاية والحمد لله وذكر ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين رضي
الله عنهما قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا
الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من انتم
قالوا اهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء
الينا عفونا قالوا ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وذكر الحديث انه لا يحب الظالمين اي من بدا
بالظلم قاله سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعة
قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه اي المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه بل يحمد على ذلك مع الكافر
ولا لوم ان انتصر الظالم من المسلم فالانتصار من الكافر حتم ومن المسلم مباح والعفو مندوب الخامسة
في قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل دليل على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه
وهذا ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يكون قصاصا في بدن يستحقه ادمي فلا حرج عليه ان استوفاه
بغير عدوان وثبت حقه عند الحكام لكن يزجره الامام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجراة على
سفك الدماء وان كان حقه غير ثابت عند الحكام فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر

مطالب وبفعله مؤاخذ ومعاقب القسم الثاني ان يكون حدا لله لاحق لادمي فيه كحد الزنا وقطع السرقة
فان لم يثبت ذلك عند حاكم اخذ به وعوقب عليه وان ثبت عند حاكم نظر فان كان وقطعا في سرقة
سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه ولم يجب عليه في ذلك حق لان التعزير ادب وان كان جلدا
لم يسقط به الحد لتعديه مع بقاء محله وكان ماخوذا بحكمه القسم الثالث ان يكون حقا في مال يجوز
لصاحبه ان يغالب على حقه حتى يصل اليه ان كان ممن هو عالم به وان كان غير عالم نظر فان امكنه
الوصول اليه عند المطالبة لم يكن له الاستسرار باخذه وان كان لا يصل اليه بالمطالبة لجحود من هو
عليه مع عدم بينة تشهد له ففي جواز استسراره باخذه مذهبان احدهما جوازه وهو قول مالك والثاني
الثاني المنع وهو قول ابي حنيفة **السادسة** قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي بعدوا
نهم عليهم في قول اكثر العلماء وقال ابن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير
الحق اي في النفوس والاموال في قول الاكثرين وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقال ابو مالك هو ما
يرجوه كفار قريش ان يكون بمكة غير الاسلام دينا وعلى هذا الحد قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد
وان هذا للمشركين خاصة وقول قتادة انه عام وكذا يدل لظاهر الكلام وقد بيناه **السابعة** قال ابن
العربي هذه الاية في مقابلة الاية المتقدمة وهي قوله ما على المحسنين من سبيل فكما نفى الله السبيل
عمن احسن فكذلك نفاها على من ظلم واستوفى بيان القسمين **الثامنة** واختلف علماؤنا في السلطان
يضع على اهل بلد مالا معلوما ياخذهم به ويؤدونه على قدر اموالهم هل لمن قدر على الخلاص من ذلك
ان يفعل وهو اذا تخلص اخذ سائر اهل البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو قول سحنون من علمائنا
وقيل نعم له ذلك ان قدر على الخلاص واليه ذهب ابو جعفر احمد بن نصر الداودي ثم المالكي قال ويدل
عليه قول مالك في الساعي ياخذ من اخر غنم الخلطاء شاة وليس في جميعها نصاب انها مظلمة على من
اخذت له لا يرجع على اصحابه بشيء قال ولست اخذ بما روي عن سحنون لان الظلم لا اسوة فيه ولا يلزم
احدا ان يولج نفسه في ظلم مخافة ان يضاعف الظلم على غيره والله تعالى يقول انما السبيل على الذين
يظلمون الناس **التاسعة** واختلف العلماء في التحليل فكان ابن المسيب لا يحلل احدا من عرض ولا مال و
كان سليمان بن يسار ومحمد بن سيرين يحللان من العرض والمال ورأى مالك التحليل من المال دون
العرض روى ابن القاسم وابن وهب عن مالك وسئل عن قول سعيد بن المسيب لا احلل احدا فقال ذلك
يختلف فقلت له يا ابا عبد الله الرجل يسلف الرجل فيهلك ولا وفاء له قال ارى ان يحلله وهو افضل
عندي فان الله تعالى يقول الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له الرجل يظلم الرجل فقال
لا ارى ذلك هو عندي مخالف للاول يقول الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويقول
تعالى ما على المحسنين من سبيل فلا ان يجعله من ظلمه في حل قال ابن العربي فصار في المسئلة ثلاثة اقوال
احدها لا يحلله بحال قاله سعيد بن المسيب الثاني يحلله قاله محمد بن سيرين الثالث ان كان مالا حلله وان
كان ظلما لم يحلله وهو قول مالك وجه الاول ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه
الثاني انه حقه فله ان يسقطه كما يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث الذي اختاره مالك هو ان الرجل
اذا غلب على اداء حقك فمن الرفق به ان تحلله وان كان ظالما فمن الحق ان لا يترك لئلا تغتر الظلمة و
يسترسلون في افعالهم القبيحة وفي صحيح مسلم عن ابي اليسر الطويل وفيه انه قال لغريمه اخرج الي فقد علمت
اين انت فخرج فقال ما حملك على ان اختبأت مني قال انا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله ان احدثك
فاكذبك وان اعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال
قلت الله قال الله قال فاتى بصحيفته فمحاها الله فقال ان وجدت قضاء فاقض والا فانت في حل وذكر

الحديث

الحديث قال ابن العربي وهذا في الحي الذي يرجى له الاداء لسلامة الذمة ورجاء التحلل فكيف بالميت
الذي لا محالة له ولا ذمة معه **العاشرة** قال بعض العلماء ان من ظلم واخذ له مال فانما له ثواب
ما احتبس عنه الى موته ثم يرجع الثواب الى ورثته ثم كذلك الى اخرهم لان المال يصير بعد الموت
للوارث قال ابو جعفر الداودي المالكي هذا صحيح في النظر وعلى هذا القول ان مات ظالم قبل
من ظلمه ولم يترك شيئا او ترك ما لم يعلمه وارثه فيه بظلم لم تنتقل الى تباعة المظلوم الى ورثة
الظالم لانه لم يبق للظالم ما يستوجبه ورثة المظلوم **الحادية عشر** ولمن صبر وغفر اي صبر على الاذى
وغفر ترك الانتصار لوجه الله وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن
رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلى هذه الاية فقال الحسن عقلها و
الله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع
العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينبا سمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته فكان ينهاها
فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري خرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقيل صبر عن المعاصي وستر المساوي
ان ذلك لمن عزم الامور اي من عزائم الله التي امر بها وقيل من عزائم الصواب التي وفق لها وذكر الكلبي والفراء
ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلاث ايات قبلها وقد شتمه بعض الانصار
فرد عليه ثم امسك وهي المدنيات من هذه السورة وقيل هذه الايات في المشركين وكان هذا في ابتداء
الاسلام قبل الامر بالقتال ثم نسخها اية القتال وهو قول ابن زيد وقد تقدم في تفسير ابن عباس و
لمن انتصر بعد ظلمه يريد حمزة بن عبد المطلب وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم اجمعين
فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة والوليد بن عتبة وابو جهل والاسود وكل من قاتل من المشركين يوم بدر ويبغون في الارض يريد
بالظلم والكفر اولئك لهم عذاب اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح
ومصعب بن عمير وجميع اهل بدر رضوان الله عليهم ان ذلك لمن عزم الامور حيث قبلوا الفداء وصبروا
على الاذى **قوله تعالى** ومن يضلل الله اي يخذله فما له من ولي من بعده هذا فيمن اعرض عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما دعاه من الايمان بالله والمودة في القربى ولم يصدقه في البعث وان متاع الدنيا
قليل اي من اضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد **قوله تعالى** وترى الظالمين اي الكافرين لما
راوا العذاب يعني جهنم وقيل راوا العذاب عند الموت يقولون هل الى مرد من سبيل يطلبون ان يردوا
الى الدنيا ليعملوا بطاعة فلا يجابون الى ذلك **قوله تعالى** وتراهم يعرضون عليها اي على النار لانها عذابهم
فكنى عن العذاب المذكور بحرف التانيث لان ذلك العذاب هو النار وان شئت جهنم ولو راعى اللفظ
لقال عليه ثم قيل هم المشركون جميعا يعرضون على جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل ال
فرعون خصوصا تحبس ارواحهم في اجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فهو عرضهم عليها قاله ابن مسعود
وقيل انهم عامة المشركين تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على العذاب في قبورهم وهذا
معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعض القراء الى الوقف على خاشعين وقوله من الذل متعلق
بينظرون وقيل هو متعلق بخاشعين والخشوع الانكسار والتواضع ومعنى ينظرون من طرف خفي اي لا
يرفعون ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم ناكسوا الرؤس والعرب تصف الذليل بغض الطرف كما يستعملون
في ضده حديد النظر اذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها غضاضة وقال مجاهد من طرف خفي اي ذليل قال و
انما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة والسدي والقرظي وسعيد

ابن جبير يسارقون النظر من شدة الخوف وقيل المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر وقال يونس من
بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل والخوف ونحوه عن الاخفش وقال ابن عباس
بطرف ذابل ذليل وقيل اي يفزعون اي ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون من اصناف العذاب وقال
الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اي يقول المؤمنون في الجنة لما
عاينوا ما حل بالكفار ان الخسران في الحقيقة ما صار اليه هؤلاء فانهم خسروا انفسهم لانهم في العذاب
المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كانوا في النار فلا انتفاع بهم وان كانوا في الجنة فقد حيل بينه
وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو امنوا لكان لهم اهل في الجنة من الحور العين وفي سنن ابن ماجة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في
النار فاذا مات فدخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون
وقد تقدم وفي مسند الدارمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخله
الله الجنة الا زوجه الله اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار
ما من واحدة الا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني قال هشام بن خالد من ميراثه يعني رجالا ادخلوا النار
فورث اهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم لا ينقطع يجوز
ان يكون هذا من قول المؤمنين ويجوز ان يكون ابتداء من الله تعالى قوله تعالى وما كان لهم من اولياء
اي اعوانا ونصراء ينصرونهم من دون الله اي من عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل اي طريق يصل به
الى الحق في الدنيا والجنة في الاخرة لانه قد سدت عليه طريق النجاة قوله تعالى استجيبوا لربكم اي اجيبوه
الى ما دعاكم اليه من الايمان به والطاعة استجاب واجاب بمعنى وقد تقدم من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله يريد يوم القيمة اي لا يرده احد بعد ما حكم الله به وجعله وقتا واجلا ما لكم من ملجا
ينجيكم من العذاب يومئذ وما لكم من نكير اي ناصر ينصركم قاله مجاهد وقيل النكير بمعنى المنكر كالاليم
بمعنى المؤلم اي لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي الزجاج معناه
انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل من نكير اي انكار على ما ينزل بكم من العذاب
والنكير والانكار تغيير المنكر قوله تعالى فان اعرضوا اي عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا
لاعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل موكلا بهم لا تفارقهم دون ان يؤمنوا اي ليس لك اكراههم على الايمان
ان عليك الا البلاغ وقيل نسخ هذا باية القتال وانا اذا اذقنا الانسان الكافر منا رحمة رخاء وصحة فرح
بها بطر بها وان تصبهم سيئة بلاء وشدة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور اي لما تقدم من النعمة
فيعدد المصائب وينسى النعم قوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء فيه اربع مسائل
الاولى قوله لله ملك السموات والارض ابتداء وخبر يخلق ما يشاء من الخلق يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور قال ابو عبيدة وابو مالك ومجاهد والحسن والضحاك يهب لمن يشاء اناثا لا ذكور معهن
ويهب لمن يشاء ذكورا لا اناث معهم وادخل الالف واللام في الذكور دون الاناث لانهم اشرف فميزهم
بسمة التعريف وقال واثلة بن الاسقع ان من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى
قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فبدا بالاناث او يزوجهم ذكرانا واناثا قال مجاهد هو
ان تلد المراة ذكرا وانثى قال القتبي التزويج ههنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت
ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ويجعل من يشاء عقيما اي لا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم
وعقمت المراة تعقم عقما مثل حمد يحمد وعقمت تعقم مثل عظم يعظم واصله القطع ومنه الملك العقيم
اي يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق خوفا على الملك وريح عقيم اي لا تلقح سحابا ولا شجرا ويوم

القيمة

القيمة يوم عقيم لانه لا يوم بعده ويقال نساء عقم وعقم قال الشاعر عقم النساء فما يلدن
شبيهه ان النساء بمثله عقم وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبياء خصوصا وان
عم حكمها وهب للوط البنات ليس معهن ذكر ووهب لابرهيم الذكور ليس معهم انثى ووهب
لاسمعيل واسحق الذكور والاناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس واسحق بن بشر
قال اسحق نزلت في الانبياء ثم عمت يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا عليه السلم لم يولد له ذكر انما ولد له
ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابرهيم عليه السلم لم يولد له انثى بل ولد له ثمانية ذكور او يزوجهم
ذكرانا واناثا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل
من يشاء عقيما يعني يحيى بن زكريا عليهما السلم لم يذكر عيسى ابن العربي قال علماؤنا يهب لمن يشاء
اناثا يعني لوطا كان له بنات ولم يكن له ابن ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابرهيم كان له بنون و
لم يكن له بنت وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني ادم كانت حوى تلد له في كل بطن ولدين توامين
ذكرا وانثى ويزوج الذكر من هذا البطن من الانثى من البطن الاخر حتى احكم الله التحريم في شرع نوح
عليه السلم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان له ذكور واناث من الاولاد القاسم والطيب و
الطاهر وعبد الله وزينب وام كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وابرهيم
وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الخلق من لدن ادم الى زماننا هذا الى ان تقوم الساعة
على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيئته النافذة ليبقى النسل ويتمادى ويتعدى
الوعد ويحق الامر وتعمر الدنيا وتاخذ الجنة وجهنم ما يملا كل واحدة ويبقى ففي الحديث ان
النار لن تمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط واما الجنة فيبقى منها فينشئ الله لها
خلقا اخر الثانية قال ابن العربي ان الله تعالى لعموم قدرته وشديد قوته يخلق الخلق ابتداء من
غير شيء وبعظيم لطفه وبالغ حكمته يخلق شيئا من شيء لا عن حاجة فانه قدوس عن الحاجات
سلام عن الافات كما قال القدوس السلام فخلق ادم من الارض وخلق حوى من ادم وخلق
النشاة من بينهما مرتبا على الوطء كاينا عن الحمل موجودا في الجنين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سبق ماء الرجل ماء المراة اشبه الولد اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل اشبه الولد
اخواله قلت هذا معنى حديث عايشة لا لفظه وخرجه مسلم من حديث عروة بن الزبير عنها ان
امراة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تغتسل المراة اذا احتلمت وابصرت الماء فقال نعم فقالت
لها عايشة تربت يداك والت قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها وهل يكون الشبه
الا من قبل ذلك اذا علا ماؤها ماء الرجل اشبه الولد اخواله واذا علا ماء الرجل ماءها اشبه
اعمامه قال علماؤنا فعلى مقتضى هذا الحديث ان العلو يقتضي الشبه وقد جاء في حديث ثوبان خرجه
مسلم ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهودي ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا
اجتمعا فعلا مني الرجل مني المراة اذكرا باذن الله واذا علا مني المراة مني الرجل انثا باذن الله الحديث
فجعل في هذا الحديث ايضا العلو يقتضي الذكورة والانوثة فعلى مقتضى الحديثين يلزم اقتران
الشبه للاعمام والذكورة ان علا مني الرجل وكذلك يلزم اذا علا مني المراة اقتران الشبه للاخوال
والانوثة لانهما معلولات علة واحدة وليس الامر كذلك بل الوجود بخلاف ذلك لانا نجد الشبه
للاخوال والذكورة والشبه للاعمام والانوثة فتعين تاويل احد الحديثين والذي يتعين
تاويله الذي في حديث ثوبان فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الماء الى الرحم ووجه ان العلو
معناه الغلبة من قولهم سابقني فلان فسبقته اي غلبته ومنه قوله تعالى وما نحن

بمسبوقين اي مغلوبين قيل علاه ويؤيد هذا التاويل قوله في الحديث اذا سبق ماء المراة ماء الرجل اذكر واذا سبق ماء المراة ماء الرجل انثى وقد بنى القاضي ابو بكر بن العربي على هذه الاحاديث بناء فقال ان للمائين اربعة احوال الاول ان يخرج ماء الرجل اولا الثاني ان يخرج ماء المراة اولا الثالث ان يخرج ماء الرجل اولا ويكون اكثر الرابع ان يخرج ماء المراة اولا ويكون اكثر ويتم التقسيم بان يخرج ماء الرجل اولا ويخرج ماء المراة بعده فيكون اكثر او بالعكس فاذا خرج ماء الرجل اولا وكان اكثر جاء الولد ذكرا بحكم السبق واشبه الولد اعمامه بحكم الكثرة وان خرج ماء المراة اولا وكان اكثر جاء الولد انثى بحكم السبق واشبه اخواله بحكم الغلبة وان خرج ماء المراة اولا لكن خرج ماء المراة بعد كان اكثر كان الولد ذكرا بحكم السبق واشبه اخواله بحكم غلبة ماء المراة وان سبق ماء المراة لكن لما خرج ماء الرجل كان اعلا من ماء المراة كان الولد انثى بحكم سبق ماء المراة واشبه اعمامه بحكم غلبة ماء الرجل قال وبانتظام هذه الاقسام يستتب الكلام ويرتفع التعارض عن الاحاديث فسبحان الخالق العليم **الثالثة** قال علماؤنا كانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى الى ان وقع في الجاهلية الاولى الخنثى فاتي به فريض العرب ومعمرها عامر بن الظرب فلم يدر ما يقول فيه وارجاهم عنه فلما جن عليه الليل تنكر موضعه واقض عليه مضجعه وجعل يتقلى ويتقلب وتجي به الافكار وتذهب الى ان انكرت خادمه حاله فقالت ما بك قال سهرت لامر قصدت به فلم ادر ما اقول فيه قالت ما هو قال لها رجل له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الامة ورثه من حيث يبول فعقلها واصبح فعرضها عليهم فانقلبوا بها راضين وجاء الاسلام على ذلك فلم ينزل الا في عهد علي رضي الله عنه فقضى فيها وقد روى الفرضيون عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن مولود له قبل ودبر من اين يورث قال من حيث يبول وروي انه اتي بخنثى من الانصار فقال ورثوه من اول ما يبول وكذا روى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه ونحوه عن ابن عباس وبه قال ابن المسيب وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وحكاه المزني عن الشافعي وقال قوم لا دلالة في البول فان خرج البول منهما جميعا قال ابو يوسف يحكم بالاكثر وانكر ابو حنيفة وقال اتكيله ولم يجعل اصحاب الشافعي للكثرة حكما وحكي عن علي والحسن انهما قالا تعد اضلاعه فان المراة تزيد على الرجل بضلع واحد وقد مضى ما للعلماء في هذا في اية المواريث في النساء مجودا **الرابعة** قال القاضي ابو بكر بن العربي وقد انكر قوم من رؤس العوام وجود الخنثى لان الله تعالى قسم الخلق الى ذكر وانثى قلنا هذا جهل باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة اما قدرة الله سبحانه فانه واسع عليم واما ظاهر القران فلا يخفي وجود الخنثى لان الله تعالى قال لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه لان القدرة تقتضيه واما قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما فهذا اخبار عن الغالب في الموجودات وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الاول والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرا معنا برباط ابي سعيد على الامام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك اعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحيا عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله **قوله تعالى** وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فيه مسئلتان **الاولى** قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا سبب ذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى لم ينظر اليه فنزل قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ذكره النقاش والواحدي والثعلبي وحيا قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما ومنه قوله

عليه

عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا كارسال جبريل عليه السلم وقيل الا وحيا رؤيا يراها في منامه قاله محمد بن زهير بن محمد او من وراء حجاب قال زهير كما كلم موسى او يرسل رسولا قال زهير هو جبريل عليه السلم فيوحي باذنه ما يشاء و هذا الوحي من الرسل خطاب منهم للانبيا يسمعونه نطقا ويرونه عيانا وهكذا كانت حال جبريل عليه السلم اذا نزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس نزل جبريل عليه السلم على كل نبي فلم يره منهم الا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلم فاما غيرهم فكان وحيا الهاما في المنام وقيل الا وحيا بارسال جبريل او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا الى الناس كافة وقرا الزهري وشيبة ونافع او يرسل رسولا فيوحي برفع الفعلين الباقون بنصبهما فالرفع على الاستيناف اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع الحال والتقدير الا موحيا او مرسلا ومن نصب عطفه على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر ان يكلمه الا ان يوحي اليه او يرسل ويجوز ان يكون النصب على تقدير حذف الجار من ان المضمرة ويكون في موضع الحال التقدير او بان يرسل رسولا ولا يجوز ان يعطف او يرسل بالنصب على ان يكلمه لفساد المعنى لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله او ان يرسل رسولا وقد ارسل الرسل من البشر وارسل اليهم **الثانية** احتج بهذه الاية من راى فيمن حلف ان لا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا انه حانث لان المرسل قد سمي فيها مكلما للمرسل اليه الا ان ينوي الحالف المواجهة بالخطاب قال ابن المنذر واختلفوا في الرجل حلف ان لا يكلم فلانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال الثوري الرسول ليس بكلام وقال الشافعي لا يبين ان يحنث وقال النخعي والحكم في الكتاب يحنث و قال مالك يحنث في الكتاب والرسول وقال مرة الرسول اسهل من الكتاب وقال ابو عبيد الكلام سوى الخط والاشارة وقال ابو ثور لا يحنث في الكتاب والرسول **قلت** وهو قول مالك قال ابو عمر ومن حلف ان لا يكلم رجلا فسلم عليه عامدا او ساهيا او سلم على جماعة هو فيهم فقد حنث في ذلك كله عند مالك وان ارسل رسولا او سلم عليه في الصلاة لم يحنث **قلت** يحنث في الرسول الا ان ينوي المشافهة للاية وهو قول مالك وابن الماجشون وقد مضى في اول مريم هذا المعنى عن علمائنا مستوفى **قوله تعالى** وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي وكالذي اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس والحسن وقتادة رحمة من عندنا السدي وحيا الكلبي كتابا الربيع هو جبريل الضحاك هو القران وهو قول مالك بن دينار وسماه روحا لان فيه حياة من موت الجهل وجعله من امره بمعنى انزله كما شاء على من يشاء من النظم المعجز والتاليف المعجب ويمكن ان يحمل قوله ويسئلونك عن الروح على القران ايضا قل الروح من امر ربي اي يسئلونك من اين لك هذا القران قل انه من امر الله انزله علي معجزا ذكره القشيري وكان مالك بن دينار يقول يا اهل القران ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القران ربيع القلوب كما ان الغيث ربيع الارض **الثانية** قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن تعرف الطريق الى الايمان وظاهر هذا يدل على انه ما كان قبل الايحاء متصفا بالايمان قال القشيري وهو من مجوزات العقول والذي صار اليه المعظم ان الله ما بعث نبيا الا كان مؤمنا به قبل البعثة وفيه تحكم الا ان يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي ابو الفضل عياض واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك قد تعاضدت الاخبار

والاثار عن الاخيار تبريتهم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على
اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة من طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك
كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال الله تعالى واتيناه الحكم
صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق
يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه
فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي
قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما و
كذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابرهيم
رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه
فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه
في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى النقاش
ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا
راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما ولدت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر و
لم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر وتترادف نفحات
الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى
اتيناه حكما وعلما قال القاضي ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن هذه
سبيله قال القاضي وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه الصلاة والسلام بكل ما افترته وعير كفار
الامم انبياءهم بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من
ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل
افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن ترك الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم
عن الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل
القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم **الثالثة** وتكلم العلماء في نبينا صلى الله
عليه وسلم هل كان متعبدا بدين قبل الوحي ام لا فمنهم من منع ذلك مطلقا واحاله عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وقالت فرقة اخرى بالوقف في
امره عليه الصلاة والسلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا

استبان

استبان عندهما في احدهما طريق النقل وهذا مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
متعبدا بشرع من قبله وعاملا به ثم اختلف هؤلاء في التعيين فذهبت طائفة الى انه كان على دين
عيسى فانه ناسخ لجميع الاديان والملل قبلها فلا يجوز ان يكون النبي على دين منسوخ وذهبت طائفة
الى انه كان على دين ابرهيم لانه من ولده وهو ابو الانبياء وذهبت طائفة الى انه كان على دين موسى
لانه اقدم الاديان وذهبت المعتزلة الى انه لا بد ان يكون على دين ولكن عين الدين غير معلوم عندنا
وقد ابطل هذه الاقوال كلها ائمتنا اذ هي اقوال متعارضة وليس فيها دلالة قطعية وان كان العقل
يجوز كل ذلك والذي يقطع به انه عليه الصلاة والسلام لم يكن منسوبا الى واحد من الانبياء نسبة
تقتضي ان يكون واحدا من امته ومخاطبا بكل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم
عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك بالله ولا زنا
ولا شرب الخمر ولا شهد السامر ولا حضر حلف المطر ولا حلف المطيب بل نزهه الله وصانه عن ذلك
فان قيل فقد روى عثمان بن ابي شيبة حديثا بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه
فقال الاخر كيف تقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد **فالجواب** ان هذا حديث
انكره الامام احمد بن حنبل جدا وهو قال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني ان عثمان
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى
الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي
صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه الصلاة والسلام وتوفيق الله اياه له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة بالحج وكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام **فان قيل** فقد قال الله تعالى قل بل
ملة ابرهيم وقال ان اتبع ملة ابرهيم وقال شرع لكم من الدين الاية وهذا يقتضي ان يكون
متعبدا بشرع **فالجواب** ان ذلك فيما لا تختلف فيه الشرائع من التوحيد واقامة الدين على ما تقدم
بيانه في غير موضع وفي هذه السورة عند قوله شرع لكم من الدين **الرابعة** اذا تقرر هذا فاعلم ان
العلماء اختلفوا في تاويل قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقال جماعة معنى الايمان
في هذه الاية شرائع الايمان ومعالمه ذكره الثعلبي وقيل تفاصيل هذا الشرع اي كنت غافلا عن هذه
التفاصيل ويجوز اطلاق لفظ الايمان على تفاصيل الشرع ذكره القشيري وقيل ما كنت تدري قبل
الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العالية وقال بكر القاضي
ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال وكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم
يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهذه الاقوال الاربعة متقاربة وقال ابن خزيمة عنى بالايمان
الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما
والمراد بالخصوص وقال الحسين بن الفضل اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا اهل الايمان وهو
من باب حذف المضاف اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل ما كنت تدري شيئا
اذ كنت في المهد وقبل البلوغ وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى قال ما كنت تدري ما الكتاب
لولا الرسالة ولا الايمان لولا البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان

لولا هدايتنا لك وهو محتمل وفي هذا الايمان وجهان احدهما انه الايمان بالله وهذا يعرفه بعد
بلوغه وقبل نبوته الثاني انه دين الاسلام وهذا لا يعرفه الا بعد النبوة قلت الصحيح انه عليه
الصلاة والسلام كان مؤمنا بالله عز وجل من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي كنت في قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان حين تكون قد
اخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم وهو كقوله تعالى ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روي معناه عن ابن عباس ولكن جعلناه نورا قال ابن عباس
والضحاك يعني الايمان السدي القران وقيل الوحي اي جعلنا هذا الوحي نورا نهدي به من نشاء
اي من نختاره للنبوة كقوله يختص برحمته من يشاء ووحد الكتاب لان الفعل في كثرة اسمائه بمنزلة
الفعل في الاسم الواحد الا ترى انك تقول اقبالك وادبارك يعجبني فتوحد وهما اثنان وانك لتهدي
اي تدعو او ترشد الى صراط مستقيم دين قويم لا اعوجاج فيه وقال علي الى كتاب مستقيم وقرا
عاصم الجحدري وحوشب قال النحاس وهذا لا يقرا به لانه مخالف للسواد وانما يحمل على ما كان مثله
على انه من قايله على جهة التفسير كما قال سفيان في قوله عز وجل وانك لتهدي اي لتدعو اروي معمر
عن قتادة في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى لكل قوم هاد الله بدل من الاول بدل
المعرفة من النكرة قال علي هو القران وقيل الاسلام ورواه النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه
وسلم الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وعبدا وخلقا الا الى الله تصير الامور وعيد بالبعث
والجزا قال سهل بن ابي الجعد احترق مصحف فلم يبق الا قوله الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامحى
كله الا قوله الا الى الله تصير الامور سورة الزخرف وهي تسع وثمانون اية مكية باجماع قال مقاتل الا
قوله واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين انا
جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر
صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون
فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي
نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه و
تقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده
جزءا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون و
قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله
فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قل
اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى حم والكتاب المبين تقدم الكلام فيه وقيل حم قسم والكتاب
المبين قسم ثان ولله ان يقسم بما شاء والجواب انا جعلناه وقال ابن الانباري من جعل جواب والكتاب
حم كما تقول نزل والله وجب والله وقف على الكتاب المبين ومن جعل جواب القسم انا جعلناه لم يقف

على الكتاب المبين ومعنى انا جعلناه اي سميناه ووصفناه ولذلك تعدى الى مفعولين كقوله ما جعل
الله من بحيرة وقال السدي اي انزلناه مجاهد قلناه الزجاج وسفيان الثوري بيناه عربيا اي انزلناه
بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه قاله سفيان الثوري وغيره وقال مقاتل لان
لسان اهل السماء عربي وقيل المراد بالكتاب جميع الكتب المنزلة على الانبياء لان الكتاب اسم جنس فكانه
اقسم بجميع ما انزل من الكتب انه جعل القران عربيا والكناية في قوله جعلناه ترجع الى القران وان
لم يجر له ذكر في هذه السورة كقوله انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم تعقلون اي تفهمون
احكامه ومعانيه فعلى هذا القول يكون خاصا للعرب دون العجم قاله ابن عيسى وقال ابن زيد لعلكم
تتفكرون فعلى هذا يكون خطابا عاما للعرب والعجم ونعت الكتاب بالمبين لان الله بين فيه احكامه
وفرايضه على ما تقدم في غير موضع قوله تعالى وانه في ام الكتاب يعني القران في اللوح المحفوظ لدينا
عندنا لعلي حكيم اي رفيع محكم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض قال الله تعالى انه لقران كريم في كتاب
مكنون وقال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق من ايمان و
كفر وطاعة ومعصية لعلي اي رفيع ان ينال فيبدل حكيم اي محفوظ من نقص وتغيير وقال ابن عباس
اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم وكسر الهمزة من ام الكتاب حمزة والكسائي وضم الباقون وقد تقدم قوله تعالى
افنضرب عنكم الذكر يعني القران عن الضحاك وغيره وقيل المراد بالذكر العذاب اي افنضرب عنكم
العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم قاله مجاهد وابو صالح والسدي ورواه العوفي عن ابن عباس
وقال ابن عباس ان يصفح عنكم العذاب ولما تفعلوا ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى اتكذبون بالقران
ولا تعاقبون وقال السدي ايضا المعنى افنترككم سدى ولا نامركم ولا ننهاكم وقال قتادة المعنى افنهلككم
ولا نامركم وعنه ايضا افنمسك عن انزال القران من قبل انكم لا تؤمنون به فلا ننزله عليكم وقاله ابن
زيد قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رددته اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله كرره
عليهم برحمته وقال الكسائي افنطوي عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تؤمرون وقيل الذكر التذكر
فكانه قال افنترك تذكيركم لان كنتم قوما مسرفين في قراءة من فتح ومن كسرها جعلها للشرط وما
قبلها جوابا لها لانها لم تعمل في اللفظ ونظيره وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقيل الجواب
محذوف دل عليه ما تقدم كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى الكسر عند الزجاج الحال لان في
الكلام معنى التقرير والتوبيخ ومعنى صفحا اعراضا يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه وقد
ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته والاصل فيه صفحة العنق يقال اعرضت عنه اي وليته صفحة عنقي
قال الشاعر صفوحا فما يلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت وانتصب صفحا على المصدر لان
معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير افنضرب عنكم الذكر صافحين كما يقال جاء فلان مشيا وقيل
مسرفين مشركين واختار ابو عبيد الفتح في ان وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم قال لان الله
تعالى عاتبهم على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم قوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين كم
هنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبياء كما قال كم تركوا من جنات و
عيون اي ما اكثر ما تركوا وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه
صلى الله عليه وسلم ويسليه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي قوما اشد منهم قوة والكناية في منهم ترجع
الى المشركين المخاطبين بقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا فكنى عنهم بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال
وقيل هو مفعول اي فقد اهلكنا اقوى من هؤلاء المشركين في ابدانهم واتباعهم ومضى مثل الاولين

اي عن عقوبتهم عن قتادة وقيل صفة الاولين وخبرهم بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه النقاش و
المهدوي والمثل الوصف والخبر قوله تعالى ولئن سالتهم يعني المشركين من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم فاقروا له بالخلق والايجاد ثم عبدوا معه غيره جهلا منهم وقد مضى في غير
موضع قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وصف نفسه سبحانه وتعالى بكمال القدرة و
هذا ابتداء اخبار عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الارض
مهادا فراشا وبساطا وقد تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل لكم فيها سبلا اي معايش وقيل
طرقا لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون فتستدلون بمقدوراته على قدرته وقيل
لعلكم تهتدون في اسفاركم قاله ابن عيسى وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم قاله سعيد بن جبير
وقيل تهتدون الى معايشكم قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر قال ابن عباس اي لا كما انزل
على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر لا طوفان مغرق ولا قاصر عن الحاجة حتى يكون معاشا
لكم ولانعامكم فانشرنا اي احيينا به اي بالماء بلدة ميتا اي مقفرة من النبات كذلك تخرجون اي
من قبوركم لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى في الاعراف مجردا وقرا يحيى بن وثاب والاعمش
وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر يخرجون بفتح التاء وضم الراء الباقون على الفعل المجهول
قوله تعالى والذي خلق الازواج كلها فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والذي خلق اي والله الذي
خلق الازواج كلها قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها وقال الحسن الشتاء والصيف والليل و
النهار والسموات والارض والشمس والقمر والجنة والنار وهل ازواج الحيوان من ذكر وانثى
قاله ابن عيسى وقيل اراد ازواج النبات كما قال وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم
وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وغنى وفقر وصحة وسقم قلت
وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وجعل لكم من الفلك اي السفن والانعام الابل ما تركبون
في البر والبحر لتستووا على ظهوره ذكر الكناية لانه رده الى ما في قوله ما تركبون قاله ابو عبيد وقال الفرا
اضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس وصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك
ذكر وجمع الظهور اي على ظهور هذا الجنس الثانية قال سعيد بن جبير الانعام ههنا الابل والبقر
وقال ابو معاذ الابل وحدها وهو الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل راكب بقرة اذ قالت
له لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بذلك انا وابو بكر وعمر
وما هما في القوم وقد مضى هذا في اول سورة النحل مستوفى الثالثة قوله تعالى لتستووا على ظهوره
يعني به الابل خاصة بدليل ما ذكرنا ولان الفلك انما يركب بطونها ولكنه ذكرهما جميعا في اول
الاية وعطف اخرها على اولها ويحتمل ان يجعل ظاهرها باطنها لان الماء غمره وستره وباطنها ظاهر
لانه انكشف للظاهرين وانكشف ظاهرها للمبصرين الرابعة قوله تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم اي اذا ركبتم عليه وذكر النعمة هو الحمد لله على تسخير ذلك لنا في البر والبحر وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا المركب في قراءة علي بن ابي طالب سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين اي مطيقين في قول ابن عباس والكلبي وقال الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين وقيل
مماثلين في الايد والقوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة ويقال فلان مقرن لفلان
اي ضابط له واقرنت كذا اي اطقته واقرن له اي اطاقه وقوي عليه كانه صار له قرنا قال الله تعالى
وما كنا له مقرنين اي مطيقين وانشد قطرب قول عمرو بن معدي كرب لقد علم القبائل ما عقيل
لنا في النائبات بمقرنينا وقال اخر ركبتم ظعنتي اشرا وجبنا ولستم للظعان بمقرنينا والمقرن ايضا الذي

غلبته ضيعته يكون له ابل او غنم ولا معين له عليها او يكون يسقي ابله ولا زائد له يذودها
قاله ابن السكيت وفي اصله قولان احدهما انه ماخوذ من الاقران يقال اقرن يقرن اقرانا اذا
طاق واقرنت كذا اذا اطقته وحكمته كانه جعله في قرن وهو الحبل فاوثقه به وشده والثاني
انه ماخوذ من المقارنة وهو ان يقرن بعضها ببعض في السير تقول قرنت كذا بكذا اذا ربطته
به وجعلته قرينه الخامسة علمنا سبحانه ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في اية اخرى على
لسان نوح عليه السلام ما نقول اذا ركبنا السفن وهي قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها و
مرساها ان ربي لغفور رحيم فكم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك
وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر محظور واتصالا باسباب
من اسباب التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منقلب من
قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه و
الحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكى سليمان بن يسار ان
قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وكان فيهم
رجل على ناقة له رازم وهي التي لا تتحرك هزالا فقال اما انا فاني لهذه لمقرن قال فقمصت به فدقت عنقه
وروي ان اعرابيا ركب قعودا له وقال اني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه
ذكر الاول الماوردي والثاني ابن العربي وقال ما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا وليس بواجب ذكره
باللسان وانما الواجب اعتقاده بالقلب اما انه يستحب له ذكره باللسان فيقول متى ما ركب و
خاصة في السفر اذا تذكر سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم
انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب
والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال يعني بالحور بعد الكور تشتت امر الرجل بعد اجتماعه
وقال عمرو بن دينار ركبت مع ابي جعفر بن دينار الى ارض له نحو حائط يقال لها مدركة فركب على جمل
صعب فقلت له ابا جعفر اما تخاف ان يصرعك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
على سنام كل بعير شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله كما امركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله
وقال علي بن ابي ربيعة شهدت علي بن ابي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال
بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين و
انا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله والله اكبر ثلاثا اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا
يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما اضحكك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع
كما صنعت وقال كما قلت ثم ضحك فقلت له ما يضحكك يا رسول الله فقال العبد او قال عجبا للعبد ان
يقول اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب
غيره خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وابو عبد الله محمد بن خويز منداد في احكامه وذكر الثعلبي
نحوه مختصرا عن علي رضي الله عنه ولفظه عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا
الى ربنا لمنقلبون فاذا نزلتم من الفلك والانعام فقولوا اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من ركب ولم يقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون قال له الشيطان تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس ويستعيذ بالله
من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم

اوالى الخمر والمغارق فلا يزالون يسقون حتى تميل طلا لهم وهم على ظهور الدواب او فى بطون السفن وهي
تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ذكره الزمخشري ولقد بلغني ان بعض السلاطين
ركب وهو يشرب الخمر من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار فلم يتفكر بسيره ولا
احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية قوله تعالى وجعلوا له من
عباده جزءا اي عدلا عن قتادة يعني ما عبد من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات عجب
المؤمنين من جهلهم اذ اقروا بان خالق السموات والارض لا يحتاج الى شيء يعتضد به او يستانس به لان
هذا من صفات النقص قال الماوردي والجزء عند اهل العربية البنات يقال قد اجزات المراة اذا
ولدت البنات قال الشاعر ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزي الحرة المذكار احيانا الزمخشري ومن
بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعى ان الجزء في لغة العرب اسم الاناث وما هو الا كذب على العرب
ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا ، ان
اجزات حرة يوما فلا عجب ، اولدتها من بنات الاوس مجزية ، وانما قوله جعلوا له مع ذلك الاعتراف من
عباده جزءا او وصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم
جزءا له وبعضا كما يكون الولد بعضا من والده وجزءا له وقرئ جزؤ بضمتين ان الانسان يعني الكافر
لكفور مبين قال الحسن يعد المصائب وينسى النعم مبين مظهر الكفر قوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات
الميم صلة تقديره اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم ان الملائكة بنات الله فلفظه لفظ الاستفهام و
معناه التوبيخ واصفاكم بالبنين اي اختصكم واخلصكم بالبنين يقال اصطفيته بكذا اي اثرته به و
اصطفيته الود اخلصته له وصافيته وتصافينا تخالصنا عجب من اضافتهم الى الله اختيار البنات مع
اختيارهم لانفسهم البنين وهو مقدس عن ان يكون له ولد ان توهم جاهل انه اتخذ لنفسه ولدا فهلا
اضاف لنفسه ارفع الجنسين ولم جعل هؤلاء لانفسهم اشرف الجنسين وله الاخس وهذا كما قال الكم الذكر
وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بانه ولد له بنت
ظل وجهه اي صار وجهه مسودا قيل ببطلان مثله الذي ضربه وقيل بما بشر به من الانثى دليله في
سورة النحل واذا بشر احدهم بالانثى ومن جهلهم انهم اذا قيل له قد ولدت بنت اغتم وازبد وجهه
غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امراته ولدت له انثى فهجر البيت الذي فيه المراة
فقالت ما لابي حمزة لا ياتينا ، يظل في البيت الذي يلينا ، غضبان ان لا نلد البنينا ، وانما ناخذ
ما اعطينا ، وقرئ مسود ومسواد وفي قراءة الجماعة يكون وجهه اسم ظل ويجوز ان يكون رفع
وجهه بالابتداء ورفع مسودا على انه خبره وفي ظل اسمها والجملة خبرها وهو كظيم اي حزين قال قتادة
وقيل مكروب قال عكرمة وقيل ساكت حكاه ابن ابي حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن
اجاز ان تكون الملائكة بنات الله فقد جعل الملائكة شبها لله لان الولد من جنس الوالد وشبهه
ومن اسود وجهه مما يضاف اليه مما لا يرضى اولى بان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل
منه فكيف الى الله عز وجل وقد مضى في النحل في معنى هذه الاية ما فيه كفاية قوله تعالى او من ينشؤ
في الحلية فيه مسئلتان الاولى قوله او من ينشؤ اي يربى ويشب والنشؤ التربية يقال نشات في
بني فلان نشاء ونشوا اذا شببت فيهم ونشئ وانتشا بمعنى وقرا ابن عباس والضحاك وابن وثاب
وحفص وحمزة وخلف والكسائي ينشا بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين اي يربى ويكبر في
الحلية واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلا وقرا الباقون ينشا بفتح الياء واسكان النون
واختاره ابو حاتم اي يرسخ وينبت واصله من نشا اي ارتفع قال الهروي فينشا متعد وينشا لازم

الثانية

الثانية قوله تعالى في الحلية اي في الزينة قال ابن عباس هن الجواري زيهن غير زي الرجال قال
مجاهد رخص للنساء في الذهب والحرير وقرا هذه الاية قال الكيا الطبري فيه دلالة على اباحة
الحلي للنساء والاجماع منعقد عليه والاخبار فيه لا تحصى قلت روي عن ابي هريرة انه كان يقول
لابنته يا بنية اياك والتحلي بالذهب فاني اخاف عليك اللهب قوله تعالى وهو في الخصام غير مبين
اي في المجادلة والادلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امراة ولها حجة الا جعلتها على نفسها وفي مصحف
عبد الله وهو في الكلام غير مبين ومعنى الاية ايضافون الى الله من هذا وصفه اي لا يجوز ذلك
وقيل المنشا في الحلية اصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة وحلوها قال ابن زيد والضحاك
ويكون معنى وهو في الخصام غير مبين على هذا القول اي ساكت عن الجواب ومن في محل نصب اي
اتخذوا لله من ينشا في الحلية ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء والخبر مضمر قاله الفرا تقديره
او من كان على هذه الحال يستحق العبادة وان شئت قلت خفض ردا الى اول الكلام وهو قوله بما
ضرب او على ما في قوله مما يخلق بنات وكون البدل في هذين الموضعين ضعيف لكون الف الاستفهام
حائلة بين البدل والمبدل منه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا الكوفيون
عباد بالجمع واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلا ولان الله تعالى انما كذبهم في قولهم انهم بنات
الله فاخبرهم انهم عبيد وانهم ليسوا ببناته وعن ابن عباس انه قرا عباد الرحمن فقال سعيد بن
جبير ان في مصحفي عبد الرحمن فقال امحها واكتبها عباد الرحمن وتصديق هذه الاية بل عباد مكرمون
وقوله احسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء وقوله ان الذين تدعون من دون
الله عباد امثالكم وقرا الباقون عند الرحمن بنون ساكنة واختاره ابو حاتم وتصديق هذه القراءة
ان الذين عند ربك وقوله وله ما في السموات والارض ومن عنده والمقصود ايضاح كذبهم وبيان
جهلهم في نسبة الاولاد الى الله ثم في تحكمهم بان الملائكة اناث وهم بنات الله وذكر العباد مدح لهم اي
كيف عبدوا من هو في نهاية العبادة ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول
والحكم تقول جعلت زيدا اعلم الناس اي حكمت له بذلك اشهدوا خلقهم اي احضروا حالة خلقهم
حتى حكموا بانهم اناث وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فقال وما يدريكم انهم اناث فقالوا
سمعنا ذلك من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا في انهم اناث فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم و
يسئلون اي يسئلون عنها في الاخرة وقرا نافع اوشهدوا بهمزة استفهام داخلة على همزة مضمومة
مسهلة ولا يمد سوى ما روى المسيبي عنه انه يمد وروى المفضل عن عاصم مثل ذلك وتحقق الهمزتين
والباقون اشهدوا بهمزة واحدة للاستفهام وروي عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر ستكتب
قراءة العامة بضم التاء على الفعل المجهول شهادتهم رفعا وقرا السلمي وابن السميقع وهبيرة عن حفص
سنكتب بنون شهادتهم نصبا بتسمية الفاعل وعن ابي رجا ستكتب شهاداتهم بالجمع قوله تعالى
وقالوا لو شاء الرحمن يعني قال المشركون على طريق الاستهزاء والسخرية لو شاء الرحمن على زعمكم ما
عبدنا هذه الملائكة وهذا منهم كلمة حق اريد بها باطل وكل شيء بارادة الله وارادته تجب وكذا
علمه فلا يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد مقدور وان لم يقع ولو عبدوا الله بدل
الاصنام لعلمنا ان الله اراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى في الانعام عند قوله سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وفي يس انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم
مردود الى قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي ما لهم بقولهم الملائكة بنات الله من علم قاله قتادة
ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج يعني الاوثان اي ما لهم بعبادة الاوثان من علم من صلة

انهم الا يخرصون اي يحرسون ويكذبون فلا علم لهم في عبادة غير الله وكان في ضمن كلامهم ان الله
امرنا بهذا او رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة قوله تعالى ام اتيناهم كتابا من
قبله هذا معادل لقوله اشهدوا خلقهم والمعنى احضروا خلقهم ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل
القران اي بما ادعوه فهم به مستمسكون يعملون بما فيه قوله تعالى بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة فيه
مسئلتان الاولى قوله على امة اي على طريقة ومذهب قاله عمر بن عبد العزيز وكان يقراها ومجاهد و
قتادة على امة بكسر الالف والامة الطريقة قال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة ايضا لغة في
الام وهي الطريقة والدين عن ابي عبيدة قال عدي بن زيد في النعمة ثم بعد الفلاح والملك والامة
وارتهم هناك القبور عن غير الجوهري وقال قتادة وعطية على امة على دين ومنه قول قيس بن
الحطيم كنا على امة اباءنا ويقتدي الاول بالاخر وقال الجوهري والامة الطريقة والدين يقال
فلان لا امة له اي لا دين ولا نحلة قال الشاعر وهل يستوي ذو امة وكفور وقال مجاهد وقطرب
على دين وملة وفي بعض المصاحف قالوا انا وجدنا اباءنا على ملة على قبلة الاخفش على استقامة
وانشد قول النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل ياثمن ذو امة وهو طايع الثانية قوله
وانا على اثارهم مهتدون اي نهتدي بهم وفي الاية الاخرى مقتدون اي نقتدي والمعنى واحد
قال قتادة مقتدون متبعون وفي هذا دليل على ابطال التقليد لذمه اياهم على تقليد ابائهم وتركهم
النظر فيما دعاهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول في هذا في البقرة مستوفى و
حكى مقاتل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ابني
ربيعة من قريش اي وكما قال هؤلاء فقد قال من قبلهم ايضا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ونظيره
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك والمترف المنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة قوله تعالى
قل اولو جئتكم باهدى اي قل يا محمد لقومك اوليس قد جئتكم من عند الله باهدى يريد بارشد مما
وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون يعني بكل ما ارسل به الرسل فالخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم ولفظه لفظ الجمع لان تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم بدين
اهدى من دين ابائكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى
وقد مضى في البقرة القول في التقليد وذمه فلا معنى لاعادته قوله تعالى فانتقمنا منهم بالقتل
القحط والسبي فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اخر امر من كذب الرسل وقراءة العامة قل اولو جئتكم
وقرا ابن عامر وحفص قال اولو على الخبر عن النذير وانه قال لهم هذه المقالة وقرا ابو جعفر قل اولو جئناكم
بنون والالف على ان المخاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جميع الرسل قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به
كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا و
رحمة ربك خير مما يجمعون ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك
لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون

افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على
صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون و
ملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم
من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايه الساحر ادع
لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى
فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون قوله تعالى
واذ قال ذكرهم اذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون البراء يستعمل للواحد فما فوقه
فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت لا يقال البراءان والبراءون لان المعنى
ذو البراء وذوو البراء قال الجوهري وتبرات من كذا وانا منه براء وخلاء منه لا يثنى ولا يجمع
لانه مصدر في الاصل مثل سمع سماعا فاذا قلت انا بريء منه وخلي ثنيت وجمعت وانثت وقلت
في الجمع نحن منه براء مثل فقيه وفقهاء وبراء ايضا مثل كريم وكرام وابراء مثل شريف واشراف وابرياء
مثل نصيب وانصباء وبريئون وامراة بريئة وهما بريئتان وهن بريئات وبرايا ورجل بري وبراء مثل
عجب وعجاب والبراء بالفتح اول ليلة من الشهر سميت بذلك لتبري القمر من الشمس الا الذي فطرني
استثناء متصل لانهم عبدوا الله مع الهتهم قال قتادة كانوا يقولون الله ربنا مع عبادة الاوثان
ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن الذي فطرني فهو يهدين قال ذلك ثقة بالله وتنبيها لقومه ان
الهداية من ربه قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فيه ثلاث مسائل الاولى قوله وجعلها
كلمة الضمير في وجعلها عائد على قوله الا الذي فطرني وضمير الفاعل في جعلها الله عز وجل اي
وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده اي انهم توارثوا البراءة
عن عبادة غير الله واوصى بعضهم في ذلك والعقب من ياتي من بعده وقال السدي هم ال محمد صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عباس قوله في عقبه اي في خلفه وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى فانه سيهدين
لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية اي قال لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله قال مجاهد
وقتادة الكلمة لا اله الا الله قال قتادة لا يزال في عقبه من يعبد الله الى يوم القيمة وقال الضحاك
الا تعبدوا الا الله عكرمة الاسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين القرظي وجعل وصية ابرهيم التي وصى
بها بنيه وهي قوله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون الاية المذكورة في
البقرة كلمة باقية في ذريته وبنيه وقال ابن زيد الكلمة قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم
المسلمين من قبل وقيل الكلمة النبوة قال ابن العربي ولم تزل النبوة باقية في ذرية ابرهيم والتوحيد
هم اصله وغيرهم فيه تبع لهم الثانية قال ابن العربي انما كانت لابرهيم في الاعقاب موصولة بالاعقاب
بدعوتيه المجابتين احداهما في قوله اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين فقد قال نعم الا من ظلم منهم فلا عهد له ثانيتهما قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام و
قيل بل الاولى قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين فكل امة تعظمه وغيرهم ممن يجتمع معه
في سام او نوح الثالثة قال ابن العربي جرى ذكر العقب هاهنا موصولا في المعنى وذلك مما يدخل في
الاحكام وترتب عليه عقود العمرى والتحبيس قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل اعمر عمرى
له ولعقبه فانها للذي اعطيها لا ترجع الى الذي اعطاها لانه اعطا عطاء وقعت فيه المواريث وهي ترد

على احدى عشر لفظا اللفظ الاول الولد وهو عند الاطلاق عبارة عمن وجد من الرجل وامرأته من
الاناث والذكور وعن ولد الذكور دون الاناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على الولد الغير
واولاد الذكور من العين دون ولد الاناث لانه من قوم اخرين ولذلك لم يدخلوا في الحبس
بهذا اللفظ قاله مالك في المجموعة وغيرها قلت هذا مذهب مالك وجميع اصحابه المتقدمين و
من حجتهم الاجماع على ذلك على ان ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله يوصيكم الله في اولادكم وقد ذهب
جماعة من العلماء ان ولد البنات من الاولاد والاعقاب يدخلون في الاحباس بقول المحبس حبست
على ولدي او على عقبي وهو اختيار ابي عمر بن عبد البر وغيره واحتجوا بقوله عز وجل حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم قالوا فلما حرم الله البنات فحرمت بنت البنت بالاجماع علم انها بنت ووجب ان تدخل
في حبس ابيها اذا حبس على ولده او عقبه وقد مضى هذا المعنى في الانعام مستوفى اللفظ الثاني
البنون فان قال هذا حبس على ابني فلا يتعدى الولد المعين ولا يتعدد فلو قال ولدي لتعدد وتعدد
في كل من ولد ولو قال على بني دخل فيه الذكور والاناث قال مالك من تصدق على بنيه وبني بنيه
فان بناته وبنات بناته يدخلن في ذلك روى عيسى عن ابن القاسم فيمن حبس على بناته فان بنات
بنيه يدخلن في ذلك مع بنات صلبه والذي عليه جماعة اصحابه ان ولد البنات لا يدخلون في البنين
فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن من ابنته ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قلنا هذا مجاز وانما اشار الى تشريفه وتقديمه الا ترى انه
يجوز نفيه عنه فيقول الرجل في ولد ابنته ليس بابني ولو كان حقيقة ما جاز نفيه عنه لان الحقايق لا
تنفى عن مثبتها الا ترى انه ينتسب الى ابيه دون امه ولذلك قيل في عبد الله بن عباس انه هاشمي
وليس بهلالي وان كانت امه هلالية قلت هذا الاستدلال غير صحيح بل هو ولد على الحقيقة في اللغة
لوجود معنى الولادة فيه ولان اهل العلم قد اجمعوا على تحريم بنت البنت من قوله تعالى حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم وقال تعالى ومن ذريته داود وسليمن الى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو
ابن ابنته على ما تقدم بيانه هناك فان قيل قال الشاعر بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال
الاباعد قيل لهم هذا لا دليل فيه لان معنى قوله انما هو ان ولد بنيه الذكران لهم حكم بنيه في الموارثة و
النسب وان ولد بناته ليس لهم حكم بناته في ذلك اذ ينتسبون الى غيره فاخبر بافتراقهم في الحكم مع اجتماعهم
في التسمية ولم ينف عن ولد البنات اسم الولد لانه ابنا وقد يقول الرجل في الولد ليس هو بابني و لا
يطيعني ولا يرى لي حقا ولا يريد بذلك نفي اسم الولد عنه وانما يريد ان ينفي عنه حكمه ومن استدل
بهذا البيت على ان ولد البنت لا يسمى ولدا فقد افسد معناه وابطل فائدته وتاول على قائله ما لا
يصح اذ لا يمكن ان يسمى ولد الابن في اللسان العربي ابنا ولا يسمى ولد الابنة ابنا من اجل ان معنى الولادة
التي اشتق منها اسم الولد فيه اقوى لان ولد الابنة هو ولده بالحقيقة الولادة وولد الابن انما
هو ولده بما له ما كان له بسبب الولادة ولم يخرج مالك رحمه الله اولاد البنات من حبس على ولده
من اجل ان اسم الولد غير واقع عليه عنده في اللسان وانما اخرجهم منه قياسا على المواريث وقد مضى
هذا في الانعام اللفظ الثالث الذرية وهي ماخوذة من ذرا الله الخلق فيدخل فيه ولد البنات
لقوله ومن ذريته داود وسليمان الى ان قال وزكريا ويحيى وعيسى وانما كان من ذريته من قبل
امه وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية وفي الانعام الكلام على ومن ذريته الاية فلا معنى
للاعادة اللفظ الرابع العقب وهو في اللغة عبارة عن شيء جاء بعد شيء كان من جنسه او من غير جنسه
يقال اعقب الله بخير اي جاء بعد الشدة بخير الرخاء واعقب الشيب السواد وعقب يعقب عقوبا وعقبا

اذا جاء شيء بعد شيء ولهذا قيل لولد الرجل عقبه والمعقبات من النساء التي تلد ذكرا بعد انثى هكذا
ابدا وعقب الرجل ولده وولد ولده الباقون بعده والعاقبة الولد قال يعقوب في القران وجعلها
كلمة باقية في عقبه وقيل بل الورثة كلهم عقب والعاقبة للولد وكذلك فسره مجاهد هنا وقال
ابن زيد هم هنا هم الذرية وقال ابن شهاب هم الولد وولد الولد وقيل غيره على ما تقدم عن السدي
وفي الصحاح العقب بكسر القاف مؤخر القدم وهي مؤنثة وعقب الرجل ولده وولد ولده وفيه لغتان
عقب وعقب بالتسكين وهي ايضا مؤنثة عن الاخفش وعقب فلان مكان ابيه عاقبة اي خلفه
وهو اسم جاء بمعنى المصدر كقوله ليس لوقعتها كاذبة ولا فرق عند احد من العلماء بين لفظ العقب و
الولد في المعنى واختلف في الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد والعقب لا يدخل ولد البنات
فيهما على مذهب مالك وقيل انهم يدخلون فيهما وقد مضى الكلام في الذرية هنا وفي الانعام اللفظ
الخامس نسلي وهو عند علمائنا هو كقوله ولدي وولد ولدي فانه يدخل فيه ولد البنات ووجب ان
يدخلوا لان النسل بمعنى خرج وولد البنات قد خرجوا منه بوجه ولم يقترن به ما يخصه كما اقترن
بقوله عقبي ما تناسلوا وقال بعض علمائنا ان النسل بمنزلة الولد والعقب لا يدخل فيه ولد
البنات الا ان يقول المحبس نسلي ونسل نسلي كما اذا قال عقبي وعقب عقبي فاما اذا قال ولدي او عقبي
مفردا فلا يدخل فيه البنات اللفظ السادس الال وهم الاهل وهو اللفظ السابع قال ابن
القاسم هما سواء وهم العصبة والاخوة والاخوات والبنات والعمات ولا تدخل فيه الخالات و
اصل الاهل الاجتماع يقال مكان اهل اذا كان فيه جماعة وذلك بالعصبة ومن دخل في العقبة
والعصبة مشتقة منه وهي اخص به وفي حديث الافك يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا يعني
عائشة ولكن لا يدخل فيه الزوجة باجماع وان كانت اصل التاهل لان ثبوتها ليس بيقين اذ قد يتبدل
ربطها ويحل بالطلاق وقد قال مالك ال محمد كل تقي وليس من هذا الباب وانما اراد ان الايمان
اخص من القرابة فاشتملت عليه الدعوة وقصد بالرحمة وقد قال ابو اسحق التونسي يدخل في الاهل
كل من كان من جهة الابوين فوفى الاشتقاق حقه وغفل عن العرف ومطلق الاستعمال وهذه المعاني
انما تبنى على الحقيقة او على العرف المستعمل عند الاطلاق فهذان لفظان اللفظ الثامن قرابته فيه
اربعة اقوال الاول قال مالك في كتاب محمد بن عبدوس انهم الاقرب فالاقرب بالاجتهاد ولا يدخل فيه
ولد البنات ولا ولد الخالات الثاني يدخل فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله علي بن زياد الثالث
قال اشهب يدخل فيه كل ذي رحم من الرجال والنساء الرابع قال ابن كنانه يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوال
والخالات وبنات الاخت وقد قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قال الا ان تصلوا قرابة ما بيني وبينكم وقال لم يكن بطن من قريش الا كانت بينه وبين النبي
صلى الله عليه وسلم قرابة فهذا يضبطه اللفظ التاسع العشيرة ويضبطه الحديث الصحيح ان الله
تعالى لما انزل وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم كما
تقدم ذكره وهم العشيرة الاقربون وسماهم عشيرة في الاطلاق واللفظ يحمل على الاخص الاقرب بالاجتهاد
كما تقدم من قول علمائنا اللفظ العاشر القوم يحمل ذلك على الرجال خاصة من العصبة دون النساء و
القوم يشتمل الرجال والنساء وان كان الشاعر قد قال وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن
ام نساء ولكنه اراد ان الرجل اذا دعى قومه للنصرة عنى الرجال واذا دعاهم للحرمة دخل فيه الرجال و
النساء فتعمها الصفة وتخصصها القرينة اللفظ الحادي عشر الموالي قال مالك يدخل فيه موالي ابيه و
ابنه مع مواليه وقال ابن وهب يدخل فيه اولاد مواليه قال ابن العربي والذي يتحصل منه انه يدخل

فيمن يرثه بالولاء قال هذه فصول الكلام واصوله المرتبط بظاهر القرآن والسنة المبينة له والتفريع
والتتميم في كتاب المسائل قوله تعالى بل متعت وقرئ متعنا هؤلاء وآباءهم اي في الدنيا بالامهال
حتى جاءهم اي محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والاسلام الذي هو اصل دين ابراهيم وهي الكلمة
التي بقاها الله في عقبه ورسول مبين اي يبين لهم ما يحتاجون اليه ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا
هذا سحر وانا به كافرون اي جاحدون وقالوا لولا اي هلا نزل هذا القرآن على رجل وقرئ رجل
بسكون الجيم من القريتين عظيم اي من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما
او على احد رجلين من القريتين عظيم القريتان مكة والطائف والرجلين الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم عم ابي جهل والذي من الطائف ابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي قاله قتادة وقيل عمير
بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد وعن ابن عباس ان عظيم
الطائف حبيب بن عمرو الثقفي وقال السدي كنانة بن عبد بن عمرو وروي ان الوليد بن المغيرة وكان
يسمى ريحانة قريش كان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او على ابن مسعود فقال الله تعالى اهم
يقسمون رحمة ربك يعني النبوة فيضعونها حيث شاؤوا نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي
افقرنا قوما واغنينا قوما فاذا لم تكن امور الدنيا اليهم فكيف يفوضوا امر النبوة اليهم قال قتادة تلقاه
ضعيف قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه
وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن في رواية عنه معايشهم وقيل اي اعطينا عظيم القريتين ما اعطينا
لا لكرامتهما علي وانا قادر على نزع النعمة عنهما فاي فضل وقدر لهما ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
اي فاضلنا بينهم فمن فاضل ومفضول ورئيس ومرؤوس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم
مالك وبعضهم مملوك وقيل بالغنى والفقر فبعضهم غني وبعضهم فقير وقيل بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال السدي وابن زيد خولا وخدما يسخر الاغنياء الفقراء فيكون
بعضهم سببا المعاش بعض وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية
التي بمعنى الاستهزاء اي ليستهزئ الغني بالفقير قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به وضحكت
منه وهزئت منه وبه كل يقال والاسم السخرية بالضم والسخري بالضم والكسر وكل الناس ضموا سخريا
الا ابن محيصن ومجاهد فانهما قرآ سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون من الدنيا ثم قيل الرحمة النبوة وقيل
الجنة وقيل تمام الفرائض خير من كثرة النوافل وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم عليه من اعمالهم
قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فيه
خمس مسائل الاولى قال العلماء معنى الكلام ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها وانها عنده من الهوان
بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا على القلوب فيحمل ذلك
على الكفر قال الحسن المعنى لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة لاعطيناهم
في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله عز وجل وعلى هذا اكثر المفسرين ابن عباس والسدي و
غيرهما وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارها على الاخرة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون في الكفار غني وفقير وفي
المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها الثانية قرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح
السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وقرأ
الباقون بضم السين والقاف على الجمع مثل رهن ورهن قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف
مثل كثيب وكثب ورغيف ورغف قاله الفراء وقيل هو جمع سقوف فيصير جمع الجمع سقف وسقوف مثل

فلس وفلوس

فلس وفلوس ثم جعلوا فعولا كانه اسم واحد فجمعوه على فعل وروي عن مجاهد سقفا باسكان
القاف وقيل اللام في لبيوتهم بمعنى على اي على بيوتهم وقيل كما تقول فعلت هذا لزيد لكرامته قال
الله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس كذلك قال هنا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
قوله تعالى ومعارج يعني الدرج قاله ابن عباس وهو قول الجمهور واحدها معراج والمعراج
السلم ومنه ليلة المعراج والجمع معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح لغتان ومعاريج قراءة ابو
رجاء العطاردي وطلحة بن مصرف وهي المراقي والسلالم قال الاخفش ان شئت جعلت الواحد معرج و
معرج مثل مرقاه ومرقاة عليها يظهرون اي على المعارج يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على
البيت اي علوت سطحه وهذا لان من علا شيئا وارتفع عليه ظهر للناظرين ويقال ظهرت على الشيء
اي علمته وظهرت على العدو اي غلبته ... بن جعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
علونا السماء عزة ومهابة ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ... اي مصعدا فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الى اين قال الى الجنة قال اجل ان شاء الله قال الحسن والله لقد مالت الدنيا باكثر اهلها
وما فعل ذلك فكيف لو فعل ... استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان السقف لا حق فيه
لرب العلو لان الله تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله
قال ابن العربي وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب فمن له البيت فله اركانه
ولا خلاف ان العلو له الى السماء واختلفوا في السفل فمنهم من قال هو له ومنهم من قال ليس له في باطن الارض
شيء وفي مذهبنا القولان وقد بين حديث الاسرائيلي الصحيح فيما تقدم ان رجلا باع من رجل دارا
بناها فوجد فيها جرة من ذهب فجاء بها الى البائع فقال انما اشتريت الدار دون الجرة وقال البائع
انما بعت الدار بما فيها وكلهم تدافعها فقضى بينهم النبي عليه السلام ان يزوج احدهما ولده من بنت الاخر
ويكون المال لهما والصحيح ان العلو والسفل له الا ان يخرج عنهما بالبيع فاذا باع احدهما احد الموضعين
فله منه ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه ... من احكام العلو والسفل اذا كان العلو والسفل بين
رجلين فيعتل السفل ويريد صاحبه هدمه فذكر سحنون عن اشهب انه قال اذا اراد صاحب السفل
ان يهدم او اراد صاحب العلو ان يبني علوه فليس لصاحب السفل ان يهدم الا من ضرورة ويكون هدمه
له ارفق لصاحب العلو لئلا ينهدم بانهدامه العلو وليس لرب العلو ان يبني على علوه شيئا لم يكن
قبل ذلك الا الشيء الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل ولو انكسرت خشبة من سقف العلو لادخل
عليها خشبة ما لم تكن اثقل منها ويخاف ضررها على صاحب السفل قال اشهب وباب الدار على
صاحب السفل قال ولو انهدم السفل اجبر صاحبه على بنائه وليس لصاحب العلو ان يبني السفل فان
ابى صاحب السفل من البناء قيل له بع ممن يبني وروى ابن القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو
لرجل فاعتل السفل قال صلاحه على رب السفل وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله لان عليه
اما ان يحمله على بنيان او على تعليق وكذلك لو كان على العلو علو فتعليق العلو الثاني على صاحب الوسط
وقد قيل ان تعليق الثاني على رب العلو حتى يبني الاسفل وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه و
سلم قال مثل القائم على حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب
بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم
فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا
على ايديهم نجوا جميعا اصل في هذا الباب وهو حجة لمالك واشهب وفيه دليل على ان صاحب
السفل ليس له ان يحدث على صاحب العلو ما يضر به وانه ان احدث عليه ضررا لزمه اصلاحه دون صاحب

العلو وان لصاحب العلو منعه من الضرر لقوله عليه الصلاة والسلام فان اخذوا على ايديهم نجوا جميعًا ولا يجوز اخذ كلا على يد الظالم او ممن هو ممنوع من احداث ما لا يجوز له في السنة وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى في الانفال وفيه دليل على جواز القرعة واستعمالها وقد مضى في آل عمران فتامل كلا في موضعه تجده مبينًا

ولبيوتهم ابوابا اي ولجعلنا لبيوتهم وقيل لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر بالرحمن ابوابا اي من فضة وسررا كذلك وهو جمع السرير وقيل جمع الاسرة والاسرة جمع السرير فيكون جمع الجمع عليها يتكئون الاتكاء والتوكؤ التحامل على الشيء ومنه اتوكؤ عليها ورجل تكاة مثل همزة كثير الاتكاء والتكاة ايضًا ما يتكأ عليه واتكأ على الشيء فهو متكئ والموضع متكأ وطعنه حتى اتكأه على افعله اي القاه على هيئة المتكئ وتوكأت على العصا واصل التاء في جميع ذلك الواو ففعل به ما فعل باتزن واتعد وزخرفا الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس وغيره نظيره او يكون لك بيت من زخرف وقد تقدم وقال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت الدار اي زينتها وتزخرف فلان اي تزين وانتصب زخرفا على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وقيل بنزع الخافض والمعنى لجعلنا لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذفت من قال وزخرفا فنصب وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا قرا عاصم وحمزة وهشام عن ابن عامر وان كل ذلك لما بالتشديد الباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا وروي عن ابي رجا كسر اللام من لما فما عنده بمنزلة الذي والعائد عليها محذوف والتقدير وان كل ذلك للذي هو متاع الحيوة الدنيا وحذف الضمير هيهنا كحذفه في قراءة من قرا مثلا ما بعوضة فما فوقها وتماما على الذي احسن ابو الفتح ينبغي ان تكون على كل هذه القراءة منصوبة لان ان مخففة من الثقيلة وهي اذا خففت وبطل عملها لزمها اللام في اخر الكلام للفرق بينها وبين ان النافية التي بمعنى ما نحو ان زيد لقايم ولا امر هنا سوى الجارة والاخرة عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن اتقى وخاف وقال كعب اني لاجد في بعض كتب الله المنزلة لولا ان يحزن عبدي المؤمن لكللت راس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق بوجع وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا شربة وفي الباب عن ابي هريرة وقال حديث صحيح غريب

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ، اذا لم يكن فيها معاش لظالم ، لقد جاع فيها الانبيا كرامة ، وقد شبعت فيها بطون البهائم ، تمتع من الايام ان كنت حازما ، فانك فيها بين ناه وامر ، اذا ابقت الدنيا على المرء دينه ، فما فاته منها فليس بضائر ، فلم تزن الدنيا جناح بعوضة ، ولا وزن رف من جناح لطائر ، فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ، ولا رضي الدنيا عقابا لكافر ،

قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقرا ابن عباس وعكرمة ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعمى يقال عشي يعشى عشا اذا عمي ورجل اعشى وامراة عشوا اذا كان لا يبصر ومنه

رأيت رجلا عائبا الوافدين ، ومختلف الخلق اعشى ضريرا

الرجل اعشى اضر به ، ريب المنون ودهر مفند خبل

الباقون بالضم من عشا يعشو اذا لحقه ما يلحق الاعشى وقال الخليل العشو هو النظر ببصر ضعيف

متى تاته تعشو الى ضوء ناره ، تجد خير نار عندها خير موقد

لنعم الفتى يعشو الى ضوء ناره ، اذا الريح هبت والمكان جديب

الجوهري والعشى مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل

ببصر

ويبصر بالنهار والمراة عشوا والمراتان عشوا وان واعشاه الله فعشي بالكسر يعشى عشى وهما يعشيان ولم يقولوا يعشوان لان الواو لما صارت في الواحد بالكسرة ما قبلها تركت في التثنية على حالها وتعاشى اذا اري من نفسه انه اعشى والنسبة الى اعشى اعشوي والى العشية عشوي والعشواء الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها على كل شيء وركب فلان العشوا اذا خبط امره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشوا وهذه الاية متصلة بقوله اول السورة افنضرب عنكم الذكر صفحا اي نواصل لكم الذكر فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض عنه الى اقاويل المضلين واباطيلهم نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا جزاء له على كفره فهو له قرين قيل في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويامره بالمعصية وهو معنى قول ابن عباس وقيل في الاخرة اذا قام من قبره قال سعيد الجريري وفي الخبر اذا خرج من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار وان المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه ذكره المهدوي وقال القشيري والصحيح فهو له قرين في الدنيا والاخرة وقال ابو الهيثم والازهري عشوت الى كذا اي قصدته وعشوت عن كذا اي اعرضت عنه فيفرق بين الى وعن مثل ملت اليه وملت عنه وكذا قال قتادة ويعش يعرض وهو قول الفرا النحاس وهو غير معروف في اللغة وقال القرطبي يولي ظهره والمعنى واحد وقال ابو عبيدة والاخفش تظلم عينه وانكر العتبي عشوت بمعنى اعرضت قال وانما الصواب تعاشيت والقول قول ابي الهيثم والازهري وكذلك قال جميع اهل المعرفة وقرا السلمي وابن ابي اسحق ويعقوب وعصمة عن عاصم وعن الاعمش يقيض بالياء لذكر الرحمن اولا اي يقيض له الرحمن شيطانا الباقون بالنون وعن ابن عباس يقيض له شيطانا فهو له قرين اي ملازم ومصاحب وقيل فهو كناية عن الشيطان على ما تقدم وقيل عن الاعراض عن القران اي هو قرين للشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل اي وان الشيطان ليصدهم عن سبيل الهدى وذكر بلفظ الجمع لان من في قوله ومن يعش في معنى الجمع ويحسبون اي ويحسب الكفار انهم مهتدون وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون فيطيعونهم حتى اذا جاءنا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص يعني الكافر يوم القيمة الباقون جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة فيقول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق الصيف كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين ونحو قول قتادة وقراءة التوحيد وان كان ظاهرها الافراد فالمعنى لهما جميعًا لانه قد عرف ذلك بما بعده

مشرق وعين لها حدرة بكدرة ، شقت مآقيهما من اخر ،

قال مقاتل يتمنى الكافر ان بينهما اطول ما بين المشرق الى المغرب اطول يوم في السنة الى اقصر يوم في السنة ولذلك قال بعد المشرقين وقال الفرا اراد المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما كما يقال القمران للشمس والقمر والعمران لابي بكر وعمر والبصرتان للكوفة والبصرة والعصران للغداة والعصر

اخذنا بافاق السماء عليكم ، لنا قمراها والنجوم الطوالع

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ، والعمران ابو بكر ولا عمر ،

فذي من نصر الخبيبين قد ، يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما ابو خبيب عبد الله فبئس القرين اي فبئس الصاحب انت لانه يورده الى النار وقال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به الى النار قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم اي يقول الله للكافر لن ينفعكم اليوم اذا اشركتم في الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي لا تنفع الندامة اليوم انكم بالكسر في العذاب مشتركون وهي قراءة ابن عامر باختلاف عنه الباقون بالفتح وهي في موضع رفع تقديره ولن ينفعكم اشراككم في العذاب لان لكل واحد

نصيبه الاوفى منه اعلم الله تعالى انه منع اهل النار التاسي كما يتاسى اهل المصائب في الدنيا وذلك
ان التاسي يستروح به اهل النار فيقول احدهم لي في البلاء والمصيبة اسوة فيسكن ذلك من حزنه
فلولا كثرة الباكين حولي ، على اخوانهم لقتلت نفسي ، وما يبكون مثل اخي ولكن ،
اعزي عنه عنه بالتاسي ، فاذا كان في الاخرة لم ينفعهم التاسي شيئا لشغلهم بالعذاب وقال مقاتل
لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لان قرناءكم وانتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر قوله تعالى
افانت تسمع الصم او تهدي العمي يا محمد ومن كان في ضلال مبين اي ليس ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا
ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه رد على القدرية وغيرهم وان الهدى والرشد والخذلان
في القلب خلق الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء والله اعلم قوله تعالى فاما نذهبن بك يريد نخرجك
من مكة من اذى قريش فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم وهو الانتقام منهم في حياتك فانا
عليهم مقتدرون قال ابن عباس قد اراه ذلك يوم بدر وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة هي في
اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن ونذهبن بك على هذا نتوفينك وقد
كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله نبيه وذهب به فلم يره في امته الا التي تقر به
عينه وابقى النقمة بعده وليس من نبي الا وقد رأى النقمة في امته روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اري ما لقيت امته من بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله عز وجل وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا
اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوا امره قوله تعالى فاستمسك بالذي اوحي
اليك يريد القران وان كذب به من كذب فانك على صراط مستقيم يوصلك الى الله ورضاه وثوابه وانه
لذكر لك ولقومك يعني القران شرف لك ولقومك من قريش اذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم فالقران نزل بلسان قريش واياهم خاطب فاحتاج اهل اللغة كلها الى
لسانهم كل من امن بذلك فصاروا عيالا لان كل اهل لغة احتاجوا الى ان ياخذوه من لغتهم حتى يقفوا
على المعنى الذي عني به من الامر والنهي وجميع ما فيه من الانباء فشرفوا بذلك على ساير اهل اللغات
ولذلك سمي عربيا وقيل بيان لك ولامتك فيما بكم اليه حاجة وقيل تذكرة تذكرون به امر الدين
تعملون به وقيل وانه لذكر لك ولقومك يعني الخلافة فانها في قريش لا تكون في غيرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم وقال مالك هو قول الرجل حدثني ابي
عن ابيه حكاه ابن ابي سلمة عن ابيه عن مالك ابن انس فيما ذكر الماوردي والثعلبي وغيرهما قال ابن العربي ولم
احد في الاسلام هذه الرتبة لاحد الا ببغداد فان بني التميمي بها يقولون حدثني ابي قال حدثني ابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت اقدارهم وعظم الناس شانهم وتهمت الخلافة بهم ورايت بمدينة
السلام ابني ابي محمد رزق الله بن عبد الوهاب ابي الفرج بن عبد العزيز بن الحارث بن الاسد بن الليث
بن سليمن بن اسود بن سفيان بن يزيد بن اكينة بن عبد الله التميمي وكانا يقولان سمعنا ابانا رزق الله
يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي
يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول وقد سئل عن الحنان المنان فقال
الحنان الذي يقبل على من اعرض عنه والمنان الذي يبدا بالنوال قبل السؤال والقايل سمعت عليا
اكينة بن عبد الله جدهم الاعلى والاقوى ان يكون المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك يعني القران فعليه
انبنى الكلام واليه يرجع المصير قال الماوردي ولقومك فيهم قولان احدهما من اتبعك من امتك قاله قتادة
وذكره الثعلبي عن الحسن الثاني لقومك من قريش فيقال ممن هذا فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال

من قريش

من قريش قاله مجاهد والصحيح انه شرف لمن عمل به كان من قريش او من غيرهم
روي عن ابن عباس قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من سرية او غزاة فدعا فاطمة فقال يا فاطمة
اشتري نفسك من الله فاني لا اغني عنك من الله شيئا وقال مثل ذلك لنسوته وقال مثل ذلك
لعترته ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ما بنو هاشم باولى الناس بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون
انما انتم كرجل وامراة ولا قريش باولى الناس ان اولى الناس المتقون ولا الموالي باولى الناس بامتي
ان اولى الناس بامتي المتقون وانتم كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام يفتخرون بفحم من فحم جهنم او يكونوا شرا عند الله
من الجعلان التي تدفع النتن بانفها كلكم بنو ادم وادم من تراب ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية
وفخرها بالاباء مؤمن تقي وكافر شقي خرجهما الطبري وسياتي لهذا مزيد بيان في الحجرات ان شاء الله
تعالى وسوف تسالون اي عن الشكر عليه قاله مقاتل والفراء وقال ابن جريج اي تسالون انت ومن معك
على ما اتاك وقيل تسالون عما عملتم فيه والمعنى متقارب قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون قال ابن عباس وابن زيد لما اسري برسول الله صلى الله عليه و
سلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له ادم ومن ولد من المرسلين
وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل عليه السلام ثم اقام الصلوة ثم قال يا محمد تقدم
فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبرائيل عليه السلام سل يا محمد من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسال قد
اكتفيت قال ابن عباس وكانوا سبعين نبيا منهم ابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسالهم
لانه كان اعلم بالله منهم في غير رواية عن ابن عباس فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
صفوف المرسلين ثلاثة صفوف والنبيون اربعة صفوف وكان يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابرهيم خليل الله وعلى يمينه اسمعيل وعلى يساره اسحق ثم موسى ثم ساير المسلمين فصلى بهم
ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربي اوحى الي ان اسالكم هل ارسل احد منكم يدعو الى عبادة غير
الله فقالوا يا محمد انا نشهد انا ارسلنا اجمعين بدعوة واحدة ان لا اله الا الله وان ما يعبدون من
دونه باطل وانك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك ايانا وان لا نبي
بعدك الى يوم القيمة الا عيسى بن مريم فانه مامور ان يتبع اثرك وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال لقي الرسل ليلة اسري به وقال الوليد بن مسلم في قوله
تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال سالت عن ذلك خليل بن دعلج فحدثني عن قتادة
قال سالهم ليلة اسري به لقي الانبيا ولقي ادم ومالك خازن النار قلت وهذا هو الصحيح في تفسير
هذه الاية ومن التي قبل رسلنا على هذا القول غير زائدة وقال المبرد وجماعة من العلماء ان المعنى
سل امم من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا وروي في قراءة ابن مسعود واسئل الذين ارسلنا اليهم
قبلك رسلنا وهي قراءة مفسرة فمن على هذا زائدة وهو قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
وعطا والحسن وابن عباس ايضا واسئل مؤمني اهل الكتابين التورية والانجيل وقيل المعنى سلنا
يا محمد عن الانبياء الذين ارسلنا قبلك فحذفت عن والوقف على رسلنا على هذا تام ثم ابتداء با
لاستفهام على طريق الانكار وقيل المعنى وسل تباع من ارسلنا قبلك من رسلنا فحذف المضاف
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اخبر عن الالهة
كما اخبر عمن يعقل فقال يعبدون ولم يقل تعبد ولا تعبدن لان الالهة جرت عندهم مجرى

من يعقل فاجرى الخبر عنهم مجرى الخبر عمن يعقل وسبب هذا الامر بالسؤال ان اليهود والمشركين قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان ما جئت به مخالف لمن كان قبلك فامره الله بسؤال الانبياء على
جهة التوقيف والتقرير لا لانه كان في شك منه واختلف اهل التاويل في سؤال النبي صلى الله عليه
وسلم لهم على قولين احدهما انه سالهم فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد قاله الواقدي الثاني انه
لم يسالهم ليقينه بالله عز وجل حتى قال ابن زيد ان ميكائيل قال لجبريل هل سالك محمد عن ذلك
فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان يسال عن ذلك وقد تقدم هذا المعنى في الروايتين
حسبما ذكرنا قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا لما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم بانه منتقم له من
عدوه واقام الحجة باستشهاد الانبياء واتفاق الكل على التوحيد اكد ذلك بقصة موسى وفرعون
وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الاغراق اي ارسلنا موسى بالمعجزات وهي
التسع الايات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك انت ومعنى يضحكون استهزاء وسخرية
يوهموا اتباعهم ان تلك الايات سحر وتخييل وانهم قادرون عليها وقوله وما نريهم من اية الا
هي اكبر من اختها اي كانت ايات موسى من كبار الايات وكانت كل واحدة اعظم من التي قبلها لان
الاولى تقتضي علما فتنضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح ومعنى الاخوة المشاكلة والمناسبة كما
يقال هذه صاحبة هذه اي هما قرينتان في المعنى واخذناهم بالعذاب اي على تكذيبهم بتلك الايات
وهو كقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون والطوفان
والجراد والقمل والضفادع وكانت هذه الايات الاخيرة عذابا لهم وايات لموسى لعلهم يرجعون
من كفرهم وقالوا يا ايها الساحر لما عاينوا العذاب قالوا يا ايها الساحر نادوه بما كانوا ينادونه من
قبل ذلك على حسب عادتهم وقيل كانوا يسمون العلماء سحرة فنادوه بذلك على سبيل التعظيم قال
ابن عباس يا ايها الساحر يا ايها العالم وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة ذم وقيل
يا ايها الذي غلبنا بسحره يقال ساحرته فسحرته اي غلبته بالسحر كقول العرب خاصمته فخصمته اي
غلبته بالخصومة وفاصلته ففصلته ونحوها ويحتمل ان يكون ارادوا به الساحر على الحقيقة على معنى
الاستفهام فلم يلمهم على ذلك رجاء ان يؤمنوا وقرا ابن عامر وابو حيوة ويحيى والحارث ايه الساحر
بغير الف والهاء مضمومة وعلتها ان الهاء خلطت بما قبلها والزمت ضم الياء الذي وجب النداء المفرد
وانشد الفرا يا ايها القلب اللجوج النفس افق عن البيض الحسان اللعس فضم الهاء حملا على ضم الياء وقد مضى
في النور معنى هذا ووقف ابو عمرو وابن ابي اسحق ويحيى والكسائي ايها بالالف على الاصل الباقون
بغير الف لانها كذلك وقعت في المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان
امنا كشف عنا فسله يكشف عنا اننا لمهتدون اي فيما نستقبل فلما كشفنا عنهم العذاب اي فدعا
فكشفنا اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد الذي جعلوه على انفسهم فلم يؤمنوا وقيل قولهم اننا
لمهتدون اخبار منهم عن انفسهم بالايمان فلما كشفنا عنهم العذاب ارتدوا قوله تعالى ونادى فرعون
في قومه قيل لما راى تلك الايات خاف ميل القوم اليه فجمع قومه فقال فنادى بمعنى قال قاله ابو مالك
فيجوز ان يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط وكانه
نودي بينهم وقيل انه امر من ينادي في قومه قاله ابن جريج قال يا قوم اليس لي ملك مصر اي لا ينازعني
فيه قيل انه ملك منها اربعين فرسخا في مثلها حكاه النقاش وقيل المراد بالملك هنا الاسكندرية
وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر
دمياط ونهر تنيس قال قتادة جنانا وانهارا تجري من تحت قصوره وقيل من تحت سريره وقيل من تحتي

اي تصرفي

اي تصرفي نافذ فيها من غير صانع وقيل كان اذا امسك عنانه امسك النيل عن الجري قال القشيري
ويجوز ظهور خوارق العادة على مدعي الربوبية اذ لا حاجة في تمييز الاله من غير الاله الى فعل خارق العادة
وقيل معنى وهذه الانهار تجري من تحتي اي القواد والرؤساء والجبابرة يسيرون تحت لوائي
قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال وعبر عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجري من
تحتي اي افرقها على اتباعي لان الترغيب والقدرة في الاموال دون الانهار افلا تبصرون عظمتي
وقوتي وضعف موسى وقيل قدرتي على نفقتكم وضعف موسى والواو في وهذه يجوز ان تكون عاطفة
للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها ويجوز ان يكون واو الحال واسم الاشارة مبتدا
والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وفتح الياء من تحتي اهل المدينة والبزي وابو
عمرو واسكن الباقون وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اقل عبيدي فولاها الخصيب
وكان على وضوءه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها
بصره قال هذه القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي عندي اقل
من ان ادخلها فثنى عنانه ثم صرح بخاله فقال ام انا خير قال ابو عبيدة والسدي ام بمعنى بل
ليست بحرف عطف على قول اكثر المفسرين والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير من هذا الذي هو مهين
اي لا عز له فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه ولا يكاد يبين يعني ما كان في لسانه
من العقدة على ما تقدم في طه وقال الفراء في ام وجهان ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي
جعل بام لاتصاله بكلام قبله وان شئت جعلتها نسقا على قوله اليس لي ملك مصر وقيل هي زائدة
وروى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا الذي هو مهين وقال الاخفش
في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون كما قال ايا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا
انت ام ام سالم اي انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا خير وقال الخليل وسيبويه المعنى
افلا تبصرون ام انتم بصراء فعطف بام على افلا تبصرون لان معنى ام انا خير اي ام تبصرون وذلك
انهم اذا قالوا له انت خير منه كانوا عنده بصراء وروي عن عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي انهما
وقفا على ام على ان يكون التقدير افلا تبصرون ام تبصرون فحذف تبصرون الثاني وقيل من وقف
على ام جعلها زائدة وكانه وقف على تبصرون من قوله افلا تبصرون ولا يتم الكلام على تبصرون عند
الخليل وسيبويه لان ام تقتضي الاتصال بما قبلها وقال قوم الوقف على قوله افلا تبصرون ثم
ابتدا ام انا خير بمعنى بل انا خير وانشد الفرا بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها ام انت
في العين املح فمعناه بل انت املح وذكر الفراء ان بعض القراء قرا ام انا خير ومعنى هذا الستخير الوروي
عن مجاهد انه وقف على ام ثم يبتدي انا خير وقد ذكر قوله تعالى فلولا اي هلا القي عليه اساورة من ذهب
انما قال ذلك لانه كان عادة الوقت وزي اهل الشرف وقرا حفص اسورة جمع سوار كخمار واخمرة و
قرا ابي اساور جمع اسوار وابن مسعود اساوير الباقون اساورة جمع الاسورة فهو جمع الجمع ويجوز
ان يكون اساورة جمع اسوار والحقت الهاء في الجمع عوضا من الياء فهو مثل زنادقة وزناديق وبطارقة
وبطاريق وشبههم وقال ابو عمرو بن العلاء واحد الاساورة والاساور والاساوير اسوار وهي لغة
في سوار قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته فقال
فرعون هلا القى رب موسى عليه اساورة من ذهب ان كان صادقا او جاء معه الملائكة مقترنين
يعني متتابعين في قول قتادة مجاهد يمشون معه ابن عباس يعاونونه على من خالفه والمعنى هلا
ضم اليه الملائكة التي يزعم انها عند ربه حتى يتكثر بهم ويصرفهم على امره ونهيه فيكون ذلك اهيب.

في القلوب فاوهم قومه ان رسل الله ينبغي ان يكونوا كرسل الملوك في الشاهد ولم يعلم ان رسل
الله انما ايدوا بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون
مع كثرة اتباعه وامداد موسى بالعصى واليد البيضا كان ابلغ من ان يكون له اسورة وملائكة
يكونون معه اعوانا في قول مقاتل او دليلا على صدقه في قول الكلبي وليس يلزم هذا لان الاعجاز
كاف وقد كان في الجائز ان يكذب مع مجي الملائكة كما كذب مع ظهور الايات وذكر فرعون الملائكة
حكاية عن لفظ موسى لانه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم قوله تعالى ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف
قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم
سلفا ومثلا للاخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير
ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا
لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها
واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا و
كانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما
كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون قوله
تعالى فاستخف قومه قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم
يقال استخفه الفرح اي ازعجه واستخفه اي حمله على الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
وقيل استفزهم بالقول فاطاعوه على التكذيب وقيل استخف قومه فوجدهم خفاف العقول فدعاهم
وهذا لا يدل على انه يجب ان يطيعوه الى الغواية فاطاعوه وقيل استخف اي استخف بقومه وقهرهم حتى
اتبعوه يقال استخفه خلاف استثقله واستخف به اهانه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن
طاعة الله قوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم روى الضحاك عن ابن عباس اي اغاظونا واغضبونا
وروي عن علي بن ابي طلحة اسخطونا قال الماوردي ومعناهما مختلف والفرق بينهما ان السخط اظهار
الكراهة والغضب ارادة الانتقام القشيري والاسف ههنا بمعنى الغضب والغضب من الله اما ارادة
العقوبة فيكون من صفات الذات واما عين العقوبة فيكون من صفات الفعل وهو قول الماوردي
وقال عمر بن ذر يا اهل معاصي الله لا تغتروا فحلم الله عنكم واحذروا اسفه فانه قال فلما اسفونا
انتقمنا منهم وقيل اسفونا اي اغضبوا رسلنا واولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبني اسرائيل وهو كقوله
يؤذون الله ويحاربون الله اي اولياءه ورسله قوله تعالى فجعلناهم سلفا اي جعلنا فرعون سلفا
قال ابو مجاز لمن عمل عملهم ومثلا لمن لم يعمل عملهم وقال مجاهد سلفا اخبارا لامة محمد صلى الله عليه وسلم
ومثلا اي عبرة لهم وعنه ايضا سلفا لكفار قومك يتقدمونهم الى النار قتادة سلفا الى النار ومثلا

عظة

عظة لمن ياتي بعدهم والسلف المتقدم يقال سلف يسلف سلفا مثل طلب طلبا اي تقدم ومضى و
سلف له عمل صالح اي تقدم والقوم السلاف المتقدمون وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع
اسلاف وسلاف وقراءة العامة سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخادم وخدم وراصد و
رصد وحارس وحرس وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف نحو سرير
وسرر وقال ابو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب وثمر وثمر ومعناهما المتقدم وقرا علي وابن مسعود
وعلقمة وابو وايل والنخعي وحميد بن قيس سلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اي فرقة متقدمة
قال المورخ والنضر بن شميل سلفا جمع سلفة نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وظلمة وظلم قوله تعالى
ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قال تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الى قوله يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه الها كما اتخذت النصارى
عيسى ابن مريم الها قاله قتادة ونحوه عن مجاهد قال ان قريشا قالت ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد قوم
عيسى عيسى فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى
الله عليه وسلم في شان عيسى وان الضارب لهذا المثل هو عبد الله بن الزبعري السهمي حالة كفره لما قالت
له قريش ان محمدا يتلو انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية قال لو حضرته لرددت عليه
قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول هذا المسيح يعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا افهما من حصب
جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا انه قد خصم وذلك معنى قوله يصدون فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ولو تامل ابن الزبعري الاية ما اعترض عليها لانه قال وما
تعبدون ولم يقل ومن تعبدون وانما اراد الاصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح والملائكة
وان كانوا معبودين وقد مضى هذا في اخر سورة الانبياء وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لقريش يا معشر قريش لا خير في احد يعبد من دون الله قالوا اليس تزعم ان عيسى كان عبدا نبيا
وعبدا صالحا فان كان كما تزعم فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا
اذا قومك منه يصدون اي يضجون كضجيج الابل عند حمل الاثقال قرا نافع وابن عامر والكسائي يصدون
بضم الصاد ومعناه يعرضون قاله النخعي وكسر الباقون قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون
وينمون وينمون ومعناه يضجون قال الجوهري وصد يصد ويصد صديدا اي ضج وقيل انه بالضم من الصدود
وهو الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال ابو عبيد لو كانت من
الصدود عن الحق لكانت اذا قومك عنه يصدون الفراء هما سواء منه وعنه وقال ابن المسيب يصدون
يصيحون الضحاك يعجون ابن عباس يضحكون ابو عبيدة من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى من اجل المثل
يعدلون ولا يعدى يصدون بمن ومن كسر فمعناه يضجون فمن متصلة بيصدون والمعنى يضجون منه
انتهى وقالوا ءالهتنا خير ام هو اي الهتنا خير ام عيسى قاله السدي وقال خاصموه وقالوا ان
كان كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا مع عيسى والملائكة وعزير فانزل الله ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى الى قوله مبعدون الاية وقال قتادة ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
وفي قراءة ابن مسعود الهتنا خير ام هذا وهو يقوي قول قتادة فهو استفهام تقرير في ان الهتهم
خير وقرا الكوفيون ويعقوب االهتنا بتخفيف الهمزة ولين الباقون وقد تقدم ما ضربوه لك الا
جدلا حال اي جدلين يعني ما ضربوا لك هذا المثل الا ارادة الجدل لانهم علموا ان المراد بحصب جهنم
ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصمون مجادلون بالباطل وفي صحيح الترمذي عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون **قوله تعالى** ان هو الا عبد انعمنا
عليه اي ما عيسى الا عبد انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني اسرائيل اي اية وعبرة يستدل بها
على قدرة الله تعالى فان عيسى كان من غير اب ثم جعل اليه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص و
الاسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع ان بني اسرائيل كانوا يومئذ خير خلق الله واحبه الى الله عز و
جل والناس دونهم ليس احد عند الله مثلهم وقيل المراد بالعبد المنعم عليه وسلم والاول اظهر و
لو نشاء لجعلنا منكم اي بدلا منكم ملائكة يكونون خلفاء عنكم قال السدي ونحوه عن مجاهد قال ملائكة
يعمرون الارض بعدكم بدلا منكم وقال الازهري ان من قد تكون للبدل بدليل هذه الاية **قلت** قد تقدم
هذا المعنى في براءة وغيرها وقيل لو نشاء لجعلنا من الملائكة ملائكة وان لم تجر العادة بذلك والجواهر
جنس واحد والاختلاف بالاوصاف والمعنى ولو نشاء لاسكنا الارض الملائكة وليس في اسكاننا اياهم
السماء شرف حتى يعبدوا ويقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون يخلف بعضهم بعضا قاله ابن عباس **قوله
تعالى** وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير يريد القرآن لانه يدل على قرب
مجيء الساعة او به تعلم الساعة واحوالها واهوالها وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي و
قتادة ايضا انه خروج عيسى عليه السلام وذلك من علامات الساعة لان الله ينزله من السماء قبل قيام الساعة
كما ان خروج الدجال من علامات الساعة وقرا ابن عباس وابو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك
وانه لعلم للساعة بفتح العين واللام اي امارة وقد روي عن عكرمة وانه للعلم بلامين وذلك خلاف
للمصاحف وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابرهيم و
موسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدؤا بابرهيم فسالوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم
سالوا موسى فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث الى عيسى بن مريم قال قد عهد الي فيما دون وجبتها فاما
وجبتها فلا يعلمها الا الله عز وجل فذكر خروج الدجال قال فانزل فاقتله وذكر الحديث خرجه ابن
ماجة في سننه وفي صحيح مسلم فبينما هو كذلك يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند
المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا
رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه
حتى يدركه بباب لد فيقتله الحديث وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم عليه السلم على ثنية من الارض المقدسة يقال لها افيق بين ممصرتين
وشعر راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر و
الامام يؤمهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل
الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وعن خالد عن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى
الناس بعيسى بن مريم وانه ليس بيني وبينه نبي وانه اول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل
الناس على الاسلام قال الماوردي وحكى ابن عيسى عن قوم انهم قالوا اذا نزل عيسى رفع التكليف
لئلا يكون رسولا الى ذلك الزمان يامرهم عن الله تعالى وينهاهم عنه وهذا قول مردود لثلاثة
امور منها الحديث ولان بقاء الدنيا يقتضي التكليف فيها ولانه ينزل امرا بمعروف وناهيا عن منكر
وليس يستنكر ان يكون امر الله تعالى له مقصورا على تاييد الاسلام والامر به والدعاء اليه **قلت** قد ثبت
في صحيح مسلم وابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها وليذهبن

الشحناء

الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب
تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال علماؤنا
رحمة الله عليهم فهذا نص على انه مجدد لدين النبي صلى الله عليه وسلم الذي درس منه لا بشرع
مبتدا والتكليف باق على ما بيناه هنا وفي كتاب التذكرة وقيل انه لعلم للساعة اي وان احياء عيسى
الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن اسحق **قلت** ويحتمل ان يكون المعنى وانه وان محمدا صلى الله
عليه وسلم لعلم للساعة بدليل قوله عليه الصلوة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة
والوسطى خرجه البخاري ومسلم وقال الحسن ان اول اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم فلا تمترن
بها اي فلا تشكون فيها يعني الساعة قاله يحيى بن سلام وقال السدي فلا تكذبون بها ولا تجادلون
فيها فانها كائنة لا محالة واتبعون اي في التوحيد وفيما ابلغكم عن الله هذا صراط مستقيم اي
طريق قويم الى الله اي الى جنته واثبت الياء يعقوب في قوله واتبعون فكذلك واطيعون وابو
عمرو واسمعيل عن نافع في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ولا يصدنكم الشيطان
اي لا تغتروا بوساوسه وشبه الكفار المجادلين فان شرائع الانبياء لم تختلف في التوحيد ولا
فيما اخبروا به من علم الساعة وغيرها مما تضمنته من جنة ونار انه لكم عدو مبين تقدم في البقرة و
غيرها **قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات قال ابن عباس يريد احياء الموتى وابراء الاسقام و
خلق الطير والمائدة وغيرها والاخبار بكثير من الغيوب وقال قتادة البينات هنا الانجيل
قال قد جئتكم بالحكمة اي النبوة قاله السدي ابن عباس علم ما يؤدي الى الجميل ويكف عن القبيح
وقيل الانجيل ذكره القشيري والماوردي ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال مجاهد من
تبديل التورية الزجاج المعنى لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا
اليه وقيل بين لهم بعض الذي اختلفوا فيه من احكام التورية على قدر ما سالوه ويجوز ان يختلفوا
في اشياء غير ذلك لم يسالوه عنها وقيل ان بني اسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في اشياء من
امر دينهم فبين امر دينهم ومذهب ابي عبيدة ان البعض بمعنى الكل ومنه قوله تعالى يصبكم بعض
الذي يعدكم **وانشد الاخفش قول لبيد** تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها
والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ويقال للمنية علوق وعلاقة **قال المفضل البكري**
وسائلة بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم
عليكم اي ما احل في الانجيل مما كان محرما في التورية كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك
يوم السبت فاتقوا الله اي اتقوا الشرك ولا تعبدوا الا الله وحده واذا كان هذا قول عيسى فكيف
يجوز ان يكون الها وابنا له واطيعون فيما ادعوكم اليه من التوحيد وغيره ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي عبادة الله صراط مستقيم وما سواه معوج لا يؤدي سالكه الى
الحق انتهى **وقوله تعالى** فاختلف الاحزاب من بينهم قال قتادة يعني ما بينهم وفيه قولان احدهما انهم
اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدي الثاني فرق من
النصارى من النسطورية والملكية واليعاقبة اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله
وقالت اليعاقبة هو الله وقالت الملكية ثالث ثلثة احدهم الله قاله الكلبي ومقاتل وقد مضى هذا في
مريم فويل للذين ظلموا اي كفروا واشركوا كما في مريم من عذاب يوم اليم اي اليم عذابه ومثله ليل نائم
اي ينام فيه هل ينظرون اي يريد الاحزاب لا ينتظرون الا الساعة يريد يوم القيمة ان تاتيهم بغتة

اي فجاة وهم لا يشعرون يفطنون وقد مضى في غير موضع وقيل المعنى لا ينتظر مشركوا العرب الا
الساعة ويكون الاحزاب على هذا الاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه من
المشركين ويتصل هذا بقوله ما ضربوه لك الا جدلا الاخلاء يومئذ بعضهم يريد يوم القيمة بعضهم
لبعض عدو اي اعداء يعادي بعضهم بعضا الا المتقين فانهم اخلاء في الدنيا والاخرة وقال معناه ابن
عباس ومجاهد وغيرهما وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في امية بن خلف الجمحي وعقبة بن ابي معيط
كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد صبا عقبة بن ابي معيط
فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبي
صلى الله عليه وسلم قتله فقتله يوم بدر صبرا وقتل امية في المعركة وفيهم نزلت الاية وذكر
الثعلبي عن علي رضي الله عنه في هذه الاية قال كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين
فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يامرني بالخير وينهاني عن الشر
ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله
المؤمن جمع الله بينهما فيقول الله ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بطاعتك
وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول الله تعالى نعم الخليل
انت ونعم الاخ ونعم الصاحب كان قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن
طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فاسالك يا رب ان
لا تهده بعدي وان تضله كما اضللتني وان تهينه كما اهنتني فاذا مات خليله الكافر قال الله تعالى
لهما ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بمعصيتك ومعصية رسولك و
يامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فاسالك يا رب ان تضاعف عليه العذاب
فيقول الله تعالى بئس الصاحب والاخ والخليل كنت فيلعن كل واحد منكما صاحبه قلت والاية
عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومضل قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون قال
مقاتل ورواه المعتمر بن سليمان عن ابيه ينادي مناد في العرصات يا عبادي لا خوف عليكم فيرفع
اهل العرصة رؤسهم فيقول المنادي الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان
رؤسهم غير المسلمين وذكر المحاسبي في الرعاية وقد روي في هذا الحديث ان المنادي ينادي يوم
القيمة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فيرفع الخلايق رؤسهم فيقولون نحن عباد الله ثم
ينادي الثانية الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ويبقى اهل التقوى رافعي
رؤسهم قد ازال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لانه اكرم الاكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند
الهلكة وقرئ يا عباد قوله تعالى الذين امنوا قال الزجاج الذين نصب على النعت لعبادي لان عبادي
منادى مضاف وقيل الذين امنوا ابتدا وخبره محذوف تقديره هم الذين امنوا والذين امنوا يقال
لهم ادخلوا الجنة وقرا ابو بكر وزر بن حبيش يا عبادي بفتح اليا واثباتها في الحالين وكذلك
اثبتها نافع وابن عامر وابو عمرو ورويس ساكنة في الحالين وحذفها الباقون في الحالين لانها وقعت
مثبتة في مصاحف المدينة والشام لا غير ادخلوا الجنة اي يقال لهم ادخلوا الجنة او يا عبادي
الذين امنوا ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المسلمات في الدنيا وقيل قرناؤكم من المؤمنين وقيل
زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون قاله ابن عباس والكرامة في المنزلة الحسنة تفرحون والفرح
في القلب قتادة تنعمون والنعيم في البدن مجاهد تسرون والسرور في العين ابن ابي نجيح تعجبون والعجب
هيهنا درك ما يستطرف يحيى ابن كثير هو التلذذ بالسماع وقد مضى هذا في الروم قوله تعالى

يطاف

يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب فيه اربع مسائل قوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب اي لهم في الجنة اطعمة واشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب واكواب ولم تذكر
الاطعمة والاشربة لانه يعلم انه لا معنى للاطافة بالصحاف والاكواب من غير ان يكون فيها شيء وذكر الذهب
في الصحاف واستغنى به عن الاعادة في الاكواب كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الصحيح عن حذيفة
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في انية الذهب والفضة
ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة وقد مضى في سورة الحج ان من اكل فيهما في الدنيا او
لبس الحرير في الدنيا ولم يتب حرم ذلك في الاخرة تحريما مؤبدا والله اعلم وقال المفسرون يطوف على ادناهم
في الجنة منزلة سبعون الف غلام بسبعين الف صحفة من ذهب يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون
ليس في صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها لا يشبه بعضه
بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف على ارفعهم درجة كل يوم سبعمائة الف غلام مع كل غلام صحفة
من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل من اولها لا يشبه بعضه بعضا و
اكواب اي يطاف عليهم باكواب كما قال ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب وذكر ابن المبارك قال
حدثنا معمر عن رجل عن ابي قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان في اخر ذلك اتوا بالشراب
الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم اطيب من ريح المسك ثم قرا شرابا طهورا وفي
صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة
ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح
كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير في رواية كما يلهمون النفس الثانية روى الايمة
من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في
بطنه نار جهنم وقال لا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها وهذا يقتضي التحريم
ولا خلاف في ذلك واختلف الناس في استعمالها في غير ذلك قال ابن العربي والصحيح انه لا يجوز للرجال
استعمالها في شيء لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها
والنهي عن الاكل والشرب فيهما يدل على تحريم استعمالهما لانه نوع من المتاع فلم يجز اصله الاكل والشرب
ولان العلة في ذلك استعجال امر الاخرة ولذلك يستوي فيه الاكل والشرب وساير اجزاء الانتفاع
ولانه صلى الله عليه وسلم قال هي لهم في الدنيا ولنا في الاخرة فلم يجعل لنا حظا منهما في الدنيا الثالثة
اذا كان الاناء مضببا بهما او فيه حلقة منهما فقال مالك لا يعجبني ان يشرب فيه وكذلك المراة يكون
فيها حلقة من الفضة ولا يعجبني ان ينظر فيها وجهه وقد كان عند انس مضبب بفضة وقال لقد
سقيت النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين كانت فيه حلقة حديد فاراد انس ان يجعل فيه حلقة فضة
فقال ابو طلحة لا اغير شيئا مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه الرابعة اذا لم يجز استعمالها
لم يجز اقتناؤها لان ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناؤه كالصنم والطنبور وفي كتب علمائنا انه
يلزم الغرم في قيمتها المركسرها وهو معنى فاسد فان كسرها واجب فلا ثمن لقيمتها ولا يجوز تقويمها
في الزكاة بحال وغير هذا لا يلتفت اليه قوله تعالى بصحاف قال الجوهري الصحفة كالقصعة والجمع صحاف
قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم
المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والصحفة الكبار والجمع صحف وصحائف
قوله تعالى واكواب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع اكواب قال الاعشى يصف الخمر صريفية طيب
طعمها لها زبد بين كوب ودن وقال اخر متكئا تصفق ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب وقال قتادة

الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب
الاباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي الاباريق التي ليست لها عرى وقال مجاهد انها الانية المدورة
الافواه السدي هي التي لا اذن لها ابن عزيز اكواب اباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب قلت
وهو معنى قول مجاهد والسدي وهو مذهب اهل اللغة انها لا اذن لها ولا عرى قوله تعالى وفيها ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين روى الترمذي عن سليمن عن بريدة عن ابيه ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل فقال ان الله تعالى ادخلك الجنة فلا تشاء ان تحمل
فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت قال وساله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من
ابل قال فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك
ولذت عينك وقرا اهل المدينة وابن عامر واهل الشام وفيها ما تشتهيه الانفس الباقون تشتهي
الانفس اي تشتهيه الانفس تقول الذي ضربت زيدا اي الذي ضربته زيد وتلذ الاعين تقول لذا
الشيء يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت بالشيء الذ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل لذاذا ولذاذة
اي وجدته لذيذا والتذذت به وتلذذت به بمعنى اي في الجنة ما تستلذه العين فكان حسن المنظر
وقال سعيد بن جبير وتلذ الاعين النظر الى وجه الله عز وجل كما في الخبر اسالك لذة النظر الى وجهك و
انتم فيها خالدون باقون دايمون لانها لو انقطعت لتبغضت قوله تعالى وتلك الجنة اي يقال لهم
هذه تلك الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا وقال ابن خالويه اشار تعالى الى الجنه بتلك والى
جهنم بهذه ليخوف بجهنم ويؤكد التحذير منها وجعلها بالاشارة القريبة كالحاضرة التي ينظر اليها
التي اورثتموها بما كنتم تعملون قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم
والمسلم يرث جنة الكافر وقد تقدم هذا مرفوعا في قد افلح المؤمنون من حديث ابي هريرة وفي الاعراف
ايضا قوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون الفاكهة معروفة واجناسها الفواكه والفاكهاني الذي
يبيعها وقال ابن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها اي لهم في الجنة سوى الطعام والشراب فاكهة
كثيرة ياكلون منها قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر احوال اهل الجنة ذكر احوال اهل
النار ايضا ليبين فضل المطيع على العاصي لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون
اي ايسوا من الرحمة وقيل ساكتون سكوت اياس وقد مضى في الانعام وما ظلمناهم بالعذاب ولكن
كانوا هم الظالمين بالرفع على الابتداء والخبر والجملة خبر كان قوله تعالى ونادوا يا مالك وهو خازن
جهنم خلقه لغضبه اذا زجر النار زجرة اكل بعضها بعضا وقرا علي وابن مسعود رضي الله عنهما ونادوا
يا مال وذلك خلاف المصحف وقال ابو الدرداء وابن مسعود قرا النبي صلى الله عليه وسلم ونادوا يا مال
باللام خاصة يعني رخم الاسم وحذف الكاف والترخيم ومنه ترخيم الاسم في النداء وهو ان يحذف من اخره
حرفا واكثر فيقول في مالك يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم وفي عايشة يا عايش وفي
مروان يا مرو وهكذا قال يا حار لا ارمين منكم بداهية . لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك قال امرؤ القيس
احار ترى برقا اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل وقال ايضا افاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي وقال الاخر يا مروان مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لم ييأس
وفي صحيح الحديث اي فل هلم ولك في اخر الاسم المرخم وجهان احدهما ان تبقيه على ما كان عليه قبل
الحذف والاخر ان تبنيه على الضم مثل يا زيد كانك انزلته منزلته ولم تراع المحذوف وذكر ابو بكر
الانباري قال حدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا محمد وهو ابن سعدان قال حدثنا حجاج عن شعبة
عن الحكم بن عيينة عن مجاهد قال كنا لا ندري ما الزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله بيت من

ذهب

ذهب وكنا لا ندري ونادوا يا مالك او يا ملك بفتح اللام وكسرها حتى وجدناه في قراءة عبد الله و
نادوا يا مال على الترخيم قال ابو بكر لا يعمل على هذا الحديث لانه مقطوع لا يقبل مثله في الرواية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله احق ان يحتاط له وينفى عنه الباطل قلت في صحيح
البخاري عن صفوان بن يعلى عن ابيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا
مالك ليقض علينا ربك باثبات الكاف وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار
استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا
وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى اقصاها كما يرى ادناها
فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قالوا سالوه الموت قال فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة قال
والسنة ستون وثلاثمائة يوم والشهر ثلثون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ عليهم
بعد الثمانين فقال انكم ماكثون وذكر الحديث ذكره ابن المبارك وفي حديث ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم
ماكثون قال الاعمش نبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام خرجه الترمذي و
قال ابن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم الف سنة ثم يقول انكم ماكثون مجاهد ونوف البكالي بين
ندائهم واجابته اياهم مائة سنة وقال عبد الله بن عمرو اربعون سنة ذكره ابن المبارك و
الله اعلم قوله تعالى لقد جئناكم بالحق يحتمل ان يكون هذا من قول مالك لهم اي انكم ماكثون في
النار لانا جئناكم بالحق في الدنيا فلم تقبلوا ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى لهم اليوم اي
بينا لكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل ولكن اكثركم قال ابن عباس ولكن اكثركم اي ولكن كلكم وقيل اراد
بالكثرة الرؤساء والقادة منهم واما الاتباع فما كان لهم اثر للحق اي للاسلام ودين الله كارهون
قوله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة حين استقر امرهم على ما اشار به ابو جهل عليهم ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في
قتله فتضعف المطالبة بدمه فنزلت هذه الاية وقتل الله جميعهم ببدر ابرموا احكموا والابرام الاحكام
ابرمت الشيء احكمته وابرم الفتال اذا احكم الفتل وهو الفتل الثاني والاول سحيل كما قال من سحيل
ومبرم فالمعنى انهم احكموا كيدا فانا محكمون لهم كيدا قاله ابن زيد ومجاهد وقتادة ام ابرموا اي اجمعوا على
التكذيب فانا مجمعون على التكذيب بالبعث الكلبي ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم بالعذاب وام بمعنى بل
وقيل ام ابرموا عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقيل اي ولقد جئناكم بالحق فلم
تسمعوا ام سمعوا فاعرضوا لانهم في انفسهم ابرموا امرا امنوا به العقاب قوله تعالى ام يحسبون انا لا
نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون و
قيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قوله ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجويهم اي ما يسرون في انفسهم ويتناجون به بلى نسمع ونعلم ورسلنا لديهم يكتبون

اي الحفظة عندهم يكتبون عليهم وروي ان هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها
فقال احدهم اترى ان الله يسمع كلامنا وقال الثاني اذا جهرتم سمع واذا اسررتم لم يسمع وقال
الثالث اذا كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قاله محمد بن كعب وقد مضى هذا المعنى عن
ابن مسعود في سورة فصلت قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف في معناه
فقال ابن عباس والحسن والسدي المعنى ما كان للرحمن ولد فان بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ثم يبتدي
فانا اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة على انه لا ولد له والوقف على العابدين تام وقيل المعنى
قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد وهو كما تقول لمن
تناظره ان ثبت ما قلت بالدليل فانا اول من يعتقده وهذا مبالغة في الاستبعاد اي لا سبيل الى
اعتقاده وهو ترقيق في الكلام كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين والمعنى على هذا فانا اول
العابدين لذلك الولد لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال مجاهد المعنى ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين اي اول من عبده وحده على انه لا ولد له وقال السدي ايضا المعنى لو كان له ولد كنت اول
من عبده على ان له ولدا ولكن لا ينبغي ذلك قال المهدوي فان على هذه الاقوال للشرط وهو الاجود و
هو اختيار الطبري لان كونها بمعنى ما يتوهم معه ان المعنى لم يكن له فيما مضى وقيل ان معنى العابدين
الانفين وقال بعض العلماء لو كان كذلك لكان العبدين وكذلك قرا ابو عبد الرحمن اليماني انا اول
العبدين بغير الف يقال عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة
عن ابي زيد قال الفرزدق اولئك اجلاسي فجئني بمثلهم ، واعبد ان اهجو كليبا بدارم وينشد ايضا
اولاك اناس لو هجوني هجوتهم واعبد ان يهجى كليب بدارم قال الجوهري وقال ابو عمرو وقوله فانا اول
العابدين من الانف والغضب وقاله الكسائي والقتبي حكاه الماوردي عنهما وقال الهروي وقوله تعالى
فانا اول العابدين قيل هو من عبد يعبد اي من الانفين وقال ابن عرفة انما يقال عبد يعبد فهو عبد
وقلما يقال عابد والقران لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ ولكن المعنى فانا اول من يعبد الله عز و
جل على انه واحد ولا ولد له وروي ان امراة دخلت على زوجها فولدت منه لستة اشهر فذكر ذلك
لعثمان فامر برجمها فقال له علي قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال في اية اخرى وفصاله
في عامين فوالله ما عبد عثمان ان بعث اليها ترد قال عبد الله بن وهب يعني ما استنكف ولا انف و
قال ابن الاعرابي اول العابدين اي الغضاب الانفين وقيل فانا اول العابدين اي انا اول من يعبده على
الوحدانية مخالفا لكم ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدني حقي وقرا اهل الكوفة الا عاصما ولد بضم
الواو واسكان اللام الباقون وعاصم ولد وقد تقدم سبحان رب السموات والارض اي تنزيها له
وتقديسا نزه نفسه عن كل ما يقتضي الحدوث وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما يصفون
اي عما يقولون من الكذب قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا يعني كفار مكة حين كذبوا بعذاب
الاخرة اي اتركهم يخوضوا ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اما العذاب في الدنيا
او في الاخرة وقيل ان هذا منسوخ باية السيف وقيل هو محكم وانما خرج مخرج التهديد وقرا ابن
محيصن ومجاهد وحميد وابن القعقاع وابن السميقع حتى يلقوا بفتح اليا واسكان اللام من غير الف
وفتح القاف هنا وفي الطور والمعارج الباقون يلاقوا قوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض
اله هذا تكذيب لهم في ان لله شريكا وولدا اي هو المستحق للعبادة في السما والارض وقال عمر رضي الله
عنه وغيره المعنى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وكذلك قرا والمعنى انه يعبد فيهما وروي
انه قرا هو وابن مسعود وغيرهما وهو الذي في السما الله وفي الارض الله وهذا خلاف المصحف والرفع

على انه خبر مبتدا محذوف اي وهو الذي في السما هو اله قاله ابو علي وحسن حذفه لطول الكلام وقيل
في بمعنى على كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل اي هو القادر على السماء والارض وهو الحكيم
العليم تقدم قوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما تبارك تفاعل من
البركة وقد تقدم وعنده علم الساعة اي وقت قيامها واليه ترجعون قرا ابن كثير وحمزة والكسائي
واليه يرجعون باليا الباقون بالتاء وكان ابن محيصن وحميد ويعقوب وابن ابي اسحق يفتحون ،
اوله على اصولهم الباقون قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الاية فيه مسئلتان
الاولى قوله الا من شهد بالحق من في موضع الخفض واراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزيرا والملائكة
والمعنى ولا يملك هؤلاء الشفاعة الا من شهد بالحق وامن على علم وبصيرة قاله سعيد بن جبير وغيره قال
وشهادة الحق لا اله الا الله وقيل من في محل رفع اي ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة يعني
الالهة في قوله قتادة اي لا يشفعون لعابديها الا من شهد بالحق يعني عزيرا وعيسى والملائكة فانهم
يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به وقيل انها نزلت بسبب ان
النضر بن الحارث ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم احق
بالشفاعة لنا منه فانزل الله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق اي شهد
ان لا اله الا الله اي اعتقدوا ان الملائكة والاصنام تشفع ولا شفاعة لاحد يوم القيمة الا من شهد
بالحق يعني المؤمنين اذا اذن لهم وقال ابن عباس الا من شهد بالحق اي شهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقيل اي لا يملك هؤلاء العابدون من دون الله ان يشفع لهم احد الا من شهد بالحق فان
من شهد بالحق يشفع له ولا يشفع لمشرك ولا معنى لكن اي لا ينال المشركون الشفاعة لكن ينال الشفاعة من
شهد بالحق فهو استثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله
الملائكة ويقال شفعته وشفعت له مثل كلته وكلت له وقد مضى في البقرة معنى الشفاعة و
اشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل الا من شهد بالحق الا من شهد له الملائكة بانه كان على الحق في
الدنيا مع علمهم بذلك منه بان يكون الله اخبرهم به او بان شاهدوه على الايمان الثانية قوله تعالى
الا من شهد بالحق وهم يعلمون يدل على انه معنيين احدهما ان الشهادة بالحق غير نافعة الا مع العلم
وان التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة والثاني ان شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها
ان يكون عالما بها ونحوه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع و
قد مضى في البقرة قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله اي لاقروا بان الله خالقهم بعد ان
لم يكونوا شيئا فانى يؤفكون اي كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون عنها حتى اشركوا به غيره رجاء
شفاعتهم له يقال افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا
عن الهتنا وقيل اي ولئن سالت الملائكة وعيسى من خلقهم لقالوا الله فانى يؤفكون اي فانى يؤفك
هؤلاء في ادعائهم اياهم الهة قوله تعالى وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون في قيله ثلاث قراءات
النصب والجر والرفع فاما الجر فهي قراءة عاصم وحمزة وبقية السبعة بالنصب واما الرفع فهي قراءة
الاعرج وقتادة وابن هرمز ومسلم بن جندب فمن جر حمله على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله ومن
نصب فعلى معنى وعنده علم الساعة ويعلم قيله وهذا اختيار الزجاج وقال الزجاج قال الفرا والاخفش
يجوز ان يكون قيله عطفا على قوله انا لا نسمع سرهم ونجويهم قال ابن الانباري سالت ابا العباس
احمد بن يحيى المبرد باي شي ينتصب القيل فقال انصبه على وعنده علم الساعة ويعلم قيله فمن
هذا الوجه لا يحسن الوقف على ترجعون ولا على تعلمون ويحسن الوقف على يكتبون واجاز الفرا ان

الاخفش ايضا ان ينصب القيل على معنى لا نسمع سرهم ونجويهم وقيله كما ذكرنا عنهما فهذا الوجه لا يحسن
الوقف على يكتبون واجاز الفرا والاخفش ايضا ان ينتصب على المصدر كانه قال وقال قيله وشكى شكواه
الى الله تعالى كما قال كعب بن زهير يمشي الوشاة جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اراد و
يقولون قيلهم ومن رفع قيله فالتقدير وعنده قيله او وقيله مسموع او وقيله هذا القول الزمخشري
والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا
مع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على
قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه
قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون المهدوي او يكون على تقدير
وقيله قيله يا رب فحذف قيله الاول الذي هو خبر وموضع يا رب نصب بالخبر المضمر ولا يمتنع ذلك
من حيث امتنع حذف بعض الموصول وبقا بعضه لان حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور والهاء
في قيله لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد جرى ذكره اذ قال قل ان كان للرحمن ولد وقرا ابو قلابة
يا رب بفتح الباء والقيل مصدر كالقول ومنه الخبر نهى عن قيل وقال ويقال قلت قولا وقيلا وقالا وفي النسا
ومن اصدق من الله قيلا قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قال قتادة امره بالصفح عنهم
ثم امره بقتالهم فصار الصفح عنهم منسوخا بالسيف ونحوه عن ابن عباس قال فاصفح عنهم اي اعرض
عنهم وقل سلام اي معروفا اي قل للمشركين اهل مكة فسوف يعلمون ثم نسخ هذا في سورة براءة بقوله تعالى
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقيل هي محكمة لم تنسخ وفي قراءة العامة فسوف يعلمون بالياء على
انه خبر من الله تعالى لنبيه بالتهديد وقرا نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على انه من خطاب النبي صلى الله عليه
وسلم للمشركين بالتهديد وسلام رفع باضمار عليكم قال الفرا ومعناه الامر بتوديعهم بالسلام ولم
يجعله تحية لهم حكاه النقاش وروى شعيب بن الحبحاب انه عرفه بذلك كيف السلام عليهم والله اعلم سورة
الدخان وهي سبع وخمسون وقيل تسع مكية باتفاق الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب وهي سبع وخمسون
اية وقيل تسع وفي مسند الدارمي عن ابي رافع قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج
من الحور العين ورفعه الثعلبي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة
الجمعة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من قرا حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا
كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السما
بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى
وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت
بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي
ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا
منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد

اخترناهم

اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي
الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا باباينا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا
بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله حم والكتاب المبين ان جعلت حم جواب القسم تم الكلام عند قوله
المبين ثم يبتدي انا انزلناه وان جعلت انا كنا منذرين جواب القسم الذي هو الكتاب وقفت على
منذرين وابتدات فيها يفرق كل امر حكيم وقيل الجواب انا انزلناه وانكره بعض النحويين من حيث كان
صفة للمقسم به ولا يكون صفة المقسم به جوابا للقسم والهاء في انا انزلناه للقران ومن قال اقسم
بسائر الكتب فقوله انا انزلناه كنى به عن غير القران على ما تقدم بيانه في الزخرف والليلة المباركة
ليلة القدر ويقال ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراءة و
ليلة الصك وليلة القدر ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات
والثواب روى قتادة عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من
رمضان وانزلت التورية لست مضين من رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان
وانزل القران لاربع وعشرين من رمضان ثم قيل انزل القران كله الى السما الدنيا في هذه الليلة
ثم انزل نجوما في سائر الايام على حسب اتفاق الاسباب وقيل كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في
سائر السنة وقيل كان ابتداء الانزال في هذه الليلة وقال عكرمة الليلة المباركة هاهنا ليلة
النصف من شعبان والاول اصح لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال قتادة وابن زيد انزل
الله القران كله في ليلة القدر من ام الكتاب الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم انزل الله على نبيه صلى
الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلاث وعشرين سنة وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله
شهر رمضان الاية ويأتي انفا ان شاء الله تعالى قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم قال ابن عباس
يحكم الله امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من حيوة او موت او رزق وقال قتادة ومجاهد
والحسن وغيرهم وقيل الا الشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران قاله ابن عمر قال المهدوي و
معنى هذا القول امر الله عز وجل الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل
وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحيا من الاموات ويكتب
الحاج فلا يزاد عليهم احد ولا ينقص منهم احد وروى عثمان بن المغيرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فان الله ينزل
لغروب الشمس الى سماء الدنيا يقول الا مستغفر فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا
كذا الا كذا حتى يطلع الفجر ذكره الثعلبي وخرج الترمذي بمعناه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي
الباب عن ابي بكر الصديق قال ابو عيسى حديث عائشة لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحجاج بن ارطاه
عن يحيى بن ابي كثير لم يسمع عن عروة والحجاج بن ارطاة لم يسمع من يحيى بن كثير قلت وقد ذكر حديث عائشة
مطولا صاحب كتاب العروس واختار ان الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة النصف من شعبان وانها
تسمى ليلة البراءة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضع وان الصحيح انما هي ليلة القدر على ما
بيناه روى حماد بن سلمة قال اخبرنا ربيعة بن كلثوم قال سال رجل الحسن وانا عنده فقال يا ابا سعيد ارايت
ليلة القدر في كل رمضان هي قال اي والذي لا اله الا هو انها لفي كل رمضان انها الليلة التي يفرق فيها

كل امر حكيم فيها يقضي الله كل خلق واجل ورزق وعمل الى مثلها وقال ابن عباس يكتب من ام الكتاب
في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان ويحج فلان و
قال في هذه الاية انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وهذه الابانة لاحكام
السنة انما هي للملائكة الموكلين باسباب الخلق وقد ذكرنا هذا المعنى انفا وقال ابن العربي وجمهور
العلما على انها ليلة القدر ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وهو باطل لان الله تعالى قال
في كتابه الصادق القاطع شهر رمضان الذي انزل فيه القران فنص على ان ميقات نزوله رمضان ثم
عين من زمانه الليل هاهنا بقوله في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد اعظم الفرية على الله و
ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الاجال فيها فلا تلتفتوا
اليها الزمخشري وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في
ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل و
الصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب
الى ملك الموت وعن بعضهم يعطي كل عالم بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته
وقري يفرق بالتشديد ويفرق على بناء الفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد بن علي نفرق
بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة قوله تعالى امرا من عندنا قال
النقاش الامر هو القران انزله الله من عنده وقال ابن عيسى هو ما قضيه الله في الليلة المباركة من احوال
عباده وهو مصدر في موضع الحال وكذلك رحمة من ربك وهما عند الاخفش حالان تقديرهما انزلناه
امرا منا ورحمين المبرد امرا في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا الفرا والزجاج امرا نصب بيفرق مثل
قولك يفرق فرقا فامرا بمعنى فرق فهو مصدر مثل قولك يضرب ضربا وقيل يفرق يدل على يؤمر فهو
مصدر عمل فيه ما قبله انا كنا مرسلين رحمة من ربك قال الفرا رحمة مفعول لمرسلين والرحمة النبي
صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج رحمة مفعول من اجله اي ارسلناه للرحمة وقيل هي بدل من قوله
امرا وقيل هي مصدر الزمخشري امرا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم
زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه
علمنا وتدبيرنا وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا على ما هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص
وقرا الحسن رحمة على تلك هي رحمة وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له قوله تعالى رب السموات والارض
قرا الكوفيون بالجر الباقون بالرفع ردا على قوله انه هو السميع العليم وان شئت على الابتداء والخبر لا
اله الا هو او يكون خبر ابتدا محذوف تقديره هو رب السموات والارض والجر على البدل من ربك و
كذلك ربكم ورب اباكم الاولين بالجر فيهما رواه الشيرازي عن الكسائي الباقون بالرفع على الاستيناف
ثم يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع المعترف بان الله خلق السموات والارض اي ان كنتم موقنين به
فاعلموا ان قوله ان يرسل الرسل وينزل الكتب ويجوز ان يكون الخطاب مع من لا يعترف انه الخالق اي
ينبغي ان يعرفوا انه الخالق وانه الذي يحيي ويميت وقيل الموقن هيهنا هو الذي يريد اليقين ويطلبه كما
تقول فلان ينجد اي يريد نجدا ويتهم اي يريد تهامة لا اله الا هو يحيي ويميت اي هو خالق العالم فلا
يجوز ان تشرك به غيره مما لا يقدر على خلق شيء وهو يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحياء ربكم ورب
اباكم الاولين اي مالككم ومالك من تقدم منكم واتقوا تكذيب محمد لئلا ينزل بكم العذاب بل هم في
شك يلعبون اي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الايمان والاقرار في قولهم ان الله خالقهم وانما
يقولونه لتقليد الاباء لهم من غير علم فهم في شك وان توهموا انهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم

بما يعن لهم من غير حجة وقيل يلعبون يضيفون الى النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء استهزاء و
يقال لمن اعرض عن الذكر لاعب وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته قوله تعالى
فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين ارتقب معناه انتظر اي انتظر يا محمد هؤلاء الكفار يوم
تاتي السما بدخان مبين قاله قتادة وقيل معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تاتي السماء
بدخان مبين ولذلك سمي الحافظ رقيبا وفي الدخان ثلثة اقوال الاول انه من اشراط الساعة لم يجي
بعد وانه يمكث في الارض اربعين يوما يملا ما بين السماء والارض فاما المؤمن فيصيبه مثل
الزكام واما الكافر والفاجر فيدخل في انوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق انفاسهم وهو من اثار جهنم
يوم القيمة وممن قال ان الدخان لم يات بعد علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة وزيد بن علي والحسن
وابن ابي مليكة وغيرهم وروي ابو سعيد الخدري مرفوعا ان دخانا يهيج بالناس يوم القيمة ياخذ
المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن ابي الطفيل
عن حذيفة بن ابي اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون
قالوا نذكر الساعة فقال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع
الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلم وخروج ياجوج وماجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي رواية
عن حذيفة ان الساعة لا يكون حتى تكون عشر ايات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
والدخان والدجال والدابة وياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن
ترحل الناس وخرج الثعلبي ايضا عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اول الايات خروج الدجال
والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا
وتقيل معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا اصبحوا وتمسي معهم اذا امسوا قلت يا رسول الله وما الدخان
قال هذه الاية فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المؤمن فيصيبه مثل شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من فيه ومنخريه
وعينيه واذنيه ودبره فهذا قول القول الثاني ان الدخان هو ما اصاب قريشا من الجوع بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخانا قاله ابن مسعود قال وقد كشفه الله
عنهم ولو كان يوم القيمة لم يكشف عنهم والحديث عنه بهذا في صحيح البخاري ومسلم والترمذي قال
البخاري حدثني يحيى قال حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله انما كان
هذا لان قريشا لما استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم
قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد
فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجري فسقى فنزلت
انكم عائدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر قال ابو عبيدة والدخان الجدب العنبي سمي دخانا ليبس الارض منه
حتى يرتفع منها كالدخان القول الثالث انه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة قاله عبد الرحمن الاعرج
يغشى الناس في موضع الصفة للدخان فان كان قد مضى على ما قال ابن مسعود فهو خاص بالمشركين من
اهل مكة وان كان من اشراط الساعة فهو عام على ما تقدم هذا عذاب اليم اي يقول الله لهم هذا عذاب
اليم حكاية حال ماضية ومن جعله مستقبلا فهو حكاية حال اتية وقيل هذا بمعنى ذلك اي يقول الناس

لتلك الدخان هذا عذاب اليم وقيل هو اخبار عن دنو الامر كما تقول هذا الشتا فاعد له قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب اي يقولون ذلك اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي نؤمن بك ان كشفته عنا قيل ان قريشا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كشف الله عنا هذا العذاب اسلمنا ثم نقضوا هذا القول قال قتادة العذاب هنا الدخان وقيل الجوع حكاه النقاش قلت ولا تناقض فان الدخان لا يكون الا من الجوع الذي اصابهم على ما تقدم وقد يقال للجوع والقحط الدخان ليبس الارض في سنة الجدب وارتفاع الغبار بسبب قلة المطر ولهذا يقال لسنة الجدب الغبرا وقيل ان العذاب هنا الثلج قال الماوردي وهذا لا وجه له لان هذا انما يكون في الاخرة او في اهل مكة ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير انه مقول فحكيناه قوله تعالى انى لهم الذكرى اي من اين يكون لهم التذكر والاتعاظ عند حلول العذاب وقد جاءهم رسول مبين يبين لهم الحق والذكرى والذكر واحد قاله البخاري ثم تولوا عنه اي اعرضوا قال ابن عباس اي متى يتعظون والله ابعدهم من الاتعاظ والتذكر بعد توليهم عن محمد عليه الصلاة والسلام من تكذيبهم اياه وقيل انى ينفعهم قولهم انا مؤمنون بعد ظهور العذاب غدا او بعد ظهور اعلام الساعة وقد صارت المعارف ضرورية وهذا اذا جعلت الدخان اية مرتقبة وقالوا معلم مجنون اي علمه بشر او علمه الكهنة والشياطين ثم هو مجنون وليس برسول قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا اي وقتا قليلا وعد ان يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا اي في زمان قليل ليعلم انهم لا يفون بقولهم بل يعودون الى الكفر بعد كشفه قاله ابن مسعود فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم عادوا الى تكذيبه ومن قال ان الدخان منتظر قال اشار بهذا الى ما يكون من الفرجة بين اية واية من ايات قيام الساعة ثم من مضى عليه بالكفر ليستمر على كفره ومن قال هذا في القيمة قال اي لو كشفنا عنكم لعدتم الى الكفر وقيل معنى انكم عائدون الينا اي مبعوثون بعد الموت وقيل المعنى انكم عائدون الى نار جهنم ان لم تؤمنوا انتهى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يوم محمول على ما دل عليه منتقمون اي ننتقم منهم يوم نبطش وابعده بعض النحويين بسبب ان ما بعد الا يعمل فيما قبلها وقيل ان العامل فيه منتقمون وهو بعيد ايضا لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولا يحسن تعلقه بقوله عائدون ولا بقوله انا كاشفوا العذاب اذ ليس المعنى عليه ويجوز نصبه باضمار فعل كانه قال ذكرهم او اذكر ويجوز ان يكون المعنى انكم عائدون فاذا عدتم انتقمنا منكم يوم نبطش البطشة الكبرى ولهذا وصل هذا بقصة فرعون فانهم وعدوا موسى الايمان ان كشف عنهم العذاب ثم لم يؤمنوا حتى غرقوا وقيل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون كلام تام ثم ابتدا يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم من جميع الكفار وقيل المعنى وارتقب الدخان وارتقب يوم نبطش فحذف واو العطف كما تقول اتق النار اتق العذاب والبطشة الكبرى في قول ابن مسعود يوم بدر وهو قول ابن عباس وابي بن كعب ومجاهد والضحاك وقيل يوم عذاب جهنم يوم القيمة قاله الحسن وعكرمة وابن عباس ايضا واختاره الزجاج وقيل دخان يقع في الدنيا او جوع او قحط يقع قبل يوم القيمة الماوردي ويحتمل انها قيام الساعة لانها خاتمة بطشاته في الدنيا ويقال انتقم الله منه اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وقيل بالفرق بين النقمة والعقوبة بعد المعصية لانها من العاقبة والنقمة قد تكون قبلها قاله ابن عباس وقيل العقوبة ما تقدرت والانتقام غير مقدر قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي ابتليناهم ومعنى هذه الفتنة والابتلاء الامر بالطاعة والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى اليهم فكذبوا فاهلكوا فهكذا افعل باعدائك يا محمد ان لم يؤمنوا وقيل فتناهم عذبناهم بالغرق وفي الكلام تقدم وتاخير والتقدير ولقد جاء ال فرعون رسول كريم وفتناهم اي اغرقناهم لان الفتنة كانت بعد مجيء الرسل والواو لا ترتب ومعنى كريم اي كريم في قومه وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح

وقال الفرا كريم على ربه اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام قوله تعالى ان ادوا الي عباد الله المعنى جاءهم فقال ان اتبعوني فعباد الله منادى وقال مجاهد المعنى ارسلوا معي عباد الله واطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول وقيل المعنى ادوا الي عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله وقيل اي ادوا الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربي اني لكم رسول امين اي امين على الوحي فاقبلوا نصحي وقيل امين على ما استاديه منكم فلا اخون فيه وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه ولا ترتفعوا عن طاعته وقال قتادة لا تبغوا على الله ابن عباس لا تفتروا على الله والفرق بين البغي والافتراء ان البغي بالفعل والافتراء بالقول وقال ابن جريج لا تعظموا على الله يحيى بن سلام لا تستكبروا على عبادة الله والفرق بين التعظم والاستكبار ان التعظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردي اني اتيكم بسلطان مبين قال قتادة بعذر بين وقال يحيى بن سلام بحجة بينة والمعنى واحد اي برهان بين قوله تعالى واني عذت بربي وربكم ان ترجمون كانهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله قال قتادة ترجمون بالحجارة وقال ابن عباس تشتمون فتقولوا ساحر كذاب واظهر الذال من عذت نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب وادغم الباقون طلبا للتخفيف والاظهار على الاصل ثم قيل اني عذت بالله فيما مضى لان الله وعده فقال فلا يصلون اليكما وقيل اني عائذ به كما تقول اعوذ بالله واعتصمت عليك اي اقسم قوله تعالى وان لم تؤمنوا لي اي لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل برهاني فاللام في لي لاجل برهاني فاللام في لاجل وقيل اي وان لم تؤمنوا بي كقوله فامن له لوط اي به فاعتزلون اي دعوني كفافا لا لي ولا علي قاله مقاتل وقيل اي كونوا بمعزل عني وانا بمعزل عنكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي وكفوا عن اذاي والمعنى متقارب والله اعلم قوله تعالى فدعا ربه فيه حذف اي فكفروا فدعا ربه ان هؤلاء بفتح ان اي بان هؤلاء قوم مجرمون مشركون قد امتنعوا من اطلاق بني اسرائيل ومن الايمان قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا اي فاجبنا دعاه واوحينا اليه فاسر بعبادي اي بمن امن بالله من بني اسرائيل ليلا اي قبل الصباح انكم متبعون وقرا اهل الحجاز فاسر بوصل الالف وكذلك ابن كثير من سرى الباقون فاسر بالقطع من اسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون وراء موسى في البقرة والاعراف والشعراء ويونس واغراقه وانجاء موسى فلا معنى للاعادة الثانية امر موسى عليه السلام بالخروج ليلا وسير الليل في الغالب انما يكون عن خوف والخوف يكون بوجهين اما من العدو فيتخذ الليل سترا مسدلا فهو من استار الله تعالى واما من خوف المشقة على الدواب والابدان بحر او جدب فيتخذ السرى مصلحة من ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ويدلج ويترفق ويستعجل بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها وقد مضى في النحل قوله تعالى واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قال ابن عباس رهوا اي طريقا وقال كعب والحسن وعن ابن عباس ايضا سمتا الضحاك والربيع سهلا عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقيل مفرقا مجاهد متفرقا وعنه يابسا وعنه ساكنا وهو المعروف في اللغة وقاله قتادة والهروي وقال غيرهما منفرجا وقال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج وكذلك كان البحر يسكن جريه وانفرج لموسى عليه السلام والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الخيل رهوا اي ساكنة قال والخيل تمزع رهوا في اعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد الجوهري ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وعيش راه اي ساكن رافه خفض راه اذا كان سهلا ورها البحر اي سكن وقال ابو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا اي فتح ومنه قوله تعالى واترك البحر رهوا والرهو السير السهل يقال جاءت الخيل رهوا قال ابن الاعرابي رها يرهو في السير اي رفق

قال القطامي في نعت الركاب تمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل والرهو
والرهوة المكان المرتفع والمنخفض أيضاً يجتمع فيه الماء وهو من الأضداد وقال أبو عبيد الرهو الجوبة
يكون في فناء محلة القوم يسيل فيها ماء المطر وغيره وفي الحديث أنه قضى أن لا شفعة في فناء ولا
طريق ولا منقبة ولا ركح ولا رهو والجمع رهاء والرهو المرأة الواسعة الهن حكاه النضر بن شميل و
الرهو ضرب من الطير ويقال هو الكركي قال الهروي ويجوز أن يكون رهواً نعت موسى عليه السلم وقاله
القشيري أي سر ساكناً على هينتك فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت البحر أي اتركه ساكناً كما هو قد انفرق
فلا تأمره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه قال قتادة أراد موسى أن يضرب البحر لما قطعه بعصاه حتى
يلتئم وخاف أن يتبعه فرعون فقيل له هذا وقيل ليس الرهو من السكون بل هو الفرجة بين الشيئين يقال
رها ما بين الرجلين أي فرج فقوله رهواً أي منفرجاً وقال الليث الرهو مشي في سكون يقال رها يرهو رهواً
فهو راه وعيش راه وادع خافض وافعل ذلك سهواً رهواً أي ساكناً بغير شدة وقد ذكرنا آنفاً انهم اي
ان فرعون وقومه جند مغرقون أخبر موسى بذلك ليسكن قلبه **قوله تعالى** كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم كم للتكثير وقد مضى الكلام في معنى هذه الآية في الشعراء مستوفى ونعمة كانوا فيها فاكهين
النعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى والنعمة بالكسر اليد والصنيعة
والمنة وما أنعم به عليك وكذلك النعمى فإن فتحت النون مددت وقلت النعماء والنعيم مثله وفلان
واسع النعمة أي واسع المال جميعه عن الجوهري وقال ابن عمر المراد بالنعمة نيل مصر ابن لهيعة الفيوم ابن
زياد أرض مصر لكثرة خيرها وقيل ما كانوا فيه من السعة والدعة وقد يقال نعمة ونعمة بفتح النون وكسرها
حكاه الماوردي قال وفي الفرق بينهما وجهان أحدهما أنها بكسر النون في الملك وبفتحها في البدن و
الدين قاله النضر بن شميل الثاني أنها بالكسر المنة وهو الإفضال والعطية وبالفتح من التنعيم وهو سعة
الرزق والراحة قاله ابن زيد **قلت** هذا الفرق هو الذي وقع في الصحاح وقد ذكرناه وقرأ أبو رجاء والحسن وأبو
الأشهب والأعرج وأبو جعفر وشيبة فكهين بغير ألف ومعناه أشرين بطرين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو
فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً والفكه أيضاً الأشر البطر وقرئ ونعمة كانوا فيها فكهين أي أشرين بطرين وفا
كهين أي ناعمين القشيري فاكهين لاهين مازحين يقال إنه لفاكه أي مزاح الثعلبي وهما لغتان كالحاذر و
الحذر والفاره والفره وقيل إن الفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهة والفاكهة
فضل على القوت الذي لا بد منه **قوله تعالى** كذلك وأورثناها قوماً آخرين قال الزجاج أي الأمر كذلك
فيوقف على كذلك وقيل إن الكاف في موضع نصب على تقدير يفعل فعلاً كذلك بمن يريد إهلاكه وقال الكلبي
كذلك أفعل بمن عصاني وقيل كذلك كان أمرهم فأهلكوا وأورثناها قوماً آخرين يعني بني إسرائيل ملكهم
الله أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث ونظيره
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها **قوله تعالى** فما بكت عليهم السماء و
الأرض أي لكفرهم وما كانوا منظرين أي مؤخرين بالغرق وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السماء
والأرض أي عمت مصيبته الأشياء حتى بكته السماء والأرض والريح والبرق وبكته الليالي الشاتيات **قال
الشاعر** الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه **وقال آخر** والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم
الليل والقمرا **وقالت الخارجية** أيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل
التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه والمعنى أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد
لهم فقد وقيل في الكلام إضمار أي ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض من الملائكة كقوله واسأل
القرية أي أهلها بل سروا بهلاكهم قاله الحسن وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه و
عمله فإذا مات فقداه فبكيا عليه وتلا فما بكت عليهم السماء والأرض يعني أنهم لم يعملوا على الأرض
عملاً صالحاً تبكي عليهم لأجله ولا صعد لهم إلى السماء عمل صالح فتبكي فقد ذلك وقال مجاهد إن السماء
والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً قال أبو يحيى فعجبت من قوله **فقال** أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد
يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل
وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء و
تقدير الآية على هذا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض وهو
معنى قول سعيد بن جبير وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه أحدها أنه كالمعروف من بكاء الحيوان
ويشبه أن يكون قول مجاهد وقال شريح الحضرمي قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الإسلام بدأ
غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء يوم القيامة قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين إذا فسد
الناس صلحوا ثم قال ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غائباً عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء
والأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والأرض ثم قال ألا إنهما لا يبكيان
على الكافر **قلت** وذكر أبو نعيم محمد بن معمر قال حدثنا أبو شعيب الحراني قال حدثنا يحيى بن عبد الله قال
حدثنا الأوزاعي قال حدثني عطاء الخراساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض
إلا شهدت له الأرض يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقيل بكاؤهما حمرة أطرافهما قاله علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وعطاء والسدي والترمذي محمد بن علي وحكاه عن الحسن وقال السدي لما قتل الحسين
ابن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وحكى جرير بن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما احمرت له آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وقال محمد بن سيرين
أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي وقال سليمان القاضي مطرنا دماً يوم قتل
الحسين **قلت** روى الدارقطني من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم الشفق الحمرة وعن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالا الشفق شفقان الحمرة والبياض فإذا
غابت الشمس حلت الصلاة وعن أبي هريرة قال الشفق الحمرة وهذا يرد ما حكاه ابن سيرين وقد تقدم في
سبحان عن قرة بن خالد قال ما بكت السماء على أحد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاؤها
وقال محمد بن علي الترمذي البكاء إدرار الشيء فإذا أدرت العين بمائها قيل بكت وإذا أدرت السماء
بحمرتها قيل بكت وإذا أدرت الأرض بغبرتها قيل بكت لأن المؤمن نور ومعه نور الله والأرض مضيئة بنوره
وإن غاب عن عينك فإذا فقدت نور المؤمن اغبرت فدرت بالغبار لأنها كانت تغبر بخطايا أهل الشرك
وإنما صارت مضيئة بنور المؤمن فإذا قبض المؤمن منها درت بغبرتها وقال أنس لما كان اليوم الذي دخل
فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي قبض فيه أظلم كل شيء وإنا لفي دفنه
ما نفضنا الأيدي منه حتى أنكرنا قلوبنا وأما بكاء السماء فحمرتها كما قال الحسن وقال نصر بن عاصم إن أول
الآيات حمرة تظهر وإنما ذلك لدنو الساعة فتدر بالبكاء لخلائها من أنوار المؤمنين وقيل بكاؤها
أمارة تظهر منها تدل على أسف وحزن **قلت** والقول الأول أظهر إذ لا استحالة في ذلك وإذا كانت السموات
والأرض تسبح وتسمع وتتكلم كما بيناه في سبحان ومريم وحم فصلت فكذلك تبكي مع ما جاء من الخبر في
ذلك **قوله تعالى** ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين يعني ما كانت القبط تفعل بأمر فرعون من قتل
الأبناء واستخدام النساء واستعبادهم إياهم وتكليفهم الأعمال الشاقة من فرعون بدل من العذاب
المهين فلا يتعلق من بقوله من العذاب لأنه قد وصف وهو لا يعمل بعد الوصف عمل الفعل وقيل أي أنجيناهم

من العذاب من فرعون انه كان عاليا من المسرفين اي جبارا من المشركين وليس هذا علو مدح بل هو
علو من الاسراف ان فرعون علا في الارض وقيل هذا العلو هو الترفع من عبادة الله قوله تعالى ولقد
اخترناهم يعني بني اسرائيل على علم اي على علم منا بهم لكثرة الانبياء منهم على العالمين اي عالمي زمانهم
بدليل قوله لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا قول قتادة وغيره وقيل على كل العالمين بما
جعل فيهم من الانبياء وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه بن عيسى والزمخشري وغيرهما ويكون
قوله كنتم خير امة اي بعد بني اسرائيل والله اعلم وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخلصهم من الغرق وايراثهم
الارض بعد فرعون قوله تعالى واتيناهم من الايات اي من معجزات ما فيه بلاء مبين قال قتادة الايات
انجاؤهم من عدوهم وفلق البحر لهم وتظاليل عليهم وانزال المن والسلوي ويكون هذا الخطاب متوجها
الى بني اسرائيل وقيل انها العصا واليد ويشبه ان يكون قول الفراء ويكون الخطاب متوجها الى بني اسرائيل
قوم فرعون وقول ثالث انه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي امرهم به قاله عبد الرحمن بن زيد ويكون الخطاب
متوجها الى الفريقين معا من قوم فرعون وبني اسرائيل وفي قوله بلاء مبين اربعة اوجه احدها نعمة
ظاهرة قاله الحسن وقتادة كما قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي
يبلوا الثاني عذاب شديد قاله الفراء الثالث اختبار يتميز به المؤمن من الكافر قاله عبد الرحمن بن زيد و
عنه ايضا ابتلاهم بالرخاء والشدة ثم قرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة قوله تعالى ان هؤلاء ليقولون يعني كفار
قريش ان هي الا موتتنا الاولى ابتداء وخبر مثل ان هي الا فتنتك ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اي
بمبعوثين فاتوا باباينا ان كنتم صادقين ان ينشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم والمنشورون المبعوثون
قيل ان قايل هذا من كفار قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من ابائنا
احدهما قصي بن كلاب فانه كان رجلا صادقا نسئله عما يكون بعد الموت وهذا القول من ابي جهل من
اضعف الشبهات لان الاعادة هي للجزاء لا للتكليف فكانه قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزاء
فاعدهم للتكليف وهو لو قال ان كان ينشأ بعدنا قوم من الابناء فلم لا يرجع من مضى من الاباء
حكاه الماوردي ثم قيل فاتوا باباينا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحده كقوله رب ارجعون قاله
الفراء وقيل مخاطبة له ولاتباعه اهم خير ام قوم تبع هذا استفهام انكار اي انهم مستحقون
في هذا القول العذاب اذ ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة واذا اهلكنا اولئك فكذا هؤلاء و
قيل المعنى اهم اظهر نعمة واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل اهم اعز واشد وامنع ام قوم تبع وليس المراد بتبع
رجلا واحدا بل المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون ملوكهم التبابعة فتبع لقب للملك منهم كالخليفة
للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وقال ابو عبيدة سمي كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه قاله
الجوهري والتبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع والتبع الظل يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة
اذا اسمال التبع والتبع ايضا ضرب من الطير وقال السهيلي تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والشحر وحضرموت
وان ملك وحدها لم يقل له تبع قاله المسعودي فمن التبابعة الحارث الرايش وهو ابن همام ذي شدد و
ابرهة ذي المنار وعمرو وذو الاذعار وشمر بن مالك الذي تنسب اليه سمرقند وافريقيس بن قيس الذي
ساق البربر الى افريقية من ارض كنعان وبه سميت افريقية والظاهر من الايات ان الله سبحانه انما
اراد واحدا من هؤلاء وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفة غيره ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام ولا ادري اتبع لعين ام لا ثم قد روي عنه انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا فهذا يدلك
على انه كان واحدا بعينه وهو والله اعلم ابو كرب الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة
واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها فكانوا ياتون

كا

كاين الحركا بن الى ازها جا النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي
ايوب خالد بن زيد وفيه شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم وذكر الزجاج وابن ابي الدنيا والزمخشري وغيرهم انه حفر قبر بصنعا
يقال بناحية حمير في الاسلام فوجد فيه امراتان صحيحتان وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب
فيه بالذهب هذا قبر حبا ولميس ويروى ايضا حبا وتماضر ويروى ايضا هذا قبر رضوى وقبر حبى
ابنتا تبع ماتتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون
قبلهما وروى ابن اسحق وغيره انه كان في الكتاب الذي كتبه اما بعد فاني امنت بك وبكتابك
الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شيء وامنت بكل ما جاء من ربك
من شرايع الاسلام فان كنت ادركتك فيها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة
فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وانا على ملتك وملة ابيك ابرهيم عليه السلام ثم ختم
الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله
خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول وقد ذكرنا بقية خبره واوله
في اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية للغار الى رحمه الله وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى
اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا تنقص واختلف هل كان نبيا
او ملكا فقال ابن عباس كان تبع نبيا وقال كعب كان تبع ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان
معهم قوم من اهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل قربان اهل الكتاب
فاسلم وقالت عائشة رضي الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وحكى قتادة ان تبعا كان رجلا
من حمير سار بالجيوش حتى عبر الحيرة واتى سمرقند فهدمها حكاه الماوردي وحكى الثعلبي عن قتادة انه
تبع الحميري وانه سار بالجيوش حتى عبر الحيرة وبنا سمرقند وقتل وهدم البلاد وقال الكلبي تبع هذا ابو
كرب اسعد بن ملكيكرب وانما سمي تبعا لانه تبع من قبله وقال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت
الحبرات وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه وضرب بهم لقريش مثلا لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم
فلما اهلكهم الله ومن قبلهم لانهم كانوا مجرمين كان من اجرم مع ضعف اليد وقلة العدد احرى بالـ
هلاك وافتخر اهل اليمن بهذه الاية اذ جعل الله قوم تبع خيرا من قريش وقيل سمي اولهم تبعا لانه
اتبع قرن الشمس وسافر في الشرق مع العساكر والذين من قبلهم اهلكناهم الذين في موضع
رفع عطفا على قوم تبع اهلكناهم صلته ويكون من قبلهم متعلقا به ويجوز ان يكون من قبلهم
صلة الذين ويكون في الظرف عائد الى الموصول وان كان كذلك كان اهلكناهم على احد امرين اما
ان يقدر معه قد فيكون في موضع الحال او يقدر حذف موصوف كانه قال قوم اهلكناهم والتقدير
افلا يعتبرون انا اذا قدرنا على اهلاك هؤلاء المذكورين قدرنا على اهلاك المشركين ويجوز ان يكون و
الذين من قبلهم ابتداء وخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون الذين في موضع جر عطفا على تبع كانه
قال قوم تبع المهلكين من قبلهم ويجوز ان يكون الذين في موضع نصب باضمار فعل دل عليه اهلكناهم
والله اعلم وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اي غافلين قاله مقاتل وقيل
لاهين وهو قول الكلبي ما خلقناهما الا بالحق اي بالامر الحق قاله مقاتل وقيل الا للحق قاله الكلبي والحسن
وقيل الا لاقامة الحق واظهاره من توحيد الله والتزام طاعته وقد مضى هذا المعنى في الانبيا ولكن
اكثرهم يعني اكثر الناس لا يعلمون ذلك

قوله تعالى ان يوم الفصل

ميقاتهم اجمعين يوم الفصل هو يوم القيمة سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم ونظيره ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فيوم الفصل ميقات الكل كما قال ان يوم الفصل كان ميقاتا اي الوقت المجعول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد ولا خلاف بين القراء في رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل واجاز الكسائي والفرا نصب ميقاتهم بان و يوم الفصل ظرف في موضع خبر ان اي ان ميقاتهم يوم الفصل يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم بدل من يوم الاول والمولى الولي وهو ابن العم والناصر اي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه ولا هم ينصرون اي ينصر المؤمن الكافر لقرابته ونظير هذه الاية واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية الا من رحم الله من رفع على البدل من المضمر في ينصرون كانك قلت لا يقوم احد الا فلان او على الابتداء والخبر مضمر كانه قال لا يغني الا من رحم الله فانه مغفور له فيغني عنه ويشفع وينصر او على البدل من مولى الاول لكانه قال لا يغني الا من رحم الله وهو عند الكسائي والفرا نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من يعينهم من المخلوقين ويجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزيز الرحيم اي المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كما قال شديد العقاب ذي الطول فقرن الوعيد بالوعد ان شجرة الزقوم كل ما كان في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم طعام الاثيم قال ابن الانباري الاثيم الفاجر قال ابو الدردا وكذلك قرا هو وابن مسعود وقال همام بن الحارث كان ابو الدردا يقري رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل يقول طعام اليتيم فلما لم يفهم قال له طعام الرجل الفاجر قال ابو بكر الانباري حدثني ابي حدثنا نصر قال حدثنا ابو عبيد قال حدثنا نعيم بن حماد عن عبد العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال علم عبد الله بن مسعود رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال الرجل طعام اليتيم فاعاد عبد الله الصواب واعاد الرجل الخطا فلما راى عبد الله ان لسان الرجل ما يستقيم قال له اما تحسن ان تقول طعام الفاجر قال بلى قال فافعل ولا حجة في هذا للجهال من اهل الزيغ انه يجوز ابدال الحرف من القران بغيره لان ذلك انما كان من عبد الله تقريبا للمتعلم وتوطئة منه للرجوع الى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على انزال الله وحكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري و بهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهو ان يؤدي القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية وشجرة الزقوم الشجرة التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة

فاذا جاع اهل النار التجوا اليها فاكلوا منها فغليت في بطونهم كما يغلي الماء الحار وشبه ما يصير منها الى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب وقراءة العامة تغلي بالتاء حملا على الشجرة وقرا ابن كثير وحفص وابن محيصن ورويس عن يعقوب يغلي بالياء حملا على الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يحمل على المهل لانه ذكر للتشبيه والاثيم الاثم من اثم ياثم قاله القشيري وابن عيسى وقيل هو المشرك المكتسب للاثم قاله يحيى بن سلام وفي الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر اثما وماثما اذا وقع في الاثم فهو اثم واثيم واثوم ايضا فمعنى طعام الاثيم اي ذو الاثم الفاجر وهو ابو جهل وذلك لانه قال يعدنا محمد ان في جهنم الزقوم وانما هو الثريد بالزبد والتمر فبين الله خلاف ما قاله وحكى النقاش عن مجاهد ان شجرة الزقوم ابو جهل وهذا لا يصح عن مجاهد وهو مردود بما ذكرناه في هذه الشجرة في سورة والصافات وسبحان ايضا خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي جروه وسوقوه والعتل ان ياخذ بتلابيب الرجل فيعتله اي يجره اليك لتذهب به الى حبس او بلية عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته اليك جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر نفرعه قرعا ولسنا نعتله لغتان عتله وعتنه باللام والنون جميعا قاله ابن السكيت وقرا الكوفيون وابو عمرو فاعتلوه بالكسر وضم الباقون الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قال مقاتل يضرب مالك خازن النار ضربة على راس ابي جهل بمقمع من حديد فيتفتت راسه عن دما [عن] فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك فيه ماء حميما قد انتهى حره فيقع في بطنه فيقول الملك ذق العذاب ونظيره يصب من فوق رؤسهم الحميم ذق انك انت العزيز الكريم قال ابن الانباري اجتمعت العوام على كسر ان وروي الحسن عن علي رحمه الله ذق انك بفتح ان وبها قرا الكسائي فمن كسر ان وقف على ذق ومن فتحها لم يقف على ذق والمعنى ذق لانك وبانك انت العزيز الكريم قال قتادة نزلت في ابي جهل وكان قد قال ما فيها اعز مني ولا اكرم فلذلك قيل له ذق انك انت العزيز الكريم وقال عكرمة التقى النبي صلى الله عليه وسلم وابو جهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى فقال باي شيء تهددني والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا اني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه فقتله الله يوم بدر واذله ونزلت هذه الاية اي يقول له الملك ذق انك انت العزيز الكريم بزعمك وقيل هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والاهانة والتنقيص اي قال له انك انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب انك لانت الحليم الرشيد يعنون السفيه الجاهل في احد الاقوال ويدل على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير ان هذا ما كنتم به تمترون اي تقول لهم الملائكة ان هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المتقين ونعيمهم وقرا نافع وابن عامر في مقام بضم الميم الباقون بالفتح قال الكسائي المقام المكان والمقام الاقامة كما عفت الديار محلها فمقامها قال الجوهري واما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته من اقام يقيم فمضموم لان الفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لانه مشبه ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا مدحرجنا وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس وبالضم يمكن ان يراد به المكان ويمكن ان يكون مصدرا ويقدر فيه المضاف اي في موضع اقامة امين يامن فيه من الافات في جنات وعيون بدل من مقام امين يلبسون من سندس واستبرق متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد مضى في الكهف كذلك اي الامر كذلك الذي ذكرناه فيوقف على كذلك اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره اكرمناهم بان زوجناهم حورا عينا وقد مضى الكلام في العين في الصافات والحور البيض في قول قتادة والعامة

جمع حوراء والحوراء البيضاء التي يرى ساقها من وراء ثيابها ويرى الناظر وجهه في كعبها كالمرآة من رقة الجلد
وبصاصة البشرة وصفاء اللون ودليل هذا التأويل انها في حرف ابن مسعود بعيس عين لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى والعيس البيض ومنه قيل للابل البيض عيس واحدها بعير اعيس وناقة عيساء
قال امرؤ القيس يرعن الى صوتي اذا ما سمعته كما يرعوي عيط الى صوت اعيسا فمعنى الحور ههنا الحسان
النقيات البياض بحسن وذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون الاودي عن
ابن مسعود قال ان المراة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة
كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال مجاهد انما سميت الحور حورا لانه يحار الطرف في حسنهن
وبياضهن وصفاء لونهن وقيل انما قيل لهن حور لحور اعينهن والحور شدة بياض العين في شدة سوادها
امراة حوراء بينة الحور يقال احورت عينه احورارا واحور الشيء ابيض قال الاصمعي ما ادري ما الحور في
العين وقال ابو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظباء والبقر قال وليس في بني ادم حور وانما
قيل للنساء حور لانهن شبهن بالظباء والبقر قال العجاج باعين محورات بيض يعني الاعين النقيات البياض
الشديدات سواد الحدق والعين جمع عيناء وهي الواسعة العظيمة العينين وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن ابي قرصافة سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد
مهور الحور العين ذكره الثعلبي رحمه الله وقد افردنا لهذا المعنى بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف
ايما افضل في الجنة نساء الادميات ام الحور فذكر ابن المبارك قال اخبرنا رشدين عن ابن انعم عن حبان بن
ابي جبلة قال ان نساء الادميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي
مرفوعا ان الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله
عليه الصلاة والسلام وابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم وقرا عكرمة بحور عين مضاف والاضافة في
بحور عين والتنوين سواء قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين قال قتادة امنين من الموت والوصب
والشيطان وقيل من انقطاع ما هم فيه من النعيم او من ان ينالهم من اكلها اذى او مكروه قوله
تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون فيها الموت البتة لانهم خالدون فيها ثم
قال الا الموتة الاولى على الاستثناء المنقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها في الدنيا وانشد من كان
اسرع في تفرق فالج فلبونه جربت معا واغدت ثم استثنى بما ليس من الاول الا كناشرة التي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتنبت
وقيل ان الا بمعنى بعد كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد
رجل عندك وقيل الا بمعنى سوى اي سوى الموتة الاولى التي ماتوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف وهو كما يقول والله ما ذقت اليوم طعاما
سوى ما اكلت امس وقال القتبي الا الموتة الاولى معناه ان المؤمن اذا اشرف على الموت استقبلته
ملائكة الرحمة فيلقى الروح والريحان وكان موته في الجنة لاتصاله باسبابها فهو استثناء صحيح و
الموت عرض لا يذاق ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه فاستعير فيه لفظ الذوق ووقاهم
عذاب الجحيم فضلا من ربك اي فعل ذلك بهم تفضلا منه عليهم ففضلا مصدر عمل فيه يدعون
وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل فعل مضمر وقيل معنى الكلام الذي قبله لانه تفضل منه عليهم اذ وفقهم
في الدنيا الى اعمال يدخلون بها الجنة ذلك هو الفوز العظيم اي السعادة والربح العظيم والنجاة العظيمة
وقيل هو من قولك فاز بكذا اي ناله وظفر به قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك يعني القران اي سهلناه بلغتك
عليك وعلى من يقرؤه لعلهم يتذكرون يتعظون وينزجرون ونظيره ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر

فختم السورة بالحث على اتباع القران وان لم يكن مذكورا كما قال انا انزلناه في ليلة مباركة انا
انزلناه في ليلة القدر على ما تقدم فارتقب انهم مرتقبون اي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم انهم
منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح من ربك انهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل
انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك ريب الحدثان والمعنى متقارب وقيل ارتقب
ما وعدتك من الثواب فانهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل ارتقب يوم القيامة فانه
يوم الفصل وان لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك والله تعالى اعلم
سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون اية مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس
وقتادة الا اية قل للذين امنوا الى ايام الله نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره الماوردي
وقال المهدوي والنحاس عن ابن عباس انها نزلت في عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد
ان يبطش به فانزل الله قل للذين امنوا الاية ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم
يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها و
تصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله
واياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره
بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم
ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى
والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما
كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد اتينا بني اسرائيل
الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات
من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا
بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم
مبتدا وتنزيل خبره وقال بعضهم اسم السورة وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون
الى من رزق يعني المطر فاحيا به الارض بعد موتها الى يعقلون وتقدم جميعه مستوفى في البقرة و
غيرها وقراءة العامة وما يبث من دابة وتصريف الرياح ايات بالرفع فيهما وقرا حمزة والكسائي
بكسر التاء فيهما ولا خلاف في الاول انه بالنصب على اسم ان وخبرها في السموات ووجه الكسر في
ايات الثاني العطف على ما عملت فيه ان التقدير وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات فاما الثالث فقيل
ان وجه النصب فيه تكرير ايات لما طال الكلام كما تقول ضربت زيدا زيدا وقيل انه على الحمل على ما عملت فيه
ان على تقدير حذف في التقدير وفي اختلاف الليل والنهار ايات فحذفت في التقدير لذكرها وانشد سيبويه
في الحذف اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا فحذف كل المضاف الى نار المجرورة لتقدم ذكره و
قيل هو من باب العطف على عاملين ولم يجزه سيبويه واجازه الاخفش وجماعة من الكوفيين فعطف

اختلاف على قوله وفي خلقكم ثم قال وتصريف الرياح ايات فيحتاج الى العطف على عاملين فيتبح من
اجل ان حروف العطف تنوب مناب العامل فلم تقو ان تنوب مناب عاملين مختلفين اذ لو ناب مناب
رافع وناصب لكان رافعا وناصبا في حال واما قراءة الرفع فحملا على موضع ان مع ما عملت فيه وقد
الترم النحويون في ذلك ايضا العطف على موضعين لانه عطف على واختلاف على وفي خلقكم وعطف ايات على
موضع ايات الاول لكنه يقدر على تقدير في ويجوز ان يرفع على القطع عما قبله فيرتفع بالابتداء وما قبله خبره
ويكون عطف جملة على جملة وحكى الفرا رفع اختلاف وايات جميعا وجعل الاختلاف هو الايات قوله تعالى
تلك ايات الله اي هذه ايات الله اي حججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق
اي بالصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه وقرئ يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله اي بعد حديث
الله وقيل بعد قراءته وآياته تؤمنون وقراءة العامة بالياء على الخبر وقراء ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة
والكسائي تؤمنون بالتاء على الخطاب قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم ويل واد في جهنم توعد من ترك الاستدلال
باياته والافاك الكذاب والافك الكذب اثيم اي مرتكب الاثم والمراد فيما روي النضر بن الحارث عن ابن
عباس ان الحارث بن كلدة وحكى الثعلبي انه ابو جهل واصحابه يسمع ايات الله تتلى عليه يعني القران ثم يصر
مستكبرا اي يتمادى على كفره متعظما في نفسه عن الانقياد ماخوذ من صر الصرة اذا شدها قال معناه ابن
عباس وغيره وقيل اصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه وان من كان مخففة
من الثقيلة كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة
النصب اي يصير مثل غير السامع وقد تقدم في اول لقمان القول في معنى هذه الاية وتقدم معنى قوله فبشره
بعذاب اليم قوله تعالى واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا نحو قوله في الزقوم انه الزبد والتمر وقوله في خزنة
جهنم ان كانوا تسعة عشر فانا القاهم وحدي اولئك لهم عذاب مهين مذل مخزي من ورائهم جهنم
اي من وراء ما هم فيه من التعزز في الدنيا والتكبر عن الحق جهنم وقال ابن عباس من ورائهم جهنم اي من امامهم
نظيره من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد اي من امامه قال الشاعر اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان
ارجف كالنسر ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا اي من المال والولد نظيره لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام ولهم عذاب عظيم اي دائم مؤلم قوله تعالى
هذا هدى ابتداء وخبر يعني القران وقال ابن عباس يعني ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بايات
ربهم اي جحدوا دلائله لهم عذاب من رجز اليم الرجز العذاب اي لهم من رجز اليم دليله قوله تعالى فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء اي عذابا وقيل الرجز القذر مثل الرجس وهو كقوله تعالى ويسقى من ماء صديد
اي عذاب من تجرع الشراب القذر وضم الراء من الرجز ابن محيصن حيث وقع وقراء ابن كثير وابن محيصن وحفص
اليم بالرفع على معنى لهم عذاب اليم من رجز اليم الباقون بالخفض نعتا للرجز قوله تعالى الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ذكر كمال قدرته وتمام نعمته وبين انه
خلق ما خلق لنا نعمة وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني ان ذلك فعله وخلقه واحسان
منه وانعام وقراء ابن عباس والجحدري وغيرهما جميعا منه بكسر الميم وتشديد النون وتنوين الهاء منصوب
على المصدر قال ابو عمرو وكذلك سمعت مسلمة يقرؤها منة اي تفضلا وكرما وعن مسلمة بن محارب
ايضا جميعا منه على اضافة المن الى هاء الكناية وهي عند ابي حاتم خبر ابتداء محذوف اي ذلك او هو منه
قراءة الجماعة ظاهرة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا وجزم على جواب قل
تشبيها بالشرط والجزاء كقولك قم تصب خيرا وقيل هو على حذف اللام وقيل على معنى قل لهم اغفروا يغفروا
فهو جواب امر محذوف دل الكلام عليه قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي ونزلت الاية بسبب ان رجلا من

قريش شتم عمر بن الخطاب فهم ان يبطش به قال ابن العربي وهذا لم يصح وذكر الواحدي والقشيري وغيرهما
عن ابن عباس ان الاية نزلت في عمر مع عبد الله بن ابي في غزوة بني المصطلق فانهم نزلوا على بير يقال لها المريسيع
فارسل عبد الله غلامه ليستقي فابطا عليه فقال ما حبسك قال غلام عمر بن الخطاب قعد على فم
البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وملا لمولاه فقال
عبد الله ما مثلنا ومثل هولاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ عمر قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه
اليه ليقتله فانزل الله هذه الاية هذه رواية عطا عن ابن عباس وروي عنه ميمون بن مهران قال لما
نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد قال فلما
سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه فجاء جبرائيل عليه السلم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان ربك يقول لك قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله واعلم ان عمر قد اشتمل على سيفه
وخرج في طلب اليهودي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه فلما جاء قال يا عمر ضع سيفك قال
يا رسول الله صدقت اشهد انك ارسلت بالحق فقال ان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا
يرجون ايام الله قال لا جرم والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وما ذكره المهدوي
والنحاس فهي رواية الضحاك عن ابن عباس وهو قول القرظي والسدي وعليه يتوجه النسخ في الاية وعلى
ان الاية نزلت بالمدينة اي في غزوة بني المصطلق فليست بمنسوخة ومعنى يغفروا يعفوا ويتجاوزوا و
معنى لا يرجون ايام الله اي لا يرجون ثوابه وقيل اي لا يخافون باس الله ونقمه وقيل الرجا بمعنى الخوف
كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة والمعنى لا يخشون مثل عذاب الامم الخالية والايام م
يعبر بها عن الوقايع وقيل لا يامنون نصر الله لاوليائه وايقاعه باعدائه وقيل المعنى لا يخافون البعث
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون قراءة العامة ليجزي بالياء على معنى ليجزي الله وقرا حمزة والكسائي و
ابن عامر لنجزي بالنون على التعظيم وقرا حمزة وابو جعفر والاعرج وشيبة ليجزى بياء مضمومة و
فتح الزاي على الفعل المجهول قوما بالنصب قال ابو عمرو وهذا لحن ظاهر وقال الكسائي معناه ليجزى
الجزاء قوما نظيره وكذلك نجي المؤمنين على قراءة ابن عباس وابي بكر في سورة الانبياء قال الشاعر ولو
ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا اي لسب السب قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون تقدم قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
الحكم الفهم في الكتاب وقيل الحكم على الناس والقضا والنبوة يعني الانبيا من وقت يوسف الى زمن
عيسى عليهم السلم ورزقناهم من الطيبات اي الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة التي كانت بالشام
وقيل يعني المن والسلوى في التيه وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم على ما تقدم في الدخان
بيانه واتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس يعني امر النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته بانه
يهاجر من تهامة الى يثرب وينصره اهل يثرب وقيل بينات من الامر شرائع واضحات في الحلال والحرام
ومعجزات فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم يريد يوشع بن نون فامن بعضهم وكفر بعضهم حكاه النقاش
وقيل من بعد ما جاءهم العلم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها بغيا بينهم اي حسدا
على النبي صلى الله عليه وسلم قال معناه الضحاك وقيل معنى بغيا اي بغي بعضهم على بعض يطلب الفضل
والرياسة وقتلوا الانبيا فكذا مشركوا عصرك يا محمد قد جاءتهم البينات وكن اعرضوا عنها للمنافسة
في الرياسة ان ربك يقضي بينهم اي يحكم ويفصل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا قوله
تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها فيه مسئلتان الاولى قوله ثم جعلناك على شريعة من
الامر الشريعة في اللغة المذهب والملة ويقال لشريعة الماء وهي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع

لعله يعني الانبياء

لانه الطريق الى المقصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع الشرائع والشرايع في الدين المذاهب
التي شرعها الله لخلقه والمعنى جعلناك على شريعة اي على هدى من الامر اي منهاج وواضح من الدين
من امر الدين شرع بك الى الحق وقال ابن عباس على شريعة اي على هدى من الامر قتادة الشريعة الامر والنهي
والحدود والفرائض البينة لانها طريق الى الحق الكلبي السنة لانه يستن بطريقة من قبله من الانبياء
ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة ابن العربي والامر يرد في اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشان كقوله
واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثاني احد اقسام الكلام الذي يقابله النهي وكلاهما
يصح ان يكون مرادا هيهنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام كما قال تعالى
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين
الشرايع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينها في الفروع حسبما علمه سبحانه وتعالى الثانية
قال بعض من تكلم في العلم ان هذه الاية دليل على ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا لان الله افرد النبي صلى الله
عليه وسلم وامته في هذه الاية بشريعة ولا ينكر ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته منفردان بشريعة وانما
الخلاف فيما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثنا هل يلزم اتباعه
ام لا قوله تعالى ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني المشركين وقال ابن عباس قريظة والنضير وعنه نزلت لما
دعته قريش الى دين ابائه قوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم لا يدفعون عنك
من عذاب الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي اصدقاء وانصار واحباب قال ابن زيد ان
المنافقين اولياء اليهود والله ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم والمتقون هنا الذين اتقوا الشرك والمعاصي
قوله تعالى هذا بصائر للناس ابتداء وخبر اي هذا الذي انزلت عليك براهين ودلايل ومعالم للناس في
الحدود والاحكام وقرى هذه بصاير اي هذه الايات وهدى اي رشد وطريق يؤدي الى الجنة لمن اخذ به
ورحمة في الاخرة لقوم يوقنون قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات اي اكتسبوها والاجتراح الاكتساب
ومنه الجوارح وقد تقدم في المائدة ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات قال الكلبي الذين اجترحوا
عتبة وشيبة ابناء ربيعة والوليد بن عتبة والذين امنوا حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم
حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم يعطون في الاخرة خيرا مما
يعطاه المؤمن كما اخبر الرب عنهم في قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله ام حسب استفهام معطوف
معناه الانكار واهل العربية يجوزون ذلك من غير عطف اذا كان متوسطا للخطاب وقوم يقولون فيه
اضمار اي والله ولي المتقين افيعلم المشركون ذلك ام حسبوا انا نسوي بينهم وقيل هي المنقطعة ومعنى
الهمزة فيها انكار الحسبان وقراءة العامة سواء بالرفع على انه خبر ابتدا مقدم اي محياهم ومماتهم سواء و
الضمير في محياهم ومماتهم يعود على الكفار اي محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك وقرا حمزة والكسائي و
الاعمش سواء بالنصب واختاره ابو عبيدة قال معناه نجعلهم سواء وقرا الاعمش ايضا وعيسى بن عمر ومماتهم
بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم سواء فلما اسقط الخافض انتصب ويجوز ان يكون محياهم ومماتهم بدلا
من الهاء والميم في نجعلهم المعنى ان نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين امنوا ومماتهم ويجوز ان يكون الضمير في
محياهم ومماتهم للكفار والمؤمنين جميعا قال مجاهد المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا والكافر يموت كافرا
ويبعث كافرا وذكر ابن المبارك اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى عن مسروق قال قال رجل من اهل مكة
هذا مقام تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حين اصبح او قارب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله ويركع ويسجد و
يبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية كلها وقال بشير
عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليلة حتى اصبح لم يعدها ببكاء شديد وقال

ابرهيم بن الاشعث كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض يردد من اول الليل الى اخره هذه الاية ونظيرها ثم
يقول ليت شعري من اي الفريقين انت وكانت هذه الاية تسمى مبكاة العابدين لانها محكمة قوله تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم
الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم
تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى
عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري
ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله
هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قوله تعالى وخلق الله السموات والارض
بالحق اي بالامر الحق ولتجزى كل نفس اي ولكي تجزى كل نفس بما كسبت اي في الاخرة وهم لا يظلمون قوله تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه وقال
عكرمة افرايت من جعل الهه الذي يعبده ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهويه اتخذه الها قال
سعيد بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر وقال مقاتل نزلت في
الحارث بن قيس السهمي احد المستهزئين كان يعبد ما تهواه نفسه وقال سفيان بن عيينة انما عبدوا الحجارة لان
البيت حجارة وقيل المعنى افرايت من ينقاد لهواه ومعبوده تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل وقال الحسين
ابن الفضل في هذه الاية تقديم وتاخير مجازه افرايت من اتخذ هواه الهه وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه
في النار وقال ابن عباس ما ذكر الله هوى في القران الا ذمه قال الله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال واتبع
هواه وكان امره فرطا وقال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال ومن اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله وقال فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابو امامة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد تحت السماء اله ابغض الى الله من الهوى وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله
عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال عليه الصلاة
والسلام اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك
ودع عنك امر العامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضى والغضب وقال ابو الدرداء اذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه
يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول ان الهوان هو الهوى قلب اسمه
فاذا هويت فقد لقيت هوانا وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه شاعر فقال

نون الهوان من الهوى مسروقة فاذا هويت فقد لقيت هوانا واذا هويت فقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كائنا من كانا ولعبد الله بن المبارك ومن البلايا للبلايا علامة ان لا يرى لك عن هواك نزوع العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع ولابي اذا طالبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق عبيد الطوسي والنفس ان اعطيتها مناها فاغرة نحو هواها فاها وقال احمد بن ابي الحواري مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت لمانت عليل قال نعم قلت مذ كم قال مذ عرفت نفسي قلت فتداوى قال قد اعياني الدواء وقد عزمت على الكي قلت وما الكي قال مخالفة الهوى قال سهل بن عبد الله التستري هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وقال وهب اذا شككت في امرين ولم تدر خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فائته وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وابواب اشرنا الى ما فيه كفاية وحسبك بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى قوله تعالى واضله الله على علم اي على علم قد علمه منه وقيل اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه وقال ابن عباس اي على علم قد سبق عنده انه سيضل وقال مقاتل على علم منه انه ضال والمعنى متقارب وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولا يضر ثم قيل على علم يجوز ان يكون حالا من الفاعل المعنى اضله الله على علم منه به اي اضله عالما به بانه من اهل الضلال في سابق علمه ويجوز ان يكون حالا من المفعول فيكون المعنى اضله في حال علم الكافر بانه ضال وختم على سمعه وقلبه اي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهوى وجعل على بصره غشاوة اي غطاء حتى لا يبصر الرشد وقرا حمزة والكسائي غشوة بفتح العين من غير الف وقد مضى في البقرة قال الشاعر اما والذي انا عبد له يمينا وما لك ابدى اليمينا لئن كنت البستني غشوة لقد كنت اصفيتك الود حينا فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله افلا تذكرون تتعظون وتعرفون انه قادر على ما يشاء وهذه الاية ترد على القدرية والامامية ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد اذ هي مصرحة بمنعهم الهداية ثم قيل وختم على سمعه وقلبه اي خارج مخرج الخبر عن احوالهم وقيل انه خارج مخرج الدعاء بذلك عليهم كما تقدم في اول البقرة وحكى ابن جريج انها نزلت في الحارث بن قيس من العياطلة وحكى النقاش انها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه طاف بالبيت ليلة ومعه الوليد بن المغيرة فتحدثا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل والله اني لاعلم انه لصادق فقال له مه وما دلك على ذلك فقال يا ابا عبد شمس كنا نسميه في صباه الصادق الامين فلما كمل عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن والله اني لاعلم انه لصادق قال فما يمنعك ان تصدقه وتؤمن به قال تتحدث عني بنات قريش اني قد اتبعت يتيم ابي طالب من اجل كسرة واللات والعزى ان اتبعته ابدا فنزلت وختم على سمعه وقلبه قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا هذا انكار منهم للاخرة وتكذيب للبعث وابطال للجزاء ومعنى نموت ونحيا اي نموت نحن ونحيا اولادنا قاله الكلبي وقرئ ونحيا بضم النون وقيل يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير اي نحيا ونموت وهي قراءة ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قال مجاهد يعني السنين والايام وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقرئ الا دهر يمر وقال ابن عيينة كان اهل الجاهلية يقولون الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا فنزلت هذه الاية وقال قطرب وما يهلكنا الا الموت وانشد ابو ذويب امن المنون وريبها يتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال عكرمة اي وما يهلكنا الا الله وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار قلت قوله فقال الله الخ نص البخاري ولفظه وخرجه مسلم ايضا وابو داود وفي الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن

احدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسماء الله وقال من لم يجعله من العلماء اسما انما خرج ردا على العرب في جاهليتها فانهم كانوا يعتقدون ان الدهر هو الفاعل كما اخبر الله عنهم في هذه الاية فكانوا اذا اصابهم ضر او ضيم او مكروه نسبوا ذلك الى الدهر فقيل لهم على ذلك لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لهذه الامور التي يضيفونها الى الدهر فيرجع السب اليه سبحانه فنهوا عن ذلك ودل على صحة هذا ما ذكرناه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن ادم الحديث ولقد احسن من قال وهو ابو علي الثقفي يا عاتب الدهر اذا نابه لا تلم الدهر على غدره الدهر مامور له امر ينتهي الدهر الى امره كم كافر امواله جمة تزداد اضعافا على كفره ومؤمن ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره وروي ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره ابوه وقال اياك يا بني وذكر الدهر وانشد فما الدهر بالجاني لشيء لحينه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا ولكن متى ما يبعث الله باعثا على معشر يجعل مياسيرهم عسرا وقال ابو عبيد ناظرت بعض الملحدة فقال الا تراه يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب الله في اباد الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا قال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند المصائب والنوائب حتى ذكروه في اشعارهم ونسبوا الاحداث اليه قال عمرو بن قميئة رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برامي فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام على الراحتين مرة وعلى العصى انوء ثلاثا بعدهن قيامي ومثله كثير في الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه اليه والله سبحانه الفاعل لا رب سواه وما لهم بذلك من علم من زائدة اي قالوا ما قالوا شاكين ان هم الا يظنون اي ما هم الا يتكلمون الا بالظن وكان المشركون اصنافا فمنهم هؤلاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره وحدث في الاسلام اقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فيتاولون ويرون القيمة موت البدن ويرون الثواب والعقاب خيالات تقع للارواح بزعمهم فشر هؤلاء اضر من شر جميع الكفار لان هؤلاء يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم وقيل نموت ونحيا اثارنا فهذه حياة الذكر وقيل اشاروا الى التناسخ اي يموت الرجل فتجعل روحه في موات فتحيا به قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم اي واذا يقرا على هؤلاء المشركين اياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن لهم دافع ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا حجتهم خبر كان والاسم الا ان قالوا ائتوا بابائنا الموتى نسالهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله قل الله يحييكم يعني بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة كما احياكم في الدنيا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله يعيدهم كما بداهم الزمخشري فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التهكم او لانه في حسابهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقوله ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا انما قالوه قولا مسكتا الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الالزام ذلك الالزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بابائهم وكان اهون شيء عليه قوله تعالى ولله ملك السموات والارض خلقا وملكا ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يوم الاول منصوب بيخسر ويومئذ تكرير للتاكيد او بدل وقيل ان التقدير ولله الملك يوم تقوم الساعة والعامل في يومئذ يخسر ومفعول يخسر محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة قوله تعالى وترى كل امة جاثية اي من هول ذلك اليوم والامة اهل كل ملة وفي الجاثية

تاويلات خمس الاول قال مجاهد مستوفزة وقال سفيان المستوفز الذي لا تصيب الارض منه الا ركبتاه واطراف انامله
الضحاك وذلك عند الحساب الثاني مجتمعة قال ابن عباس الفراء المعنى وترى اهل كل دين مجتمعين الثالث متميزة
قاله عكرمة الرابع خاضعة بلغة قريش قاله مورج الخامس باركة على الركب قاله الحسن والجثو الجلوس على
الركب جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما وقد مضى في مريم واصل الجثوة الجماعة من كل شيء
قال طرفة يصف قبرين ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفائح منضد * ثم قيل هو خاص بالكفار
قاله يحيى بن سلام وقيل انه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن
عبد الله بن باباه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم بالكوم جاثين دون جهنم ذكره الماوردي وقال
سلمان ان في يوم القيمة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابرهيم عليه السلام
لينادي لا اسالك اليوم الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها قال يحيى بن سلام الى حسابها وقيل ان كتابها الذي
كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر قاله مقاتل وهو معنى قول مجاهد وقيل كتابها ما كتبت الملئكة
عليها وقيل كتابها المنزل عليها لينظر هل عملوا بما فيه وقيل الكتاب ههنا اللوح المحفوظ وقرا يعقوب
الحضرمي كل امة بالنصب على البدل من كل الاولى لما في الاولى من الايضاح الذي ليس في الاولى اذ ليس في جثوها
شيء من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي اليه وهو استدعاؤها الى كتابها وقيل انتصب باعمال
ترى مضمرا والرفع على الابتداء اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير او شر قوله تعالى هذا كتابنا قيل من قول
الله لهم وقيل من قول الملائكة ينطق عليكم بالحق اي يشهد وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل
انهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفي المؤمنين ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون وقد تقدم وينطق في
موضع الحال من الكتاب او من ذا او خبر ثان لذا او يكون كتابنا بدلا من هذا وينطق الخبر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
اي نامر بنسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه اعمال بني ادم وقال ابن
عباس ان الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من اعمال العباد فيعارضون حفظة
على العباد كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من اعمال العباد موافقا لما في ايديهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب
لا زيادة فيه ولا نقصان قال ابن عباس وهل يكون النسخ الا من كتاب الحسن نستنسخ ما كتبت الحفظة على بني ادم لان
الحفظة ترفع الى الخزنة صحايف وقيل تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا على العبد ثم اذا عادوا الى مكانهم نسخوا منه الحسنات
والسيئات ولا تحول المباحات الى النسخة الثانية وقيل ان الملائكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله عز وجل امر بان يثبت
عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته اي الجنة ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم ذلك وهو
استفهام توبيخ فاستكبرتم عن قبولها وكنتم قوما مجرمين اي مشركين تكسبون المعاصي يقال فلان جريمة اهله اذا كان
كاسبهم فالمجرم من كسب نفسه المعاصي وقد قال الله سبحانه افنجعل المسلمين كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب
بالكفر اذا قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كاين والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة والساعة بالنصب عطفا على وعد الباقون
بالرفع على الابتداء او العطف على موضع ان وعد الله ولا يحسن على الضمير الذي في المصدر لانه غير مؤكد والضمير المرفوع انما
يعطف عليه بغير تاكيد في الشعر قلتم ما ندري ما الساعة هل هي حق ام باطل ان نظن الا ظنا تقديره عند المبرد ان
نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل اي وقلتم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
ان الساعة اتية قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا اي ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا وحاق بهم اي نزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزؤون
من عذاب الله قوله تعالى وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في النار كما تركتم لقاء يومكم هذا اي تركتم العمل له وماواكم النار اي مسكنكم
ومستقركم وما لكم من ناصرين من ينصركم قوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا يعني القران ولعبا وغرتكم الحيوة الدنيا

اي خدعتكم باباطيلها وزخارفها فظننتم ان ليس ثم غيرها وان لا بعث فاليوم لا يخرجون منها اي من النار
ولا هم يستعتبون يسترضون وقد تقدم وقرا حمزة والكسائي فاليوم لا يخرجون بفتح الياء وضم الراء كقوله
تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الباقون بضم الياء وفتح الراء كقوله ربنا اخرجنا ونحوه
قوله تعالى فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن رب السموات
ورب الارض رب العالمين بالرفع فيهما على معنى هو رب وله الكبرياء اي العظمة والجلال والبقاء والسلطان
والقدرة والكمال في السموات والارض وهو العزيز الحكيم والله اعلم سورة الاحقاف وهي اربع وثلاثون
وقيل خمس مكية في قول جميعهم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم
ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا هو اعلم
بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال
الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى
للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته
كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي اني تبت
اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في
اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج
وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تقدم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق تقدم ايضا واجل مسمى يعني القيمة في قول ابن
عباس وغيره وهو الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وقيل انه الاجل المقدور لكل
مخلوق والذين كفروا عما انذروا خوفوا معرضون مولون لاهون غير مستعدين له ويجوز
ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون
الله الى قوله صادقين فيه خمس مسائل الاولى قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اي
تعبدون من الاصنام والانداد من دون الله اروني ماذا خلقوا اي هل خلقوا شيا من
الارض ام لهم شرك اي نصيب في السموات اي في خلق السموات مع الله ائتوني بكتاب من قبل
هذا اي من قبل القران الثانية قوله تعالى او اثارة من علم قراءة العامة او اثارة بالف
بعد الثاء قال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم هو خط كانت تخطه العرب في الارض
ذكره المهدوي والثعلبي قال ابن العربي ولم يصح وفي مشهور الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك ولم يصح ايضا قلت هو ثابت عن حديث معوية
ابن الحكم السلمي خرجه مسلم واسنده النحاس حدثنا محمد بن احمد يعرف بالجرجي قال حدثنا بندار
قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل او اثارة من علم قال الخط وهذا صحيح ايضا قال ابن العربي
واختلفوا في تاويله فمنهم من قال لا باحة الضرب لان بعض الانبياء كان يفعله ومنهم من قال جاء
النهي عنه لانه صلى الله عليه وسلم قال فمن وافق خطه فذاك ولا سبيل الى معرفة طريق النبي المتقدم
فيه فاذا لا سبيل الى العمل به قال لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وحقيقته عند اربابه يرجع الى صور الكواكب فيدل ما يخرج منها على ما تدل عليه تلك الكواكب
من سعد او نحس يحل بهم فصار ظنا مبنيا على ظن وتعلقا بامر غايب قد درست طريقه وفات
تحقيقه وقد نهت الشريعة عنه واخبرت ان ذلك مما اختص الله به وقطعه عن الخلق وان كانت
لهم قبل ذلك اسباب يتعلقون بها في درك الاشياء المغيبة فان الله قد رفع تلك الاسباب وطمس
تلك الابواب وافرد نفسه بعلم الغيب فلا يجوز مزاحمته في ذلك ولا يحل لاحد دعواه ولا طلبه
عناء او لم يكن فيه نهي فاذا وقد ورد النهي فطلبه معصية او كفر بحسب قصد الطالب قلت ما اختاره
هو قول الخطابي في قوله عليه الصلاة والسلام فمن وافق خطه فذاك هذا يحتمل الزجر اذ كان ذلك علما للنبوة
وقد انقطعت فنهينا عن التعاطي لذلك قال القاضي عياض الاظهر من اللفظ خلاف هذا وتصويب خط
من يوافق خطه لكن من اين يعلم الموافقة والشرع منع من التخرص وادعاء الغيب جملة فان معناه
ان من وافق خطه فذاك الذي يجدون اجابته لا انه يريد اباحة ذلك لفاعله على ما تاوله
بعضهم وحكى مكي في تفسير قوله كان نبي من الانبياء يخط انه كان يخط باصبعه السبابة والوسطى
في الرمل ثم يزجر وقال ابن عباس في تفسير قوله ومنا رجال يخطون هو الخط الذي يخطه الحازي
فيعطى حلوانا فيقول اقعد حتى اخط لك وبين يدي الحازي غلام معه ميل ثم ياتي الى ارض
رخوة فيخط الاستاذ خطوطا معجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحوا على مهل خطين خطين
فان بقي خطان فهو علامة النجح فان بقي خط فهو علامة الخيبة والعرب تسميه الاسحم وهو
مشوم عندهم الثالثة قال ابن العربي ان الله سبحانه لم يبق من الاسباب الدالة على الغيب التي
اذن في التعلق بها والاستدلال منها الا الرؤيا فانه اذن فيها واخبر انها جزء من
النبوة وكذلك الفال واما الطيرة والزجر فانه نهى عنهما والفال هو الاستدلال بما يسمع من
الكلام على ما يريد من الامر اذا كان حسنا فاذا سمع مكروها فهو تطير امر الشرع بان
يفرح بالفال ويمضي على امره مسرورا واذا سمع المكروه اعرض عنه ولم يرجع لاجله وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك وقد روى بعض الادبا
الفال والزجر والكهان كلهم • مضللون ودون الغيب اقفال • وهذا كلام صحيح الا في الفال فان
الشرع استثناه وامر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما نظمه فانه تكلم بجهل وصاحب الشرع اصدق
واعلم واحكم انتهى قلت قد مضى في الطيرة والفال وما الفرق بينهما ما يكفي في المائدة وغيرها
ومضى في الانعام ان الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وان احدا لا يعلم من ذلك الا ما اعلمه
ويجعل على ذلك دلالة عادية يعلم بها ما يكون على جري العادة وقد يختلف مثاله اذا راى
نخلة قد اطلعت فانه يعلم ستثمر واذا لها قد تناثر طلعها علم انها لا تثمر وقد يجوز
ان ياتي عليها افة تهلك ثمرها فلا تثمر كما انه جايز ان تكون النخلة التي قد تناثر طلعها

يطلع الله فيها طلعا ثانيا فتثمر وكما انه جايز ايضا ان لا يلي شهر شهرا ولا يوم يوما ان اراد الله
افناء العالم ذلك الوقت الى غير ذلك مما تقدم في الانعام بيانه الرابعة قال ابن خويز منداد قوله تعالى
او اثارة من علم يريد الخط وقد كان ملك يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه واذا عرف الحاكم
خطه او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير
وقد روي عنه انه قال يحدث الناس فجورا فتحدث لهم اقضية فاما اذا شهد الشهود على الخط
المحكوم به مثل ان يشهدوا ان هذا خط الحاكم وكتابه اشهدنا على ما فيه وان لم يعلموا ما في الكتاب
وكذلك الوصية او خط الرجل باعترافه بمال لغيره يشهدون انه خطه او نحو ذلك فلا يختلف مذهبه
انه يحكم به وقيل او اثارة من علم او بقية من علم قاله ابن عباس والكلبي وابو بكر بن عياش وغيرهم
وفي الصحاح او اثارة من علم بقية منه وكذلك الاثرة بالتحريك ويقال سمنت الابل على اثارة
اي بقية من شحم كان قبل ذلك وانشد الماوردي والثعلبي قول الراعي وذات اثارة اكلت عليها •
نباتا في اكمته قفارا • وقال الهروي والاثارة والاثرة البقية يقال ما ثم عين ولا اثر وقال ميمون بن مهران
وابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة او اثارة من علم خاصة من علم وقال مجاهد رواية تاثرونها عمن
كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال القرظي هو الاسناد الحسن الحسن شيء ثياب او يستخرج
وقال الزجاج او اثارة اي علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهي
الرواية تقول اثرت الحديث اثره اثرة واثارة واثرا فانا اثر اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث
ماثور اي نقله خلف عن سلف قال الاعشى ان الذي فيه تماريتما • بين للسامع والاثر • ويروى
بين وقرئ او اثرة بضم الهمزة وسكون الثاء ويجوز ان يكون معناه بقية من علم ويجوز ان
يكون معناه شيئا ماثورا من كتب الاولين والماثور ما يتحدث به مما صح سنده عمن يحدث به
عنه وقرا السلمي والحسن وابو رجاء بفتح الهمزة والثاء من غير الف اي خاصة من علم اوتيتموها
او اثرتم بها على غيركم وروي عن الحسن ايضا وطائفة اثرة مفتوحة الالف ساكنة الثاء ذكر الاولى
الثعلبي والثاني الماوردي وحكى الثعلبي عن عكرمة وميراث من علم ان كنتم صادقين قوله تعالى
ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم فيه بيان مسالك الادلة باسرها فاولها المعقول
وهو قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
وهو احتجاج بدليل العقل في ان الجماد لا يصح ان يدعى من دون الله فانه لا يضر ولا ينفع ثم قال
ايتوني بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع او اثارة من علم قوله تعالى ومن اضل اي لا احد
اضل واجهل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهي الاوثان وهم عن دعائهم
غافلون يعني لا يسمعون ولا يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني ادم اذ قد مثلتها عبدتها
بالملوك التي تخدم قوله تعالى واذا حشر الناس يريد يوم القيمة كانوا لهم اعداء يعني هولاء المعبودون
اعداء للكفار يوم القيمة فالملائكة اعداء للكفار والجن والشياطين يتبرءون غدا من عبدتهم
ويلعن بعضهم بعضا ويجوز ان تكون الاصنام للكفار الذين عبدوها اعداء على تقدير خلق الحياة
لها دليله قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل عادوا معبوداتهم لانهم كانوا سبب هلاكهم
وجحد المعبودون عبادتهم وهو قوله وكانوا بعبادتهم كافرين قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات يعني القران قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين قوله تعالى ام يقولون افتريه
الميم صلة التقدير ايقولون افتراه اي تقوله محمد وهو اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا ومعنى
الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قال دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه التعجب وذلك ان

محمداً لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته
عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب
فلا يكون مفترياً والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض فلا تملكون لي
من الله شيئاً اي لا تقدروا على ان تردوا عني عذاب الله فكيف افتري على الله لاجلكم هو اعلم بما
تفيضون فيه اي تقولون عن مجاهد وقيل تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشي الخوض
فيه والاندفاع افاضوا في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير اذا دفع جرته من كرشه فاخرجها
ومنه قول الشاعر وافضن بعد كظومهن بجرة ◦ وافاض الناس من عرفات الى منى اي دفعوا وكل
دفعة افاضة كفى به شهيداً نصب على التمييز بيني وبينكم اي هو يعلم صدقي وانكم مبطلون وهو
الغفور لمن تاب الرحيم بعباده المومنين قوله تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل اي اول من ارسل
قد كان قبلي رسل عن ابن عباس وغيره والبدع الاول وقرا عكرمة وغيره بدَعاً بفتح الدال على تقدير
حذف المضاف والمعنى ما كنت صاحب بدع وقيل بدع وبديع بمعنى مثل نصف ونصيف وابدع
الشاعر جاء بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع وقوم
ابداع عن الاخفش وانشد قطرب قول عدي بن زيد فلا انا بدع من حوادث تعتري ◦ رجالاً
عرين من بعد موسى باسعد ◦ وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يريد يوم القيمة ولما نزلت فرح
المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل
له علينا ولولا انه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فنزلت
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فنسخت هذه الاية وارغم الله انف الكفار وقالت
الصحابة هنيئاً لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا
فنزلت ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونزلت وبشر
المومنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً قاله انس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك
وقالت ام العلا امراة من الانصار اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون بن حذافة
ابن جمح فانزلناه ابياتنا فتوفي فقلت رحمة الله عليك يا ابا السايب ان الله اكرمك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن قال
اما هو فقد جاه اليقين وما راينا الا خيراً فوالله اني لارجو له الجنة ووالله اني لرسول الله
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت فوالله لا ازكي بعده احداً ابداً ذكره الثعلبي وقال انما قال
هذا حين لم يعلم بغفران ذنبه وانما غفر له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته باربع سنين قلت
حديث ام العلا اخرجه البخاري وروايتي فيه وما ادري ما يفعل به ليس فيه بي ولا بكم وهو
الصحيح ان شا الله على ما ياتي بيانه والاية ليست منسوخة لانها خبر والاخر ان من اول السورة
الى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب ان يكون هذا ايضاً خطاباً
للمشركين كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلى الله عليه وسلم للمشركين وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم في الاخرة ولم يزل صلى الله عليه وسلم من اول مبعثه الى وفاته يخبر ان من
مات على الكفر مخلداً في النار ومن مات على الايمان واتبعه واطاعه فهو في الجنة فقد درى
صلى الله عليه وسلم ما يفعل به وبهم في الاخرة وليس يجوز ان يقول لهم ما ادري ما يفعل بي
ولا بكم في الاخرة فيقولوا كيف نتبعك وانت لا تدري ما تصير الى خفض ودعة ام الى
عذاب وعقاب والصحيح في الاية قول الحسن كما قرا علي بن محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف

ابن موسى قال حدثنا وكيع قال حدثنا ابو بكر الهذلي عن الحسن وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا قال
ابو جعفر وهذا اصح قول واحسنه لا يدري صلى الله عليه وسلم ما يلحقه من مرض وصحة ورخص وغلا وغنى
وفقر ومثله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السو ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدي وغيره
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه
يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك وراوا فيها فرجاً مما هم فيه من اذى
المشركين ثم انهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا يا رسول الله متى الى الارض التي ذات نخل وشجر وما التي رايت
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يعني لا ادري اخرج الى الموضع الذي
رايته في منامي ام لا ثم قال انما هو شي رايته في منامي ان اتبع الا ما يوحى الي اي لم يوح الي ما اخبرتكم به قال
القشيري فعلى هذا لا نسخ في الاية وقيل المعنى ما ادري ما يفرض علي وعليكم من الفرايض واختار الطبري ان يكون
المعنى ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا اتومنون ام تكفرون ام تعاجلون بالعذاب ام تؤخرون
قلت وهو قول الحسن والسدي وغيرهما قال الحسن ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اما في الاخرة فمعاذ
الله قد علم انه في الجنة حين اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اخرج كما اخرج الانبياء
قبلي او اقتل كما قتلت الانبياء وما ادري ما يفعل بكم امتي المصدقة ام المكذبة ام امتي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً
ام مخسوف بها خسفاً ثم نزل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يقول سيظهر دينه
على الاديان ثم قال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فاخبره بما يصنع به وبامته ولا نسخ على هذا
كله وقال الضحاك ايضاً ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تومرون به وتنهون عنه وقيل امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يقول للمومنين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في القيمة ثم بين الله تعالى ذلك في قوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبين فيما بعد ذلك حال المومنين ثم بين حال الكافرين قلت وهذا معنى القول
الاول الا انه اطلق فيه النسخ بمعنى البيان وانه امر ان يقول ذلك للمومنين والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره وما
في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة وان تكون استفهامية مرفوعة ان اتبع الا ما يوحى الي وقرئ يوحى
اي الله عز وجل وما انا الا نذير مبين تقدم في غير موضع قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند غير الله و
كفرتم به قال الشعبي المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بني اسرائيل قال ابن عباس والحسن وعكرمة
وقتادة ومجاهد هو عبد الله بن سلام شهد على اليهود ان النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في التورية وانه نبي
من عند الله وفي الترمذي عنه نزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقد تقدم في اخر سورة الرعد وقال مسروق هو موسى والتورية
لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية وقال وقوله لهم وكفرتم به مخاطبة لقريش الشعبي هو رجل
من اهل بني اسرائيل بموسى والتورية لا ابن سلام لانه اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين ويجوز
ان تكون الاية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية فان الاية كانت تنزل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم
ضعوها في سورة كذا والاية في محاجة المشركين ووجه الحجة انهم كانوا يراجعون اليهود في اشيا اي شهادتهم
لهم وشهادة نبيهم من اوضح الحجج ولا يبعد ان تكون السورة في محاجة اليهود ولما جاء ابن سلام مسلماً من قبل
ان يعلم اليهود باسلامه قال يا رسول الله اجعلني حكماً بينك وبين اليهود فسالهم عنه اي رجل هو فيكم قالوا هو
سيدنا وعالمنا فقال انه قد امن بك فاساوا القول فيه الحديث وقد تقدم قال ابن عباس رضيت اليهود بحكم ابن
سلام وقالت للنبي ان شهد لك امنا فسئل فشهد ثم اسلم على مثله اي على مثل ما جئتكم به فشهد موسى
على التورية ومحمد على القران وقال الجرجاني مثله صلة اي وشهد شاهد عليه انه من عند الله فامن اي الشاهد
واستكبرتم انتم عن الايمان وجواب ان كان محذوف تقديره فامن اتومنون قاله الزجاج وقيل فامن

واستكبرتم اليس قد ظلمتم ببينة ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اختلف في سبب نزولها على ستة اقوال الاول ان ابا ذر الغفاري
دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب واستجاب به قومه فاتاه زعيمهم فاسلم
ثم دعاهم الزعيم فاسلموا فبلغ ذلك قريشا فقالوا غفار الحلفا لو كان خيرا ما سبقونا اليه فنزلت
الاية قاله ابو المتوكل الثاني ان زنيرة اسلمت فاصيب بصرها فقالوا لها اصابك اللات والعزى
فرد الله عليها بصرها فقالت عظماء قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل
الله هذه الاية قاله عروة بن الزبير الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم واسد وحنظلة
واشجع قالوا لمن اسلم من غفار وجهينة ومزينة وخزاعة لو كان اجابة محمد خيرا ما سبقتنا اليه رعاة
البهم اذ نحن اعز منهم قاله الكلبي والزجاج وحكاه القشيري عن ابن عباس وقال قتادة نزلت في مشركي
قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه بلال وصهيب وعمار وفلان وهو القول
الرابع القول الخامس ان الذين كفروا اليهود قالوا للذين امنوا يعني عبد الله بن سلام واصحابه لو كان
دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين حكاه الثعلبي وقال مسروق ان الكفار قالوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه اليهود فنزلت هذه الاية وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما
سبقونا اليه من اكبر المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم لو كان ما انتم عليه
خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم للرسول خيرا ما سبقتمونا ذكره الماوردي ثم قيل قوله ما سبقونا
اليه يجوز ان يكون من قول الكفار لبعض المؤمنين ويجوز ان يكون على الخروج من الخطاب الى
الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واذ لم يهتدوا به يعني الايمان وقيل القران وقيل
محمد صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك قديم اي لما لم يصيبوا الهدى بالقران ولا بمن
جاء به عادوه ونسبوه الى الكذب وقالوا هذا افك قديم كما قالوا هذا اساطير الاولين وقيل
لبعضهم هل في القران من جهل شيئا عاداه فقال نعم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم ومثله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قوله تعالى ومن قبله اي ومن قبل القران كتاب
موسى اي التورية اماما يقتدى بما فيه ورحمة من الله وفي الكلام حذف اي فلم يهتدوا به وذلك
انه كان في التورية نعت النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به فتركوا ذلك واماما نصب على
الحال لان المعنى وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة معطوف عليه وقيل انتصب باضمار
فعل اي انزلناه اماما ورحمة وقال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بالاضافة لان
النكرة اذا اعيدت او اضيفت او ادخل عليها الف ولام صارت معرفة وهذا كتاب يعني القران
مصدق يعني للتورية ولما قبله من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لسانا
عربيا منصوب على الحال اي مصدقا لما قبله عربيا ولسانا توطئة للحال اي تاكيد كقولهم
جاءني زيد رجلا صالحا فتذكرون توكيدا وقيل نصب باضمار فعل تقديره وهذا كتاب مصدق
اعني لسانا عربيا وقيل نصب باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي وقيل ان لسانا مفعول
والمراد النبي صلى الله عليه وسلم اي وهذا كتاب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معجزته
والتقدير مصدق ذا لسان عربي فاللسان منصوب بمصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم
ويبعد ان يكون اللسان القران لان المعنى يكون تصديق نفسه لينذر الذين ظلموا قراءة العامة
بالياء خبرا عن الكتاب اي لينذر الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل هو خبر عن الرسول صلى
الله صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر والبزي بالتاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم على

خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انما انت نذير وبشيرا لقوم يؤمنون وبشرى في
موضع رفع اي هو بشرى وقيل عطفا على الكتاب اي وهذا كتاب مصدق وبشرى ويجوز ان
يكون منصوبا باسقاط حرف الخفض اي لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فلما حذف الخافض نصب
وقيل على المصدر اي وتبشر المحسنين بشرى فلما جعل مكان وتبشر بشرى او بشارة نصب كما تقول
اتيتك لازورك وكرامة لك وقضاء لحقك يعني لازورك واكرمك واقضي حقك فنصب
الكرامة بفعل مضمر قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله الاية تقدم معناها وقال ابن عباس نزلت
في ابي بكر الصديق والاية تعم جزاء نصب على المصدر قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
الى قوله المسلمين فيه سبع مسائل الاولى ووصينا الانسان بوالديه حسنا بين اختلاف حال
الانسان مع ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما اي فلا يبعد مثل هذا في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وقومه حتى يستجيب له البعض ويكفر البعض فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض
قاله القشيري وقتادة الثانية قوله تعالى حسنا قراءة العامة حسنا وكذا هو في مصاحف اهل
الحرمين والبصرة والشام وقرا ابن عباس والكوفيون احسانا وحجتهم في الانعام وبني اسرائيل
وبالوالدين احسانا وكذا هو في مصاحف اهل الكوفة وحجة القراءة الاولى قوله في العنكبوت
ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف القبيح والاحسان خلاف
الاساءة والتوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت الثالثة قوله تعالى حملته
امه كرها ووضعته كرها اي بكره ومشقة وقراءة العامة بفتح الكاف واختاره ابو عبيد
قال وكذلك لفظ الكره في القران كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو
كره لكم لان ذلك اسم وهذه كلها مصادر وقرا الكوفيون كرها قيل هما لغتان مثل الضعف
والضعف والشهد والشهد قاله الكسائي وكذلك هو عند البصريين وقال الكسائي ايضا والفراء
في الفرق بينهما ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره اي قهرا وغصبا
ولهذا قال بعض اهل العربية ان كرها بفتح الكاف لحن الرابعة قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون
شهرا قال ابن عباس اذا حملت تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين وان حملت ستة اشهر
ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي ان عثمان اتي بامراة قد ولدت لستة اشهر فاراد
ان يقضي عليها بالحد فقال له علي رضي الله عنه ليس ذلك عليها قال الله تعالى وحمله وفصاله
ثلثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فالرضاع اربعة وعشرون
شهرا والحمل ستة اشهر فرجع عثمان عن قوله ولم يحدها وقد مضى في البقرة وقيل لم يعد ثلاثة
اشهر في ابتداء الحمل لان الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس وهو معنى
قوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به والفصال الفطام وقد تقدم في لقمان الكلام
فيه وقرا الحسن ويعقوب وغيرهما وفصله بفتح الفاء وسكون الصاد من غير الف وروي ان الاية
نزلت في ابي بكر الصديق وكان حمله وفصاله في ثلاثين شهرا حملته امه تسعة اشهر وارضعته
احدى وعشرين شهرا وفي الكلام حذف اي ومدة حمله ومدة فصاله ثلاثون شهرا ولولا هذا
الاضمار لنصب ثلاثون على الظرف وتغير المعنى الخامسة قوله حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس
ثماني عشرة سنة وقال في رواية عطاء عنه ان ابا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني
عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام للتجارة فنزلوا منزلا
فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك فساله عن

للدين فقال الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال هذا
والله نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسى فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يكاد
يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفره وحضره فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن
اربعين سنة صدق ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وهو ابن ثمان وثلاثون سنة فلما بلغ
اربعين سنة قال رب اوزعني الاية وقال الشعبي وابن زيد الاشد الحلم وقال الحسن هو بلوغ الاربعين
وعند قيام الحجة عليه وقد مضى في الانعام الكلام في الاشد وقال السدي والضحاك نزلت في
سعد بن ابي وقاص وقد تقدم وقال الحسن هي مرسلة نزلت على العموم والله اعلم السادسة قوله قال
رب اوزعني اي الهمني ان اشكر في موضع نصب على المصدر اي اشكر نعمتك اي على ما انعمت علي
من الهداية وعلى والدي بالتحنن والشفقة حتى ربياني صغيرا وقيل انعمت علي بالصحة والعافية
وعلى والدي بالغنى والثروة وقال علي رضي الله عنه هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق اسلم ابواه
جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره فاوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ووالده
هو ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وامه ام الخير واسمها سلمى بنت صخر
بن عمرو بن كعب بن سعد وام ابيه ابي قحافة قيلة بالياء المعجمة باثنتين من تحتها وامراة
ابي بكر الصديق اسمها قتلة بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزى وان اعمل صالحا
ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال
وعامر بن فهيرة ولم يدع شيئا من الخير الا اعانه الله عليه وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اليوم صائما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة
قال ابو بكر انا قال فمن اطعم منكم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم مريضا قال ابو بكر
انا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة السابعة واصلح لي في
ذريتي اي اجعل ذريتي صالحين قال ابن عباس فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة الا امنوا بالله وحده
ولم يكن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم هو وابواه واولاده وبناته كلهم الا
ابو بكر وقال سهل بن عبد الله المعنى اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق وقال ابو عثمان اجعلهم
ابرارا لي مطيعين لك وقال ابن عطا وفقهم بصالح اعمال ترضى بها عنهم وقال محمد بن علي لا تجعل
للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا وقال مالك بن مغول اشتكى ابو معشر ابنه الى طلحة بن مصرف
فقال استعن عليه بهذه الاية رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين قال ابن عباس رجعت
من الامر الذي كنت عليه واني من المسلمين اي المخلصين بالتوحيد قوله تعالى اولئك الذين
يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم قراءة العامة بضم الياء فيهما وقرئ يتقبل
ويتجاوز بفتح الياء فيهما والضمير فيهما لله عز وجل وقرا حفص وحمزة والكسائي نتقبل ونتجاوز
بالنون فيهما اي نغفرها ونصفح عنها والتجاوز اصله من جزت الشيء اذا لم تقف عليه وهذه
الاية تدل على ان الاية التي قبلها ووصينا الانسان الى اخرها مرسلة نزلت على العموم وهذا هو
قول الحسن ومعنى نتقبل عنهم الحسنات ونتجاوز عن السيئات قال زيد بن اسلم ويرويه مرفوعا
انهم اذا اسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم وقيل الاحسن ما يقتضي الثواب من الطاعات
وليس في الحسن المباح ثواب ولا عقاب حكاه ابن عيسى في اصحاب الجنة في بمعنى مع اي مع اصحاب
الجنة تقول اكرمك من احسن اليك في جميع اهل البلد اي مع جميعهم وعد الصدق نصب لانه

مصدر موكد لما قبله اي وعد الله اهل الايمان ان يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
وعد الصدق وهو من باب اضافة الشيء الى نفسه لان الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده
الله وهو كقوله حق اليقين وهذا عند الكوفيين فاما عند البصريين فتقديره وعد الكلام
الصدق او الكتاب الصدق فحذف الموصوف وقد مضى هذا في غير موضع الذي كانوا يوعدون
في الدنيا على السنة الرسل قوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت
القرون من قبلي قراءة نافع وحفص وغيرهما اف مكسور منون وقرا ابن كثير وابن محيصن
وابن عامر والمفضل عن عاصم اف بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر غير منون وكلها لغات
وقد مضى في بني اسرائيل وقراءة العامة اتعدانني بنونين مخففتين وفتح ياءه اهل المدينة ومكة
واسكن الباقون وقرا ابو حيوة والمغيرة وهشام اتعداني بنون واحدة والاعمش وابو معمر
بفتح الالف وضم الراء قال ابن عباس والسدي وابو العالية ومجاهد نزلت في عبد الله ابن
ابي بكر رضي الله عنهما وكان يدعوه ابواه الى الاسلام فيجيبهما بما اخبر الله عز وجل وقال قتادة
والسدي ايضا هو عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وكان ابوه وامه ام رومان يدعوانه
الى الاسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عز وجل عنه وكان هذا منه قبل اسلامه
وروي ان عايشة رضي الله عنها انكرت ان تكون نزلت في عبد الرحمن وقال الحسن وقتادة ايضا
هي نعت عبد كافر عاق لوالديه وقال الزجاج كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل اسلامه والله
عز وجل يقول اولئك الذين حق عليهم القول اي العذاب ومن ضرورته عدم الايمان وعبد الرحمن
من افاضل المومنين فالصحيح انها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه وقال محمد بن زياد كتب معاوية
الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون
لابنائكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الاية فقال والله ما هو
به وان شئت لسميت ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة قال المهدوي
ومن جعل الاية في عبد الرحمن كان قوله بعد ذلك اولئك الذين حق عليهم القول يراد به من اعتقد
ما تقدم ذكره فاول الاية خاص واخرها عام وقيل ان عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من
قبلي قال مع ذلك فاين عبد الرحمن بن جدعان واين عثمان بن عمرو واين عامر بن كعب ومشايخ
قريش حتى اسالهم عما تقولون فقوله اولئك الذين حق عليهم يرجع الى اولئك الاقوام انتهى
قلت قد مضى من خبر عبد الرحمن بن ابي بكر في سورة الانعام عند قوله تعالى له اصحاب يدعونه
الى الهدى ما يدل على نزول هذه الاية فيه اذ كان كافرا وعند اسلامه وفضله تعين انه ليس المراد بقوله
اولئك الذين حق عليهم القول وهما يعني والديه يستغيثان الله اي يدعون الله له بالهدى او يستغيثان
بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء
قال الفراء اجاب الله دعاءه ويلك امن اي صدق بالبعث ان وعد الله حق اي صدق لا خلف فيه
فيقول ما هذا اي ما يقوله والداه الا اساطير الاولين اي احاديثهم وما سطروه مما لا اصل له اولئك
الذين حق عليهم القول يعني الذين اشار اليهم ابن ابي بكر في قوله احيوا لي مشايخ قريش وهم المعنيون
في قوله وقد خلت القرون من قبلي فاما ابن ابي بكر عبد الله وعبد الرحمن فقد اجاب الله فيه دعا ابيه
في قوله واصلح لي في ذريتي على ما تقدم ومعنى حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهي كلمة الله هولاء
في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي في امم اي مع امم قد خلت تقدمت ومضت من قبلهم من
الجن والانس الكافرين انهم اي تلك الامم الكافرة كانوا خاسرين لاعمالهم اي ضاع سعيهم وخسروا الجنة

قوله تعالى ولكلٍ درجاتٌ اي ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والانس مراتب عند
الله يوم القيمة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار في هذه الاية تذهب سفالاً ودرجات اهل الجنة
علوًّا وليوفيهم اعمالهم قرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء لذكر الله قبله
وهو قوله وعد الله حق واختاره ابو حاتم الباقون بالنون ردًّا على قوله ووصينا الانسان بوالديه
وهو اختيار ابي عبيد وهم لا يظلمون لا يزاد مسيء ولا ينقص محسن قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا وليوفيهم اعمالهم
وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عادٍ اذ
انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني
اخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم قومًا تجهلون فلما راوه
عارضًا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ
اليم تدمر كل شيءٍ بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وابصارًا وافئدةً فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيءٍ اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانًا الهةً بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك
نفرًا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابًا انزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي الى الحق والى
طريقٍ مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذابٍ اليم ومن لا
يجب داعي الله فليس بمعجزٍ في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلالٍ مبين اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادرٍ على ان يحيي الموتى بلى انه على كل
شيءٍ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما
يوعدون لم يلبثوا الا ساعةً من نهارٍ بلاغٌ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قوله ويوم يعرض
اي نكرهم يا محمد يوم يعرض الذين كفروا على النار اي يكشف الغطا فيقربون من النار وينظرون اليها
اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر وقرا الحسن ونصر وابو العالية ويعقوب وابن كثير
ءاذهبتم بهمزتين مخففتين واختاره ابو حاتم وقرا ابو حيوة وهشام بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام
الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ والعرب توبخ بالاستفهام
وبغير الاستفهام وقد تقدم واختار ابو عبيد ترك الاستفهام لانه قراة اكثر ائمة السبعة نافع وعاصم
وابو عمرو وحمزة والكسائي مع من وافقهم شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة بن ابي شهاب ويحيي
ابن الحارث والاعمش ويحيي بن وثاب وغيرهم فهذه عليها اجل الناس وترك الاستفهام احسن
لان اثباته يوهم انهم لم يفعلوا ذلك كما تقول انا ظلمتك تريد انا لم اظلمك واثباته حسن ايضا
يقول القايل ذهبت فعلت كذا يريد يوبخ ويقول اذهبت فعلت كل ذلك جايز ومعنى اذهبتم
طيباتكم اي تمتعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات يعني المعاصي فاليوم تجزون

عذاب الهون اي عذاب الخزي والفضيحة قال مجاهد الهون الهوان الهون بلغة قريش بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق اي تستعلون على اهلها بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون في افعالكم بغيًا وظلمًا
وقيل اذهبتم طيباتكم اي افنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة ماخوذة
من قولهم ذهب اطيباه اي شبابه وقوته قال الماوردي ووجدت الضحاك قاله ايضا قلت القول
الاول اظهر روى الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لانا اعلم بخفض العيش
ولو شئت لجعلت اكبادًا وصلاءً وصِنابًا وصلايق ولكن استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف
اقوامًا فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال ابو عبيد في حديث عمر لو شئت لدعوت
بصلايق وصناب وكراكر واسنمة وفي بعض الحديث وافلاذ قال ابو عمرو وغيره الصلاء بالكسر والمد
الشوا سمي بذلك لانه يصلى بالنار والصلاء ايضا صلا النار فان فتحت الصاد قصرت وقلت
صلا النار والصناب الاصبغة المتخذة من الخردل والزبيب قال ابو عمرو ولهذا قيل للبرذون
صنابي انما شبه لونه بذلك قال والسلايق بالسين هو ما يسلق من البقول وغيرها وقال غيره هي
الصلايق بالصاد قال جرير تكلفني معيشة ال زيدٍ ومن لي بالصلايق والصناب والصلايق الخبز
الرقاق العريض وقد مضى هذا المعنى في الاعراف واما الكراكر فكراكر الابل واحدتها كركرة وهي معروفة
هذا قول ابي عبيد وفي الصحاح والكركرة رحى زور البعير وهي احدى الثفنات الخمس والكركرة ايضا
الجماعة من الناس وابو مالك عمرو بن كركرة رجل من علماء اللغة قال ابو عبيد واما الافلاذ فان واحدها
فلذ وهي القطعة من الكبد قال اعشى باهلة تكفيه حزة فلذٍ ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر
وقال قتادة ذكر لنا ان عمر قال لو شئت كنت اطيبكم طعامًا والينكم لباسًا ولكني استبقي طيباتي للاخرة
ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا
من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال لئن كان حظنا من
الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونًا بعيدًا وفي صحيح مسلم وغيره ان عمر
رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مشربة حين هاجر نساءه قال فالتفت فلم ار شيئًا الا
اهبًا جلودًا معطونة قد سطع ريحها فقلت يا رسول الله انت رسول الله وخيرته وهذا كسرى وقيصر
في الديباج والحرير قال فاستوى جالسًا وقال افي شك انت يا بن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم
في حيوتهم الدنيا فقلت استغفر لي فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاص كنت اتغدى عند
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت او الخل والخبز والقديد والخبز واللبن واقل ذلك اللحم الغريض
وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فانه طعام كله فجيء بخبز متقطع غليظ فجعل ياكل ويقول كلوا فجعلنا
لا ناكل فقال ما لكم لا تاكلون فقلنا والله يا امير المؤمنين نرجع الى طعام الين من طعامك هذا
فقال يا ابن ابي العاص اما ترى باني عالم ان لو امرت بعناق سمينة فيلقى عنها شعرها ثم تخرج مصلية
كانها كذا وكذا اما باني عالم ان لو امرت بصاع او صاعين من زبيب فاجعله في سقاء ثم اشن
عليه من الماء فيصبح كانه دم غزال فقلت يا امير المؤمنين اجل ما تنعت العيش قال اجل والله الذي
لا اله الا هو لولا اني اخاف ان تنقص حسناتي يوم القيمة لشاركناهم في العيش ولكني سمعت الله
يقول اذهبتم طيباتكم في حيوتكم واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون اي تتعظمون على طاعة الله وعلى عباد الله وبما كنتم
تفسقون تخرجون عن طاعة الله وقال جابر اشتهى اهلي لحمًا فاشتريته لهم فمررت بعمر بن
الخطاب فقال ما هذا يا جابر فاخبرته فقال او كلما اشتهى احدكم جعله في بطنه اما تخشى ان تكون

من اهل هذه الاية اذهبتم طيباتكم الاية قال ابن العربي وهذا عتاب منه له على التوسع باتساع
اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء فان تعاطي الطيبات من الحلال تستشري بها الطباع وتستمر بها
العادة فاذا افتقدتها استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام المحض بغلبة العادة
واستشراء الهوى على النفس الامارة بالسوء فاخذ عمر الامر من اوله وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله
والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه على المرء ان ياكل ما وجد طيبا او قفارا ولا يتكلف الطيب
ويتخذه عادة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشبع اذا وجد ويصبر اذا عدم وياكل الحلوا اذا
قدر عليها او ياكل العسل اذا اتفق له ويا كل اللحم اذا تيسر ولا يعتمده اصلا ولا يجعله ديدنا ومعيشة
النبي صلى الله عليه وسلم معلومة وطريقة الصحابة منقولة فاما اليوم عند استيلاء الحرام
وفساد الحطام فالخلاص عسير والله يهب الاخلاص ويعين على الخلاص برحمته وقيل ان التوبيخ
واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة وهو حسن فان تناول الطيب الحلال مادون فيه
فاذا ترك الشكر عليه واستعان به على ما لا يحل له فقد اذهبه قوله تعالى واذكر اخا عاد هو هود
ابن عبد الله بن رباح عليه السلام كان اخاهم في النسب لا في الدين اذ انذر قومه بالاحقاف
اي اذكر لهولاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها وقيل امره بان يتذكر في نفسه قصة هود
ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له والاحقاف ديار عاد وهي الرمال العظام في قول الخليل
وغيره وكانوا قهروا اهل الارض بفضل قوتهم والاحقاف جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم
واعوج ولم يبلغ ان يكون جبلا والجمع حقاف واحقف وتحقف الرمل والهلال اي اعوج وقيل الحقف
جمع حقاف والاحقاف جمع الجمع ويقال حقف احقف قال الاعشى بات الى ارطاه حقف احقفا
اي رمل مستطيل مشرف والفعل منه احقوقف قال العجاج طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال
حتى احقوقفا اي انحنى واستدار قال امرؤ القيس كحقف النقى يمشي الوليدان فوقه بما احتسبا من
لين مس وتسهال وفيما اريد بالاحقاف ههنا مختلف فيه فقال ابن زيد هي رمال مشرفة مستطيلة
كهيئة الجبال ولم تبلغ ان تكون جبالا وشاهده ما ذكرناه وقال قتادة هي جبال مشرفة
بالشحر والشحر قريب من عدن وعنه ايضا ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن اهل رمل مشرفين
على البحر بارض يقال لها الشحر وقال مجاهد هي ارض من حسمى تسمى بالاحقاف وقال ابن عباس
والضحاك الاحقاف جبل بالشام وعن ابن عباس ايضا واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت
منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليه ينسب الابل المهرية فيقال ابل مهرية
ومهاري وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا يبس العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة
ارم وقال الكلبي احقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمن الغرق كان ينضب الماء من الارض ويبقى اثره
وقال الطفيل عن علي بن ابي طالب انه قال خير واد في الناس واد بمكة وواد نزل به ادم بارض
الهند وشر واد في الناس واد بالاحقاف وواد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه ارواح الكفار
وخير بئر في الناس بئر زمزم وشر بئر في الناس بئر برهوت وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت
وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي ومن بعده قاله الفرا
وفي قراءة ابن مسعود من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله هذا من قول الرسل فهو كلام
معترض ثم قال هود اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقيل الا تعبدوا الا الله من كلام هود
قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فيه وجهان احدهما لتزيلنا عن عبادتها بالافك
الثاني لتصرفنا عن الهتنا بالمنع قاله الضحاك قال عروة بن اذينة ان تك عن احسن الصنيعة ما

فوكا ففي اخرين قد افكوا يقولون لم توفق للاحسان فانت في قوم صرفوا فاتنا بما تعدنا هذا يدل
على ان الوعد قد يوضع موضع الوعيد ان كنت من الصادقين انك نبي قال انما العلم بوقت مجي العذاب
عند الله لا عندي وابلغكم ما ارسلت به عن ربكم ولكني اريكم قوما تجهلون في سؤالكم استعجال
العذاب فلما راوه عارضا قال المبرد الضمير في راوه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا فالضمير يعود
الى السحاب اي فلما راوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير سمي بذلك لانه يبدو في عرض
السماء وقيل نصب على الحال وقيل يرجع الضمير الى قوله فاتنا بما تعدنا فلما راوه حسبوه سحابا يمطرهم
وكان المطر قد ابطا عنهم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم استبشروا وكان قد جاءهم من واد جرت العادة
ان ما جاءهم منه يكون غيثا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري والعارض السحاب يعترض في الافق
ومنه قوله تعالى هذا عارض ممطرنا لانه معرفة لا يجوز ان يكون صفة لعارض وهو نكرة والعرب
انما تفعل مثل هذا في الاسماء المشتقة من الافعال دون غيرها قال جرير يا رب غابطنا لو كان يطلبكم
لاقى مباعدة منكم وحرمانا ولا يجوز ان يقال هذا رجل غلامنا وقال اعرابي بعد الفطر رب صائمة
لن تصومه وقائمة لن تقومه فجعله نعتا للنكرة واضافه الى المعرفة قلت قوله لا يجوزان
يكون صفة لعارض خلاف قول النحويين والاضافة في تقدير الانفصال فهي اضافة لفظية لا حقيقية
لانها لم تفد الاول تعريفا بل الاسم نكرة على حاله فلذلك جرى نعتا على النكرة هذا قول النحويين
في الاية والبيت ونعت النكرة نكرة ورب لا تدخل الا على النكرة بل هو اي قال لهم هود والدليل عليه
قراءة من قرا قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم
يعني قولهم فاتنا بما تعدنا ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم والريح التي عذبوا فيها نشات
من ذلك السحاب الذي راوه وخرج هود من بين اظهرهم فجعلت الفساطيط تحمل الظعينة فترفعها
كانها جرادة ثم تضرب بها الصخور قال ابن عباس اول ما راوا العارض قاموا فمدوا ايديهم فاول ما
عرفوا انه عذاب راوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء
والارض مثل الريش فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامر الله
الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية ايام حسوما ولهم انين ثم
امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر فهي التي قال الله تدمر كل شيء بامر ربها
اي كل شيء مرت به من رجال عاد واموالها قاله ابن عباس اي كل شيء بعثت اليه والتدمير الهلاك
وكذلك الدمار وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا يقال دمره تدميرا ودمارا ودمر عليه بمعنى
ودمر يدمر دمورا دخل بغير اذن وفي الحديث من سبق طرفه استيذانه فقد دمر مخفف الميم وتدمر
بلد بالشام ويربوع تدمري اذا كان صغيرا قصيرا باذن ربها وفي البخاري عن عايشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته
انما كان يتبسم قالت وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه فقلت يا رسول الله الناس اذا
راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر وارالك اذا رايته عرف في وجهك الكراهية فقال يا عايشة
ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا
خرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذكر الماوردي ان القايل هذا عارض ممطرنا من
قوم عاد بكر بن معاويه ولما راى السحاب قال اني لا ارى سحابا مرمدا لا تدع من عاد احدا
فذكر عمرو بن ميمون انها كانت تاتيهم بالرجل الغايب حتى تقذفه في ناديهم قال ابن اسحق واعتزل

هو ومن معه في حظيرة ما يصيبه ومن معه الاما ثم تبين اعلامنا بهم وتلذ الانفس به وانها
لنهم من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا وحكى الكلبي ان شاعرهم
قال في ذلك فدعا هود عليهم دعوة امحوا همودا عصفت ريح عليهم تركت عادا خمودا سخرت
سبع ليال لم تدع في الارض عودا وعمر هود في قومه مائة وخمسين فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرا
عاصم وحمزة لا يرى الا مساكنهم بالياء غير مسمى الفاعل وكذلك روي عن سلمة عن ابن كثير الا انه
قرا ترى بالتاء وقد روي ذلك عن ابي بكر عن عاصم الباقون ترى بتاء مفتوحة مساكنهم بالنصب
اي لا ترى يا محمد الا مساكنهم قال المهدوي ومن قرا بالتاء غير مسمى الفاعل فعلى لفظ الظاهر الذي
هو المساكن المونثة وقيل هو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقاله ابو حاتم لا يستقيم هذا في اللغة
الا ان يكون فيها اضمار كما يقول في الكلام لا ترى النساء الا زينب ولا يجوز لا ترى الا زينب وقال سيبويه
معناه لا ترى اشخاصهم الا مساكنهم واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة عاصم وحمزة قال الكسائي
معناه لا يرى شيء الا مساكنهم فهو محمول على المعنى كما تقول ما قام الا هند والمعنى ما قام احد الا هند
وقال الفراء لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما ترى مساكنهم لانها قائمة كذلك نجزي القوم
المجرمين اي مثل هذه العقوبة نعاقب بها المشركين قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قيل ان
ان زائدة تقديره ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا قول العتبي وانشد الاخفش ويرجي المرء ما ان لم
يراه ويعرض دون ادناه الخطوب وقال الاخر فما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة اخرينا وقيل ان
ما بمعنى الذي وان بمعنى ما والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه قاله المبرد وقيل شرطية
وجوابها محذوف وتقديره ولقد مكناهم في ما ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر وعنادكم اشد وتم الكلام
ثم ابتدا فقال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني قلوبا يفقهون بها فما اغنى عنهم سمعهم ولا
ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من عذاب الله اذ كانوا يجحدون يكفرون بايات الله وحاق بهم احاط
بهم ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما
كان يجاور بلاد الحجاز وكانت اخبارهم متواترة عندهم وصرفنا الايات يعني الحجج والدلالات وانواع البينات
والعظات اي بيناها لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون فلم يرجعوا وقيل اي صرفنا ايات القران
في الوعد والوعيد والقصص والاعجاز لعل هؤلاء المشركين يرجعون قوله تعالى فلولا نصرهم لولا
بمعنى هلا اي هلا نصرهم الهتهم التي تقربوا بها الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى من طاعة
ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني
الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون مفعولا ثانيا والهة بدل منه لفساد المعنى قاله الزمخشري وقرى
قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي هلكوا عنهم وقيل بل ضلوا عنهم اي ضلت عنهم الهتهم لانها لم
يصبها ما اصابهم اذ هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام وتبرءوا منها وذلك افكهم اي والالهة
التي ضلت عنهم هي افكهم في قولهم انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة العامة افكهم بكسر الهمزة وسكون
الفاء اي كذبهم والافك الكذب وكذلك الافيكة والجمع افايك ورجل افاك اي كذاب وقرا ابن عباس
ومجاهد وابن الزبير وذلك افكهم بفتح الهمزة والفاء والكاف على الفعل اي ذلك القول صرفهم عن التوحيد
والافك بالفتح مصدر قولك افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء وقرا عكرمة افكهم بتشديد
الفاء على التاكيد والتكثير قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم وذكر المهدوي عن ابن
عباس ايضا افكهم بالمد وكسر الفاء بمعنى صارفهم وعن عبد الله بن الزبير باختلاف عنه افكهم بالمد والفاء

ان يكون

ان يكون افعلهم اي صارهم الى الافك وجاز ان يكون فاعلهم خادعهم ودليل قراءة العامة افكهم قوله وما
كانوا يفترون اي يكذبون وقيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر قاله المهدوي قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي قريش اي ان الجن سمعوا القران فامنوا به وعلموا انه من عند الله
وانتم معرضون ومصرون على الكفر ومعنى صرفنا وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن استراق
السمع من السماء برجوم الشهب على ما ياتي ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه الا عند مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم قال المفسرون ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم لما مات ابو طالب
خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا
وهم اخوة بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فدعاهم الى الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه
فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال
الثالث والله لا اكلمك كلمة ابدا ان كان الله ارسلك كما تقول فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام
وان كنت تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع
عليه الناس والجاوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فقال للحمية ماذا لقينا من احمائك ثم قال اللهم
اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين اللهم انت رب
المستضعفين وانت ربي لم تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو قد ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي
فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك
العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس
خذ قطفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل فلما وضعه بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه الصلاة والسلام بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله
ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس
وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى
قال وما يدريك ما يونس بن متى قال ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس حتى قبل راس النبي صلى
الله عليه وسلم ويديه ورجليه فقال له ابنا ربيعة لم فعلت هكذا فقال يا سيدي ما في الارض خير من
هذا اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم حين يئس من خير ثقيف حتى اذا
كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين وكان سبب ذلك ان الجن كانوا
يسترقون السمع فلما حرست السماء ورموا بالشهب قال ابليس ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث
في الارض فبعث سراياه ليعرف الخبر اولهم ركب نصيبين وهم اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة
سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القران فاستمعوا له
وقالوا انصتوا وقالت طائفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى
ويقرا عليهم القران فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن من نصيبين وجمعهم له فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اني اريد ان اقرا القران على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم قال الثانية فاطرقوا
ثم قال الثالثة فاطرقوا فقال ابن مسعود انا يا رسول الله قال ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيري
فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط
لي خطا وامرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القران
فجعلت ارى امثال النسور تهوي اليه وتمشي في رفرفها وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على
النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا

يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال انمت قلت لا والله
ولقد هممت مرارًا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت
لم آمن عليك ان يخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئًا قلت نعم يا رسول الله رايت رجالًا سودًا مستثفرين
ثيابًا بيضًا قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حايل وروثة وبعرة
فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم
والروث فقلت يا نبي الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظمًا الا وجدوا عليه لحمه يوم
اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبًّا يوم اكل فقلت يا رسول الله لقد سمعت لغطًا شديدًا فقال ان الجن
تدارات في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم تبرز النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال
هل معك ماء فقلت يا نبي الله معي اداوة فيها شي من نبيذ التمر فصببت على يده فتوضا فقال تمرة
طيبة وماء طهور روى معناه معمر عن قتادة وشعبة ايضا عن ابن مسعود وليس في حديث معمر
ذكر نبيذ التمر وروي عن ابي عثمان عن قتادة وشعبة النهدي ان ابن مسعود ابصر زطًّا فقال ما هولاء
قالوا هولاء الزط قال ما رايت شبههم الا الجن ليلة الجن فكانوا مستفزين يتبع بعضهم بعضًا وذكر
الدارقطني عن عبيد الله ابن لهيعة حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس عن ابن مسعود انه
وضى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ فتوضا به وقال شراب طهور ابن لهيعة لا يحتج به وروينا
السند عن ابن مسعود انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك
ماء يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صب علي منه فتوضا
وقال هو شراب طهور تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث فقال الدارقطني وقيل ان ابن مسعود
لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك رواه علقمة بن قيس وابو عبيدة عن عبد الله وغيرهما
عنه قال ما شهدت ليلة الجن حدثنا ابو محمد بن صاعد حدثنا ابو الاشعث حدثنا بشر بن المفضل
حدثنا داود بن هند عن عامر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن فقال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف
في عدالة رواته وعن عمرو بن مرة قال قلت لابي عبيدة حضر عبد الله بن مسعود ليلة فقال
لا وقال ابن عباس كان الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلًا
الى قومهم وقال زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وقال قتادة انهم من اهل نينوى وقال
مجاهد من اهل حران وقال عكرمة من جزيرة الموصل وقيل انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل
نجران واربعة من نصيبين وروى ابن ابي الدنيا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحديث
وذكر فيه نصيبين قال رفعت الي حتى رايتها فدعوت الله ان يكثر مطرها وينضر شجرها وان
يغزر نهرها وقال السهيلي ويقال كانوا سبعة وكانوا يهودًا فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد
موسى وقيل في اسمائهم شاصر وماضر ومنشى وماشي والاحقب ذكر هولاء الخمسة ابن دريد
ومنهم عمرو بن جابر ذكره ابن سلام من طريق ابي اسحق السبيعي عن اشياخه عن ابن مسعود
انه كان في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار اعظم
منه فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى رداية فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل
اذا امراتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم
ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المومنين فقاتل عمرو وهو الحية
التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا القران من محمد عليه الصلاة والسلام وولوا الى قومهم

منذرين

منذرين وذكر ابن سلام رواية اخرى ان الذي كفنه هو صفوان بن المعطل قلت وذكر هذا الخبر الثعلبي
بنحوه فقال وقال ثابت ابن قطبة جاء اناس الى ابن مسعود فقالوا انا كنا في سفر فراينا حية متشحطة
في دمائها فاخذها رجل منا فواريناها فجاء اناس فقالوا ايكم دفن عمرو قالوا ومن عمرو قالوا
الحية التي دفنتم في مكان كذا اما انه كان من النفر الذين سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم
وكان بين حيين من الجن مسلمين وكافرين فقتل عمرو وفي هذا الخبر ان ابن مسعود لم يكن في سفر
ولا حضر الدفن والله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا عن رجل من التابعين سماه ان حية دخلت
في خبائه تلهث عطشًا فسقاها ثم انها ماتت فدفنها فاتي من الليل فسلم عليه وشكر واخبر ان
تلك الحية كانت رجلًا من جن نصيبين اسمه زوبعة قال السهيلي وبلغنا في فضايل عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه مما حدثنا به ابو بكر بن طاهر الاشبيلي ان عمر بن عبد العزيز كان يمشي
بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قايل يقول يا سرق اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة فيكفنك رجل صالح فقال ومن
انت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين استمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق
منهم الا انا وهذا سرق قد مات وقد قتلت عايشة رضي الله عنها حية رات في حجرتها تستمع وعايشة
تقرا فاتيت في المنام فقيل لها انك قتلت رجلًا مومنًا من الجن الذين قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت لو كان مومنًا ما دخل على حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
لها ما دخل عليك الا وانت مقنعة وما جاء الا ليسمع الذكر فاصبحت عايشة فزعة واشترت
رقابًا فاعتقتهم قال السهيلي وقد ذكرنا من اسماء هولاء الجن ما حضرنا فان كانوا سبعة فالاحقب
منهم وليس باسم علم فان الاسماء التي ذكرناها انها ثمانية بالاحقب والله اعلم قلت وقد ذكر
الحافظ ابن عساكر في تاريخه هامة بن الاهيم بن الاقيس بن ابليس قيل انه من مومني الجن وممن
لقي النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه سورة اذا وقعت الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس
كورت والحمد والمعوذتين وذكر انه حضر قتل قابيل وشرك في دمه وهو غلام ابن اعوام وانه لقي نوحًا
وتاب على يديه وهودًا وصالحًا ويعقوب ويوسف والياس وموسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهم
السلام وذكر الماوردي اسماءهم عن مجاهد حسى وحسا ومنشى وشاصر وماضر والارد واينان والاحقم
وذكرها ابو عمر وعثمان ابن احمد المعروف بابن السماك حدثنا محمد بن البرا حدثنا الزبير بن بكار قال
كان حمزة بن عتبة بن ابي لهب يسمي جن نصيبين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
حسا ومسا وشاصر وماضر والافخر والارد واينان قوله تعالى فلما حضروه اي حضروا النبي صلى الله
عليه وسلم وهو من باب تلوين الخطاب وقيل لما حضروا القران واستماعه قالوا انصتوا اي قال
بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القران قال ابن مسعود وهبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا
القران ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا صه وكانوا سبعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ
صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا الاية الى قوله في ضلال مبين
وقيل انصتوا السماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى متقارب فلما قضي وقرا
الاعرج حميد وحبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى بفتح القاف والضاد يعني النبي صلى الله عليه
وسلم قبل الصلاة وذلك انهم خرجوا حين حرست السماء من استراق السمع ليستخبروا ما اوجب
ذلك فجاءوا وادي نخلة والنبي صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة الفجر وكانوا سبعة فسمعوه
وانصرفوا الى قومهم منذرين ولم يعلم بهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بل امر النبي صلى الله عليه

وسلم ان ينذر الجن ويقرا عليهم القران فصرف الله نفرا من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم فلما تلي
عليهم القران وفرغ انصرفوا بامره قاصدين من وراهم من قومهم منذرين لهم مخالفة القران ومحذرين
اياهم باس الله ان لم يومنوا وهذا يدل على انهم امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على
هذا قولهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ولولا ذلك لما انذروا قومهم وقد تقدم عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى قومهم فعلى هذا ليلة الجن ليلتان وقد تقدم
هذا المعنى مستوفى وفي صحيح مسلم ما يدل على ذلك على ما ياتي بيانه في قل اوحي الي وفي صحيح مسلم
عن معن قال سمعت ابي قال سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا الجن القران
فقال حدثني ابوك يعني ابن مسعود انه اذنته بهم شجرة **قوله تعالى** قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى اي القران وكانوا مومنين بموسى قال عطا كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا
انزل من بعد موسى وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى
مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله من التورية يهدي الى الحق دين الحق والى طريق مستقيم دين الله
القويم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان مبعوثا
الى الجن والانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وسلم
قلت هذا يدل على قوله ما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما
رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال مجاهد
الاحمر والاسود الجن والانس وفي رواية من حديث ابي هريرة وبعثت الى الخلق كافة وختم بي النبوة
وامنوا به اي بالداعي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل به اي بالله لقوله يغفر لكم من ذنوبكم قال
ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقوه با
لبطحا فقرا عليهم القران وامرهم ونهاهم **مسئلة** هذه الاية تدل على ان الجن كالانس في الامر والنهي
والثواب والعقاب وقال الحسن ليس لمومني الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه قوله تعالى يغفر
لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفة قال ليس ثواب الجن الا ان يجاروا من النار
ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم وقال اخرون انهم كما يعاقبون في الاساءة يجازون بالاحسان
مثل الانس واليه ذهب مالك والشافعي وابن ابي ليلى وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون
ويشربون قال القشيري والصحيح ان هذا مما لا يقطع فيه بشي والعلم لله **قلت** قوله تعالى ولكل
درجات مما عملوا يدل على انهم يثابون ويدخلون الجنة لانه قال في اول الاية يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم الى ان قال ولكل درجات مما عملوا وسياتي هذا في سورة
الرحمن مزيد بيان ان شا الله تعالى **قوله تعالى** ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي
لا يفوت الله ولا يسبقه وليس له من دونه اوليا اي انصار يمنعونه من عذاب الله اولئك في
ضلال مبين **قوله تعالى** اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الروية هنا بمعنى العلم وان
واسمها وخبرها سد مسد مفعولي الروية ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى احتجاج على منكري
البعث ومعنى لم يعي يعجز ويضعف عن ابداعهن يقال عيي بامره وعيي اذا لم يهتد لوجهه والادغام
اكثر ويقول في الجمع عيوا مخففا وعيوا ايضا بالتشديد قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة
وعييت بامري اذا لم تهتد لوجهه واعياني هو وقرا الحسن ولم يعي بكسر العين واسكان اليا وهو

شاذ قليل لم يات اعلال العين وتصحيح اللام الا في اسما قليلة نحو غاية واية ولم يات في الفعل
سوى بيت انشده الفرا وهو **قول الشاعر** وكانها بين النسا سبيكة تمشي بسدة بيتها فتعيي
بقادر قال ابو عبيدة والاخفش البا زايدة للتوكيد كالتوكيد في قوله وكفى بالله شهيدا وقوله
تنبت بالدهن وقال الكسائي والفرا والزجاج البا فيه خلف الاستفهام والجحد في اول الكلام
قال الزجاج والعرب تدخلها مع الجحد تقول ما ظننت ان زيدا بقايم ولا تقول ظننت ان زيدا
بقايم وهو لدخول ما ودخول ان للتوكيد والتقدير اليس الله بقادر كقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر وقرا ابن مسعود والاعرج والجحدري وابن ابي اسحق ويعقوب يقدر واختاره ابو حاتم
لان دخول البا في خبر ان قبيح واختار ابو عبيد قراة العامة لانها في قراة عبد الله خالق
السموات والارض قادر بغير با والله اعلم **قوله تعالى** فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال ابن
الحزم والصبر قال مجاهد هم خمسة نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهم اصحاب
الشرايع وقال ابو العالية ان اولي العزم نوح وهود وابرهيم فامر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة
والسلام ان يكون رابعهم وقال السدي هم ستة ابرهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد
صلوات الله عليهم اجمعين وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون
على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة وابرهيم
صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البير
والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب وليس منهم يونس
ولا سليمان ولا ادم وقال الشعبي والكلبي ومجاهد ايضا هم الذين امروا بالقتال فاظهروا المكاشفة
وقاتلوا الكفرة وقيل هم نجبا الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابرهيم واسحق
ويعقوب ونوح وداود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيا وعيسى والياس
واسمعيل واليسع ويونس ولوط واختاره الحسين بن الفضل لقوله في عقبه اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقال ابن عباس ايضا كل الرسل اولوا العزم واختاره علي بن مهدي الطبري قال وانما
دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما تقول اشتريت اردية من البز واكسية من الخز اي اصبر
كما صبر الرسل وقيل كل الانبيا اولوا عزم الا يونس بن متى الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت حين ولى مغاضبا لقومه فابتلاه الله بثلاث سلط
عليه العمالقة حتى اغاروا على اهله وماله وسلط الذيب على ولده فاكله وسلط عليه الحوت فابتلعه
قال ابو القاسم الحكيم وقال بعض العلما اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرايل بالشام فعصوهم
فاوحى الله تعالى الى الانبيا اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرايل فشق ذلك على المرسلين فاوحى الله
اليهم اختاروا لانفسكم ان شيتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني اسرايل وان شيتم نجيتكم وانزلت
العذاب ببني اسرايل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي الله بني اسرايل
فانجى الله بني اسرايل وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر
بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من
حرق بالنار والله اعلم وقال الحسن اولوا العزم اربعة ابرهيم وموسى وداود وعيسى فاما ابرهيم
فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا
في جميع ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
واما داود فاخطا خطيئة فنبه عليها فاقام يبكي عليها سنة حتى نبتت من دموعه شجرة

فقعد تحت ظلهما واما عيسى فعمره لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها وكاد
الله تعالى يقول لرسوله اصبر ان كنت صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابرهيم واثقا بنصر مولاك
مثل ثقة موسى مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى ثم قيل
هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة والاظهر انها منسوخة لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه
الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فامره الله تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر
اولوا العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له ولا تستعجل لهم قال مقاتل بالدعاء عليهم وقيل
في احلال العذاب بهم فانه ابعد غاياتهم يوم القيمة ومفعول الاستعجال محذوف وهو العذاب
كانهم يوم يرون ما يوعدون قال يحيى من العذاب النقاش من الاخرة لم يلبثوا اي في الدنيا حتى جاءهم
العذاب وهو مقتضى قول يحيى وقال النقاش في قبورهم حتى بعثوا للحساب الا ساعة من نهار
يعني في جنب يوم القيمة وقيل نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا ثم قال بلاغ اي هذا
القران بلاغ قال الحسن فبلاغ رفع على اضمار مبتدا دليله قوله هذا بلاغ للناس ولينذروا به وقوله ان في
هذا لبلاغا لقوم عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل ان ذلك اللبث بلاغ قاله ابن عيسى فيوقف على
هذا على بلاغ وعلى نهار وذكر ابو حاتم ان بعضهم وقف على ولا تستعجل ثم ابتدا لهم على معنى لهم بلاغ قال
ابن الانباري وهذا خطا لانك فصلت بين البلاغ وبين اللام وهي رافعة بشيء ليس منها ويجوز في
العربية بلاغا وبلاغ النصب على معنى الا ساعة بلاغا على المصدر او على النعت للساعة والخفض على
معنى من نهار بلاغ وبالنصب قرا عيسى بن عمر والحسن وروي عن بعض القرا بلغ على الامر فعلى هذه القراة
يكون الوقف على نهار ثم يبتدي بلغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن امر الله قاله ابن عباس
وغيره وقرا ابن محيصن فهل يهلك الا القوم على اسناد الفعل الى القوم قال ابن عباس اذا عسر على المراة ولدها
تكتب هاتين الايتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتسقى منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم
الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الاية صدق الله العظيم وعن
قتادة لا يهلك الله الا هالك مشرك وقيل هذه اقوى اية في الرجا سورة القتال وهي سورة محمد عليه
السلام وهي تسع وثلاثون اية مدنية في قول ابن عباس ذكره النحاس وقال الماوردي في قول
الجميع الا ابن عباس وقتادة لانهما قالا الا اية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل
ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك وقال الثعلبي انها مكية
وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من
ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا
الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين
كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك
بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا

تفسير سورة القتال
وهي مدنية

الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الانعام والنار
مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم
تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها قوله تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم قال ابن عباس ومجاهد هم اهل مكة كفروا بتوحيد الله
وصدوا انفسهم والمومنين عن دين الله وهو الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه قاله السدي وقال
الضحاك عن سبيل الله عن بيت الله بمنع قاصديه ومعنى اضل اعمالهم ابطل كيدهم ومكرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدايرة عليهم قاله الضحاك وقيل ابطل ما عملوه في كفرهم
مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الضيف وحفظ الجوار وقال
ابن عباس نزلت في المطعمين ببدر وهم اثنى عشر رجلا ابو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا
ربيعة وابي وامية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود
وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على
محمد قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار وقال مقاتل انها نزلت خاصة في ناس من قريش وقيل هما
عامتان فيمن كفر ومعنى اضل اعمالهم ابطلها وقيل اضلهم عن الهدى بما صرفهم عنه من التوفيق وعملوا
الصالحات من قال هم الانصار فهي المواساة في مساكنهم واموالهم ومن قال انهم من قريش فهي الهجرة ومن قال
بالعموم فالصالحات جميع الاعمال الصالحات التي ترضي الله وامنوا بما نزل على محمد لم يخالفوه في شي قاله
سفيان الثوري وقيل صدقوا محمدا فيما جاءهم به وهو الحق من ربهم اي ايمانهم هو الحق من ربهم وقيل
اي القران هو الحق من ربهم نسخ به ما قبله كفر عنهم سيئاتهم اي ما مضى من سيئاتهم قبل الايمان
واصلح بالهم اي شانهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم ابن عباس امورهم والثلاثة متقاربة وهي
متاولة على اصلاح ما تعلق من دنياهم وحكى النقاش ان المعنى اصلح نياتهم ومنه قول الشاعر فان
تقبلي بالود اقبل بمثله • وان تدبري اذهب الى حال باليا • وعلى هذا التاويل يحمول على صلاح دينهم والبال
كالمصدر فلا يعرف منه فعل ولا يجمعه العرب الا في ضرورة الشعر فيقولون فيه بالات المبرد قد يكون
البال في موضع اخر بمعنى القلب يقال ما يخطر فلان على بالي اي على قلبي الجوهري والبال رخاء النفس
يقال فلان رخي البال والبال الحال يقال ما بالك وقولهم ليس هذا من بالي اي مما ابالبه والبال
الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي والبالة وعاء الطيب فارسي معرب واصله بالفارسية
بيله قال ابو ذويب كان عليها بالة لطمية • لها من خلال الدايتين اريج قوله تعالى ذلك بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك في موضع رفع اي الامر ذلك وذلك
الاضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا فالكافر اتبع الباطل والمومن اتبع الحق والباطل الشرك
والحق التوحيد والايمان كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي كهذا البيان الذي بين الله للناس
امر الحسنات والسيئات والضمير في امثالهم يرجع للذين كفروا والذين امنوا قوله تعالى فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فيه اربع مسايل الاولى قوله فاذا

لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب لما ميز بين الفريقين امر بجهاد الكفار قال ابن عباس المشركون عبدة الاوثان
وقيل كل من خالف دين الاسلام من مشرك او كتابي اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره
ابن العربي وقال وهو الصحيح لعموم الاية فيه فضرب الرقاب مصدر قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب ضربا
وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بها وقيل نصب على الاغراء قال ابو عبيدة هو كقولك يا نفس
صبرا وقيل التقدير اقصدوا ضرب الرقاب وقال فضرب الرقاب ولم يقل فاقتلوهم لان في العبارة بضرب
الرقاب من الغلظة والشدة ما ليس في نفس القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز
العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه **الثانية** قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم القتل وقد مضى في الانفال عند قوله حتى يثخن في الارض فشدوا الوثاق اي اذا اسرتموهم
والوثاق اسم من الايثاق وقد يكون مصدرا اوثقته ايثاقا ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم الشيء الذي
يوثق به كالرباط قاله القشيري وقال الجوهري واوثقه في الوثاق اي شده وقال تعالى فشدوا الوثاق
بالكسر لغة فيه وانما امر بشد الوثاق لئلا يقتلوا فاما منا عليهم بالاطلاق من غير فدية واما
فداء ولم يذكر القتل هاهنا اكتفاء بما تقدم من القتل في صدر الكلام ومنا وفداء نصب باضمار فعل
وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء اي فاما ان تمنوا عليهم منا واما ان تفادوهم فداء روي عن بعضهم
انه كان واقفا على راس الحجاج حين اتي بالاسرى من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث وهم اربعة
الاف وثمانماية فقتل منهم نحو من ثلاثة الاف حتى قدم عليه رجل من كندة فقال يا حجاج لا جزاك
الله عن السنة والكرم خيرا قال ولم ذلك قال لان الله تعالى قال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء في حق الذين كفروا فوالله ما مننت ولا
فديت وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق • ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم
اذا اثقل الاعناق حمل المغارم • فقال اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام خلوا
سبيل من بقي فخلا عن بقية الاسرى وهم زهاء الفين بقول ذلك الرجل **الثالثة** واختلف العلماء
في تاويل هذه الاية على خمسة اقوال الاول انها منسوخة وهي في اهل الاوثان لا يجوز ان يفادوا
ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة قاله قتادة والضحاك
والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله كثير من الكوفيين وقال عبد الكريم الجزري
كتب الى ابي بكر في اسير اسر فذكروا انهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال اقتلوه لقتل رجل من
المشركين احب الي من كذا وكذا الثاني انها في الكفار جميعا وهي منسوخة على قول جماعة من العلماء
واهل النظر منهم قتادة ومجاهد فقالوا اذا اسر المشرك لم يجز ان يمن عليه ولا ان يفادى
فيرد الى المشركين ولا يجوز ان يفادى عندهم الا بالمراة لانها لا تقتل والناسخ لها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم اذ كانت براءة اخر ما نزلت بالتوقيف فوجب ان يقتل كل مشرك الا من قامت
الدلالة على تركه من النساء والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة
ان يعودوا حربا للمسلمين ذكر عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فداء قال
نسختها فشرد بهم من خلفهم وقال مجاهد نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهو قول الحكم
الثالث انها ناسخة قاله الضحاك وغيره روى الثوري عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم قال نسختها فاما منا بعد واما فداء وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطا فاما
منا بعد واما فداء فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى كما قال عز وجل قال الحسن

كان اشعث

كان اشعث يكره ان يقتل الاسير ويتلو فاما منا بعد واما فداء وقال الحسن ايضا في الاية تقديم
وتاخير فكانه قال فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وزعم
انه ليس للامام اذا حصل الاسير في يديه ان يقتله لكنه بالخيار في ثلاث منازل اما ان يمن
او يفادي او يسترق **الرابع** قول سعيد بن جبير لا يكون فداء ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل
بالسيف لقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاذا اسر بعد ذلك
فللامام ان يحكم بما رآه من قتل وغيره **الخامس** ان الاية محكمة فالامام مخير في كل حال رواه
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقاله كثير من العلماء منهم ابن عمر والحسن وعطا وهو مذهب مالك
والشافعي والثوري والاوزاعي وابي عبيد وغيرهم وهو الاختيار لان النبي صلى الله عليه
وسلم والخلفاء الراشدين فعلوا ذلك قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط والنضر
ابن الحارث يوم بدر صبرا وفادى سائر الاسارى بدر ومن على ابي عزة الجمحي وقتل بني قريظة
وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا في يده سلما ومن على ثمامة بن اثال الحنفي وهو اسير في
يده واخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدى بها اناسا من المسلمين وهبط عليه قوم من
اهل مكة فاخذهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد من على سبي هوازن وهذا
كله ثابت في الصحيح وقد مضى جميعه في الانفال وغيرها قال النحاس وهذا يدل على ان الايتين
محكمتان معمول بهما وهو قول حسن لان النسخ انما يكون لشيء قاطع فاذا امكن العمل بالايتين
فلا معنى للقول بالنسخ اذا كان يجوز ان يقع التعبد اذا لقينا الذين كفروا قتلناهم فاذا كان
الاسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين وهذا القول يروى
عن اهل المدينة والشافعي وابي عبيد وحكاه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه ما
قدمناه والله اعلم **الرابعة** قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها قال مجاهد وابن جبير هو خروج
عيسى عليه السلام وعن مجاهد ايضا ان المعنى حتى لا يكون دين الا دين الاسلام فيسلم كل
يهودي ونصراني وصاحب ملة وتامن الشاة من الذيب ونحوه عن الحسن والكلبي والفراء والكسائي
حتى يسلم الخلق وقال الفراء حتى يؤمنوا او يذهب الكفر وقال الكلبي حتى يظهر الاسلام على الدين
كله وقال الحسن حتى لا يعبدوا الا الله وقيل معنى الاوزار السلاح فالمعنى شدوا الوثاق حتى
تامنوا وتضعوا السلاح وقيل معناه حتى تضع الحرب اي الاعداء المحاربون اوزارهم وهو سلاحهم
بالهزيمة او الموادعة ويقال للكراع اوزار **قال الاعشى** واعددت للحرب اوزارها • رماحا طوالا وخيلا
ذكورا • ومن نسج داود يحدى بها • على اثر الحي عيرا فعيرا • وقيل حتى تضع الحرب اوزارها
اي اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل عنه الاثقال واثقالها السلاح لثقل
حملها قال ابن العربي قال الحسن في الاية تقديم وتاخير المعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها
فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وليس للامام ان يقتل الاسير وقد روي عن الحجاج انه دفع اسيرا الى
عبد الله بن عمر ليقتله فابى وقال ليس بهذا امرنا الله وقرا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق **قلت**
قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وليس في تفسير الله لكم والفداء منع من غيره فقد
بين الله في الزنا حكم الجلد وبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج
فاعتذر بما قال وربك اعلم **قوله تعالى** ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ذلك في موضع رفع على ما
تقدم اي الامر ذلك الذي ذكرت وبينت وقيل هو منصوب على معنى افعلوا ذلك ويجوز ان يكون مبتدا
المعنى ذلك حكم الكفار وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام الى كلام وهو كما قال هذا وان

للطاغين لشر مآب هذا حق فانا عرفكم ان للطاغين كذا ومعنى لا نتصر منهم اي اهلكهم بغير قتال وقال ابن عباس لاهلكهم بجند من الملائكة ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي امركم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض فيعلم المجاهدين والصابرين كما في السورة نفسها والذين قتلوا في سبيل الله يريد قتلاء احد من المؤمنين فلن يضل اعمالهم قراءة العامة قاتلوا وهي اختيار ابي عبيدة وقرا ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء وكذا قرا الحسن الا انه شدد التاء على التكثير وقرا الجحدري وعيسى ابن عمرو ابو حيوة قتلوا بفتح القاف والتاء من غير الف يعني الذين قتلوا المشركين قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل ونادى المسلمون الله اعلى واجل فقال المشركون يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا سوا قتلانا احياء عند ربهم يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون فقال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم ذكر ذلك في ال عمران قوله تعالى سيهديهم قال القشيري قراءة ابي عمرو قتلوا بعيدة لقوله سيهديهم ويصلح بالهم والمقتول لا يوصف بهذا قال غيره يكون المعنى سيهديهم الى الجنة او سيهدي من بقي منهم اي يحقق لهم الهداية وقال ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر قال ابو العالية وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها قوله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم اعرف بمنازلهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم قال معناه مجاهد واكثر المفسرين وفي البخاري ما يدل على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال قال الحسن وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف وقيل هذا التعريف بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى ياتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة وحديث ابي سعيد يرده وقال ابن عباس عرفها لهم اي طيبها لهم بانواع الملاذ ماخوذ من العرف وهو الرائحة الطيبة وطعام معرف اي مطيب فقول العرب عرفت القدر اذا طيبتها بالملح والابازير وقال الشاعر يخاطب رجلا ويمدحه عرفت كاتب عرفته اللطائم يقول كما عرفت الاتب وهو النقير والنقبة الاتب وهو قميص لا كم له تلبسه النساء وقيل هو من وضع الطعام بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس اي وفقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة وقيل عرف اهل السماء انها لهم وقيل عرفها اظهار الكرامة لهم فيها وقيل عرف المطيعين اعمالهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفار نظيره ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان تنصروا نبي الله والمعنى واحد ويثبت اقدامكم على الكفار اي عند القتال وقيل على الاسلام وقيل على الصراط وقيل المراد تثبيت القلوب بالامن فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة في مواطن الحرب وقد مضى في الانفال هذا المعنى وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا فاثبت هناك واسطة ونفاها هنا كقوله قل يتوفاكم ملك الموت ثم نفاه بقوله هو الذي احياكم ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة

ومثله كثير فلا فاعل الا الله وحده قوله تعالى والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فتعسا لهم نصب على المصدر بسبيل الدعاء قاله الفراء مثل سقيا لهم ورعيا وهو نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وفيه عشرة اقوال الاول بعدا قاله ابن عباس وابن جريج الثاني حزنا لهم قاله السدي الثالث شقاء لهم قاله ابن زيد الرابع شتما لهم من الله قاله الحسن الخامس هلاكا لهم قاله ثعلب السادس خيبة لهم قاله الضحاك وابن زياد السابع قبحا لهم حكاه النقاش الثامن رغما لهم قاله الضحاك ايضا التاسع شرا لهم قاله ثعلب ايضا العاشر شقوة لهم قاله ابو العالية وقيل ان التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه والنكس ان يخر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري واصله الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح العين يتعس تعسا واتعسه الله قال مجمع بن هلال
تقول وقد افردتها من حليلها ... تعست كما تعستني يا مجمع
تقول تعسا لفلان اي الزمه الله هلاكا قال القشيري وجوز قوم تعس بكسر العين قلت ومنه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض خرجه البخاري في بعض طرق هذا الحديث تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرجه ابن ماجة قوله تعالى واضل اعمالهم اي ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان ودخلت الفاء في قوله فتعسا لاجل الابهام الذي في الذين وجاء واضل اعمالهم حملا على لفظ الذين لانه خبر في اللفظ فدخول الفاء حملا على المعنى واضل حملا على اللفظ قوله تعالى ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك الاضلال والاتعاس لانهم كرهوا ما انزل الله من الكتب والشرائع فاحبط اعمالهم اي ما لهم من صور الخيرات كعمارة المسجد وقري الضيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل الا من مومن وقيل احبط اعمالهم اي عبادة الصنم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض بين احوال المومن والكافر تنبيها على وجوب الايمان ثم وصل هذا بالنظر اي الم يسيروا في ارض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا فينظروا بقلوبهم كيف كان اخر امر الكافرين قبلهم دمر الله عليهم اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى ثم تواعد مشركي مكة فقال وللكافرين امثالها اي امثال هذه الفعلة يعني التدمير وقال الزجاج والطبري الهاء تعود على العاقبة اي وللكافرين من قريش امثال عاقبة تكذيب الامم السالفة اي ان لم يومنوا انتهى قوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا اي وليهم وناصرهم وفي حرف ابن مسعود ذلك بان الله ولي الذين امنوا فالمولى الناصر ههنا قاله ابن عباس وغيره قال
فغدت كلا الفرجين تحسب انه ... مولى المخافة خلفها وامامها
قال قتادة نزلت يوم احد والنبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم وان الكافرين لا مولى لهم اي لا احد ينصرهم من الله تعالى قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار تقدم في غير موضع والذين كفروا يتمتعون في الدنيا كانهم انعام ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ساهون عما في غدهم وقيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع والنار مثوى لهم اي مقام ومنزل قوله تعالى وكاين من قرية تقدم الكلام في كاين في ال عمران وهي هنا بمعنى كم اي وكم من قرية وانشد الاخفش قول لبيد
وكاين راينا من ملوك وسوقة ... ومفتاح قيد للاسير المكبل
فيكون معناه وكم من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها اهلكناهم فلا ناصر لهم قال قتادة وابن عباس لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت وقال اللهم انك احب البلاد الى الله وانت احب البلاد الي ولولا المشركون اهلك اخرجوني لما خرجت منك فنزلت ذكره الثعلبي وهو حديث صحيح قوله تعالى

افمن كان على بينة من ربه الالف الف تقرير ومعنى على بينة اي على ثبات ويقين قاله ابن عباس ابو العالية
وهو محمد صلى الله عليه وسلم والبينة الوحي كمن زين له سوء عمله اي عبادة الاصنام وهو ابو جهل و
الكفار واتبعوا اهواءهم اي ما اشتهوا وهذا التزيين من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون من الشيطان
دعاء ووسوسة ويجوز ان يكون من الكافر اي زين لنفسه سوء عمله واصر على الكفر وقال سوء
على لفظ من واتبعوا على معناه قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون لما قال عز وجل ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات وصف تلك الجنات اي صفة الجنة المعدة للمتقين وقد مضى
الكلام فيه في الرعد وقرا علي بن ابي طالب مثال الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن اي
غير متغير الرائحة والاسن من الماء مثل الاجن وقد اسن الماء ياسن ويأسن اسونا اذا تغيرت
رائحته وكذلك اجن الماء ياجن ويأجن اجنا واجونا ويقال بالكسر فيهما اسن واجن ياسن ويأجن
اسنا واجنا قاله اليزيدي واسن الرجل ايضا ياسن بالكسر اذا دخل البير فاصابته ريح منتنة من
ريح البير او غير ذلك فغشي عليه او دار راسه قال زهير قد اترك القرن مصفرا انامله • يميد في الرمح
ميد المائح الاسن • ويروى الوسن وتاسن الماء تغير ابو زيد تاسن علي تاسنا اعتل وابطا ابو
عمرو تاسن الرجل اباه اخذ اخلاقه وقال اللحياني اذا نزع اليه في الشبه وقراءة العامة اسن
بالمد وقرا ابن كثير وحميد اسن بالقصر وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال الاخفش اسن للحال واسن
مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض من طول المقام كما يتغير البان
الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين اي لم يدنسها الارجل ولم ترنقها الايدي كخمر الدنيا فهي لذيذة
الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى واستلذه وجده لذيذا وانهار
من عسل مصفى العسل ما يسيل من لعاب النحل مصفى اي من الشمع والقذى خلقه الله كذلك
لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل وفي الترمذي عن حكيم بن معوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال حديث حسن صحيح وفي صحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كلها من انهار الجنة
وقال كعب نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم
وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر والعسل يذكر ويؤنث وقال ابن عباس من عسل مصفى اي لم يخرج
من بطون النحل ولهم فيها من كل الثمرات من زائدة للتاكيد ومغفرة من ربهم اي لذنوبهم كمن هو خالد في
النار قال الفراء المعنى افمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه
واعطي هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله كمن بدل من قوله افمن زين له سوء عمله
وقال ابن كيسان مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم ومثل اهل الجنة في
النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب الاليم وسقوا ماء حميما اي حارا شديد الغليان اذا دنا منهم شوى
وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا شربوا قطع امعاءهم واخرجها من دبرهم والامعاء جمع معي والتثنية
معيان وهو جميع ما في البطن من الحوايا قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك اي من هؤلاء الذين يتمتعون
وياكلون كما تاكل الانعام وزين لهم سوء عملهم قوم يستمع اليك وهم المنافقون عبد الله بن ابي بن سلول
ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصلت والحارث بن عمرو ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة يوم
الجمعة فاذا سمعوا ذكر المنافقين فيها اعرضوا عنه فاذا خرجوا سالوا عنه قاله الكلبي ومقاتل وقيل كانوا
يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين فيستمعون منه ما يقول فيعيه المؤمن
ولا يعيه الكافر حتى اذا خرجوا من عندك اي فارقوا مجلسك قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو

عبد الله

عبد الله بن عباس قال ابن عباس كنت ممن يسال اي كنت من الذين اوتوا العلم وفي رواية عن ابن عباس
انه يريد عبد الله بن مسعود وكذا قال عبد الله بن بريدة هو عبد الله بن مسعود وقال القاسم بن عبد
الرحمن هو ابو الدرداء وقال ابن زيد انهم الصحابة ماذا قال انفا اي الان على جهة الاستهزاء اي انا لم نلتفت
الى قوله وانفا يراد به الساعة التي هي اقرب الاوقات من قولك استانف الشيء اذا ابتدات به ومنه
امر انف وروضة انف اي لم يرعها احد وكاس انف اي لم يشرب منها شيء كانه استونف شربها
مثل روضة انف قال الشاعر ويحرم سر جارتهم عليهم • وياكل جارهم انف القصاع وقال اخر
ان الشواء والنشيل والرغف • والقينة الحسناء والكاس الانف • للطاعنين الخيل والخيل خنف قال امرؤ القيس
قد غدا يحملني في انفه • اي في اوله وانف كل شيء اوله وقال قتادة في هؤلاء المنافقين الناس رجلان
رجل عقل عن الله فانتفع ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع وكان يقال الناس ثلاثة فسامع عامل
وسامع عاقل وسامع غافل تارك قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا
اهواءهم في الكفر والذين اهتدوا اي للايمان زادهم الله هدى وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم
هدى وقيل ما يسمعونه من القران هدى اي يتضاعف يقينهم وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين وا
ستهزاؤهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وفي الهدى الذي زادهم اربعة اقاويل احدها زادهم
علما قاله الربيع بن انس الثاني انهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا قاله الضحاك الثالث زادهم بصيرة
في دينهم وتصديقا لنبيهم قاله الكلبي الرابع شرح صدورهم بما هم عليه من الايمان واتاهم تقواهم
اي الهمهم اياها وقيل فيه خمسة اوجه احدها اتاهم الخشية قاله الربيع الثاني ثواب تقواهم في الاخرة
قاله السدي الثالث وفقهم للعمل الذي فرض عليهم قاله مقاتل الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زيد والسدي
ايضا الخامس انه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطية الماوردي ويحتمل سادسا انه ترك الرخص والاخذ
بالعزائم وترك واعطاهم بدل واتاهم وقال عكرمة هذه نزلت فيمن امن من اهل الكتاب قوله تعالى
فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاة وهذا وعيد للكفار فقد جاء اشراطها اي اماراتها
وعلاماتها وكانوا قد قرءوا في كتبهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثه من اشراطها وادلتها
قاله الضحاك والحسن وفي الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين
وضم السبابة والوسطى لفظ مسلم وخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه ويروى بعثت والساعة كفرسي
رهان وقيل اشراط الساعة اسبابها التي هي دون معظمها ومنه يقال للدون من الناس الشرط وقيل
يعني بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان قاله الحسن ايضا وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة
الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقد اتينا على هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفى
وواحد الاشراط شرط واصله الاعلام ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها
ومنه الشرط في البيع وغيره قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا • فقد جعلت اشراط
اوله تبدو • ويقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له قال اوس بن حجر
يصف رجلا تدلى بحبل من راس جبل الى نبعة ليقطعها يتخذ منها قوسا • فاشرط نفسه فيها وهو معصم
والقى باسباب له وتوكلا • ان تاتيهم ان بدل اشتمال من الساعة نحو قوله ان تطؤوهم من قوله
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية
عن ابي عمرو والزمخشري وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة
بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن وروى ابو جعفر الرواسي وغيره من اهل مكة ان تاتيهم بغتة
قال المهدوي من قرا ان تاتيهم بغتة كان الوقف على الساعة ثم استانف الشرط ومما يحتمله الكلام من الشك

مردودة الى الخالق كانه قال ان شكوا في محبتها فقد كفى اشتراطها قوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثويكم ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ذكراهم ابتداء وانى لهم الخبر والمضمر المرفوع في جاءتهم التقدير فمن اين لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة قال معناه قتادة وغيره وقيل فكيف لهم بالنجاة اذا جاءتهم الذكرى عند مجي الساعة قاله ابو زيد وفي الذكرى وجهان احدهما يذكرهم بما عملوه من خير او شر الثاني هو دعاؤهم باسمائهم تبشيرا وتخويفا روى ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسنوا اسماءكم فانكم تدعون بها يوم القيمة يا فلان قم الى نورك يا فلان قم لا نور لك ذكره الماوردي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله قال الماوردي وفيه وان كان الرسول عالما بالله ثلاثة اوجه يعني اعلم ان الله اعلمك انه لا اله الا الله الثاني ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينا الثالث يعني فاذكر ان لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما يعني استغفر الله ان يقع منك ذنب الثاني استغفر الله ليعصمك من الذنوب وقيل لما ذكر الله حال الكافرين والمؤمنين امره بالثبات على الايمان اي اثبت على ما انت عليه من التوحيد والاخلاص والحذر عما يحتاج معه الى استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة فعلى هذا القول توجب الاية استغفار الانسان لجميع المسلمين وقيل كان عليه الصلاة والسلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين فنزلت فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك باحد سواه وقيل امر بالاستغفار ليقتدي به الامة وللمؤمنين والمؤمنات اي ولذنوبهم وهو امر بالشفاعة وروى مسلم عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس المخزومي قال اتيت النبي

صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه فقلت يا رسول الله غفر الله لك فقال له صاحبي هل استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلا هذه الاية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم تحولت فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه جمع خيلان كانه الثاليل والله يعلم متقلبكم ومثويكم فيه خمسة اقوال احدها يعلم اعمالكم في تصرفكم واقامتكم الثاني متقلبكم في اعمالكم نهارا ومثويكم في ليلكم نياما وقيل متقلبكم في الدنيا ومثويكم في الاخرة قاله ابن عباس والضحاك وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثويكم مقامكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن الى الدنيا ومثويكم في القبور قلت العموم ياتي على هذا كله فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني ادم وسكناتهم وكذا جميع خلقه فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولى واخرى سبحانه لا اله الا هو قوله تعالى ويقول الذين امنوا اي المؤمنون المخلصون لولا نزلت سورة استيناسا للوحي وحرصا على الجهاد وثوابه ومعنى لولا هلا فاذا انزلت سورة محكمة لا نسخ فيها قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وفي قراءة عبد الله فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر فيها القتال اي فرض فيها الجهاد وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي نظر مغمومين متغاظين بتحديد وتحديق كمن شخص بصره عند الموت وذلك لجبنهم عن القتال جزعا وهلعا ولميلهم في السر عن السا قوله تعالى فاولى لهم طاعة وقول معروف قال الجوهري وقولهم اولى لك تهديد ووعيد قال الشاعر فاولى ثم اولى ثم اولى وهل للدر يحلب من مرد قال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد فعادى بين هاديتين منها واولى ان تزيد على الثلاث اي قارب ان تزيد قال ثعلب ولم يقل في اولى احسن مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب ثم افلت اولى اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم افلت منه فقال فلو كان اولى يطعم القوم صيدهم لكن اولى يترك القوم جوعا وقيل هو كقول الرجل لصاحبه يا محروم اي شيء فاتك وقال الجرجاني هو مأخوذ من الويل فهو افعل ولكن فيه قلب وهو ان عين الفعل وقع موقع الكلام وقد تم الكلام على قوله فاولى لهم قال قتادة كانه قال العقاب اولى لهم وقيل اي وليهم المكروه ثم قال طاعة وقول معروف اي طاعة وقول معروف امثل واحسن وهو مذهب الخليل وسيبويه وقيل ان التقدير امرنا طاعة وقول معروف فحذف المبتدا فيوقف على فاولى لهم وكذا من قدر يقولون منا طاعة وهي قراءة ابي يقولون طاعة وقيل ان الاية الثانية متصلة بالاولى واللام في قوله لهم بمعنى الباء اي الطاعة اولى واليق بهم واحق لهم من ترك امتثال امر الله وقيل ان طاعة نعت السورة على تقدير فاذا انزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا على فاولى لهم وقال ابن عباس ان قولهم طاعة اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى لهم طاعة وقول معروف وقيل وجوب الفرائض عليهم فاذا انزلت الفرائض عليهم شق عليهم نزولها فيوقف على هذا على فاولى قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد القتال ووجب فرض القتال كرهوه فكرهوه جواب اذا وهو محذوف وقيل المعنى فاذا عزم اصحاب الامر وقيل المعنى فاذا عزم اصحاب الامر فلو صدقوا الله في الايمان والجهاد لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم اختلف في معنى ان توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض باخذ الرشا وقال الكلبي اي فهل عسيتم ان توليتم امر الامة ان تفسدوا في الارض بالظلم وقال كعب المعنى فهل عسيتم ان توليتم

الامران يقتل بعضكم بعضًا وقيل من الاعراض عن النبي قال قتادة اي فهل عسيتم ان توليتم عن كتاب الله عز
وجل ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقطع الارحام وقيل فهل عسيتم اي فلعلكم ان اعرضتم عن القتال و
فارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض فتعودوا الى جاهليتكم وقرئ بفتح السين وكسرها وقد مضى في البقرة
القول فيه وقال بكر المزني انها نزلت في الحرورية والخوارج وفيه بعد والاظهر انه انما عنى بها المنافقون
وقال ابن حيان قريش ونحوه قال المسيب بن شريك والفرا قالا نزلت في بني امية وبني هاشم ودليل هذا
التاويل ما روى عبد الله بن معقل قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض ثم قال هم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا الناس ان لا تفسدوا في الارض ولا
تقطعوا ارحامكم وقرا علي بن ابي طالب ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام وهي قراءة ابن ابي اسحق ورواها
رويس عن يعقوب يقول ان وليتم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وحاربتموهم وتقطعوا ارحامكم با
لبغي والظلم والقتل وقرا يعقوب وسلام وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح التاء وتخفيف القاف
من القطع اعتبارًا بقوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وروى هذه القراءة هارون عن ابي
عمرو وقرا الحسن وتقطعوا مفتوحة الحروف مشددة اعتبارًا بقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم الباقون
وتقطعوا بضم التاء مشددة الطاء من التقطيع على التكثير وهو اختيار ابي عبيد وتقدم ذكر عسيتم
في البقرة وقال الزجاج في قراءة نافع لو جاز هذا لجاز عسى بالكسر قال الجوهري ويقال عسيت ان
افعل ذلك وعسيت بالكسر وقرئ فهل عسيتم بالكسر **قلت** ويدل قوله هذا على انهما لغتان وقد
مضى القول فيه في البقرة مستوفى اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته فاصمهم عن
الحق واعمى ابصارهم اي قلوبهم عن الخير فاتبع الاخبار بان من فعل ذلك حقت لعنته وسلبه الانتفاع بسمعه
وبصره حتى لا ينقاد للحق وان سمعه فجعله كالبهيمة التي لا تعقل وقال فهل عسيتم ثم قال اولئك الذين لعنهم
الله فرجع من الخطاب الى الغيبة على عادة العرب في ذلك **الثانية** قوله افلا يتدبرون القرآن اي يتفهمون
فيعلمون ما اعد الله للذين لم يتولوا عن الاسلام ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب اقفالها اقفلها
الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون وهذا يرد على القدرية والامامية مذهبهم وفي حديث مرفوع ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليها اقفالا كاقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها واصل القفل اليبس
والصلابة ويقال لما يبس من الشجر القفل والقفيل مثله والقفيل ايضا نبت والقفيل السوط **قال الراجز**
كيف قريت شيخك الازبا ❊ لما اتاك يابسا قرشبا ❊ قمت اليه بالقفيل ضربا ❊ القرشب بكسر القاف المسن عن الاصمعي
واقفله الصوم اي ايبسه قاله الجوهري فالقفل ههنا اشارة الى ارتتاج القلب وخلوه عن الايمان ان لا
يدخل قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر لان الله طبع على قلوبهم وقال على قلوب اقفالها لانه لو قال
على قلوب لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة والمراد ام على قلوب هولاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة
اقفالها **الثالثة** في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين
ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرؤوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وظاهر الاية انها خطاب لجميع
الكفار وقال قتادة وغيره معنى الاية فلعلكم او يخاف عليكم ان اعرضتم عن الايمان ان تعودوا
الى الفساد في الارض بسفك الدماء قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى
الم يسفكوا الدماء الحرام ويقطعوا الارحام وعصوا الرحمن فالرحم على هذا رحم دين الاسلام والايمان

التي

التي قد سماها الله اخوة بقوله انما المؤمنون اخوة وعلى قول الفرا ان الاية نزلت في بني هاشم وبني امية
والمراد من اضمر منهم نفاقا فاشار بقطع الرحم الى ما كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من القرابة
بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال وبالجملة فالرحم على وجهين عامة وخاصة فا
لعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الايمان والمحبة لاهله ونصرتهم والنصيحة لهم وترك
مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق
الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك من الترتب لهم واما الرحم الخاصة وهي الرحم
القرابة من طرفي الرجل ابيه وامه فيجب لهم الحقوق العامة وزيادة كالنفقة وتفقد احوالهم وترك
التغافل عن تعاهدهم في اوقات ضروراتهم وتتاكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى اذا تزاحمت الحقوق
بدئ بالاقرب فالاقرب وقال بعض اهل العلم ان الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم فلا تجب في
بني الاعمام وبني الاخوال وقيل بل هذا في كل من ينطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث محرما
كان او غير محرم فيخرج من هذا ان رحم الام التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا
ليس بصحيح والصواب كل ما يشمله ويعم الرحم يجب صلته على كل حال قربية وبعيدة على ما ذكرناه
اولا والله اعلم وقد روى ابو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا شعبة قال اخبرني محمد بن عبد
الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان للرحم لسانا يوم القيمة تحت العرش تقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا رب اسي الي فيجيبها
ربها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي صحيح مسلم عن جبير بن مطعم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال ابن ابي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري **الرابعة**
قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق بمعنى اخترع واصله التقدير
كما تقدم والخلق بمعنى المخلوق ومنه قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومعنى فرغ منهم كمل خلقهم
لا انه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم اذ ليس بفعله بمباشرة ولا مناولة ولا خلقه بالة ولا
محاولة تعالى الله عن ذلك وقوله قامت الرحم فقالت يحتمل وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اقام
من يتكلم عن الرحم من الملائكة فيقول ذلك وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب
من وصلها ووزر من قطعها كما وكل الله بسائر الاعمال كراما كاتبين وبمشاهدة اوقات الصلوات
ملائكة متعاقبين وثانيهما ان ذلك على جهة التقدير والتمثيل المفهم للاعياء وشدة الاعتناء فكانه
قال لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون قوله فقالت هذا مقام العائذ
بك من القطيعة مقصود هذا الكلام الاخبار بتاكيد امر صلة الرحم وانه تعالى قد نزلها بمنزلة من
استجار به فاجاره وادخله في ذمته وخفارته واذا كان كذلك فجار الله غير مخذول وعهده غير منقوض
ولذلك قال مخاطبا للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وهذا كما قال عليه الصلاة
والسلام من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فانه من يطلبه من ذمته بشيء
يدركه ثم يكبه في النار على وجهه **قوله تعالى** ان الذين ارتدوا على ادبارهم كفارا اهل الكتاب كفروا بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا نعته عندهم قاله ابن جريج وقال ابن عباس والضحاك والسدي
هم المنافقون قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول
لهم اي زين لهم خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اي مد لهم الشيطان في الامل ووعدهم طول العمر
عن الحسن ايضا وقيل ان الذي املى لهم في الامل ومدهم في اجالهم هو الله عز وجل قاله المفضل والفرا

وقال الكلبي ومقاتل ان معنى املي لهم فعلى هذا يكون الله تعالى املى لهم بالامهال في عذابهم وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وابو جعفر وشيبة وامْلِيَ لهم بضم الهمزة وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم فاعله وكذلك قرا ابن هرمز ومجاهد والجحدري ويعقوب الا انهم سكنوا اليا على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه انه يفعل ذلك بهم كانه قال وانا املي لهم واختاره ابو حاتم قال لان فتح الهمزة يوهم ان الشيطان يملي لهم وليس كذلك فلهذا عدل الى الضم قال المهدوي ومن قرا واملى لهم فالفاعل هو اسم الله تعالى وقيل الشيطان واختار ابو عبيدة قراءة العامة قال لان المعنى معلوم كقوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه رد التسبيح الى اسم الله والتوقير والتعزير على اسم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ذلك بانهم قالوا اي ذلك الاملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بانهم قالوا يعني المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر اي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد معه وتوهين امره في السر وانما قالوا ذلك سرا فاخبر الله نبيه وقراءة العامة اسرارهم بفتح الهمزة جمع سر وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا الكوفيون وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر نحو قوله تعالى واسررت لهم اسرارا جمع لاختلاف ضروب السر قوله تعالى فكيف اي فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون اي ضاربين فهو موضع الحال ومعنى الكلام التخويف والتشديد اي ان تاخر عنهم العذاب فالى انقضاء العمر وقد مضى في الانفال والنحل وقال ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب ضربا شديدا لوجهه وقفاه وقيل ذلك عند القتال نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تضرب وجوههم عند الطلب وادبارهم عند الهرب وقيل ذلك في القيمة عند سوقهم الى النار قوله تعالى ذلك اي ذلك جزاؤهم بانهم اتبعوا ما اسخط الله قال ابن عباس هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان حملت على المنافقين فهو اشارة الى ما اضمروا عليه من الكفر وكرهوا رضوانه يعني الايمان فاحبط اعمالهم اي ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك على ما تقدم قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان ما يضمر من المكروه واختلف في معناه فقال السدي غشهم وقال ابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم وانشد قول الشاعر قل لابن هند ما اردت بمنطق ساء الصديق وشيد الاضغانا وقيل احقادهم واحدها ضغن قال وذي ضغن كففت النفس عنه وقد تقدم وقال عمرو بن كلثوم وان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا قال الجوهري الضغن والضغينة الحقد وقد ضغن عليه بالكسر ضغنا وتضاغن القوم انطووا على الاحقاد واضطغنت الصبي اذا اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر كانه مضطغن صبيا اي حامله في حجره قال ابن مقبل اذا اضطغنت سلاحي عند مغرضها ومرفق كرئاس السيف اذ شسفا وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب والمعنى ام حسبوا ان لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشاء لاريناكهم اي لعرفناكهم قال ابن عباس وقد عرفه اياهم في سورة براءة تقول العرب سارِيك ما اصنع اي ساعلمك ومنه قوله تعالى بما اراك الله اي بما اعلمك فلعرفتهم بسيماهم اي بعلاماتهم قال انس ما خفي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس فاصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فذلك قوله سيماهم وقال ابن زيد قدر الله اظهارهم وامر ان يخرجوا من المسجد فابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت دماؤهم ونكحوا وانكحوا بها ولتعرفنهم

في لحن القول اي في فحواه ومعناه ومنه قول الشاعر وخير الكلام ما كان لحنا اي ما عرف بالمعنى ولم يصرح به ماخوذ من اللحن في الاعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض اي اذهب بها في الجواب لقوته على تصريف الكلام ابن زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى على غيره ولحنه هو عني بالكسر يلحنه لحنا اي فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم قال الفزاري وحديث الذه هو مما تنعت الناعتون يوزن وزنا منطق رائع وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا يريد انها تتكلم وهي تريد غيره وتعرض عن حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها وقد قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقال القتال الكلابي ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقال مرار الاسدي ولحنت لحنا فيه غش ورابني صدود ترضين الوشاة الاعاديا قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه وقيل كان المنافقون يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ذلك وياخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله عليه فكان هذا يعرف المنافقين اذا سمع كلامهم قال انس فلم يخف منافق بعد هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عرفه الله ذلك بوحي او علامة عرفها بتعريف الله اياه والله يعلم اعمالكم اي لا يخفى عليه شي منها قوله تعالى ولنبلونكم اي نتعبدكم بالشرائع وان علمنا عواقب الامور وقيل لنعاملنكم معاملة المختبرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين عليه قال ابن عباس حتى نعلم حتى نميز وقال علي رضي الله عنه حتى نعلم حتى نرى وقد مضى في البقرة وقراءة العامة ولنبلونكم ونعلم ونبلو وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء فيهن وروى رويس عن يعقوب اسكان الواو من ونبلو على القطع مما قبل ونصب الباقون ردا على قوله حتى نعلم وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزا لانه انما يجازيهم باعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتاويله حتى نعلم المجاهدين علم مشاهدة لانهم اذا انفردوا بالعمل يشهد منهم ما عملوه فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة ونبلوا اخباركم نختبرها ونظهرها قال ابرهيم بن الاشعث كان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يرجع الى المنافقين او الى اليهود قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيرها ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا الاية وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اي علموا انه نبي بالحجج والدلالات لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم اي ثواب اعمالهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فيه مسئلتان الاولى قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما بين حال الكفار امر المومنين بلزوم الطاعة في اوامره والرسول في سننه ولا تبطلوا اعمالكم اي حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري بالكباير ابن جريج بالريا والسمعة وقال مقاتل والثمالي بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه اشارة الى ان الكباير تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان الثانية احتج علماؤنا وغيرهم بهذه الاية على ان التحلل من التطوع صلاة كانت او صوما بعد التلبس به لا يجوز لان فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من اجاز ذلك وهو الشافعي وغيره المراد بذلك ابطال ثواب العمل فنهى الرجل عن احباط ثوابه فاما ما كان نفلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان اللفظ عام فالعام يجوز تخصيصه ووجه تخصيصه ان النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييرا وعن ابي العالية كانوا يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال مقاتل يقول الله

تعالى اذا عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وماتوا وهم
كفار فلن يغفر الله لهم بين ان الاعتبار بالوفاة على الكفر يوجب الخلود في النار وقد مضى في البقرة الكلام
فيه وقيل المراد بالاية اصحاب القليب وحكمها عام **قوله تعالى** فلا تهنوا وتدعوا الى السلم فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله فلا تهنوا اي تضعفوا عن القتال والوهن الضعف وقد وهن الانسان ووهنه غيره
يتعدى ولا يتعدى **قال** اني لست بموهون فقر ووهن الرجل ايضا بالكسر وهنا اي ضعف وقرئ
فما وهنوا بضم الهاء وكسرها وقد مضى في ال عمران **الثانية** قوله تعالى وتدعوا الى السلم اي الصلح وانتم
الاعلون اي وانتم اعلم بالله منهم وقيل وانتم الاعلون في الحجة وقيل المعنى وانتم الغالبون لانكم
مومنون وان غلبوكم في الظاهر في بعض الاحوال وقال قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت
الى صاحبتها **الثالثة** واختلف العلماء في حكمها فقيل انها ناسخة لقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح
لها لان الله تعالى منع من الميل الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل منسوخة بقوله تعالى
وان جنحوا الاية وقيل هي محكمة والايتان نزلتا في وقتين مختلفي الاحوال وقيل ان قوله وان جنحوا
للسلم فاجنح لها مخصوص في قوم باعيانهم والاخرى عامة فلا يجوز مهادنة الكفار الا عند الضرورة
وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى هذا المعنى مستوفى والله معكم اي بالنصر
والمعونة مثل وان الله مع المحسنين ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره ومنه الموتور
الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه يقول منه وتره يتره وترا وترة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
من فاته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اي ذهب بهما وكذلك وتره حقه اي نقصه وقوله
عز وجل لن يتركم اعمالكم اي لن ينتقصكم في اعمالكم كما تقول دخلت البيت وانت تريد في البيت قاله الجوهري
الفراء لن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل هو مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن
يفردكم بغير ثواب **قوله تعالى** انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تقدم في الانعام وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم
شرط وجوابه ولا يسالكم اموالكم اي لا يامركم باخراج جميعها في الزكاة بل امر باخراج البعض قاله ابن
عيينة وغيره وقيل لا يسالكم اموالكم لنفسه او لحاجة منه اليها انما يامركم بالانفاق في سبيله ليرجع
ثوابه اليكم وقيل لا يسالكم اموالكم انما يسالكم امواله لانه املك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسالكم
محمد اموالكم اجرا على تبليغ الرسالة نظيره قل ما اسالكم عليه من اجر الاية ان يسالكموها فيحفكم يلح
عليكم يقال احفى بالمسالة والحف والح بمعنى واحد والحفي المستقصي في السوال وكذلك الاحفاء الا
ستقصاء في الكلام والمنازعة ومنه احفى شاربه اي استقصى في اخذه تبخلوا ويخرج اضغانكم اي يخرج
البخل اضغانكم قال قتادة قد علم الله سبحانه ان في سوال المال خروج الاضغان وقرا ابن عباس ومجاهد
وابن محيصن وحميد وتخرج بتاء مفتوحة وراء مضمومة اضغانكم بالرفع لكونه الفاعل وروى الوليد
عن يعقوب الحضرمي ونخرج بالنون وابو معمر عن عبد الوارث عن ابي عمرو ويخرج بالرفع في الجيم على
القطع والاستيناف والمشهور عنه كسائر القراء عطف على ما تقدم **قوله تعالى** ها انتم هولاء تدعون
اي ها انتم هولاء ايها المومنون تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي في الجهاد وطريق الخير فمنكم من يبخل
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي يمنعها الاجر والثواب والله الغني اي انه ليس بمحتاج الى اموالكم وانتم
الفقراء اليها وان تتولوا يستبدل قوما غيركم اي اطوع لله منكم وروى الترمذي عن ابي هريرة قال تلى
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن
يستبدل بنا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه
قال حديث غريب في اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن المديني ايضا هذا الحديث

عن العلا

عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله من هولاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان جنب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان وقال هذا واصحابه والذي
نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس
والروم قال المحاسبي فلا احد بعد من جميع اجناس الاعاجم احسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وقيل
انهم اهل اليمن وهم الانصار قاله شريح بن عبيد وكذا قال ابن عباس هم الانصار وعنه انهم الملائكة وعنه
هم التابعون وقال مجاهد من شاء من سائر الناس ثم لا يكونوا امثالكم قال الطبري اي في البخل بالانفاق
في سبيل الله وحكى عن ابي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال هي احب الي من الدنيا والله اعلم **سورة الفتح مدنية باجماع وهي تسع وعشرون اية** ونزلت
ليلا بين مكة والمدينة في شان الحديبية روى محمد بن اسحق عن عروة بن المسور بن مخرمة الزهري
ومروان بن الحكم قالا نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شان الحديبية من اولها الى اخرها وفي
الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر
ابن الخطاب يسير معه فساله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ساله فلم يجبه
ثم ساله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب هلكتك امك يا عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت
ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قران فجئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا
فتحنا لك فتحا مبينا لفظ البخاري وقال الترمذي حسن غريب صحيح وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انس
ابن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الى قوله فوزا عظيما مرجعه من
الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكابة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب
الي من الدنيا جميعها وقال عطاء عن ابن عباس ان اليهود شمتوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين لما
نزل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل
به ولا باصحابه فنزلت بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضاء
فنسخت هذه الاية تلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورة هي احب الي من حمر
النعم وقال المسعودي بلغني انه من قرا سورة الفتح في اول ليلة من شهر رمضان في صلاة التطوع
حفظه الله تعالى ذلك العام **بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم**
من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو
الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان
الله عليما حكيما ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر
عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيوتيه اجرا
عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم

تفسير سورة الفتح
وهي مدنية باجماع

ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتا
خذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح
ما هو ففي البخاري حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس
انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية وقال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وقال البرا
تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا نعد
مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا بغير قتال
وكان الصلح من الفتح وقال مجاهد هو منحره بالحديبية وحلقه راسه وقال كان فتح الحديبية اية عظيمة
نزح ماؤها فمج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقال موسى بن عقبة قال رجل عند منصرفهم
من الحديبية ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح قد
رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم
ما كرهوا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال هو فتح الحديبية لقد اصاب فيها ما لم
يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ
الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري
لقد كان الحديبية اعظم الفتوح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم جا اليها في الف واربعمائة فلما
وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا عن الله فما اراد احد الاسلام الا تمكن منه فما
مضت تلك السنتان الا والمسلمون قد جاوا الى مكة في عشرة الاف وقال مجاهد والعوفي هو فتح
خيبر والاول اكثر وخيبر انما كانت وعدا وعدوه على ما ياتي بيانه في قوله سيقول المخلفون
اذا انطلقتم وقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وقال مجمع بن جارية
وكان احد القراء الذين قروا القران شهدنا الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا
اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحي الله الى النبي صلى الله
عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع
الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد الا من شهد الحديبية
وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل على ان مكة فتحت عنوة لان اسم الفتح لا يقع مطلقا الا على ما فتح
عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال فتح البلد صلحا فلا يفهم الصلح الا بان يقرن بالفتح فصار الفتح
في الصلح مجازا والاخبار دالة على انها فتحت عنوة وقد مضى القول فيها ويأتي قوله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال ابن الانباري فتحا مبينا غير تام لان قوله ليغفر لك الله ما
تقدم متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة فيجمع لك
به ما تقر عينك في الدنيا والاخرة وقال ابو حاتم السجستاني هي لام القسم وهذا خطا لان لام
القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد بتاويل ليقومن زيد الزمخشري فان قلت
كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة

وهي المغفرة

وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ثم
نصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث
انه جهاد للعدو سببا للمغفرة والثواب وفي الترمذي عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لقد نزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا
هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين الله لك ما ذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات حتى بلغ فوزا عظيما قال حديث حسن صحيح وفيه عن مجمع بن جارية واختلف
اهل التاويل في معنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقيل ما تقدم من ذنبك قبل
الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد ونحوه قاله الطبري وسفيان الثوري قال الطبري هو راجع
الى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة
وما تاخر الى وقت نزول الاية وقال سفيان الثوري ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ما عملته
في الجاهلية من قبل ان يوحى اليك وما تاخر كل شيء لم تعمله وقال الواحدي وقد مضى الكلام
في جريان الصغائر على الانبياء في البقرة فهذا قول وقيل ما تقدم قبل الفتح وما تاخر بعد الفتح
وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تاخر بعدها وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك
يعني من ذنب ابويك ادم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك وقيل ما تقدم من ذنب ابيك ابرهيم
وما تاخر من ذنوب النبيين وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وذلك
ان الذنب المتقدم يوم بدر انه جعل يدعوا ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ابدا
وجعل يردد هذا القول فاوحى الله تعالى اليه من اين تعلم انك لو اهلكت هذه العصابة لا اعبد ابدا
فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه العباس ولابن عمه
ابي سفيان ناولاني كفا من حصباء الوادي فناولاه فاخذه بيده ورمى به في وجوه المشركين وقال
شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم عن اخرهم فلم يبق احد الا امتلات عيناه رملا وحصبا
ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر قال ابو علي الروذباري لو كان لك ذنب قديم او حديث
لغفرناه لك قوله تعالى ويتم نعمته عليك قال ابن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة
والطائف وخيبر وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك
على الهدى الى ان يقبضك اليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي غالبا منيعا لا يتبعه ذل قوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة السكون والطمانينة
قال ابن عباس كل سكينة في القران هي الطمانينة الا التي في البقرة وتقدم معنى زيادة الايمان في
ال عمران وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوه فيها
زادهم الصلاة فلما صدقوه زادهم الزكاة فلما صدقوه زادهم الصيام فلما صدقوه زادهم الحج ثم
اكمل لهم دينهم فذلك قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي تصديقا بشرائع الايمان مع تصديقهم
بالايمان وقال الربيع بن انس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ولله جنود السموات
والارض قال ابن عباس يريد الملائكة والجن والانس والشياطين وكان الله عليما حكيما عليما
باحوال خلقه حكيما فيما يريده قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات اي انزل السكينة
ليزدادوا ايمانا ثم تلك الزيادة سبب ادخالهم الجنة وقيل اللام في ليدخل يتعلق بما يتعلق به اللام

في قوله ليغفر لك الله وكان ذلك اي ذلك الوعد من دخول مكة وغفران الذنوب عند الله فوزا عظيما
اي نجاة من كل غم وظفرا بكل مطلوب وقيل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قالوا هنالك يا رسول الله فما ذا لنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات ولما قرا ليتم نعمته عليك قالوا هنيئا لك فنزلت واتممت عليكم نعمتي فلما قرا ويهديك
صراطا مستقيما ولما نزل وينصرك الله نصرا عزيزا نزل وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا كقوله
ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال هو الذي يصلي عليكم وملائكته ذكره القشيري قوله تعالى
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي بايصال الهموم اليهم بسبب علو كلمة
الاسلام وبان يسلط النبي صلى الله عليه وسلم عليهم قتلا واسرا واسترقاقا فالظانين بالله ظن
السوء يعني ظنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه حين خرج
الى الحديبية وان المشركين يستاصلوهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا وقال الخليل وسيبويه السوء هنا الفساد عليهم دائرة السوء في الدنيا بالقتل والسبي والاسر
وفي الاخرة بجهنم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وفتح الباقون قال الجوهري ساءه
يسوءه سوءا بالفتح ومساءة ومسائية نقيض سره والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دائرة السوء
يعني الهزيمة والشر ومن فتح فهو من المساءة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير موضع جميعه وقيل لما جرى صلح
الحديبية قال ابن ابي ايظن محمد انه اذا صالح اهل مكة وفتحها لا يبقى له عدو فاين فارس والروم فبين
الله عز وجل ان جنود السموات والارض اكثر من فارس والروم وقيل يدخل جميع المخلوقات وقال
ابن عباس ولله جنود السموات الملائكة وجنود الارض المؤمنون واعاد لان الذي سبق عقيب ذكر
المشركين من قريش وهذا عقيب ذكر المنافقين وساير المشركين والمراد في الموضعين التخويف والتهديد
فلو اراد اهلاك المنافقين والمشركين لم يعجزه ذلك ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى قوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا قال قتادة على امتك بالبلاغ وقيل شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة ومعصية وقيل مبينا
لهم ما ارسلناك به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيمة فهو شاهد افعالهم اليوم والشهيد عليهم
يوم القيمة وقد مضى في النساء عن سعيد بن المسيب هذا المعنى مبينا ومبشرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا
من النار لمن عصى قاله قتادة وغيره وقد مضى في البقرة اشتقاق البشارة والنذارة ومعناهما
وانتصب شاهدا ومبشرا ونذيرا على الحال المقدرة حكى سيبويه مررت برجل معه صقر صايدا به
غدا فالمعنى انا ارسلناك مقدرين بشهادتك يوم القيمة وعلى هذا القول رايت عمرا قايما غدا لتؤمنوا
بالله ورسوله قرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو بالياء وكذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه
كله بالياء على الخبر واختاره ابو عبيد لذكر المؤمنين قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل
واما بعده فقوله ان الذين يبايعونك الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم ويعزروه
اي يعظموه ويفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير وقال قتادة ينصروه ويمنعوه
ومنه التعزير في الحد لانه مانع قال القطامي ألا بكرت مي بغير سفاهة ٭ تعاتب والمودود ينفعه العذر
وقال ابن عباس وعكرمة يقاتلون معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة يطيعوه ويوقروه اي يسودوه
قاله السدي وقيل يعظموه والتوقير التعظيم والترزين ايضا والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم
وهنا وقف تام ثم يبتدي ويسبحوه اي يسبحوا الله بكرة واصيلا اي عشيا وقيل الضماير كلها لله
عز وجل فعلى هذا يكون تاويل يعزروه ويوقروه اي يثبتوا له صحة الربوبية وينفوا عنه ان يكون له

ولد

ولد وشريك واختار هذا القول القشيري والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا الى الله سبحانه
وهو ويسبحوه من غير خلاف وبعضه راجعا الى رسوله وهو يعزروه ويوقروه اي يدعوه بالرسالة والنبوة
لا بالاسم والكنية وفي يسبحوه وجهان احدهما تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح والثاني هو فعل الصلاة التي
فيها التسبيح بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا وقد مضى القول فيه وقال الشاعر لعمري لانت البيت اكرم اهله
واجلس في افنائه بالاصايل قوله تعالى ان الذين يبايعونك بالحديبية يا محمد انما يبايعون الله بين ان
بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم انما هي بيعة الله كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وهذه البيعة
هي بيعة الرضوان على ما ياتي بيانه في هذه السورة ان شاء الله يد الله فوق ايديهم قيل المعنى يده في الثواب
فوق ايديهم في الوفاء ويده في المنة عليهم في الهداية فوق ايديهم في الطاعة وقال الكلبي معناه نعمة الله
عليهم فوق ما صنعوا من البيعة وقال ابن كيسان قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم فمن نكث بعد
البيعة فانما ينكث على نفسه اي يرجع ضرر النكث عليه لانه حرم نفسه الثواب والزمها العقاب ومن
اوفى بما عاهد عليه الله قيل في البيعة وقيل في ايمانه فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الجنة وقرا حفص والزهري
عليه الله بضم الهاء وجرها الباقون وقرا نافع وابن كثير فسنؤتيه بالنون واختاره الفرا وابو
معاذ وقرا الباقون بالياء وهو اختيار ابي عبيدة وابي حاتم لقرب اسم الله منه قوله تعالى
سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وابن عباس يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم
واشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد السفر
الى مكة عام الفتح بعد ان كان استنفرهم ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بعمرة وساق معه
الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت وانما قال المخلفون لان الله
خلفهم عن صحبة نبيه والمخلف المتروك وقد مضى في براءة شغلتنا اموالنا واهلونا اي ليس لنا من
يقوم بها فاستغفر لنا جاءوا يطلبون الاستغفار واعتقادهم بخلاف ظاهرهم ففضحهم الله تعالى
بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا هو النفاق المحض قل فمن يملك لكم من الله شيئا
ان اراد بكم ضرا قرا حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد هنا فقط اي امرا يضركم وقال ابن عباس الهزيمة الباقون
بالفتح وهو مصدر ضررته ضرا وبالضم اسم لما ينال الانسان من الهزال وسوء الحال والمصدر يؤدي عن المرة
فاكثر واختار الفتح ابو عبيد وابو حاتم قالا لانه قابله بالنفع وهو ضد الضر وقيل هما لغتان كالفقر
والفقر او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن الرسول يدفع عنهم الضر
ويعجل لهم النفع قوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك انهم قالوا
ان محمدا واصحابه اكلة راس لا يرجعون وزين ذلك اي النفاق في قلوبكم وهذا التزيين من الشيطان
او يخلق الله ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ان الله لا ينصر رسوله وكنتم قوما بورا اي هلكى
قاله مجاهد قال فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي
لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعرى السهمي يا رسول المليك ان لساني ٭ راتق ما فتقت اذ انا بور وامراة
بور ايضا حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى قال تعالى وكنتم قوما بورا وهو جمع باير مثل حايل وحول وقد
بار فلان اي هلك وابار الله اي اهلكه وقيل بورا اي اشرارا قاله ابن بحر قال حسان بن ثابت لا ينفع
الطول من نوك القلوب وقد ٭ يهدي الاله سبيل المعشر البور اي الهالك قوله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
الاية وعيد لهم وبيان انهم كفروا بالنفاق قوله تعالى ولله ملك السموات والارض الاية اي هو غني عن عباده
وانما ابتلاهم بالتكليف ليثيب من امن ويعاقب من كفر وعصى قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم
الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله وعد اهل الحديبية فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب

منهم ومن حضر ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسّم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر
قال ابن اسحق وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصاري من بني سلمة وزيد بن ثابت من بني النجار
كانا حاسبين قاسمين ذرونا نتبعكم اي دعونا تقول ذره اي دعه وهو يذره اي يدعه واصله وَذَرَه يذره
مثال وسعه يسعه وقد اميت صدره لا يقال وذره واذر ولكن تركه وهو تارك قال مجاهد تخلفوا عن
الخروج الى مكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم واخذ قوما ووجههم قالوا ذرونا نتبعكم فنقاتل معكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروا كلام الله قال ابن زيد هو قوله تعالى فاذا استاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا الآية وانكر هذا القول الطبري وغيره بسبب ان غزوة
تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة وقيل المعنى يريدون ان يغيروا وعد الله وعد لاهل الحديبية
وذلك ان الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا عن فتح مكة اذا رجعوا من الحديبية على صلح قاله مجاهد
وقتادة واختاره الطبري وعليه عامة اهل التاويل وقرا حمزة والكسائي كلم باسقاط الالف
وكسر اللام جمع كلمة نحو سلمة وسلم الباقون كلام على المصدر واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا
بقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والكلام ما استقل بنفسه من الجمل قال الجوهري
الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة
ونبق ولهذا قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية ولم يقل ما الكلام لانه اراد نفس ثلاثة
اشياء الاسم والفعل والحرف فجاء بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن ان يقع على الواحد والجماعة
وتميم تقول هي كِلمة بكسر الكاف وقد مضى في براءة القول فيها كذلكم قال الله من قبل رجوعنا
من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم
من الغنائم وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خرجتم لا امنعكم الا انه لا سهم لكم فقالوا هذا حسد
فقال المسلمون قد اخبرنا الله في الحديبية بما ستقولونه بقوله فسيقولون بل تحسدوننا فقال الله
بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا قليلا وهو
ترك القتال قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد فيه اربع مسائل
الاولى قوله قل للمخلفين من الاعراب اي قل لهؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم
اولي باس شديد قال ابن عباس وعطا ابن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلى وعطا الخراساني هم فارس
وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن ابي ليلى الروم وعن الحسن ايضا فارس والروم وقال ابن جبير هوازن
وثقيف وقال عكرمة هوازن وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال مقاتل بنو حنيفة
اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وقال رافع بن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الآية فيما مضى ستدعون
الى قوم اولي باس شديد فلا نعلم من هم حتى دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال
ابو هريرة لم تات هذه الآية بعد وظاهر الآية يرده الثانية فهذه الآية دليل على صحة امامة ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم واما قول
قتادة وعكرمة ان ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا لانه يمتنع ان يكون الداعي لهم الرسول عليه
الصلاة والسلام لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير
النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما الزمخشري فان صح ذلك عن قتادة لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من
مرض القلوب والاضطراب في الدين وعلى قول مجاهد كان الوعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم الثالثة قوله تقاتلونهم او يسلمون هذا حكم من لا يؤخذ

منهم الجزية وهو معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة واما الاسلام ولا ثالث لهما
وفي حرف ابي او يسلموا بمعنى حتى يسلموا كما تقول كل او تشبع اي حتى تشبع قال فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكا او نموت فنعذرا وقال الزجاج قال او يسلمون لان المعنى او هم يسلمون من غير قتال وهذا
في قتال المشركين لا في اهل الكتاب قوله تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا الغنيمة والنصر
في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو عذاب
النار قوله تعالى فان تولوا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في
قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين
ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو
قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم
وكان الله بما يعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله
في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم
من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما قوله تعالى ليس على الاعمى حرج الآية قال ابن عباس لما نزلت وان تتولوا يعذبكم
عذابا اليما قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فنزلت ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا
على المريض حرج اي لا اثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم وقد مضى في براءة وغيرها
والعرج آفة تعرض لرجل واحدة واذا كان ذلك مؤثرا فخلل الرجلين اولى ان يؤثر وقال مقاتل هم الزمنى
الذين تخلفوا عن الحديبية وقد عذرهم اي من شاء ان يسير منهم معكم الى خيبر فليفعل ومن يطع الله
ورسوله فيما امر يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قرا نافع وابن عامر ندخله بالنون على التعظيم
الباقون بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لذكر اسم الله اولا ومن يتول يعذبه عذابا اليما قوله تعالى
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هذه بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذا
خبر الحديبية على اختصار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام منصرفه من غزوة بني المصطلق
في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا واستنفر الاعراب الذين حول المدينة فابطا عنه اكثرهم وخرج
صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من الاعراب وجميعهم نحو الف

واربعماية وقيل الف وخمسماية وقيل غير هذا على ما ياتي وساق معه الهدي واحرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليعلم الناس انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا خروجه خرج جميعهم صادين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عن المسجد الحرام ودخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه دونه وقدموا خالد بن الوليد في خيل الى كراع
الغميم فورد الخبر بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان وكان المخبر له بشر بن سفيان
الكعبي فسلك طريقا يخرج به في ظهورهم وخرج الى الحديبية من اسفل مكة وكان دليله فيه رجل
من اسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد جرت الى قريش تعلمهم بذلك فلما وصل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال الناس خلات خلات فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما
خلات وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسالوني
فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ثم نزل هناك فقيل يا رسول الله ليس بهذا الوادي ماء فاخرج عليه الصلاة
والسلام سهما من كنانته فاعطاها رجلا من اصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه
فجاش بالماء الرواء حتى كفى جميع الجيش وقيل ان الذي نزل بالسهم في القليب ناجية بن جندب بن عمير
الاسلمي سايق بدن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزل بالسهم في القليب البراء بن عازب ثم جرت السفرا
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وطال التراجع الى ان جاءه سهيل بن عمرو العامري
فقاضاه على ان ينصرف عليه الصلاة والسلام عامه ذلك فاذا كان من قابل اتى معتمرا ودخل
هو واصحابه مكة بلا سلاح حاشا السيوف في قربها فيقيم بها ثلاثا ثم يخرج وعلى ان يكون
بينه وبينهم صلح عشرة اعوام يتداخل فيها الناس ويامن بعضهم بعضا وعلى ان من جاء من الكفار
الى المسلمين مسلما من رجل او امراة رد الى الكفار ومن جاء من المسلمين مرتدا لم يردوه الى المسلمين
فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم لما
علمه الله من انه سيجعل للمسلمين فرجا فقال لاصحابه اصبروا فان الله يجعل هذا الصلح سببا الى
ظهور دينه فانس الناس الى قوله هذا بعد نفارهم منه وابى سهيل بن عمرو ان يكتب في صدر صحيفة الصلح
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد فلا بد ان تكتب باسمك
اللهم فقال لعلي وكان يكتب صحيفة الصلح امح يا علي واكتب باسمك اللهم فابى علي ان يمحو بيده محمد
رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضه علي فاشار اليه فمحاه صلى الله عليه وسلم
وامر ان يكتب من محمد بن عبد الله واتى ابو جندل بن سهيل يومئذ باثر كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصلح فعظم ذلك على المسلمين فاخبرهم صلى الله عليه وسلم
واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا وكان صلى الله عليه وسلم قبل الصلح قد بعث عثمان
ابن عفان الى مكة رسولا فجاء خبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اهل مكة قتلوه فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حينئذ الى المبايعة له على الحرب والقتال لاهل مكة فروي انه بايعهم على الموت
وروي انه بايعهم على ان لا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي اخبر الله تعالى انه رضي عن
المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يدخلون
النار وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله لعثمان فهو كمن شهدها وذكر وكيع
عن اسمعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ابو سفيان الاسدي وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعماية فبايعناه
وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وعنه انه سمع
جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة ماية فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة

وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن ابي الجعد قال سالت جابر
ابن عبد الله عن اصحاب الشجرة قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا الفا وخمسماية وفي رواية كنا خمس عشرة ماية
وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثماية وكان اسلم ثمن المهاجرين وعن يزيد
ابن ابي عبيد قال قلت لسلمة على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت
وعن البراء بن عازب قال كتب علي الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية فكتب
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لا تكتب رسول الله فلو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وكان فيما
اشترطوا ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح الا جلبان السلاح القراب وما فيه
وعن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو ما بسم الله الرحمن الرحيم فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم
ولكن اكتب ما نعرف اكتب باسمك اللهم فقال اكتب من محمد رسول الله قالوا لو علمنا انك رسول الله
لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله فاشترطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله
اكتب هذا قال نعم انه من جاء منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا
وعن ابي وايل قال قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال يا ايها الناس اتهموا انفسكم لقد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله السنا على حق وهم على باطل قال نعم قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي
الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله
ابدا قال فانطلق عمر ولم يصبر متغيظا فاتى ابا بكر فقال يا ابا بكر السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال
اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله
بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يضيعه الله ابدا قال فنزل
القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح فارسل الى عمر فاقراه اياه فقال يا رسول الله او فتح هو
قال نعم فطابت نفسه ورجع **قوله تعالى** فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفا قاله الفرا وقال
ابن جريج وقتادة من الرضى بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على ان
يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة عليهم حتى بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة بصد
المشركين اياهم وتخلف رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم اذ راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما ذلك رؤيا منام وقال الصديق لم يكن فيها الدخول في هذا العام والسكينة الطمانينة
وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل الصبر واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وقيل
فتح مكة وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها يعني اموال خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال وكانت
خيبر بين الحديبية ومكة فمغانم على هذا بدل من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل ومغانم فارس والروم
قوله تعالى ومغانم كثيرة تاخذونها قال ابن عباس ومجاهد انها المغانم التي تكون الى يوم القيمة وقال
ابن زيد هي مغانم خيبر فعجل لكم هذه اي خيبر قاله مجاهد وقال ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية
وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة كفهم عنكم بالصلح وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد
خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر وهو اختيار الطبري لان كف ايدي الناس بالحديبية

مذكور في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس في كف ايدي الناس عنكم يعني عيينة بن حصن
الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا اهل خيبر والنبي صلى الله عليه وسلم
محاصر لهم فالقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين ولتكون اية للمؤمنين اي ولتكون هزيمتهم
وسلامتكم اية للمؤمنين فيعلموا ان الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم وقيل اي ولتكون كفا ايديهم عنكم
اية للمؤمنين وقيل اي ولتكون هذه التي عجلها لكم اية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم ان
يصيبوها والواو في ولتكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون عاطفة على مضمر اي وكف ايدي
الناس عنكم لتشكروه ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما اي يزيدكم هدى او يثبتكم على الهداية
قوله تعالى واخرى اخرى معطوفة على هذه اي فعجل هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها قد احاط
الله بها قال ابن عباس هي الفتوح التي فتحت على المسلمين كارض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون
وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وعن ابن عباس ايضا والضحاك وابن زيد وابن اسحق هي خيبر و
عدها الله نبيه قبل ان يفتحها ولم يكونوا يرجونها حتى اخبرهم الله بها وعن الحسن ايضا وقتادة هو
فتح مكة وقال عكرمة حنين لانه قال لم تقدروا عليها وهذا يدل على تقدم محاولة لها وفوات درك
المطلوب في الحال كما كان في مكة قاله القشيري وقال مجاهد هي ما يكون الى يوم القيمة ومعنى قد
احاط الله بها اي اعدها لكم فهي كالشيء قد احيط به من جوانبه فهو محصور لا يفوت فانتم وان لم
تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة لكم لا تفوتكم وقيل علم الله بها اي علم انها ستكون لكم كما قال
وان الله قد احاط بكل شيء علما وقيل حفظها الله عليكم ليكون فتحها لكم وكان الله على كل شيء قدير
قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار قال قتادة يعني كفار قريش في الحديبية وقيل لو
قاتلكم غطفان واسد والذين ارادوا نصرة اهل خيبر لكانت الدائرة عليهم ثم لا يجدون وليا ولا
نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر اوليائه على اعدائه
وانتصب سنة على المصدر وقيل سنة اي كسنة الله والسنة الطريقة والسيرة قال
فلا تجزعن من سيرة انت سرتها ٭ فاول راض سنة من يسيرها ٭ والسنة ايضا ضرب من بني المدينة
ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهي الحديبية
من بعد ان اظفركم عليهم روى يزيد بن هارون قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين رجلا
من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من قبل جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فاخذناهم سلما فاستحييناهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة
من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في
اصل الشجرة التي قال الله في القران فبينما نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل جئتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم
عنكم الاية وذكر ابن هشام عن وكيع وكانت قريش قد جمعوا سبعين او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين
وانتهاز الفرصة في اطرافهم ففطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرى وكان ذلك والسفراء يمشون بينهم في
الصلح فاطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم فهم الذين يسمعون العتقاء ومنهم معاوية وابوه وقال مجاهد اقبل النبي
صلى الله عليه وسلم معتمرا اذ اخذ اصحابه ناسا من الحرم غافلين فارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك
الاظفار ببطن مكة وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زنيم اطلع
الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا فاتوا باثني عشر

فارسا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل لكم علي ذمة قالوا لا فارسلهم فنزلت وقال ابن ابزى والكلبي هم اهل
الحديبية كف الله ايديهم عن المسلمين حتى وقع الصلح وكانوا خرجوا باجمعهم وقصدوا المسلمين وكف ايدي
المسلمين عنهم وقد تقدم ان خالد بن الوليد كان في خيل المشركين قال القشيري فهذه رواية والصحيح انه كان
مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وقد قال سلمة بن الاكوع كانوا في امر الصلح اذ اقبل ابو سفيان
فاذا الوادي يسير بالرجال والسلاح قال فجئت بستة من المشركين اسوقهم متسلحين لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا فاتيت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر قال في الطريق يا رسول الله ناتي قوما
حربا وليس معنا سلاح ولا كراع فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الطريق فاتوه بكل سلاح
وكراع كان فيها واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليك في خمسماية فارس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك اتاك في خمسماية فقال خالد انا سيف
الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فخرج ومعه خيل وهزم الكفار وردهم الى حوائط مكة وهذه
الرواية اصح وكان بينهم قتال بالحجارة وقيل بالنبل والظفر وقيل اراد بكف اليد ان من جاءنا فهو رد
عليهم فخرج اقوام من مكة مسلمون وخافوا ان يردهم النبي صلى الله عليه وسلم الى المشركين فلحقوا
بالساحل ومنهم ابو بصير فجعلوا يغيرون على الكفار وياخذون عيرهم حتى جاء كبار قريش الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقالوا اضممهم اليك حتى نامن ففعل وقيل همت غطفان واسد منع المسلمين من
يهود خيبر لانهم كانوا حلفاءهم فمنعهم الله عن ذلك فهو كف اليد ببطن مكة ففيه قولان احدهما مكة
والثاني الحديبية لان بعضها مضاف الى الحرم قال الماوردي وفي قوله من بعد ان اظفركم عليهم
بفتح مكة وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة وفيها دليل على ان مكة فتحت صلحا لقوله تعالى كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم قلت الصحيح ان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل فتح مكة حسبما قدمناه عن اهل
التاويل من الصحابة والتابعين وروى الترمذي قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثني سليمان بن حرب
قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال ان ثمانين هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون ان يقتلوه فاخذوا اخذا فاعتقهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
وقد تقدم واما فتح مكة فالذي تدل عليه الاخبار انها انما فتحت عنوة وقد مضى القول بذلك في
الحج وغيرها وكان الله بما يعملون بصيرا قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله هم الذين كفروا يعني قريشا منعوكم دخول المسجد الحرام عام
الحديبية حين احرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بعمرة ومنعوا الهدي وحبسوه عن ان يبلغ
محله وهذا كانوا لا يعتقدونه ولكنه حملتهم الانفة ودعتهم حمية الجاهلية الى ان يفعلوا ما لا يعتقدونه
دينا فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه وادخل الانس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيانه
ووعده الثانية قوله تعالى والهدي اي محبوسا وقيل واقفا وقال ابو عمرو بن العلا الجوهري
عكفه اي حبسه ووقفه يعكفه يعكفه عكفا ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا يقال ما عكفك على كذا
ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس ان يبلغ محله اي منحره قال الفرا والشافعي الحرم وكذا
قال ابو حنيفة المحصر محل هديه الحرم والمحل بكسر الحاء غاية الشيء وبالفتح هو الموضع الذي يحله الناس
وكان الهدي سبعين بدنة ولكن الله بفضله جعل ذلك الموضع له محلا وقد اختلف العلماء في هذا على
ما تقدم بيانه في البقرة عند قوله فان احصرتم والصحيح ما ذكرناه في صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر
ابن عبد الله قال نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة

عن سبعة وعنه قال اشتركنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر
ايشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال ما هي الا من البدن وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ
سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة وفي البخاري عن ابن عمر قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه وحلق راسه
قيل ان الذي حلق راسه يومئذ خراش بن امية بن ابي العيص الخزاعي وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينحروا ويحلوا ففعلوا بعد توقف كان منهم اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ام سلمة
لو نحرت لنحروا فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه ونحروا بنحره وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة وراى كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه فقال ايؤذيك
هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه البخاري والدارقطني وقد مضى في البقرة **الثالثة**
قوله تعالى والهدي الهدي والهدى لغتان وقرئ حتى يبلغ الهدي محله بالتخفيف والتشديد الواحدة هدية
وقد مضى في البقرة ايضا وهو معطوف على الكاف والميم من صدوكم ومعكوفا حال وموضع ان من
قوله ان يبلغ محله نصب على تقدير الحمل على صدوا كاي صدوكم وصدوا الهدي عن ان يبلغ ويجوز
ان يكون مفعولا له كانه قال وصدوا الهدي كراهية ان يبلغ محله ابو علي لا يصح حمله على العطف
لانا لا نعلم عكف جاء متعديا ومجيء معكوفا في الآية يجوز ان يكون محمولا على المعنى كانه لما كان حبسا
حمل المعنى على ذلك كما حمل الرفث على معنى الافضاء فعدي بالى فان حمل على ذلك كان موضعه نصبا
على قياس قول سيبويه وجرا على قياس قول الخليل ويكون مفعولا له كانه قال محبوسا كراهة ان يبلغ
محله ويجوز تقدير الجر في ان لان عن تقدمت فكانه قال صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي
ان يبلغ محله ومثله ما حكاه سيبويه عن يونس مررت برجل ان زيد وان عمرو فاضمر الجار لتقدم
ذكره **قوله تعالى** ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله ولولا
رجال يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة وسط الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة
وابي جندل بن سهيل واشباههم لم تعلموهم اي تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مؤمنون ان تطؤوهم
بالقتل والايقاع بهم يقال وطئت القوم اي اوقعت بهم ويجوز ان يكون رفعا على البدل من رجال
ونساء كانه قال ولولا وطؤكم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ويجوز ان يكون نصبا على البدل من
الهاء والميم في تعلموهم فيكون التقدير لم تعلموا وطأهم وهو في الوجهين بدل الاشتمال ولم تعلموهم نعت
لرجال ونساء وجواب لولا محذوف والتقدير ولولا ان تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات
لم تعلموهم لاذن الله لكم في دخول مكة ولسلطكم عليهم ولكنا صنا من كان فيها يكتم ايمانه خوفا وقال
الضحاك لولا من في اصلاب الكفار وارحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ان تطؤوا اباءهم فيهلك ابناؤهم **الثانية** قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة العيب وهي
مفعلة من العر وهو الجرب اي يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم وقيل المعنى يصيبكم من قتلهم
ما يلزمكم من اجله كفارة قتل الخطا لان الله تعالى انما اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يكن
هاجر منها ولم يعلم بايمانه الكفارة دون الدية بقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة قاله الكلبي ومقاتل وغيرهما وقد مضى في النساء القول فيه وقال ابن زيد
معرة اثم وقاله الجوهري وابن اسحق غرم الدية قطرب شدة وقيل غم **الثالثة** قوله تعالى بغير علم تفضيل
للصحابة واخبار عن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والعصمة عن التعدي حتى انهم لو اصابوا
من ذلك احدا لكان من غير قصد وهذا كما وصفت النملة عن جند سليمان في قولها لا يحطمنكم

سليمان

سليمان وجنوده وهم لا يشعرون **قوله تعالى** ليدخل الله في رحمته من يشاء فيه اربع مسائل **الاولى**
ليدخل الله اللام في ليدخل متعلقة بمحذوف اي لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته ويجوز ان
تتعلق بالايمان ولا يحمل على مؤمنين دون مؤمنات ولا على مؤمنات دون مؤمنين لان الجميع
يدخلون في الرحمة وقيل المعنى لم ياذن الله لكم في قتال المشركين ليسلم بعد الصلح من قضى ان يسلم
من اهل مكة وكذلك كان اسلم الكثير منهم وحسن اسلامهم ودخلوا في رحمة الله اي جنته **الثانية**
قوله تعالى لو تزيلوا اي تميزوا قاله القتبي وقيل لو تفرقوا قاله الكلبي وقيل لو زال المؤمنون من بين
اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف قاله الضحاك ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وقال علي رضي الله عنه
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال هم المشركون من اجداد نبي
الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في اصلابهم قوم مؤمنون فلو تزيل المؤمنون عن اصلاب
الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما **الثالثة** هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في
حرمة المؤمن اذ لا يمكن اذاية الكافر الا باذاية المؤمن قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت لو ان
قوما من المشركين في حصن من حصونهم حصرهم اهل الاسلام وفيهم قوم من المسلمين اسارى
في ايديهم ايحرق هذا الحصن ام لا قال سمعت مالكا وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم ايرمى في
مراكبهم بالنار ومعهم الاسارى في مراكبهم قال فقال مالك لا ارى ذلك لقوله تعالى لاهل مكة لو
تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك
فاعل فاتلف احدا من المسلمين فعليه الدية والكفارة فان لم يعلموا فلا دية ولا كفارة وذلك انهم
اذا علموا فليس لهم ان يرموا فاذا فعلوا صاروا قتلة خطا والدية على عواقلهم فان لم يعلموا فلهم ان يرموا
واذا ابيح الفعل لم يجز ان تبقى عليهم فيها تباعة قال ابن العربي وقد قال جماعة ان معناه لو تزيلوا
عن بطون النساء واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب او في البطن لا يوطا ولا يصيب فيه
معرة وهو سبحانه قد صرح فقال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم
وذلك لا ينطلق على من في بطن المراة وصلب الرجل وانما ينطلق على مثل الوليد بن الوليد وسلمة
بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل وكذلك قال مالك وقد حاصرنا مدينة الروم
فحبس عنهم الماء فكانوا ينزلون الاسارى يستقون لهم الماء فلا يقدر احد على رميهم بالنبل فيحصل لهم الماء
بغير اختيار وقد جوز ابو حنيفة واصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين وان كان فيهم من
المسلمين واطفالهم ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب احد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة
وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي بقولنا وهذا ظاهر فان التوصل الى المباح بالمحظور
لا يجوز سيما بروح المسلم فلا قول الا ما قاله مالك والله اعلم **قلت** قد يجوز قتل الترس ولا يكون
فيه اختلاف ان شاء الله وذلك اذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية
انها لا يحصل الوصول الى الكفار الا بقتل الترس ومعنى انها كلية انها راجعة لكل الامة حتى يحصل
من قتل الترس مصلحة كل المسلمين وان لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الامة ومعنى
كونها قطعية ان تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعا قال علماؤنا وهذه المصلحة بهذه
القيود لا ينبغي ان يختلف في اعتبارها لان الفرض ان الترس مقتول قطعا فاما بايدي العدو
فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على المسلمين واما بايدي المسلمين فيهلك العدو
وينجو المسلمون اجمعون ولا يتاتى لعاقل ان يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه لانه يلزم
منه ذهاب الترس والاسلام والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة تقرب

منها نفس من لم يعين النظر فيها فان تلك المفسدة بالنسبة الى ما يحصل منها عدم او كالعدم **الرابعة**
قراءة العامة لو تزيلوا الا ابا حيوة فانه قرا تزايلوا وهو مثل تزيلوا في المعنى والتزايل التباين
وتزيلوا تفعلوا من زلت وقيل هي تفيعلوا لعذبنا الذين كفروا قيل اللام جواب لكلامين احدهما
لولا رجال والثاني لو تزيلوا وقيل جواب لولا محذوف وقد تقدم لو تزيلوا ابتداء كلام **قوله تعالى**
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية العامل في اذ قوله لعذبنا اي لعذبناهم اذ فعلوا هذا او فعل مضمر
تقديره واذكر الحمية فعيلة وهي الانفة يقال حميت عن كذا حمية بالتشديد ومحمية اذا انفت منه
وداخلك عار وانفة ان تفعله ومنه **قول المتلمس** الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما
اي يمنع قال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله
الرحمن الرحيم ومنعهم لها من دخول مكة وكان الذي امتنع من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول
الله سهيل بن عمرو على ما تقدم وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لالهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله
والانفة من ان يعبدوا غيرها وقيل حمية الجاهلية انهم قالوا قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا في منازلنا واللات والعزى لا يدخلها ابدا فانزل الله سكينته اي الطمانينة والوقار على
رسوله وعلى المؤمنين وقيل ثبتهم على الرضى والتسليم ولم يدخل قلوبهم ما دخل قلوب اولئك
من الحمية والزمهم كلمة التقوى قيل لا اله الا الله مرفوعا من حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو قول علي وابن عمر وابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة و
الضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد وقاله عطا
الخراساني وزاد محمد رسول الله وعن علي وابن عمر ايضا هي لا اله الا الله والله اكبر وقال عطا بن ابي رباح ومجاهد
ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال الزهري بسم الله الرحمن الرحيم
يعني ان المشركين لم تقر بهذه الكلمة فخص الله بها المؤمنين وكلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك
وعن مجاهد ايضا ان التقوى الاخلاص وكانوا احق بها واهلها اي احق بها من كفار مكة لان الله تعالى اختارهم
لدينه وصحبة نبيه وكان الله بكل شيء عليما **قوله تعالى** لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية قال
قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يدخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية
ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فانزل الله لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق فاعلمهم انهم سيدخلون في غير ذلك العام وان رؤياه صلى الله عليه وسلم حق وقيل ان ابا
بكر هو الذي قال ان المنام لم يكن موقتا بوقت وانه سيدخل وروي ان الرؤيا كانت بالحديبية ورؤيا
الانبياء حق والرؤيا احد وجوه الوحي الى الانبياء لتدخلن اي في العام القابل المسجد الحرام ان شاء الله قال
كيسان انه حكاية ما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في منامه خوطب في منامه بما جرت به العادة فا
خبر الله عن رسوله انه قال ذلك ولهذا استثنى تادب بادب الله حيث قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله وقيل خاطب الله العباد بما يحب ان يقولوه كما قال ولا تقولن لشيء اني فاعل غدا الا ان يشاء
الله وقيل استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل كان الله علم انه يميت بعض هؤلاء
الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسن بن الفضل وقيل الاستثناء من امنين
وذلك راجع لمخاطبة العباد على ما جرت به العادة وقيل معنى ان شاء الله ان امركم الله بالدخول وقيل
اي ان سهل الله وقيل ان شاء الله اي كما شاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ شاء الله كقوله اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وفيه بعد لان اذ في الماضي من الفعل واذا في
المستقبل وهذا الدخول في المستقبل فوعدهم دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط المشية وذلك

عام الحديبية فاخبر اصحابه بذلك فاستبشروا ثم تاخر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه فساءهم ذلك
واشتد عليهم وصالحهم ورجع ثم اذن الله في العام المقبل فانزل الله لقد صدق الله الاية وانما قيل له
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله فحكى في التنزيل ما قيل له في المنام فليس هنا شك كما زعم بعضهم
ان الاستثناء يدل على الشك والله تعالى لا يشك ولتدخلن تحقيق فكيف يكون شك فان بمعنى
اذ امنين اي من العدو محلقين رؤسكم ومقصرين والتحليق والتقصير للرجال ولذلك غلب المذكر
على المؤنث والحلق افضل وليس للنساء الا التقصير وقد مضى القول في هذا في البقرة وفي الصحيح
ان معوية اخذ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم على المروة بمشقص وهذا كان في العمرة لا في الحج لان النبي
صلى الله عليه وسلم حلق في حجته لا تخافون حال من المحلقين والمقصرين والتقدير غير خائفين فعلم
ما لم تعلموا اي في تاخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وذلك انه عليه الصلاة والسلام
لما رجع مضى منها الى خيبر فافتتحها ورجع باموال خيبر واخذ من العدة والقوة اضعاف ما كانوا فيه
في ذلك العام واقبل الى مكة على اهبة وقوة وعدة باضعاف ذلك وقال الكلبي اي علم ان دخولها الى
سنة ولم تعلموه انتم وقيل علم ان بمكة رجالا من المؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا اي من دون رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر قاله ابن زيد والضحاك وقيل فتح
مكة وقال مجاهد هو صلح الحديبية وقاله اكثر المفسرين قال الزهري ما فتح في الاسلام كان اعظم
من صلح الحديبية لانه انما كان يلتقي الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب اوزارها وامن الناس
بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم احد بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه
فلقد دخل في تلك السنتين في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر يدلك على ذلك انهم
كانوا سنة ست يوم الحديبية الفا واربعمائة وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة الاف
قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
اي يعليه على كل الاديان فالدين اسم بمعنى المصدر ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه وقيل اي ليظهر
رسوله على الدين كله اي على الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد ثم بالسيف ونسخ ما عداه وكفى
بالله شهيدا نصب على التفسير والباء زائدة اي كفى بالله شهيدا لنبيه صلى الله عليه وسلم
وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات وقيل شهيدا على ما ارسل به لان الكفار ابوا ان يكتبوا
هذا ما صالح عليه محمد رسول الله **قوله تعالى** محمد رسول الله الى اخر السورة فيه خمس مسائل
الاولى قوله محمد مبتدا ورسول خبره وقيل محمد ابتداء ورسول الله نعته والذين معه عطف على
المبتدا والخبر فيما بعده فلا يوقف على هذا التقدير على رسول الله وعلى الاول يوقف على رسول الله لان
صفاته عليه الصلاة والسلام تزيد على ما وصف به اصحابه فيكون محمد ابتداء ورسول الله الخبر والذين
معه ابتداء ثان واشداء خبره ورحماء خبر ثان وكون الصفات في جملة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
هو الاشبه قال ابن عباس اهل الحديبية اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد على فريسته وقيل
المراد بالذين معه جميع المؤمنين رحماء بينهم اي يرحم بعضهم بعضا وقيل متعاطفون متوادون
وقرا الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب على الحال كانه قال والذين معه في حال شدتهم
على الكفار وتراحمهم بينهم تراهم ركعا سجدا اخبار عن كثرة صلاتهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا اي يطلبون الجنة ورضا الله تعالى **الثانية** قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود
والسيما العلامة وفيها لغتان المد والقصر اي لاحت علامة التهجد بالليل وامارات السهر وفي
سنن ابن ماجه قال حدثنا اسمعيل بن محمد الطلحي قال ثابت بن موسى ابو يزيد عن شريك عن الاعمش

عن ابي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار
وقال ابن العربي ودسه قوم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الغلط وليس عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيه ذكر بحرف وقد روى وهب عن مالك سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مما
يتعلق بجباههم من الارض عند السجود وبه قال سعيد بن جبير وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم صلى صبيحة احدى وعشرين من رمضان وقد وكف المسجد وكان على عريش فانصرف النبي صلى
الله عليه وسلم من صلاته وعلى جبهته وارنبته اثر الماء والطين قال الحسن هو بياض يكون في الوجه
يوم القيمة وقاله سعيد بن جبير ايضا ورواه العوفي عن ابن عباس وقاله الزهري وفي الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة وفيه حتى اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد ان
يخرج برحمته من اراد من اهل النار امر الملائكة ان يخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئا ممن اراد الله
ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار باثر السجود حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود
وقال شهر بن حوشب يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال ابن عباس ومجاهد
السيما في الدنيا هو السمت الحسن وعن مجاهد ايضا هو الخشوع والتواضع قال منصور سالت مجاهدا
عن قوله تعالى سيماهم في وجوههم هو اثر يكون بين عيني الرجل فقال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة
العنز وهو اقسى قلبا من الحجارة ولكنه نور في وجوههم من الخشوع وقال ابن جريج هو الوقار والبهاء
وقال شمر بن عطية هو صفرة الوجه من قيام الليل قال الحسن اذا رايتهم مرضى وما هم بمرضى وقال الضحاك
اما انه ليس بالندب في وجوههم ولكنه الصفرة وقال سفيان الثوري يصلون بالليل فاذا اصبحوا رئي
ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد
مضى القول فيه ثناوة لعطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على الخمس صلوات **الثالثة** قوله
تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل قال الفرا فيه وجهان ان شئت قلت المعنى ذلك
مثلهم في التورية وفي الانجيل ايضا كمثلهم في القران فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت تمام
الكلام ذلك مثلهم في التورية ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل وكذا قال ابن عباس وغيره هما
مثلان احدهما في التورية والاخر في الانجيل فيوقف على هذا على التورية ويوقف على الانجيل وتبتدي
كزرع اخرج شطأه على معنى وهم كزرع وشطاه يعني فراخه واولاده قاله ابن زيد وغيره وقال مقاتل
هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فقد شطاه قال الجوهري شطا الزرع والنبات والجمع شطاء
وقد اشطا الزرع خرج شطاه قال الاخفش في قوله اخرج شطاه اي طرفه وحكاه الثعلبي عن
الكسائي وقال الفرا اشطا الزرع فهو مشطي اذا خرج **قال الشاعر** اخرج الشطا على وجه الثرى *
ومن الاشجار افنان الثمر * الزجاج اخرج شطاه اي نباته وقيل ان الشطا شوك السنبل والعرب
ايضا تسميه السفا والبهم قاله قطرب وقيل انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان
قاله الفرا حكاه الماوردي وقرا ابن ذكوان وابن كثير شطاه بفتح الطاء واسكن الباقون وقرا انس ونصر
ابن عاصم وابن وثاب شطاه مثل عصاه وقرا الجحدري وابن ابي اسحق شطه بغير همز وكلها لغات
فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اي انهم يكونون قليلا ثم يزدادون
ويكثرون فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا بالدعاء الى دينه ضعيفا فاجابه الواحد بعد الواحد
حتى قوي امره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وافراخه فكان
هذا من اصح مثل واوضح بيان وقال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه
سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فآزره اي قواه

واعانه

واعانه وشده اي قوى الشطا الزرع وقيل بالعكس اي قوى الزرع الشطا وقرا العامة فآزره بالمد
وقرا ابن ذكوان وابو حيوة وحميد بن قيس فازره مقصورا مثل فعله والمعروف المد **قال امرؤ القيس**
بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب * فاستوى على سوقه اي على عوده الذي يقوم
عليه فيكون ساقا له والسوق جمع الساق يعجب الزراع اي يعجب هذا الزرع زراعه وهو مثل كما
بينا فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه كانوا قليلا فكثروا وضعفا فقووا قاله
الضحاك وغيره ليغيظ بهم الكفار اللام متعلقة بمحذوف اي فعل الله هذا لمحمد عليه الصلاة والسلام
واصحابه ليغيظ بهم الكفار **الرابعة** قوله وعد الله الذين امنوا اي وعد الله هولاء الذين مع محمد صلى الله
عليه وسلم وهم المومنون الذين اعمالهم صالحة مغفرة واجرا عظيما اي ثوابا لا ينقطع وهو الجنة
وليست من في قوله منهم مبعضة لقوم من الصحابة دون قوم ولكنها عامة مجنسة مثل قوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا يقصد التبعيض لكنه يذهب الى الجنس اي فاجتنبوا الرجس من الاوثان
اذ كان الرجس يقع من اجناس شتى منها الزنا والربوا وشرب الخمر والكذب فادخل من يفيد بها
الجنس فكذا منهم اي من هذا الجنس يعني جنس الصحابة ويقال انفق نفقتك من الدراهم اي اجعل نفقتك
هذا الجنس وقد يخصص اصحاب محمد بوعد المغفرة تفضيلا لهم وان وعد جميع المومنين المغفرة
وفي الاية جواب اخر وهو ان من موكدة للكلام والمعنى وعدهم الله كلهم مغفرة واجرا عظيما فجرى مجرى
قول العرب قطعت من الثوب قميصا يريد قطعت الثوب كله قميصا ومن لم تبعض شيئا وشاهد هذا
من القران ما هو شفاء ورحمة معناه ننزل القران شفاء لان كل حرف يشفي وليس الشفا مختصا به بعضه
دون بعض على ان من اللغويين من يقول من مجنسة تقديرها ننزل الشفا من جنس القران ومن جهة القران
ومن ناحية القران **قال زهير** امن ام اوفى دمنة لم تكلم * اراد من ناحية ام اوفى **ومنه** اومن منان لها دمنة **وقال
الاخر** اخو رغايب يعطيها ويسالها * ياب الظلامة منه النوفل الزفر * فمن لم تبعض شيئا اذ كان القصد يابي
الظلامة لانه نوفل زفر والنوفل كثير العطايا والزفر حامل الاثقال والمون عن الناس **الخامسة** روى
ابو عروة الزبيري من ولد الزبير كنا عند مالك بن انس فذكروا رجلا ينتقص اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرا مالك هذه الاية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار فقال مالك من اصبح من الناس في قلبه غيظ على احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد اصابته هذه الاية ذكره الخطيب ابو بكر **قلت** لقد احسن مالك في مقالته واصاب في تاويله
فمن نقص واحدا منهم او طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وابطل شرايع المسلمين
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه الاية وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
الى غير ذلك من الاي التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم الى قوله اولئك هم الصادقون
ثم قال عز من قائل والذين تبوءوا الدار والايمان الى قوله اولئك هم المفلحون وهذا كله مع علمه
تبارك وتعالى بحالهم وما لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه خرجهما
البخاري وفي خبر اخر فلو ان احدكم انفق ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيدة
معناه لم يدرك مد احدهم اذا تصدق به ولا نصف المد فالنصيف هو النصف هنا وكذلك
يقال للعشر عشير وللخمس خميس وللتسع تسيع وللثمن ثمين وللسبع سبيع وللسدس سديس وللربع
ربيع ولم يقل العرب للثلث ثليث وفي البزار عن جابر مرفوعا صحيحا ان الله اختار اصحابي على العالمين

ثم النبيين والمرسلين وقد اختار لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وقال
اصحابي كلهم خير وروى عويم بن ساعدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختارني
واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزراء واختانا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا والاحاديث بهذا المعنى كثيرة فالحذر الحذر من الوقوع في احد
منهم كما فعل من طعن في الدين فقال ان المعوذتين ليستا من القران وما صح حديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في تثبيتهما ودخولهما في جملة التنزيل الا عن عقبة بن عامر وعقبة بن عامر ضعيف
لم يوافقه غيره عليها فروايته مطرحة وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب والسنة وابطال لما نقلته لنا
الصحابة من الملة فان عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ممن روى لنا الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم
وغيرهما فهو ممن مدحهم الله ووصفهم واثنى عليهم ووعدهم مغفرة واجرا عظيما فمن نسبهم او واحدا
من الصحابة الى الكذب فهو خارج عن الشريعة مبطل للقران طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى الحق
واحدا منهم تكذيبا فقد سب فانه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله اعظم من الكذب وقد لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابه فالمكذب لاصغرهم ولا صغير فيهم داخل في لعنة الله التي شهد
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والزمها كل من سب واحدا من اصحابه او طعن عليه وعن عمر بن
حبيب قال حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسئلة تنازعها الحضور وعلت اصواتهم فاحتج بعضهم بحديث
يرويه ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى
قال قائلون منهم لا نقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة متهم فيما يرويه
وصرحوا بتكذيبه ورايت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وغيره
فنظر الي الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى قيل صاحب البريد بالباب
فدخل فقال لي اجب امير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن
صاحب نبيك واجللت نبيك ان يطعن على اصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على
كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما ابصرني قال لي يا عمر بن حبيب ما تلقاني
من الرد والدفع بما تلقيتني به فقلت يا امير المؤمنين ان الذي قلته وجادلت عنه فيه ازراء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان اصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والاحكام في الصيام
والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع الى نفسه وقال احييتني يا عمر بن حبيب
احياك الله وامر لي بعشرة الاف درهم قلت فالصحابة كلهم عدول اولياء الله تعالى واصفياؤه وخيرته
من خلقه بعد انبيائه ورسله هذا مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة من ائمة هذه الامة وقد ذهبت
شرذمة لا مبالاة بهم الى ان حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين
حالهم في بداءة الامر فقال انهم كانوا على العدالة اذ ذاك ثم تغيرت بهم الاحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك
الدماء فلا بد من البحث وهذا مردود فان خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي
الله عنهم ممن اثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وارضاهم ووعدهم الجنة بقوله واجرا عظيما وخاصة
العشرة المقطوع لهم بالجنة باخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والامور الجارية عليهم
بعد نبيهم باخباره لهم وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور مبنية على الاجتهاد
وكل مجتهد مصيب وسياق الكلام في تلك الامور في سورة الحجرات سورة الحجرات مدنية باجماع تفسير سورة الحجرات وهي مدنية
وهي ثماني عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله

ان الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا
ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين
قوله يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فيه ثلاث مسائل الاولى قوله يا ايها الذين
امنوا الى رسوله قال العلماء كان في العرب جفاء وسوء ادب في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلقيب
الناس فالسورة في الامر بمكارم الاخلاق ورعاية الاداب وقرا الضحاك ويعقوب الحضرمي لا تقدموا
بفتح التاء والدال من التقدم الباقون تقدموا بضم التاء وكسر الدال من التقديم ومعناهما ظاهر
اي لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله فيما سبيله ان تقدموا عنه من امر الدين والدنيا
ومن قدم قوله او فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدمه على الله تعالى لان الرسول
صلى الله عليه وسلم انما يامر عن الله عز وجل الثانية واختلف في سبب نزولها على اقوال ستة
الاول ما ذكره الواحدي من حديث ابن جريج قال حدثني ابن ابي مليكة ان عبد الله بن الزبير اخبره انه
قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر
الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما
فنزلت في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا الى قوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم رواه البخاري عن
الحسن بن محمد بن الصباح ذكره المهدوي ايضا الثاني ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستخلف
على المدينة رجلا اذا مضى الى خيبر فاشار عليه عمر برجل اخر فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
الله الاية ذكره المهدوي الثالث ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم انفذ اربعة وعشرين رجلا من اصحابه الى بني عامر فقتلوهم الا ثلاثة تاخروا عنهم فسلموا
وانكفئوا الى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسالوهما عن نسبهما فقالا من بني عامر لانهم اعز
من بني سليم فقتلوهما فجاء نفر من بني سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان بيننا
وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما النبي صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ونزلت عليه
هذه الاية في قتلهم الرجلين وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في هذا لو انزل في كذا
فنزلت هذه الاية ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يديه كلامه مجاهد لا تفتاتوا على الله ورسوله
حتى يقضي الله على لسان رسوله ذكره البخاري ايضا الحسن نزلت في قوم ذبحوا قبل ان يصلي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح ابن جريج لا تقدموا اعمال الطاعات قبل وقتها
الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم قلت هذه الاقوال الخمسة المتاخرة ذكرها
القاضي ابو بكر بن العربي وسردها قبله الماوردي قال القاضي وكلها صحيحة تدخل تحت العموم
فالله اعلم ما كان السبب المثير للاية منها ولعلها نزلت دون سبب والله اعلم قال القاضي اذا
قلنا انها نزلت في تقديم الطاعات على اوقاتها فهو صحيح لان كل عبادة موقتة بميقات لا يجوز

تقديمها عليه كالصلاة والصوم والحج وذلك ان العلما اختلفوا في الزكاة لما كانت عبادة مالية وكانت
مطلوبة بمعنى مفهوم وهو سد خلة الفقير ولان النبي صلى الله عليه وسلم استعجل من العباس صدقة
عامين ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى يعطى لمستحقها يوم الوجوب وهو يوم
الفطر فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها العام والعامين فان جاء راس العام والنصاب بحاله وقعت
موقعها وان جاء راس العام وقد تغير النصاب تبين انها صدقة تطوع وقال اشهب لا يجوز تقديمها
عن الحول لحظة كالصلاة وكانه طرد الاصل في العبادات فراعا انها احدى دعايم الاسلام فوفاها
حقها في النظام وحسن الترتيب وراى ساير علمائنا ان التقديم اليسير فيها جايز لانه معفو عنه
في الشرع بخلاف الكثير وما قاله اشهب اصح فان مفارقة اليسير الكثير في اصول الشريعة صحيح
ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير فاما في مسئلتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة
فاما تقديم كلي كما قال ابو حنيفة والشافعي واما حفظ العبادة على ميقاتها كما قال اشهب **الثالثة**
قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله اصل في ترك التعرض لاقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايجاب اتباعه والاقتداء به ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت عايشة لحفصة رضي الله عنهما قولي له ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقوم مقامك
لا يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس فمعنى قوله صواحب يوسف الفتنة بالرد عن الجايز الى غير الجايز وربما
احتج نفاة القياس بهذه الاية وهو باطل منهم فان ما قامت دلالته فليس في فعله تقديم بين
يديه وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع فليس اذا تقديم
بين يديه واتقوا الله يعني في التقديم المنهي عنه ان الله سميع لاقوالكم عليم بفعلكم **قوله**
تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا الاية لصوت النبي روى البخاري والترمذي عن ابن ابي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير ان الاقرع ابن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر استعمله
على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت
اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك قال فنزلت هذه الاية
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله
عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه قال وما ذكر ابن الزبير جده يعني ابا بكر قال هذا حديث
غريب حسن وقد رواه بعضهم عن ابن مليكة مرسلا لم يذكر فيه عن عبد الله بن الزبير **قلت**
هو البخاري قال عن ابن ابي مليكة كان الخيران يهلكان ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند النبي صلى الله عليه
وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فاشار احدهما بالاقرع بن حابس اخي بني مجاشع واشار الاخر
برجل اخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي قال ما اردت خلافك فارتفعت
اصواتهما في ذلك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فقال ابن
الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر
الصديق وذكر المهدوي عن علي رضي الله عنه نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم الاية فينا لما ارتفعت
اصواتنا انا وجعفر وزيد بن حارثة نتنازع ابنة حمزة لما جاء بها زيد من مكة فقضى بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده وقد تقدم هذا الحديث في ال عمران وفي الصحيحين عن انس
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله انا اعلم لك علمه

فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا راسه فقال له ما شانك قال شر كان يرفع صوته فوق النبي صلى الله
عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل النار فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه
قال كذا وكذا فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار ولكنك من اهل الجنة لفظ البخاري
ولفظ مسلم فقال موسى فرجع اليه المرة الاخيرة ببشارة عظيمة وثابت هذا هو ثابت بن قيس بن شماس
الخزرجي يكنى ابا محمد بابنه محمد وقيل ابا عبد الرحمن قتل له يوم الحرة ثلاثة من الولد محمد ويحيى وعبد
الله وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك كان يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما يقال لحسان شاعر رسول الله ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبهم
فافتخر ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم وقام شاعرهم وهو الاقرع بن حابس
فانشد اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم • وانا رؤس الناس من كل معشر •
وان ليس في ارض الحجاز كدارم • وانا لنا المرباع في كل غارة • تكون بنجد او بارض التهايم **فقام حسان**
فقال بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم • هبلتم علينا تفخرون وانتم •
لنا خول من بين ظير وخادم • في ابيات لهما فقالوا خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم اشعر
من شاعرنا فارتفعت اصواتهم فانزل الله لا ترفعوا اصواتكم الاية وقال عطا الخراساني حدثتني
ابنة ثابت بن قيس قالت لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الاية دخل ابوها بيته واغلق
عليه بابه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يساله ما خبره فقال انا رجل شديد الصوت
اخاف ان يكون حبط عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست منهم تعيش بخير وتموت بخير
قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم
فارسل اليه ما خبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي فقال لست منهم بل
تعيش حميدا وتموت شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى
مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ
درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل نايم اتاه ثابت في منامه فقال له
اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين
فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفا على الدرع برمة وفوق
البرمة رحل فات خالدا فمره ان يبعث الى درعي فياخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني ابا بكر فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق
وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتي بها وحدث ابا بكر برؤياه فاجاز وصيته
قال ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رحمه الله ذكره ابو عمر في الاستيعاب
الثانية قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول اي لا تخاطبوه يا محمد يا احمد ولكن يا نبي الله ويا رسول
الله توقيرا له وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم ليقتدي
بهم ضعفة المسلمين فنهي المسلمون عن ذلك وقيل لا تجهروا له يعني لا تجهروا عليه كما يقال سقط
لفيه اي على فيه كجهر بعضكم لبعض الكاف كاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل
جهر بعضكم لبعض وفي هذا دليل انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا انهم يكلموه بالهمس
والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما
بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط ساير الرتب وان جلت عن رتبتها

ان تحبط اعمالكم اي مخافة ان تحبط اي تبطل هذا قول البصريين وقال الكوفيون اي لئلا تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون الثالثة معنى الاية الامر بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته اي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم وقد كره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم اذ هم ورثة الانبياء الرابعة قال ابن العربي حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقران الا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه الخامسة وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ يا لناس وكان العباس اجهر الصوت يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بن جعدة زجر ابي عروة السباع اذا ما اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه السادسة قال الزجاج ان تحبط اعمالكم التقدير لان تحبط اعمالكم اي فتحبط اعمالكم فاللام المقدرة لام الصيرورة وليس قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون لموجب ان يكفر الانسان وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث لا يعلم قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفضون اصواتهم عنده اذا تكلموا اجلالا له او كلموا غيره بين يديه اجلالا له قال ابو هريرة لما نزلت لا ترفعوا قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا ارفع صوتي الا كاخي السرار وذكر سنيد قال حدثنا عباد بن العوام عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة قال لما نزلت لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال ابو بكر والذي بعثك بالحق لا اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار وقال عبد الله بن الزبير لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم ما حدث عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض فنزلت ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم قال الفراء اي اخلصها للتقوى وقال الاخفش اي اختصها للتقوى وقال ابن عباس امتحن الله قلوبهم طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى وقال عمر اذهب عن قلوبهم الشهوات والامتحان افتعال من محنت الاديم محنا حتى اوسعته فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى وعلى الاقوال المتقدمة امتحن قلوبهم فاخلصها كقوله امتحنت الفضة اي اختبرتها حتى خلصت ففي الكلام حذف يدل عليه الكلام وهو الاخلاص وقال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت

واضطربت

واضطربت ظلالها لهم مغفرة واجر عظيم قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون قال مجاهد وغيره نزلت في اعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات ان اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا فقدموا الفداء ذراريهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نام للقايلة وروي ان الذي نادى الاقرع بن حابس وانه القايل ان مدحي زين وذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله ذكره الترمذي عن البراء بن عازب ايضا وروى زيد بن ارقم فقال اتى اناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس باتباعه وان يكن ملكا نعش في جناحه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى هذه الاية قيل انهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة نفر قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر والاقرع ابن حابس وسويد بن هاشم وخالد بن مالك وعطارد بن حاجب والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن حصن وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة قناة اي تتبعه وكان اسمه حذيفة فسمي عيينة لشتر كان في عينيه ذكر عبد الرزاق في عيينة هذا انه الذي نزلت فيه ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقد مضى في اخر الاعراف من قوله لعمر رضي الله عنه ما فيه جفا ذكره البخاري وروي انهم وفدوا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ وخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل الحجرات جمع الحجر والحجر جمع حجرة فهو جمع الجمع وفيه لغتان ضم الجيم وفتحها قال ولما راونا باديا ركباتنا على موطن لا نخلط الجد بالهزل والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحايط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة وقرا ابو جعفر بن القعقاع الحجرات بفتح الجيم استثقالا للضمتين وقرئ الحجرات بسكون الجيم تخفيفا واصل الكلمة المنع وكل ما منعت ان يوصل اليه فقد حجرت عليه ثم يحتمل ان يكون المنادي بعضا من الجملة فلهذا قال اكثرهم لا يعقلون اي ان الذين ينادونك من جملة قوم الغالب عليهم الجهل قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي لو انتظروا خروجك لكان اصلح لهم في دينهم ودنياهم وكان عليه الصلاة والسلام لا يحتجب عن الناس الا في اوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان ازعاجه في تلك الحالة من سوء الادب وقيل كانوا جاءوا شفعاء في اسارى بني عنبر فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى على النصف ولو صبروا لاعتقهم جميعهم بغير فداء والله غفور رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الاية فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا الاية قيل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة ابن معيط وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق فلما ابصروه اقبلوا نحوه فهابهم في رواية لاحنة كانت بينه وبينهم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وامره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق خالد حتى اتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا اخبروا خالدا انهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما اصبحوا اتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه فعاد الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية فكان يقول نبي الله التأني من الله والعجلة من الشيطان وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى

بني المصطلق بعد اسلامهم فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم فبينما هم كذلك اذ قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا وبلغنا انه يزعم لرسول الله انا خرجنا لنقاتله والله ما خرجنا لذلك فانزل الله هذه الاية سمي الوليد فاسقا اي كاذبا قال ابن زيد ومقاتل وسهل بن عبد الله الفاسق الكذاب وقال ابو الحسين الوراق هو المعلن بالذنب وقال ابن طاهر الذي لا يستحي من الله وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت الباقون فتبينوا من التبيين ان تصيبوا اي لئلا تصيبوا فان في محل نصب باسقاط الخافض قوما بجهالة اي خطا فتصبحوا على ما فعلتم نادمين على العجلة وترك التأني الثانية في هذه الاية دليل على قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه انما امر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ومن ثبت فسقه بطل قوله في الاخبار اجماعا لان الخبر امانة والفسق قرينة يبطلها وقد استثنى الاجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود واثبات حق مقصود على الغير مثل ان يقول هذا عبدي فانه يقبل واذا قال قد انفذ فلان هذا لك هدية فانه يقبل ذلك وكذلك يقبل في مثله خبر الكافر وكذلك اذا اقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل اجماعا واما في الانشاء على غيره فقال الشافعي وغيره لا يكون وليا في النكاح وقال ابو حنيفة ومالك يكون وليا لانه يلي مالها فيلي بضعها كالعدل وهو وان كان فاسقا في دينه الا ان غيرته موفرة وبها يحمي الحريم وقد يبذل المال ويصون الحرمة واذا ولي المال فالنكاح اولى الثالثة قال ابن العربي ان يجوز الشافعي ونظراؤه امامة الفاسق ومن لا يؤتمن على حبة مال يصح ان يؤتمن على قنطار دين وهذا انما كان اصله ان الولاة كانوا يصلون بالناس لما فسدت اديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم ولا استطيعت ازالتهم صلي معهم ووراءهم قال عثمان الصلاة احسن ما يفعل الناس فاذا احسنوا فاحسن وان اساؤا فاجتنب اساءتهم ثم كان من الناس من اذا صلى معهم تقية اعاد الصلاة لله ومنهم من كان يجعلها صلاته وبوجوب الاعادة اقول فلا ينبغي لاحد ان يترك الصلاة مع من لا يرضى من الائمة ولكن يعيد سرا في نفسه ولا يؤثر ذلك عند غيره الرابعة واما احكامه ان كان واليا فينفذ منها ما وافق الحق ويرد ما خالفه ولا ينقض حكمه الذي امضاه بحال فلا يلتفتوا الى غير هذا القول من رواية او قول يحكى فان الكلام كثير والحق ظاهر الخامسة لا خلاف في انه يصح ان يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه او شيء يوصله او اذن يعلمه اذا لم يخرج عن حق المرسل والمبلغ فان تعلق به حق لغيرهما لم يقبل قوله وهذا جايز للضرورة الداعية اليه فانه لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني الا العدول لم يحصل منها شيء لعدمهم في ذلك السادسة وفي الاية دليل على فساد قول من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لان الله امر بالتثبت قبل القبول ولا معنى للتثبت بعد انفاذ الحكم فان حكم قبل التثبت فقد اصاب المحكوم عليه بجهالة والله اعلم السابعة فان قضى بما يغلب على الظن لم يكن ذلك عملا بجهالة كالقضاء بالشاهدين العدلين وقبول قول العالم المجتهد وانما العمل بالجهالة قبول قول من لا يحصل غلبة الظن بقوله ذكر هذه المسئلة القشيري والتي قبلها المهدوي قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يعلمه انباكم فتفتضحوا لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو تسارع الى ما اردتم قبل وضوح الامر لنالكم مشقة واثم فانه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة اليه لكان خطا ولعنت من اراد ايقاع الهلاك باولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم ومعنى طاعة الرسول لهم الائتمار بما يامرونه فيما يبلغونه عن

الناس

الناس والسماع منهم والعنت الاثم يقال عنت الرجل والعنت ايضا الفجور والزنا كما في سورة النساء والعنت ايضا الوقوع في امر شاق وقد مضى في اخر براءة القول في عنتم باكثر من هذا ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بالباطل اي جعل الايمان احب الاديان اليكم وزينه بتوفيقه في قلوبكم اي حسنه اليكم حتى اخترتموه وفي هذا رد على القدرية والامامية وغيرهم حسبما تقدم في غير موضع فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق افعالهم وصفاتهم واختلاف السنتهم والوانهم لا شريك له وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن عباس يريد به الكذب خاصة وقاله ابن زيد وقيل كل ما خرج عن الطاعة مشتقة من فسقت الرطبة خرجت من قشرها والفارة من جحرها وقد مضى في البقرة القول فيه مستوفى والعصيان جميع المعاصي ثم انتقل من الخطاب الى الخبر فقال اولئك يعني الذين وفقهم الله فحبب اليهم وكره اليهم الكفر اي قبحه عندهم هم الراشدون كقوله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون قال النابغة: يا دارمية بالعلياء فالسند * اقوت وطال عليها سالف الامد * والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وكل مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد * فضلا من الله ونعمة اي فعل الله ذلك بكم فضلا اي لاجل الفضل والنعمة فهو مفعول له والله عليم حكيم عليم بما يصلحكم حكيم في تدبيركم قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فيه عشر مسائل الاولى قوله وان طائفتان روى المعتمر بن سليمان عن انس بن مالك قال قلت يا نبي الله لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما حرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه انزل فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقال مجاهد نزلت في الاوس والخزرج قال مجاهد تقاتل حيان من الانصار بالعصا والنعال فنزلت الاية ومثله عن سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال بالسيف والنعال ونحوه فانزل الله تعالى هذه الاية فيهم وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر الى ان يحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تواقعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال والسيوف فنزلت هذه الاية وقال الكلبي نزلت في حرب سمير وحاطب وكان سمير قتل حاطبا فاقتتل الاوس والخزرج حتى اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يصلحوا بينهما وقال السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل من غير الانصار فتخاصمت مع زوجها ارادت ان تزور قومها فحبسها زوجها وجعلها في علية لا يدخل عليها احد من اهلها وان المراة بعثت الى اهلها فجاء قومها فانزلوها لينطلقوا بها فخرج الرجل فاستغاث اهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين المراة واهلها فتدافعوا واقتتلوا بالنعال فنزلت الاية والطائفة تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهما بالقسط وقرا ابن ابي عبلة اقتتلا على لفظ الطائفتين وقد مضى في اخر براءة القول

فيه وقال ابن عباس في قوله عز وجل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الواحد فما فوقه والطائفة
من الشيء قطعة منه فاصلحوا بينهما بالدعاء الى كتاب الله لهما او عليهما فان بغت احديهما على الاخرى
تعدت ولم تجب الى حكم الله وكتابه والبغي التطاول والفساد فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله اي
كتابه فان فاءت رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل اي احملوهما على الانصاف واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقيل لا تقتلوا
وقيل اقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين المحقين **الثانية** لا تخلو الفئتان من
المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا او لا فان كان الاول فالواجب ان يمشى
بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافات والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا على البغي
صير الى مقاتلتهما واما ان كان الثاني وهو ان يكون احديهما باغية على الاخرى فالواجب ان يقاتل
فيه البغي الى ان يكف ويتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل فان التحم القتال
بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين
القاطعة على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع
الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين والله اعلم **الثالثة** في هذه الاية دليل على قتال
الفئة الباغية المعلوم بغيها على الامام او على احد من المسلمين وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين
واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم قتال المؤمن كفر ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله قد
امر بالكفر تعالى الله عن ذلك وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة
وامر ان لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولم يحل اموالهم بخلاف الواجب في الكفار وقال الطبري لو كان الواجب
في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حد ولا ابطل باطل ولوجد اهل النفاق
والفجور سببا الى استحلال كل ما حرم الله عليهم من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم
بان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام خذوا على
ايدي سفهائكم **الرابعة** قال ابن العربي هذه الاية اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتاولين وعليها
عول الصحابة واليها لجا الاعيان من اهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمار
الفئة الباغية وقوله عليه الصلاة والسلام في شان الخوارج يخرجون على حين فرقة او على خير فرقة
والرواية الاولى اصح لقوله عليه الصلاة والسلام تقتلهم اولى الطائفتين الى الحق وكان الذي قتلهم علي
ابن ابي طالب ومن كان معه فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين ان عليا رضي الله عنه كان
اماما وان كل من خرج عليه باغ قتاله حتى يفيء الى الحق وينقاد الى الصلح لان عثمان رضي الله عنه قتل
والصحابة براء من دمه لانه منع من قتال من ثار عليه وقال لا اكون اول من خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امته بالقتل فصبر على البلاء واستسلم للمحنة وفدى بنفسه الامة ثم لم يكن ترك
الناس سدى فعرضت على باقي الصحابة الذين ذكرهم في الشورى وتدافعوها وكان علي رضي الله عنه
احق بها واهلها فقبلها حوطة على الامة ان يسفك دماؤها بالتهارج والباطل ويتخرق امرها
الى ما يتخرق ربما يتغير الدين وينقض عمود الاسلام فلما بويع له طلب اهل الشام في شرط البيعة التمكن
من قتلة عثمان واخذ القود منهم فقال لهم علي رضي الله عنه ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا
اليه فقالوا لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومساء فكان علي في ذلك اشد رايا
واصوب قيلا لان عليا لو تعاطى القود منهم لتعصبت لهم قبائل وصارت حربا ثالثا فانتظر بهم
ان يستوسق الامر وينعقد البيعة ويقع الطلب من الاولياء في مجلس الحكم فيجري القضاء بالحق ولا خلاف
بين الامة انه يجوز للامام تاخير القصاص اذا ادى ذلك الى اثارة الفتنة او تشتت الكلمة وكذلك

جرى لطلحة والزبير فانهما ما خلعا عليا من ولاية ولا اعترضا عليه في ديانة وانما راوا ان البداية
بقتل اصحاب عثمان اولى **قلت** فهذا قول في سبب الحرب الواقع بينهم وقال جلة من اهل العلم ان
الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجاة وعلى سبيل دفع كل واحد من
الفريقين عن انفسهم لظنه ان الفريق الاخر قد غدر به لان الامر قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق
على الرضا فخاف قتلة عثمان رضي الله عنه من التمكين منهم والاحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا
واختلفوا ثم اتفقت اراؤهم على ان يفترقوا فريقين ويبدؤا بالحرب سحرة في العسكرين وتختلف
السهام بينهم ويصيح الفريق الذي في عسكر علي غدر طلحة والزبير والفريق الذي في عسكر طلحة
والزبير غدر علي فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب وكان كل فريق دافعا لمكرته عند نفسه
ومانعا من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة من الله تعالى اذ وقع القتال
والامتناع منهما على هذه السبيل هذا هو الصحيح المشهور والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله امر بالقتال وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن
الباقين ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذه المقامات كسعيد بن ابي وقاص
وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم وصوب ذلك علي بن ابي طالب لهم واعتذر اليه كل واحد
منهم بعذر قبله منهم ويروى ان معاوية رضي الله عنه لما افضى اليه الامر عاتب سعدا على ما فعل
وقال له لم تكن ممن اصلح بين الفئتين حين اقتتلا ولا ممن قاتل الفئة الباغية فقال له سعد ندمت
على تركي قتال الفئة الباغية فتبين انه ليس على الكل درك فيما فعل وانما كان تصرفا بحكم الاجتهاد
واعمالا بمقتضى الشرع **السادسة** قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ومن العدل في صلحهم
ان لا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال فانه تلف على تاويل وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشراء
في البغي وهذا اصل في المصلحة واصلح في الجملة وقد قال لسان الامة ان حكمة الله تعالى في حرب الاحبة
التعريف منهم لاحكام قتال اهل التاويل اذ كانت احكام قتال اهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم وفعله انتهى **السابعة** اذا خرجت على الامام العدل خارجة باغية ولا حجة لها قاتلها
الامام بالمسلمين كافة او بمن فيه كفاية ويدعوهم قبل ذلك الى الطاعة والدخول في الجماعة فان ابوا
من الرجوع والصلح قوتلوا ولا يقتل اسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يذفف على جريحهم ولا تسبى ذراريهم
ولا اموالهم واذا قتل العادل الباغي او الباغي العادل وهو وليه لم يتوارثا ولا يرث قاتل عمدا على حال
وقد قيل ان العادل يرث الباغي قياسا على القصاص **الثامنة** وما استهلكه البغاة من الخوارج من
دم او مال ثم تابوا لم يؤاخذوا به وقال ابو حنيفة يضمنون وللشافعي قولان وجه قول ابي حنيفة
انه اتلاف بعدوان فيلزم الضمان والمعول في ذلك عندنا ان الصحابة رضي الله عنهم في حروبهم
لم يتبعوا مدبرا ولا ذففوا على جريح ولا قتلوا اسيرا ولا ضمنوا نفسا ولا مالا وهم القدوة وقال
ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اتدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال
الله ورسوله اعلم فقال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها فاما ما كان
قائما رد بعينه هذا كله فيمن خرج بتاويل يسوغ له وذكر الزمخشري في تفسيره ان كانت الباغية
من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة
لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل
التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها ما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل
في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره

وجه ان يحمل على كون الفئة الباغية قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل الاحقاد
دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق المامور به من اعمال العدل ومراعات القسط قال الزمخشري
فان قلت فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان يقتتلا
باغيتين او راكبتي شبهة والا اذا امرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت
احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين التاسعة ولو تغلبوا على بلد فاخذوا الصدقات واقاموا
الحدود وحكموا فيهم بالاحكام لم تثن عليهم الصدقات ولا الحدود ولا ينقض من احكامهم الا ماكان خلافا
للكتاب والسنة او الاجماع كما تنقض احكام اهل العدل والسنة قاله مطرف وابن الماجشون وقال ابن القاسم
لا تجوز بحال وروي عن اصبغ انه جايز وروي عنه ايضا لا يجوز توليته فلم يجز كما لو لم يكونوا بغاة والعمدة
لنا ما قدمناه من ان الصحابة رضي الله عنهم لما انجلت الفتنة وارتفع الخلاف بالهدنة والصلح لم يعرضوا لاحد
منهم في حكم قال ابن العربي الذي عندي ان ذلك لا يصلح لان الفتنة لما انجلت كان الامام هو الباغي ولم
يكن هناك من يعترضه العاشرة لا يجوز ان ينسب الى احد من الصحابة خطا مقطوع به اذا كانوا كلهم
اجتهدوا فيما فعلوه وارادوا الله عز وجل وهم كلهم لنا ايمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم وان لا
نذكرهم الا باحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم وان الله غفر لهم واخبر
الله بالرضى عنهم هذا مع ما قد ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
طلحة شهيد يمشي على وجه الارض فلو كان ما خرج اليه من الحرب عصيانا لم يكن فيه بالقتل شهيدا
وكذلك لو كان ما خرج اليه خطا في التاويل وتقصيرا في الواجب عليه لان الشهادة لا تكون الا بقتل
في طاعة فوجب حمل امرهم على ما بيناه ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من اخبار علي بان قاتل الزبير
في النار وكذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك
وقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصيين ولا اثمين بالقتال لان ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي صلى الله عليه
وسلم في طلحة شهيد ولم يخبر ان قاتل الزبير في النار وكذلك من قعد غير مخطي في التاويل بل صواب
اراهم الله الاجتهاد واذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وابطال فضايلهم وجهادهم
وعظيم عنايتهم في الدين رضي الله عنهم وقد سئل بعضهم عن الدماء التي اريقت بينهم فقال تلك امة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وسئل بعضهم عنها ايضا فقال تلك
دماء قد طهر الله منها يدي فلا اختضب بها لساني يعني في التحرز من الوقوع في خطا والحكم على بعضهم
بما لا يكون مصيبا فيه قال ابن فورك ومن اصحابنا من قال ان سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات
كسبيل ما جرى بين اخوة يوسف مع يوسف ثم انهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة فكذلك الامر فيما
جرى بين الصحابة وقال المحاسبي فاما الدماء فقد اشكل علينا القول فيها وقد سئل الحسن البصري
عن قتالهم فقال شهد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا
فاتبعنا واختلفوا فوقفنا قال المحاسبي فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم ان القوم كانوا اعلم بما دخلوا
فيه منا ونتبع ما اجتمعوا عليه ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع راينا منا ونعلم انهم اجتهدوا
وارادوا الله عز وجل اذ كانوا غير متهمين في الدين ونسال الله التوفيق قوله تعالى انما المومنون
اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا

ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا
الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله
بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب
السموات والارض والله بصير بما تعملون قوله تعالى انما المومنون اخوة فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى انما المومنون اخوة اي في الدين والحرمة لا في النسب ولهذا قيل اخوة الدين اثبت من اخوة
النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا
تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا وفي رواية لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امري من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه لفظ مسلم وفي غير الصحيحين عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه الريح الا
باذنه ولا يوذيه بقتار قدره الا ان يغرف له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون
بها الى صبيانه ولا يطعمونهم منها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل
الثانية قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم اي بين كل مسلمين تخاصما وقيل بين الاوس والخزرج على
ما تقدم وقال ابو علي اراد بالاخوين الطايفتين لان لفظ التثنية يرد والمراد به الكثرة كقوله تعالى
بل يداه مبسوطتان وقال ابو عبيدة اي اصلحوا بين كل اخوين فهو ات على الجميع وقرا ابن سيرين
ونصر بن عاصم وابو العالية والجحدري ويعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع وقرا الحسن اخوانكم الباقون
اخويكم بالياء على التثنية الثالثة في هذه الاية والتي قبلها دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان
لان الله سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين قال الحارث الاعور سئل علي بن ابي طالب وهو القدوة
عن قتال اهل البغي من اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا فقيل له امنافقون
قال لا لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل له فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم فيه اربع مسايل الاولى قوله يا ايها الذين امنوا لا
يسخر الى قوله خيرا منهم قيل عند الله وقيل خيرا معتقدا واسلم باطنا والسخرية الاستهزاء
سخرت منه اسخر سخرا بالتحريك ومسخرا وسخرا بالضم وحكى ابو زيد سخرت به وضحكت به
وهزئت به وقال الاخفش سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزئت به
كل ذلك يقال والاسم السخرية والسخري وقرئ بهما قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقد تقدم
وفلان سخرة يتسخر في العمل يقال خادمه سخرة ورجل سخرة ايضا يسخر منه وسخرة بفتح الخا يسخر من الناس
الثانية واختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه
وقر فاذا سبقوه الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم اوسعوا له اذا اتى ليجلس الى جنبه ليسمع ما
يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف

النبي صلى الله عليه وسلم اخذ اصحابه مجالسهم منه فربض كل رجل بمجلسه وعضوا فيه فلا يكاد يوسع
احد لاحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول
تفسحوا تفسحوا ففسحوا له حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال
له الرجل قد وجدت مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال من هذا قالوا فلان قال ثابت ابن
فلانة يعيره بها يعني اما له في الجاهلية فاستحيا الرجل فنزلت وقال الضحاك نزلت في وفد تميم الذي تقدم
ذكرهم في اول السورة استهزؤا بفقراء الصحابة مثل عمار وخباب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان
وسالم مولى ابي حذيفة وغيرهم لما راوا من رثاثة حالهم فنزلت في الذين امنوا منهم وقال مجاهد هو سخرية
الغني من الفقير وقال ابن زيد لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله فلعل اظهار ذنوبه في الدنيا
خير له في الاخرة وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل حين قدم المدينة مسلما وكان المسلمون اذا راوه قالوا ابن
فرعون هذه الامة فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وبالجملة فينبغي ان لا يجترئ احد
على الاستهزاء بمن يقتحم بعينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا او انقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء بمن
عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا
يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنع وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل
بالقول لو سخرت من كلب ان احول كلبا والقوم في اللغة للمذكرين خاصة قال زهير وما ادري وسوف
اخال ادري ۞ اقوم ال حصن ام نساء ۞ وسموا قوما لانهم يقومون مع داعيهم وقيل انه جمع قايم
استعمل في كل جماعة وان لم يكونوا قائمين ويدخل في القوم النساء مجازا وقد مضى في البقرة بيانه الثانية
قوله تعالى ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن افرد النساء بالذكر لان السخرية منهن اكثر وقد
قال الله انا ارسلنا نوحا الى قومه فشمل الجميع قال المفسرون نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم سخرتا من ام سلمة وذلك انها ربطت حقويها بسبيبة وهو ثوب ابيض ومثلها السب
وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها خلفها فقالت عايشة لحفصة رضي الله عنهما انظري ما يجري
خلفها كانه لسان كلب فهذه كانت سخريتهما وقال انس وابن زيد نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
عيرن ام سلمة بالقصر وقيل نزلت في عايشة اشارت بيدها الى ام سلمة يا نبي الله انها لقصيرة وقال
عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا
رسول الله ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد فانزل الله هذه الاية الرابعة في صحيح الترمذي
عن عايشة قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ما يسرني اني حكيت رجلا وان لي كذا
وكذا قالت فقلت يا رسول الله ان صفية امراة وقالت بيدها هكذا يعني انها قصيرة فقال لقد
مزجت بكلمة لو مزج بها البحر لمزج وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم
ان يضحك الرجل مما يخرج من الانفس وقال لم يضرب احدكم امراته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وهذا حديث عظيم يترتب عليه ان لا يقطع بعيب احد لا يرى عليه من
صور اعمال الطاعة او المخالفة فلعل من يواظب على الاعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفا مذموما
لا يصح معه تلك الاعمال ولعل من راينا عليه تفريطا او معصية يعلم الله من قلبه وصفا محمودا يغفر له
بسببه فالاعمال امارات ظنية لا ادلة قطعية ويترتب عليه عدم الغلو في تعظيم من راينا عليه

اهلا الصالحة وعدم الاحتقار لمسلم راينا عليه افعالا سيئة بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة لا
تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فانه نظر دقيق وبالله التوفيق قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم فيه
ثلاث مسائل الاولى قوله ولا تلمزوا انفسكم اللمز العيب وقد مضى في براءة عند قوله ومنهم من يلمزك
في الصدقات وقال الطبري اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وهذه
الاية مثل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة
فكانه بقتل اخيه قاتل نفسه وكقوله تعالى فسلموا على انفسكم يعني يسلم بعضكم على بعض والمعنى لا
يعيب بعضكم بعضا وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض وقال
الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا وقرئ ولا تلمزوا بالضم وفي قوله انفسكم دليل على ان العاقل
لا يعيب نفسه فلا ينبغي ان يعيب غيره لانه كنفسه قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد
ان اشتكى عضو منه تداعى له ساير الجسد بالسهر والحمى وقال بكر بن عبد الله المزني اذا اردت ان تنظر
العيوب جمة فتامل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب وقال صلى الله عليه وسلم
يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ويدع الجذع في عينه وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيوب
نفسه عن عيوب غيره قال الشاعر المرء ان كان عاقلا ورعا ۞ اشغله عن عيوب غيره ورعه ۞ كما السقيم المريض يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه وقال الاخر لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ۞ فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ۞ ولا تعب احدا منهم بما فيكا الثانية قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
النبز بالتحريك اللقب والجمع الانباز والنبز بالتسكين المصدر تقول نبزه ينبزه نبزا اي لقبه
وفلان ينبز بالصبيان اي يلقبهم شدد للكثرة ويقال النبز والنزب لقب السوء وتنابزوا
بالالقاب اي لقب بعضهم بعضا وفي الترمذي عن ابي جبيرة بن الضحاك قال كان الرجل منا له الاسمين
والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال هذا حديث
حسن وابو جبيرة هو اخو ثابت بن الضحاك بن خليفة الانصاري وابو زيد سعيد بن الربيع صاحب
الهروي ثقة وفي مصنف ابي داود عنه قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة ولا تنابزوا بالالقاب
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان
او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب
من هذا الاسم فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب فهذا قول وقول ثان قال الحسن ومجاهد
كان الرجل يعير بعد اسلامه بكفره يا يهودي يا نصراني فنزلت وروي عن قتادة وابي العالية وعكرمة
وقال قتادة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق وقاله مجاهد والحسن ايضا بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس ان يسمى الرجل كافرا او زانيا بعد اسلامه وتوبته قاله ابن زيد وقيل المعنى من
لقب اخاه او سخر منه فهو فاسق وفي الصحيح من قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت
عليه فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق وذلك لا يجوز وقد روي ان ابا ذر
رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فنازعه رجل فقال له ابو ذر يا ابن اليهودية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما ترى ههنا من احمر واسود ما انت بافضل منه يعني بالتقوى ونزلت ولا تنابزوا
بالالقاب وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب فنهى الله ان يعير بما سلف
يدل عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم من عير مؤمنا بذنب تاب منه كان حقا على الله ان
يبتليه به ويفضحه فيه في الدنيا والاخرة الثالثة وقع مستثنى من غلب عليه الاستعمال كالاعرج
والاحدب ولم يكن له كسب يجد في نفسه منه عليه لجوزته الامة واتفق على قوله اهل اللغة كال

ابن المرحب وقد ردّ لعمر الله من ذلك في كتبهم مالا ارضاه في صالح جزرة لانه صحف خرزة فلقب بها وكذلك
قولهم في محمد سليمان الحضرمي مطين لانه وقع في طين ونحو ذلك مما غلب على المتاخرين ولا اراه سائغا
في الدين وقد كان موسى بن علي بن رباح المصري يقول لا اجعل احدا صغر اسم ابي وكان الغالب على اسمه التصغير
بضم العين والذي يضبط هذا كله كلما يكرهه الانسان اذا نودي به فلا يجوز لاجل الاذاية والله اعلم
قلت وعلى هذا المعنى ترجم البخاري رحمه الله في كتاب الادب من الجامع الصحيح في باب ما يجوز من ذكر
الناس نحو قولهم الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول
ذو اليدين قال ابو عبد الله بن خواز منداذ تضمنت الاية المنع من تلقيب الانسان مما يكره ويجوز تلقيبه
بما يحب الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لقب عمر الفاروق وابا بكر الصديق وعثمان ذو النورين وخزيمة
ذو الشهادتين وابا هريرة ذو الشمالين وذا اليدين في اشباه ذلك الزمخشري روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم من حق المومن على المومن ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت الكنية من السنة والادب
الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها سنة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد
الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة
في الاسم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وقال الماوردي فاما مستحب الالقاب
ومستحسنها فلا يكره وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا باوصاف صارت لهم من اجل
الالقاب قلت فاما ما يكون ظاهرها الكراهة اذا اريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير وقد سئل
ابن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل وسليمن الاعمش وحميد الاعرج ومروان الاصغر فقال اذا
اردت صفته ولم ترد عيبه فلا باس به وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال رايت الاصلع
يعني عمر يقبل الحجر في رواية الاصيلع قوله تعالى ومن لم يتب اي عن هذه الالقاب التي يتاذى بها السامعون
فاولئك هم الظالمون لانفسهم بارتكاب هذه المناهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن الى قوله تواب رحيم فيه تسع مسائل الاولى يا ايها الذين امنوا الى قوله من الظن قيل انها نزلت
في رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان الى رجلين فتقدم سلمان
الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما فقالا له انطلق فاطلب
لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما وادام فذهب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى اسامة
ابن زيد فقل له ان كان عندك فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه
وسلم فذهب اليه فقال اسامة ما عندي شيء فرجع اليهما فاخبرهما فقالا قد كان عنده ولكنه
بخل ثم بعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا لو بعثنا سلمان الى بير سميحة
لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة شيء فراهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا يا نبي الله والله ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره فقال
ولكنكما ظلتما تاكلان لحم سلمان فنزلت يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية ذكره الثعلبي
اي لا تظنوا باهل الخير سوءا اذا كنتم تعلمون ظاهر امرهم الخير الثانية ثبت في الصحيحين عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تناجشوا
ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا لفظ البخاري قال علماؤنا فالظن
هنا وفي الاية هو التهمة ومحل التحذير والنهي انما هو تهمة لا سبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة
او بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا ولا

تجسسوا

تجسسوا وذلك انه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد ان يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع
لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وان شئت قلت والذي يميز الظنون
الذي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب
وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وانست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد
به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريبة والمجاهرة بالخبائث وعن النبي صلى الله عليه
وسلم حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس فيه حرام
وانت اليوم اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت الثالثة للظن حالتان حالة تعرف وتقوى بوجه من
وجوه الادلة فيجوز الحكم بها واكثر احكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير
ذلك من قيم المتلفات واروش الجنايات والحالة الثانية ان يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون
ذلك اولى من ضده فهذا هو الشك فلا يجوز الحكم به وهي المنهي عنه على ما قررناه انفا وقد انكرت
جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به تحكما في الدين ودعوى في المعقول وليس في
ذلك اصل يعول عليه فان الباري تعالى لم يذم جميعه وانما ورد الذم في بعضه وربما تعلقوا بحديث
ابي هريرة اياكم والظن فان هذا لا حجة فيه لان الظن في الشريعة قسمان محمود ومذموم فالمحمود
منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه والمذموم ضده بدلالة قوله تعالى ان بعض
الظن اثم وقوله لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسب كذا ولا ازكي على الله
احدا وقال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض خرجه ابو داود واكثر العلماء
على ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح قاله المهدوي الرابعة
قوله تعالى ولا تجسسوا قرا ابو رجاء والحسن باختلاف وغيرهما ولا تحسسوا بالحاء واختلف هل هما بمعنى
واحد او بمعنيين فقال الاخفش ليس تبعد احدهما من الاخرى لان التجسس البحث عما يكتم عنك والتحسس
بالحاء طلب الاخبار والبحث وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث
عن الامور وبالحاء ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقول ثان في الفرق انه بالحاء تطلبه لنفسه
وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف جسست الاخبار وتحسستها اي تفحصت عنها
ومنه الجاسوس ومعنى الاية خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين اي لا يبحث احدكم عن عيب اخيه
حتى يطلع عليه بعد ان ستره الله وفي كتاب ابي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين افسدتهم او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدرداء كلمة سمعها
معوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها وعن المقدام بن معدي كرب عن ابي امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم وعن زيد بن وهب قال
اتي ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر
لنا شيء ناخذه به وعن ابي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم
يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه في بيته وقال عبد الرحمن بن عوف حرست ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة اذ تبين
لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم اصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم
الان شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسسنا فانصرف
وتركهم وقال ابو قلابة حدث عمر بن الخطاب ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر مع اصحاب له في بيته فانطلق عمر

حتى دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل فقال ابو محجن ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر وتركه
وقال زيد بن اسلم خرج عمر وعبد الرحمن يعسان اذ تبينت لهما نار فاستاذنا ففتح الباب فاذا رجل وامراة تغنى
وعلى يد الرجل قدح فقال عمر وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المومنين قال عمر فمن هذه
منك قال امراتي قال فما في القدح قال ماء زلال فقال للمراة وما الذي تغنين فقالت تطاول هذا الليل
واسود جانبه • وارقني الا خليل الاعبه • فوالله لولا الله اني اراقبه • لزعزع من هذا السرير جوانبه •
ولكن عقلي والحياء يكفني • واكرم بعلي ان تنال مراكبه • ثم قال الرجل ما بهذا امرنا يا امير المومنين قال
الله تعالى ولا تجسسوا قال صدقت قلت لا يفهم من هذا الخبر ان المراة كانت غير زوجة الرجل لان عمر
لا يقر على الزنا وانما غنت بتلك الابيات تذكارا لزوجها وانها قالتها في غيبته عنها والله وقال
عمرو بن دينار كان رجل من اهل المدينة له اخت فاشتكت فكان يعودها فماتت فدفنها فكان هو الذي
نزل في قبرها فسقط من كمه كيس فيه دنانير فاستعان ببعض اهله فنبشوا قبرها فاخذ الكيس
ثم قال لاكشفن حتى انظر ما آل حال اختي اليه فكشف عنها فاذا القبر مشتعل نارا فجاء الى امه فقال
اخبريني ما كان عمل اختي فقالت قد ماتت اختك فما سوالك عن عملها فلم يزل بها حتى قالت له كان
من عملها انها كانت توخر الصلاة عن مواقيتها وكانت اذا نام الجيران قامت الى بيوتهم فالقمت
اذنها ابوابهم فتجسس عليهم وتخرج اسرارهم فقال بهذا هلكت الخامسة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم
بعضا نهى عز وجل عن الغيبة وهو ان تذكر الرجل بما فيه فان ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان
ثبت معناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان
فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم
الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب قال الحسن الغيبة ثلاثة اوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك
والبهتان فاما الغيبة فهو ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول فيه ما بلغك
عنه واما البهتان فان تقول فيه ما ليس فيه وعن شعبة قال لي معوية يعني ابن قرة لو مر بك
اقطع فقلت هذا اقطع فهو غيبة قال شعبة فذكرته لابي اسحق فقال صدق وروى ابو هريرة ان
الاسلمي ماعزا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه بالزنا فرجمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسمع نبي الله رجلين من اصحابه يقول احدهما للآخر انظر الى هذا الذي ستر الله
عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل
برجله فقال اين فلان وفلان فقالا نحن ذا يا رسول الله قال انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار •
فقالا يا نبي الله ومن ياكل من هذا قال فما نلتما من عرض اخيكما اشد من الاكل منه والذي نفسي
بيده هو انه الآن لفي انهار الجنة ينغمس فيها الساعة قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
مثل الله الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وقال ابن عباس
انما ضرب الله هذا المثل للغيبة لان اكل لحم الميت حرام مستقذر وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح
في النفوس وقال قتادة كما يمتنع احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا كذلك يجب ان يمتنع من غيبته حيا
واستعمل اكل اللحم مكان الغيبة لان عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم
وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صام من ظل ياكل لحوم الناس
فشبه الوقيعة في الناس باكل لحومهم فمن تنقص مسلما او ثلم عرضه فهو كآكل لحمه حيا ومن اغتابه
فهو كآكل لحمه ميتا وفي كتاب ابي داود عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل فقال
هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن المستورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اكل برجل مسلم اكلة فان الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله
من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة وقد تقدم
قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين وقوله للرجلين
ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما وقال ابو قلابة الرقاشي سمعت ابا عاصم ما اغتبت احدا مذ عرفت ما
في الغيبة وكان ميمون بن سياه لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده فان انتهى والا قام وذكر الثعلبي
من حديث ابي هريرة قال قام رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما
اعجز فلانا فقال اكلتم لحم اخيكم واغتبتموه وعن سفيان الثوري قال ادنى الغيبة ان يقول ان فلانا جعد
قطط الا انه يكره ذلك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم وذكر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه
شفاء وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقيل لعمرو
ابن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموا وقال رجل للحسن بلغني انك تغتابني قال فلم يبلغ من
قدرك عندي ان احكمك في حسناتي السابعة ذهب قوم الى ان الغيبة لا تكون الا في الدين ولا تكون في الخلقة
والحسب وقالوا ذلك فعل الله وذهب آخرون الى عكس هذا فقالوا لا تكون الغيبة الا في الخلق
والخلق والحسب والغيبة في الخلق اشد لان من عيب صنعة فانما عيب صانعها وهذا كله مردود
اما الاول فيرده حديث عائشة حين قالت في صفية انها امراة قصيرة فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته خرجه ابو داود وقال فيه الترمذي حديث
حسن صحيح وما كان في معناه حسبما تقدم واجماع العلماء قديما على ان ذلك غيبة اذا اريد به
العيب واما الثاني فمردود ايضا عند جميع العلماء لان العلماء من اول الدهر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتابعين بعدهم لم تكن الغيبة عندهم في شيء اعظم من الغيبة في الدين
لان عيب الدين اعظم العيب فكل مومن يكره ان يذكر في دينه اشد مما يكره في بدنه وكفى ردا لمن كان
هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام اذا قلت في اخيك ما يكره فقد اغتبته الحديث فمن زعم
ان ذلك ليس بغيبة فقد رد ما قال النبي صلى الله عليه وسلم نصا وكفى بعموم قول النبي صلى الله عليه
وسلم دماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وذلك عام للدين والدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم
من كانت عنده لاخيه مظلمة في عرضه او ماله فليستحلله منه فعم كل عرض فمن يخص من ذلك
شيئا دون شيء فقد عارض ما قال النبي صلى الله عليه وسلم الثامنة لا خلاف ان الغيبة من
الكبائر وان على من اغتاب احدا التوبة الى الله عز وجل وهل يستحل المغتاب اختلف فيه فقالت
فرقة ليس عليه استحلاله وانما هي خطيئة بينه وبين ربه واحتجت بانه لم ياخذ من ماله
ولا اصاب من بدنه ما ينقصه فليس ذلك مظلمة يستحلها منه والمظلمة ما يكون منه البدل
والعوض في المال والبدن وقالت فرقة هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه
واحتجت بحديث يروى عن الحسن قال كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقالت فرقة
هي مظلمة وعليه الاستحلال منها واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه
عنده مظلمة في عرض او مال فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح
اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وقد تقدم
هذا المعنى في سورة آل عمران عند قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء

وقد روى من حديث عايشة ان امراة دخلت عليها فلما قامت قالت امراة ما اطول ذيلها فقالت لها عايشة لقد اغتبتيها فاستحليها فدلت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم انها مظلمة يجب على المغتاب استحلالها واما قول من قال انما الغيبة في البدن والمال فقد اجمعت العلماء على ان على القاذف للمقذوف مظلمة ياخذه بالحد حتى يقيمه وذلك ليس في البدن ولا في المال ففي ذلك دليل على ان الظلم في العرض والبدن والمال وقد قال الله تعالى في القاذف فان لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله فاولئك هم الفاسقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بهت مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في طينة الخبال وذلك كله في غير المال والبدن واما من قال انها مظلمة وكفارة المظلمة ان يستغفر لصاحبها الا ان قوله مظلمة تثبت ظلامة المظلوم واذا ثبتت الظلامة لم يحلها عن الظالم الا احلال المظلوم له واما قول الحسن فليس بحجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له عند اخيه مظلمة في عرض او مال فليحللها منه وقد ذهب بعضهم الى ترك التحلل لمن ساله وراى انه لا يحل له ما حرم الله عليه منهم سعيد بن المسيب قال لا احل من ظلمني وقيل لابن سيرين يا ابا بكر هذا رجل سالك ان تحلله من مظلمة هي لك عنده فقال اني لم احرمها عليه فاحلها ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله عليه ابدا وخبر النبي صلى الله عليه وسلم يدل على التحليل وهو الحجة والمبين والتحليل يدل على الرحمة وهو من وجه وقد قال تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله **التاسعة** ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر فان الخبر من القى جلباب الحيا فلا غيبة له وقال صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس فالغيبة اذا في المرء الذي يستر نفسه وروى عن الحسن انه قال ثلاثة ليست لهم حرمة صاحب الهوى والفاسق المعلن والامام الجاير وقال الحسن لما مات الحجاج اللهم انت امته فاقطع عنا سنته وفي رواية شينه فانه اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد قصيرة البنان والله ما عرق فيها غبار في سبيل يرجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهذر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته ماية الف او يزيدون لا يقول له قايل الصلاة ايها الرجل ثم يقول الحسن هيهات حال دون ذلك السيف والسوط وروى الربيع بن صبيح عن الحسن قال ليس لاهل البدع غيبة وكذلك قولك للقاضي تستعين به على اخذ حقك ممن ظلمك فتقول فلان ظلمني او غصبني او خانني او ضربني او قذفني او اساء الي ليس بغيبة وعلماء الامة على ذلك مجمعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومن ذلك الاستفتاء كقول هند للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي اءاخذ من غير علمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فخذي فذكرته بالشح والظلم لها ولولدها ولم يرها مغتابة لانه لم يغير عليها بل اجابها عليه بالفتيا لها وكذلك اذا كان في ذكره بالسوء فايدة كقوله صلى الله عليه وسلم فصعلوك لا مال له واما ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه فهذا جايز وكان مقصوده ان لا تغتر فاطمة بنت قيس بهما قال جميعه المحاسبي **العاشرة** قوله تعالى ميتا وقرئ ميتا وهو نصب على الحال من اللحم ويجوز ان ينصب على الاخ ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه وفيه وجهان احدهما فكرهتم اكل الميتة فكذلك فاكرهوا الغيبة روى معناه عن مجاهد والثاني فكرهتم ان يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس قال الفراء اي فقد كرهتم اكل الميتة فلا تفعلوه وقيل لفظه ومعناه خبر واتقوا الله عليه وقيل عطف على قوله واجتنبوا ولا تجسسوا ان الله تواب رحيم **قوله تعالى** يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى فيه سبع مسايل **الاولى** قوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوى ونزلت الاية في ابي هند ذكره ابو داود في

المراسيل حدثني عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قال حدثنا بقية بن الوليد حدثني الزهري قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امراة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بناتنا موالينا فانزل الله عز وجل انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت قال رايت ابيض واسود واحمر فقال انك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزلت في الرجل الذي لم يتفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الاية قال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبره به رب السماء فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية زجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فان المدار على التقوى اي الجميع من ادم وحوى انما الفضل بالتقوى وفي الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بمكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها باباييها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو ادم وخلق الله ادم من تراب قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير خرجه من حديث ابن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف ضعفه يحيى بن معين وغيره وقد خرج الطبري في كتاب اداب النفوس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا اسمعيل قال حدثنا سعيد الجريري عن ابي نضرة قال حدثني او حدثنا من شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في وسط ايام التشريق وهو على بعير فقال يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى الا هل بلغت قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغايب وفيه عن ابي مليكة مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان قلب صالح تحنن الله عليه وانما انتم بنو ادم واحبكم اليه اتقاكم ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور **من شعر**

الناس في جهة التمثيل اكفاء ابوهم ادم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة واعظم خلقت فيهم واعضاء
فان يكن لهم من اصلهم حسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه وللرجال على الافعال سيماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله والجاهلون لاهل العلم اعداء

الثانية بين الله سبحانه في هذه الاية انه خلق الخلق من الذكر والانثى وكذلك في اول سورة النساء ولو شاء لخلقه دونهما كخلقه لادم او دون ذكر كخلقه لعيسى عليه السلم او دون انثى كخلقه لحوى من احدى الجهتين وهذا الجايز في القدرة ولم يرد به الوجود وقد جاء ان ادم خلق الله منه حوى من ضلع انتزعها من اضلاعه فلعله هذا القسم قاله ابن العربي **الثالثة** خلق الله الخلق بين الذكر والانثى انسابا واصهارا وقبايل وشعوبا وخلق لهم منها التعارف وجعل لهم منها التواصل للحكمة التي قدرها وهو اعلم بها فصار كل واحد يحوز نسبه فاذا نفاه رجل عنه استوجب الحد بقذفه مثل ان ينفيه عن رهطه وحسبه كقوله للعربي يا اعجمي وللعجمي يا عربي ونحو ذلك مما يقع به النفي حقيقة

انتهى الرابعة ذهب قوم من الاوايل الى ان الجنين انما يكون من ماء الرجل وحده ويتربى في رحم
الام ويستمد من الدم الذي يكون فيه واحتجوا بقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في
قرار مكين وقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقوله الم يك نطفة من مني يمنى
فدل على ان الخلق من ماء واحد والصحيح ان الخلق انما يكون من ماء الرجل والمراة لهذه الاية فانها
نص لا يحتمل التاويل وقوله تعالى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب والمراد منه اصلاب
الرجال وترايب النساء على ما ياتي بيانه واما ما احتجوا به فليس فيه اكثر ان الله تعالى ذكر خلق
الانسان من الماء والسلالة والنطفة ولم يضفها الى احد الابوين دون الاخر فدل على ان السلالة لهما
والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا وبان المراة تمني كما يمني الرجل وعن ذلك يكون الشبه حسبما تقدم بيانه
في اخر الشورى وقد قال في قصة نوح فالتقى الماء على امر قد قدر وانما اراد ماء السماء وماء الارض لان
الالتقاء لا يكون الا من اثنين فلا ينكر ان يكون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من ماء مهين
وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين ويريد ماءين والله اعلم الخامسة قوله تعالى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا الشعوب رؤس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج واحدها
شعب بفتح الشين سموا بذلك لتشعبهم واجتماعهم كشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعبته
اذا جمعته ومنه المشعب بكسر الميم وهو الاشفى لانه يجمع به ويشعب قال فكب على حر الجبين ومتق
بمدرية كانه دلو مشعب وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها مفرقة واما
الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل والجمع الشعاب قال الجوهري والشعب ما تشعب من قبايل
العرب والعجم والجمع الشعوب والشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم واما الذي في الحديث ان
رجلا من الشعوب اسلم فانه يعني من العجم والشعب القبيلة العظيمة وهو ابو القبايل الذي ينسبون
اليه اي يجمعهم ويضمهم قال ابن عباس الشعوب الجمهور مثل مضر والقبايل الافخاذ وقال مجاهد الشعوب
البعيد من النسب والقبايل دون ذلك وعنه ايضا ان الشعوب النسب الاقرب وقاله قتادة ذكر الاول
عنه المهدوي والثاني الماوردي قال الشاعر رايت سعودا من شعوب كثيرة فلم ار سعدا مثل سعد
ابن مالك وقال اخر قبايل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب وقيل ان الشعوب عرب
اليمن من قحطان والقبايل من ربيعة ومضر وساير عدنان وقيل ان الشعوب بطون العجم والقبايل
بطون العرب وقال ابن عباس في رواية ان الشعوب الموالي والقبايل العرب قال القشيري وعلى هذا
فالشعوب من لا يعرف له اصل نسب كالهند والجبل والترك والقبايل من العرب الماوردي ويحتمل ان
الشعوب هم المضافون الى النواحي والشعاب والقبايل هم المشتركون في الانساب قال الشاعر وتفرقوا
شعبا فكل جزيرة فيها امير المومنين ومنبر وحكى ابو عبيد عن ابن الكلبي عن ابيه الشعب اكبر من
القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وقيل الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة
ثم العشيرة وقد نظمها بعض الادبا فقال اقصد الشعب فهو اكثر حي عددا في الحواء ثم القبيلة ثم تتلوها
العمارة ثم البطن فالفخذ بعدها فالفصيلة ثم من بعدها العشيرة لكن هي في جنب ما ذكرنا قليله وقال
اخر قبيلة قبلها شعب وبعدهما عمارة ثم بطن تلوه فخذ وليس يوي الفتى الا فصيلته ولا سداد لسهم
ما له قذذ السادسة قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قد تقدم في سورة الزخرف عند قوله
تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي هذه الاية ما يدلك على ان التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند
رسوله دون الحسب والنسب وقرئ ان بالفتح وفي الترمذي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحسب المال والكرم التقوى قال هذا حديث حسن غريب صحيح وذلك يرجع الى قوله تعالى ان اكرمكم

عند الله اتقاكم وقد جاء منصوصا عنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله والتقوى
معناها مراعاة حدود الله تعالى امرا ونهيا والاتصاف بما امرك ان تتصف به والتنزه عما نهاك عنه
وقد مضى هذا في غير موضع وفي الخبر من رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول
يوم القيامة جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان وانا اليوم
ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون اين المتقون وروى الطبري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اوليائي المتقون يوم القيامة وان كان نسب اقرب من نسب ياتي الناس بالاعمال وتاتون
بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد اقول هكذا وهكذا واعرض في كل عطفيه وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله
ابن عمر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابي ليسوا لي باولياء انما وليي الله و
صالح المومنين وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من اكرم الناس فقال يوسف بن يعقوب بن اسحق
ابن ابرهيم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرمهم عند الله اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسالك فقال عن معادن
العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وانشدوا ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي السابعة ذكر الطبري حدثني عمر بن محمد قال حدثنا عبيد
ابن اسحق العطار قال حدثنا مندل بن علي عن ثور بن يزيد عن سالم بن ابي الجعد قال تزوج رجل من الانصار
امراة فطعن عليها في حسبها فقال الرجل اني لم اتزوجها لحسبها انما تزوجتها لدينها وخلقها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك الا تكون من آل حاجب بن زرارة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله جاء بالاسلام فرفع به الخسيسة واتم به النقيصة واذهب به اللوم فلا لوم على مسلم انما اللوم
لوم الجاهلية وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان اكون اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي ولذلك
كان اكرم البشر على الله تعالى قال ابن العربي هذا الذي يخبط مالك في الكفاة في النكاح روى عبد الله
عن مالك يتزوج المولى العربية واحتج بهذه الاية وقال ابو حنيفة والشافعي يراعى الحسب والمال
وفي الصحيح عن عايشة ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وكان ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله
عليه وسلم تبنى سالما وانكحه هندا بنت اخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامراة من
الانصار وضباعة بنت الزبير كانت تحت المقداد بن الاسود قلت واخت عبد الرحمن بن عوف
كانت تحت بلال وزينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة فدل على جواز نكاح المولى العربية
وانما تراعى الكفاة في الدين والدليل عليه ايضا ما روى سهل بن سعد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله
عليه وسلم مر عليه رجل فقال ما تقولون في هذا فقالوا انه حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان
يشفع وان قال ان يسمع ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا فقالوا انه حري
ان خطب ان لا ينكح وان شفع لا يشفع وان قال لا يسمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير
من ملء الارض مثل هذا وقال صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها وفي رواية ولحسبها
فعليك بذات الدين تربت يداك وقد خطب سلمان الى ابي بكر ابنته فاجابه وخطب الى عمر ابنته
فالتوى عليه ثم ساله ان ينكحها فلم يفعل سلمان وخطب بلال بنت البكير فابى اخوتها فقال بلال
يا رسول الله ماذا لقيت من بني البكير خطبت اليهم اختهم فمنعوني واذوني فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اجل بلال فبلغهم الخبر فاتوا اختهم فقالوا ماذا لقينا من سببك فقالت اختهم
امري بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ابي هند
حين حجمه ابو طيبة انكحوا ابا هند وانكحوا اليه وهو مولى بني بياضة وروى الدارقطني من حديث
الزهري عن عروة عن عايشة ان ابا هند مولى بني بياضة كان حجاما فحجم النبي صلى الله عليه

وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى من صور الله الايمان في قلبه فلينظر الى ابي
هند وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوه وانكحوا اليه قال القشيري ابو نصر وقد يعتبر النسب في
الكفاة في النكاح وهو الاتصال بشجرة النبوة او بالعلماء ورثة الانبياء او بالمرموقين في الزهد والصلاح
والتقي افضل من الفاجر النسيب فان كانا تقيين تقدم النسيب منهما كما تقدم الشيخ على الشاب في
الصلاة اذا استويا في التقوى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا نزلت
في اعراب من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة واظهروا الشهادتين
ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من
الصدقة وجعلوا يمنون عليه فانزل الله فيهم هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في اعراب ارادوا ان
يتسموا باسم الهجرة قبل ان يهاجروا فاعلم الله ان لهم اسماء الاعراب لا اسماء المهاجرين وقال السدي
نزلت في الاعراب المذكورين في سورة الفتح اعراب مزينة وجهينة واسلم وغفار والديل واشجع قالوا
امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى المدينة تخلفوا فنزلت وبالجملة فالاية خاصة لبعض
الاعراب لان منهم من يؤمن بالله واليوم الاخر كما وصف الله تعالى ومعنى ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا
خوف القتل والسبي وهذه صفة المنافقين لانهم اسلموا في ظاهر ايمانهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الايمان
التصديق بالقلب واما الاسلام فقبول ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وذلك يحقن
الدماء ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم
من اعمالكم شيئا لا تربليته ويلوتر نقصه وقرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمزة من الت يالت التا وهي اختيار ابي
حاتم اعتبارا بقوله وما التناهم من عملهم من شيء قال الشاعر ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا
التا ولا كذبا واختار الاولى ابو عبيد قال رؤبة وليلة ذات ندا سريت ولم يلتني عن سراها ليت
اي يمنعني عن سراها مانع وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله
شيئا اي ما نقصه مثل التة قال الفرا وانشد ويأكلن ما اعنى الولي فلم يلت كان بحافاته البهاء المزارعا
قوله فلم يلت اي لم ينقص منه شيئا واعنى بمعنى انبت يقال ما اعنت الارض شيئا اي ما انبتت والولي
المطر بعد الوسمي سمي وليا لانه يلي الوسمي ولم يقل لا يلتاكم لان طاعة الله طاعة الرسول قوله تعالى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد و
الاعمال الصالحة اولئك هم الصادقون في ايمانهم لا من اسلم خوف القتل ورجاء الكسب فلما نزلت حلف
الاعراب انهم مؤمنون في السر والعلانية فنزلت قل اتعلمون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما
في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا اشارة الى قولهم جئناك
بالاثقال والعيال وان في موضع نصب لان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين اي كنتم مؤمنين وقرا عاصم ان هداكم بالكسر وفيه بعد لقوله
ان كنتم صادقين ولا يقال يمن عليكم ان يهديكم ان صدقتم والقراة الظاهرة وهذا لا يدل على انهم
كانوا مؤمنين لان تقدير الكلام ان امنتم فذلك منة الله عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض
والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير وابن محيصن بالياء على الخبر ردا على قوله قالت الاعراب الباقون
بالتاء على الخطاب سورة ق وهي خمس واربعون اية مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر
قال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام وما مسنا من لغوب وفي صحيح مسلم عن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت لقد كان تنورنا

تفسير سورة ق وهي مكية

وتنور

وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين او سنة او بعض سنة وما اخذت ق والقران المجيد
الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه سال ابا واقد الليثي ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى والفطر
فقال كان يقرا فيهما بقاف والقران المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر وعن جابر بن سمرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الفجر بقاف والقران المجيد وكانت صلاته بعد تخفيفا بسم الله الرحمن الرحيم
ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم
ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا
فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان
لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق
جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قوله ق والقران المجيد
قاف بالجزم وقرا الحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم قاف بكسر الفاء لان الكسر اخو الجزم حركوه بحركة الخفض
وقرا عيسى الثقفي بفتح الفاء حركه باخف الحركات وقرا هرون ومحمد بن السميقع قاف بالضم لانه في غالب
الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى قاف ما هو فقال يزيد وعكرمة والضحاك
هو جبل محيط بالسماء والارض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه
مقببة وما اصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل ورواه ابو الجوزاء عن عبد الله بن عباس
قال الفرا كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في ق لانه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت
من اسمه كقول القايل قلت لها قفي فقالت قاف اي انا واقفة وهذا وجه حسن وقد تقدم اول البقرة
وقال وهب اشرف ذو القرنين على جبل قاف فراى تحته جبالا صغارا فقال له ما انت قال انا قاف قال
فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما في مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا اراد الله ان
يزلزل مدينة امرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا قاف اخبرني بشيء من
عظمة الله قال ان شان ربنا لعظيم وان ورائي ارضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال
ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هي لاحترقت من حر جهنم قال زدني قال ان جبريل عليه السلام واقف
بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فاولئك الملائكة وقوف بين يدي
الله تعالى منكسوا رؤوسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله وقال الزجاج
قوله ق اي قضي الامر كما قيل في حم اي حم الامر وقال ابن عباس ق اسم من اسماء الله تعالى اقسم به
وعنه ايضا انه اسم من اسماء القران وهو قول قتادة وقال القرظي افتتاح اسماء الله عز وجل قدير
وقاهر وقريب وقاض وقابض وقال الشعبي فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند
امرنا ونهينا ولا تعدهما وقال محمد بن عاصم الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب

بد
فقالت صح

اليه من حبل الوريد وقال ابن عطا اقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم
يؤثر ذلك فيه لعلو حاله والقران المجيد اي الرفيع القدير وقيل الكريم قاله الحسن وقيل الكثير ماخوذ
من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد من قولهم كثير فلان في النفوس ومنه قول العرب في المثل
السائر في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر هذان النوعان من النار فزادا على ساير الشجر
قاله ابن بحر وجواب القسم قيل هو قد علمنا ما تنقص الارض منهم على ارادة اللام اي لقد علمنا وقيل هو ان في
ذلك لذكرى وهو اختيار الترمذي محمد بن علي قال ق قسم باسم هو اعظم الاسماء التي خرجت الى العباد وهو
القدرة واقسم ايضا بالقران المجيد ثم اقتص ما خرج من القدرة من خلق السموات والارضين وارزاق العباد
وخلق الادميين وصفة يوم القيمة والجنة والنار ثم قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فوقع القسم
على هذه الكلمة كانه قال ق اي بالقدرة والقران المجيد اقسمت ان فيما اقتصصت في هذه السورة لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول وقال اهل الكوفة جواب
القسم بل عجبوا وقال الاخفش جوابه محذوف كانه قال والقران المجيد لتبعثن يدل عليه ائذا متنا وكنا
ترابا قوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم ان في موضع نصب على تقدير لان جاءهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والضمير للكفار وقيل للمومنين والكفار جميعا ثم ميز بينهم بقوله تعالى فقال الكافرون
ولم يقل فقالوا بل قبح حالهم ووصفهم بالكفر كما تقول جاني فلان فاسمعني المكروه وقال لي الفاسق
انت كذا وكذا هذا شيء عجيب العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد
اكثر منه وكذلك الاعجوبة وقال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل من انذارهم بالبعث والنشور
والذي نص عليه القران اولى قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا نبعث ففيه اضمار ذلك رجع بعيد
الرجع الرد اي هو رد بعيد اي محال يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا وفيه
اضمار اخر اي وقالوا انبعث اذا متنا وذكر البعث وان لم يجر ههنا فقد جرى في مواضع والقران
كالسورة الواحدة وايضا ذكر البعث منطو تحت قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم لانه انما ينذر
بالعقاب والحساب في الاخرة قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض من اجسادهم
فلا يعزب عنا شيء حتى تتعذر علينا الاعادة وفي التنزيل قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند
ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي الصحيح كل ابن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق
ومنه يركب وقد تقدم وثبت ان الانبياء والاولياء والشهداء لا تاكل الارض اجسادهم حرم الله على
الارض ان تاكل اجسادهم وقد بينا هذا في كتاب التذكرة وتقدم ايضا في هذا الكتاب وقال السدي
النقص هنا الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومنهم من يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص
من الناس وعن ابن عباس هو من يدخل في الاسلام من المشركين وعندنا كتاب حفيظ اي بعدتهم و
اسمائهم فهو فعيل بمعنى فاعل وقيل اللوح المحفوظ اي محفوظ من الشياطين ومحفوظ فيه كل شيء
وقيل الكتاب عبارة عن العلم والاحصاء كما تقول كتبت عليك هذا اي حفظته وهذا ترك الظاهر
من غير ضرورة وقيل اي وعندنا كتاب حفيظ لاعمال بني ادم لنحاسبهم عليها قوله تعالى بل كذبوا بالحق
اي القران في قول الجميع حكاه الماوردي وقال الثعلبي بالحق القران وقيل الاسلام وقيل محمد
صلى الله عليه وسلم فهم في امر مريج اي مختلط يقولون مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن
قاله الضحاك وابن زيد وقال قتادة مختلف الحسن ملتبس والمعنى متقارب وقال ابو هريرة فاسد
ومنه مرجت امانات الناس اي فسدت ومرج الدين والامر اختلط قال ابو داود مرج الدين فاعددت
له مشرف الحارك محبوك الكتد وقال ابن العباس المريج الامر المنكر وقال عمران بن ابي عطا

مريج

مريج مختلط وانشد فجالت والتمست به حشاها فخر كانه خوط مريج الخوط الغصن وقال عنه العوفي
امر ضلالة من قولهم ساحر شاعر مجنون كاهن وقيل متغير واصل المرج الاضطراب والقلق يقال
مرج امر الناس ومرج الدين ومرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال وفي الحديث كيف بك يا عبد الله
اذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك ما بين اصبعيه
خرجه ابو داود وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم نظر اعتبار
وتفكر وان القادر على ايجادها قادر على الاعادة كيف بنيناها فرفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم
وما لها من فروج جمع فرج وهو الشق ومنه قول امرئ القيس تسد به فرجها من دبر وقال الكسائي
ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق والارض مددناها والقينا فيها رواسي تقدم في الرعد بيانه
وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع من النبات بهيج اي حسن يسر الناظرين وقد تقدم في الحج تبصرة
اي جعلنا ذلك تبصرة لندل به على كمال قدرتنا وقال ابو حاتم نصب على المصدر يعني جعلنا ذلك تبصرة
وتنبيها على قدرتنا وذكرى معطوف عليه لكل عبد منيب راجع الى الله مفكر في قدرته قوله تعالى
ونزلنا من السماء اي من السحاب ماء مباركا اي كثير البركة فانبتنا به جنات وحب الحصيد التقدير
وحب النبت الحصيد وهو كل ما يحصد وهو قول البصريين وقال الكوفيون هو من باب اضافة
الشيء الى نفسه كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها قاله
الفرا والاصل الحب الحصيد فحذفت الالف واللام واضيف المنعوت الى النعت وقال الضحاك حب
الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات والنخل باسقات نصب على الحال
ردا على قوله وحب الحصيد وباسقات حال والباسقات الطوال قاله مجاهد وعكرمة وقتادة
وقال عبد الله بن شداد بسوقها استقامتها في الطول وقال سعيد بن جبير مستويات وقال
الحسن وعكرمة ايضا والفرا مواقير حوامل يقال للشاة اذا بسقت ولدت قال الشاعر
فلما تركنا الدار ظلت منيفة ٭ بقران فيها الباسقات المواقر ٭ والاول في اللغة اشهر واكثر بسق النخل
بسوقا اذا طال قال لنا خمر وليست خمر كرم ٭ ولكن من نتاج الباسقات ٭ كرام في السماء ذهبن طولا ٭
وفات ثمارها ايدي الجنات ٭ ويقال بسق فلان على اصحابه اي علاهم وابسقت الناقة اذا وقع في
ضرعها اللبا قبل النتاج فهي مبسق ونوق مباسيق وقال قطبة بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا باصقات بالصاد ذكره الثعلبي قلت الذي في صحيح مسلم عن قطبة بن مالك قال صليت وصلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا ق والقران المجيد حتى قرا والنخل باسقات فجعلت اردد ها ولا
ادري ما قال الا انه يجوز ابدال الصاد من السين لاجل القاف لها طلع نضيد الطلع هو اول ما يخرج
من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا واطلعت النخلة وطلعها كفراها قبل ان ينشق نضيد اي متراكب
قد نضد بعضه على بعض وفي البخاري النضيد الكفرى ما دام في اكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض
فاذا خرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا او على معنى انبتناها رزقا لان
الانبات في معنى الرزق او على مفعول له اي انبتناها لرزقهم والرزق ما كان مهيئا للانتفاع به
وقد تقدم القول فيه واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج اي من القبور اي كما احيا الله هذه الارض
الميتة فكذلك يخرجكم احياء بعد موتكم فالكاف في محل رفع على الابتداء وقد مضى هذا المعنى في غير
موضع وقال ميتا لان المقصود المكان ولو قال ميتة لجاز قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي كما كذب
هولاء فكذلك كذب اولئك فحل بهم العقاب ذكرهم بنا من كان قبلهم من المكذبين وخوفهم ما احل بهم
وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم كل كذب الرسل من هذه الامم المكذبة فحق وعيدي اي حق

عليهم وعيدي وعقابي انتهى قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي فعيينا به فنعيا بالبعث وهذا توبيخ لمنكري البعث وجواب قولهم ذلك رجع بعيد يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه بل هم في لبس من خلق جديد اي في حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم مكذب يقال لبس عليه الامر يلبسه لبسا قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني الناس وقيل ادم ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يختلج في سره وقلبه وضميره وفي هذا زجر عن المعاصي التي يستخفى بها ومن قال ان المراد بالانسان ادم فالذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة ثم هو عام لولده والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي قال الاعشى ٥

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت • كما استعان بريح عشرق زجل • وقد مضى في الاعراف ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان من عن يمين وشمال روي معناه عن ابن عباس وغيره وهو المعروف في اللغة والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسين الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهذا تمثيل للقرب اي نحن اقرب اليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة وقيل اي ونحن املك به من حبل وريده مع استيلائه عليه ونحن اعلم ما توسوس به نفسه اقرب اليه من حبل وريده الذي هو من نفسه لانه عرق يخالط القلب فعلم الرب اقرب من علم القلب روي معناه عن مقاتل قال الوريد عرق يخالط القلب وهذا القرب قرب العلم والقدرة وابعاض الانسان يحجب البعض ولا يحجب علم الله شيء قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اي نحن اقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به اي نحن اعلم باحواله فلا نحتاج الى ملك يخبر ولكنهما وكلا به الزاما للحجة وتوكيدا للامر عليه وقال الحسن ومجاهد وقتادة المتلقيان ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك يكتب سيئاتك والاخر عن شمالك يكتب سيئاتك قال الحسن حتى اذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك وقال مجاهد وكل الله بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالنهار وملكين بالليل يحفظان عمله ويكتبان اثره الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال سفيان بلغني ان كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا اذنب قال لا تعجل لعله يستغفر الله وروي معناه من حديث ابي امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وروي من حديث علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مقعد ملكيك على ثنيتيك لسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك فلا تستحي من الله ولا منهما وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ورواه عوف عن الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قاله سيبويه ومنه قول الشاعر نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والامر مختلف وقال الفرزدق اني ضمنت لمن اتاني ما جنى • وابى وكان وكنت غير غدور • ولم يقل راضيان ولا غدورين ومذهب المبرد ان الذي في التلاوة اول اخر اتساعا وحذف الثاني لدلالة الاول عليه ومذهب الاخفش والفراء ان الذي في التلاوة يؤدي عن الاثنين والجمع ولا حذف في الكلام وقعيد بمعنى قاعد كالسميع والعليم والقدير والشهيد وقيل قعيد بمعنى مقاعد مثل اكيل ونديم بمعنى مواكل ومنادم وقال الجوهري فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد

والاثنان

والاثنان والجمع لقوله تعالى انا رسول رب العالمين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير قال الشاعر في الجمع انشده الثعلبي الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر • والمراد بالقعيد ههنا الملازم الثابت لا ضد القائم قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم بشيء الا كتب عليه ماخوذ من لفظ الطعام وهو اخراجه من الفم وفي الرقيب ثلاثة اوجه احدها انه المتتبع للامور الثاني الحافظ قاله السدي الثالث انه الشاهد قاله الضحاك وفي العتيد وجهان احدهما انه الحاضر الذي لا يغيب الثاني انه الحافظ المعد اما للحفظ واما للشهادة قال الجوهري العتيد الحاضر المهيأ وقد عتده تعتيدا واعتده اعتادا اي اعده ليوم ومنه قوله تعالى واعتدت لهن متكأ وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها المعد للجري قلت وكله يرجع الى معنى الحضور ومنه قول الشاعر لئن كنت مني في العيان مغيبا • فذكرك عندي في الفؤاد عتيد • قال ابن الجوزي ومجاهد يكتب على الانسان كل شيء حتى الانين في مرضه وقال عكرمة لا يكتب عليه الا ما يوجر به او يوزر عليه وقيل يكتب كل ما يتكلم به فاذا كان اخر النهار محي عنه ما كان مباحا نحو انطلق اقعد كل مما لا يتعلق به اجر ولا وزر والله اعلم وروي عن ابي هريرة وانس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من حافظين يرفعان الى الله ما حفظا فيرى الله في اول الصحيفة خيرا وفي اخرها خيرا الا قال الله تعالى للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وقال علي رضي الله عنه ان لله ملائكة معهم صحف بيض فاملوا في اولها وفي اخرها يغفر لكم ما بين ذلك وخرج ابو نعيم الحافظ حدثنا ابو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق بن خزيمة قال حدثنا جدي محمد بن اسحق حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا سهيل بن عبد الله قال سمعت الاعمش يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحافظين اذا نزلا على العبد او الامة معهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد والامة فاذا ارادا ان ينهضا قال احدهما للاخر فك الكتاب المختوم الذي معك فيفكه له فاذا فيه ما كتب سوا فذلك قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد غريب من حديث الاعمش عن يزيد لم يروه عنه الا سهيل وروي من حديث انس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه عمله فاذا مات قالا ربنا قد مات فلان فاذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله عز وجل ان سماواتي مملوءة من ملائكتي يسبحوني فيقولان ربنا فنقيم في الارض فيقول الله تعالى ان ارضي مملوءة من خلقي يسبحوني فيقولان يا رب فاين نكون فيقول الله تعالى قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني وسبحاني واذكراني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي غمرته وشدته فالانسان ما دام حيا يكتب عليه اقواله وافعاله ليحاسب عليها ثم يجيئه الموت وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله وعده واوعده وقيل الحق هو الموت سمي حقا اما لاستحقاقه واما لانتقاله الى دار الحق فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره وجاءت سكرة الحق بالموت وكذا في قراءة ابي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما لان السكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل يجوز ان يكون الحق على هذه القراءة هو الله تعالى اي جاءت سكرة امر الله بالموت وقيل الحق هو الموت والمعنى وجاءت سكرة الموت بالموت ذكره المهدوي وقد زعم من طعن على القران فقال اخالف المصحف كما خالف ابو بكر الصديق فقرا وجاءت سكرة الحق بالموت فاحتج عليه بان ابا بكر رويت عنه روايتان احداهما موافقة للمصحف فعليها العمل والاخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه ان كان قالها والغلط من بعض من نقل الحديث قال ابو بكر الانباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور عن ابي وائل عن مسروق قال لما

احتضر ابو بكر ارسل الى عايشة فلما دخلت عليه قالت هذا كما قال الشاعر اذا حشرجت يوما وضاق بها
الصدر • فقال لها ابو بكر الا قلت كما قال الله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
وذكر الحديث والسكرة واحدة السكرات وفي الصحيح عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت بين يديه ركوة او علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله
ان للموت سكرات ثم نصب يديه فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده خرجه البخاري
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم
بعضها على بعض يقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيمة وقال عيسى بن مريم يا معشر
الحواريين ادعوا الله ان يهون عليكم هذه السكرة يعني سكرات الموت وروي ان الموت اشد من ضرب
بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت
ذلك ما كنت تفر منه وتميل عنه يقال حاد عن الشي يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل
واصله حيدودة بتحريك اليا فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق وتقول في الاخبار
عن نفسك حدت عن الشي احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه قال ابو طرفة انا منذ ربت الوفا فمنيته •
وحدت كما حاد البعير عن الدحض قوله تعالى ونفخ في الصور هي النفخة الاخرة للبعث ذلك يوم الوعيد
الذي وعده الله للكفار ان يعذبهم فيه وقد مضى الكلام في النفخ مستوفى فانتهى قوله تعالى وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد اختلف في السائق والشهيد فقال ابن عباس السائق من الملائكة والشهيد
من نفسه وقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم الايدي والارجل ورواه العوفي
عن ابن عباس وقال ابو هريرة السائق الملك والشهيد العمل وقال الحسن وقتادة المعنى سائق يسوقها
وشاهد يشهد عليها بعملها وقال ابن مسلم السائق قرينها من الشياطين سمي سائقا لانه يتبعها وان لم
يحثها وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد سائق ملك يسوقها الى امر الله وشهيد يشهد عليها بعملها قلت هذا اصح
فان في حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما
خلقه الله عز وجل له ان الله لا اله غيره اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او
سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين
يكتبان حسناته وسيئاته فاذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض
روحه فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان
فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه
ثم حضرا معه واحد سائق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد
حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم خرجه ابو نعيم الحافظ
من حديث جعفر بن محمد بن علي عن جابر وقال فيه هذا حديث غريب من حديث جعفر وحديث
تفرد به عنه جابر الجعفي وعنه المفضل ثم في الاية قولان احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو
قول الجمهور الثاني انها خاصة في الكافر قاله الضحاك قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال ابن زيد المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد
في غفلة من الرسالة في قريش في جاهليتهم وقال ابن عباس والضحاك المراد به المشركون اي كانوا في
غفلة من عواقب امورهم وقال اكثر المفسرين المراد به البر والفاجر وهو اختيار الطبري وقيل اي لقد

كنت ايها

كنت ايها الانسان في غفلة عن ان كل نفس معها سائق وشهيد لان هذا لا يعرف الا بالنصوص الالهية
فكشفنا عنك غطاءك اي عماك وفيه اربعة اوجه احدها اذا كان في بطن امه فولد قاله السدي الثاني اذا كان
في القبر فنشر وهذا قول ابن عباس الثالث وقت العرض في القيمة قاله مجاهد الرابع انه نزول الوحي وتحمل
الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد فبصرك اليوم حديد قيل يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصر
القلب وبصيرته تبصره شواهد الافكار ونتائج الاعتبار كما تبصر العين ما قابلها من الاشخاص والاجسام
وقيل المراد بصر العين وهو الظاهر اي بصر عينك اليوم حديد اي قوي نافذ يرى ما كان محجوبا عنك
وقال مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك و
قاله الضحاك وقيل يعاين ما يصير اليه من ثواب وعقاب وهو معنى قول ابن عباس وقيل يعني ان الكافر
يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى وقرئ لقد كنت عنك فبصرك بالكسر على خطاب النفس قوله تعالى وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر
فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم
هل امتلات وتقول هل من مزيد وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب
حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون
فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من
محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود يوم ينادي المنادي من مكان
قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق
الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران
من يخاف وعيد قوله وقال قرينه يعني الموكل به في قول الحسن وقتادة والضحاك هذا ما لدي عتيد
اي هذا ما عندي من كتاب عمله معد محفوظ وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من بني
ادم احضرته واحضرت ديوان عمله والمعنى هذا ما عندي من العذاب حاضر وعن مجاهد ايضا
قرينه الذي قيض له من الشياطين وقال ابن زيد في رواية ابن وهب عنه انه قرينه من الانس فيقول الله
تعالى لقرينه القيا في جهنم قال الاخفش والخليل هذا كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ
الاثنين فيقول ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء يقول للواحد قوما
عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل
على صاحبيه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليلي ثم يقول قال امرؤ القيس خليلي مرا بي على ام جندب •
نقض لبانات الفؤاد المعذب وقال ايضا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول
فحومل وقال اخر فان تزجراني يا ابن عفان انزجر • وان تدعواني احم عرضا ممنعا • وقيل جاء كذلك
لان القرين يقع للجماعة والاثنين وقال المازني قوله القيا يدل على الق الق وقال المبرد هي تثنية على
التوكيد المعنى الق الق فناب القيا مناب التكرار ويجوز ان يكون القيا تثنية على خطاب الحقيقة
من قول الله تعالى يخاطب به الملكين وقيل هو مخاطبة السائق والحافظ وقيل ان الاصل القين
بالنون الخفيفة فقلبت في الوقف الفا فحمل الوصل على الوقف وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة نحو قوله وليكونا
من الصاغرين وقوله لنسفعا في جهنم كل كفار عنيد اي معاند قاله مجاهد وعكرمة وقال

بعضهم العنيد المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند
وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف مناع للخير يعني الزكاة المفروضة وكل حق واجب معتد في منطقه وسيره
وامره ظالم مريب شاك في التوحيد قاله الحسن وقتادة يقال اراب الرجل فهو مريب اذا جاء بالريبة وهنا
للشك يدل عليه قوله تعالى الذي جعل مع الله الها اخر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة واراد بقوله مناع
للخير انه كان يمنع بني اخيه الاسلام معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد
تاكيد للامر الاول قال قرينه ربنا ما اطغيته يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد تبرا منه
وكذبه ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق وكان طاغيا باختياره انما دعوته فاستجاب لي وقرينه هنا
هو شيطانه بغير اختلاف حكاه المهدوي والثعلبي وقال ابن عباس ومقاتل قرينه الملك وذلك ان
الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته رب انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته الى ما
اعجلته وقال سعيد بن جبير يقول الكافر رب انه زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي
ما زدت عليه في الكتابة فحينئذ يقول الله تعالى لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناءهم من
الشياطين قال القشيري وهذا يدل على ان القرين الشيطان وقد قدمت اليكم بالوعيد اي ارسلت
الرسل وقيل هذا خطاب لكل من اختصم وقيل هو للاثنين وجاء بلفظ الجمع ما يبدل القول لدي
قيل هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل هو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال الفراء اي ما يكذب عندي اي ما ينقص في
القول فلا يزاد لعلمي بالغيب وما انا بظلام للعبيد اي ما انا بمعذب من لم يجرم قاله ابن عباس
وقد مضى القول في معناه في الحج وغيرها **قوله تعالى** يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد
قرا نافع وابو بكر يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا الباقون بالنون على الخطاب من الله
تعالى وهو نون التعظيم وقرا الحسن يوم اقول وقرا ابن مسعود يوم يقال وانتصب يوم على معنى ما
يبدل القول لدي يوم وقيل بفعل مقدر معناه وانذرهم يوم نقول لجهنم هل امتلات لما سبق من
وعده اياها انه يملاها وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاعدائه
والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل من مزيد اي ما بقي في موضع للزيادة كقوله عليه الصلاة
والسلام هل ترك لنا عقيل من ربع او منزل اي ما ترك فمعنى الكلام الجحد ويحتمل ان يكون استفهاما
بمعنى الاستزادة في هل من مزيد فازاد وانما صلح هذا للوجهين لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقيل ليس
ثم قول وانما هو على طريق المثل اي انها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك كما **قال الشاعر**
امتلا الحوض وقال قطني * مهلا رويدا قد ملات بطني * وهذا تفسير مجاهد وغيره اي هل في من مسلك
قد امتلات وقيل ينطق الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح وهذا اصح على ما بيناه في سورة الفرقان
وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم
يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوي
بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا
فيسكنهم فضل الجنة لفظ مسلم وفي رواية اخرى من حديث ابي هريرة فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله
عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلي وينزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه
احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا قال علماؤنا رحمهم الله اما معنى القدم هنا فهم قوم يقدمهم
الله للنار وقد سبق في علمه انهم من اهل النار وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال
رايت رجلا من الناس ورجلا من جراد **قال الشاعر** فمر بنا رجل من الناس وانزوى * اليهم من الحي اليمانين ارجل

قبايل من لخم وعكل وحمير * على ابني نزار بالعداوة اجفل * ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود انه قال
ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الزبانية ينتظر
صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ما امر به وما ينتظره ولم يبق منهم احد قالت
الخزنة قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق اذ لم
يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ويشهد لهذا التاويل قوله في نفس الحديث
ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد زدنا هذا المعنى بيانا
ومهدناه في كتاب الاسماء والصفات من كتاب الاسنى وقال النضر بن شميل في معنى قوله عليه الصلاة
والسلام حتى يضع الجبار فيها قدمه اي من سبق في علمه انه من اهل النار **قوله تعالى** وازلفت
الجنة للمتقين غير بعيد اي قربت منهم قيل هذا قبل الدخول في الدنيا اي قربت من قلوبهم حين
قيل لهم اجتنبوا المعاصي وقيل بعد الدخول قربت لهم مواضعهم فيها فلا تبعد غير بعيد اي منهم وهذا
تاكيد هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الجزاء الذي وعدتم في الدنيا على السنة الرسل وقراءة العامة
توعدون بالتاء على الخطاب وقرا ابن كثير بالياء على الخبر لانه اتى بعد ذكر المتقين لكل اواب
حفيظ اواب اي رجاع الى الله عن المعاصي يذنب ثم يرجع ويذنب ثم يرجع هكذا قاله الضحاك
وغيره وقال ابن عباس وعطاء الاواب المسبح من قوله يا جبال اوبي معه وقال الحكم بن عيينة هو
الذاكر لله تعالى في الخلوة وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله
منها وهو قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه وعنه قال
كنا نحدث ان الاواب الحفيظ الذي اذا قام من مجلسه قال سبحان الله وبحمده اللهم اني استغفرك
مما اصبت في مجلسي هذا وفي الحديث من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس وهكذا كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول وقال بعض العلماء انا احب ان اقول استغفرك واسالك التوبة ولا احب ان اقول واتوب
اليك الا على حقيقته **قلت** هذا استحسان واتباع الحديث اولى وقال ابو بكر الوراق هو المتوكل
على الله في السراء والضراء وقال القاسم هو الذي لا يشتغل الا بالله عز وجل حفيظ قال ابن عباس هو
الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته وائتمنه
عليه وعن ابن عباس ايضا هو الحافظ لامر الله مجاهد هو الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمه
بالشكر قال الضحاك هو الحافظ لوصية الله تعالى بالقبول وروى مكحول عن ابي هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على اربع ركعات من اول النهار كان اوابا حفيظا ذكره الماوردي
قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب من في محل خفض على البدل من قوله لكل اواب او في موضع الصفة
لاواب ويجوز الرفع على الاستيناف والخبر ادخلوها على تقدير حذف جواب الشرط والتقدير فيقال
لهم ادخلوها والخشية بالغيب ان يخافه ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حين لا
يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وجاء بقلب منيب مقبل على الطاعة وقيل مخلص
وقال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا لحرمته مواليا له متواضعا لجلاله تاركا
لهوى نفسه **قلت** ويحتمل ان يكون القلب المنيب القلب السليم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب
سليم على ما تقدم اي يقال لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود اي بسلامة من
العذاب وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم وقال ادخلوها بسلام
ذلك من خشي لان من يكون بمعنى الجمع **قوله تعالى** لهم ما يشاؤن فيها يعني ما تشتهي انفسهم وتلذ

اعينهم ولدينا مزيد من النعم مما لم يخطر على بالهم وقال انس وجابر المزيد النظر الى الله عز وجل بلا كيف وقد ورد ذلك في اخبار مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله الكريم وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قالا اخبرنا المسعودي عن المنهال عن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال تسارعوا الى الجنة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام كمسارعتهم الى الجمع في الدنيا وزاد فيحدث لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد قلت قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما في مرسل الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل يوم جمعة على كثيب من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقيل ان المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه ابو سعيد الخدري قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من امة هم اشد منهم بطشا وقوة فنقبوا في البلاد اي ساروا فيها طلبا للمهرب وقيل اثروا في البلاد قاله ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل دوروا وقال قتادة طوفوا وقال المؤرج تباعدوا ومنه قول امرئ القيس وقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للتجارات وهل وجدوا من الموت محيصا وقيل طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا من الموت قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال وقرا الحسن وابو العالية فنقبوا بفتح القاف وتخفيفها والنقب هو الخرق والدخول في الشيء وقيل النقب الطريق في الجبل وكذلك المنقب والمنقبة عن ابن السكيت ونقب الجدار نقبا واسم تلك البقعة نقبا ايضا وجمع النقب النقوب اي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل اثروا فيها كتاثير الحديد فيما ينقب وقرا السلمي ويحيى بن يعمر فنقبوا بكسر القاف والتشديد على الامر بالتهديد والوعيد اي طوفوا في البلاد وسيروا فيها فانظروا هل من الموت محيص ومهرب ذكره الثعلبي وحكى القشيري فنقبوا بكسر القاف مع التخفيف اي اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا رقت اخفافه وانقب الرجل اذا نقب بعيره ونقب الخف الملبوس اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد يقال ما عنه محيص اي محيد ومهرب والانحياص مثله يقال للاولياء حاصوا عن العدو وللاعداء انهزموا قوله تعالى ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل لانه موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال امرؤ القيس اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب محتش باشتغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الاخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى باحوال الاخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الاخرة او القى السمع اي استمع القول يقول العرب الق الي سمعك اي استمع وقد مضى في طه كيفية الاستماع وثمرته وهو شهيد اي شاهد القلب قال الزجاج اي وقلبه حاضر فيما يسمع وقال سفيان اي لا يكون حاضرا وقلبه غائب ثم قيل الاية لاهل الكتاب قاله مجاهد وقتادة وقال الحسن انها في اليهود والنصارى خاصة وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القران خاصة قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب تقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب والاعياء

يقول منه لغب يلغب لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة ضعيفة فيه والغبته انا اي انصبته قال قتادة والكلبي هذه الاية نزلت في يهود المدينة زعموا ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت فجعلوه راحة فاكذبهم الله في ذلك قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح فيه خمس مسائل الاولى قوله فاصبر على ما يقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره بالصبر على ما يقوله المشركون اي هون عليك امرهم ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته وقيل معناه فاصبر على ما يقوله اليهود من قولهم ان الله استراح يوم السبت الثانية قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس الاية قيل ان يريد به الصلوات الخمس قال ابو صالح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر ورواه جرير بن عبد الله مرفوعا قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه واللفظ لمسلم وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة العشائين وقيل المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطاء الخراساني وابو الاحوص وقال بعض العلماء في قوله قبل طلوع الشمس قال ركعتي الفجر وقبل الغروب الركعتين قبل المغرب وقال ثمامة بن عبد الله بن انس كان ذوو الالباب من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا بالمدينة فاذا اذن المؤذن المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى ان الرجل ليدخل المسجد فيحسب ان الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما وقال قتادة ما ادركت من يصلي الركعتين قبل المغرب الا انسا وابا برزة الاسلمي الثالثة قوله ومن الليل فسبحه وادبار السجود فيه اربعة اقوال الاول هو تسبيح الله في الليل قاله ابو الاحوص الثاني انها صلاة الليل كله قاله مجاهد الثالث انها ركعتا الفجر قاله ابن عباس الرابع انها صلاة العشاء الاخرة قاله ابن زيد قال ابن العربي من قال انه التسبيح في الليل فيعضده الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله واما من قال انها الصلاة بالليل فان الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه سبحة الضحى واما من قال انها صلاة الفجر والعشاء فلانها من صلاة الليل والعشاء اوضحه الرابعة قوله تعالى وادبار السجود قال عمر وعلي وابو هريرة والحسن بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والاوزاعي والزهري ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر ورواه العوفي عن ابن عباس وقد رفعه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان بعد المغرب ادبار السجود ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي عن ابن عباس قال بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلاة ثم قال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال انس يقرا في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد قال مقاتل ووقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا هو الوتر وقال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة قال النحاس والظاهر يدل على هذا الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ابو الاحوص هو التسبيح في ادبار السجود قال ابن العربي وهو الاقوى في النظر وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول

في دبر الصلاة المكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا
مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل انه منسوخ بالفرايض فلا يجب
على احد الا خمس صلوات نقل ذلك الجماعة الخامسة قرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة على المصدر
من ادبر الشي ادبارا اذا ولى والباقون بفتحها جمع وهي قراءة علي وابن عباس ومثالها اطنب واطناب او دبر
كقفل واقفال وقد استعملوه ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلوات ولا خلاف في اخر الطور
وادبار النجوم انه بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوبها اذا طلع الفجر الثاني وهو البياض المنشق من سواد الليل
قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب مفعول الاستماع محذوف اي استمع الندا او الصوت
او الصيحة وهي الصيحة وهي النفخة الثانية والمنادي جبريل وقيل اسرافيل الزمخشري وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل
ينادي فينادي بالحشر وقيل هلموا الى الحساب فالندا على هذا في المحشر وقيل واستمع ندا الكفار بالويل والثبور
من مكان قريب اي يسمع الجميع فلا يبعد احد عن ذلك الندا قال عكرمة ينادي منادي الرحمن فكانما ينادي في
اذانهم وقيل المكان القريب صخرة بيت المقدس وقيل انها وسط الارض واقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا
وقال كعب بثمانية عشر ميلا ذكر الاول الزمخشري والثاني الماوردي فيقف جبريل واسرافيل على الصخرة فينادي
بالحشر ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والعظام النخرة والاكفان الفانية والقلوب الخاوية والابدان
الفاسدة ويا عيون السايلة قوموا لعرض رب العالمين قال قتادة هو اسرافيل صاحب الصور يوم الصيحة بالحق
يعني صيحة البعث ومعنى الخروج الاجتماع الى الحساب ذلك يوم الخروج اي يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي الموتى
ونميت الاحياء اثبت هنا الحقيقة وهي يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي صاحب الصور الى بيت المقدس ذلك
حشر علينا يسير اي هين وسهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف الشين على حذف التاء الاولى والباقون بادغام
التاء في الشين واثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب ياء المنادي في الحالين على الاصل واثبتها
نافع وابو عمرو في الوصل لا غير وحذف الباقون في الحالين قلت وقد زادت السنة هذه الاية بيانا
فروى الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى
الشام فقال الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة ويجرون على وجوههم يوم القيمة على افواههم الفدام
توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية
اخرى فخذه وكفه وخرج علي بن معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
ذكره ثم يقول يعني الله تعالى لاسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كامثال النحل
قد ملات ما بين السماء والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح الى جسده
فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ
ثم تنشق الارض عنكم وانا اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها شبابا كلكم ابناء ثلاث
وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية وذكر الحديث وقد ذكرنا جميع هذا وغيره في التذكرة
مستوفى قوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اي من تكذيبك وشتمك وما انت عليهم بجبار اي
بمسلط تجبرهم على الاسلام فتكون الاية منسوخة بالامر بالقتال والجبار من الجبرية والتسلط
اذ لا يقال جبار بمعنى مجبر كما لا يقال خراج بمعنى مخرج حكاه القشيري النحاس وقيل معنى جبار لست
تجبرهم وهو خطا لانه لا يكون فعال من افعل وحكى الثعلبي وقال ثعلب قد جاءت احرف فعال بمعنى
مفعل وهي شاذة جبار بمعنى مجبر ودراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وبكاء بمعنى مبكي
وعداء بمعنى معدي وقد قرئ وما اهديكم الا سبيل الرشاد بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو
موسى وقيل هو الله وكذلك قرئ واما السفينة فكانت لمساكين بمعنى ممسكين قال ابو حامد

الخارزنجي

سورة والذاريات وهي مكية

الخارزنجي تقول العرب سيف سقاط بمعنى مسقط وقيل بجبار بمسيطر كما في الغاشية لست عليهم بمصيطر
وقال الفرا سمعت من العرب من يقول جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه اللغة بمعنى اللغة صحيح
وقيل الجبار من قولهم جبرته على الامر اي اجبرته وهي لغة كنانية وهما لغتان الجوهري واجبرته على
الامر اكرهته عليه واجبرته ايضا نسبته الى الكفر فذكر بالقران من يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا يا
رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اعددته لمن عصاني من العذاب
فالوعيد العذاب والوعد الثواب قال الشاعر واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وكان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك واثبت الياء في وعيدي يعقوب
في الحالين واثبتها ورش في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين سورة الذاريات مكية وهي
ستون اية في قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فا
لمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يوفك
عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسالون ايان يوم الدين يوم هم على النار
يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم
ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون
وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي
السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون هل اتاك حديث
ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء
بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت
امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم
قوله تعالى والذاريات ذروا قال ابو بكر الانباري حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا
مكي بن ابرهيم حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السايب بن يزيد ان رجلا قال لعمر اني
مررت برجل ساله عن تفسير مشكل القران فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا
وعمامة وعمر يقرا القران فلما فرغ قام اليه الرجل فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقام
عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال البسوه ثيابه واحملوه على قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا
فليقل ان صبيغا طلب العلم فاخطاه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيدا فيهم وعن عامر بن
واثلة ان ابن الكوا سال عليا رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقال ويلك سل
تفقها ولا تسال تعنتا والذاريات ذروا الرياح فالحاملات وقرا السحاب فالجاريات يسرا السفن فا
لمقسمات امرا الملايكة وروى الحارث عن علي والذاريات قال الرياح فالحاملات وقرا السحاب تحمل
الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر فالجاريات يسرا قال السفن موقرة فالمقسمات امرا قال الملايكة تاتي
بامر مختلف جبريل بالغلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك الموت ياتي بالموت وقال الفرا وقيل تاتي
بامر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث ويقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا واذرته
تذريه ذريا ثم قيل والذاريات وما بعده اقسام واذا اقسم الرب بشيء اثبت له شرفا وقيل المعنى ورب
الذاريات والجواب انما توعدون اي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب لصادق لا
كذب فيه ومعنى لصادق لصدق وقع الاسم موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزاء نازل بكم ثم
ابتدا قسما اخر فقال والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف وقيل ان الذاريات النساء الولودات
لان في ذرايتهن من الخلق لانهن تذرين الاولاد فصرن ذاريات واقسم بهن لما في ترايبهن من خيرة

عباده الصالحين وخص النساء بذلك دون الرجال وان كل واحد منهما ذاد بالامرين احدهما لانهن اوعية
دون الرجال فلاجتماع الذروين فيهن خصصن بالذكر الثاني ان الذر فيهن اطول زمان وهن بالمباشرة
اقرب عهد فالحاملات السحاب وقيل الحاملات من النساء اذا اثقلن بالحمل والوقر بكسر الواو ثقل الحمل
على ظهر او في بطن يقال جاء يحمل وقره وقد اوقر بعيره واكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار
والوسق في حمل البعير وهذه المراة موقرة بفتح القاف اذا حملت حملا ثقيلا واوقرت النخلة كثر حملها
يقال نخلة موقرة وموقر وموقرة وحكى موقر وهو على غير القياس لان الفعل للنخلة وانما قيل موقر
بكسر القاف على قولك امراة حامل لان حمل الشجر مشبه بحمل النساء فاما موقرة بالفتح القاف وقد روى
قول لبيد يصف نخيلا عصب كوارع في خليج محكم • مخلب فيها موقر مكموم • والجمع مواقر فاما الوقر
بالفتح فهو ثقل الاذن وقد وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء با
لتسكين وقد تقدم في الانعام القول فيه فالجاريات يسرا السفن تجري بالرياح يسرا الى حيث سيرت
وقيل السحاب وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان احدهما الى حيث سيرها الله من البلاد والبقاع
الثاني هو سهولة تيسيرها وذلك معروف عند العرب قال الاعشى كان مشيتها من بيت جارتها •
مشي السحاب بلا ريث ولا عجل قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد بالسماء ههنا السحاب التي
تظل الارض وقيل السماء المرفوعة ابن عمر هي السماء السابعة ذكره المهدوي والثعلبي والماوردي
وغيرهم وفي الحبك اقوال سبعة الاول قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع ذات الخلق المستوى
الحسن وقال عكرمة الم تر الى النساج اذا نسج الثوب فاجاد نسجه يقال منه حبك الثوب يحبكه
بالكسر حبكا اي اجاد نسجه قال ابن الاعرابي كل شي احكمته واحسنت عمله فقد احتبكته الثاني ذات
الزينة قاله الحسن وسعيد بن جبير وعن الحسن ايضا ذات النجوم وهو الثالث والرابع قال الضحاك
ذات الطرائق يقال لما ترى من الماء والرمل اذا اصابته الريح حبك ونحوه قول الفرا قال الحبك تكسر
كل شي كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء القائم اذا مرت به الريح ودرع الحديد لها حبك والشعرة
الجعدة يكسوها حبك وفي الحديث ان الدجال ان شعره حبك حلق قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه •
ريح خريق لضاحي مايه حبك • ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها الخامس ذات الشدة قاله ابن
زيد وقرا وبنينا فوقكم سبعا شدادا والمحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره قال امرؤ القيس
قد غدا يحملني في انفه • لاحق الاطلين محبوك ممر اخر مرج الدين فاعتددت له • مشرف الحارك محبوك
الكتد • وفي الحديث ان عايشة رضي الله عنها تحتبك تحت الدرع في الصلاة اي تشد الازار وتحكمه
السادس ذات الصفاقة قاله خصيف ومنه ثوب صفيق بين الصفاقة السابع ان المراد بالطرق
المجرة التي في السماء سميت بذلك لانها كاثر المجر والحبك جمع حباك قال الراجز كانما جللها الحواك •
طيفسة في وشيها حباك • والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحباك حبك وجمع
الحبيكة حبايك والحبكة مثل العبكة وهي الحبة من السويق عن الجوهري وعن الحسن في قوله
ذات الحبك الحبك والحبك والحبك والحبك والحبك كالجماعة وروى عن عكرمة وابي مجلز
الحبك والحبك واحدتها حبيكة والحبك مخفف منه والحبك جبلة ومن قرا الحبك فالواحد حبكة
كبرقة وبرق او محبكة كظلم وظلمة ومن قرا الحبك فهي كابل واطل والحبك مخفف ومن قرا الحبك
فهو شاذ ليس في كلام العرب فعل وهو محمول على تداخل اللغات كانه كسر الحا ليكسر البا ثم تصور
الحبك فضم البا قال جميعه المهدوي قوله تعالى انكم لفي قول مختلف هذا جواب القسم الذي هو
والسماء اي انكم يا اهل مكة في قول مختلف في محمد والقران فمن مصدق ومكذب وقيل نزلت في

المقتسمين

المقتسمين وقيل اختلافهم في قولهم ساحر بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو اساطير الاولين
وقيل اختلافهم ان منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه وقيل المراد عبدة الاوثان والاصنام يقرون
بان الله خالقهم ويعبدون غيره قوله تعالى يؤفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان بمحمد والقران
من صرف عن الحسن وغيره وقيل المعنى يصرف عن الايمان من اراده بقولهم هو سحر وكهانة واساطير
الاولين وقيل المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن
الشي ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا وقال مجاهد معنى يؤفك عنه من افك يؤفن عنه
من افن والافن فساد العقل الزمخشري وقيل يوفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع
اذا نهكه وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع والمعنى واحد
وكله راجع الى معنى الصرف قوله تعالى قتل الخراصون في التفسير لعن الكذابون وقال ابن عباس اي
قتل المرتابون يعني الكهنة وقال الحسن هم الذين يقولون لسنا نبعث ومعنى قتل اي هؤلاء ممن
يجب ان يدعى عليهم بالقتل على ايدي المومنين وقال الفرا معنى قتل لعن قال والخراصون الكذابون
الذين يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب شاعر ساحر وهذا دعا عليهم لان
من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال ابن الانباري علمنا الدعا عليهم اي قولوا قتل الخراصون
وهو جمع خارص والخرص الكذب والخراص الكذاب وقد خرص يخرص بالضم خرصا اي كذب يقال
خرص واخترص وخلق واختلق وبشك واشتبك وسرج واسترج ومان بمعنى كذب حكاه
النحاس والخرص ايضا حزر ما كان في النخل من الرطب تمرا وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر يقال
كم خرص نخلك والخراص يخرصها فهو مشترك واصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في الانعام ومنه
الخريص للخليج لانه ينقطع اليه والخرص حبة القرط اذا كانت مفردة لانقطاعها عن اخواتها والخرص
العود لانقطاعه عن نظايره بطيب رايحته والخرص الذي به جوع وبرد لانه منقطع به يقال
خرص الرجل بالكسر فهو خرص اي جايع مقرور ولا يقال للجوع بلا برد خرص ويقال للبرد بلا جوع خرص
والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب او الفضة والجمع الخرصان ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من
يدعي الخرص والتخمين وقال ابن عباس هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في
نبي الله صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الايمان قوله تعالى الذين هم في غمرة ساهون الغمرة
ما ستر الشي وغطاه ومنه نهر غمر اي يغمر من دخله ومنه غمرات الموت ساهون اي لاهون غافلون
عن امر الاخرة قوله تعالى يسالون ايان يوم الدين اي متى يوم الحساب يقولون ذلك استهزا وشكا
في القيمة يوم هم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزاء اي يجزون وهو من قولهم فتنت الذهب
اي احرقته لتختبره واصل الفتنة الاختبار وقيل انه مبني لاضافته الى غير متمكن وموضعه نصب
على التقدير المتقدم او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج يعجبني يوم انت قايم ويوم انت
تقوم وان شئت فتحت وهو في موضع رفع فانما انتصب لهنا وهو في المعنى رفع وقال ابن عباس يفتنون
يعذبون ومنه قول الشاعر كل امرئ من عذاب الله مضطهد • ببطن مكة مقهور ومفتون قوله تعالى
ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد مجاهد حريقكم ابن عباس اي تكذيبكم يعني
جزاه الفرا اي عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا وقال هذا ولم يقل هذه لان الفتنة هنا
بمعنى العذاب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون لما ذكر مال الكفار ذكر مال المومنين اي في
بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه به اخذين نصب على الحال ما اتاهم ربهم اي اعطاهم
من الثواب وانواع الكرامات قاله الضحاك وقال ابن عباس وسعيد بن جبير اخذين ما اتاهم ربهم

اي عاملين بالفرايض انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة في الدنيا محسنين بالفرايض
وقال ابن عباس المعنى كانوا قبل ان يفرض عليهم الفرايض محسنين في اعمالهم قوله تعالى كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون الى قوله والمحروم فيه خمس مسائل الاولى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
معنى يهجعون ينامون والهجوع النوم ليلا والتهجاع النومة الخفيفة قال ابو قيس بن الاسلت
قد حصت البيضة راسي فما ۝ اطعم نوما غير تهجاع وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق اخته وكان
اسرها الصمة ابو دريد بن الصمة ۝ امن ريحانة الداعي السميع ۝ يورقني واصحابي هجوع ۝ يقال هجع يهجع
هجوعا وهبغ يهبغ هبوغا بالغين المعجمة اذا نام قاله الجوهري واختلف في ما فقيل صلة زايدة
قاله ابرهيم النخعي والتقدير كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي ينامون قليلا من الليل ويصلون
اكثره قال عطا وهذا لما امروا بقيام الليل وكان ابو ذر يحتجز ثم ياخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت
الرخصة قم الليل الا قليلا الاية وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله قليلا ثم يبتدي من
الليل ما يهجعون فما للنفي وهو نفي النوم عنهم البتة قال الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله
وربما نشطوا فجدوا الى السحر وروي عن يعقوب الحضرمي انه قال اختلفوا في تفسير هذه الاية
فقال بعضهم كانوا قليلا معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتدا فقال من الليل ما يهجعون قال ابن
الانباري وهذا فاسد لان الاية انما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم وبعد فلو ابتدانا ما
يهجعون على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم لان الناس كلهم يهجعون من الليل
الا ان تجعل ما جحدا قلت وما تاوله بعض الناس وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا
يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي كان المحسنون قليلا ثم
استانف فقال من الليل ما يهجعون وهو قول الضحاك وعلى التاويل الاول والثاني يكون
كانوا من الليل خطابا مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ما يهجعون
وكذلك جعلت قليلا خبر كان وترفع ما بمعنى قليل كانه قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم
فما يجوز ان تكون نافية ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون رفعا على البدل
من اسم كان التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب قوله قليلا ان قدرت ما زايدة
كان قوله قليلا خبر كان ولم يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر نصبه بيهجعون مع تقدير
ما مصدرا قدمت الصلة على الموصول وقال انس وقتادة في تاويل الاية كانوا يصلون بين العشايين
بين المغرب والعشا ابو العالية كانوا لا ينامون بين العشايين وقاله وهب وقال مجاهد
نزلت في الانصار كانوا يصلون العشايين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يمضون الى
قبا وقال محمد بن علي بن الحسين كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة قال الحسن كانه عد هجوعهم
قليلا في جنب يقظتهم للصلاة وقال ابن عباس ومطرف قل ليلة تاتي عليهم الا يصلون لله فيها
اما من اولها واما من وسطها الثانية روي عن بعض المتهجدين انه اتاه ات في منامه
فانشده وكيف تنام الليل عين قريرة ۝ ولم تدر في اي المجالس تنزل ۝ وروي عن رجل من الازد
انه قال كنت لا انام الليل فنمت في اخر الليل فاذا انا بشابين احسن ما رايت ومعهما حلل فوقفا
على كل مصل وكسواه حلة ثم انتهوا الى النيام فلم يكسوهم فقلت لهما اكسواني من حللكما هذه فقالا
لي انها ليست حلة لباس انما هو رضوان الله يحل على كل مصل ويروى عن ابي خلاد انه قال حدثني صاحب
لي قال بينما انا نايم ذات ليلة اذ مثلت لي القيمة فنظرت الى اقوام من اخواني قد اضاءت وجوههم
واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الخلايق فقلت ما بال هولاء مكتسون والناس عراة

ووجوههم

ووجوههم مشرقة ووجوه الناس مغبرة فقال لي قايل الذين رايتهم مكتسون فهم المصلون بين الاذان والاقامة
والذين وجوههم مشرقة فاصحاب السهر والتهجد قال ورايت اقواما على نجايب فقلت ما بال هولاء ركبانا
والناس مشاة حفاة فقال لي هولاء الذين قاموا على اقدامهم تقربا لله فاعطاهم الله بذلك خير
الثواب قال فصحت في منامي واها للعابدين ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من منامي وانا خايف
الثالثة قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون مدح ثان اي يستغفرون من ذنوبهم قاله الحسن والسحر
وقت يرجى فيه اجابة الدعاء وقد مضى في ال عمران القول فيه وقال ابن عمر ومجاهد اي يصلون
وقت السحر فسمى الصلاة استغفارا وقال الحسن في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون مدوا
الصلاة من اول الليل الى السحر ثم استغفروا في السحر ابن وهب هي في الانصار يعني انهم كانوا يغدون من قبا
فيصلون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب قالوا ينضحون
الناس من الانصار بالدلا على الثمار ثم يهجعون قليلا ثم يصلون اخر الليل الضحاك صلاة الفجر وقال الاحنف
ابن قيس عرضت عملي على اعمال اهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ اعمالهم كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وعرضت عملي على اعمال اهل النار فاذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسوله
وبالبعث بعد الموت فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الرابعة قوله تعالى
وفي اموالهم حق للسايل والمحروم مدح ثالث قال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا هو الزكاة المفروضة
وقيل انه حق سوى الزكاة يصل به رحما او يقري به ضيفا او يحمل به كلا او يغني محروما وقاله
ابن عباس لان السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة ابن العربي والاقوى في هذه الاية انها
الزكاة لقوله تعالى في سورة سال سايل وفي اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والحق المعلوم هو
الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها فاما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم لانه غير
مقدر ولا مجنس ولا موقت الخامسة قوله تعالى للسايل والمحروم السايل الذي يسال الناس لفاقته قاله
ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما والمحروم الذي حرم المال واختلف في تعيينه فقال ابن عباس
وسعيد بن المسيب المحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم وقالت عايشة رضي الله عنها المحروم
المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه يقال رجل محارف بفتح الرا اي محدود محروم وهو خلاف قولك
مبارك وقد حورف كسب فلان اذا شدد عليه في معاشه كانه ميل برزقه عنه وقال قتادة والزهري
المحروم المتعفف الذي لا يسال الناس شيئا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن ومحمد بن الحنفية المحروم الذي
يجي بعد الغنيمة وليس له فيها سهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاصابوا وغنموا فجا قوم
بعدما فرغوا فنزلت هذه الاية وقال عكرمة المحروم الذي لا ينمى له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي
اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقال القرظي المحروم الذي اصابته الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل
نحن محرومون نظيره في قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل نحن محرومون وقال ابو قلابة كان رجل
من اصحاب اليمامة له مال فجاه سيل فذهب بماله فقال رجل من اصحابه هذا المحروم فاقسموا له وقيل انه
الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك
وقيل انه الكلب وروي ان عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجا كلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة
فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الانساب لانه قد حرم
كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره وروي عن ابن وهب عن مالك انه الذي يحرم الرزق وهذا قول
حسن فانه يعم جميع الاقوال وقال الشعبي لي اليوم سبعين سنة منذ احتلمت اسال عن المحروم فما انا
اليوم باعلم مني فيه يومئذ رواه شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي واصله في اللغة الممنوع من الحرمان

وهو المنع قال علقمة ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه • اما توجه والمحروم محروم • وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيمة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول
الله تعالى وعزتي وجلالي لاقربنكم ولابعدنهم ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم ذكره الثعلبي قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين لما ذكر امر الفريقين ذكر ان في الارض
علامات تدل على قدرته على البعث والنشور فمنها عود النبات بعد ان صار هشيما ومنه ان قدر الاقوات
فيها قواما للحيوانات ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها اثار الهلاك النازل بالامم المكذبة
والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم وصدق نبوة نبيهم خصهم بالذكر لانهم المنتفعون
بتلك الايات وتدبرها قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون قيل وفي الارض وفي انفسكم ايات للموقنين وقال
قتادة المعنى من سار في الارض راى ايات وعبرا ومن تفكر في نفسه علم وقال عبد الله بن الزبير ومجاهد المراد
سبيل الخلا والبول وقال السايب بن شريك ناكل ونشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب
لبنا محضا لخرج منه الماء ومنه الغايط فتلك الاية في النفس وقال ابن زيد المعنى انه خلقكم من تراب وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة ثم اذا انتم بشر تنتشرون المهدوي وفي انفسكم اي في حياتكم وموتكم وفيما
يدخل ويخرج من طعامكم الحسن في الكبر بعد الشباب والضعف بعد القوة والشيب بعد السواد وقيل
المعنى وفي خلق انفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم الى نفخ الروح وفي اختلاف الالسنة والالوان
والصور الى غير ذلك من الايات الباطنة والظاهرة وحسبك بالقلوب وما ذكر فيها من العقول وخصت به
من انواع المعاني والفنون وبالالسن والنطق ومخارج الحروف والابصار والاطراف وساير الجوارح وتاتيها
لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا احسا شيء منها جا العجز واذا
استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين افلا تبصرون يعني بصر القلب لتعرفوا كمال قدرته وقيل
انه نجح العاجز وحرمان الحازم قلت كل ما ذكر مراد في الاعتبار وقد قدمنا في اية التوحيد من سورة البقرة
ان ما في بدن الانسان الذي هو العالم الصغير شي الا وله نظير في العالم الكبير وذكرنا هناك من الاعتبار ما
يكفي ويغني لمن تدبر قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق
هنا ما ينزل من السماء من مطر او ثلج ينبت به الزرع ويحيي به الخلق وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب
قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وقال اهل المعاني وفي السماء رزقكم معناه وفي
المطر رزقكم سمي المطر سماء لانه عن السماء ينزل وقال اذا نزل السماء بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •
وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السماء رزقكم نظيره وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال سفيان
الثوري وفي السماء رزقكم وقيل المعنى وفي السماء تقدير رزقكم وما قدر لكم مكتوب في ام الكتاب وعن سفيان
قال قرا واصل الاحدب وفي السماء رزقكم فقال الا ارى رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فدخل خربة
فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فاذا هو في الثالثة بدوخلة رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصارتا
دوخلتين فلم يزل ذلك دابهما حتى فرق الله بينهما بالموت وقرا ابن محيصن ومجاهد وفي السماء رازقكم بالالف
وكذلك في اخرها ان الله هو الرازق وما توعدون قال مجاهد يعني من خير وشر وقال غيره من خير خاصة وقيل الشر خاصة
وقيل الجنة عن سفيان بن عيينة الضحاك وما توعدون من الجنة والنار ابن سيرين وما توعدون من امر الساعة
وقاله الربيع قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق اكد ما اخبر من البعث وما خلق في السماء من الرزق واقسم
عليه بانه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم تنطقون وخص النطق من بين ساير الحواس لان ما سواه من الحواس يدخله
التشبيه كالذي يرى في المراة واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها والدوي والطنين في الاذنين والنطق
سالم من ذلك ولا يعترض بالصدا لانه لا يكون الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به وقال بعض

الحكماء ان كل انسان ينطق بنفسه ولا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزقه ولا يمكنه رزق
غيره وقال الحسن بلغني ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما ما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه
قال الله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقال الاصمعي اقبلت ذات مرة من مسجد البصرة اذ طلع اعرابي
جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال ممن الرجل قلت من اصمع قال انت
الاصمعي قلت نعم قال ومن اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال وللرحمن كلام يتلوه الادميون
قلت نعم قال فاتل علي منه شيئا فقرات والذاريات ذروا الى قوله وفي السماء رزقكم فقال يا اصمعي حسبك
ثم قام الى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها وقال اعني على توزيعها ففرقناها على من اقبل وادبر ثم عمد الى سيفه
وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو يقول وفي السماء رزقكم وما توعدون فمقت
نفسي ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينما انا اطوف اذا انا بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي ناحلا مصفرا
فسلم علي واخذ بيدي وقال اتل علي كلام الرحمن واجلسني من وراء المقام فقرات والذاريات حتى وصلت الى قوله
تعالى وفي السماء رزقكم فقال الاعرابي لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا وقال وهل غير هذا قلت نعم يقول الله تبارك
وتعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قال فصاح الاعرابي وقال يا سبحان الله من الذي
اغضب الجليل حتى حلف الم يصدقوه حتى الجاوه الى اليمين فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه وقال يزيد بن
مرثد ان رجلا جاع بمكان ليس فيه شي فقال اللهم رزقك الذي وعدتني فاتني به فشبع وروي من غير
طعام ولا شراب وعن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه
كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي وفي سنن ابن ماجة عن حبة وسواد ابني خالد قالا دخلنا على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يعالج شيئا فاعناه عليه فقال لا تيئسا من الرزق ما تهزت روسكما فان الانسان
تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله وروي ان قوما من الاعراب زرعوا زرعا فاصابته
جايحة فحزنوا لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت ما لي اراكم قد نكستم روسكم وضاقت صدوركم هو ربنا
والعالم بنا رزقنا عليه ياتينا به من حيث شاء ثم انشات تقول لو كان في صخرة في البحر راسية • صما ململمة
ملس نواحيها • رزق لنفس براها الله لانفلقت • حتى يودي اليها كل ما فيها • او كان بين طباق السبع مسلكها •
لسهل الله في المرقى مراقيها • حتى تنال الذي في اللوح خط لها • ان لم تنله والا سوف ياتيها قلت وفي هذا
المعنى قصة الاشعريين حين ارسلوا رسولهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى وما من دابة
الا على الله رزقها فرجع ولم يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ليس الاشعريون باهون على الله من الدواب
وقد ذكرناه في سورة هود وقال لقمن يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الاية وقد
مضى في لقمان وقد استوفينا هذا الباب في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة وهذا هو التوكل الحقيقي
الذي لا يشوبه شي وهو فراغ القلب مع الرب رزقنا الله اياه ولا احالنا الى احد سواه بمنه وكرمه قوله تعم
مثل ما انكم تنطقون قراءة العامة مثل بالنصب اي كمثل ما انكم فهو منصوب على تقدير حذف الكاف اي
كمثل نطقكم وما زايدة قال بعض الكوفيين وقال الزجاج والفرا يجوزان ينتصب على التوكيد اي لحق حقا مثل
نطقكم فكانه نعت لمصدر محذوف وقيل سيبويه انه مبني بني حين اضيف الى غير متمكن وما زايدة للتوكيد
المازني مثل مع ما بمنزلة شي واحد فبني على الفتح كذلك واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان من العرب
من يجعل مثلا منصوبا ابدا فيقول قال لي رجل مثلك ومررت برجل مثلك نصب وقرا ابو بكر وحمزة والكساي
والاعمش مثل بالرفع على انه صفة لحق لانه نكرة وان اضيف الى معرفة اذ لا يختص بالاضافة لكثرة الاشياء
التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين ومثل مضاف الى انكم وما زايدة ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر
اذ لا فعل معها يكون معه مصدرا ويجوز ان يكون بدلا من لحق قوله تعم هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين

ذكر قصة ابرهيم عليه السلام ليبين بها انه اهلك المكذب باياته كما فعل بقوم لوط هل اتاك اي الم ياتك وقيل هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد مضى الكلام في ضيف ابرهيم في هود والحجر المكرمين اي عند الله دليله قوله بل عباد مكرمون قال ابن عباس يريد جبريل وميكائيل واسرافيل زاد عثمان ابن محيصن ورفائيل عليهم السلام وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه تسعة وقال عطا وجماعة كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر قال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم غير مدعوين وقال مجاهد سماهم مكرمين لخدمة ابرهيم اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال علي بن عياض عندي هريسة ما رايك فيها قلت ما احسن رايي فيها قال امض بنا فدخلت الدار فنادى الغلام فاذا هو غايب فما راعني الا به ومعه القمقمة والطست وعلى عاتقه المنديل فقلت انا لله وانا اليه راجعون لو علمت يا ابا الحسن ان الامر هكذا فقال هون عليك فانك عندنا مكرم والكريم انما يخدم بالنفس انظر الى قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما تقدم في الحجر قال سلام اي عليكم سلام ويكون بمعنى امري سلام او ردي لكم سلام وقرا اهل الكوفة الا عاصما سلم بكسر السين قوم منكرون اي انتم قوم منكرون غربا لا نعرفكم وقيل انكرهم على غير صور البشر وعلى غير صور الملايكة الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال قوم منكرون وقيل انكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض وقيل خافهم يقال انكرته اذا خفته قال الشاعر فانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا قوله تعالى فراغ الى اهله قال الزجاج اي عدل الى اهله وقد مضى في والصافات ويقال راغ وارتاغ بمعنى طلب وماذا ترتاغ اي تريد وتطلب واراغ الى كذا اي مال اليه سرا وحاد فعلى هذا يكون راغ واراغ بمعنى حاد فجاء بعجل سمين اي جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في هود فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ويقال ان ابرهيم انطلق الى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد ان يتخذه لهم من الطعام قوله تعالى فقربه اليهم يعني العجل فقال الا تاكلون قال قتادة كان عامة مال ابرهيم البقر واختاره لهم سمينا زيادة في اكرامهم وقيل العجل في بعض اللغات الشاة ذكره القشيري وفي الصحاح العجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى عجلة عن ابي الجراح وبقرة معجلة ذات عجل وعجل قبيلة من ربيعة قوله تعالى فاوجس منهم خيفة اي اوجس في نفسه منهم خوفا وقيل اضمر لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من تحرم بطعام انسان امنه وقال عمرو بن دينار قالت الملايكة لا ناكل الا بثمن قال كلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسموا باسم الله اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم فنظر بعضهم الى بعض وقالوا لهذا اتخذك الله خليلا وقد تقدم هذا في هود ولما راوا ما بابرهيم من الخوف قالوا لا تخف واعلموه انهم ملايكة الله ورسله وبشروه بغلام عليم اي بولد يولد له من سارة زوجته وقيل لما اخبروه انهم ملايكة لم يصدقهم فدعوا الله فاحيي العجل الذي قربه اليهم و روى عون بن ابي شداد ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وام العجل في الدار ومعنى عليم اي يكون بعد بلوغه من اولي العلم بالله وبدينه والجمهور على ان المبشر به هو اسحق وقال مجاهد وحده هو اسمعيل وليس بشي فان الله تعالى يقول فبشرناه باسحق وهذا نص قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة اي في صيحة وضجة عن ابن عباس وغيره ومنه اخذ صرير الباب وهو صوته وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والتاوه ولم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان قال الفرا وانما هو كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي وقيل اقبلت في صرة اي في جماعة من الناس تسمع كلام الملايكة قال الجوهري الصرة الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من كرب وغيره قال امرو القيس فالحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة وصرة القيظ

اي حسرة حره فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها اي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب قاله سفيان الثوري وغيره وقال ابن عباس صكت وجهها لطمته واصل الصك الضرب صكه اي ضربه قال الراجز يا كروانا صك فاكبانا . قال الاموي كبن الظبي اذا لطا بالارض واكبان انقبض وقالت عجوز عقيم اي اتلد عجوز عقيم الزجاج اي وقالت انا عجوز عقيم فكيف الد كما قالت يا ويلتى االد وانا عجوز قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي فيه وكان بين البشارة والولادة سنة وكانت سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسعين وابرهيم يوميذ ابن ماية سنة وقد مضى هذا انه هو الحكيم العليم حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون قوله فما خطبكم اي شانكم وقصتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يريد قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين اي لنرجمهم بها مسومة اي معلمة قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل مسومة اي معروفة بانها حجارة العذاب وقيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضى هذا كله في هود فجعلت الحجارة تتبع مسافرهم وشذاذهم فلم يفلت منهم مخبر عند ربك اي عند ذلك وقد اعدها لرجم من قضى برجمه ثم قيل كانت مطبوخة طبخ الاجر قاله ابن زيد وهو معنى قوله حجارة من سجيل على ما تقدم بيانه في هود وقيل هي الحجارة التي نراها واصلها طين وانما تصير حجارة باحراق الشمس اياها على مر الدهور وانما قال من طين ليعلم انها حجارة الما التي هي البرد حكاه القشيري قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان في قومه من المومنين لئلا يهلك المومنون و ذلك قوله لوط فاسر باهلك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وبنتيه وفيه اضمار اي فما وجدنا فيها غير اهل بيت وقد يقال بيت شريف يراد به الاهل وقوله فيها كناية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم وايضا فقوله تعالى الى قوم مجرمين يدل على القرية لان القوم يسكنون قرية وقيل الضمير فيها للجماعة والمومنون والمسلمون ههنا سوا لجنس اللفظ لئلا يتكرر كما قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل الايمان تصديق القلب والاسلام الانقياد بالظاهر فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا فسماهم في الاية الاولى مومنين لانه ما من مومن الا وهو مسلم وقد مضى الكلام في هذا المعنى في البقرة وغيرها وقوله قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا الاية تدل على الفرق بين الايمان والاسلام وهو مقتضى حديث جبريل

عليه السلام في صحيح مسلم وغيره وقد بيناه في غير موضع قوله تع وتركنا فيها اية اي عبرة وعلامة لاهل ذلك
الزمان ومن بعدهم ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة في نفس القرية الخربة وقيل
الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الاية للذين يخافون لانهم المنتفعون قوله تعالى وفي موسى اي وتركنا ايضا
في قصة موسى اية وقال الفرا هو معطوف على قوله وفي الارض ايات وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين اي بحجة بينة وهي العصا وقيل اي بالمعجزات من العصا وغيرها قوله تعالى فتولى بركنه اي
اعرض فرعون عن الايمان بركنه اي بجموعه واجناده قاله ابن زيد وهو معنى قول مجاهد وهو معنى قوله
او اوي الى ركن شديد يعني المنعة والعشيرة وقال ابن عباس وقتادة بقوته ومنه قول عنترة فما اوهى مهاب
الحرب ركني ولكن ما تقدم من زماني وقيل بنفسه وقال الاخفش بجانبه كقوله اعرض ونا بجانبه
وقاله المؤرخ الجوهري وركن الشيء جانبه الاقوى وهو يأوي الى ركن شديد اي عز ومنعة قال
القشيري والركن جانب البدن وهذا عبارة عن المبالغة في الاعراض عن الشيء وقال ساحر او مجنون
او بمعنى الواو لانهم قالوهما جميعا قاله المؤرخ والفرا وانشد بيت جرير اثعلبة الفوارس او رياحا
عدلت بهم طهية والخشابا وقد توضع او بمعنى الواو كقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والواو
بمعنى او كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وقد تقدم جميع هذا
فاخذناه وجنوده بكفرهم وتوليهم عن الايمان فنبذناهم اي طرحناهم في اليم وهو مليم يعني فرعون
لانه اتى ما يلام عليه قوله تعالى وفي عاد اي وتركنا في عاد اية لمن تامل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي
التي لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة ومنه امراة عقيم لا تحمل ولا تلد
ثم قيل هي الجنوب روى ابن ابي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الريح
العقيم الجنوب وقال مقاتل هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وقال ابن عباس هي النكبا وقال عبيد بن عمير مسكنها الارض الرابعة وما فتح على عاد منها
الا كقدر منخر الثور وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ايضا انها الصبا فالله اعلم قوله تعالى ما تذر من شيء
اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم قال ابن عباس
كالشيء الهالك البالي وقاله مجاهد ومنه قول الشاعر تركتني حين كف الدهر من بصري واذ بقيت
كعظم الرمة البالي وقال قتادة انه الذي ديس من يابس النبات وقال ابو العالية والسدي كالتراب
المدقوق قطرب الرميم الرماد وقال يمان ما رمته الماشية من الكلا بمرمتها ويقال للشفة المرمة والمرمة
بالكسر والمرمة بالفتح لغة فيه واصل الكلمة من رم العظم اذا بلي تقول منه رم العظم يرم بالكسر
رمة فهو رميم قال ورأى عواقب خلف ذاك مذمة تبقى عليه والعظام رميم والرمة بالكسر
العظام البالية والجمع رمام ورمم ونظير هذه الاية تدمر كل شيء حسبما تقدم قوله تعالى وفي ثمود اي
وفيهم ايضا عبرة واية حين قيل لهم عيشوا متمتعين بالدنيا حتى حين اي الى وقت الهلاك وهو ثلاثة
ايام كما في هود تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وقيل معنى تمتعوا اي اسلموا وتمتعوا الى وقت فناء اجالكم
فعتوا عن امر ربهم اي خالفوا امر الله فعقروا الناقة فاخذتهم الصاعقة اي الموت وقيل هي كل عذاب
مهلك قال الحسين بن واقد كل صاعقة في القران فهو العذاب وقرا عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن
ومجاهد والكسائي الصعقة يقال صعق الرجل صعقة وتصاعقا اي غشي عليه وصعقتهم السماء
اي القت عليهم الصاعقة والصاعقة ايضا صيحة العذاب وقد مضى في البقرة وغيرها وهم ينظرون
اليها نهارا فما استطاعوا من قيام قيل معناه من نهوض وقيل معناه ما اطاقوا ان يستقلوا بعذاب
الله وان يتحملوه ويقوموا به او يدفعوا عن انفسهم تقول لا اقوم لهذا الامر اي لا اطيقه وقال ابن عباس

اي ذهبت اجسامهم وبقيت ارواحهم في العذاب وما كانوا منتصرين اي ممتنعين من العذاب
حين اهلكوا اي ما كان لهم قوله تعالى وقوم نوح من قبل قرا حمزة والكسائي وابو عمرو وقوم نوح
بالخفض اي وفي قوم نوح اية ايضا الباقون بالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح او يكون معطوفا
على الهاء والميم في اخذتهم او الهاء في اخذناه اي فاخذتهم الصاعقة واخذت قوم نوح او نبذناهم
في اليم ونبذنا قوم نوح او يكون بمعنى اذكر قوله تعالى والسماء بنيناها بايد لما بين هذه الايات
قال وفي السماء ايات وعبر تدل على ان الصانع قادر على الكمال فعطف امر السماء على قصة نوح
لانهما ايتان ومعنى بايد اي بقوة وقدرة عن ابن عباس وغيره وانا لموسعون الرزق على خلقنا عن
ابن عباس ايضا الحسن وانا لمطيقون وعنه ايضا لموسعون الرزق بالمطر وقال الضحاك اغنيناكم
دليله على الموسع قدره وقال القتبي ذو سعة على خلقنا والمعنى متقارب وقيل جعلنا بينها وبين
الارض سعة الجوهري واوسع الرجل اي صار ذا سعة وغنى ومنه قوله تعالى والسماء بنيناها بايد
وانا لموسعون اي اغنياء قادرون فشمل جميع الاقوال والارض فرشناها اي بسطناها كالفراش على
وجه الماء ومددناها فنعم الماهدون نحن لهم والمعنى في الجمع التعظيم مهدت الفراش مهدا بسطته
ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين
ونوعين مختلفين قال ابن زيد اي ذكرا وانثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك مجاهد يعني الذكر والانثى
والسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والجن والانس والخير
والشر والبكرة والعشي وكالاشياء المختلفة الالوان من الطعوم والارايح والاصوات اي جعلنا
هذا كله دلالة على قدرتنا ومن قدر على هذا فليقدر على الاعادة وقيل ومن كل شيء خلقنا زوجين لتعلموا
ان خالق الازواج فرد فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون ولا ضياء ولا ظلام ولا قعود ولا قيام ولا
ابتداء ولا انتهاء اذ هو عز وجل وتر ليس كمثله شيء لعلكم تذكرون قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه
نذير مبين لما تقدم ما جرى من تكذيب الامم لانبيائهم واهلاكهم لذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل لهم يا محمد اي قل لقومك ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين اي فروا من معاصيه الى طاعته
وقال ابن عباس فروا الى الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال محمد بن عبد الله
بن عمرو بن عثمان بن عفان فروا الى الله اخرجوا الى مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا من كل شيء من دون
الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقال ابو بكر الوراق فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقال
الجنيد داع الى الباطل ففروا الى الله يمنعكم منه وقال ذو النون المصري ففروا من الجهل الى العلم ومن الكفر
الى الشكر وقال عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الى ربكم وقال ايضا فروا الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا
على حركاتكم وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير مبين اي انذركم عقابه
على الكفر والمعصية قوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا
للناس وهو النذير وقيل هو خطاب من الله للخلق اني لكم منه اي من محمد وسيوفه نذير اي انذركم
باسه وسيفه ان اشركتم بي قاله ابن عباس قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم
والكاف من كذلك يجوز ان تكون نصبا على تقدير انذركم انذارا كانذار من تقدمني من الرسل الذين
انذروا قومهم او رفعا على تقدير الامر كذلك اي كالاول والاول تخويف لمن عصاه من الموحدين
والثاني لمن اشرك به من الملحدين والتمام على قوله كذلك عن يعقوب وغيره قوله تعالى اتواصوا به اي
اوصى اولهم اخرهم بالتكذيب وتواصوا عليه والالف للتوبيخ والتعجب بل هم قوم طاغون اي لم يوصي بعضهم

بعضًا بل هم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم واصفح عنهم فما انت بملوم
عند الله لانك اديت ما عليك من تبليغ الرسالة ثم نسخ هذا بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقيل نسخ باية السيف والاول قول الضحاك لانه قد امر بالاقبال عليهم بالموعظة وقال مجاهد فتول
عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم اي ليس يلومك ربك على تقصير كان منك وذكر اي بالعظة فان العظة
تنفع المؤمنين قتادة وذكر بالقران فان الذكرى به تنفع المؤمنين وقيل ذكرهم بالعقوبة وايام الله وخص
المؤمنين لانهم المنتفعون بها قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قيل ان هذا خاص فيمن سبق في
علم الله انه يعبده فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص المعنى وما خلقت اهل السعادة من الجن والانس الا ليوحدون
قال القشيري والاية دخلها التخصيص على القطع لان المجانين والصبيان ما امروا بالعبادة حتى يقال اراد منهم
العبادة وقد قال الله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة
فالاية محمولة على المؤمنين منهم وهو كقوله قالت الاعراب امنا وانما قال فريق منهم ذكره الضحاك والكلبي
والفرا والقتبي وفي قراءة عبد الله وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا
القول ويدل عليه قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا فان قيل كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار
بربوبيته والتذلل لامره ومشيئته قيل قد تذللوا لقضائه عليهم ممتنع منه وقيل الا ليعبدون
الا ليقروا بالعبادة طوعا او كرها رواه عثمان بن ابي طلحة عن ابن عباس فالكره ما يرى فيهم من اثر الصنعة
مجاهد الا ليعرفوني الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا
التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما اشبه هذا من الايات وعن مجاهد ايضا الا لامرهم وانهاهم زيد
ابن اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقيا
منهم للمعصية وعن الكلبي ايضا الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر
فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء يدل عليه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين الاية وقال عكرمة الا ليعبدون ويطيعون فاثيب العابد واعاقب الجاحد وقيل
المعنى الا لاستعبدهم والمعنى متقارب تقول عبد بين العبودة واصل العبودية الخضوع والذل و
التعبد التذلل يقال طريق معبد قال وظيفا وظيفا فوق مور معبد والتعبيد الاستعباد وهو
ان يتخذه عبدا وكذلك الاعتباد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك فمعنى ليعبدون ليذلوا
ويخضعوا ويعبدوا واما اريد منهم من رزق ومن صلة اي ان يرزقوا انا الرازق والمعطي وقال ابن عباس وابو
الجوزاء ما اريد ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموها وقيل المعنى ما اريد ان يرزقوا عبادي ولا ان
يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن محيصن وغيره الرازق ذو القوة المتين اي الشديد القوي
وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب والنخعي المتين بالجر على النعت للقوة الباقون بالرفع على النعت للرزاق
او ذو من قوله ذو القوة او يكون خبر ابتداء محذوف او نعتا لاسم ان على الموضع او خبرا بعد خبر
قال الفرا كان حقه المتينة فذكره لانه ذهب بها الى الشيء المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين
وانشد الفرا لكل دهر قد لبست اثوبا ° حتى اكتسى الراس قناعا اشيبا ° من ريطة واليمنة المعصبا
فذكر المعصب لان اليمنة صنف من الثياب ومن هذا الباب قوله تعالى فمن جاءه موعظة من
ربه اي وعظ واخذ الذين ظلموا الصيحة اي الصياح والصوت قوله تعالى فان للذين ظلموا اي كفروا
من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم السالفة
وقال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة

وكانوا

وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الانصباء فقيل للذنوب نصيب ومن هذا قال
الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب ° فان ابيتم فلنا القليب وقال علقمة وفي كل يوم قد خبطت بنعمة °
فحق لشاس من نداك ذنوب وقال اخر لعمرك والمنايا طارقات ° لكل بني اب منها ذنوب الجوهري
والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن والذنوب الدلو الملأى
ماء وقال ابن السكيت فيها ماء قريب من الملء يؤنث ويذكر ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب والجمع
في ادنى العدد اذنبة والكثير ذنائب مثل قلوص وقلائص فلا يستعجلون اي فلا يستعجلوا نزول
العذاب لانهم قالوا يا محمد ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله به
وعده وعجل به انتقامه ثم لهم في الاخرة العذاب الدائم والخزي القائم الذي لا انقطاع له ولا
نفاد ولا غاية ولا اباد سورة والطور مكية وهي ثمان واربعون اية في قول الجميع روى الائمة

تفسير سورة الطور وهي مكية باجماع

عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بالطور في المغرب متفق ه
بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع
والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال
سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه
النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم
من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون
فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب
السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين قوله تعالى
والطور الطور اسم من اسماء الجبل الذي كلم الله عليه موسى اقسم الله به تشريفا وتكريما وتذكيرا
بما فيه من الايات وهو احد جبال الجنة روى اسمعيل بن اسحق قال حدثنا اسمعيل بن ابي ادريس قال
حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة اجبال من جبال الجنة واربعة انهار من انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل
فما الجبال قال جبل احد يحبنا ونحبه والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة
وذكر الحديث وقد استوفيناه في كتاب التذكرة قال مجاهد هو بالسريانية والمراد به طور سينا
وقاله السدي وقال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا والاخر طور زيتا
لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل بمدين واسمه زبير قال الجوهري والزبير الجبل الذي
كلم الله عليه موسى عليه السلام قلت ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه
السلام وقيل ان الطور كل جبل ينبت وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس وقد مضى في البقرة مستوفى
قوله تعالى وكتاب مسطور اي مكتوب يعني القران يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه
الملائكة من اللوح المحفوظ كما قال تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون وقيل يعني سائر الكتب المنزلة
على الانبياء وكان كل كتاب في رق ينشره اهله لقراءته وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من

التورية وموسى يسمع صرير القلم وقال الفرا هو صحايف الاعمال فمن اخذ كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله
نظيره ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقيل ان الكتاب الذي كتبه
الله تعالى للملائكة في السماء يقرؤن فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتب الله في قلوب الاولياء
من المؤمنين بيانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان قلت وفي هذا القول تجوز لانه عبر بالقلوب عن
الرق قال المبرد الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه والمنشور المبسوط وكذا قال الجوهري في الصحاح قال
الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور والرق ايضا العظيم من السلاحف
قال ابو عبيدة وجمعه رقوق والمعنى المراد ما قاله الفرا والله اعلم وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها
ومنه قول المتلمس فكانما من تقادم عهدها رق اتيح كتابها مسطور واما الرق بالكسر فهو الملك يقال
عبد مرقوق وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الرق بالفتح ما بين المشرق والمغرب قوله تعالى والبيت المعمور
قال علي وابن عباس وغيرهما هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم يخرجون
منه فلا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو بيت في السماء السادسة وقيل في السماء الرابعة روى
انس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتي بي الى السماء الرابعة
فرفع لنا البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا
منه لم يعودوا اليه ذكره الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس انه في السماء الدنيا وقال ابو بكر الانباري
سال ابن الكوا عليا رضي الله عنه قال فما البيت المعمور قال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال
له الضراح وكذا في الصحاح والضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس وعمر
انه كثرت غاشيته من الملائكة وقال المهدوي عند اخر العرش والذي في صحيح مسلم عن مالك بن صعصعة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا ثم رفع الى البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه اخر ما عليهم وذكر الحديث
وفي حديث ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق الحديث وفيه
ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابرهيم عليه السلام
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابن
عباس ايضا قال لله في السموات والارضين خمسة عشر بيتا سبعة في السموات وسبعة في الارضين
والكعبة وكلها مقابلة الكعبة وقال الحسن البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس
يعمره الله كل سنة بستمائة الف فان عجز الناس عن ذلك اتمه الله من الملائكة وهو اول بيت وضعه الله للعباد
في الارض وقال الربيع بن انس ان البيت المعمور كان في الارض موضع الكعبة في زمان ادم عليه السلام
فلما كان زمان نوح امرهم ان يحجوه فابوا عليه وعصوه فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء
الدنيا فيعمره كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه حتى ينفخ في الصور قال فبوا الله لابرهيم مكان
البيت الحرام حيث كان قال الله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود والسقف المرفوع يعني السماء سماها سقفا لانها للارض
كالسقف للبيت بيانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة
والبحر المسجور قال مجاهد الموقد وقد جاء في الخبر ان البحر يسجر يوم القيمة فيكون نارا وقال
قتادة المملوا وانشد النحويون للنمر بن تولب اذا شاء طالع مسجورة يرى حولها النبع والسما سماه
بريد وعلا يطالع عينا مسجورة مملوءة فيجوز ان يكون المملو نارا فيكون كالقول المتقدم وكذا قال

الضحاك

الضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والاخفش انه الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل للمسعر
مسجر ودليل هذا التاويل واذا البحار سجرت اي اوقدت سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وقال
سعيد بن المسيب قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود اين جهنم قال البحر قال ما اراك الا صادقا وتلا
والبحر المسجور واذا البحار سجرت مخففة وقال عبد الله بن عمرو لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم
وقال كعب يسجر البحر غدا فيزاد في نار جهنم فهذا قول وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه وقاله
ابو العالية وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال خرجت امة لتستقي فقالت ان
الحوض مسجور اي فارغ قال ابن ابي داود ليس لذي الرمة حديث الا هذا وقيل المسجور اي المفجور دليله واذا
البحار فجرت اي تنشفها الارض فلا يبقى فيها ماء وقول ثالث قاله علي رضي الله عنه وعكرمة قال
ابو مكين سالت عكرمة عن البحر المسجور فقال هو بحر دون العرش قال علي تحت العرش فيه ماء غليظ
يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقال
الربيع بن انس المسجور المختلط العذب بالملح قلت واليه يرجع معنى فجرت في احد التاويلين اي
فجر عذبها في مالحها والله اعلم وسياتي وروى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال المسجور
المحبوس ان عذاب ربك لواقع هذا جواب القسم اي واقع بالمشركين قال جبير بن مطعم قدمت المدينة
لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فلقيته يقرا في صلاة المغرب والطور
الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول العذاب
وما كنت اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب وقال هشام بن حسان انطلقت انا ومالك
ابن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا والطور حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى الحسن
وبكى اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه ولما ولي بكار القضا جا اليه رجلان يختصمان
فتوجهت على احدهما اليمين فرغب الى الصلح بينهما وان يعطي خصمه من عنده عوضا من يمينه
فابى الا اليمين فاحلفه باول والطور الى ان قال له قل ان عذاب ربك لواقع ان كنت كاذبا فخرج
فكسر من حينه قوله تعالى يوم تمور السماء مورا العامل في يوم قوله واقع اي يقع العذاب بهم يوم
القيمة وهو اليوم الذي تمور فيه السماء قال اهل اللغة مار الشي يمور مورا اي تحرك وجاء
وذهب كما تتكفا النخلة العيدانة اي الطويلة والتمور مثله وقال الضحاك يموج بعضها في بعض
مجاهد تدور دورا ابو عبيدة والاخفش تكفا وانشد البيت للاعشى كان مشيتها من بيت جارتها
مور السحابة لا ريث ولا عجل وقيل تجري جريا ومنه قول جرير وما زالت القتلى تمور دماؤها
بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وقال ابن عباس تمور اي تدور بما فيها وتضطرب وقيل يدور اهلها فيها
ويموج بعضهم في بعض والمور ايضا الطريق ومنه قول طرفة فوق مور معبد والمور الموج
وناقة موارة اليد اي سريعة والبعير يمور عضداه اذا تردد في عرض جنبيه قال الشاعر
على موار الملاط حصان الملاط الجنب وقولهم لا ادري اغار ام مار اي اتى غورا ام دار فرجع الى نجد
والمور بالضم الغبار بالريح وقيل ان السما ههنا الفلك ومور اضطراب نظمه واختلاف سيره قاله
ابن بحر وتسير الجبال سيرا قال مقاتل تسير عن اماكنها حتى تستوي بالارض وقيل تسير كسير
السحاب اليوم في الدنيا بيانه وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد مضى هذا المعنى في
الكهف فويل يومئذ للمكذبين ويل كلمة تقال للهالك وانما دخلت الفاء لان في الكلام معنى
المجازاة الذين هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل وهو خوضهم في امر محمد بالتكذيب
وقيل في خوض في اسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء وقد مضى في براءة قوله تعالى

يوم يدعون بدل من يومئذ ويدعون معناه يدفعون الى نار جهنم بشدة وعنف يقال دعته ادعه
دعا اي دفعته ومنه قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم وفي التفسير ان خزنة جهنم يغلون ايديهم
الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم في النار دفعا على وجوههم وزجا في
اعناقهم حتى يردوا النار وقرا ابو رجا العطاردي وابن السميقع يوم يدعون الى نار جهنم دعا بالتخفيف
من الدعا فاذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا **قوله تعالى**
افسحر هذا استفهام معناه التوبيخ والتقريع اي يقال لهم افسحر هذا الذي ترونه الان باعينكم ام انتم
لا تبصرون وقيل ام بمعنى بل اي بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون **قوله تعالى** اصلوها اي يقول
لهم الخزنة ذوقوا حرها بالدخول فيها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي سوا كان لكم فيها صبر
او لم يكن فسواء خبره محذوف اي سوا عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شي كما اخبر عنهم انهم يقولون
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا انما تجزون ما كنتم تعملون **قوله تعالى** ان المتقين في جنات ونعيم لما
ذكر حال الكفار ذكر حال المتقين ايضا فاكهين اي ذو فاكهة كثيرة يقال رجل فاكه اي ذو فاكهة
كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وتمر **قال** وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر اي ذو لبن
وتمر وقرا الحسن وغيره فكهين بغير الف ومعناه معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره يقال
فكه الرجل اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وقد مضى في الدخان القول في
هذا بما اتاهم اي اعطاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيئا الهنى
ما لا تنغيص فيه ولا تكدير ولا كدر قال الزجاج يهنئكم ما صرتم اليه هنيئا هنيئا فهو صفة في موضع
المصدر وقيل هنيئا اي حلالا وقيل لا اذى فيه ولا غائلة وقيل هنيئا اي لا تموتون فان ما لا يبقى
او لا يبقى الانسان معه منغص غير هني **قوله تعالى** متكئين على سرر جمع سرير وفي الكلام حذف
تقديره متكئين على نمارق على سرر مصفوفة قال ابن الاعرابي اي موصولة بعضها الى بعض حتى
تصير صفا وفي الاخبار انها تصف في السماء بطول كذا وكذا فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت
له فاذا جلس عليها عادت الى حالها قال ابن عباس هي سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت
والسرير ما بين مكة وايلة وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بها قال يونس بن حبيب تقول العرب
تزوجت امراة وزوجته امراة وليس من كلام العرب تزوجت بامراة قال وقول الله عز
وجل وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن من قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم
اي وقرناهم وقال الفرا تزوجت بامراة لغة في ازد شنوة وقد مضى القول في معنى الحور العين
قوله تعالى والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم قراءة العامة واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التاء
وفتح العين واسكان التاء وقرا ابو عمرو واتبعناهم بقطع الالف واسكان التاء والعين ونون
اعتبارا بقوله الحقنا بهم ليكون الكلام على نسق واحد فاما قوله ذريتهم الاول فقراه بالجمع
ابن عامر وابو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع الا ان ابا عمرو كسر التاء على المفعول وضم باقيهم
الباقون ذريتهم على التوحيد وضم التاء وهو المشهور عن نافع فاما الثانية فقرا نافع وابن عامر
وابو عمرو ويعقوب بكسر التاء على الجمع الباقون ذريتهم على التوحيد وفتح التاء واختلف في معناه
فعن ابن عباس اربع روايات الاولى انه قال ان الله ليرفع ذرية المومن اليه وان كانوا دونه في
العمل لتقر عينه وتلا هذه الاية ورواه مرفوعا النحاس في الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليرفع ذرية المومن معه في درجته
وان كان لم يبلغها بعمله لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الاية

فضل الحديث مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يجب ان يكون لان ابن عباس
لا يقول هذا الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن الله عز وجل بما يفعله
وبمعنى اية انزلها جل ثناؤه الزمخشري فيجمع الله لهم انواع السرور وسعادتهم في انفسهم
وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم
وعن ابن عباس ايضا انه قال ان الله ليلحق بالمومن من ذريته الصغار الذين لم يبلغوا الايمان
قال المهدوي والذرية تقع على الصغار والكبار فان جعلت الذرية ههنا الصغار كان
قوله بايمان في موضع الحال من المفعولين وكان التقدير بايمان من الاباء وان جعلت الذرية
من الكبار كان بايمان حالا من الفاعلين القول الثالث عن ابن عباس ان المراد بالذين امنوا
المهاجرون والانصار والذرية التابعون وفي رواية عنه انه كان الاباء ارفع درجة رفع الله
الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة رفع الله الاباء الى الابناء فالاباء داخلون في اسم
الذرية كقوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وعن ابن عباس ايضا يرفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة سال احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده
فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول يا رب اني عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم وقالت خديجة
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما في النار فلما راى
الكراهية في وجهي قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة
ثم قال ان المومنين واولادهم في الجنة والمشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم
ذرياتهم الاية وما التناهم من عملهم من شي اي ما نقصنا الابناء من ثواب اعمالهم لقصر اعمارهم
او ما نقصنا الاباء من ثواب اعمالهم شيئا بالحاق الذريات بهم والهاء والميم راجعتان الى قوله
والذين امنوا وقال ابن زيد المعنى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بالذرية ابناءهم
الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالهاء والميم على هذا القول للذرية وقرا ابن كثير وما التناهم بكسر
اللام وفتح الباقون وعن ابن هرمز آلتناهم بالمد قال ابن الاعرابي الته يالته التا والته يولته
ايلاتا ولاته يليته ليتا كلها اذا نقصه وفي الصحاح ولاته عن وجهه يلوته ويليته اي
حبسه عن وجهه وصرفه وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله
شيئا اي ما نقصه مثل التة وقد مضى في الحجرات كل امرئ بما كسب رهين قيل يرجع الى اهل النار
قال ابن عباس ارتهن اهل جهنم باعمالهم وصار اهل الجنة الى نعيمهم ولهذا قال كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان مرتهن بعمله فلا ينقص احد من ثواب عمله فاما الزيادة
على ثواب العمل فهي تفضل من الله ويحتمل ان يكون هذا في الذرية الذين لم يومنوا فلا يلحقون
اباءهم المومنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم **قوله تعالى** وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي اكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله امدهم بها غير الذي كان لهم **قوله تعالى** يتنازعون فيها
كاسا اي يتناولها بعضهم من بعض وهو المومن وزوجاته وخدمه في الجنة والكاس
اناء الخمر وكل كاس مملوءة من شراب او غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا وشاهد التنازع والكاس
في اللغة **قول الاخطل** وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار نازعته طيب
الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري **وقال امرو القيس** فلما تنازعنا
الحديث واسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال وقد مضى هذا في والصافات لا لغو فيها اي
في الكاس اي لا يجري بينهم لغو ولا تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم تفعيل من الاثم اي تلك الكاس

اي لا يجعلهم اثمين لانه مباح لهم وقيل لا لغو فيها اي في الجنة قال ابن عطا اي لا لغو يكون في مجلس
محله جنة عدن وسقاتهم الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم وتحيتهم من عند الله والقوم
اضياف الله ولا تاثيم ولا كذب قاله ابن عباس الضحاك يعني لا يكذب بعضًا وقرا ابن كثير وابن
محيصن وابو عمرو ولا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون بالرفع والتنوين وقد مضى هذا في البقرة
عند قوله لا خلة ولا شفاعة قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالفواكه والتحف والطعام
والشراب دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من معين ثم قيل هم الاطفال
من اولادهم الذين سبقوهم فاقر الله بهم اعينهم وقيل انهم من اخدمهم الله اياهم من اولاد غيرهم
وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدًا كانهم في الحسن والبياض لؤلؤ مكنون
في الصدف والمكنون المصون ويطوف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين وهم خدم
اهل الجنة وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعيم وعن
عايشة رضي الله عنها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي
الخادم من خدمه فيجيبه الف كلهم لبيك لبيك وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه وعن الحسن
انهم قالوا يا رسول الله اذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم فقال بينهما كما بين القمر ليلة
البدر وبين اصغر الكواكب قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي
اسررته وقال ابو زيد كننته واكننته بمعنى في الكن وفي النفس جميعًا تقول كننت العلم واكننته فهو
مكن وكننت الجارية واكننتها فهي مكنونة ومكنة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابن عباس اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضًا وقيل في الجنة يتساءلون اي يتذاكرون ما
كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم وقيل يقول
بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي قال كل مسؤول
منهم لسائله انا كنا قبل اي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله فمن الله علينا اي بالجنة
والمغفرة وقيل بالتوفيق والهداية ووقانا عذاب السموم قال الحسن السموم اسم من اسماء
النار وطبقة من طبقات جهنم وقيل هو النار كما تقول جهنم وقيل اي نار عذاب السموم والسموم
الريح الحارة تؤنث يقال منه سم يومنا فهو مسموم والجمع سمايم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد
يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر
والشمس اكثر قال الراجز اليوم يوم باردٌ سمومه • من جزع اليوم فلا الومه قوله تعالى انا كنا من
قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل ندعوه اي نعبده انه هو
البر الرحيم قرا نافع والكسائي انه بفتح الهمزة ان لانه الباقون بالكسر على الابتداء والبر اللطيف قاله
ابن عباس وعنه ايضا انه الصادق فيما وعد وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي فذكر يا محمد قومك
بالقران فما انت بنعمت ربك يعني برسالة ربك بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي
ولا مجنون وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم فعقبة بن معيط قال انه مجنون وشيبة
ابن ربيعة قال انه ساحر وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم ثم قيل ان معنى فما انت
بنعمت ربك القسم اي ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون وقيل ليس قسمًا وانما هو كما تقول ما
انت بحمد الله بجاهل اي قد براك الله من ذلك قوله تعالى ام يقولون شاعر اي بل تقول محمد
شاعر قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال ابو جعفر النحاس وهذا كلام حسن

الا انه

الا انه غير مبين ولا مشروح يريد سيبويه ان ام في كلام العرب لخروج من حديث الى حديث كما
قال اتجوا غاية ام تلم • فتم الكلام ثم خرج الى شيء اخر فقال • ام الحبل واه بها منجذم • فما جاء
في كتاب الله من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث والنحويون يمثلونها
ببل نتربص به ريب المنون قال قتادة قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفي
شاعر بني فلان قال الضحاك هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه الى انه شاعر اي يهلك عن قريب
كما هلك من قبل من الشعراء وان اباه مات شابًا فربما يموت كما مات ابوه وقال الاخفش
نتربص به الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدًا وقصدت الى زيد والمنون
الموت في قول ابن عباس قال ابو الغول الطهري هم منعوا حمى الوقبى بضرب • يؤلف بين اشتات المنون
يقول ان الضرب يجمع بين قوم متفرقي الامكنة لو اتتهم مناياهم في اماكنهم لاتتهم متفرقة فاجتمعوا
في موضع واحد فاتتهم المنايا مجتمعة وقال السدي عن ابي مالك عن ابن عباس ريب شك
الا ما كان في الطور ريب المنون يعني حوادث الامور قال وقال ابن عباس تربص بها ريب المنون لعلها •
تطلق يومًا او يموت حليلها • وقال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر والمنون هو الدهر
قال ابو ذويب امن الدهر وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع • وقال الاعشى
ءان رات رجلًا اعشى اضر به • ريب المنون ودهر متبل خبل • قال الاصمعي المنون الليل والنهار
وسميا بذلك لانهما ينقصان الاعمار ويقطعان الاجال وعنه انه قيل الدهر منون لانه
يذهب بمنة اي قوته وكذلك المنية ابو عبيدة قيل للدهر منون لانه مضعف من قولهم
حبل منين اي ضعيف والمنين الغبار الضعيف قال الفرا والمنون مؤنثة وتكون واحدا وجمعا
الاصمعي المنون واحد لا جماعة الاخفش هو جماعة لا واحد له والمنون تذكر وتؤنث فمن ذكره
جعله الدهر او الموت ومن انثه فعلى الحمل على المعنى كانه اراد المنية قوله تعالى قل تربصوا اي
قل لهم يا محمد تربصوا اي انتظروا فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين بكم العذاب فعذبوا
يوم بدر بالسيف قوله تعالى ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل
لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم
سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدًا فالذين كفروا
هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا
يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئًا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابًا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم
قوله تعالى ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بالكذب عليك ام هم قوم طاغون اي ام طغوا
بغير عقول وقيل ام بمعنى بل اي بل كفروا طغيانًا وان ظهر لهم الحق وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك
لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها بالتوفيق وقيل
احلامهم اي اذهانهم لان العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لامن وانما يعطى الكافر الذهن
فصار عليه حجة والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الامر والنهي
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما اعقل فلان النصراني فقال مه

ان الكافر لا عقل له اما سمعت قول الله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
وفي حديث ابن عمر فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مه فان العاقل من يعمل بطاعة الله
ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون تقوله اي افتعله وافتراه يعني القران
والتقول تكلف وانما يستعمل في الكذب في غالب الامر ويقال قولتني ما لم اقل واقولتني ما لم اقل
اي ادعيته علي وتقول عليه واقتال عليه تحكم قال ومنزلة في دار صدق وغبطة ❊ وما اقتال
من حكم علي طبيب ❊ فاما الاولى فللانكار والثانية للايجاب اي ليس كما تقولون بل لا يؤمنون جحدا
واستكبارا فليأتوا بحديث مثله اي بقران يشبهه من تلقاء انفسهم ان كانوا صادقين في ان محمدا
افتراه وقرا الجحدري فليأتوا بحديث مثله بالاضافة والهاء في مثله للنبي صلى الله عليه وسلم
واضيف الحديث الذي يراد به القران اليه لانه المبعوث به والهاء على قراءة الجماعة للقران قوله
تعالى ام خلقوا من غير شيء ام صلة زائدة والتقدير اخلقوا من غير شيء قال ابن عباس من غير رب
خلقهم وقدرهم وقيل من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقيم الله عليهم حجة ليسوا كذلك
اليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة قاله ابن عطا وقال ابن كيسان لم يخلقوا عبثا ويتركوا
سدى من غير شيء اي لغير شيء فمن بمعنى اللام ام هم الخالقون اي ايقولون انهم خلقوا
انفسهم فلا ياتمرون لامر الله وهم لا يقولون ذلك واذا اقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم
من الاقرار له بالعبادة دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا السموات والارض
اي ليس الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام عندهم خزائن ربك اي ام عندهم
ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن امره قاله ابن عباس خزائن ربك المطر والرزق وقيل
مفاتيح الرحمة وقال عكرمة النبوة اي افبايديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤا
وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع انواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب
كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها ام هم المصيطرون قال ابن عباس المسلطون الجبارون
وعنه ايضا المبطلون وقال الضحاك وعن ابن عباس ايضا هم المتولون عطا ام هم ارباب قاهرون
قال عطا يقال تسيطرت علي اي اتخذتني خولا لك وقاله ابو عبيدة وفي الصحاح المسيطر والمصيطر
المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب
مسطر والذي يفعله مسيطر ومسيطر يقال سيطرت علينا ابن بحر ام هم المصيطرون اي ام هم الحفظة
ماخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هاهنا حافظا ما كتبه الله في اللوح
المحفوظ وفيه ثلاث لغات الصاد وبها قراءة العامة والسين وهي قراءة ابن محيصن وحميد
ومجاهد وقنبل وهشام وابي حيوة وباشمام الصاد الزاي وهي قراءة حمزة كما تقدم في الصراط
قوله تعالى ام لهم سلم اي ايدعون ان لهم مرتقى في السماء ومصعدا وسببا يستمعون فيه
اي عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي
فليات مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة بينة ان هذا الذي هم عليه حق والسلم واحد السلاليم
التي يرتقى عليها وربما سمي الغرز بذلك قال ابو الربيس الثعلبي يصف ناقته ❊ مطارة قلب ان
ثنى الرجل ربها ❊ بسلم غرز في مناخ تعاجله وقال زهير ومن هاب اسباب المنية يلقها ❊ ولو رام اسباب
السماء بسلم وقال اخر تجنيت لي ذنبا وما ان جنيته ❊ لتتخذني عذرا الى الهجر سلما وقال ابن مقبل
في الجمع لا تحرز المرء احجاء البلاد ولا ❊ تبنى له في السموات السلاليم ❊ الاحجاء النواحي مثل الارجاء
واحدها حجا وحجى مقصور ويروى اعناء البلاد والاعناء ايضا الجوانب والنواحي واحدها عنو بالكسر

وقال ابن

وقال ابن الانباري واحدها عنا مقصور وجاءنا اعناء من الناس واحدهم عنو بالكسر وهم قوم من قبائل
شتى يستمعون فيه اي عليه كقوله في جذوع النخل اي عليها قاله الاخفش وقال ابو عبيدة يستمعون
به وقال الزجاج اي الهم كجبريل الذي ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي قوله تعالى ام له البنات
ولكم البنون سفه احلامهم توبيخا لهم وتقريعا اي اتضيفون الى الله البنات مع انفتكم منهن ومن
كان عقله هكذا فلا يستبعد منه انكار البعث ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون
اي فهم من المغرم الذي تطلبهم به مثقلون اي مجهدون لما كلفتهم به ام عندهم الغيب فهم يكتبون
اي يكتبون للناس ما ارادوه من علم الغيوب وقيل اي ام عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا ان ما
اخبرهم به الرسول من امر القيامة والجنة والنار والبعث باطل وقال قتادة لما قالوا نتربص به ريب
المنون قال الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا متى يموت محمد والى ما يؤول اليه امره وقال ابن عباس
ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه وقال القتبي يكتبون يحكمون
والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي حكم وقوله عليه الصلاة والسلام والذي نفسي
بيده لاحكمن بينكم بكتاب الله اي بحكم الله قوله تعالى ام يريدون كيدا اي مكرا بك في دار الندوة
فالذين كفروا هم المكيدون اي الممكور بهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر
ام لهم اله غير الله يخلق ويرزق ويمنع سبحان الله عما يشركون نزه نفسه ان يكون له شريك
قال الخليل كل ما في سورة والطور من ذكر ام فكله استفهام وليس بعطف قوله تعالى وان يروا كسفا
من السماء ساقطا قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا فاعلم انه لو جعل ذلك لقالوا سحاب مركوم اي بعضه فوق بعض سقط علينا وليس
سماء وهذا فعل المعاند او فعل من استولى عليه التقليد وكان في المشركين القسمان والكسف
جمع كسفة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك ويقال في جمعها ايضا كسف ويقال الكسف
والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد
تقدم القول في هذا في سبحان وغيرها قوله تعالى فذرهم منسوخ باية السيف حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون بفتح الياء قراءة العامة وقرا ابن عامر وعاصم بضمها قال الفراء
هما لغتان صعق وصعق مثل سعد وسعد قال قتادة يوم يموتون وقيل يوم بدر
وقيل عند النفخة الاولى وقيل يوم القيامة ياتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم وقيل يصعقون
بضم الياء من اصعقه الله قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي ما كادوا به النبي
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وهم لا ينصرون من الله ويوم منصوب على البدل من يومهم الذي
فيه يصعقون قوله تعالى وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك قيل قبل موتهم ابن زيد
مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد مجاهد هو الجوع والجهد
سبع سنين ابن عباس هو القتل وعنه عذاب القبر وقاله البراء بن عازب وعلي فدون بمعنى غير
وقيل عذابا اخف من عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي العذاب نازل بهم وقيل لا يعلمون ما
يصيرون اليه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فيه مسئلتان الاولى قوله واصبر
لحكم ربك قيل لقضاء ربك فيما حملك من رسالته وقيل للبلاء فيما ابتلاك به من قومك ثم نسخ
باية السيف الثانية قوله تعالى فانك باعيننا بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل وقيل
بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك والمعنى واحد ومنه قوله تعالى لموسى ولتصنع
على عيني اي بحفظي وحراستي وقد تقدم قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم الى اخرها فيه

مسئلتان الاولى قوله وسبح بحمد ربك حين تقوم اختلف في تاويل قوله حين
تقوم فقال عوف بن مالك وابن مسعود وعطا وسعيد بن جبير وسفيان
الثوري وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده
او سبحانك اللهم وبحمدك فان كان في المجلس خيرا ازددت ثنا حسنا وان كان
غير ذلك كان كفارة له ودليل هذا التاويل ما اخرجه الترمذي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل
ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك قال حديث حسن صحيح غريب وفيه عن ابن
عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مايه مرة من قبل ان يقوم
رب اغفر لي وتب علي انك انت الغفور قال حديث حسن صحيح غريب وقال محمد بن كعب
والضحاك والربيع المعنى حين تقوم الى الصلاة قال الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد
لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا قال الكيا الطبري وهذا فيه بعد فان قوله
حين تقوم لا يدل على التسبيح بعد التكبير فان التكبير هو الذي يكون بعد القيام و
التسبيح يكون وراء ذلك فدل على ان المراد فيه حين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود
رضي الله عنه وقال ابو الجوزا حسان ابن عطية المعنى حين تقوم من منامك قال حسان
ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله وقال الكلبي واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك
الى ان تدخل في الصلاة وهي صلاة الفجر وفي هذا روايات مختلفة صحاح منها حديث
عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا
قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته
خرجه البخاري تعار من الليل اذا هب من نومه مع صوت ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو
صوته وبعضهم يقول عر الظليم يعر عرارا كما قالوا زمر الطعام يزمر زمارا وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام الى الصلوة من جوف الليل اللهم لك الحمد
انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك
الحمد انت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاوك
حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك
توكلت وبك امنت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت واخرت
واسررت واعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك متفق عليه وعن
ابن عباس ايضا انه عليه الصلاة والسلام كان اذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه
ثم قرا العشر الايات الاواخر من سورة آل عمران وقال زيد بن اسلم المعنى حين تقوم من نوم القايلة
لصلاة الظهر قال ابن العربي اما نوم القايلة فليس فيه اثر وهو يلحق بنوم الليل وقال الضحاك
انه التسبيح في الصلاة اذا قام اليها الماوردي وفي هذا التسبيح قولان احدهما قوله سبحان ربي
العظيم في الركوع وسبحان ربي الاعلى في السجود الثاني انه التوجه في الصلاة يقول سبحانك
اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك قال ابن العربي من قال انه التسبيح للصلاة
فهذا افضله والاثار في ذلك كثيرة اعظمها ما ثبت عن علي ابن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان كان

انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي الحديث وقد ذكرناه وغيره في اخر سورة الانعام وفي
البخاري عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله علمني دعاء ادعو به في صلاتي فقال
قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي من عندك مغفرة وارحمني
انت الغفور الرحيم الثانية قوله ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تقدم في ق مستوفى عند قوله
ومن الليل فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم فقال علي وابن عباس وجابر وانس يعني ركعتي
الفجر فحمل بعض العلماء الاية على هذا القول على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس وعن الضحاك
وابن زيد ان قوله وادبار النجوم يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري وعن ابن عباس انه التسبيح
في ادبار الصلوات وبكسر الهمزة في ادبار النجوم قراءة القراء السبعة على المصدر حسبما بيناه في ق
وقرا سالم بن ابي الجعد ومحمد بن السميقع وادبار بالفتح ومثله عن يعقوب وسلام وايوب وهو جمع دبر
ودبر الامر ودبره اخره وروى الترمذي من حديث محمد بن الفضيل عن رشدين كريب عن ابيه عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب
قال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين وسالت
محمد بن اسمعيل عن محمد ورشدين كريب ايهما اوثق فقال ما اقربهما ومحمد عندي ارجح وقال
سالت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا فقال ما اقربهما ورشدين كريب ارجحهما عندي قال الترمذي
والقول عندي ما قال ابو محمد ورشد عندي ارجح من محمد واقدم وقد ادرك رشد ابن عباس وراه
وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد معاهدة
منه على ركعتين قبل الصبح وعنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها
سورة والنجم وهي احدى وستون اية مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة
الا اية وهي قوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش وقيل اثنان وستون وقيل ان السورة
كلها مدنية والصحيح انها مكية لما روى ابن مسعود قال هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة وفي البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس وعن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فسجد لها فما بقي احد من القوم
الا سجد فاخذ رجل من القوم كفا من حصبا او تراب فرفعه الى وجهه وقال يكفيني هذا قال عبد
الله فلقد رايته بعد قتل كافرا متفق عليه الرجل يقال له امية بن خلف وفي الصحيحين عن زيد
ابن ثابت انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم اذا هوى فلم يسجد وقد مضى في اخر الاعراف
القول في هذا بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى
لقد راى من ايات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك
اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا
يومنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيا قوله تعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس ومجاهد معنى والنجم اذا هوى والثريا اذا سقطت

تفسير سورة والنجم وهي مكية

مع الجو والعرب تسمي الثريا نجمًا وان كانت في العدد نجومًا يقال انها سبعة انجم ستة ظاهرة وواحدة
خفية يمتحن الناس بها ابصارهم وفي الشفا للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في
الثريا احدى عشر نجمًا وعن مجاهد ايضا ان المعنى والقرآن اذا نزل لانه كان ينزل نجومًا وقاله الفرا
وعنه ايضا يعني نجوم السماء كلها حين تغرب وهو قول الحسن قال اقسم الله بالنجم الدغار وليس يمتنع
ان يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع كقول الراعي فباتت تعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الآكلين جمودها •
وقال عمر بن ابي ربيعة احسن النجم في السماء الثريا • والثريا في الارض زين النسا • وقال الحسن المراد
بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقال السدي ان النجم هنا الزهرة لان قومًا من العرب كانوا
يعبدونها وقيل المراد به النجوم التي ترجم بها الشياطين وسببه انه لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه
وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فزعوا اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير
وكان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا للبروج الاثني عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب
الدنيا وان لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذي استشعروه فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى اي ذلك
النجم الذي هوى لهذه النوبة التي حدثت وقيل النجم هنا النبت الذي له ساق وهوى اي
سقط على الارض وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين والنجم يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم اذا هوى
اذا نزل من السماء ليلة المعراج وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب كان تحته بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدًا ولأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو
كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد
اليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرًا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلًا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة
فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم
واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله فقال
حسان فمن يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع • واصل النجم الطالع يقال نجم السن ونجم فلان
ببلاد كذا اي خرج على السلطان والهوي النزول والسقوط يقال هوى يهوي هويًا مثل مضى يمضي
مضيًا قال زهير فشج بها الاماعز وهي تهوي • هوي الدلو اسلمها الرشاء • وقال آخر بينما نحن بالبلاكث
فالقاع • سراعًا والعيس تهوي هويا • خطرت خطرة على القلب من • ذكراك وهنًا فما استطعت مضيا •
الاصمعي هوى بالفتح يهوي هويًا اي سقط الى اسفل قال وكذلك الهوي في السير اذا مضى فيه وهوى
وانهوى فيه لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله وكم منزل لولاي طحت كما هوى • باجرامه من قلة النيق
منهوي • ويقال في الحب هوي بالكسر يهوى هوى اي احب قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى هذا جواب
القسم اي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه وما غوى الغي ضد الرشد اي ما صار غاويًا
وقيل اي ما تكلم بالباطل وقيل اي ما خاب مما طلب والغي الخيبة قال الشاعر فمن يلق خيرًا يحمد
الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائمًا • اي من خاب في طلبه لامه الناس ثم يجوز ان يكون هذا
اخبارًا عما بعد الوحي ويجوز ان يكون اخبارًا عن احواله على التعميم اي كان ابدًا موحدًا لله وهو الصحيح
على ما بيناه في الشورى عند قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله تعالى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى قال قتادة

اي وما ينطق بالقرآن عن هواه ان هو الا وحي يوحى اليه وقيل عن الهوى اي بالهوى قاله ابو عبيدة
كقوله تعالى فاسئل به خبيرًا اي فسئل عنه النحاس قول قتادة اولى وتكون عن على بابها اي ما يخرج نطقه
عن رايه انما هو بوحي من الله تعالى لان بعده ان هو الا وحي يوحى الثانية قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث وفيها ايضا دلالة على ان السنة كالوحي المنزل في
العمل وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام بن معدي كرب قال السجستاني ان شئت ابدلت
ان هو الا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الانباري وهذا غلط لان ان الخفيفة لا تكون مبدلة
من ما الدليل على هذا انك لا تقول والله ما قمت ان انا لقاعد قوله تعالى علمه شديد القوى يعني جبريل
عليه السلام في قول سائر المفسرين سوى الحسن فانه قال هو الله عز وجل ويكون قوله ذو مرة
على قول الحسن تمام الكلام ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى واصله من شدة فتل الحبل
كانه استمر به الفتل حتى بلغ الى غاية يصعب معها الحل ثم قال فاستوى يعني الله عز وجل اي استوى على
العرش روي معناه عن الحسن وقال الربيع بن انس والفرا فاستوى وهو بالافق الاعلى اي استوى جبريل
ومحمد عليهما السلام وهذا على العطف على المضمر المرفوع بهو واكثر العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا الموضع
اظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان وانشد
الفرا الم تر ان النبع يصلب عوده • ولا يستوي والخروع المتقصف • ونظير هذا اءذا كنا ترابًا وآباؤنا والمعنى
اءذا كنا ترابًا نحن وآباؤنا ومعنى الآية استوى جبريل هو ومحمد عليهما السلام ليلة الاسرا بالافق
الاعلى واجاز العطف على المضمر لئلا يتكرر وانكر ذلك الزجاج الا في ضرورة الشعر وقيل المعنى فاستوى
جبريل بالافق الاعلى وهو اجود واذا كان المستوي جبريل فمعنى ذو مرة في وصفه ذو منظر حسن
قاله ابن عباس وقال قتادة ذو خلق طويل حسن وقيل معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقال امرؤ القيس وكنت فيهم ابدًا
ذا حيلة • محكم المرة مامون العقد • وقد قيل ذو مرة ذو قوة قال الكلبي وكان من شدة جبريل عليه
السلام انه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها وكان من شدته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى ع
على بعض عقاب من الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه باقصى جبل الهند وكان من شدته
صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين خامدين وكان من شدته هبوطه من السماء على الانبياء
وصعوده اليها في اسرع من الطرف وقال قطرب تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل ذو
مرة قال الشاعر قد كنت قبل لقائكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه • وكانت جزالة رايه ان الله
ائتمنه على وحيه الى جميع رسله قال الجوهري والمرة احد الطبايع الاربع والمرة القوة وشدة العقل
ايضا ورجل مرير اي قوي ذو مرة قال ترى الرجل النحيف فتزدريه • وحشو ثيابه اسد مرير •
وقال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته • مر العزيمة لا رتّا ولا ضرعا • وقال مجاهد وقتادة
ذو مرة ذو قوة ومنه قول خفاف بن ندبة اني امرؤ ذو مرة فاستبقني • فيما ينوب من الخطوب صليب
فالقوة تكون من قوة الله عز وجل ومن صفة المخلوق فاستوى يعني جبريل على ما بينا اي ارتفع
وعلا الى مكانه في السماء بعد ان علم محمدًا صلى الله عليه وسلم قاله سعيد بن المسيب وابن جبير وقيل
فاستوى اي قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين
كما ياتي الانبياء فساله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فاراه نفسه
مرتين في الارض مرة ومرة في السماء فاما في الارض ففي الافق الاعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم

بجر انطلع له جبريل من المشرق فسد الارض الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيًا عليه
فنزل اليه في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلى
الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت ان الله خلق احدًا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما
نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستماية جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب
فقال ان هذا لعظيم فقال وما انا في جنب ما خلق الله الا يسير او لقد خلق الله اسرافيل له ستماية
جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتي وانه ليتضال احيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون
بقدر الوصع يعني العصفور الصغير دليله قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين فاما في السماء
فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة الا نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقول ثالث ان معنى فاستوى اي استوى القران في صدره وفيه على هذا وجهان احدهما
في صدر جبريل حين نزل به عليه السلم الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه
وقول رابع ان معنى فاستوى فاعتدل يعني محمدًا في قوته الثاني في رسالته ذكرهما الماوردي
قلت وعلى الاول يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى وقول خامس ان
معناه فارتفع وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل ارتفع الى مكانه على ما ذكرنا انفا الثاني
انه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج وقول سادس فاستوى يعني الله عز وجل اي استوى
على العرش على قول الحسن وقد مضى القول فيه في الاعراف قوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة في موضع الحال
والمعنى فاستوى عاليًا اي استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل
ذلك يراه عليها حتى ساله اياها على ما ذكرنا والافق ناحية السماء وجمعه افاق وقال قتادة هو الموضع
الذي تاتي منه الشمس وكذا قال سفيان هو الموضع الذي تطلع منه الشمس ونحوه عن مجاهد ويقال
افق وافق مثل عسر وعسر وقد مضى في حم السجدة وفرس افق بالضم اي رايع وكذلك الانثى قال
الشاعر ارجل لمتي واجر ذيلي • وتحمل شكتي افق كميت • وقيل وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم بالافق
الاعلى يعني ليلة الاسرى وهذا ضعيف لانه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى وفلان
الا في ضرورة الشعر والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالافق الاعلى على صورته الاصلية
لانه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل بالوحي في صورة رجل فاحب النبي صلى الله عليه وسلم
ان يراه على صورته الحقيقية فاستوى في افق السماء فملا الافق قوله تعالى ثم دنى فتدلى اي دنى
جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي
المعنى انه لما راى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمته ما راى فهاله ذلك رده الله الى صورة
ادمي حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
يعني اوحى الله الى جبريل وكان جبريل قاب قوسين او ادنى قاله ابن عباس والحسن وقتادة
والربيع وغيرهم وعن ابن عباس في قوله ثم دنى فتدلى انه معناه ان الله دنى من محمد صلى الله
عليه وسلم وروي نحوه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى دنى منه امره
وحكمه واصل التدلي النزول الى الشي حتى يقرب منه فوضع موضع القرب قال لبيد
فتدليت عليه قافلًا • وعلى الارض غيابات الطفل • وذهب الفرا الى ان الفاء في فتدلى بمعنى
الواو والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنى ولكنه جايز اذا كان في معنى الفعلين واحدًا
او كالواحد قدمت ايهما شئت فقلت فدنى فقرب وقرب فدنى وشتمني فاسا واسا فشتمني
لان الشتم والاساءة شي واحد وكذلك قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر المعنى

والله اعلم

والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعة وقال الجرجاني في الكلام تقديم وتاخير اي تدلى فدنى لان
التدلي سبب الدنو وقال ابن الانباري ثم دنى جبريل اي نزل من السماء فدنا من محمد وقال ابن عباس تدلى الرفرف
لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه وسياتي ومن قال فاستوى جبريل
ومحمد بالافق الاعلى قد يقول ثم دنى محمد من ربه دنو كرامة فتدلى اي هوى للسجود وهذا قول الضحاك
قال القشيري وقيل على هذا تدلى اي تدلل كقولك تظنى بمعنى تظنن وهذا بعيد لان الدلال غير مرضي
في صفة العبودية قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اي كان محمد من ربه او من جبريل قاب
قوسين اي قدر قوسين عربيتين قاله ابن عباس وعطا والفرا الزمخشري فان قلت كيف تقدير
قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات
كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا • اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم
كقوله تعالى او يزيدون وفي الصحاح وتقول بينهما قاب قوسين وقيب قوسين وقيد قوسين وقاد قيد
ابن علي قاد وقدي قيد وقد ذكره الزمخشري والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان وقال
بعضهم في قوله تعالى قاب قوسين اراد قابي قوس وفي الحديث ولقاب قوس احدكم من الجنة وموضع
قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ولقاب
قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف في القاب والله اعلم قال
القاضي عياض اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى
وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار
معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته من الله تعالى ليس مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه
ما يتاول في قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول اجمال وقبول واحسان
وقال القاضي وقوله فكان قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدًا الى الله لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب
ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراق على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة
وقضاء المطلوب واظهار التحفي وانافة المنزلة والقرب من الله ويتاول فيه ما يتاول من قوله عليه الصلاة
والسلام من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المامول وقد قيل ثم دنى جبريل من ربه فكان قاب قوسين او ادنى قاله مجاهد
ويدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملايكة الى الله جبريل عليه السلام وقيل او بمعنى الواو اي
قاب قوسين وادنى وقيل بمعنى بل اي بل ادنى وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية
حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد كقرب
قاب قوسين وقال سعيد بن جبير وعطا وابو اسحق الهمداني وابو وايل شقيق بن سلمة فكان قاب قوسين
اي قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شي وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة ازد شنوة
ايضا وقال الكسائي قوله فكان قاب قوسين او ادنى اراد قوسًا واحدًا قال الشاعر ومهمهين قذفين
مرتين • قطعتها بالسمت لا بالسمتين • اراد مهمهًا واحدًا والقوس تذكر وتونث فمن انث قال في تصغيرها
قويسة ومن ذكر قال قويس وفي المثل هو خير من قويس سهمًا والجمع قسي وقسي واقواس وقياس وانشد ابو عبيد
ووتر الاساور القياسا • والقوس ايضا بقية التمر في الجلة اي الوعاء والقوس برج في السماء فاما القوس
بالضم فصومعة الراهب قال الشاعر وذكر امراة • لاستفتنني ذا المسيح في القوس قوله تعالى فاوحى
الى عبده ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه تقدم معنى الوحي وهو القاء الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا
والمعنى واوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى وقيل المعنى فاوحى الى عبده جبريل عليه

ما اوحي وقيل فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى اليه ربه قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة قال قتادة
اوحى الله الى جبريل واوحى جبريل الى محمد ثم قيل هذا الوحي هل هو مبهم لا نطلع عليه وتعبدنا بالايمان على الجملة
او هو معلوم مفسر قولان وبالثاني قال سعيد بن جبير قال اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما
فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى
الامم حتى تدخلها امتك قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى اي لم يكذب قلب محمد ليلة المعراج وذلك ان الله تعالى
جعل بصره في فواده حتى راى ربه تعالى وجعل الله تلك روية وقيل كانت روية حقيقة بالبصر والاول مروي
عن ابن عباس في صحيح مسلم انه راى بقلبه وهو قول ابي ذر وجماعة من الصحابة والثاني قول انس وجماعة
وروي عن ابن عباس ايضا انه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى والروية لمحمد صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عباس ايضا اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين وقد مضى القول
في هذا في الانعام عند قوله لا تدركه الابصار وروى محمد بن كعب قال قلنا يا رسول الله رايت ربك قال
رايته بفوادي مرتين ثم قرا ما كذب الفواد ما راى وقول ثالث انه راى جلاله وعظمته قاله الحسن وروى
ابو العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال رايت نهرا ورايت وراء النهر حجابا ورايت
وراء الحجاب نورا لم ار غير ذلك وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك
قال نور انى اراه المعنى غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رويته ودل على هذه الرواية الاخرى رايت
نورا وقال ابن مسعود راى جبريل على صورته مرتين وقرا هشام عن ابن عامر واهل الشام ما كذب بالتشديد
اي ما كذب قلب محمد ما راى بعينه تلك الليلة بل صدقه فما مفعوله بغير حرف مقدر لانه يتعدى مشددا
بغير حرف ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي والعايد محذوف ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا الباقون مخففا
اي ما كذب فواد محمد فيما راى فاسقط حرف الصفة قال حسان لو كنت صادقة الذي حدثتني . لنجوت منجى الحارث
ابن هشام . اي في الذي حدثتني ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعنى الذي اي ما كذب فواد
محمد صلى الله عليه وسلم الذي راه قوله تعالى افتمارونه على ما يرى قرا حمزة والكسائي افتمرونه بفتح التاء
من غير الف على معنى افتجحدونه واختاره ابو عبيد لانه قال لم يماروه وانما جحدوه يقال مراه حقه اي جحده
ومريته انا قال الشاعر لئن هجوت اخا صدق ومكرمة . لقد مريت اخا ما كان يمريكا . اي جحدته وقال المبرد
يقال مراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه عنه قال ومثل على بمعنى عن قول كعب بن ربيعة رضي الله
عليك اي رضي عنك وقرا الاعرج ومجاهد افتمرونه بضم التاء من غير الف من امريت اي تريبونه وتشككونه
الباقون افتمارونه بالف اي اتجادلونه وتدافعونه في انه راى الله والمعنيان متداخلان لان
مجادلتهم جحود وقيل ان الجحود كان دائما منهم وهذا جدال جديد قالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن
عيرنا التي في طريق الشام على ما تقدم قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى نزلة مصدر في موضع الحال
كانه راه نازلا نزلة اخرى قال ابن عباس راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه مرة اخرى بقلبه روى مسلم عن ابي
العالية عنه قال ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين فقوله نزلة اخرى يعود
الى محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان له صعود ونزول مرارا بحسب اعداد الصلوات المفروضة فلكل عرجة
نزلة وعلى هذا قوله تعالى عند سدرة المنتهى اي ومحمد صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى وفي بعض
تلك النزلات وقال ابن مسعود وابو هريرة في تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى اي جبريل انه جبريل
ثبت هذا في صحيح مسلم وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت جبريل بالافق الاعلى له ستمائة
جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت ذكره المهدوي قوله تعالى عند سدرة المنتهى عند من صلة راه

على ما بينا والسدرة شجر النبق وهي في السماء السادسة وجاء في السماء السابعة والحديث بهذا في صحيح مسلم الاول
رواه مرة عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة عندها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا المقحمات الحديث الثاني رواه قتادة عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت الى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان
الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبريل ما هذا قال اما الباطنان ففي الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات لفظ الدارقطني والنبق بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال نبق بفتح
النون وسكون الباء ذكرهما يعقوب في الاصلاح وهي لغة المصريين والاولى افصح وهي التي ثبتت عن النبي
صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن اسما بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وقد ذكر له سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب
شك يحيى فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح قلت وكذا لفظ
مسلم من حديث ثابت عن انس ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى اذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها واختلف لم سميت
سدرة المنتهى على اقوال ثمانية الاول ما تقدم عن ابن مسعود انه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها
الثاني لانه ينتهي علم الانبياء اليها ويعزب علمهم عما وراها قاله ابن عباس الثالث ان الاعمال تنتهي اليها وتقبض
منها قاله الضحاك الرابع لانتهاء الملائكة والانبياء اليها ووقوفهم عندها قاله كعب الخامس سميت سدرة
المنتهى لانه ينتهي اليها ارواح الشهداء قاله الربيع بن انس السادس تاوي اليها ارواح المومنين قاله قتادة السابع
لانه ينتهي اليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله علي رضي الله عنه والربيع بن انس
ايضا الثامن هي شجرة على روس حملة العرش اليها ينتهي علم الخلايق قاله كعب ايضا قلت يريد والله اعلم ان
ارتفاعها واعالي اغصانها قد جاوزت روس حملة العرش دليله ما تقدم من ان اصلها في السماء السادسة
واعلاها في السماء السابعة ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت روس حملة العرش والله اعلم سميت بذلك
لان من رفع اليها فقد انتهى في الكرامة وعن ابي هريرة لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
به الى سدرة المنتهى فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي
شجرة يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى واذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها والورقة منها تغطي
الامة كلها ذكره الثعلبي قوله تعالى عندها جنة الماوى تعريف بموضع جنة الماوى والها عند سدرة
المنتهى وقرا علي وابو هريرة وانس وابو سبرة الجهني عن عبد الله بن الزبير ومجاهد عندها جنه الماوى
يعني جنة المبيت قال مجاهد يريد الجنة والهاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال الاخفش ادركه كما تقول
جنه الليل اي ستره وادركه وقراة العامة جنة الماوى قال الحسن هي التي يصير اليها المتقون وقيل
انها جنة يصير اليها ارواح الشهداء قاله ابن عباس وهي عن يمين العرش وقيل هي الجنة التي اوى اليها ادم
عليه السلام الى ان اخرج منها وهي في السماء الرابعة وقيل ان ارواح المومنين كلهم في جنة الماوى
وانما قيل لها جنة الماوى لانها ياوي اليها ارواح المومنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون
بطيب ريحها وقيل لان جبريل وميكائيل عليهما السلم ياويان اليها والله اعلم قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود واصحابه فراش من ذهب ورواه مرفوعا عن ابن مسعود

وابن عباس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في صحيح مسلم عن ابن مسعود قوله وقال الحسن غشيها
نور رب العالمين فاستنارت قال القشيري سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيها قال فراش
من ذهب وفي خبر آخر غشيها نور من الله حتى ما يستطيع احد ان ينظر اليها وقال الربيع بن
انس غشيها نور الرب والملائكة تقع عليها كما يقع الغربان على الشجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وذلك قوله
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال الجراد من ذهب وقد رواه مرفوعا وقال مجاهد رفرفا اخضر
وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن عباس غشيها رب العزة اي امره
كما في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي وقيل انه تعظيم الامر كانه قال اذ يغشى السدرة
ما علم الله من دلايل ملكوته وهكذا قوله فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله والموتفكة اهوى
فغشاها ما غشى ومثله الحاقة ما الحاقة **قوله تعالى** ما زاغ البصر وما طغى اي ما عدل يمينا ولا شمالا
ولا تجاوز الحد الذي راى وقيل ما جاوز ما امر به وقيل لم يمد بصره الى غير ما راى من الايات وهذا وصف
ادب للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الماوردي في معاني القران
له فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف
ظل مديد وطعام لذيذ ورايحة زكية فاشبهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من
الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها بمنزلة القول لظهوره وروى
ابو داود في سننه قال حدثنا نصر بن علي قال حدثنا ابو اسامة عن ابن جريج عن عثمان بن ابي سليمان
عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطع سدرة
صوب الله راسه في النار وسئل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعني من قطع
سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه
في النار **قوله تعالى** لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن عباس راى رفرفا سد الافق وذكر البيهقي
عن عبد الله قال راى من ايات ربه الكبرى قال ابن عباس راى رفرفا اخضر سد افق السماء وعنه قال
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة رفرف اخضر قد ملا ما بين السماء والارض
قال البيهقي قوله في الحديث راى رفرفا يريد جبريل عليه السلام في صورته على رفرف والرفرف
البساط ويقال فراش ويقال بل هو ثوب كان لباسا فقد روى انه في حلة رفرف **قلت**
خرجه الترمذي عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما راى قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام في حلة رفرف قد ملا ما بين السماء والارض قال حديث حسن صحيح **قلت**
وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى دنى فتدلى انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره وهو بالمعنى الاول
جبريل قال عبد الرحمن بن يزيد ومقاتل بن حيان راى جبريل عليه السلام في صورته التي يكون فيها
في السموات وكذا في صحيح مسلم عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح ولا يبعد مع هذا ان يكون في حلة رفرف وعلى رفرف والله اعلم وقال
الضحاك راى سدرة المنتهى وعن ابن مسعود راى ما غشي السدرة من فراش الذهب حكاه الماوردي
وقيل راى المعراج وقيل هو ما راى تلك الليلة في مسراه في عوده وتدنيه وهو احسن لقوله
لنريه من اياتنا ويجوز ان تكون للتبعيض وتكون الكبرى مفعولة لراى وهي في الاصل صفة الايات

ووحدت

ووحدت لرؤوس الاي وايضا يجوز نعت الجماعة بنعت الانثى كقوله ولي فيها مارب اخرى
وقيل الكبرى نعت محذوف اي راى من ايات ربه الاية الكبرى ويجوز ان يكون من زايدة
اي راى ايات ربه الكبرى وقيل فيه تقديم وتاخير اي راى الكبرى من ايات ربه **قوله
تعالى** افرايتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى لما ذكر الوحي الى النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر من اثار قدرته ما ذكر حاج المشركين اذ عبدوا ما لا يعقل وقيل افرايتم هذه
الالهة التي تعبدونها اوحين اليكم شيئا كما اوحي الى محمد وكان اللات لثقيف والعزى لقريش
وبني كنانة ومناة لبني هلال وقال ابن هشام وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فهدمها يوم الفتح ثم اتخذوا اللات بالطايف وهي
احدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها
بناء فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات
وكانت في موضع مسجد الطايف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم المغيرة ابن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من
اللات اتخذها ظالم بن سعد وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق فبنوا عليها بيتا
وكانوا يسمعون منها الصوت قال ابن هشام وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت
العزى شيطانة تاتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث
خالد بن الوليد فقال ايت نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فاتاها فعضدها فلما
جاء اليه قال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثانية فاتاها فعضدها ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثالثة فاتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها
واضعة يديها على عاتقها تصرف بانيابها وخلفها دبية السلمي وكان سادنها **فقال** يا عز كفرانك
لا سبحانك • اني رايت الله قد اهانك • ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل
دبية السادن ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى وقال ابن جبير العزى
حجر ابيض كانوا يعبدونه وقال قتادة بيت كان ببطن نخلة ومناة صنم لخزاعة وقيل ان اللات
فيما ذكر بعض المفسرين اخذه المشركون من اسماء الله تعالى والعزى من العزيز ومناة من منى الله
الشيء اذا قدره وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وابو صالح اللات بتشديد التاء
وقالوا كان رجل يلت السويق للحاج ذكره البخاري عن ابن عباس فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه
ابن عباس كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويصبه عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت
ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق ابو صالح انما كان رجلا بالطايف فكان
يقوم على الهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبدوه مجاهد كان رجلا في راس جبل له غنيمة
يسلي منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن
نخلة فلما مات عبدوه فهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم
وقيل انه عامر بن ظرب العدواني **قال الشاعر** لا تنصروا اللات ان الله مهلكها • وكيف
ينصركم من ليس ينتصر • والقراءة الصحيحة اللات بالتخفيف اسم صنم والوقف عليها بالتاء وهو
اختيار الفراء قال الفراء وقد رايت الكسائي سال ابا فقعس الاسدي فقال ذاه لذات وقال
افرايتم اللاه وكذا قرا الدوري عن الكسائي والبزي عن ابن كثير اللاه بالهاء في الوقف
ومن قال ان اللات من الله وقف بالهاء ايضا وقيل اصلها اللاهة مثل شاة وهي من لاهت اي

اختنت قال الشاعر لاهت فما عرفت يوماً بخارجة • يا ليتها خرجت حتى عرفناها • وفي الصحاح اللات
اسم لثقيف وكان بالطايف وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء قال الاخفش سمعت
من العرب من يقول اللات والعزى ويقول هي اللاه فجعلها تاء في السكون وهي اللات فاعلم
جر في موضع الرفع فهذا مثل امس مكسور على كل حال وهو اجود منه لان الالف واللام التي في
اللات لا يسقطان وان كانت زايدتين واما ما سمعنا من الاكثر في اللات والعزى في السكون
عليها فاللاه لانها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر كيت وكيت وكذلك
هيهات في لغة من كسرها الا انه يجوز في هيهات ان تكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات لان التاء
لا تزاد الا مع الالف وان جعلت الالف واللام زايدتين بقي الاسم على حرف واحد قوله تعالى ومناة
الثالثة الاخرى قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي والاعشى عن ابي بكر ومناءة بالمد
والهمز والباقون بترك الهمز لغتان وقيل سمي بذلك لانهم كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون
بذلك اليه وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء وكان الكسائي وابن كثير وابن محيصن
يقفون بالهاء على الاصل الباقون بالتاء اتباعاً لخط المصحف وفي الصحاح ومناة اسم صنم كان بين
مكة والمدينة والهاء للتانيث وسكت عليها بالتاء وهي لغة والنسبة اليها منوي وعبد مناة بن اد
ابن طابخة وزيد مناة بن تميم بن مر يمد ويقصر قال هوبر الحارثي الا هل اتى التيم ابن عبد مناة
على الشنء فيما بيننا ابن تميم قوله تعالى الاخرى العرب تقول للثالثة اخرى وانما الاخرى نعت للثانية
فاختلفوا في وجهها فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر
وقال الحسن الفضل في الاية تقديم وتاخير مجازها افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل
انما قال ومناة الثالثة الاخرى لانها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى
فالكلام على نسقه وقد ذكرنا عن ابن هشام ان مناة كانت اولى في التقديم فلذلك كانت مقدمة عندهم
في التعظيم والله اعلم وفي الاية حذف دل عليه الكلام اي افرايتم هذه الالهة هل نفعت او ضرت حتى
تكون شركاء لله ثم قال على جهة التقريع والتوبيخ الكم الذكر وله الانثى رد عليهم قولهم الملائكة بنات الله
قوله تعالى تلك اذاً يعني هذه التسمية قسمة ضيزى اي جايرة عن العدل خارجة عن الصواب مايلة عن الحق
يقال ضاز في الحكم اي جار وضاز حقه يضيزه ضيزاً عن الاخفش اي نقصه وبخسه قال وقد يهمز فيقال
ضازه يضازه ضازاً وانشد فان تنأ عنا ننتقصك وان تغب • فقسمك مضؤوز وانفك راغم •
وقال الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزاً وضاز يضوز ضوزاً وضاز يضاز ضازاً اذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص
فقال ضازت بنو اسد بحكمهم • اذ يجعلون الراس كالذنب • وقوله قسمة ضيزى اي جايرة وهي فعلى مثل طوبى
وحبلى وانما كسروا الضاد لتسلم الياء لانه ليس في الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى
والدفلى قال الفرا وبعض العرب يقول ضازى وضوزى بالهمز وحكى ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع العرب
تهمز ضيزى قال غيره وبها قرا ابن كثير جعله مصدراً مثل ذكرى وليس بصفة اذ في الصفات فعلى ولا يكون
اصلها فعلى اذ ليس فيها ما يوجب القلب وهي من قولهم ضازته اي ظلمته فالمعنى قسمة ذات ظلم وقد قيل
هما لغتان وحكي فيها ايضاً سواهما ضيزى وضازى وضوزى وضؤزى وقال المؤرج كرهوا ضم الضاد
في ضيزى وخافوا انقلاب الياء واواً وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع ابيض
بيض والاصل بوض مثل حمر وصفر وخضر فاما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى قوله تعالى
ان هي الا اسماء سميتموها اي ما هي يعني هذه الاوثان الا اسماء سميتموها يعني نحتموها وسميتموها الهة انتم واباؤكم
اي قلدتموهم في ذلك ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله بها من حجة ولا برهان ان يتبعون

الا الظن عاد من الخطاب الى الخبر اي ما يتبع هؤلاء الا الظن وما تهوى الانفس اي تميل اليه وقراة العامة
يتبعون بالياء وقرا عيسى بن عمر وايوب وابن السميقع بالتاء على الخطاب وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان من جهة الرسول انها ليست بالهة ام للانسان ما تمنى اي اشتهى اي
ليس ذلك له وقيل ام للانسان ما تمنى من البنين ان تكون له دون البنات وقيل ام للانسان ما تمنى من
شفاعة الاصنام نزلت في النضر بن الحارث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في ساير الكفار فلله الاخرة والاولى
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى احد قوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا
من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والاصنام وزعم ان ذلك يقربه
الى الله تعالى فاعلم ان الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع الا لمن اذن ان يشفع له قال
الاخفش الملك موحد ومعناه جمع وهو كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل انما ذكر
ملكاً واحداً لان كم تدل على الجمع قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة هم الكفار الذين قالوا الملائكة بنات
الله والاصنام بنات الله ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي كتسمية الانثى اي يعتقدون الملائكة اناث
وانهم بنات الله وما لهم بذلك من علم اي انهم لم يشاهدوا خلقة الملائكة ولم يسمعوا ما قالوه من
رسول ولم يروه في كتاب ان يتبعون اي ما يتبعون الا الظن ان الملائكة اناث وان الظن لا يغني
من الحق قوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى افرايت الذي تولى واعطى قليلاً واكدى
اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك
المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك
عاداً الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى
فغشاها ما غشى فباي الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة
ليس لها من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون فاسجدوا لله واعبدوا قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران والايمان
وهذا منسوخ باية السيف ولم يرد الا الحياة الدنيا نزلت في النضر وقيل في الوليد ذلك مبلغهم
من العلم اي انما يبصرون امر دنياهم ويجهلون امر دينهم قال الفرا صغرهم وازدرى بهم اي ذلك
قدر عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل ان جعلوا الملائكة والاصنام بنات الله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي حاد عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى فيجازي كلاً باعمالهم قوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه ولله ما في السموات
وما في الارض كانه قال هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن باحسانه والمسيء
باساءته وقيل ولله ما في السموات وما في الارض معترض في الكلام والمعنى ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة اي ولله ما في السموات وما في الارض
اي وعاقبة امر الخلق ان يكون فيهم مسيء ومحسن فللمسيء الاساءة وهي جهنم وللمحسن الحسنى وهي

الجنة **قوله تعالى** الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش هذا نعت للمحسنين اي هم لا يرتكبون كبائر الاثم وهو الشرك لانه
اكبر الاثام وقرا الاعمش ويحيي بن وثاب وحمزة والكسائي كبير على التوحيد وفسر ابن عباس بالشرك
والفواحش الزنا وقال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقد مضى في
النساء القول في هذا ثم استثنا منقطعا وهي **الثانية** فقال الا اللمم وهي الصغاير التي لا يسلم من الوقوع
فيها الا من عصمه الله وحفظه وقد اختلف في معناها فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي اللمم
كل ما دون الزنا وذكر مقاتل بن سليمان ان هذه الاية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار كان له
حانوت يبيع فيه تمرا فجاءته امراة تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الدكان ما هو خير من هذا
فلما دخلت راودها فابت وانصرفت فندم نبهان فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل الا وقد فعلته الا الجماع فقال لعل زوجها غاز فنزلت هذه
الاية وقد مضى في اخر هود وكذا قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق ان
اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة روى مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال زنا العينين النظر وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي وانما يصدق ذلك او يكذبه الفرج
فان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه
باللمم مما قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك
ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اليدين البطش والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق
ذلك او يكذبه والمعنى ان الفاحشة العظيمة والزنا التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة هو
الفرج وغيره له حظ من الاثم وفي رواية ابي صالح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه
من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام
واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه
خرجه مسلم وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الاذن واليد والرجل وزاد فيه
بعد العين اللسان وزنا الشفتين القبلة فهذا قول وقال ابن عباس ايضا هو الرجل يلم بذنب ثم
يتوب قال الم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان يغفر الله يغفر جما واي عبد لك لا الما رواه
عمرو بن دينار عن عطا عن ابن عباس قال النحاس هذا اصح ما قيل فيه واجلها اسنادا وروى شعبة عن
منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى الا اللمم قال هو ان يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده **قال الشاعر**
ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وكذا قال مجاهد والحسن هو الذي ياتي بالذنب ثم لا يعاوده
ونحوه عن الزهري قال اللمم ان يزني ثم يتوب فلا يعود وان يسرق او يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود
ودليل هذا التاويل قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية ثم قال اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم فضمن لهم المغفرة كما قال عقيب اللمم ان ربك واسع المغفرة فعلى هذا التاويل يكون
الا اللمم استثنا متصل قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقيل اللمم الذنب بين الحدين
وهو ما لم يات عليه حد في الدنيا ولا توعد عليه بعذاب في الاخرة تكفره الصلوات الخمس قاله ابن
زيد وعكرمة والضحاك وقتادة ورواه العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم
على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات
الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به الانسان المرة بعد المرة
فيتوب منه وعن ابن عباس ايضا وابي هريرة وزيد بن ثابت هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم

به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انما كنتم بالامس تعملون معنا فنزلت وقاله زيد بن اسلم وابنه
وهو كقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل اللمم هو ان ياتي بذنب لم يكن له
بعادة قاله نفطويه والعرب تقول ما ياتينا الا لماما اي في الحين بعد الحين قال ولا يكون ان يلم
ولا يفعل لان العرب لا تقول الم بنا الا اذا فعل الانسان لا اذا هم ولم يفعل وفي الصحاح والم الرجل من اللمم
وهو صغاير الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة **وانشد غير الجوهري** بزينب
الم قبل ان يرحل الركب وقل ان تملينا فما ملك القلب اي قرب وقال عطا بن ابي رباح اللمم عادة
النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما الم على القلب اي خطر وقال محمد بن الحنفية كل ما هممت به
من خير او شر فهو لمم ودليل هذا التاويل قوله عليه الصلاة والسلام ان للشيطان لمة وللملك لمة الحديث
وقد مضى في البقرة عند قوله الشيطان يعدكم الفقر وقال ابو اسحق الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله
الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته
الا لمما والماما اي الحين بعد الحين وانما زيارتك الماما ومنه الماما الخيال **قال الاعشى** الم خيال من قتيلة بعدما
وهي حبلها من حبلنا فتصرما وقيل الا بمعنى الواو وانكر هذا الفرا وقال المعنى الا المتقارب من صغار الذنوب
وقيل اللمم النظرة التي تكون فجاة **قلت** هذا فيه بعد اذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به لانه يقع
من غير قصد واختيار وقد مضى في النور بيانه واللمم ايضا طرف من الجنون ورجل ملموم اي به لمم
ويقال اصابت فلانا لمة من الجن وهو المس والشيء القليل **قال** فاذا وذاك يا كبيشة لم يكن
الا كلمة حالم بخيال انتهى **الثالثة** قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عن ذنبه واستغفر
قاله ابن عباس وقال ابو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من افاضل اصحاب ابن مسعود رايت في المنام كاني
دخلت الجنة فاذا قباب مضروبة فقلت لمن هذه فقالوا لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل بعضهم
فقلت وكيف ذلك فقالوا انهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة قال ابو خالد بلغني ان ذا الكلاع اعتق
اثني عشر الف بيت **قوله تعالى** هو اعلم بكم منكم من انفسكم اذ انشاكم من الارض يعني اباكم ادم من الطين وخرج
اللفظ على الجمع قال الترمذي ابو عبد الله وليس هو كذلك عندنا بل وقع الاستثناء على التربة التي رفعت
من الارض وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة ثم خرجت من الطينة المياه الى الاصلاب مع ذرو
النفوس على اختلاف هيئتها ثم استخرجها من صلبه على اختلاف الهيئات منهم كالدر يتلالا وبعضهم
انور من بعض ومنهم سود كالحممة وبعضهم اشد سوادا من بعض فكان الانشاء واقعا علينا وعليه
حدثنا عيسى بن حماد العسقلاني حدثنا بشر بن بكر قال حدثنا الاوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرض علي الاولون والاخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة فقال قائل يا رسول الله ومن مضى من الخلق
قال نعم عرض علي ادم فمن دونه فهل كان خلق احد قالوا ومن في اصلاب الرجال وبطون الامهات قال نعم مثلوا
في الطين فعرفتهم كما علم ادم الاسماء كلها **قلت** وقد تقدم في اول الانعام ان كل انسان يخلق من طين
البقعة التي يدفن فيها واذ انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنينا لاجتنانه واستتاره
قال عمرو بن كلثوم هجان اللون لم يقرا جنينا وقال مكحول كنا اجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط
وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا ابا لك فما بعدها
ننتظر وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحرث قال كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبي
صغير هو صديق فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها في
بطن امه الا انه شقي او سعيد فانزل الله عند ذلك هذه الاية هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الى
اخرها ونحوه عن عائشة كان اليهود بمثله فلا تزكوا انفسكم اي لا تمدحوها وتثنوا عليها فانه ابعد

من الريا واقرب الى الخشوع هو اعلم بمن اتقى اي اخلص العمل واتقى عقوبة الله عن الحسن وغيره قال الحسن قد
علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة والى ما هي صايرة وقد مضى في النساء الكلام في معنى هذه الاية
عند قوله الم تر الى الذين يزكون انفسهم فتاملة هناك وقال ابن عباس ما من احد من هذه الامة ازكيه
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم قوله تعالى افرايت الذي تولى واعطى قليلا الايات لما بين
جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله قوله تعالى افرايت الذي تولى واعطى
قليلا الايات لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله
قال ابن زيد ومجاهد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ وملتهم وزعمت انهم في النار
قال خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه ان يحمل عنه عذاب
الله ففعل فاعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن ثم بخل ومنعه فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل
كان الوليد مدح القران ثم امسك فنزل واعطى قليلا واكدى اي من الخير بلسانه واكدى اي
قطع ذلك وامسك عنه انه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد الايمان ثم تولى فنزلت الاية
وقال ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك نزلت في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق
في الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى
لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله تعالى وارجو عفوه فقال
له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك
عن بعض ما كان يصنع فانزل الله تعالى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى فعاد عثمان الى احسن
ذلك واجمله ذكر ذلك الواحدي والثعلبي وقال السدي ايضا نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك
انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في
ابي جهل بن هشام وقال والله ما يامر محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى
وقال الضحاك هو النضر بن الحرث اعطى خمس قلايص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن
له ان يتحمل عنه مأثم رجوعه واصل اكدى من الكدية لمن حفر بيرا ثم بلغ الحجر لا يتهيا له حفره
فقال اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتم ولمن طلب شيئا ولم يبلغ اخره وقال الحطيئة
فاعطى قليلا ثم اكدى عطاه • ومن يبذل المعروف في الناس يحمد • قال الكسائي وغيره اكدى الحافر
واجبل اذا بلغ في حفره كديا وجبلا فلا يمكنه ان يحفر وحفر فاكدى اذا بلغ الى الصلب ويقال
كديت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدت يده اذا كلت فلم تعمل شيئا واكدى النبت اذا قل ريعه
وكدت الارض تكدو كدوا فهي كادية اذا ابطا نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشيء رددته
واكدى الرجل اذا قل خيره وقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل قوله تعالى اعنده علم
الغيب فهو يرى اي اعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه
من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا وهذه
الرؤية هي المتعدية الى مفعولين والمفعولان محذوفان كانه قال فهو يرى الغيب مثل الشهادة
قوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم اي وصحف ابرهيم الذي وفى كما في سورة الاعلى صحف
ابرهيم وموسى اي لا تؤخذ نفس بدلا عن اخرى كما قال الا تزر وازرة وزر اخرى وخص صحف ابراهيم
وموسى بالذكر لانه كان ما بين نوح وابرهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وابيه قاله الهذيل بن شرحبيل
وان هذه المخففة من الثقيلة وموضعها جر بدلا من ما او يكون في موضع رفع على اضمار هو وقرا

سعيد بن جبير

سعيد بن جبير وقتادة وفي خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله راجعة الى معنى قراءة الجماعة
وفى بالتشديد اي قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيئا وقد مضى في البقرة عند قوله واذ ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى
قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه وجده
وافيا فذلك قوله وابرهيم الذي وفى اي ادى الاسلام ثم صحح دعواه وقيل وفى عمله كل يوم
باربع ركعات في صدر النهار رواه الهيثم عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى سهل
ابن سعد الساعدي عن ابيه الا اخبركم لم سمى الله خليله ابرهيم الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح
وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية ورواه سهل بن معاذ عن انس عن ابيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل وفى اي وفى ما ارسل به وهو قوله الا تزر وازرة وزر اخرى قال
ابن عباس كانوا قبل ابرهيم عليه السلام ياخذون الرجل بذنب غيره وياخذون الولي بالولي
في القتل والجراح فيقتل الرجل بابيه وابنه واخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها
وعبده فبلغهم ابرهيم عن الله الا تزر وازرة وزر اخرى وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير
في قوله تعالى وفى عمل بما امر به وبلغ رسالة ربه وهذا احسن لانه عام وكذا قال مجاهد وفى
بما فرض عليه وقال ابو مالك الغفاري قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله فباي الاء ربك
تتمارى في صحف ابرهيم وموسى وقد مضى في اخر الانعام القول في ولا تزر وازرة وزر اخرى مستوفى
قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى روي عن ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فيحصل الولد الطفل يوم القيمة في ميزان ابيه
ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء يدل على ذلك قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة ولا ينفع احدا عمل احد واجمعوا انه لا يصلي احد
عن احد ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت الا انه قال ان اوصى بالحج ومات جاز ان يحج عنه
واجاز الشافعي وغيره الحج التطوع عن الميت وروي عن عايشة رضي الله عنها انها اعتكفت
عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وروي ان سعد بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وقد مضى جميع هذا
مستوفى في البقرة وال عمران والاعراف وقد قيل ان الله عز وجل انما قال وان ليس للانسان الا
ما سعى ولام الخفض معناها في العربية الملك والايجاب فليس يجب للانسان الا ما سعى فاذا تصدق
عنه غيره فليس يجب له شيء الا ان الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له كما يتفضل على الاطفال بادخالهم
الجنة بغير عمل وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني الكافر واما المؤمن فله ما سعى
وما سعى له غيره قلت وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل
الصالح من غيره وقد تقدم كثير منها لمن تاملها وليس في الصدقة اختلاف كما في صدر كتاب مسلم
عن عبد الله بن المبارك وفي الصحيح اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفيه او ولد صالح
يدعو له وهذا كله تفضل من الله عز وجل كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة
عشرا الى سبعماية ضعف الى الف الف حسنة كما قيل لابي هريرة اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله ليجزي بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة
الفي الف حسنة فهذا تفضل وطريق العدل وان ليس للانسان الا ما سعى قلت ويحتمل ان يكون قوله
وان ليس للانسان الا ما سعى خاص في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم

قال قال الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها له عشر حسنات الى
سبعماية ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة وقال ابو بكر
الوراق الا ما سعى الا ما نوى قوله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيمة على نياتهم **قوله تعالى**
وان سعيه سوف يرى اي يريه الله جزاه يوم القيمة ثم يجزاه اي يجزا به الجزاء الاوفى قال الاخفش يقال
جزيته الجزا وجزيته بالجزا سوا لا فرق بينهما **قال الشاعر** ان اجز علقمة بن سعد سعيه • لم اجزه ببلاء
يوم واحد • يجمع بين اللغتين وان الى ربك المنتهى اي المرجع والمراد المصير فيعاقب ويثيب وقيل منه ابتداء
المنة واليه انتهاء الامان وعن ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال
لا فكرة في الرب وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله تعالى فانتهوا **قلت** ومن هذا المعنى
قوله عليه الصلاة والسلام ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا
بلغ فليستعذ بالله ولينته وقد تقدم في اخر الاعراف **ولقد احسن من قال** لا تفكرن في ذي العلا عز
وجهه • فانك تردى ان فعلت وتخذل • ودونك مصنوعاته فاعتبر بها • وقل مثل قال الخليل المبجل **قوله تعالى**
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان
عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى ذهبت الوسايط وبقيت الحقايق لله سبحانه فلا فاعل الا هو
وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب
ببكاء احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا وان الله هو اضحك وابكى ولا تزر وازرة وزر
اخرى وعنها قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو علمتم ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال
ما خطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ائت هولاء فقل لهم ان الله تعالى يقول هو اضحك وابكى اي قضى
اسباب الضحك والبكا وقال عطا بن ابي مسلم يعني فرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا وقيل
لعمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم وان الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي
وقد تقدم هذا المعنى في النمل وبراءة قال الحسن اضحك الله اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل
اضحك من شاء في الدنيا بان سره وابكى من شاء بان ضره الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر
وقيل اضحك الشجر بالنوار وابكى السحاب بالامطار وقال ذو النون اضحك قلوب المومنين والعارفين بشمس معرفته
وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته وقال سهل بن عبد الله اضحك الله المطيعين بالرحمة
وابكى العاصين بالسخط وقال محمد بن علي الترمذي اضحك المومن في الاخرة وابكاه في الدنيا وقال بسام بن عبد الله
اضحك الله اسنانهم وابكى قلوبهم **وانشد** السن تضحك والاحشاء تحترق • وانما ضحكها زور ومختلق •
يا رب باك بعين لا دموع لها • ورب ضاحك سن ما به رمق • وقيل ان الله خلق الانسان بالضحك والبكا
من بين ساير الحيوان وليس في ساير الحيوان من يضحك ويبكي غير الانسان وقد قيل ان القرد يضحك وحده
ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين سئل طاهر المقدسي اتضحك الملايكة فقال
ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وانه هو امات واحيا اي قضى اسباب الموت والحياة
وقيل خلق الموت والحياة كما قال هو الذي خلق الموت والحيوة قاله ابن بحر وقيل امات الكافر بالكفر واحيى
المومن بالايمان قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم
الله على ما تقدم واليه يرجع قول عطا امات بعدله واحيى بفضله وقول من قال امات بالمنع والبخل واحيا
بالجود والبذل وقيل امات النطفة واحيا النسمة وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل يريد بالحياة
الخصب وبالموت الجدب وقيل انام وايقظ وقيل امات في الدنيا واحيا للبعث وانه خلق الزوجين الذكر

والانثى من اولاد ادم ولم يرد ادم وحوى لانهما خلقا من نطفة والنطفة الماء القليل مشتق
من نطف الماء اذا قطر تمنى تصب في الرحم وتراق قاله الكلبي والضحاك وعطا بن ابي رباح يقال منى الرجل
وامنى من المني وسميت منى بهذا الاسم لما يمنى بها من الدما اي يراق وقيل تمنى تقدر قاله ابو عبيدة
يقال منيت الشي اذا قدرته ومنى له اي قدر له **قال** حتى تلاقي ما يمني لك الماني • اي ما يقدر لك القادر
قوله تعالى وان عليه النشاة الاخرى اي اعادة الارواح في الاشباح للبعث وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة
بفتح الشين ومد الهمزة اي وعد ذلك ووعده صدق وانه هو اغنى واقنى قال ابن زيد اغنى من شاء ثم فقر
ان الله يبسط الرزق ويقدر وقرا يقبض ويبسط واختاره الطبري وعن ابن زيد مجاهد وقتادة والحسن
اغنى مول واقنى اخدم وقيل جعل لكم قنية تقتنوها وهو معنى قوله ايضا وقيل معناه ارضى بما
اعطى اي اغنا ثم رضاه بما اعطاه قال ابن عباس وقال الجوهري قني الرجل يقنى مثل غني يغنى واقناه الله اي
اعطاه الله ما يقتنى من القنية والنشب واقناه ايضا رضاه والقنى الرضا عن ابي زيد قال وتقول العرب
من اعطى ماية من البقر فقد اعطى القنا ومن اعطى ماية من الضان فقد اعطى الغنى ومن اعطى ماية من الابل
فقد اعطى المنى ويقال اغناه الله واقناه اي اعطاه ما يسكن اليه وقيل اغنى واقنى اي اغنى نفسه وافقر
خلقه اليه قاله سليمان التيمي وقال سفيان اغنى بالقناعة واقنى بالرضا وقال الاخفش اقنى افقر
وقال ابن كيسان اول وهذا راجع لما تقدم وانه هو رب الشعرى الكوكب المضي الذي يطلع بعد الجوزا وطلوعه
في شدة الحر وهما الشعريان العبور التي في الجوزا والشعرى الغميصا التي في الذراع وتزعم العرب انهما اختا
سهيل وانما ذكر انه رب الشعرى وان كان ربا لغيره لان العرب كانت تعبده فاعلمهم الله عز وجل ان الشعرى
مربوب وليس برب واختلف فيمن كان يعبده فقال السدي كانت تعبده حمير وخزاعة وقال غيره اول من عبده
ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون النبي
صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة حين دعا الى الله وخالف اديانهم وقالوا ما لقينا من ابن ابي كبشة وقال
ابو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه لقد
امر امر ابن ابي كبشة وقد كان من العرب من لا يعبد الشعرى يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم
قال الشاعر مضى ايلول وارتفع الحرور • واخبت نارها الشعرى العبور • وقيل ان العرب تقول في خرافاتها
ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل فصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة
فسميت العبور واقامت الغميصا فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت غميصا لانها اخفى من الاخرى
وانه اهلك عادا الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل ان ثمود من قبل عاد وقال ابن زيد قيل لها عاد الاولى
لانها اول امة اهلكت بعد نوح ع وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرى
واهلكت بالصيحة وقيل عاد الاولى عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى
والمعنى متقارب وقيل ان عادا الاخرة الجبارون وهم قوم هود وقراءة العامة عادا الاولى ببيان التنوين
والهمز وقرا نافع وابن محيصن وابو عمرو عاد الاولى بنقل حركة الهمزة على اللام وادغام التنوين فيها الا ان
قالون والسوسي يظهران الهمزة الساكنة وقلبها الباقون واوا على اصلها والعرب تقلب هذا القلب فتقول
قم لان عنا وصم لاثنين وثمودا فما ابقى ثمود هم قوم صالح اهلكوا بالصيحة وقرى ثمودا وثمود وقد تقدم
وانتصب على العطف على عاد وقوم نوح من قبل اي واهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى
وذلك لطول مدة نوح فيهم حتى كان الرجل ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح فيقول احذر هذا فانه
كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا ويقول لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية
ابيه وقيل ان الكناية ترجع الى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من مشركي العرب واطغى

فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وكانه يقول لم فاصبر انت ايضا فالعاقبة الحميدة لك
والمؤتفكة اهوى يعني مداين قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت وصار عاليها سافلها يقال افكته
اي قلبته وصرفته اهوى اي خسف بهم بعد رفعهم الى السماء رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال
المبرد جعلها تهوى ويقال هوى بالفتح يهوى هويا اي سقط فغشاها ما غشى اي البسها من الحجارة
قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل وقيل ان الكناية ترجع الى جميع هذه
الامم اي غشاها من العذاب ما غشاهم وابهم لان كلا منهم اهلك بضرب غير ما اهلك به الاخر وقيل
هذا تعظيم الامر فباي الاء ربك تتمارى اي فباي نعم ربك تشك والمخاطبة للانسان المكذب والالاء
النعم واحدها الى والي والى وقرا يعقوب تمارى بادغام التائين في الاخرى والتشديد قوله تعالى
هذا نذير من النذر الاولى قال ابن جريج ومحمد بن كعب يريد ان محمدا صلى الله عليه وسلم نذير بالحق الذي
انذر به الانبياء قبله فان اطعتموه افلحتم والا حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة وقال قتادة يريد
القران وانه نذير بما انذرت الكتب الاولى وقيل اي هذا الذي اخبرنا من اخبار الامم الماضية الذين
هلكوا تخويف لهذه الامة من ان ينزل بهم ما نزل باولئك من النذر والنذر في قول العرب بمعنى الانذار
كالنكير بمعنى الانكار اي هذا انذار لكم وقال ابو مالك هذا الذي انذرتكم به من وقايع الامم الخالية هو
في صحف ابرهيم وموسى قوله تعالى ازفت الازفة اي قربت الساعة ودنت القيمة وسماها ازفة لقرب
قيامها عنده كما قال انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقيل سماها ازفة لدنوها من الناس وقربها منهم
ليستعدوا لها لان كل ما هو ات قريب قال ازف الترحل غير ان ركابنا . لما تزل برحالنا وكان قد
وفي الصحاح ازف الترحل يازف ازفا اي اقد ومنه قوله تعالى ازفت الازفة يعني القيمة وازف الرجل
اي عجل فهو ازف على فاعل والمتازف القصير وهو المتداني قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحتطي قال
المتكاكي فقلت ما المتكاكي قال المتازف قلت ما المتازف قال انت احمق وتركني ومر ليس لها من
دون الله كاشفة اي ليس لها من دون الله من يؤخرها او يقدمها وقيل كاشفة اي انكشاف اي لا يكشف
عنها ولا يبديها الا الله فالكاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العاقبة والعافية والداهية
والباقية كقولهم ما لفلان من باقية اي من بقاء وقيل اي لا احد يرد ذلك اي ان القيمة اذا قامت
لا يكشفها احد من الهتهم ولا ينجيهم غير الله تعالى وقد سميت القيمة غاشية كان ردها كشفا فالكاشفة
على هذا نعت مؤنث محذوف اي نفس كاشفة او فرقة كاشفة او حال كاشفة وقيل ان كاشفة
بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون يعني القران وهذا
استفهام توبيخ تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزاء ولا تبكون انزجارا وخوفا من الوعيد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم ما رئي بعد نزول هذه الاية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزلت
افمن هذا الحديث تعجبون قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم
فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج
النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء
بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم وقال ابو حازم نزل جبريل على النبي صلى الله
عليه وسلم وعنده رجل يبكي فقال له من هذا فقال هذا فلان فقال جبريل انا نزن اعمال بني ادم كلها
الا البكا فان الله تعالى ليطفي بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم قوله تعالى وانتم سامدون اي لاهون
معرضون عن ابن عباس رواه الوالبي والعوفي وقال عكرمة عنه هو الغنا بلغة حمير يقال سمد لنا اي
غن لنا وكانوا اذا سمعوا القران يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون

متكبرون وفي الصحاح سمد سمودا رفع راسه تكبرا وكل رافع راسه فهو سامد قال سوامد الليل خفاف
الازواد . يقول ليس في بطونها علف وقال ابن الاعرابي سمدت سمودا علوت وسمدت الابل في سيرها جدت
والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغنا وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد
وهو سرجين ورماد وتسميد الراس استيصال شعره لغة في التسبيد واسماد الرجل بالهمز اسميدادا اي ورم
غضبا وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى سامدون ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة وقال
الحسن واقفون للصلاة قبل وقوف الامام ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس
ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدين حكاه الماوردي وذكره المهدوي عن علي وانه خرج الى الصلاة فراى
الناس قياما فقال ما لهم سامدون قاله المهدوي والمعروف في اللغة سمد يسمد سمودا اذا لهى واعرض
وقال المبرد سامدون خامدون قال الشاعر اتى الحدثان نسوة آل حرب . بمقدار سمدن له سمودا . وقال
صالح ابو الخليل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
لم ير ضاحكا او متبسما حتى مات صلى الله عليه وسلم ذكره النحاس قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا قيل
المراد سجود تلاوة القران وهو قول ابن مسعود وبه قال ابو حنيفة والشافعي وقد تقدم اول السورة من
حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد معه المشركون وقيل انما سجد
معه المشركون لانهم سمعوا اصوات الشياطين في اثناء قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند قوله افرايتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى انه قال تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن
ترتجى كذا في رواية سعيد بن جبير ترتجى وفي رواية ابي العالية وشفاعتهن ترتضى ومثلهن لا ينسى
ففرح المشركون وظنوا انه من قول محمد صلى الله عليه وسلم على ما تقدم بيانه في الحج فلما بلغ الخبر بالحبشة
من كان بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا ظنا منهم ان اهل مكة امنوا فكان اهل مكة اشد
عليهم واخذوا في تعذيبهم الى ان كشف الله عنهم وقيل المراد سجود الفرض في الصلاة وهو قول عمر
كان لا يراها من عزائم السجود وبه قال مالك وروى ابي بن كعب كان اخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم
ترك السجود في المفصل والاول اصح وقد مضى القول فيه اخر الاعراف مبينا والله اعلم سورة القمر

تفسير سورة القمر وهي مكية

مكية وهي خمس وخمسون اية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل الا ثلاث ايات من قوله تعالى ام يقولون
نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر ولا يصح على ما ياتي بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم
يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى
الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر
فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على
امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
االقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة
لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف
كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر

قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اقتربت اي قربت مثل ازفت الآزفة فهي بالاضافة الى ما مضى قريبة لانه قد مضى اكثر الدنيا كما روى قتادة عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من دنياكم فيما مضى الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى وما نرى من الشمس الا يسير وقال كعب ووهب الدنيا ستة الاف سنة قال وهب قد مضى منها خمسة الاف سنة وستمائة سنة ذكره النحاس ثم قال تعالى وانشق القمر اي وقد انشق القمر وكذا قرا حذيفة اقتربت الساعة وقد انشق القمر بزيادة قد وعلى هذا الجمهور من العلماء ثبت ذلك في الصحيح وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وانس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم وعن انس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن ولفظ البخاري عن انس انشق القمر فرقتين وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر اي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره وكذا قال القشيري وقال قوم وذكر الماوردي ان هذا قول الجمهور وقال لانه اذا انشق ما بقي احد الا رآه لانها اية والناس في الايات سوا وقال الحسن اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية وقيل وانشق القمر اي وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح قال اقيموا بني امي صدور مطيكم ● فاني الى حي سواكم لاميل ● فقد حمت الحاجات والليل مقمر ● وشدت لطيات مطايا وارحل ● وقيل انشقاق القمر الظلمة عند بطلوعه في اثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة فلما ادبروا ولهم دوي ● دعانا عند شق الصبح داع قلت قد ثبت بنقل الاحاد العدول ان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم ان يستوي الناس فيها لانها اية ليلية وانها كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند التحدي فروي ان حمزة بن عبد المطلب اسلم غضبا من سب ابي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم طلب ان يريه اية يزداد بها يقينا في ايمانه وقد تقدم في الصحيح ان اهل مكة هم الذين سالوا وطلبوا ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود وغيره وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة اقتربت وان القمر انشق على عهد نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد قيل هو على التقديم والتاخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة قاله ابن كيسان وقد مضى عن الفراء ان الفعلين اذا كانا متقاربي المعنى فلك ان تقدم وتؤخر عند قوله ثم دنى فتدلى انتهى قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا هذا يدل على انهم راوا انشقاق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين نصف على ابي قبيس ونصف على قعيقعان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا وفي حديث ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا من سحر ابن ابي كبشة فاسالوا السفار فسالوهم فقالوا قد راينا القمر انشق فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا اي ان يروا اية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعرضوا عن الايمان ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب قاله انس وقتادة ومجاهد والفراء والكسائي وابو عبيدة واختاره النحاس وقال ابو العالية والضحاك محكم قوي شديد وهو من المرة وهي القوة كما قال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته ● من العزيمة لا رايا ولا ضرعا ● وقال الاخفش هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وقيل معناه مر من المرارة يقال امر الشيء صار مرا وكذلك مر الشيء بالفتح مرارة فهو مر وامر غيره ومره وقال الربيع مستمر نافذ كان ماضيا ابو عبيدة باطل وقيل دائم قال وليس على شيء فقيم بمستمر ● اي بدائم وقيل يشبه بعضه بعضا

اي قد

اي قد استقرت افعال محمد على هذا الوجه فلا ياتي بشيء له حقيقة بل الجميع تخييلات وقيل معناه قد مر من الارض الى السماء وكذبوا نبينا واتبعوا اهواءهم اي ضلالاتهم واختياراتهم وكل امر مستقر اي يستقر بكل عامل عمله فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقرا شيبة مستقر بفتح القاف اي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتاخر وقد روي عن جعفر بن القعقاع وكل امر مستقر بكسر القاف والراء جعله نعتا لامر وكل على هذا يجوز ان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف كانه قال وكل امر مستقر في ام الكتاب كائن ويجوز ان يرتفع بالعطف على الساعة المعنى اقتربت الساعة وكل امر مستقر اي اقترب استقرار الامور يوم القيمة ومن رفعه جعله خبرا عن كل قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي من بعض الانباء فذكر سبحانه من ذلك وانما اقتص الينا ما علم انهم يحتاجون اليه وان لهم فيه شفاء وكان هنالك امور اكثر من ذلك وانما اقتص الينا ما علم بنا الحاجة اليه وسكت عما سوى ذلك وذلك قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي جاء هؤلاء الكفار من اخبار الامم الماضية ما فيه مزدجر اي ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه واصله مزتجر فقلبت التاء دالا لان التاء حرف مهموس والزاي والدال حرف مجهور فابدل من التاء الدال ليتوافقا في المخرج ويلحق الدال بالزاي في الجهر ومزدجر من الزجر وهو الانتهاء يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر وزجرته انا فانزجر اي كففته فكف كما قال فاصبح ما يطلب الغانيات ● مزدجرا عن هواه ازدجارا وقرئ مزجر فقلبت تاء الافتعال زايا وادغم الزاي فيها حكاه الزمخشري حكمة بالغة يعني القران وهو بدل من ما في قوله ما فيه مزدجر ويجوز ان يكون خبر ابتداء محذوف اي هو حكمة فما تغني النذر اذا كذبوا وخالفوا كما قال فما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فما نفي اي ليست تغني عنهم النذر ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ اي فاي شيء تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها والنذر يجوز ان يكون بمعنى الانذار ويجوز ان يكون جمع نذير قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم قيل هذا منسوخ باية السيف وقيل هو تمام الكلام ثم قال يوم يدع الداع العامل في يوم يخرجون من الاجداث او خاشعا او فعل مضمر تقديره واذكر يوم وقيل على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الامر تقديره فتول عنهم فان لهم يوم يدع الداعي وقيل اي تول عنهم يا محمد فقد اقمت الحجة وابصرهم يوم يدع الداعي وقيل اي اعرض عنهم يوم القيمة ولا تسال عنهم وعن احوالهم فانهم يدعون الى شيء نكر وينالهم عذاب شديد وهو كما تقول لا تسال عما جرى على فلان اذا اخبرته بامر عظيم وقيل اي وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وقرا ابن كثير نكر باسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعسر وشغل وشغل ومعناه الامر الفظيع وهو يوم القيمة والداعي هو اسرافيل عليه السلام وقد روي عن قتادة ومجاهد انهما قرا الى شيء نكر بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل للمجهول خاشعا ابصارهم الخشوع في البصر الخضوع والذلة واضاف الخشوع الى الابصار لان اثر العز والذل يتبين في ناظر الانسان قال الله تعالى ابصارها خاشعة وقال خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ويقال خشع واختشع اذا ذل بصره اي غضه وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو خاشعا بالالف ويجوز في اسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد ويجوز خاشعا ابصارهم والتانيث نحو خاشعة ابصارهم ويجوز الجمع نحو خشعا ابصارهم قال وشباب حسن اوجههم ● من اياد بن نزار بن معد ● وخشعا جمع خاشع والنصب على الحال من الهاء والميم في عنهم فيقبح الوقف على هذا التقدير على عنهم ويجوز ان يكون حالا من المضمر في يخرجون فيوقف على عنهم وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله حاسر الجود والكرم ● يخرجون من الاجداث اي القبور واحدها جدث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي وقال في موضع اخر يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين احدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له

يقصدها فاذا سمعوا المنادى قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له وجه يقصدها مهطعين
معناه مسرعين قاله ابو عبيدة ومنه قول الشاعر بدجلة دارهم ولقد اراهم • بدجلة مهطعين الى السماع •
الضحاك مقبلين قتادة عامدين ابن عباس ناظرين عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت والمعنى متقارب
يقال هطع الرجل يهطع هطوعًا اذا اقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب
راسه قال الشاعر تعبدني نمر بن سعد وقد ارى • ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع • وبعير مهطع في
عنقه تصويب خلقة واهطع في عدوه اي اسرع يقول الكافرون هذا يوم عسر يعني يوم القيمة
لما ينالهم فيه من الشدة قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح ذكر جملًا من وقايع الامم الماضية تانيسًا
للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له قبلهم اي قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحًا الزمخشري فان
قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبًا
على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وكذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسًا كذبوا نوحًا لانه من جملة الرسل وقالوا
مجنون اي هو مجنون وازدجر اي زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل وقيل انما قال وازدجر
بلفظ ما لم يسم فاعله لانه راس اية فدعا ربه اي دعا عليهم حينئذ وقال رب اني مغلوب فانتصر
بتمردهم فانتصر اي فانتصر لي وقيل ان الانبياء كانوا لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن الله عز وجل
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اي كثير قاله السدي قال الشاعر اعيني جودي بالدموع الهوامر • على خير باد
من معد وحاضر • وقيل المنصب المتدفق ومنه قول امرئ القيس يصف غيثًا راح يمريه الصبا ثم
انتحى • عليه بشؤبوب جنوب منهمر • والهمر الصب وقد همر الماء والدمع يهمر همرًا وهمر ايضًا اذا اكثر الكلام واسرع
وهمر له من ماله اي اعطاه قال ابن عباس ففتحنا ابواب السماء بماء من غير سحاب لم يقلع اربعين
يومًا وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا مشددة على التكثير الباقون ففتحنا مخففًا ثم قيل انه فتح رتاجها
وسعة مسالكها وقيل انه المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر قاله علي رضي الله عنه وفجرنا
الارض عيونًا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وان عينًا تاخرت
فغضب عليها فجعل ماءها مرًّا اجاجًا الى يوم القيمة فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض على امر قد
قدر اي على مقدار لم يزد احدهما على الاخر حكاه ابن قتيبة اي كان ماء السماء والارض سواء وقيل قدر
بمعنى قضي عليهم قال قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا وقال محمد بن كعب كانت الاقوات قبل الاجساد
وكان القدر قبل البلاء وتلا هذه الاية وقال التقى الماء والالتقاء انما يكون في اثنين فصاعدًا لان
الماء يكون جمعًا وواحدًا وقيل لانهما لما اجتمعا صار الماء واحدًا وقرا الجحدري فالتقى الماءان وقرا
الحسن فالتقى الماوان وهما خلاف المرسوم القشيري وفي بعض المصاحف فالتقى الماوان وهي لغة طي
وقيل كان ماء السماء باردًا مثل الثلج وماء الارض حارًا مثل الحميم وحملناه على ذات الواح اي على سفينة
ذات الواح ودسر قال قتادة يعني المسامير التي دسرت بها السفينة اي شدت وقاله القرظي وابن
زيد وابن جبير ورواه الوالبي عن ابن عباس وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة هي صدر السفينة التي
يضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر الدفع والمخر ورواه العوفي عن ابن
عباس قال الدسر كلكل السفينة وقال الليث الدسار خيط من ليف يشد به الواح السفينة وفي الصحاح
الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير وقال تعالى على ذات الواح
ودسر ودسر ايضًا مثل عسر وعسر والدسر الدفع قال ابن عباس في العنبر انما هو شيء يدسره البحر دسرًا اي
يدفعه ودسره بالرمح ورجل مدسر تجري باعيننا بمراى منا وقيل بامرنا وقيل بحفظ منا وكلاءة وقد

معنى في هود ومنه قول الناس للمودع عين الله عليك اي حفظه وكلاءته وقيل بوحينا وقيل اي
اي بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها وكل ما
خلق الله تعالى يمكن ان يضاف اليه وقيل اي تجري باوليائنا كما في الخبر مرض عين من عيوننا فلم
نعده جزاء لمن كان كفر اي جعلنا ذلك جزاء وثوابًا لنوح على صبره على اذى قومه وهو المكفور به فاللام
في لمن لام المفعول له وقيل كفر اي جحد فمن كناية عن نوح وقيل كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب اي عقابًا
لكفرهم بالله تعالى وقرا يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء
بمعنى كان الغرق جزاء وعقابًا لمن كفر بالله وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء الى حجزته وسبب نجاته
ان نوحًا احتاج الى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها فحمل عوج تلك الخشبة اليه من الشام
فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق ولقد تركناها اية يريد هذه الفعلة عبرة وقيل اراد السفينة تركها
اية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل قال قتادة ابقاها الله بباقردي من ارض الجزيرة
عبرة واية حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم سفينة كانت بعدها فصارت رمادًا فهل من مدكر متعظ
خائف مفتعل واصله مذتكر مفتعل من الذكر فثقلت على الالسنة فقلبت التاء دالًا لتوافق الدال
في الجهر وادغمت الذال فيها فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري قال الفراء الانذار والنذر مصدران
وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار ولقد يسرنا القران للذكر اي سهلناه للحفظ
واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هياناه
للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرًا
هنالك يجزيني الذي كنت اصنع • وقال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرًا الا القران قال
غيره ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرؤون التورية الا نظرًا غير موسى وهرون ويوشع بن نون
وعزير صلوات الله عليهم ومن اجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التورية عن ظهر قلبه حين احترقت
على ما تقدم بيانه في سورة براءة فيسر الله تعالى على هذه الامة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه اي يفتعلوا
الذكر والافتعال هو ان ينجع فيهم ذلك ليصير كالذات وكالتركيب فيهم فهل من مدكر قارئ يقرؤه وقال ابو
بكر الوراق وابن شوذب فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه وكرر في هذه السورة للتنبيه والافهام
وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة انباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وكان
في كل قصة ونبا ذكر للمستمع ان لو ذكروا انما كرر هذه الاية عند كل قصة بقوله فهل من مدكر لان كل كلمة استفهام
تستدعي افهامهم التي ركبت في اجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام في هل للاستعراض والهاء للاستخراج
قوله تعالى كذبت عاد قوم هود فكيف كان عذابي ونذر وقعت نذر في هذه السورة في ستة اماكن محذوفة
الياء في جميع المصاحف وقراها يعقوب مثبتة في الحالين وورش في الوصل لا غير وحذف الباقون ولا
خلاف في حذف الياء من قوله فما تغن النذر والواو من قوله يدع فاما الياء من الداع الاول فاثبتها في
الحالين ابن محيصن وحميد ويعقوب والبزي واثبتها ورش وابو عمرو في الوصل وحذف الباقون واما
الداع الثانية فاثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير في الحالين واثبتها ابو عمرو ونافع في الوصل وحذفها
الباقون انا ارسلنا عليهم ريحًا صرصرًا اي شديدة البرد قاله قتادة والضحاك وقيل شديدة الصوت
وقد مضى في حم السجدة في يوم نحس اي في يوم كان مشؤومًا عليهم وقال ابن عباس اي في يوم كانوا يتشاءمون
به الزجاج قيل في يوم اربعاء ابن عباس كان اخر اربعاء في الشهر افنى صغيرهم وكبيرهم وقرا هرون الاعور نحس
بكسر الحاء وقد مضى القول فيه في السجدة في ايام نحسات في يوم نحس مستمر اي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه
واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقيل استمر بهم الى نار جهنم وقال الضحاك كان مرًّا عليهم وكذا حكى الكسائي ان قومًا

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد الملا عثمان ... الصدور ...

قالوا هو من المرارة مر الشيء وامتر اي كان كالشيء المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا الذي يذاق قد يكون
مرا وقد قيل هو من المرة بمعنى القوة اي في يوم نحس مستمر الشؤم كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه
فان قيل فاذا كان يوم الاربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم
استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر وقد مضى في البقرة حديث بذلك والجواب والله اعلم ما جاء في خبر
يرويه مسروق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل فقال ان الله يامرك ان تقضي باليمين مع الشاهد
وقال يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ومعلوم انه لم يرد انه نحس على الصالحين بل اراد انه نحس على الفجار والمفسدين
كما كانت الايام النحسات المذكورة في القران نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم
واذا كان كذلك لم يبعد ان يمهل الظالم من اول يوم الاربعاء الى ان تزول الشمس فاذا ادبر النهار ولم يحدث
رجعة استجيب دعاء المظلوم عليه ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم انما كان على الكفار وقول جابر في حديثه
لم ينزل بي امر غليظ اشارة الى هذا قوله تعالى تنزع الناس في موضع الصفة للريح اي تقلعهم من مواضعهم قيل
تقلعهم من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها وقال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على رؤسهم
فتندق اعناقهم وتبين رؤسهم عن اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقال محمد بن كعب عن ابيه
قال النبي صلى الله عليه وسلم انتزعت الريح الناس من بيوتهم وقيل حفروا حفرا ودخلوها فكانت الريح
تنزعهم منها وتكسرهم وتبقى تلك الحفر كانها اصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعرة ويروى
ان سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح قال ابن اسحق لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سمي
لنا منهم ستة من اشد عاد واجسمها منهم عمرو بن الحلي والحارث بن شداد ذو الهلقام وابناء تقن وخلجان
ابن سعد فاولجوا العيال في شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن في الشعب من
العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا رجلا فقالت امراة من عاد • ذهب الدهر بعمرو بن حلي والهنيات • ثم بالحارث
والهلقام طلاع الثنيات • والذي سد مهب الريح ايام البليات • الطبري في الكلام حذف والمعنى تنزع
الناس فتتركهم كانهم اعجاز نخل منقعر فالكاف في موضع نصب بالمحذوف الزجاج الكاف في موضع نصب على
الحال والمعنى تنزع الناس مشبهين اعجاز نخل والتشبيه قيل انه للحفر التي كانوا فيها والاعجاز جمع عجز وهو
موخر الشيء وكانت عاد موصوفين بطول القامة فشبهوا بالنخل انكبت لوجوهها وقال اعجاز نخل منقعر
للفظ جمع النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويونث والمنقعر المنقلع من اصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من
اصلها فانقعرت الكسائي قعرت البير اي نزلت حتى انتهيت الى قعرها وكذلك الاناء اذا شربت ما فيه حتى
انتهيت الى قعره قال واقعرت البير جعلت لها قعرا وقال ابو بكر الانباري سئل المبرد بحضرة اسمعيل القاضي عن الف
مسئلة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق بين قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وجاءتها ريح عاصف وقوله
كانهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر فقال كلما ورد عليك من هذا الباب فان شئت رددته الى
اللفظ تذكيرا والى المعنى تانيثا وقيل ان النخل والنخيل بمعنى يذكر ويونث كما ذكرنا فكيف كان
عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر هم قوم صالح كذبوا الرسل
ونبيهم وكذبوا بالايات التي هي النذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه ونصب جماعة وقرا ابو الاشهب وابن
السميقع وابو السمال العدوي ابشر بالرفع واحد كذلك رفع بالابتداء والخبر نتبعه الباقون بالنصب
على معنى انتبع بشرا منا واحدا نتبعه وقرا ابو السمال ابشر بالرفع منا واحدا بالنصب رفع بشرا باضمار
فعل يدل عليه القى كانه قال اينبا بشر منا وقوله واحدا يجوز ان يكون حالا من المضمر في منا والناصب
لها الظرف والتقدير اينبا بشر منا منفردا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في نتبعه منفردا لا ناصر له
انا اذا لفي ضلال اي ذهاب عن الصواب وسعر اي جنون من قولهم ناقة مسعورة اي كانها من شدة

نشاطها مجنونة ذكره ابن عباس قال الشاعر يصف ناقة تخال بها سعرا اذا السفر هزها • ذميل وايقاع
من السير متعب • وقال ابن عباس ايضا السعر العذاب وقاله الفرا مجاهد بعد من الحق السدي في احتراق
قال اصحوت اليوم ام شاقتك هر • ومن الحب جنون مستعر • اي متعد ومحترق وابو عبيدة هو جمع سعير
وهو لهب النار والسعير المجنون يذهب وكذا لما يلتهب به من الحدة ومعنى الاية انا اذا لفي شقاء وعناء مما
يلزمنا قوله تعالى االقي الذكر عليه من بيننا اي خصص بالرسالة من بين ال ثمود وفيهم من هو اكثر مالا
واحسن حالا وهو استفهام معناه الانكار بل هو كذاب اشر اي ليس كما يدعيه وانما يريد ان يتعاظم ويلتمس
الكبر علينا من غير استحقاق الاشر المرح والتجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال
امرؤ القيس يصف كلبا فادركنا فغم داجن • سميع بصير طلوب نكر • الط الضروس حني الضلوع • تبوع
اريب نشيط اشر • وقيل اشر بطر والاشر البطر قال الشاعر اشرتم بلبس الخز لما لبستم • ومن قبل ما تدرون
من فتح القرى • وقد اشر بالكسر ياشر اشرا فهو اشر واشران وقوم اشارى مثل سكران وسكارى قال
الشاعر وخلت وعولا اشارى بها • وقد راعها الطعن ابطالها • وقيل انه المتعدي الى منزلة لا يستحقها
والمعنى واحد وقال ابو زيد وعبد الرحمن بن حماد الاشر الذي لا يبالي ما قال وقرا ابو جعفر وابو قلابة
اشر بفتح الشين وتشديد الراء يعني به اشرنا واخبثنا سيعلمون غدا اي سيرون العذاب يوم القيمة
او في حال نزول العذاب بهم في الدنيا وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء على انه من قول صالح لهم على الباقون بالياء
اخبارا من الله لصالح عنهم وقوله غدا على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب ان مع اليوم غدا
قال للموت فيها سهام غير مخطية • من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا قال الشاعر الاعلاني
قبل نوح النوائح • وقبل اضطراب النفس بين الجوانح • وقبل غد يا لهف نفسي على غد • اذا راح اصحابي ولست
برائح • انما اراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه من الكذاب الاشر قرا ابو قلابة الاشر بفتح الشين وتشديد
الراء جا به على الاصل قال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاشر والاخير الا في ضرورة الشعر قال الشاعر
بلال خير الناس وابن الاخير • وانما يقولون هو خير قومه وهو شر الناس قال الله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس فسيعلمون من هو شر مكانا وعن ابي حيوة فتح الشين وتخفيف الراء وعن مجاهد
وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف قال النحاس وهو معنى الاشر ومثله رجل حذر وحذر
قوله تعالى انا مرسلو الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوها فروي ان صالحا صلى ركعتين
ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها فخرجت ناقة عشراء وبراء فتنة لهم اي اختبارا
وهو مفعول له فارتقبهم اي انتظرهم ما يصنعون واصطبر اي اصبر على اذاهم واصل الطاء في اصطبر
تاء فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الاطباق ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين
ال ثمود وبين الناقة لها يوم ولهم يوم كما قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس كان
يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم واذا كان يوم الناقة
شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا وانما قال ونبئهم لان العرب اذا اخبروا عن بني ادم مع البهائم
غلبوا بني ادم وروى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايها
الناس لا تسالوا في الايات هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث الله لهم ناقة فبعث الله عز
وجل اليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي
كانوا يشربون يوم غبها وهو معنى قوله ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر الشرب بالكسر
الحظ من الماء وفي المثل اخرها اقلها شربا واصله في سقي الابل لان اخرها يرد وقد نزف الحوض ومعنى
محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قال مقاتل

وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون قوله
تعالى فنادوا صاحبهم يعني بالحض على عقرها فتعاطى عقرها فعقرها ومعنى تعاطى تناول الفعل من قولهم
عطوت اي تناولت ومنه قول حسان كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل * قال محمد
ابن اسحق فكمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها
بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها من بطنها ثم نحرها وانطلق
سقبها حتى اتى صخرة في راس جبل فرغا ثم لاذ بها فاتاهم صالح عليه السلام فلما راى الناقة قد عقرت
بكى وقال انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله وقد مضى في الاعراف بيان هذا المعنى قال ابن عباس وكان
الذي عقرها ازرق اشقر اكشف افقى ويقال في اسمه قدار بن سالف قال الافوه الاودي اذ قتلت لعذار
حين تابعه * على الغواية اقوام فقد بادوا * والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤوم
ال ثمود وقال مهلهل انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم * ضرب القدار نقيعة القدام * وذكر زهير فقال
فتنتج لكم غلمان اشام كلهم * كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم * يريد الحرب فكنى عن ثمود بعاد قوله تعالى انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل وقد مضى في هود فكانوا كهشيم المحتظر وقرا الحسن وقتادة وابو
العالية المحتظر بفتح الظاء ارادوا الحظيرة الباقون بالكسر ارادوا صاحب الحظيرة وفي الصحاح والمحتظر
الذي يعمل الحظيرة وقرئ كهشيم المحتظر فمن كسره جعله الفاعل ومن فتح جعله للمفعول به ويقال للرجل
القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيدة اراه سمى امواله حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي
فعيلة بمعنى مفعولة المهدوي من فتح الظاء من المحتظر فهو مصدر اي كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون
المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك
فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال اخر اثرن عجاجة كدخان نار * تشب بغرقد بال هشيم *
وعنه كهشيم تاكله الغنم وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد بن جبير
هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان هو ما تناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصا
وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر
المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع
عن ابله قال الشاعر ترى جيف المطي بجانبيه * كان عظامها خشب الهشيم * وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح
الذي ديس وهشم فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه والهشيم فتات السنبلة والتبن قوله
تعالى كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك
نجزي من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا
عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر ولقد جاء ال فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من
اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس
سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر
وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك
مقتدر قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا انا ارسلنا عليهم حاصبا
اي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى قال النضر الحاصب الحصباء في الريح وقال ابو عبيدة الحاصب الحجارة وفي
الصحاح والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وكذلك الحصبة قال لبيد جرت عليها ان خوت من اهلها

اذ يالها كل عصوف حصبة * عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف قال الفرزدق مستقبلين
شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور * الا ال لوط يعني من تبعه على دينه ولم يكن الا بنتاه
نجيناهم بسحر قال الاخفش انما اجراه لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لما اجراه ونظيره اهبطوا مصرا لما
نكره فلما عرفه في قوله ادخلوا مصر ان شاء الله لم يجره وكذا قال الزجاج سحر اذا كان نكرة يراد به سحر
من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا فاذا اردت سحر يومك لم تصرفه تقول اتيته سحر يا هذا واتيته
بسحر والسحر هو ما بين اخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض اول النهار
لان في هذا الوقت يكون مخاييل الليل ومخاييل النهار نعمة من عندنا انعاما منا على لوط وابنتيه فهو نصب
لانه مفعول به كذلك نجزي من شكر اي كما جزينا لوطا واهله بالانجاء فكذلك نجزي من شكر اي من امن
واطاع ولقد انذرهم يعني لوطا خوفهم بطشتنا عقوبتنا واخذنا اياهم بالعذاب فتماروا بالنذر اي
شكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعل من المرية ولقد راودوه عن ضيفه اي ارادوا منه
تمكينهم ممن كان اتاه من الملائكة في هيئة الاضياف للفاحشة على ما تقدم يقال راودته على كذا
مراودة ورواد اي اردته وراد الكلا يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى طلبه وفي
الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي يطلب مكانا لينا او منحدرا فطمسنا اعينهم يروى ان جبريل
عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام
بما تسفي عليها من التراب وقيل لا بل اعماهم الله مع صحة ابصارهم فلم يروه قال الضحاك طمس الله على ابصارهم
فلم يروا الرسل فقالوا قد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر
اي فقلنا لهم ذوقوا والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط ولقد صبحهم بكرة
عذاب مستقر اي دائم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الاخرة وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل
اعلاها اسفلها وبكرة هنا نكرة فلذلك صرفت فذوقوا عذابي ونذر العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين
غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر تقدم قوله تعالى ولقد
جاء ال فرعون النذر يعني القبط والنذر موسى وهرون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين كذبوا باياتنا معجزاتنا
الدالة على توحيدنا ونبوة انبيائنا وهي العصا واليد والسنين والطمسة والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم وقيل النذر الرسل فقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى وقيل النذر الانذار فاخذناهم اخذ عزيز اي
غالب في انتقامه مقتدر اي قادر على ما اراد قوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم خاطب العرب وقيل اراد
كفار امة محمد وهو استفهام انكار ومعناه النفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا
بكفرهم ام لكم براءة في الزبر اي في الكتب المنزلة على الانبياء بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في
اللوح المحفوظ براءة من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر اي جماعة لا تطاق لكثرة عددهم وقوتهم
ولم يقل منتصرون اتباعا لرؤوس الاي فرد الله عليهم فقال سيهزم الجمع اي جمع كفار مكة وقد كان ذلك
يوم بدر وغيره وقراءة العامة سيهزم بالياء على ما لم يسم فاعله الجمع بالرفع وقرا رويس عن يعقوب سنهزم
الجمع بالنون وكسر الزاي الجمع نصبا ويولون الدبر قراءة العامة على الخبر عنهم وقرا عيسى وابن اسحق ورويس عن يعقوب
وتولون بالتاء على الخطاب والدبر اسم جنس كالدرهم والدينار فوحد والمراد الجمع لاجل رؤوس الاي وقال
مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل
الله تعالى نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال سعيد بن جبير قال سعيد بن ابي وقاص
لما نزل قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يثب في الدروع ويقول اللهم ان قريشا حادتك وحادت رسولك بفخرها وخيلها

اللهم فاحنهم الغداة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وهذا من معجزات الرسول صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر اخنى عليه الدهر اي اتى عليه واهلكه ومنه قول النابغة
اخنى على لبد ٭ واخنيت عليه افسدت قال ابن عباس كان بين نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية
على هذا مكية وفي البخاري عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية
العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر
انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول
الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر بل الساعة يريد القيمة والساعة ادهى وامر مما لحقهم يوم بدر وادهى من الداهية
وهي الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهيا
وهي توكيد لها قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ان المجرمين في
ضلال اي في حيرة عن الحق وسعر اي احتراق وقيل جنون على ما تقدم في هذه السورة يوم يسحبون في
النار على وجوههم ذوقوا مس سقر في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال جا مشركوا قريش يخاصمون النبي صلى الله عليه
وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر خرجه
الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح وروى مسلم عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم كل
شي بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وهذا ابطال لمذاهب القدرية ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا مستها
ما يجدون من الالم عند الوقوع وسقر اسم من اسما جهنم مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة
وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس من جهنم وقال قطرب سقر من سقرته وصقرته
ولوحته ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر الثانية قوله تعالى انا كل شي قراءة العامة كل بالنصب
وقرا ابو السمال كل بالرفع على الابتدا ومن نصب فباضمار فعل وهو اختيار الكوفيين لان ان تطلب الفعل
فهي به اولى والنصب ادل على عموم المخلوقات لله تعالى لانك لو حذفت خلقناه المفسر واظهرت الاول
لصار انا خلقنا كل شي بقدر ولا يصح ان يكون خلقناه صفة لشي لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا تكون
تفسيرا لما يعمل فيما قبله الثالثة الذي عليه اهل السنة ان الله سبحانه قدر الاشيا اي علم مقاديرها
واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه انه يوجد على نحو ما سبق في علمه
ولا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه
وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله
تعالى وبقدرته وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة
لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال الى غيرنا قال ابو ذر قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الاية انا كل شي خلقناه بقدر
فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيمة الرابعة روى ابو الزبير عن
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبون باقدار الله
ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في
سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي
ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجا والقدر واسند النحاس وحدثنا ابرهيم بن شريك الكوفي قال
حدثنا عكرمة بن مكرم الضبي قال حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة عن انس قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم القدرية الذين يقولون الخير والشر بايدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا انا
منهم ولا هم مني وفي صحيح مسلم ان ابن عمر تبرا منهم ولا يتبرا الا من كافر ثم اكد هذا بقوله والذي يحلف
به عبد الله بن عمر لو ان لاحدكم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يومن بالقدر وهذا مثل قوله
تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا واضح وقال
ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن قوله تعالى وما امرنا الا واحدة
اي الا مرة واحدة كلمح بالبصر اي قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق
ببصره وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع قوله
تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم الخالية وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر
اي من متذكر قوله تعالى وكل شي فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر كان
مكتوبا عليهم وهذا بيان قوله انا كل شي خلقناه بقدر في الزبر اي في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الحفظة
وقيل في ام الكتاب وكل صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعلوه
ليجازوا به ومكتوبا اذا فعلوه سطر يسطر سطرا كتب واسطر مثله قوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر
لما وصف الكفار وصف المومنين ايضا ونهر يعني انهار الما والخمر والعسل واللبن قاله ابن جريج ووحد
لانه راس الاية ثم الواحد قد ينبي عن الجميع وقيل في نهر في ضيا وسعة ومنه النهار لضيايه ومنه
انهرت الجرح قال الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها ٭ يرى قايم من دونها ما وراها ٭ وقرا ابو مجلز
وابو نهيك والاعرج وطلحة بن مصرف وقتادة ونهر بضمتين كانه جمع نهار لا ليل لهم كسحاب وسحب
قال الفرا انشدني بعض العرب ان تك ليليا فاني نهر ٭ متى ارى الصبح فلا انتظر ٭ اي صاحب النهار
قال اخر لولا الثريدان هلكنا بالضمر ٭ ثريد ليل وثريد بالنهر ٭ في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه
ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر اي يقدر على ما يشا وعند ها هنا عندية القربة والزلفة والرتبة
والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وقرا عثمان البتي
في مقاعد صدق بالجمع والمقاعد مواضع قعود الناس في الاسواق وغيرها قال عبد الله بن بريدة ان
اهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تعالى فيقرون القران على ربهم تبارك وتعالى وقد جلس كل انسان
مجلسه الذي هو مجلسه على منابر من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة بقدر اعمالهم فلا تقر
اعينهم بشي قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيا اعظم ولا احسن منه ثم ينصرفون الى منازلهم قريرة اعينهم
الى مثلها من الغد وقال ابو ثور بن يزيد عن خالد بن معدان بلغنا ان الملايكة ياتون المومنين يوم القيمة
فيقولون يا اوليا الله انطلقوا فيقولون فما بغيتكم فيقولون مقعد صدق عند مليك مقتدر وقد
روى هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى ففي الخبر ان طايفة من العقلا بالله عز وجل تزفها الملايكة الى الجنة
والناس في الحساب فيقولون للملايكة الى اين تحملوننا فيقولون الى الجنة فيقولون انكم لتحملوننا الى غير
بغيتنا فيقولون وما بغيتكم فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما اخبر في مقعد صدق عند مليك مقتدر

تفسير سورة الرحمن وهي مكية

سورة الرحمن وهي ست وسبعون اية مكية كلها في قول الجميع وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر
وقال ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى يساله من في السموات والارض الاية وقال ابن مسعود ومقاتل
هي مدنية كلها والقول الاول اصح لما روى عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه
وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به فمن رجل يسمعهموه فقال
ابن مسعود انا فقالوا انا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام فقال
بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا

ما يقول بن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمدا انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وفي الترمذي عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال حديث غريب وفي هذا دليل على انها مكية والله اعلم وروي ان قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم اتل علي مما انزل عليك فقرا عليه سورة الرحمن فقال اعدها فاعادها ثلاثا فقال والله ان له لطلاوة وان عليه لحلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما يقول هذا بشر وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك لرسول الله وروي علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء عروس وعروس القران سورة الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام فباي الاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي الاء ربكما تكذبان يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي الاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام قوله الرحمن علم القران قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ونون فيكون مجموع هذه الرحمن علم القران اي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم حتى اداه الى جميع الناس ونزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله الرحمن علم القران وقال الزجاج معنى علم القران اي سهله لان يذكر ويقرا كما قال ولقد يسرنا القران للذكر وقيل جعله علامة لما يعبد الله به خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلم علمه البيان اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان الانسان ههنا يراد به محمد صلى الله عليه وسلم والبيان بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والاخرين ويوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه مما يضره وقاله قتادة وقيل الانسان يراد به جميع الناس فهو اسم الجنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو مما فضل به الانسان على سائر الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل يعني الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحسبان معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابو مالك اي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان يعني ان بهما يحسب الاوقات والاجال والاعمار

ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير اجالهما اي تجري باجال كاجال الناس فاذا جاء اجالهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك بقدر مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسبانه ايضا اي عددته وقال الاخفش يكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان والحسبان ايضا العذاب والسهام القصار وقد مضى في الكهف الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة تقول منه حسبته اذا وسدته قال لثويت غير محسب اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان ابن اسد التميمي لقد انجم القاع الكبير عضاهه وتم به حيا تميم ووائل وقال زهير بن ابي سلمى مكلل باصول النجم تنسجه ريح الجنوب لضاحي مائه حبك واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع وسجودهما بسجود ظلالهما قاله الضحاك وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تعالى يتفيؤا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردي وقيل ان جميع ذلك مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم وعبد كثير من العجم الشجر والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك ويكون من سجود الصلاة وانشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم فقال فباتت تعد النجم في مستحيره سريع بايدي الاكلين جمودها والسماء رفعها وقرا ابو السمال والسماء بالرفع على الابتداء واختار ذلك لما عطف على الجملة التي هي والنجم والشجر يسجدان فجعل المعطوف مركبا من ابتداء وخبر كالمعطوف عليه الباقون بالنصب على اضمار فعل يدل عليه ما بعده ووضع الميزان اي العدل عن مجاهد وقتادة والسدي اي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقال على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط العدل وقيل هو الحكم وقيل اراد وضع الميزان في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى في الاعراف الا تطغوا في الميزان موضع ان يجوز ان يكون نصبا على تقدير حذف الجر كانه قال لئلا تطغوا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز ان لا يكون لان موضع من الاعراب فتكون بمعنى اي وتطغوا على هذا التقدير مجزوما كقوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس اي لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم الا تطغوا فيه واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وهو كقوله اقام الصلوة اي اتى بها واقام الناس اسواقهم اي اتوها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا

الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب
ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح وقيل المعنى ولا تخسروا الميزان حسنا لكم يوم
القيمة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان بحال رؤس وقيل التكرير الامر بايفاء الوزن ورعاية العدل
فيه وقراءة العامة تخسروا بضم التاء وكسر السين وقرا بلال بن ابي بردة وابان بن عثمان تخسروا
بفتح التاء والسين وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته وقيل تخسروا
بفتح التاء والسين على تقدير حرف الجر والمعنى ولا تخسروا في الميزان والارض وضعها للانام الانام
الناس عن ابن عباس الحسن الجن والانس الضحاك كل ما دب على وجه الارض وهذا عام فيها فاكهة اي كل ما يتفكه
به الانسان من الوان الثمار والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء
الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق عليه فستر حتى
يقوى قال العجاج بل لو شهدت الناس اذ تكمّوا بغمة اولم يفرج عموا وتكموا اي اغمى عليهم وغطوا وكمت
وكممت اي اخرجت اكمامها والكمام بالكسر والكمامة ايضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض يقال منه مكموم
اي محجوم وكممت الشيء غطيته والكم ما ستر شيئا وغطاه ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام
وكممة مثل حب وحببة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم
دراهمكم اني كذلك اكيل قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها
الذي في اعناقها ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال والحب ذو العصف والريحان
الحب الحنطة والشعير ونحوهما والعصف التبن عن الحسن وغيره مجاهد ورق الشجر والزرع
ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح سعيد بن جبير بقل الزرع اي اول ما ينبت منه وقاله
الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا في الصحاح وعصفت
الزرع اي جذذته قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه
ويبس نظيره فجعلهم كعصف ماكول الجوهري وقد اعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع
قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري اذا جمادى منعت قطرها زان جناني عطن معصف والعصف
ايضا الكسب ومنه قول الراجز بغير ما عصف ولا اكتساب وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق
المجتمع الذي يكون في السنبل وقال الهروي والعصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة
تسقي مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من اتي الماء مطموم وفي الصحاح والجل بالكسر قصب
الزرع اذا حصد والريحان الورق عن ابن عباس ومجاهد الضحاك هي لغة حمير وعن ابن عباس ايضا
والضحاك وقتادة ان الريحان الذي يشم وقاله ابن زيد وعن ابن عباس خضرة الزرع وقال سعيد
ابن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي
ان العصف الورق الذي لا يوكل والريحان هو الحب الماكول وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت
ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وهو فعلان روحان من الرائحة واصل الياء في
الكلمة واو قلبت ياء للفرق بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح قال ابن الاعرابي يقال شيء ريحاني
وروحاني اي له روح ويجوز ان يكون على وزن فيعلان فاصله ريوحان فابدل من الواو ياء
وادغم كهين ولين ثم الزم التخفيف لطوله ولحاق الزايد بين الالف والنون والاصل فيما يتركب
من الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت معروف تقول خرجت
ابتغي ريحان الله قال النمر بن تولب سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر وفي الحديث
الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له

واستبرقا قالوا اما قوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه
عن الفراء وقراءة العامة والحب ذو العصف والريحان بالرفع فيهما كلها على العطف على الفاكهة
ونصبها كلها ابن عامر وابو حيوة والمغيرة عطفا على والارض وقيل باضمار فعل اي وخلق الحب
ذا العصف والريحان فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ذات الاكمام وجر حمزة والكسائي الريحان
عطفا على العصف اي فيها الحب ذو العصف والريحان ولا يمتنع ذلك على قول من جعل الريحان
الرزق فيكون كانه قال والحب ذو الرزق والرزق من حيث كان العصف رزقا لان العصف
رزق للبهائم والريحان رزق للناس ولا شبهة فيه في قول من قال انه الريحان المشموم فباي الاء
ربكما تكذبان خطاب للجن والانس لان الانام واقع عليهما وهذا قول الجمهور يدل عليه حديث
جابر اول السورة خرجه الترمذي وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق
الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وايضا قال سنفرغ لكم ايه الثقلان وهو خطاب للانس
والجن وقد قال في هذه السورة يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خاطب الجن مع الانس وان لم يتقدم
للجن ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقيل سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القران والسورة
الواحدة فاذا ثبت انهم يكلفون كالانس خوطب الجنسان بهذه الايات وقيل الخطاب للانس على عادة
العرب في الخطاب للواحد بلفظ الجمع حسبما تقدم من القول في القيا في جهنم وكذا قولهم قفا نبك
وخليلي من ابي فاما ما خلق وخلق الجان فانه خطاب للانس والجن والصحيح قول الجمهور لقوله
والارض وضعها للانام والالاء النعم وهو قول جميع المفسرين واحدها الى والى مثل معا وعصى
والى والي اربع لغات حكاها النحاس قال وفي واحد اناء الليل ثلاث تسقط منها الالف المفتوحة
الالف الساكنة اللام وقد مضى في الاعراف والنجم قال ابن زيد انها القدرة وتقدير الكلام فباي قدرة
ربكما تكذبان وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي وعلى هذه السورة من بين السور علم القران
والعلم امام الجند والجند تبعه وانما صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن
علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسماء ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا
من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال الرحمن علم القران
ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس
والقمر وسجود الاشياء مما نجم وشجر وذكر رفع السماء ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض
للانام خاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي
رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك فاشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه
وجحدوا الرحمن التي خرجت من هذه الاشياء بها اليهم فقال سائلا لهم فباي الاء ربكما تكذبان
اي فباي قدرة ربكما تكذبان فانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشياء التي خرجت من
ملكه وقدرته شريكا يملك معه ويفعل معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال
وذكر خلق الجان من مارج من نار ثم سالهم فقال فباي الاء ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد
خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة
عليهم بما وقفهم على خلق خلق وقال القتبي ان الله عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه الاءه
ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وصفها بهذه وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم
بها كما تقول لمن تتابع فيه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر
هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن صرورة فحججت بك افتنكر هذا الم تكن راجلا

فجملته افتنكر هذا والتكرير في مثل هذا احسن وقال كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال لا تقتلي مسلماً ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك وقال آخر لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قول كاشح اشر * ولا تملن من زيارته زره وزره وزر وزر وزر * وقال الحسن بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة قوله تعالى خلق الانسان لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان باتفاق من اهل التاويل يعني ادم من صلصال الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة شبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين اختلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقد مضى في الحجر وقال هنا من صلصال كالفخار وقال هناك من صلصال من حماء مسنون وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وذلك متفق المعنى وذلك انه اخذه من تراب الارض فعجنه فصار طيناً ثم انتقل فصار كالحماء المسنون ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار وخلق الجان من مارج من نار قال الحسن الجان هو ابليس وهو ابو الجن وقيل ان الجان واحد الجن والمارج اللهب عن ابن عباس وقال خلق الله الجان من خالص النار وعنه ايضاً من لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهبت وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واخضر واصفر ونحوه عن مجاهد وكله متقارب المعنى وقيل المارج كل مرسل غير ممنوع ونحوه قول المبرد قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج خلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط ويروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احدهما بالاخرى فاكلت احدهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مزج وقال الجوهري في الصحاح والمارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان فباي الاء ربكما تكذبان قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين اي هو رب المشرقين وفي الصافات رب المشارق وقد مضى الكلام فيه هناك قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان مرج اي خلى وارسل واهمل يقال مرج الناس السلطان اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل فعل وافعل بمعنى البحرين قال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض وقاله مجاهد وسعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان بينهما برزخ اي حاجز فعلى القول الاول ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى القول الثاني الارض بينهما وهي الحاجز قاله الحسن وقتادة وعلى غيرهما من الاقوال القدرة الالهية على ما تقدم في الفرقان وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كلم الناحية الغربية فقال اني جاعل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني فقالت اغرقهم يا رب قال فاني احملهم على يدي واجعل باسك في نواحيك ثم كلم الناحية الشرقية فقال اني جاعل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني فكيف انت لهم فقالت اسبحك معهم اذا سبحوك واهللك معهم اذا هللوك واكبرك معهم اذا كبروك وامجدك معهم اذا مجدوك فاثابها الله الحلية وجعل بينهما برزخا وتحول احدهما ملحا اجاجا وبقي الاخر على حالته عذبا فراتا ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم ابو عبد الله قال حدثنا صالح بن محمد حدثنا القاسم العمري عن سهل عن ابيه عن ابي هريرة لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس يبسا وعنه ايضا ومجاهد لا يبغي احدهما على صاحبه ابن زيد المعنى لا يبغيان ان يلتقيا وتقدير الكلام مرج البحرين

يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان ان يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان كما يخرج من التراب الحب ذو العصف والريحان وقرا نافع وابو عمرو يخرج بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول الباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء على ان اللؤلؤ هو الفاعل وقال منهما وانما يخرج من الملح لا العذب لان العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن احدهما كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس دون الجن قاله الكلبي وغيره وقال الزجاج قد ذكرهما الله فاذا خرج من احدهما شيء فقد خرج منهما وهو كقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والقمر في سماء الدنيا ولكن اجمل ذكر السبع فكان ما في احداهن فيهن وقال ابو علي الفارسي هذا من حذف المضاف كقوله على رجل من القريتين عظيم اي من احدى القريتين وقال الاخفش زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان ابن عباس هما بحرا السماء والارض فاذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا منهما وقاله الطبري قال الثعلبي ولقد ذكر لي ان نواة كانت في جوف صدفة فاصابت القطرة بعض النواة ولم تصب بعضا فكانت حيث اصاب القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة وقيل ان العذب والملح قد يكون العذب كاللقاح للملح فنسب اليهما كما ينسب الولد الى الذكر والانثى وان ولدته الانثى ولذلك قيل انه لا يخرج اللؤلؤ الا من موضع يلتقي فيه العذب والملح ثم قيل المرجان عظام اللؤلؤ وكباره قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما واللؤلؤ صغاره وعنهما ايضا بالعكس ان اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره وقاله الضحاك وقتادة وقال ابن مسعود وابو مالك الخرز الاحمر قوله تعالى وله الجوار المنشآت يعني السفن وقراءة العامة المنشآت بفتح الشين قال قتادة اي المخلوقات للجري ماخوذ من الانشاء وقال مجاهد هي السفن التي رفع قلعها قال واذا لم يرفع قلعها فليست بمنشاة وقال الاخفش انها المجريات وفي الحديث ان عليا رضي الله عنه راى سفنا مقلعة فقال ورب المنشآت ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم باختلاف عنه المنشئات بكسر الشين اي المنشئات السير اضيف الفعل اليها على التجوز والاتساع وقيل الرافعات الشرع اي القلع ومن فتح الشين قال المرفوعات الشرع كالاعلام اي كالجبال والعلم الجبل الطويل قال اذا قطعنا علم بدا علم * فالسفن في البحر كالجبال في البر وقد مضى في الشورى بيانه وقرا يعقوب الجواري بياء في الوقف وحذف الباقون قوله تعالى كل من عليها فان الضمير في عليها للارض وقد ذكرها في اول السورة في قوله والارض وضعها للانام وقد يقال هو اكرم من عليها يعنون الارض وان لم يجر لها ذكر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل الارض فنزلت كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك وقال مقاتل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم ومع الموت يستوي الاقدام وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه قال الشاعر قضى على خلقه المنايا * فكل شيء سواه فان * وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا ابن فورك وابو المعالي وغيرهم وقال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال ابو المعالي واما الوجه فالمراد به عند معظم ائمتنا وجود الباري تعالى وهو الذي ارتضاه شيخنا ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى وقد مضى في

البقرة القول في هذا عند قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وقد ذكرناه في الكتاب الاسنى مستوفى
قال القشيري قال قوم هو صفة زايدة على الذات لا بكيف يحصل بها الاقبال على من اراد الرب تخصيصه
بالاكرام والصحيح ان يقال وجهه وجوده وذاته يقال هذا وجه الامر ووجه الصواب وعين الصواب
وقيل اي يبقى الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه وقيل ويبقى الجهة التي يتقرب بها الى الله
ذو الجلال والجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح يقال جل الشي اي عظم واجللته
اي عظمته والجلال اسم من جل والاكرام اي هو اهل لان يكرم عما لا يليق به من الشرك كما تقول انا
اكرمك عن هذا ومنه اكرام الانبياء والاولياء وقد اتينا على هذين الاسمين لغة ومعنى في الكتاب
الاسنى مستوفى وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وروى من
قول ابن مسعود ومعناه الزموا ذلك في الدعاء قال ابو عبيد الالظاظ لزوم الشي والمثابرة عليه
ويقال الالظاظ الالحاح وعن سعيد المقبري ان رجلا الح فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والاكرام اللهم
يا ذا الجلال والاكرام فنودي اني قد سمعت فما حاجتك **قوله تعالى** يسئله من في السموات قيل المعنى يسئله
من في السموات الرحمة ومن في الارض الرزق وقال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسئلونه المغفرة
ولا يسئلونه الرزق واهل الارض يسئلونهما جميعا وقال ابن جريج وتسئله الملائكة الرزق واهل الارض
فكانت المسئلتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض وفي الحديث ان من الملائكة ملكا
له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان وهو يسال الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسئل
الله الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسئل الله الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر وهو يسئل الله
الرزق للطير وقال ابن عطا انهم سالوه القوة على العبادة كل يوم هو في شان هذا كلام مبتدا والنصب كل
يوم ظرفا لقوله في شان او ظرفا للسوال ثم يبتدي هو في شان وروى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا
ويجيب داعيا وقيل من شانه ان يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقيل اراد شانه في يومي الدنيا
والاخرة وقال ابن بحر الدهر كله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخرة فشانه سبحانه وتعالى في ايام
الدنيا الابتلاء والاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والعطا والمنع وشانه يوم القيمة الجزا
والحساب والثواب والعقاب وقيل المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا وهو الظاهر
والشان في اللغة الخطب العظيم والجمع الشئون والمراد بالشان ههنا الجمع كقوله يخرجكم طفلا وقال الحلبي
شانه سوق المقادير الى المواقيت وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان ان يميت
حيا ويقر في الارحام ما يشاء ويعز ذليلا ويذل عزيزا وسال بعض الامراء وزيره عن قوله تعالى
كل يوم هو في شان فلم يعرف معناها واستمهله الى الغد فانصرف كئيبا الى منزله فقال له
غلام اسود ما شانك فاخبره فقال عد الى الامير فاني افسرها له فدعاه فقال ايها الامير شانه انه
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم
سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير فرجت
عني فرج الله عنك ثم امر بخلع ثياب الوزير وكساها الغلام فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى
وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها
لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وقد
صح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف

فقال الحسين

فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لانه تعالى خص هذه
الامة بخصايص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله
وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله
كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ
خراجه **قوله تعالى** سنفرغ لكم ايه الثقلان يقال فرغت من الشغل فرغ فروغا وفراغا وتفرغت
لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد
لمجازاتكم ومحاسبتكم وهذا وعيد وتهديد لهم كما يقول القايل لمن يريد تهديده اذا اتفرغ لك اي اقصد
قصدك وفرغ بمعنى قصد **وانشد ابن الانباري** في مثل هذا لجرير
الان وقد فرغت الى نمير ۞ فهذا حين كنت لها عذابا ۞
يريد وقد قصدت **وقال ايضا** انشده النحاس ۞
فرغت الى العبد المقيد في الحجل ۞
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا
مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن
لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار القتبي والكسائي وغيرهما وقيل ان الله وعد على التقوى
واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اي اقسم ذلك وانفرغ
منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد وقرا عبد الله وابي سنفرغ اليكم وقرا الاعمش وابراهيم سيفرغ
لكم بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله وقرا ابن شهاب والاعرج سنفرغ لكم بفتح النون
والراء قال الكسائي هي لغة تميم يقولون فرغ يفرغ وحكى ايضا فرغ يفرغ ورواهما هبيرة عن حفص
عن عاصم وروى الجعفي عن ابي عمرو سيفرغ بفتح الياء والراء وروي عن ابي هرمز وروي عن عيسى
الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الراء وقرا حمزة والكسائي سيفرغ بالياء الباقون بالنون وهي لغة
تهامة والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب
التكليف وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احياء وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها
ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي له قدر ووزن يتنافس فيه فهو
ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصايده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق
سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقال سنفرغ لكم فجمع ثم قال ايها الثقلان لانهما فريقان
وكل فريق جمع وكذا قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان
في حال الجمع لقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ
لكما وقال ان استطعتما لجاز وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الهاء الباقون بفتحها وقد تقدم **مسئله**
هذه السورة والاحقاف وقل اوحي دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون منهيون
مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم لا فرق بيننا وبينهم
في شي من ذلك **قوله تعالى** يا معشر الجن والانس الاية ذكر ابن المبارك واخبرنا جويبر عن الضحاك
قال اذا كان يوم القيمة امر الله سماء الدنيا فتشققت باهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى
يامرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يامر الله السماء التي تليها فينزلون
فيكونون صفا من خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم
السابعة فتنزل الملائكة الاعلى في بهايه وملكه ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون
زفيرها وشهيقها فلا ياتون قطرا من اقطارها الا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك
قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا

لا تنفذون الا بسلطان والسلطان العذر وقال الضحاك بينما الناس في اسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فيهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس قلت فعلى هذا يكون في الدنيا وعلى ما ذكره ابن المبارك يكون في الاخرة وعن الضحاك ايضا ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقال ابن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات وما في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله وعنه ايضا ان معنى لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل لا تنفذون الا الى سلطان الباء بمعنى الى كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي قال الشاعر اسيئي بنا او احسني لا ملولة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقوله فانفذوا امر تعجيز قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس اي لو خرجتم ارسل عليكما شواظ من نار واخذكم العذاب المانع من النفوذ وقيل ليس هنا متعلقا بالنفوذ بل اخبر انه يعاقب العصاة عذابا بالنار وقيل اي بالاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار عقوبة على ذلك التكذيب وقيل يحاط على الخلائق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس فتلك النار قوله يرسل عليكما شواظ والشواظ في قول ابن عباس وغيره اللهب الذي لا دخان له والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه ومنه قول امية بن ابي الصلت يهجو حسان ابن ثابت كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي ابن ابي الصلت وفي الصحاح والوقف والابتداء لابن الانباري امية بن خلف حيث قال الا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ اليس ابوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا في الحفاظ يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دائبا لهب الشواظ فاجابه حسان فقال هجوتك فاختضعت لها بذل بقافية تاجج كالشواظ وقال رؤبة ان لهم من حربنا اقياظا ونار حرب تسعر الشواظا وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المتقطع من النار الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال سعيد بن جبير وقد قيل ان الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه الاخفش عن بعض العرب وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين الباقون بالضم وهما لغتان مثل صوار وصوار لقطيع البقر ونحاس قراءة العامة ونحاس بالرفع عطف على شواظ وقرا ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو ونحاس بالخفض عطفا على النار قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة لشيء وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل انزل عليه فيكون نحاس على هذا مجرور بمن المحذوفة وعن مجاهد وحميد وعكرمة وابي العالية ونحاس بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ والنحاس بالكسر ايضا الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وعن مسلم بن جندب ونحس بالرفع وعن حنظلة بن مرة بن النعمان الانصاري ونحس بالجر عطف على نار ويجوز ان يكون ونحاس بالكسر جمع نحس كصعب وصعاب ونحس بالرفع عطف على شواظ وعن الحسن ونحس بالضم فيهن جمع نحس ويجوز ان يكون اصله ونحوس فقصر بحذف واوه حسبما تقدم عند قوله وبالنجم هم يهتدون وعن عبد الرحمن بن ابي بكرة ونحس بفتح النون وضم الحاء وشد السين من حس يحس حسا اذا استاصل ومنه قوله تعالى اذ تحسونهم باذنه والمعنى فنقتل بالعذاب وعلى القراءة الاولى ونحاس فهو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم قاله مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس

ايضا وسعيد بن جبير ان النحاس الدخان الذي لا لهب فيه وهو معنى قول الخليل والنحاس وهو معروف في كلام العرب وقال نابغة بن جعدة يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان فيه وقال مقاتل هي خمسة انهار من صفر مذاب تجري من تحت العرش على رؤوس اهل النار ثلاثة انهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار وقال ابن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار الذي له ريح شديدة فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس قوله تعالى فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كالدهان الدهان الدهن عن مجاهد والضحاك وغيرهما والمعنى انها صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة فكانت حمراء وقيل المعنى فتصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيد والفراء اي تصير السماء حمراء كالاديم لشدة حر النار ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد يقال للكميت وردا اذا كان يتلون بالوان مختلفة قال ابن عباس الفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي الشتاء كميت احمر فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر وقال الفراء اراد الفرس الوردية تكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد ابن اسلم المعنى انها تصير كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجي قال الزجاج اصل الواو والراء والدال للمجيء والاتيان وهذا قريب مما قدمناه من ان الفرس الورد تتغير الوانها وقال قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوايل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمرة كحمرة الدم وترى بالحايل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السماء لقربها من النواظر يوم القيمة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لانه اصل لونها والله اعلم قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان هذا مثل قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وان القيمة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا يسال في بعض وهذا قول عكرمة وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها عليهم الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا المعنى لا يسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده قاله مجاهد عن ابن عباس وعنه ايضا في قوله فوربك لنسالنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت المسئلة قبل ثم ختم على افواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول فاني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه وقد مضى هذا الحديث في حم السجدة وغيرها قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال الحسن سواد الوجه وزرقة الاعين قال الله تعالى ونحشر المجرمين

يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيؤخذ بالنواصي والاقدام اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته و قدمه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه على راسه فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان فباي الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قوله تعالى هذه جهنم اي يقال لهم هذه النار التي اخبرتم بها فكذبتم يطوفون بينها وبين حميم ان قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله ان ثلاثة اوجه احدها انه الذي انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني وتخضب لحية غدرت وخانت ٭ باحمر من نجيع الجوف ان قال قتادة ان طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك وقال كعب ان واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فيغمسون باغلالهم فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وعن كعب ايضا ان الحاضر وقال مجاهد انه الذي قد ان شربه وبلغ غايته والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فيه مسئلتان الاولى لما ذكر احوال اهل النار ذكر ما اعد للابرار والمعنى خاف قيامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية فمقام مصدر بمعنى القيام وقيل خاف قيام ربه عليه اي اشرافه واطلاعه عليه بيانه قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال مجاهد وابرهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه الثانية هذه الاية دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتى به وقال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف ربه بعد اداء الفرايض وقيل المقام الموضع الذي خاف مقام بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله فاذا جاء اجلهم وقوله في موضع اخر ان اجل الله اذا جاء لا يوخر جنتان اي لمن خاف

جنتان على حدة فلكل خائف جنتان وقيل جنتان لجميع الخائفين والاول اظهر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور وليس منها شيء الا يهتز نغمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت ذكره المهدوي والثعلبي ايضا من حديث ابي هريرة وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعله رؤساء الدنيا وقيل ان احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل ان احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم وقال الفراء انما هي جنة واحدة فثنى لرؤس الاي وانكر القتبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر لمراعاة رؤس الاي وايضا قال ذواتا افنان وقال ابو جعفر النحاس قال الفراء قد تكون جنة فتثنى في الشعر وهذا القول من اعظم الغلط على كتاب الله عز وجل يقول الله تعالى جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيدع الظاهر ويقول يجوز ان تكون جنة ويحتج بالشعر وقيل انما كانت اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين برزت قاله عطاء وابن شوذب وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظماء فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه هذه الاية قوله تعالى ذواتا افنان قال ابن عباس وغيره اي ذواتا الوان من الفاكهة الواحدة فن وقال مجاهد الافنان الاغصان واحدها فنن قال النابغة دعاء حمامة تدعو هديلا ٭ مفجعة على فنن تغني وقال اخر يصف طائرين باتا على غصن بان في ذرى فنن يرددان لحونا ذات الوان ٭ اراد بالحون اللغات وقال اخر ما هاج شوقك من هدير حمامة ٭ تدعو على فنن الغصون حماما ٭ تدعو ابا فرخين صادف ضاريا ٭ ذا مخلبين من الصقور قطاما ٭ والفنن جمعه افنان ثم الافانين وقال يصف رحا لها زمام من افانين الشجر ٭ وشجرة فناء اي ذات افنان وفنواء ايضا على غير قياس وفي الحديث ان اهل الجنة جرد مكحلون اولو افنان يريد اولو فنن وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان قوله تعالى فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى السلسبيل وعنه ايضا عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصباؤهما الياقوت والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحماتهما المسك الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال عطية احداهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان وكلاهما حلو يستلذ به قال ابن عباس ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وقيل ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب وقيل اراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين اللتين دونهما فانه ذكر هاهنا عينين جاريتين وذكر ثم عينين نضاختين بالماء والنضخ دون الجري فكانه قال في تلك الجنتين من كل فاكهة نوع وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان قوله تعالى متكئين على فرش هو نصب على الحال والفرش جمع فراش وقرا ابو حيوة فرش باسكان الراء بطائنها جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة والاستبرق ما غلظ من الديباج وخشن اي اذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة قاله ابن

مسعود وابو هريرة وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطاينها لتهتدي اليه قلوبكم
فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا
وعن الحسن بطاينها من استبرق وظواهرها من نور جامد وعن الحسن ايضا البطاين هي الظواهر
وهو قول الفرا وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض
وقال الفرا قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب
تقول هذا ظهر السما وهذا بطن السما لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا
لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحايط بينك وبين قوم وعلى ذلك
امر السما وجنا الجنتين دان هو ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى وثمر جني على فعيل
حين جني وقال الشاعر هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه وقرئ جني بكسر الجيم دان قريب
قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وان شا مضطجعا
لا يرد يده بعد ولا شوك قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف اي في الجنتين المذكورتين قال الزجاج وانما قال
فيهن لانه عنى بالجنتين وما اعد لصاحبهما من النعيم وقيل فيهن يعود على الفرش التي بطاينها
من استبرق اي في هذه الفرش قاصرات الطرف اي نسا قاصرات الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن
فلا يرين غيرهم وقد مضى في والصافات ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر
من طرفت عينه تطرف طرفا ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل وصوم
الثانية قوله لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد الفرا والطمث الافتضاض وهو
النكاح بالتدمية طمثها يطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حايض وغير الفرا يخالفه
في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها على اي الوجوه كان الا ان قول الفرا اعرف واشهر وقرا الكسائي
لم يطمثهن بضم الميم قال طمثت المراة تطمث بالضم حاضت وطمثت بالكسر لغة فهي طامث قال الفرزدق
دفعن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام وقيل لم يطمثهن لم يمسسهن قال ابو عمرو والطمث
اللمس وذلك في كل شي يمس ويقال للمرتع ما طمث ذلك المرتع قبلنا احد وما طمث هذه الناقة حبل
اي ما مسها عقال وقال المبرد اي لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل وقرا الحسن جان بالهمز
الثالثة في هذه الاية دليل على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنان قال ضمرة للمومنين
منهم ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقيل اي لم يطمث ما يهب الله للمومنين
من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جن ولم يطمث ما يهب الله للمومنين من الانس في الجنة
من الحور العين من الانسيات انس وذلك لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري
قلت قد مضى في النمل القول في هذا وفي سبحان ايضا وانه جايز ان تطا بني ادم وقد قال مجاهد
اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان وذلك بان الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بانه لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يعلمك
ان نسا الادميات قد يطمثهن الجان وان الحور قد برين من هذا العيب ونزهن والطمث الجماع
ذكره بكماله الترمذي الحكيم وذكره المهدوي ايضا والثعلبي وغيرهما والله اعلم قوله تعالى
كانهن الياقوت والمرجان روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك

بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته
لرايته ويروى موقوفا وقال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها
من ورا ذلك كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال الحسن هن في صفا الياقوت وبياض المرجان
قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان هل في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله هل اتى
وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل انتم منتهون
وبمعنى ما في الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ وهل جزا الاحسان الا الاحسان قال عكرمة هل جزا من
قال لا اله الا الله الا الجنة ابن عباس ما جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم الا
الجنة وقيل هل جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قاله ابن زيد وروى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا ما جزا من انعمت عليه بالتوحيد
الا الجنة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية قال يقول الله هل جزا من انعمت
عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزا من
انعمت عليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد وقال محمد بن الحنفية والحسن هي مسجلة للبر
والفاجر اي مرسلة على الفاجر في الدنيا والبر في الاخرة قوله تعالى ومن دونهما جنتان اي ولمن دون
الجنتين الاوليين جنتان اخريان قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد ومن دونهما في الفضل
ابن عباس ولمن خاف مقام ربه فيكون في الاوليين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات
وما انبسط الماوردي ويحتمل ان يكون من دونهما جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احداهما
للحور العين والاخرى للولدان ليتميز فيهما الذكور من الاناث وقال ابن جريج هي اربع جنتان منها للسابقين
المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل
ورمان وفيهما عينان نضاختان وقال ابن زيد ان الاوليين من ذهب للمقربين والاخريين من ذهب
لاصحاب اليمين قلت الى هذا ذهب الحليمي ابو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له واحتج
بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله مدهامتان
قال هاتيك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابي موسى الاشعري نحوه ولما وصف الله
الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاوليين فيهما عينان تجريان وفي الاخريين فيهما عينان
نضاختان اي فوارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين لان النضخ دون الجري وقال في الاوليين
فيهما من كل فاكهة زوجان فعم ولم يخص وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل
من كل فاكهة وقال في الاوليين متكئين على فرش بطاينها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الوشي ولا شك ان الديباج اعلى من الوشي
والرفرف كسر الخبا ولا شك ان الفرش المعدة للاتكا عليها افضل من فضل الخبا وقال في الاوليين
في صفة الحور كانهن الياقوت والمرجان وفي الاخريين فيهما خيرات حسان وليس كل حسن
كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاوليين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان
كانهما من شدة خضرتهما سوداوان ووصف الاوليين بكثرة الاغصان والاخريين بالخضرة
وحدها وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدناه بقوله ومن دونهما جنتان ولعل ما لم يذكر
من تفاوت ما بينهما اكثر مما ذكر فان قيل كيف لم يذكر اهل هاتين الجنتين كما ذكر اهل الجنتين
الاوليين قيل الجنان الاربع لمن خاف مقام ربه الا ان الخايفين لهم مراتب فالجنتان الاوليان
لاعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى والجنتان الاخريان لمن قصرت حالته في الخوف من الله

تعالى ومذهب الضحاك ان الجنتين الاوليين من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت وزمرد
وهما افضل من الاولتين وقوله ومن دونهما جنتان اي ومن امامهما ومن قبلهما والى
هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول فقال معنى ومن دونهما جنتان
اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش واخذ يفضلهما على الاولتين بما سنذكره وقال
مقاتل الجنتان الاولتان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى
قوله تعالى مدهامتان اي خضراوان من الذي قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان
والدهمة في اللغة السواد ويقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهماء اي اشتدت زرقته حتى
ذهب البياض الذي فيه فان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهاما اي صار
ادهم وادهام الشيء ادهيماما اي اسواد قال الله تعالى مدهامتان اي سوداوان من شدة الخضرة
من الري والعرب تقول لكل اخضر اسود وقال لبيد يرثي قتلى هوازن وجاءوا به في هودج ووراءه
كتائب خضر في نسيج السنور السنور لبوس من قد كان وسميت قرى العراق سوادا لكثرة خضرتها
ويقال لليل المظلم اخضر ويقال اباد الله خضراءهم اي سوادهم قوله تعالى فيهما عينان نضاختان اي فوارتان
بالماء عن ابن عباس والنضخ بالخاء اكثر من النضح بالحاء وعنه ان المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله
الحسن ومجاهد وابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في
دور اهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء الترمذي بالوان الفواكه
والنعيم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات قال الترمذي وهذا يدل على ان
النضخ اكثر من الجري وقيل تنبعان ثم تجريان قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فيه مسألتان
الاولى قال بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشيء لا يعطف على نفسه انما يعطف على
غيره وهذا ظاهر الكلام وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكرهما لفضلهما وحسن موقعهما
على الفاكهة كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وقد تقدم وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كان عندهما في ذلك الوقت
بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليه
وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما
وكثرتهما عندهم من المدينة ومكة الى ما والاهما من ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه وافرد
الفواكه على حدتها وقيل افرد بالذكر لان النخل ثمرة وفاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا
للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله وهي المسألة الثانية اذا حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه والناس قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب
وذكر ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها
زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال
القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس فيه عجم قال وحدثنا
المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها ليجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر
ذراعا قوله تعالى فيهن خيرات حسان فيه مسألتان الاولى قوله تعالى فيهن خيرات حسان يعني
النساء الواحدة خيرة بمعنى ذات خير وقيل خيرات بمعنى خيّرات فخفف كهين ولين ابن المبارك
حدثنا الاوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال لو ان خيرة من خيرات حسان

اطلعت من السماء لاضاءت لها ولغلب ضوء وجهها الشمس ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما
فيها حسان اي حسان الخلق واذا قال الله تعالى حسان فمن ذا الذي يقدر ان يصف حسنهن وقال الزهري
وقتادة خيرات الاخلاق حسان الوجوه وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ام سلمة
وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقرا قتادة وابن السميقع وابو رجا العطاردي وبكر بن حبيب السهمي
خيّرات بالتشديد على الاصل وقد قيل ان خيرات جمع خير والمعنى ذوات خير وقيل مختارات قال
الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين
ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك وفي الاوليين ذكر
بانهن قاصرات الطرف وكانهن الياقوت والمرجان فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات
الطرف وفي الحديث ان الحور العين ياخذ بعضهن بايدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق باحسن
منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ونحن الخالدات فلا
نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا ونحن خيرات حسان حبيبات لازواج كرام خرجه الترمذي
بمعناه من حديث علي رضي الله عنه وقالت عائشة رضي الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة
اجابهن المؤمنات من نساء اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن
ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة رضي الله عنها
فغلبنهن والله اعلم الثانية واختلف ايما اكثر حسنا وابهر جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر
من وصفهن في القران والسنة ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه للميت في الجنازة وابدله
زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وروي مرفوعا وذكر
ابن المبارك واخبرنا رشدين عن ابن انعم عن ابي جبلة قال ان نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن
على الحور العين بما عملن في الدنيا وقد قيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المؤمنات من ازواج
النبيين والمؤمنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور ان الحور العين
لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة النساء فلا يصيب
واحد منهم امراة وعدد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نساء الدنيا قوله تعالى حور مقصورات
في الخيام حور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سواد العين وقد تقدم مقصورات محبوسات
مستورات في الخيام في الحجال ليس بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة
درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال هو فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال الترمذي الحكيم
ابو عبد الله في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية ان سحابة مطرت من العرش
فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون ميلا وليس
لها باب حتى اذا حل ولي الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من
الملائكة والخدم لم تاخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين والله اعلم وقال في
الاوليين فيهن قاصرات الطرف قصرن طرفهن عن الازواج ولم يذكر انهن مقصورات فدل على
ان المقصورات اعلى وافضل وقال مجاهد مقصورات قد قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا
منهم وفي الصحاح وقصرت الشيء اقصره قصرا حبسته ومنه مقصورة الجامع وقصرت الشيء على
كذا اذا لم تجاوز به الى غيره وامراة قصيرة وقصورة اي مقصورة في البيت لا تترك ان تخرج
وقال كثير وانت التي حببت كل قصيرة الي وما تدري بذاك القصائر عنيت قصيرات الحجال ولم ارد

مقصار الخطى سر النساء البخاترة وانشد الفرا مقصوره ذكره ابن السكيت وروى انس قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم مررت ليلة اسري بي في الجنة بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك
يا رسول الله فقلت يا جبريل من هولاء قال هولاء جوار من الحور العين استاذن ربهن في ان يسلمن
عليك فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا نحن الناعمات فلا نبوس ابدا ونحن الراضيات فلا
نسخط ابدا ازواج رجال كرام ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام اي محبوسات
حبس صيانة وتكرمة وروى عن اسما بنت عبيد الاشهلية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل اولادكم فهل نشارككم
في الاجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم اذا احسنتن تبعل ازواجكن وطلبتن مرضاتهم قوله تعالى
لم يطمثهن اي لم يمسسهن على ما تقدم وقيل وقراءة العامة يطمثهن بكسر الميم وقرا ابو حيوة الشامي وطلحة
ابن مصرف والاعرج والشيرازي عن الكسائي بضم الميم في الحرفين وكان الكسائي يكسر احداهما ويضم الاخرى
ويخير في ذلك فاذا رفع الاولى كسر الثانية واذا كسر الاولى رفع الاخرة وفي قراءة ابي اسحق السبيعي قال ابو اسحق
كنت اصلي خلف اصحاب علي فيرفعون الميم وكنت اصلي خلف اصحاب عبد الله فيكسرونها فاستعمل الكسائي
الاثرين وهما لغتان طمثت وطمثت مثل يعرشون ويعكفون فمن ضم فللجمع بين اللغتين ومن كسر فلانها
اللغة السايرة وانما اعاد قوله لم يطمثهن ليبين ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات
الطرف يقول اذا ضعن كانت لهم الخيام في تلك الحال قوله تعالى متكئين على رفرف خضر الرفرف المحابس
وقال ابن عباس الرفرف فضول الفرش والبسط وعنه ايضا الرفرف المحابس يتكئون على فضولها وقاله قتادة
وقال الحسن والقرظي هي البسط وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وقاله الحسن ايضا
وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر تبسط وقيل الفراش المرتفع وقيل
كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل وانا النزالون نغشى نعالنا سواقط من اصناف ريط ورفرف
وهذه اقوال متقاربة وفي الصحاح والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة وقال سعيد
ابن جبير وابن عباس ايضا الرفرف رياض الجنة واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة
الطاير لتحريكه جناحه في الهوى وربما سموا الظليم رفرافا بذلك لانه يرفرف بجناحه ثم يعدو
ورفرف الطاير اذا حرك جناحه حول الشي يريد ان يقع عليه والرفرف كسر الخباء وجوانب الدرع
وما يتدلى منها الواحدة رفرفة وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا
وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا
نضيرا حكاه الثعلبي وقاله القتبي يقال للشي اذا كثر ماوه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف
يرف رفيفا حكاه الهروي وقيل ان الرفرف شي اذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى به كالمرجاح
يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسته قاله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد ذكرناه
في التذكرة قال الترمذي فالرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولتين متكئين على فرش بطاينها
من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على الشي اذا استوى عليه الولي
رفرف به اي طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح واصله من رفرف بين يدي الله عز وجل
روي لنا في حديث المعراج ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ السدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله
من جبريل وطار به الى عند العرش فذكر انه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما
حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا حتى اداه الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه وجبريل
يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدام بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو

والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل
الجنتين الدانيتين هو متكاوهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار وشطوطها حيث شا
الى خيام ازواجه الخيرات الحسان ثم قال وعبقري حسان وقرا عثمان رضي الله عنه والجحدري والحسن
وغيرهم متكئين على رفارف بالجمع غير مصروف وكذلك وعباقري حسان جمع رفرف وعبقري ورفرف
اسم للجميع وعبقري واحد يدل على الجمع المنسوب الى عبقر وقد قيل ان واحد رفرف وعبقري رفرفة
وعبقرية والرفارف والعباقر جمع الجمع والعبقري الطنافس الثخان منها قاله الفرا وقيل الزرابي عن
ابن عباس وغيره الحسن هي البسط مجاهد الديباج القتبي كل ثوب وشي عند العرب عبقري قال ابو عبيد
هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي فينسب اليها كل وشي حيك قال ذو الرمة حتى كان رياض القف
البسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد ويقال عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة وقال
ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية يسكنها الجن ينسب اليها كل فايق جليل نافس فاصل وفاخر
من الرجال والنساء وغيرهم عند عبقري العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا
من الناس يفري فريه وقال ابو عمرو بن العلا وقد سيل عن قوله صلى الله عليه وسلم فلم ار عبقريا
يفري فريه قال رئيس قوم وجليلهم قال زهير بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما
ان ينالوا فيستعلوا وقال الجوهري العبقر موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد
كهول وشبان كجنة عبقر ثم نسبوا اليه كل شي يعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته
فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو هذه البسط التي
فيها الاصباغ والنقوش حتى قالوا ظلم عبقري وهذا عبقري قوم للرجل القوي وفي الحديث فلم
ار عبقريا يفري فريه ثم خاطبهم الله بما يعارفونه فقال عبقري حسان وقراه بعضهم عباقري
وهو خطا لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي
وبخاتي وروى ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان
ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر قليل قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام تبارك تفاعل
من البركة وقد تقدم ذي الجلال العظمة وقد تقدم والاكرام وقرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله
وصفا للاسم وذلك تقوية ليكون الاسم هو المسمى الباقون ذي الجلال جعلوا ذي صفة لربك وكانه
يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن
والشياطين وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف
يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام اي هذا الاسم افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن
رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض والخلق والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن
فمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام جليل في ذاته كريم في افعاله ولم تختلف القراء في اجراء النعت
على الوجه بالرفع في اول السورة وهو يدل على ان المراد به وجه الله الذي يلقى المومنون عندما ينظرون

تفسير سورة الواقعة وهي مكية

اليه فيستبشرون بحسن الجزاء وجميل اللقاء وحسن العطاء سورة الواقعة وهي سبع وتسعون
اية مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة
وهي قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها اثنتان افبهذا الحديث
انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفره الى مكة وقوله تعالى ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة وقال مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين

ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد والتعليق والثعلبي أيضا أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني قال أفلا نأمر لك بعطائك قال لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين

قوله تعالى إذا وقعت الواقعة أي قامت القيامة والمراد النفخة الآخرة وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وفيه إضمار أي اذكروا إذا وقعت الواقعة وقال الجرجاني إذا صلة أي وقعت الواقعة كقوله اقتربت الساعة وأتى أمر الله وهو كما يقال قد جاء الصوم أي دنا واقترب وعلى الأول إذا للوقت والجواب فأصحاب الميمنة ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية أي لغو والمعنى لا يسمع لها كذب قاله الكسائي ومنه قول العامة عائذا بالله أي معاذ الله وقم قائما أي قم قياما ولبعض نساء العرب ترقص ابنها قم قائما قم قائما أصبت عبدا نائما وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف أي ليس لوقعتها قضية حال كاذبة أو نفس كاذبة أي كل من يخبر عن وقعتها صادق وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة أي لا يردها شيء ونحوه قول الحسن وقتادة وقال الثوري ليس لوقعتها أحد يكذب بها وقال الكسائي أيضا ليس لها تكذيب أي ينبغي ألا يكذب بها أحد وقيل إن قيامها جد لا هزل فيه قوله تعالى خافضة رافعة قال عكرمة والسدي خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت فأسمعت من نأى يعني أسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت أقواما في عذاب الله ورفعت أقواما إلى طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت أعداء الله في النار ورفعت أولياء الله في الجنة وقال محمد بن كعب خفضت أقواما كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت أقواما كانوا في الدنيا مخفوضين وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله

فرفع أولياءه في أعلى الدرجات وخفض أعداءه في أسفل الدركات وقرأ الحسن وعيسى الثقفي خافضة رافعة بالنصب الباقون بالرفع على إضمار مبتدأ ومن نصب فعلى الحال وهو عند الفراء على إضمار فعل والمعنى إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة والقيامة لا شك في وقوعها وأنها ترفع أقواما وتضع آخرين على ما بيناه قوله تعالى إذا رجت الأرض رجا أي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا أي حركه وزلزله وناقة رجاء أي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني إذا اضطربت أمواجه قال الكلبي وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا من الله تعالى قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت وموضع إذا نصب على البدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لأن عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وقيل أي إذا وقعت الواقعة إذا رجت الأرض قاله الزجاج والجرجاني وقيل أي اذكر إذا رجت رجا مصدر وهو دليل على تكرير الزلزلة قوله تعالى وبست الجبال بسا أي فتتت عن ابن عباس مجاهد كما يبس الدقيق أي يلت والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا وذكر أبو عبيدة أنه لص من غطفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك فأكله عجينا والمعنى أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء أي تصير الجبال ترابا فيختلط البعض بالبعض وقال الحسن بست قلعت من أصلها نظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بست كالرمل والتراب وقيل البس السوق أي سيقت الجبال قال أبو زيد البس السوق وقد بسست الإبل أبسها بالضم بسا وقال أبو عبيد بسست الإبل وأبسست لغتان إذا زجرتها وقلت بس بس وفي الحديث يخرج قوم من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنه الحديث الآخر جاءكم أهل اليمن يبسون عيالاتهم والعرب تقول جيء به من حسك وبسك ورواهما أبو زيد بالكسر فمعناه من حيث أحس به وبسك من حيث بلغه مسيرك وقال مجاهد سالت سيلا عكرمة هدت هدا محمد بن كعب سيرت سيرا ومنه قول الأغلب العجلي وقال الحسن قطعت قطعا والمعنى متقارب قوله تعالى فكانت هباء منبثا قال علي رضي الله عنه الهباء الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب فجعل الله أعمالهم كذلك وقال مجاهد الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه أيضا هو ما تطاير من النار إذا اضطرمت يطير منه شرر فإذا وقع لم يكن شيئا وقاله عطية وقد مضى في الفرقان عند قوله وقدمنا إلى ما عملوا الآية وقراءة العامة منبثا بالثاء المثلثة أي متفرقا من قوله تعالى وبث فيها من كل دابة أي فرق ونشر وقرأ مسروق والنخعي وأبو حيوة منبتا بالتاء باثنتين أي منقطعا من قولهم بته الله أي قطعه ومنه البتات قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي أصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار قاله السدي والمشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة ويقال يا فلان شائم بأصحابك أي خذ بهم شأمة أي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الأشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشؤم وقال ابن عباس والسدي أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال زيد بن أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر وقال عطاء ومحمد بن كعب أصحاب الميمنة من أخذ كتابه بيمينه وأصحاب المشأمة من أخذ كتابه بشماله

وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات واصحاب المشئمة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب
الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشئمة المشائم على انفسهم بالاعمال السيئة القبيحة
وفي صحيح مسلم من حديث الاسرا ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل
عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال
مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن
يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد
اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشأمة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني
في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين والتكرير في ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
للتفخيم والتعجيب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع مالك
وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب المشئمة من العقاب وقيل اصحاب رفع بالابتداء
والخبر ما اصحاب الميمنة كانه قال واصحاب الميمنة ما هم المعنى اي شيء هم وقيل يجوز ان يكون ما تاكيدا والمعنى
فالذين يؤتون كتابهم بايمانهم هم اصحاب اليمين وعلو المنزلة قوله تعالى والسابقون السابقون روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سالوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم
ذكره المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي انهم الانبياء الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل امة ونحوه عن عكرمة
محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين دليله قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال
مجاهد وغيره هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي رضي الله عنه السابقون الى الصلوات
الخمس الضحاك الى الجهاد سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم
فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل
مؤمن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان في امة محمد صلى الله عليه
وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال شميط بن عجلان الناس ثلاثة فرجل
ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبة حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها
حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وقيل هم كل من سبق الى شيء من اشياء الصلاح وقيل السابقون رفع بالابتداء
والثاني توكيد له والخبر اولئك المقربون وقال الزجاج السابقون رفع بالابتداء والثاني خبره والمعنى والسابقون
الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله واولئك المقربون من صفتهم وقيل اذا خرج رجل من السابقين المقربين
من منزله في الجنة كان له ضوء يعرفه به من دونه قوله تعالى ثلة من الاولين اي جماعة من الامم الماضية
وقليل من الاخرين اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة الى
من كان قبلهم لان الانبياء المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان منهم فزادوا على عدد من سبق
الى التصديق من امتنا وقيل لما نزل هذا شق على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة بل ثلث اهل
الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت
في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكان المراد انها منسوخة والاشبه انها محكمة لانها خبر ولان ذلك
في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قال وقليل من الاخرين وقال
في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اني لارجو ان تكون امتي شطر اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال مجاهد كل من

هذه الامة وروى سفيان عن ابان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلتان
جميعا من امتي يعني ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من
هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل ثلة من
الاولين اي اولي هذه الامة وقليل من الاخرين يسارع في الطاعات حتى يلحق درجة الاولين ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام خيركم قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين والثلة من ثلت الشيء
اي قطعته فمعنى ثلة كمعنى فرقة قاله الزجاج قوله تعالى على سرر موضونة اي السابقون في الجنة على
سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر
والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة مصفوفة كما قال في موضع اخر على سرر مصفوفة وعنه ايضا
ومجاهد مرمولة بالذهب وفي التفاسير موضونة اي منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت
والزبرجد والوضن النسج المضاعف والنضد يقال وضن فلان الحجر والاجر بعضه فوق بعض وهو موضون
ودرع موضونة اي محكمة في النسج مثل مصفوفة قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي
عيرا فعيرا وقال ايضا وبيضاء كالنهي موضونة لها قونس فوق جيب البدن والسرير الموضون الذي
سطحه بمنزلة المنسوج ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض ومنه قوله
اليك تعدو قلقا وضينها متكئين عليها اي على السرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض
بل تدور بهم الاسرة وهذا في المؤمن وزوجته واهله اي متكئون متقابلين قاله مجاهد وغيره وقال
الكلبي طول كل سرير ثلاثمائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت قوله
تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون قاله مجاهد الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون
ومنه قول امرئ القيس وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال وقال سعيد بن جبير
مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجمعه خلدة وقيل مستورون ونحوه عن الفرا قال الشاعر
ومخلدات باللجين كانما اعجازهن اقاوز الكثبان وقيل مقرطون يعني ممنطقون من المناطق وقال عكرمة
مخلدون منعمون وقيل على سن واحدة انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة
وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري الولدان هاهنا ولدان المسلمين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة
وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون
عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة والنعمة انما تتم باحتفاف
الخدم والولدان بالانسان باكواب واباريق اكواب جمع كوب وقد مضى في الزخرف وهي الانية التي
لا عرى لها ولا خراطيم والاباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق سمي بذلك لانه يبرق لونه
من صفائه وكاس من معين مضى في الصافات القول فيه والمعين الجاري من ماء او خمر غير ان
المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة للعيون فيكون معين مفعولا من المعاينة
وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة وبين انها ليست كخمر الدنيا الذي يخرج بعصر وتكلف ومعالجة
قوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون اي لا يتصدع رؤوسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى بخلاف
شراب الدنيا ولا ينزفون تقدم في والصافات اي لا يسكرون فتذهب عقولهم وقال مجاهد لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون لقوله يومئذ يصدعون وقرا اهل الكوفة ينزفون بكسر الزاي اي لا
ينفد شرابهم ولا يفنى خمرهم ومنه قول الشاعر لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم ال ابجرا
وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة

فنزههما عن هذه الخصال **قوله تعالى** وفاكهة مما يتخيرون اي يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها وقيل فاكهة
متخيرة مرضية والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون روى الترمذي عن انس بن مالك قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله تعالى يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن
واحلا من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكلها انعم منها قال حديث حسن وخرجه الترمذي من حديث ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة طيرا مثل اعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول احدها يا ولي الله
رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عين التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر
على قلبه اكل احدها فتخر بين يديه على الوان مختلفة فياكل منها ما اراد فاذا شبع تجمع عظام الطاير
فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها لناعمة فقال اكلها انعم منها وروى
عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لطيرا في الطاير منها سبعون
الف ريشة فيقع على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون طعام ابيض
من الثلج وابرد والين من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه لون صاحبه فياكل
منه ما اراد ثم يذهب فيطير **قوله تعالى** وحور عين قرئ بالنصب والرفع والجر فمن جر وهو حمزة
والكسائي وغيرهما جاز ان يكون معطوفا على باكواب وهو محمول على المحمول لان المعنى يتنعمون
باكواب وفاكهة ولحم وحور قاله الزجاج وجاز ان يكون معطوفا على جنات اي هم في جنات
النعيم وفي حور على تقدير حذف المضاف كانه قال وفي معاشرة حور الفراء الجر على الاتباع
في اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن **قال الشاعر** اذا ما الغانيات برزن يوما ٭
وزججن الحواجب والعيونا ٭ والعين لا تزجج وانما تكحل **وقال اخر** ورايت زوجك في الوغا ٭
متقلدا سيفا ورمحا ٭ **وقال قطرب** هو معطوف على الاكواب والاباريق من الحمل على المعنى ولا
ينكر ان يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة ومن نصب وهو الاشهب العقيلي والنخعي
وعيسى بن عمر الثقفي وكذلك في مصحف ابي فهو على تقدير اضمار فعل كانه قال ويزوجون حورا
عينا والحمل في النصب على المعنى ايضا حسن لان معنى يطاف عليهم به يعطونه ومن رفع وهم
الجمهور وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم فعلى معنى وعندهم حور عين لانه لا يطاف عليهم
بالحور وقال الكسائي ومن قال وحور عين وعلل بانه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم
لان ذلك لا يطاف به وليس يطاف الا بالخمر وحدها وقال الاخفش يجوز ان يكون محمولا على المعنى
لهم اكواب ولهم حور عين وجاز ان يكون معطوفا على ثلة وثلة ابتداء وخبره على سرر موضونة
وكذلك وحور عين وابتدئ بالنكرة لتخصيصها بالصفة كامثال اي مثل امثال اللؤلؤ المكنون
الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه فهو اشد ما يكون صفاء وتلالؤا اي هن في تشاكل اجسادهن
في الحسن من جميع جوانبهن كما **قال الشاعر** كانما خلقت في قشر لؤلؤة ٭ فكل اكنافها وجه لمرصاد ٭
جزاء بما كانوا يعملون اي ثوابا ونصبه على المفعول له ويجوز ان يكون على المصدر لان معنى هم
يطوف عليهم ولدان يجازون وقد مضى الكلام في الحور العين في الطور وغيرها قال انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله الحور العين من الزعفران وقال خالد بن الوليد سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ان الرجل من اهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده
فيخرج من حوراء لو نظرت الشمس لاخجلت الشمس من حسنها من غير ان ينقص من التفاحة فقال
له رجل يا ابا سليمان ان هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة قال نعم كالسراج الذي يوقد منه سراج اخر

وسرج

وسرج ولا ينقص والله على كل شيء قدير روي عن ابن عباس انه قال خلق الله الحور العين من اصابع
رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها
من العنبر الاشهب ومن عنقها الى راسها من الكافور الابيض عليها سبعون الف حلة من شقايق
النعمان اذا اقبلت يتلالا وجهها نورا ساطعا كما تتلالا الشمس لاهل الدنيا واذا ادبرت يرى
كبدها من رقة ثيابها وجلدها في راسها سبعون الف ذوابة من المسك الاذفر لكل ذوابة منها
وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي هذا ثواب الاولياء جزاء بما كانوا يعملون **قوله تعالى** لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا ولا كذبا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته
اي قلت له اثمت محمد بن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم بعضهم بعضا مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا
تاثيما شتما ولا ماثما الا قيلا سلاما سلاما قيلا منصوب بيسمعون واستثناء منقطع
اي لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا وسلاما سلاما منصوبان بالقول اي الا انهم يقولون
الخير او على المصدر اي الا ان يقول بعضهم لبعض سلاما او يكون وصفا لقيل والسلام الثاني
بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم قال ابن عباس
اي يحيي بعضهم بعضا وقيل تحييهم الملائكة ويحييهم ربهم عز وجل **قوله تعالى** واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين رجع الى ذكر منازل اصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدم والتكرير لتعظيم شان
النعيم الذي هم فيه في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه اي قطع قاله ابن عباس وغيره وذكر
ابن المبارك حدثنا صفوان عن سليمان بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القران شجرة موذية
وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له
شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل
مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعاما ما فيه لون
يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب فاعجبهم سدره
فقالوا يا ليت لنا مثل هذه **قال امية بن ابي الصلت يصف الجنة** ان الحدايق في الجنان ظليلة ٭ فيها
الكواعب سدرها مخضود ٭ وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان في سدر مخضود وهو الموقر حملا
وهو قريب مما ذكرنا في الخبر سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال وقد مضى هذا في والنجم عند قوله
تعالى عند سدرة المنتهى وان ثمرها مثل قلال هجر من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
وطلح منضود الطلح شجر الموز واحده طلحة قاله اكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهم وقال الحسن ليس
هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وابو عبيدة شجر عظام لها شوك **قال بعض
الحداة وهو الجعدي** بشرها دليلها وقالا ٭ غدا ترين الطلح والاجبالا ٭ قال الطلح كل شجر عظيم كثير
الشوك الزجاج يجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه وقال ايضا كشجر ام غيلان رطب جدا
نحو طيب ووعدوا ما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل ساير ما في الجنة على ما في الدنيا
وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقرا علي بن ابي طالب وطلع منضود
بالعين وتلا هذه الاية ونخل طلعها هضيم وهو خلاف المصحف في رواية ابن مسعود انه قرئ بين
يديه وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو وطلع منضود ثم قال لها طلع نضيد فقيل له افلا نحولها
فقال لا ينبغي ان يهاج القران ولا يحول فقد اختار هذه القراءة ولم ير اثباتها في المصحف لمخالفة
ما رسمه مجمع عليه قاله القشيري واسنده ابو بكر الانباري قال حدثني ابي قال حدثنا حسن بن عرفة حدثنا

عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعيد عن قيس بن عبيد قال قرأت عند علي او قرئ عند علي شك
مجالد وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه ما بال الطلح اما تقرا وطلع ثم قال لها طلع نضيد فقيل له يا امير
المؤمنين انحكها من المصحف فقال لا يهاج القران اليوم قال ابو بكر ومعنى هذا انه رجع الى ما في
المصحف وعلم انه الصواب والمقصود المتراكب الذى قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة
بل هو مرصوص والنضد هو الرص والمنضد المرصوص قال النابغة خلت سبيل اتى كان يحبسه ورفعته
الى السجفين فالنضد وقال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى فنانها نضيده ثمر كله كلما اكل ثمرة
عاد مكانها احسن منها قوله تعالى وظل ممدود اي دايم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى
الى ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار الى طلوع الشمس حسبما تقدم بيانه
هناك والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة
سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل العمر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود
قال لبيد غلب العزاء وكان غير مغلب دهر طويل دايم ممدود وفي صحيح الترمذي وغيره من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
واقرءوا ان شئتم وظل ممدود وماء مسكوب اي جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه
سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا اي وماء مصبوب يجري الليل والنهار
في غير اخدود لا ينقطع عنهم وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة
لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ووصف لهم اسباب النزهة المعروفة
في الدنيا وهي الاشجار وظلالها والمياه والانهار واطرادها قوله تعالى وفاكهة كثيرة اي ليست بالقليلة
الغريبة كما كانت في بلادهم لا مقطوعة اي في وقت من الاوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء
ولا ممنوعة اي لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقيل ولا ممنوعة اي لا يمتنع من ارادها بشوك ولا بعد ولا حايط بل اذا
اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها قال الله تعالى وذللت قطوفها تذليلا وقيل ليست مقطوعة
بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان قوله تعالى وفرش مرفوعة روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام
قال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقال بعض اهل العلم في تفسير هذا الخبر الفرش
هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر ولكن قوله عز وجل وفرش مرفوعة قال
لانها محل النساء فالمعنى ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكماله دليله قوله تعالى انا انشاناهن
انشاء اي خلقناهن خلقا وابدعناهن ابداعا والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا وقد قال
تعالى هن لباس لكم ثم قيل على هذا هن الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني ادم
اي خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة اي اعدناهن الى حال الشباب وكمال الجمال والمعنى انشانا
العجوز والصبية انشاء واحدا واضمرهن ولم يتقدم ذكرهن لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين ولان
الفرش كناية عن النساء كما تقدم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن انشاء قال
منهن البكر والثيب وقالت ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء اسنده النحاس عن انس قال حدثنا احمد بن عمرو بن علي قال
حدثنا ابو عاصم عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك رفعه انا انشاناهن انشاء
قال هن العجايز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وقال المسيب بن شريك قال النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله انا انشاناهن الاية قال هن عجايز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن

وجدوهن ابكارا فلما سمعت عايشة ذلك قالت والوجعاه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع
عربا جمع عروب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما العروب العواشق لازواجهن وعن ابن عباس ايضا العرب
الملقة عكرمة الغنجة ابن زيد بلغة اهل المدينة ومنه قول لبيد وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف
يعشى دونها البصر وهي الشكلة بلغة اهل مكة وعن زيد بن اسلم ايضا الحسنة الكلام وعن عكرمة
وقتادة العرب المتحببات الى ازواجهن واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها
بشكل وغنج وحسن كلام وقيل انها الحسنة التبعل لتكون الذ استمتاعا وروى جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم عربا باسكان
الراء وضم الباقون وهما جايزان في جمع فعول اترابا على ميلاد واحد وسن واحد ثلاث وثلاثين سنة يقال
في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن
الكبر وقيل اترابا امثالا واشكالا قاله مجاهد السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد لاصحاب
اليمين قيل الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
رجع الكلام الى قوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقد مضى
الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك يعني من سابقي هذه الامة
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي
اصحاب الجنة نصفان نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة وهذا يرده ما رواه ابن ماجة
في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة
عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم قال ابو عيسى هذا حديث
حسن وثلة رفع على الابتداء او حذف حرف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هولاء
وثلة من هولاء والاولون الامم الماضية والاخرون هذه الامة على القول الثاني قوله تعالى واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون كتبهم بشمائلهم
ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال ما اصحاب الشمال في سموم والسموم الريح الحارة التي تدخل في
مسام البدن والمراد هنا حر النار ولفحها وحميم اي ماء حار قد انتهى حره اذا احرقت النار اكبادهم واجسادهم
فزعوا الى الحميم كالذي يفزع من النار ليطفي به الحر فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان وقد مضى
في القتال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وظل من يحموم اي يفزعون من السموم الى الظل كما يفزع اهل
الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم اي من دخان جهنم اسود شديد السواد عن ابن عباس ومجاهد و
غيرهما وكذلك اليحموم في اللغة الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار
وقيل هو ماخوذ من الحم وهو الفحم وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل ما فيها اسود وعن ابن
عباس ايضا النار سوداء وقال ابن زيد اليحموم جبل في جهنم يستغيث الى ظله اهل النار لا بارد بل حار
لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب عن الضحاك وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره
وكل ما لا خير فيه ليس بكريم وقيل وظل من يحموم اي في النار يعذبون بها كقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي مشركين وكانوا يصرون على الحنث
العظيم اي يقيمون على الشرك عن الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي
لا يتوبون منه الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكباير يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع
فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم قال الله تعالى مخبرا واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وفي الخبر كان يتحنث في جبل اي يفعل ما يسقط عنه

نفسه الحنث وهو الذنب وكانوا يقولون ائذا متنا هذا استبعاد منهم لامر البعث وتكذيب له
فقال الله قل لهم يا محمد ان الاولين من آبائكم والآخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يريد
يوم القيامة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم
لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون
من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر وهي التي ذكرت في سورة الصافات فمالئون منها البطون
اي من الشجرة لان المقصود من الشجر شجرة ويجوز ان تكون من الاولى زائدة ويجوز ان يكون المفعول
محذوفا كانه قال لآكلون من شجر من زقوم طعاما وقوله من زقوم صفة لشجر والصفة اذا قدرت
الجار زائدا نصب على المعنى وجر على اللفظ فان قدرت المفعول محذوفا لم تكن صفة الا في موضع جر

قوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها
الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم
فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرأيتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون
افرأيتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون
افرأيتم النار التي تورون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
فسبح باسم ربك العظيم فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب
مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

قوله تعالى فشاربون عليه اي على الزقوم او على الاكل او على الشجر لانه يذكر ويؤنث من الحميم وهو الماء المغلي الذي
قد اشتد غليانه وهو صديد اهل النار اي يورثهم حر ما ياكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون
ما يظنون انه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلى قوله تعالى فشاربون شرب الهيم قراءة نافع وعاصم وحمزة
شرب بضم الشين الباقون بفتحها لغتان جيدتان تقول العرب شربت شربا وشربا وشربا وشربا بضمتين
قال ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات
الثلاثة فاصل فعل الا ترى انه يرده الى المرة الواحدة فتقول فعلة نحو شربة وبالضم الاسم وقيل ان الفتح والضم مصدران فالشرب
كالاكل والشرب كالذكر والشرب بالكسر المشروب كالطحن المطحون والهيم الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها عن
ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم وقال عكرمة ايضا هي الابل المراض الضحاك الهيم الابل يصيبها
داء تعطش منه عطشا شديدا واحدها اهيم والانثى هيما ويقال لذلك الداء الهيام قال قيس بن الملوح
يقال به داء الهيام اصابه • وقد علمت نفسي مكان شفائها • وقوم هيم ايضا اي عطاش وقد هاموا
هياما ومن العرب من يقول في الابل هائم وهائمة والجمع هيم قال لبيد اجزت على معارفها بشعث
واطلاح من المهري هيم • وقال الضحاك والاخفش وابن عيينة وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات

الرمل

الرمل ويروى ايضا عن ابن عباس فيشربون شرب الرمال التي لا تروى بالماء المهدوي ويقال لكل ما لا
يروى من الابل والرمل اهيم وهيما وفي الصحاح والهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من
العشق والهيام داء ياخذ الابل تهيم في الارض لا ترعى يقال ناقة هيماء والهيماء ايضا المفازة لا
ماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك ان يسيل من اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل
والهيام بالكسر الابل العطاش الواحد هيمان وناقة هيمى مثل عطشان وعطشى قوله تعالى هذا نزلهم
يوم الدين اي رزقهم الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
وكقول ابي السعد الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • وقرا يونس
ابن حبيب وعباس عن ابي عمرو هذا نزلهم باسكان الزاي وقد مضى في آخر آل عمران القول فيه يوم الدين
يوم الجزاء يعني في جهنم قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون بالبعث لان
الاعادة كالابتداء وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا
قوله تعالى افرأيتم ما تمنون اي ما تصبونه من المني في ارحام النساء ءانتم تخلقونه اي تصورون
منه الانسان ام نحن الخالقون اي المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الاولى
اي اذا اقررتم بانا خالقوه لا غير فاعترفوا بالبعث وقرا ابو السمال ومحمد بن السميقع والاشهب
العقيلي تمنون بفتح التاء وهما لغتان امنى ومنى وامذى ومذى يمني ويمني ويمذي ويمذي
الماوردي ويحتمل ان يختص الامنا بالنكاح والمني بالاحتلام وجهان احدهما الامنا وهو ارادته الثاني لتقدير وهو المني
الذي يوجد به لانه مقدر لذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله تعالى نحن قدرنا
بينكم الموت احتجاج ايضا الذي يقدر على الامانة قدر على الخلق قدر على البعث وقرا مجاهد
وابن محيصن وحميد وابن كثير قدرنا بتخفيف الدال الباقون بالتشديد قال الضحاك اي سوينا
بين اهل السماء والارض وقيل قضينا وقيل كتبنا والمعنى متقارب فلا احد يبقى غيره عز وجل
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي اردنا ان نبدل امثالكم لم يسبقنا احد اي لم يغلبنا وما
نحن بمسبوقين معناه بمغلوبين وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم
بعد موتكم من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم
فيما لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل
المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه
سعيد بن جبير قوله تعالى فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف
وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد فيما لا تعلمون في اي خلق شئنا وقيل ننشئكم في عالم لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى اذ خلقتم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا عن مجاهد وغيره قتادة والضحاك يعني خلق آدم عليه السلام
فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق
بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار وقراءة العامة النشأة بالقصر وقرا مجاهد والحسن وابن كثير
وابو عمرو النشاءة بالمد وقد مضى في العنكبوت بيانه قوله تعالى افرأيتم ما تحرثون هذه حجة اخرى
اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر ءانتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون
فيه السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبل
من الحب ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع
اليه تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على

١١

اختيارهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت فان
الزارع هو الله قال ابو هريرة الم تسمع قول الله تعالى ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون والمستحب لكل من
بلغ البذر في الارض ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت
والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ولالائك من الذاكرين
وبارك لنا فيه يا رب العالمين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الافات الدود والجراد
وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك ومعنى ءانتم تزرعونه اي تجعلونه وقد يقال فلان
زراع كما يقال حراث اي يفعل ما يؤل الى ان يكون زرعا يعجب الزراع وقد يطلق لفظ الزرع على بذر
الارض وتكوينها تجوزا انتهى قلت هو نهي ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب ومثله قوله عليه الصلاة
والسلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وقد مضى في يوسف القول
فيه وقد بالغ بعض العلماء فقال لا تقل حرثت فاصبت بل تقول اعانني الله فحرثت واعطاني بفضله
ما اصبت قال الماوردي وتتضمن هذه الاية امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به
ليشكروه على نعمته عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله
الى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر ثم جعله قويا مشتدا اضعف ما كان
عليه فهو باعادة ما امات اخف عليه واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال
لو نشاء لجعلناه حطاما اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء
فنبه بذلك ايضا على امرين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروه الثاني
ليعتبروا في انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شاء كذلك يهلكهم اذا شاء ليتعظوا فينزجروا فظلتم
تفكهون اي تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وفي الصحاح وتفكه
اي تعجب ويقال تندم قال الله تعالى فظلتم تفكهون اي تندمون وتفكهت بالشيء تمتعت به وقال يمان
تندمون على نفقاتكم دليله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وقال عكرمة تلاومون وتندمون على معصية
الله التي اوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم ابن كيسان تحزنون والمعنى متقارب وفيه لغتان تفكهون
وتفكنون قال الفراء والنون لغة عكل وفي الصحاح التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التكلم
فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا
كان طيب النفس مزاحا وقراءة العامة فظلتم بفتح الظاء وقرا عبد الله فظلتم بكسر الظاء ورواها
هارون عن حسين عن ابي بكر فمن فتح فعلى الاصل والاصل ظللتم فحذف اللام الاولى تخفيفا ومن كسر
نقل كسرة اللام الاولى الى الظاء ثم حذفها انا لمغرمون قرا ابو بكر والمفضل ائنا بهمزتين على الاستفهام
ورواه عاصم عن زر بن حبيش الباقون بهمزة واحدة على الخبر اي وتقولون انا لمغرمون اي معذبون
عن ابن عباس وقتادة قالا والغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم وثقت بان الحفظ مني سجية ♦ وان فؤادي
مبتلى بك مغرم ♦ وقال مجاهد وعكرمة مولع بنا ومنه قول النمر بن تولب سلا عن تذكره تكتما ♦ وكان
رهينا بها مغرما ♦ يقال اغرم فلان بفلانة اي اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد
ايضا الملقون للشر وقال مقاتل بن حيان مهلكون النحاس انا لمغرمون ماخوذ من الغرام
وهو الهلاك كما قال يوم النسار ويوم الجفار ♦ كانا عذابا وكانا غراما ♦ الضحاك وابن كيسان هو من الغرم
والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا الحب الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون بل نحن محرومون
اي حرمنا ما طلبنا من الريع والمحروم الممنوع من الرزق وهو المحارف في قول قتادة وعن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة فقال لا تفعلوا فان الله يقول

انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم ما تحرثون ءانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون قلت وفي هذا الخبر والحديث قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع في اسماء الله سبحانه
واباه الجمهور من العلماء وقد ذكرنا ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قوله تعالى افرايتم الماء الذي
تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم لان الشراب انما يكون تبعا للمطعوم ولهذا جاء الطعام مقدما
في الاية الا ترى انك تسقي ضيفك بعد ان تطعمه الزمخشري ولو عطشت فعدت نحو قول ابي العلاء
اذا سقيت ضياف الناس محضا ♦ سقوا اضيافهم شبما زلالا ♦ وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ءانتم
انزلتموه من المزن اي السحاب الواحدة مزنة قال الشاعر فنحن كماء المزن ما في نصابنا ♦ كهام ولا فينا يعد بخيلا ♦
وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان المزن السحاب وعن ابن عباس ايضا والثوري المزن السماء والسحاب
وفي الصحاح ابو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة المطرة قال الم تر ان الله انزل مزنة ♦ وعفر
الظباء في الكناس تقمع ♦ ام نحن المنزلون فاذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكروني باخلاص العبادة لي ولم تنكرون
قدرتي على الاعادة لو نشاء جعلناه اجاجا اي ملحا شديد الملوحة قاله ابن عباس والحسن مرا لا تنتفعون
به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم قوله تعالى افرايتم النار
التي تورون اي اخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب ءانتم انشاتم شجرتها يعني
التي تكون منها الزنود وهي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثروا
منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما ويقال لانهما يسرعان الورى يقال اوريت النار اذا قدحتها
وورى الزند يري اذا انقدح منه النار وفيه لغة اخرى وري الزند يري بالكسر فيهما ام نحن المنشئون
اي المخترعون الخالقون اي فاذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث قوله تعالى
نحن جعلناها تذكرة يعني موعظة للنار الكبرى قاله قتادة مجاهد تبصرة للناس من الظلام وصح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا
يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ومتاعا
للمقوين قال الضحاك اي منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القي وهو القفر الفراء انما يقال للمسافرين
مقوين اذا نزلوا القي وهي الارض القفرة التي لا شيء فيها وكذا القوى والقواء والقوا بالمد والقصر ومنزل
قواء لا انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من سكانها قال النابغة يا دار مية بالعلياء
فالسند ♦ اقوت وطال عليها سالف الابد ♦ وقال عنترة حييت من طلل تقادم عهده ♦ اقوى واقفر بعد ام
الهيثم ♦ ويقال اقوى اي قوي واقوى اصحابه واقوى اذا سافر اي نزل القوى والقي وقال مجاهد للمقوين المستمتعين
بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها وقال
ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا وبات فلان القوا
وبات القفر اذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر واني لاختار القوى طاوي الحشا ♦ محافظة من ان يقال
لئيم ♦ وقال الربيع والسدي للمنزلين المقوين الذين لا زناد معهم فيحترقون بها ورواه العوفي عن ابن عباس
وقال قطرب المقوي من الاضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد
واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم
والغني والفقير وحكى الثعلبي ان اكثر المفسرين على القول الاول القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها
لان انتفاعه بها اكثر من منفعة المقيم لان اهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب
منهم السباع وفي كثير من حوائجهم قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون
من الانداد والعجز عن البعث قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم فيه سبع مسائل الاولى قوله فلا اقسم اصله

في قول اكثر المفسرين فاقسم بدليل قوله وانه لقسم وقال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف اقسم وقد
يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين بل يريد نفي كلام تقدم اي ليس الامر كما ذكرت بل هو
كذا وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كما قال الا عم صباحا ايها الطلل البالي ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه
وانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا وقرا الحسن وحميد وعيسى بن عمر فلاقسم بغير الف بعد اللام على
التحقيق وهو فعل حال ويقدر مبتدا محذوف التقدير فلانا اقسم بذلك ولو اريد به الاستقبال للزمت النون
وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ الثانية قوله تعالى بمواقع النجوم مواقع
النجوم مساقطها ومغاربها في قول قتادة وغيره عطا بن ابي رباح منازلها الحسن انكدارها وانتثارها
يوم القيمة الضحاك هي الانواء التي كانت اهل الجاهلية تقول اذا مطروا قالوا امطرنا بنوء كذا الماوردي ويكون
قوله تعالى فلا اقسم مستعملا على حقيقته من نفي القسم القشيري هو قسم ولله تعالى ان يقسم بما يريد وليس
لنا ان نقسم بغير الله وصفاته القديمة الثالثة يدل على هذا قراءة الحسن فلاقسم وما اقسم به سبحانه
من مخلوقاته في غير موضع من كتابه وقال ابن عباس المراد بمواقع النجوم نزول القران نجوما انزله الله من اللوح
المحفوظ من السماء العليا الى السفرة الكاتبين فنجمه السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل على محمد عليهما
السلام عشرين سنة فهو ينزله على الاحداث من امته حكاه الماوردي عن ابن عباس والسدي وقال ابو
بكر ابن الانباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا همام عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس قال نزل القران الى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل الى الارض نجوما وفرق بعد ذلك خمس ايات
واقل واكثر فذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم وحكى الفرا
عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القران وقرا حمزة والكسائي بموقع على التوحيد وهي قراءة
عبد الله بن مسعود والنخعي والاعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب الباقون على الجمع فمن افرد فلانه
اسم جنس يودي الواحد فيه ومن جمع فلاختلاف انواعه الرابعة قوله تعالى انه لقران كريم قيل ان
الهاء تعود على القران اي ان القران لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل ما اقسم الله به عظيم انه لقران
كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بالنجوم ان هذا القران قران كريم ليس بسحر ولا كهانة وليس بمفترى
بل هو قران كريم محمود جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو كريم على المومنين
لانه كلام ربهم وشفاء صدورهم كريم على اهل السماء لانه تنزيل ربهم ووحيه اي قيل كريم اي غير
مخلوق وقيل كريم لما فيه من كريم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قاريه
الخامسة قوله تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله تعالى وقيل مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب
هنا كتاب في السماء قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ عكرمة التورية
والانجيل فيهما ذكر القران ومن ينزل عليه السدي الزبور مجاهد وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا
السادسة قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون اختلف في معنى لا يمسه هل هو حقيقة في المس بالجارحة او
معنى وكذلك اختلف في المطهرون الا الرسل والملائكة على الرسل من الانبياء ذلك الكتاب الا المطهرون
من الذنوب وهم الملائكة وكذا قال ابو العالية وابن زيد انهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة
والرسل من بني ادم فجبريل النازل به مطهر والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون الكلبي هم السفرة الكرام
البررة وهذا كله قول واحد وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال احسن ما سمعت في قوله لا يمسه
الا المطهرون انها بمنزلة الاية التي في عبس وتولى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة
بايدي سفرة كرام بررة يريد ان المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة عبس وقيل معنى
لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء وقيل لا يمس اللوح المحفوظ

الذي هو المكنون الا الملائكة المطهرون وقيل ان اسرافيل هو الموكل بذلك حكاه القشيري ابن العربي
وهذا باطل لان الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل اليه بحال فلو كان المراد به ذلك لما كان الاستثناء
فيه محال واما من قال انه الذي بايدي الملائكة في الصحف فهو قول محتمل وهو اختيار مالك وقيل
المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا وهو الاظهر وقد روى مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن
حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخته من محمد النبي الى شرحبيل بن عبد كلال والحارث
ابن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين ومعافر وهمدان اما بعد وكان في كتابه الا يمس
القران الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر وقالت اخت عمر
لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام واغتسل واسلم وقد مضى
في اول سورة طه وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره الا المطهرون الا الموحدون قال محمد بن الفضيل وعبدة
قال عكرمة كان ابن عباس ينهى ان يمكن احد من اليهود والنصارى من قراءة القران وقال الفرا لا يجد طعمه
الا المطهرون اي المومنون بالقران ابن العربي وهو اختيار البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم
الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال الحسين بن الفضل لا يعرف
تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعدا
وقيل المعنى لا يمس ثوابه الا المومنون ورواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قيل ظاهر الاية خبر
عن الشرعية اي لا يمسه الا المطهرون شرعا فان وجد خلاف ذلك فهو غير المشروع وهو اختيار ابن
العربي وابطل ان يكون لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر وقد مضى هذا المعنى في البقرة المهدوي ويجوز ان
يكون خبرا ويكون ضمة السين ضمة الاعراب ويجوز ان يكون نهيا وتكون ضمة السين بناء والفعل
مجزوم السابعة واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة
لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهري
والنخعي وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي حنيفة فروى عنه
انه يمسه المحدث وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي عنه انه
يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر ابن العربي وهذا يقوي الحجة
عليه لان حريم الممنوع ممنوع وفيما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال
مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال ابو حنيفة لا باس بذلك ولم يمنع من حمله بعلاقة
او مسه بحايل وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا
الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر وهو
موضع ضرورة فلا حجة فيه وفي مس الصبيان اياه وجهان احدهما المنع اعتبارا بالبالغ والثاني
الجواز لانه لو منع لم يحفظ القران لان حال تعلمه حال الصغر ولان الصبي وان كانت له طهارة الا انها ليست
بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير طهارة كاملة جاز ان يحمله محدثا قوله تعالى
تنزيل من رب العالمين اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقران
كريم وقيل اي هو تنزيل قوله تعالى افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون اي مكذبون قاله ابن عباس
وعطا وغيرهما والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل
ابن سليمان وقتادة مدهنون اي كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المورج المدهن
المنافق او الكافر الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق واصله
اللين وان يسر خلاف ما يظهر وقال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهه والهاع وادهن

وداهن واحد وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت وقال الضحاك مدهنون معرضون
مجاهد ممالئون الكفار على الكفر ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل وقال
بعض اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القرآن قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال
ابن عباس تجعلون شكركم التكذيب وذكر الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان اي ما
شكر وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر
رزقا على هذا المعنى فقيل وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم انكم تكذبون
بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة ففيه بيان ان ما اصاب العباد
من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة ان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من
قبل الله تعالى ثم يقابله بالشكر ان كان نعمة وصبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وروي عن علي ابن ابي
طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم انكم تكذبون حقيقة وعن ابن عباس ايضا ان المراد
به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا رواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه
الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون
هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت
سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو
يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم لله
تعالى على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقولك جعلت احساني اليك
اساءة منك الي وجعلت نعامي لديك ان اتخذتني عدوا وفي الموطأ عن زيد بن خالد الجهني انه قال
صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت فلما انصرف اقبل على
الناس فقال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك
كافر بي مؤمن بالكواكب قال الشافعي رحمه الله ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت المخلوق
لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا
شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقوله بعض اهل الشرك فهو كافر حلال
دمه ان لم يتب وقال ابو عمر بن عبد البر واما قوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله سبحانه
وتعالى اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فمعناه عندي على وجهين اما احدهما فان المعتقد بان النوء
هو الموجب لنزول الماء وهو المنشئ السحاب دون الله فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه
وقتله لنبذه الاسلام ورده القرآن والوجه الاخر ان النوء ينزل الله به الماء وانه سبب الماء على ما
قدره الله وسبق في علمه فهذا وان كان وجها مباحا فان فيه ايضا كفرا بنعمة الله تعالى وجهلا بلطيف
حكمته لانه ينزل الماء متى شاء مرة بنوء ومرة دون النوء وكثيرا ما يخوى النوء فلا ينزل معه
شيء من الماء وذلك من الله تعالى لا من النوء وكذلك كان ابو هريرة يقول اذا اصبح وقد مطر مطرنا
بنوء الفتح ثم يتلو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قال ابو عمر وهذا عندي نحو قول رسول الله

صلى الله

للعباس بن عبد المطلب

صلى الله عليه وسلم مطرنا بفضل الله ورحمته ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين استسقى
به يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا فقال العباس العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد
سقوطها فما مضت سابعة حتى مطر فقال عمر الحمد لله هذا بفضل الله ورحمته فكان عمر قد علم
ان نوء الثريا وقت يرجى فيه المطر ويؤمل فساله عنه اخرج ام بقي منه بقية وروى سفيان ابن
عيينة عن اسمعيل بن امية ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا في بعض اسفاره يقول مطرنا ببعض
عثانين الاسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو سقيا الله عز وجل قال سفيان عثانين
الاسد الذراع والجبهة وقراءة العامة تكذبون من التكذيب وقرا المفضل عن عاصم ويحيى بن وثاب تكذبون
بفتح التاء مخففا ومعناه ما قدمناه من قول من قال انزل قولهم مطرنا بنوء كذا وثبت من حديث انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لن يزلن في امتي التفاخر في الاحساب والنياحة والانواء ولفظ
مسلم في هذا اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء
بالنجوم والنياحة قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح ولم يتقدم لها ذكر لان
المعنى معروف قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وفي حديث ان
ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهى بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك
الموت وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون له على شيء قال ابن عباس
يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت
نفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم
لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقيل هو خطاب لمن هو في النزع اي ان لم
يك ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم والرؤية وقال
عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء الا رايت الله تعالى اقرب الي منه وقيل اراد ورسلنا الذين يتولون قبضه
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا
مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين
ولا مقهورين قال الفراء وغيره دنته ملكته وانشد للحطيئة لقد دنيت امر بنيك حتى تركتهم ادق من
الطحين يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان وقد مضى في الفاتحة القول في هذا
عند قوله يوم الدين ترجعونها ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم
غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله ان كنتم غير مدينين
اجيبا بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما
ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان
وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير
مدينين ترجعونها ترون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم قوله تعالى فاما ان كان من
المقربين ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان هذا المتوفى
من المقربين وهم السابقون فروح وريحان وجنة نعيم وقراءة العامة فروح بفتح الراء ومعناه عند
ابن عباس وغيره فراحة من الدنيا وقال الحسن الروح الرحمة الضحاك الروح الاستراحة القتبي المعنى له في القبر
طيب نسيم وقال ابو العباس بن عطا الروح النظر الى وجه الله والريحان الاستماع لكلامه ووحيه وجنة نعيم
هو ان لا يحجب فيها عن الله عز وجل وقرا الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب

مزوح بضم الراء ورويت عن ابن عباس وقال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقالت عايشة رضي الله عنها قرا النبي صلى الله عليه وسلم فروح بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة قال مجاهد وسعيد بن جبير اي رزق قال مقاتل هو الرزق بلغة حمير يقال خرجنا نطلب ريحان الله اي رزقه قال النمر ابن تولب سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر وقال قتادة ان الجنة الضحاك الرحمة وقيل هو الريحان المعروف الذي يشم قاله الحسن وقتادة الربيع بن خيثم هذا عند الموت والجنة مخبوة له الى ان يبعث ابو الجوزا هذا عند قبض روحه يتلقى بضبائر الريحان ابو العالية لا يفارق احد روحه من المقربين في الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان فيشمها ثم يقبض روحه فيها واصل ريحان واشتقاقه تقدم في اول سورة الرحمن فتامله وقد سرد الثعلبي في الروح والريحان اقوالا كثيرة سوى ما ذكرنا من ارادها وجدها هناك قوله تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاهتمام لهم والمعنى واحد وقيل ان اصحاب اليمين يدعون لك بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل المعنى انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقاويل احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك السلام وقد مضى هذا في سورة النحل عند قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الثاني عند مسايلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيمة قبل وصوله اليها قلت وقد يحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك اكراما بعد اكرام والله اعلم وجوابان عند المبرد محذوف والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين فحذف جواب الشرط لما تقدم عليه ومذهب الاخفش ان الفا جواب اما وان ومعنى ذلك ان الفا جواب اما وقد سدت مسد جواب ان على التقدير المتقدم والفا جواب لهما على هذا الحد ومعنى اما عند الزجاج الخروج من شي الى شي اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره قوله تعالى واما ان كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الجنة فنزل من حميم اي فلهم رزق من حميم كما قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وتصلية جحيم ادخال في النار وقيل مقاساة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر ههنا اضيف الى المفعول كما يقال لفلان اعطا مال اي يعطى المال وقري وتصلية بكسر التاء اي ونزل من تصلية جحيم ثم ادغم ابو عمرو التا في الجيم وهو بعيد ان هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصنا محض اليقين وخالصه وجاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الى نفسه عند الكوفيين وعند البصريين بمعنى حق الامر اليقين والخبر اليقين وقيل هو توكيد وقيل اصل اليقين ان يكون نعتا للحق فاضيف المنعوت الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله ولدار الاخرة وقال قتادة في هذه الاية ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القران فاما المومن فايقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيمة واما الكافر فايقن يوم القيمة حين لا ينفعه اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السو والبا زايدة اي سبح اسم ربك والاسم المسمى وقيل فسبح اي فصل بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود والله اعلم

تفسير سورة الحديد وهي مدنية

سورة الحديد وهي تسع وعشرون اية مدنية في قول الجميع عن العرباض

ابن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية هي افضل من الف اية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تومنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مومنين هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لروف رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبيس المصير قوله تعالى سبح لله ما في السموات اي مجد الله ونزهه عن السوء وقال ابن عباس صلى لله ما في السموات ممن خلق من الملائكة والارض من شيء فيه روح او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود قلت وما ذكره هو الصحيح وقد مضى بيانه والقول فيه في سبحان عند قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم قوله تعالى له ملك السموات والارض اي انفرد بذلك والملك عبارة عن الملك ونفوذ الامر فهو سبحانه الملك القادر القاهر وقيل اراد خزاين المطر والنبات وساير الرزق يحيي ويميت يميت الاحيا في الدنيا ويحيي الموتى للبعث وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحيا وموضع يحيي ويميت رفع على معنى وهو يحيي ويميت ويجوز ان يكون نصبا بمعنى له ملك السموات والارض محييا ومميتا على الحال من المجرور في له والجار عاملا وهو على كل شيء قدير اي الله لا يعجزه شيء قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن اختلف في معاني هذه الاسما وقد بيناها في الكتاب الاسنى وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قايل فقال في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة فقال اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر عني بالظاهر الغالب وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شيء عليم بما كان او يكون لا يخفى عليه شيء قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف مستوفى قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من رزق ومطر وملك وما يعرج فيها يصعد اليها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها وقد جمع في هذه الاية

بين استوى على العرش وبين وهو معكم والاخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض
عن التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال الامام ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى لم يكن
باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد تقدم قوله تعالى له ملك السموات والارض
هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود على الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقرى الحسن
والاعرج ويعقوب وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ترجع بفتح التاء
وكسر الجيم الباقون ترجع قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وهو عليم بذات الصدور
اي لا يخفى عليه الضماير ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز ان يعبد من سواه قوله تعالى امنوا بالله ورسوله
اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل الله تعالى وقيل المراد الزكوة
المفروضة وقيل غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك
لله سبحانه وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضى الله فيثيبه على ذلك الجنة فمن انفق منها في حقوق الله
وهان عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل
والاجر العظيم وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست باموالكم
في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا الفرصة فيها باقامة الحق قبل ان تزال عنكم
الى من بعدكم فالذين امنوا منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون
بالله استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تؤمنوا وقد ازيحت العلل والرسول يدعوكم
بين بهذا انه لا حكم قبل ورود الشرايع وقرا ابو عمرو وقد اخذ ميثاقكم على غير مسمى الفاعل والباقون
مسمى الفاعل اي اخذ الله ميثاقكم قال مجاهد هو الميثاق الاول الذي كان وهم في ظهر ادم بان الله
ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم بان ركب فيكم العقول واقام عليكم الحجج والدلايل التي تدعو الى
متابعة الرسول ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل ان كنتم مؤمنين بالحجج والدلايل وقيل اي ان كنتم بحق
يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه وقيل ان كنتم مؤمنين بالله خالقكم وكانوا يعترفون بهذا
وقيل هو خطاب لقوم امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم مؤمنين
اي ان كنتم تقرون بشرايط الايمان قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده ايات بينات يريد القران وقيل
المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لما معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم
اي بالقران وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان
وان الله بكم لرءوف رحيم انتهى قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله فيه خمس مسايل الاولى قوله وما لكم
ان لا تنفقوا اي اي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله وفيما يقربكم من ربكم وانتم تموتون وتخلفون
اموالكم وهي صايرة الى الله فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الانفاق ولله ميراث السموات والارض
اي انهما راجعتان اليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث الى المستحق له الثانية قوله لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية
قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احدهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة
قبل فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وفي الكلام حذف اي لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لدلالة الكلام وانما كانت النفقة قبل
الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ اشق
والاجر على قدر النصب والله اعلم الثالثة روى اشهب عن مالك قال ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم
وقد قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقال الكلبي نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه

وتقديمه

وتقديمه لانه اول من اسلم وعن ابن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر ولانه اول من انفق على نبي الله وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان
الله يقول لك اقرا على ابي بكر السلام ويقول لك انت راض في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على
ربي اني عن ربي لراض اني عن ربي لراض اني عن ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت
راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك يا محمد بالحق لقد تخللت حملة العرش بالعبا منذ تخلل صاحبك
هذا بالعباة ولهذا قدمته الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وقال علي رضي الله عنه
سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته حد
المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة فنال المتقدمون من المشقة اكثر مما نال من بعدهم وكانت بصايرهم
ايضا انفذ الرابعة التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقالت عايشة رضي الله
عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم الناس مرتبة الصلاة وقد قال
صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس الحديث وقال يؤم القوم اقروهم لكتاب الله وقال
وليؤمكما اكبركما من حديث مالك بن الحويرث وقد تقدم وفهم منه البخاري وغيره من العلماء انه اراد كبر
المنزلة كما قال عليه الصلاة والسلام الولا للكبر ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه
الشافعي وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة لانه اذا اجتمع العلم والسن في خيرين قدم العلم واما احكام الدنيا
فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الاثار ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم
صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ومن الحديث الثابت في الافراد ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله تعالى له
عند سنه من يكرمه وانشدوا يا عايب الشيوخ من اشر ٭ داخله في الصبا ومن مرح ٭ اذكر اذا شئت
ان تعيبهم ٭ جدك واذكر اباك يا ابن اخي ٭ واعلم بان الشباب منسلخ ٭ عنك وما وزره بمنسلخ ٭ من لا يعز
الشيوخ لا بلغت ٭ يوما به سنه الى الشيخ الخامسة قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى اي المتقدمون
المتناهون السابقون والمتاخرون اللاحقون وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات وقرا ابن
عامر وكل بالرفع وكذلك هو بالرفع في مصاحف اهل الشام الباقون وكلا بالنصب على ما في مصاحفهم
من نصب فعلى ايقاع الفعل اليه اي وعد الله كلا الحسنى ومن رفع فلان المفعول اذا تقدم ضعف عمل
الفعل والهاء محذوفة من وعد قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب الى الانفاق في سبيل
الله وقد مضى في البقرة القول فيه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا كما قال واذا جوزيت قرضا فاجز
انما يجزي الفتى ليس الجمل وسمي قرضا لان القرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل
الله حتى يبدله الله الاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من
ولا اذى فيضاعفه ما بين السبعين الى سبعماية الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه سفيان عن ابي حيان وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل
الحسن التطوع بالعبادات وقيل انه عمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء القشيري
والقرض الحسن ان يكون المتصدق صادق النية طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الريا والسمعة وان يكون
من الحلال ومن القرض الحسن ان لا يقصد الى الردي فيخرجه لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
وان يتصدق في حال تامل الحياة فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصدقة فقال ان تعطيه
وانت صحيح شحيح تؤمل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يخفي صدقته
لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وان لا يمن لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

وان يستغفر كثيرا ما يعطي لان الدنيا كلها قليلة وان يكون من احب امواله لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان يكون كثيرا لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الرقاب اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها فيضاعفه له قرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه باسقاط الالف الا ابن عامر ويعقوب نصبوا الفا وقرا نافع واهل الكوفة والبصرة فيضاعفه بالالف وتخفيف العين الا ان عاصما نصب الفا ورفع الباقون عطفا على يقرض وبالنصب جوابا على الاستفهام وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وله اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات العامل في يوم وله اجر كريم وفي الكلام حذف اي وله اجر كريم في يوم ترى فيه المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم اي يمضي على الصراط في قول الحسن وهو الضياء الذي يمرون فيه بين ايديهم اي قدامهم وبايمانهم قال الفرا الباء بمعنى في اي في ايمانهم او بمعنى عن اي عن ايمانهم وقال الضحاك نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالباء على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يوقف على بين ايديهم ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن وقرا سهل بن سعد الساعدي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الالف اراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كائنا بين ايديهم وكائنا بايمانهم وليس قوله بين ايديهم متعلقا بنفس يسعى وقيل اراد بالنور القران وعن ابن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويوقد اخرى وقال قتادة وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء نوره كما بين المدينة وعدن ابين وصنعا ودون ذلك حتى يكون منهم من لا يضيء نوره الا موضع قدميه قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط كما تقدم وقال مقاتل ليكون دليلا لهم الى الجنة والله اعلم قوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار التقدير يقال لهم بشراكم اليوم دخول الجنة ولا بد من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا تكون هي هي تجري من تحتها الانهار اي من تحتهم انهار اللبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنها خالدين فيها حال من الدخول المحذوف اي بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال تبشرون خالدين ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف المضاف وخالدين حال حسبما تقدم واجاز الفرا نصب جنات على الحال على ان يكون اليوم خبرا عن بشراكم وهو بعيد اذ ليس في جنات معنى الفعل ويجوز ان يكون بشراكم نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب جنات بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة والموصول انتهى قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات العامل في يوم ذلك هو الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول انظرونا نقتبس قراءة العامة بوصل الالف مضمومة الظاء من نظر والنظر الانتظار اي انتظرونا وقرا الاعمش وحمزة ويحيى بن وثاب انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء من الانظار اي امهلونا واخرونا انظرته اخرته واستنظرته اي استمهلته وقال الفرا تقول العرب انظرني انتظرني وانشد لعمرو بن كلثوم

ابا هند فلا تعجل علينا * وانظرنا نخبرك اليقينا *

اي انتظرنا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله المؤمنين يوم القيمة نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم دليله وهو خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة يعطى

المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي يستضيء الكافر بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأ بذلك نور المنافقين فذلك قوله ربنا اتمم لنا نورنا يقوله المؤمنون خشية ان يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا اي قالت لهم الملائكة ارجعوا وقيل بل هو قول المؤمنين لهم ارجعوا وراءكم الى الموضع الذي اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لانفسكم نورا فانكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل اي هلا طلبتم النور من الدنيا بان تؤمنوا بسور اي سور والباء صلة قاله الكسائي والسور حاجز بين الجنة والنار وروي ان ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم باطنه فيه الرحمة يعني ما يلي منه المؤمنين وظاهره من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس الذي يقال له باب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد بن ابي سوادة قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكى وقال من ههنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقد قيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين قوله تعالى ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وقيل بالشهوات واللذات رواه ابو نمير الهمداني وتربصتم وارتبتم اي تربصتم بالنبي عليه الصلاة والسلام الموت وبالمؤمنين الدوائر وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني اي الاباطيل وقيل طول الامل وقيل هو ما كانوا يتمنون من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاؤهم في النار وغركم اي خدعكم بالله الغرور اي الشيطان قاله عكرمة وقيل الدنيا قاله الضحاك وقال بعض العلماء ان للباقي بالماضي معتبرا وللاخر بالاول مزدجرا والسعيد من لا يغتر بالطمع ولا يركن الى الخدع ومن ذكر المنية نسي الامنية ومن اطال الامل نسي العمل وغفل عن الاجل وجاء الغرور على لفظ المبالغة للكثرة وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميقع وسماك بن حرب الغرور بضم الغين يعني الاباطيل وهو مصدر وعن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحية فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني وتلك الخطوط الامال بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا وان اخطاه هذا نهشه هذا قوله تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من الذين كفروا ايأسهم من النجاة وقرا العامة يؤخذ بالياء لان التانيث غير حقيقي ولانه قد فصل بينها وبين الفعل وقرا ابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الفدية والاول اختيار ابي عبيد اي لا يقبل منكم بدل ولا عوض

ولا نفس اخزى ماوىكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي موليكم اي اولى بكم والمولى من يتولى مصالح الانسان
ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء وقيل اي النار ملك امرهم يعني ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل
فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله يوم نقول لجهنم وبئس المصير اي ساءت مرجعا
ومصيرا قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله
يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
قوله الم يان للذين امنوا اي يقرب ويحين قال الشاعر الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا وان يحدث الشيب
المبين لنا عقلا وماضيه انى بالقصر يانى ويقال آن لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل
انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت الما يان لي ان تجلى عمايتي واقصر عن ليلى بلى قد ان ليا
فجمع بين اللغتين وقرا الحسن الما يان واصلها الم زيدت ما فهي كقول القايل قد كان كذا ولم نفي لقوله
قد كان وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الا اربع سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة
تقول عاتبته معاتبة ان تخشع ان تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق روي ان المزاح والضحك
كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت الاية قال عليه الصلاة
والسلام ان الله يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث
عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ان
يحدثهم بعجايب التورية فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم
ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوا مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا

فعلى

فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر
واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد يا رسول الله لو قصصت علينا
فنزلت نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزلت الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا
فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا الاية ونحوه عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا
بهذه الاية الا اربع سنين فجعل ينظر بعضنا الى بعض ونقول ما احدثنا قال الحسن يستبطيهم وهم احب خلقه
اليه وقيل هذا الخطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال عقيب هذا والذين امنوا
بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا بالتورية والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي
قوم موسى وعيسى اذ طال عليهم الامد فقست قلوبهم قوله تعالى ولا يكونوا اي وان لا يكونوا فهو منصوب
عطفا على ان تخشع وقيل مجزوم على النهي مجازه ولا يكونن ودليل على هذا التاويل رواية رويس عن
يعقوب ولا تكونوا بالتاء وهي قراءة عيسى وابن اسحق يقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التورية
والانجيل فطالت الازمان بهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا
كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا
فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمائهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه
لم يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وعلقها في عنقه ثم لبس عليها ثيابه
واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على
صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش
منكم فسيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى منكرا لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال
مقاتل ابن حيان يعني مومني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من
الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن في علم الله تعالى ثبتت طايفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي
صلى الله عليه وسلم فامنوا به وطايفة منهم رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله وقال محمد بن كعب
كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فوعظهم
الله فافاقوا وذكر ابن المبارك اخبرنا مالك عن انس قال بلغني ان عيسى عليه السلم قال لقومه لا تكثروا الكلام
بغير الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في ذنوب الناس كانهم ارباب
وانظروا فيها او قال في ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافا ومبتلى فارحموا اهل البلا واحمدوا
الله على العافية وهذه الاية الم يان للذين امنوا كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك
رحمهما ذكر ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسي قال حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال حدثنا علي
ابن يعقوب الزيات قال حدثنا ابرهيم بن هشام قال حدثنا زكريا ابن ابي ابان قال حدثنا الليث بن الحارث
قال حدثنا الحسن بن داهر قال سيل عبد الله بن المبارك عن بدو زهده قال كنت يوما مع اخواني في بستان
لنا وذلك حين حملت الثمار من الوان الفواكه فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود
والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر واراد سنان يغني وطاير يصيح فوق
راسي والعود بيدي لا يجيبني الى ما اريد واذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني العود الذي بيده وهو
يقول الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود
وصرفت من كان عندي فهذا كان اول زهدي وتشميري وبلغنا ان الشعر الذي اراد ابن المبارك

ولا نسل اجزي ماويكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي مولكم اي اولى بكم والمولى من يتولى مصالح الانسان
ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء وقيل اي النار ملك امرهم يعني ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل
فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله يوم نقول لجهنم وبئس المصير اي ساءت مرجعا
ومصيرا قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله
يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
قوله الم يان للذين امنوا اي يقرب ويحين قال الشاعر الم يان لي يا قلب ان اترك الجهل • وان يحدث الشيب
المبين لي العقلا • وماضيه انى بالقصر يانى ويقال ان لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل
انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت الما يان لي ان تجلى عمايتي • واقصر عن ليلى بلى قد ان ليا •
فجمع بين اللغتين وقرا الحسن الما يان واصلها الم زيدت ما فهي كقول القايل قد كان كذا ولم نفي لقوله
قد كان وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الا اربع سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة
تقول عاتبته معاتبة ان تخشع ان تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق روي ان المزاح والضحك
كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت الاية قال عليه الصلاة
والسلام ان الله يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث
عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ان
يحدثهم بعجايب التورية فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم
ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوا مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا

فعلى

فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر
واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد يا رسول الله لو قصصت علينا
فنزلت نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزلت الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا
فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا الاية ونحوه عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا
بهذه الاية الا اربع سنين فجعل ينظر بعضنا الى بعض ونقول ما احدثنا قال الحسن يستبطيهم وهم احب خلقه
اليه وقيل هذا الخطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال عقب هذا والذين امنوا
بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا بالتورية والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي
قوم موسى وعيسى اذ طال عليهم الامد فقست قلوبهم قوله تعالى ولا يكونوا اي وان لا يكونوا فهو منصوب
عطفا على ان تخشع وقيل مجزوم على النهي مجازه ولا يكونن ودليل على هذا التاويل رواية رويس عن
يعقوب ولا تكونوا بالتاء وهي قراءة عيسى وابن اسحق يقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التورية
والانجيل فطالت الازمان بهم قال ابن مسعود ان بني اسرايل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا
كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرايل فان تابعوكم فاتركوهم والا
فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمايهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه
لم يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وعلقها في عنقه ثم لبس عليها ثيابه
واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على
صدره فافترقت بنو اسرايل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش
منكم فسيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى منكرا لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال
مقاتل ابن حيان يعني مومني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من
الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن في علم الله تعالى ثبتت طايفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي
صلى الله عليه وسلم فامنوا به وطايفة منهم رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله وقال محمد بن كعب
كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فوعظهم
الله فافاقوا وذكر ابن المبارك اخبرنا مالك عن انس قال بلغني ان عيسى عليه السلام قال لقومه لا تكثروا الكلام
بغير الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في ذنوب الناس كانكم ارباب
وانظروا فيها او قال في ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا اهل البلاء واحمدوا
الله على العافية وهذه الاية الم يان للذين امنوا كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك
رحمهما ذكر ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي قال حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال حدثنا علي
ابن يعقوب الزيات قال حدثنا ابرهيم بن هشام قال حدثنا زكريا ابن ابي ابان قال حدثنا الليث بن الحارث
قال حدثنا الحسن بن داهر قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدو زهده قال كنت يوما مع اخواني في بستان
لنا وذلك حين حملت الثمار من الوان الفواكه فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود
والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر واراد سنان يغني وطاير يصيح فوق
راسي والعود بيدي لا يجيبني الى ما اريد واذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني العود الذي بيده وهو
يقول الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود
وصرفت من كان عندي فهذا كان اول زهدي وتشميري وبلغنا ان الشعر الذي اراد ابن المبارك

يغرب بر العوده * الم يان لي منك ان ترحما * وتعصي العواذل واللوّما * وترثي لصب بكم مغرم * اقام على
هجركم ما تما * يبيت اذا جنه ليله * يراعي الكواكب والانجما * وماذا على الظبي لو انه * احل من الوصل ما حرما *
واما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته عشق جارية فواعدته ليلا فبينما هو يرتقي في الجدران اذ سمع
قاريا يقرا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد ان فاواه
الليل خربة وفيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال الفضيل
اواه اراني بالليل اسعى في معاصي الله وقوم من المسلمين يخافونني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت
توبتي اليك جوار بيتك الحرام قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحيي الارض الجدبة بعد
موتها بالمطر وقال صالح المري المعنى يلين القلوب بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد
الجور وقيل المعنى وكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي
الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا
الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات قرا
ابن كثير وابو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق اي المصدقين بما انزل الله تعالى الباقون
بالتشديد اي ان المتصدقين والمتصدقات فادغمت التاء في الصاد وكذلك هو في مصحف ابي وهو
حث على الصدقات ولهذا قال واقرضوا الله قرضا حسنا بالصدقة والنفقة في سبيل الله قال الحسن
كل ما في القران من القرض الحسن فهو التطوع وقيل هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا وانما
عطف على الاسم بالفعل لان ذلك الاسم في تقدير الفعل اي ان الذين صدقوا واقرضوا يضاعف لهم امثالها
وقراءة العامة بفتح العين على ما لم يسم فاعله وقرا الاعمش يضاعف بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعف بفتح العين وتشديدها ولهم اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم اختلف في الشهداء هل مقطوع مما قبله او
متصل به فقال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهداء والصديقين هم المومنون وهو متصل وروي معناه عن
النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوقف على هذا والصديقون وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال
القشيري قال الله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين يتلون الصديقين والصالحون يتلون الشهداء فيجوز
ان تكون هذه الاية في جملة من صدق بالرسل اعني والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية فيكون صديق فوق صديق في الدرجات كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنات العلى ليراهم من دونهم كما يرى احدكم الكوكب الذي في افق السماء وان ابا بكر وعمر
منهم وانعما وروي عن ابن عباس ومسروق ان الشهداء غير الصديقين فالشهداء على هذا منفصل مما قبله والوقف
على قوله والصديقون حسن والمعنى والشهداء عند ربهم لهم اجرهم اي اجر انفسهم ونور انفسهم وفيهم قولان احدهما
انهم الرسل يشهدون على اممهم بالتصديق والتكذيب قاله الكلبي دليله قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا
الثاني انهم امم الرسل يشهدون يوم القيامة وفيما يشهدون به قولان احدهما انهم يشهدون على انفسهم بما عملوا من طاعة
ومعصية وهذا قول مجاهد الثاني يشهدون لانبيائهم بتبليغهم الرسالة الى اممهم قاله الكلبي وقال مقاتل قول
ثالث انهم القتلى في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس ايضا قال اراد شهداء المومنين والواو واو الابتداء والصديقون
على هذا القول مقطوع من الشهداء وقد اختلف في تعيينهم فقال الضحاك ثمانية نفر ابو بكر وعلي وزيد وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وقال
مقاتل بن حيان الصديقون هم الذين امنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل مومن ال فرعون وصاحب ال ياسين

وابي بكر الصديق وصاحب اصحاب الاخدود قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا بالرسل والمعجزات اولئك اصحاب الجحيم
فلا اجر لهم ولا نور قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الاية وجه الاتصال ان الانسان قد يترك الجهاد خوفا على
نفسه من القتل وخوفا من لزوم الموت فبين ان الحياة منقضية فلا ينبغي ان يترك امر الله محافظة على ما لا
يبقى وما صلة تقديره اعلموا ان الحيوة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي قال قتادة لعب ولهو اكل وشرب
وقيل انه على المعهود من اسمه قال مجاهد كل لعب لهو وقد مضى هذا المعنى في الانعام وقيل اللعب ما رغب في
الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة اي شغل عنها وقيل اللعب الاقتناء واللهو النساء وزينة الزينة ما يتزين به
فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للاخرة وكذلك كل من تزين في غير طاعة الله وتفاخر بينكم اي يفخر بعضكم
على بعض وقيل بالخلقة والقوة وقيل بالانساب على عادة العرب في المفاخرة بالاباء وفي صحيح مسلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وصح عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال اربع في امتي من امر الجاهلية الفخر في الاحساب الحديث وقد تقدم جميع هذا وتكاثر
في الاموال والاولاد لان عادة الجاهلية ان تتكاثر بالابناء والاموال وتكاثر المومنين بالايمان والطاعة
قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر
الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقيل المعنى ان الدنيا كهذه الاشياء في الزوال والفناء وعن علي رضي الله
عنه انه قال لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب
ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل
ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها
يقتل الرجال واما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ضرب
الله تعالى لها مثلا بالزرع في غيث فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته الكفار هنا الزراع لانهم يغطون
البذر والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير
هشيما كان لم يكن واذا اعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن وقد مضى معنى هذا المثل في يونس والكهف وقيل
الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين وهذا قول حسن فان اصل
الاعجاب لهم ومنهم من يظهر وهو التعظيم للدنيا وما فيها وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من
شهواتهم وتقل عندهم وتدق اذا ذكروا الاخرة وموضع الكاف رفع على الصفة ثم يهيج اي يجف بعد
خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضرة ثم يكون حطاما اي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه
كذلك دنيا الكافرين وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور هذا تاكيد ما سبق اي يغر الكافر فاما المومن فالدنيا له متاع بلاغ الى
الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في العمل للاخرة قوله تعالى
سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة
لانها تودي الى المغفرة قاله الكلبي وقيل التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل الصف الاول وجنة
عرضها كعرض السماء والارض لو وصل بعضها ببعض قال الحسن يعني جميع السموات والارضين مبسوطات
كل واحدة الى صاحبتها وقيل يريد لرجل واحد جنة بهذه السعة قال ابن كيسان عنى به جنة واحدة من الجنات
والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله قال كان بلاد الله
وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل * وقد مضى هذا كله في ال عمران وقال طارق بن شهاب قال
قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض فاين
النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجاء النهار اين يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله

اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان وفيه تقوية الرجا وقد قيل شرط الايمان هنا وزاد عليه
في العمران فقال اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي ان الجنة لا تنال ولا تدخل الا برحمة الله وفضله وقد مضى
هذا في الاعراف وغيرها والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض قال مقاتل القحط
وقلة النبات والثمار وقيل الجوايح في الزروع ولا في انفسكم بالاوصاب والاسقام قاله قتادة وقيل
اقامة الحدود قاله ابن حبان وقيل ضيق المعاش وهذا معنى رواية ابن جريج الا في كتاب يعني اللوح
المحفوظ من قبل ان نبرأها الضمير في نبرأها عايد على النفوس او الارض او المصايب او الجميع وقال ابن عباس
من قبل ان يخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان يخلق الارض والنفس ان ذلك على الله يسير
اي خلق ذلك وحفظه جميعه على الله يسير هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير بكيت
فقال ما يبكيك قلت ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله ان يكون
الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب
فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة وقد ترك هذه الاية جماعة من الفضلا الدواء في امراضهم فلم يستعملوه
ثقة بربهم وتوكلا عليه قالوا وقد علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او
زيادته ما قدروا قال الله سبحانه وتعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبرأها وقد قيل ان هذه الاية تتصل بما قبل وهو انه سبحانه هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل
وجرح وبين ان ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب
مقدر لا مدفع له وانما على المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال هذا لكي لا تاسوا على ما فاتكم اي حتى لا تحزنوا
على ما فاتكم من الرزق وذلك انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه
وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي كي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فانه
لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير من
العافية والخصب وروى عكرمة عن ابن عباس ليس من احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن المؤمن
يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز
قال الله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس وقراءة
العامة اتاكم بمد الالف اي اعطاكم من الدنيا واختاره ابو حاتم وقرا ابو العالية ونصر بن عاصم وابو عمرو
اتاكم بقصر الالف واختاره ابو عبيد اي جاءكم وهو معادل لفاتكم ولهذا لم يقل افاتكم قال جعفر بن
محمد يا ابن ادم ما لك تاسى على مفقود لا يرده عليك الفوت وتفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت
وقيل لبزرجمهر ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات قال لان الفايت لا يتلافى
بالعبرة والاتي لا يستدام بالحبرة وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى الدنيا مبيد ومفيد فما باد فلا
رجعة له وما افاد اذن بالرحيل وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه بعين الافتخار والفخور ينظر الى الانسان
بعين الاستحقار وكلاهما شرك خفي والفخور بمنزلة المصراة تشد اخلافها ليجتمع فيها اللبن فيتوهم المشتري
ان ذلك معتاد وليس كذلك فكذلك الذي يرى من نفسه حالا او زينة وهو مع ذلك مدع فهو الفخور
قوله تعالى الذين يبخلون اي لا يحب المختالين الذين يبخلون في موضع خفض نعتا للمختال وقيل رفع بالابتداء
اي الذين يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد رؤساء اليهود الذين يبخلون ببيان صفة محمد صلى الله عليه
وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي وقال سعيد بن جبير الذين

يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس شيئا زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله عز
وجل وقيل انه البخل بالصدقة والحقوق قاله عامر بن عبد الله الاشعري وقال طاوس انه البخل بما في
يديه وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى وفرق اصحاب الخواطر بين البخل والسخا بفرقين احدهما
ان البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السؤال
والسخي الذي يعطي بغير سؤال ومن يتول عن الايمان فان الله غني عنه ويجوز ان يكون لما حث على الصدقة
اعلمهم ان الذين يبخلون بها ويامرون الناس بالبخل بها فان الله غني عنهم وقراءة العامة بالبخل بضم البا
وسكون الخا وقرا انس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل
بفتحتين وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميقع بالبخل بفتح البا واسكان الخا وعن نصر بن عاصم
البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة وقد تقدم الفرق بين البخل والشح في اخر ال عمران وقرا نافع وابن
عامر فان الله هو الغني الحميد بغير هو والباقون هو الغني على ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والغني
خبره والجملة خبران ومن حذفها فالاحسن ان يكون فصلا لان حذف الفصل اسهل من حذف المبتدا
قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات البينة والشرايع الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في
العبادة واقام الصلاة وايتاء الزكوة بذلك دعت الرسل نوح فمن دونه الى محمد صلى الله عليه وسلم وانزلنا
معهم الكتاب اي الكتب اي اوحينا اليهم خبر ما كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل
ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقوله بالقسط يدل على انه اراد الميزان المعروف وقال قوم
اراد به العدل قال القشيري واذا حملناه على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من
باب علفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ثم قال واقيموا الوزن وقد
مضى القول فيه وانزلنا الحديد فيه باس شديد روى عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله انزل اربع
بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والثلج وروى عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة اشياء نزلت مع ادم
عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصى موسى وكانت من اس الجنة طولها عشرة اذرع مع
طول موسى والحديد انزل معه ثلاثة اشياء السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي
وقال الثعلبي قال ابن عباس نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد خمسة اشياء من الة الحدادين السندان والكلبتان
والميقعة والمطرقة والابرة حكاه القشيري وقال الميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اي حددتها
وفي الصحاح والميقعة الموضع الذي يالفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمسن الطويل
وروي ان الحديد انزل في يوم الثلاثا فيه باس شديد اي لاراقة الدما ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم
الثلاثا لانه يوم جرى فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الثلاثا ساعة لا يرقى
فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن فيكون
من الارض غير منزل من السماء وقال اهل المعاني اي اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه فيه
باس شديد يعني السلاح والكراع والجنة وقيل انه فيه من خشية القتل خوف شديد ومنافع للناس يعني
جنة وقيل يعني انتفاع الناس بالماعون من الحديد مثل السكين والفاس ونحوه وليعلم الله من ينصره اي انزل
الحديد ليعلم من ينصره وقيل هو عطف على قوله ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب
وهذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب قال ابن عباس ينصرونهم ولا
يكذبونهم ويؤمنون بهم بالغيب اي وهم لا يرونهم ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقد
تقدم وقيل بالغيب بالاخلاص قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم فصل ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر
انه ارسل نوحا وابرهيم وجعل النبوة في نسلهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما

الانبياء وبعضهم انما يتلون الكتب المنزلة من السماء التورية والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب
الخط بالقلم فمنهم مهتد اي من اتى بابرهيم ونوح مهتد وقيل فمنهم مهتد اي من ذريتهما مهتدون وكثير
منهم فاسقون كافرون خارجون عن الطاعة قوله تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا فيه اربع مسائل الاولى
قوله ثم قفينا اي اتبعنا على اثارهم اي على اثار الذرية وقيل على اثار نوح وابرهيم برسلنا موسى والياس
وداود وسليمان ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى بن مريم فهو من ذرية ابرهيم من جهة امه واتيناه
الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول سورة ال عمران الثانية قوله تعالى وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة اي مودة فكان يواد بعضهم بعضا
وقيل هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس الان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود
الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة تخفيف الكل
والرحمة تحمل الثقل وقيل الرافة اشد الرحمة وتم الكلام ثم قال ورهبانية ابتدعوها اي من قبل انفسهم وحسن
ان تكون الرهبانية منصوبة باضمار فعل قال ابو علي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقال الزجاج اي
ابتدعوها رهبانية كما تقول رايت زيدا وعمرا كلمت وقيل انه معطوف على الرافة والرحمة والمعنى ان الله
تعالى اعطاهم اياها فغيروا وابتدعوا فيها قال الماوردي وفيها قراءتان احداهما بفتح الراء وهي الخوف من
الرهب الثانية بضم الراء منسوبة الى الرهبان وذلك لانهم حملوا على انفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب
والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع وذلك ان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا
قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على
منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا
الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع وفي خبر
مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها قاله ابن زيد
وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله اي ما امرناهم الا بما يرضي الله قاله ابن مسلم وقال الزجاج ما كتبناها وقال
الزجاج ما كتبناها عليهم معناه اي لم نكتب عليهم شيئا البتة ويكون ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاء
والالف في كتبناها والمعنى ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي فما قاموا
بها حق القيام هذا خصوص لان الذين لم يرعوها بعض القوم وانما تسببوا الى الترهب الى طلب الرياسة
على الناس واكل اموالهم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل وهذا في قوم اداهم الترهب الى طلب الرياسة في اخر الامر وروى سفيان الثوري
عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها قال كانت
ملوك بعد عيسى بدلوا التورية والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التورية والانجيل ويدعون
الى دين الله فقال الناس لملكهم لو قتلت هذه الطائفة فقال المؤمنون نحن نكفيكم انفسنا فطائفة
قالت ابنوا لنا اسطوانة وارفعونا فيها واعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وطائفة
قالت دعونا نهيم في الارض ونسيح ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية فان قدرتم علينا فاقتلونا
وطائفة قالوا ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول فلا تروننا وليس احد من
هؤلاء الا وله حميم منهم ففعلوا فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب
فقالوا نسيح ونتعبد كما تعبد هؤلاء وهم على شركهم لا علم لهم بايمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم
فذلك قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية يقول ابتدعها هؤلاء الصالحون
فما رعوها المتاخرون حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها اولا ورعوها

وكثيرا

وكثير منهم فاسقون يعني المتاخرين فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل جاؤا
من الكهوف والصوامع والغيران فامنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة هذه الاية دالة على ان كل محدثة
بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي
واسمه صدي بن عجلان قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام
اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها عليهم ابتغوا بها رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها الرابعة وفي الاية دليل على العزلة عن الناس في الصوامع
والبيوت وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاصدقاء والاخوان وقد مضى بيان هذا
في سورة الكهف مستوفى وفي مسند احمد بن حنبل من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء فحدث
نفسه بان يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا
قال لو اني اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال
يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واتخلى من الدنيا
قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا النصرانية ولكن بعثت بالحنيفية السمحة
والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف
خير من صلاته ستين سنة وروى الكوفيون عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تدري اي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان
مقصرا في العمل وان كان يزحف على استه هل تدري من اين اتخذ بنو اسرائيل الرهبانية ظهرت
عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات
فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان افنونا فلم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نفترق في الارض الى ان يبعث
الله النبي الامي الذي وعدنا عيسى يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا
رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر وتلا ورهبانية ابتدعوها الاية اتدري ما رهبانية امتي
الهجرة والجهاد والصوم والصلاة والحج والعمرة والتكبير على التلاع يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم
من اليهود على احدى وسبعين فرقة فنجا منهم فرقة وهلك سايرهم واختلف من كان قبلكم من
النصارى على اثنين وسبعين فرقة فنجا منهم ثلثة وهلك سايرها فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على
دين الله ودين عيسى حتى قتلوا وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا بين ظهراني قومهم فدعوهم
الى دين الله ودين عيسى فاخذتهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة
الملوك ولا بان يقيموا بين ظهراني قومهم فيدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في الجبال وترهبوا فيها
وهي التي قال الله فيها ورهبانية ابتدعوها الاية فمن امن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن
لم يؤمن بي فاولئك هم الفاسقون يعني الذين تهودوا وتنصروا وقيل هؤلاء الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه
وسلم فلم يؤمنوا به فهم الفاسقون وفي الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان الاولين اصروا على
الكفر ايضا فلا تتعجب من اهل عصرك ان اصروا على الكفر والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي امنوا بموسى
وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانكم بعيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم وهذا مثل قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقد تقدم القول فيه والكفل الحظ و
النصيب وقد مضى في النساء وهو في الاصل كساء يكتفل به الراكب فيحفظه من السقوط قاله ابن السكيت

قاله قال الازهري قال اشتقاقه من الكسا الذي يحوي راكب البعير على سنامه اذا ارتدفه لئلا يسقط فتاويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وعن ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مؤمنو اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان الحسنة انما لها من الاجر مثل واحد فقال الحسنة اسم عام ينطلق على كل نوع من ايمان وينطلق على عمومه فان انطلقت الحسنة على نوع واحد فليس له عليها من الثواب الا مثل واحد وان انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين كان الثواب عليها مثلين بدليل هذه الاية فانه قال كفلين من رحمته والكفل النصيب كالمثل فجعل لمن اتقى الله وامن برسوله نصيبين نصيب التقوى ونصيب الايمان برسوله فدل على ان الحسنة التي جعل لها عشر هي التي جمعت عشرة انواع من الحسنات وهو الايمان الذي جمع الله فيه من صفته عشرة انواع لقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية بكمالها فكانت هذه الانواع هي اليها ثوابها امثالها فيكون لكل نوع منها مثل وهذا تاويل فاسد لخروجه عن عموم الظاهر لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها لما لا يحتمله تخصيص العموم لان ما جمع عشر حسنات فليس يجزي عن كل حسنة الا بمثلها وبطل ان يكون جزاء الحسنة عشر امثالها والاخبار دالة عليه وقد تقدم ذكرها ولو كان كما ذكر لما كان بين السيئة والحسنة فرقان ويجعل لكم نورا اي بيانا وهدى عن مجاهد وقال ابن عباس هو القران وقيل ضياء يمشون به في الاخرة على الصراط وفي القيمة الى الجنة وقيل تمشون به في الناس تدعوهم الى الاسلام فتكونوا رؤساء في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله لا الرياسة الحقيقية في الدين ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وان لا صلة مؤكدة قاله الاخفش وقال الفراء معناه لان يعلم ولا صلة زايدة في كلام دخل عليه جحد قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب اي لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون يعني انهم لا يقدرون كقوله الا يرجع اليهم قولا وعن الحسن لئلا يعلم اهل الكتاب وروى ذلك عن مجاهد وروى قطرب بكسر اللام واسكان الياء وفتح لام الجر لغة مقدمة ووجه اسكان الياء ان همزة ان حذفت فصارت لن فادغمت النون في اللام فصار للا فلما اجتمعت اللامات ابدل الوسطى منها ياء كما قالوا في اما ايما وكذلك القول في قراءة من قرا لئلا بكسر اللام الا انه ابقى اللام على اللغة المشهورة فيها فهو اقوى من هذه الجهة وعن ابن مسعود لئلا وعن خطاب بن عبد الله لان يعلم وعن عكرمة ليعلم وهو خلاف المرسوم من فضل الله قيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله التي لا تحصى وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل وان الفضل بيد الله اي هو له يؤتيه من يشاء وفي البخاري حدثنا الحكم بن نافع حدثنا شعيب عن الزهري اخبرني سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيما سلف من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين فقال اهل التورية ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال

فضلي

تفسير سورة المجادلة

فضلي اوتيه من اشاء في رواية فغضبت اليهود والنصارى الحديث سورة المجادلة وهي اثنتان وعشرون اية مدنية في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة الا قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله التي اشتكت الى الله هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ابن الصامت وقد مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لما زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عايشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبرايل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله خرجه ابن ماجه في السنن والذي في البخاري من هذا ان عايشة رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وقال الماوردي هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت خويلد وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل واحد منهما وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجزها فاعجبه امرها فلما انصرفت اارادها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا

ثم قالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني فقال حرمت
عليه فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الآية وروى الحسن انها قالت يا رسول الله اوحي اليك في كل شيء وطوي
عنك هذا فقال هو ما قلت لك فقالت الى الله اشكو لا الى رسوله فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وروى الدارقطني من حديث قتادة ان انس بن مالك حدثه قال ان
اوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ظاهر حين
كبر سني ورق عظمي فانزل الله آية الظهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبة قال ما لي بذلك
يدان قال فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطأني ان آكل في اليوم ثلاث مرات يكل بصري قال فاطعم ستين
مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر
صاعا حتى جمع الله والله غفور رحيم قال فكانوا يرون عنده مثلها وذلك لستين مسكينا وفي الترمذي
وسنن ابن ماجه ان سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امرأته وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اعتق رقبة
قال فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين قلت
يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا الحديث وذكر ابن العربي في احكامه
ان خولة بنت دليج ظاهر منها زوجها فاتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قد حرمت عليه فقالت اشكو الى الله حاجتي وعايشة تغسل شق راسه الايمن ثم تحولت
الى الشق الآخر وقد نزل عليه الوحي فذهبت ان تعود فقالت عايشة اسكتي فانه قد نزل الوحي فلما نزل القرآن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها اعتق رقبة قال لا اجد قال فصم شهرين متتابعين قال ان لم آكل في
اليوم ثلاث مرات خفت ان يعشو بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعني قال فاعانه بشيء قال ابو جعفر
النحاس اهل التفسير على انها خولة وزوجها اوس بن الصامت واختلفوا في نسبها فقال بعضهم هي انصارية
وهي بنت ثعلبة وقال بعضهم بنت دليج وقيل هي بنت خويلد وقال بعضهم هي امة كانت لعبد الله بن ابي وهي التي
انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لانه يكرهها على الزنا وقيل هي بنت حكيم
قال النحاس وهذا ليس بمتناقض يجوز ان تنسب مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى جدها ويجوز ان تكون امة
لعبد الله بن ابي فقيل لها انصارية بالولاء لانه كان في عداد الانصار وان كان من المنافقين الثانية قرئ قد
سمع الله بالادغام وقد سمع الله بالاظهار والاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار الشيخ ابي الحسن
وقال ابن فورك والصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله في معنى السميع انه المدرك للاصوات
التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان
كان غير موصوف بالحس المركبة في الاذن كالاصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك
الصوت والسمع والبصر كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهي من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا
بها وشكى واشتكى بمعنى واحد وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسائلك قوله تعالى
الذين يظاهرون فيه ثلاث وعشرون مسئلة الاولى قوله الذين يظهرون قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف
يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والف وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب يظهرون بفتح الياء و
تشديد الظاء والهاء وقرأ ابو العالية وعاصم وزر بن حبيش يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء والف
وكسر الهاء وقد تقدم في الاحزاب وفي قراءة ابي يتظاهرون وهي معنى قراءة ابن عامر وحمزة وذكر الظهر
كناية عن معنى الركوب والآدمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الآدميات فانما
يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امرأته اي طلقها كأنه نزل عن ركوب ومعنى انت علي
كظهر امي اي انت علي محرمة لا يحل لي ركوبك الثانية حقيقة الظهار تشبيه ظهر محلل بظهر محرم

وهذا

ولهذا اجمع الفقهاء على ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي انه مظاهر واكثرهم على انه اذا قال لها انت
علي كظهر ابنتي او اختي او غير ذلك من ذوات المحارم انه مظاهر وهو مذهب مالك وابي حنيفة وغيرهما
واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه فروي عنه نحو قول مالك لانه شبه امرأته بظهر محرم عليه مؤبد
كالام وروى عنه ابو ثور ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها وهو مذهب قتادة والشعبي والاول قول الحسن
والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري الثالثة اصل الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي وانما
ذكر الظهر كناية عن البطن وسترا فان قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر او قال انت علي مثل امي فان اراد الظهار
فله نيته وان اراد الطلاق كان مطلقا البتة عند مالك وان لم يكن له نية في طلاق ولا ظهار كان مظاهرا
ولا ينصرف صريح الظهار بالنية الى الطلاق خاصة وينصرف بالنية الى الطلاق البت الرابعة الفاظ الظهار
ضربان صريح وكناية فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك
انت علي كبطن امي وكرأسها او فرجها او نحوه وكذلك فرجك او رأسك او ظهرك او بطنك او
رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او رأسك او فرجك طالق تطلق
عليه قال الشافعي في احد قوليه لا يكون ظهارا وهذا ضعيف منه لانه قد وافقنا على انه يصح
اضافة الطلاق اليه حقيقة فصح اضافة الظهار اليه ومتى شبهها بامه او باحدى جداته
من قبل ابيه وامه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل
له بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقهاء وعند الامام الشافعي
على الصحيح من المذهب على ما ذكرنا والكناية ان يقول انت علي كامي فانه يعتبر فيه النية فان
اراد الظهار كان ظهارا وان لم يرد الظهار لم يكن مظاهرا عند الشافعي وابي حنيفة وقد تقدم مذهب
مالك رحمه الله في ذلك والدليل عليه انه اطلق تشبيه امرأته بامه فكان ظهارا اصله اذا ذكر الظهر
وهذا قوي فان معنى اللفظ فيه موجود واللفظ بمعناه ولم يلزم حكم الظهر للفظه وانما الزمه
بمعناه وهو التحريم قاله ابن العربي الخامسة اذا شبه جملة اهله بعضو من اعضاء امه كان ظهارا
خلافا لابي حنيفة في قوله انه ان شبهها بعضو يحل له النظر اليه لم يكن مظاهرا وهذا لا يصح لان النظر
اليه على طريق الاستمتاع لا يحل كل عضو منها وكان التشبيه به ظهارا كالظهر ولان المظاهر انما يقصد
تشبيه المحلل بالمحرم فلزم على المعنى السادسة ان شبه امرأته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا
حملا على المعنى الاول وان لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا فمنهم من قال يكون ظهارا ومنهم من قال
يكون طلاقا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيئا قال ابن العربي وهذا فاسد لانه شبه محللا من
المرأة بمحرم وكان مقيدا بحكمه كالظهار والاسماء بمعانيها عندنا وعندهم بالفاظها وهذا نقض
للاصل منهما قلت الخلاف في الظهار بالاجنبية قوي عند مالك واصحابه منهم من لا يرى الظهار الا
بذوات المحارم خاصة ولا يرى الظهار بغيرهن شيئا ومنهم من لا يجعله شيئا ومنهم من يجعله في
الاجنبية طلاقا وهو عند مالك اذا قال كظهر ابي او غلامي كظهر زيد او كظهر اجنبية ظهارا
لا يحل له وطؤها في حين يمينه وقد قال ان الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشيء كما قال الكوفي والشافعي
وقال الاوزاعي لو قال لها انت علي كظهر فلان فهو يمين يكفرها والله اعلم السابعة ويلزم الظهار قبل النكاح
اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند الشافعي وابي حنيفة لقوله تعالى من نسائهم وهذه ليس من
نسائهم وقد مضى اصل هذه المسئلة في سورة براءة عند قوله ومنهم من عاهد الله الثامنة الذمي لا يلزم
ظهاره وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهار الذمي ودليله قوله تعالى منكم يعني من المسلمين وهذا
يقتضي خروج الذمي من الخطاب فان قيل هذا استدلال بدليل الخطاب قلنا هو استدلال بالاشتقاق

والمعنى فان انكحة الكفار فاسدة مستحقة الفسخ فلا يتعلق بنكاحهم طلاق ولا ظهار وذلك قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم واذا خلت الانكحة عن شروط الصحة فهي فاسدة ولا ظهار في النكاح الفاسد بحال **التاسعة** قوله منكم تقتضي صحة نكاح العبد خلافا لمن منعه وحكاه الثعلبي عن مالك لانه من جملة المسلمين واحكام النكاح في حقه ثابتة وان تعذر عليه العتق والاطعام فانه قادر على الصيام **العاشرة** وقال مالك رحمه الله ليس على النساء ظهار انما قال تعالى والذين يظهرون منكم من نسائهم ولم يقل اللائي يظهرن منكن من ازواجهن انما الظهار على الرجال قال ابن العربي هكذا روى عن ابن القاسم وسالم ويحيى بن سعيد وربيعة وابي الزناد وهو صحيح معنى لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة منه شيء وهذا اجماع قال ابو عمر وليس على النساء ظهار في قول جمهور العلماء قال الحسن بن زياد هي مظاهرة قال الثوري وابو حنيفة ومحمد ليس ظهار المراة بشيء قبل النكاح كان او بعده وقال الشافعي لا ظهار للمراة من الرجل وقال الاوزاعي اذا قالت المراة لزوجها انت علي كظهر امي فلانة فهي يمين تكفرها وكذلك قال اسحق قال لا يكون امراة مظاهرة من رجل ولكن عليها يمين تكفرها وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين زوجها ان يصيبها رواه عنه معمر وابن جريج عن عطا قال حرمت ما احل الله عليها كفارة يمين وهو قول ابي يوسف وقال محمد بن الحسن لا شيء عليها انتهى **الحادية عشرة** من به لمم وانتظمت له في بعض الاوقات الكلم لزمه ظهاره لما روي في الحديث ان خولة بنت ثعلبة وكان زوجها اوس بن الصامت وكان به لمم فاصابه بعض لممه فظاهر من امراته **الثانية عشرة** من غضب وظاهر من امراته او طلق لم يسقط عنه غضبه حكمه وفي بعض طرق هذا الحديث قال يوسف بن عبد الله بن سلام حدثتني خولة امراة اوس بن الصامت قالت كان بيني وبينه شيء فقال انت علي كظهر امي ثم خرج الى نادي قومه فقوله كان بيني وبينه شيء دليل على منازعة احرجته فظاهر منها والغضب لغو لا يرفع حكما ولا يغير شرعا وكذلك السكران **الثالثة عشرة** يلزم حكم الظهار والطلاق في حال سكره اذا عقل قوله ونظم كلامه لقوله حتى تعلموا ما تقولون على ما تقدم في النساء بيانه والله اعلم **الرابعة عشرة** ولا يقرب المظاهر امراته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشيء حتى يكفر خلافا للشافعي في احد قوليه لان قوله انت كظهر امي يقتضي تحريم كل استمتاع بلفظه ومعناه فان وطئها قبل ان يكفر وهي **الخامسة عشرة** استغفر الله وامسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة وقال مجاهد وغيره عليه كفارتان روى سعيد عن قتادة ومطرف عن رجاء بن حيوة عن قبيصة بن ذويب عن عمرو بن العاص في المظاهر اذا وطئ قبل ان يكفر عليه كفارتان وروى جماعة من الايمة منهم ابن ماجة والنسائي عن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امراته فغشيها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك قال يا رسول الله رايت بياض خلخالها في ضوء القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يقربها حتى يكفر وروى ابن ماجة والدارقطني عن سليمان ابن يسار عن سلمة بن صخر انه ظاهر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقع بامراته قبل ان يكفر فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فامره ان يكفر تكفيرا واحدا **السادسة عشرة** اذا ظاهر من نسوة بكلمة واحدة كقوله انتن علي كظهر امي كان مظاهرا من كل واحدة منهن ولم يجز له وطء احداهن واجزاته كفارة واحدة وقال الشافعي تلزمه اربع كفارات وليس في الاية دليل على شيء من ذلك لان لفظ الجمع انما وقع في عامة المؤمنين والمعتبر المعنى وقد روى الدارقطني عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا كان تحت الرجل اربع نسوة فظاهر منهن يجزيه كفارة واحدة فان ظاهر من واحدة بعد اخرى لزمه في كل واحدة منهن

كفارة وهذا اجماع **السابعة عشرة** وان قال لاربع نسوة ان تزوجتكن انتن علي كظهر امي فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سائرهن وقد قيل لا يطا البواقي منهن حتى يكفر والاول هو المذهب **الثامنة عشرة** وان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها ان نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها الطلاق **التاسعة عشرة** قال العلماء لا يصح ظهار غير المدخول بها وقال المزني لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية وهذا ليس بشيء لان احكام الزوجية في الموضعين ثابتة وكما يلحقها الظهار قياسا ونظرا **الموفية عشرين** قوله تعالى ما هن امهاتهم اي ليس نساؤهم بامهاتهم وقراءة العامة امهاتهم بخفض التاء على لغة اهل الحجاز كقوله ما هذا بشرا وقرا ابو معمر والسلمي وغيرهما امهاتهم بالرفع على لغة تميم قال الفراء اهل نجد وبنو تميم يقولون ما هذا بشر وما هن امهاتهم بالرفع ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات وفي المثل ولدك من دمى عقبيك وقد تقدم القول في اللائي في الاحزاب **الحادية والعشرون** قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر **قوله تعالى** والذين يظهرون من نسائهم هذا ابتداء وخبره فتحرير رقبة وحذف عليهم لدلالة الكلام عليه اي فعليهم تحرير رقبة وقيل فكفارتهم عتق رقبة والمجمع عليه عند العلماء في الظهار قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وهو قول المنكر والزور الذي عنى الله بقوله وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا فمن قال هذا القول حرم عليه وطء امراته فمن عاد لما قال لزمته كفارة الظهار لقوله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة وهذا يدل على ان كفارة الظهار لا تلزم بالقول خاصة حتى ينضم اليها العود وهذا حرف مشكل اختلف الناس فيه على اقوال سبعة الاول انه العزم على الوطء وهو مشهور قول العراقيين ابي حنيفة واصحابه وروي عن مالك ان عزم على وطئها كان عودا وان لم يعزم لم يكن عودا الثاني العزم على الامساك بعد التظاهر منها قاله مالك الثالث العزم عليهما وهو قول مالك في موطئه قال مالك في قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا قال سمعت ان تفسير ذلك ان يظاهر الرجل من امراته ثم يجمع على اصابتها وامساكها فان اجمع على ذلك فقد وجب عليه الكفارة وان طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على امساكها واصابتها فلا كفارة عليه قال مالك وان تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر كفارة التظاهر الرابع انه الوطء نفسه فان لم يطا لم يكن عودا قاله الحسن ومالك ايضا الخامس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه هو ان يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق لانه لما ظاهر قصد التحريم فان وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما ابتداه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه وان سكت عن الطلاق فقد عاد لما كان عليه فيجب عليه الكفارة السادس ان الظهار يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة ومعنى العود عند القائلين بهذا انه لا يستبيح وطئها الا بكفارة يعدها قاله ابو حنيفة واصحابه والليث بن سعد السابع هو تكرير الظهار بلفظه وهذا قول اهل الظاهر النافين للقياس قالوا اذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود وان لم يكرر فليس بعود ويسند ذلك الى بكير بن الاشج وابي العالية وابي حنيفة ايضا وهو قول الفراء قال ابو العالية فظاهر الاية تشهد له لانه قال ثم يعودون لما قالوا اي الى قول ما قالوا وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا هو ان يقول لها انت علي كظهر امي فاذا قال لها ذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة الظهار قال ابن العربي فاما القول بانه العود الى لفظ الظهار فهو باطل قطعا لا يصح عن بكير وانما يشبه ان يكون من جهالة داود واشياعه وقد رويت قصص المظاهرين وليس

في ذكر الكفارة عليهم بعود القول منهم ايضا فان المعنى ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجب عليه الكفارة وهذا لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطي في صوم وغيره قلت يشبه ان يكون من جهالة داود واشياعه حمل منه عليه وقد قال بقول داود ما ذكرناه منهم ثلاثة امور واما قول الشافعي بانه ترك الطلاق مع القدرة عليه ففيه ثلاثة امور امهات الاول انه قال ثم يعودون وهذا بظاهره يقتضي التراخي الثاني ان قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلاء فان قيل فاذا راها كالام لم يمسكها اذ لا يصح امساك الام بالنكاح وهذه عمدة اهل ما وراء النهر قيل اذا عزم على خلاف ما قال وراها خلاف الام كفر وعاد الى اهله وتحقيق هذا القول ان العزم قول نفسي وهذا رجل قال قولا اقتضى التحليل وهو النكاح وقال قولا اقتضى التحريم وهو الظهار ثم عاد لما قال وهو التحليل ولا يصح ان يكون منه ابتداء عقد لان العقد باق فان لم يبق الا انه قول عزم بخلاف ما اعتقده وقاله في نفسه من الظهار كالذي اخبر عنه بقوله انت علي كظهر امي واذا كان كذلك كفر وعاد الى اهله من قبل ان يتماسا وهذا تفسير بليغ انتهى الثانية قال بعض اهل التاويل الاية فيها تقديم وتاخير والمعنى والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة اي فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي هو خبر الابتداء وهو عليهم قاله الاخفش وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من اجل ما قالوا وقيل المعنى الذين كانوا يظهرون من نسائهم في الجاهلية ثم يعودون لما كانوا قالوه في الجاهلية في الاسلام فكفارة من عاد ان يحرر رقبة الفرا اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطي وقال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا واحد واللام والى يتعاقبان قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح الثالثة قوله تعالى فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سليمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها عند مالك والشافعي كالرقبة في كفارة القتل وعند ابي حنيفة واصحابه تجزي الكافرة ومن فيها شايبة رق كالمكاتبة وغيرها الرابعة فان اعتق نصفي عبدين فلا يجزيه عندنا ولا عند ابي حنيفة وقال الشافعي يجزي لان نصف العبدين في معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض والتجزي كالاطعام ودليلنا قوله تعالى فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس برقبة وليس ذلك مما يدخله التلفيق لان العبادة المتعلقة بالرقبة لا تقوم النصف من رقبتين مقامها اصله اذا اشترك رجلان في اضحيتين ولانه لو امر رجلين ان يحجا عنه لم يجز ان يحج عن واحد منهما نصفها كذلك هنا ولانه لو اوصى بان يشترى رقبة فيعتق عنه لم يجز ان يعتق عنه نصف عبدين كذلك في مسئلتنا وهذا يبطل دليلهم والاطعام وغيره لا يجزي في الكفارة عندنا الخامسة قوله تعالى من قبل ان يتماسا اي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطي قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير اثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع في التكفير لزمته كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء اصلا لان الله سبحانه وتعالى اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتى مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطيه ارتكب اثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة وياتي بها قضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها وفي حديث اوس بن الصامت لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه وطي امراته امره بالكفارة وهذا نص وسواء كانت كفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة ان كانت كفارته بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير الوطي والقبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في

قوله اكثر

قول اكثر العلماء وقاله الحسن وسفيان وهو الصحيح من مذهب الشافعي وكل ذلك محرم وكل معاني المسيس وهو قول لمالك واحد قولي الشافعي وقد تقدم السادسة قوله تعالى ذلكم توعظون به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره السابعة لم يجد الرقبة ولا ثمنها او كان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصوم وعليه عتق ولو كان محتاجا الى ذلك وقال مالك اذا كان له دار وخادم لزمه العتق فان عجز عن الرقبة وهي الثامنة فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر استانفهما وان افطر لعذر لسفر او مرض فقيل يبني قاله ابن المسيب والحسن وعطا بن ابي رباح وابن دينار وهو احد قولي الشافعي وهو الصحيح من مذهبه وقال مالك انه اذا مرض في صيام كفارة الظهار بنى اذا صح ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه انه يبتدي وهو احد قولي الشافعي التاسعة اذا ابتدا الصيام ثم وجد الرقبة اتم الصيام واجزاه عند مالك والشافعي لانه بذلك امر حين دخل فيه ويقدم الصوم ويعتق عند ابي حنيفة واصحابه قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور ترى الدم قبل انقضائها فانها تستانف الحيض اجماعا من العلماء واذا ابتدا سفرا في صيامه فافطر ابتدا الصيام عند مالك والشافعي وابي حنيفة لقوله متتابعين ويبني في قول الحسن البصري لانه عذر العاشرة وان وطي المظاهر في خلال الشهرين نهارا بطل التتابع في قول الشافعي وليلا فلا يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال مالك وابو حنيفة يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة لقوله من قبل ان يتماسا وهذا الشرط عائد الى جملة الشهرين والى ابعاضهما فاذا وطي قبل انقضائهما فليس هو الصيام الماموربه فلزمه استينافه كما لو قال صل قبل ان تكلم زيدا فكلم زيدا في الصلاة او قال صل قبل ان تبصر زيدا فابصره لزمه استينافها لان هذه الصلاة ليست هي الصلاة المامور بها كذلك والله اعلم الحادية عشر ومن تطاول مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر وجاز له العدول عن الصيام الى الاطعام ولو كان مرضه مما يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطي امراته كان الاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه الثانية عشر ومن تظاهر وهو معسر ثم ايسر لم يجزه الصوم ومن تظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يصم حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدى بالصوم ثم ايسر فان كان مضى من صومه صدر صالح نحو الجمعة وشبهها تمادى وان كان اليوم واليومين ونحوهما ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه الا ترى انه غير واجب على من طرا الماء عليه وهو قد دخل بالتيمم في الصلاة ان يقطع ويبتدي الطهارة عند مالك الثالثة عشر ولو اعتق رقبتين عن كفارتي ظهار او قتل او فطر بينهما في كل واحدة منهما لم يجزه وهو بمنزلة من اعتق رقبة واحدة عن كفارتين وكذلك لو صام عنهما اربعة اشهر حتى يصوم عن كل واحدة منهما شهرين وقد قيل ان ذلك يجزيه ولو ظاهر من امراتين له فاعتق رقبة عن احدهما بعينها لم يجز وطي واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة عن احداهما جاز له ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة الاخرى ولو ظاهر من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجزه العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن مايتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق فصل فيه ست مسائل الاولى ذكر الله عز وجل الكفارة مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الرقبة وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم وان اطعم مدا بمد هشام وهو مدان الا ثلث او اطعم مدا ونصفا بمد النبي صلى الله عليه وسلم

اجزاه قال ابو عمر بن عبد البر وافضل ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل لم يقل في كفارة الظهار من اوسط ما تطعمون فواجب قصد الشبع قال ابن العربي وقال مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم مد بمد هشام وهو الشبع ههنا لان الله تعالى اطلق الطعام ولم يذكر الوسط وقال في رواية اشهب مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ومذهب الشافعي وغيره مد واحد لكل مسكين لا يلزمه اكثر من ذلك لانه يكفر بالاطعام ولم يلزمه صرف زيادة على المد اصله كفارة الافطار واليمين ودليلنا قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا واطلاق الطعام يتناول الشبع وذلك لا يحصل بالعادة بمد واحد الا بزيادة عليه وكذلك قال اشهب قلت لمالك اختلف الشبع عندنا وعندكم قال الشبع عندنا مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة فانتم تاكلون اكثر مما ناكل وقال ابو الحسن القابسي انما اخذ اهل المدينة بمد هشام في كفارة الظهار تغليظها على المتظاهرين الذين شهد الله عليهم انهم يقولون منكرا من القول وزورا قال ابن العربي وقع الكلام ههنا في مد هشام لما يرون ووددنا ان يهشم الزمان ذكره ويمحى من الكتب رسمه فان المدينة التي نزل بها واستقر الرسول ووقع عندهم الظهار وقيل لهم فيه فاطعام ستين مسكينا فهموا وعرفوا المراد به وانه الشبع وقدره معروف مقدر كذلك عندهم وقد ورد ذلك الشبع في الاخبار كثيرا واستمرت على ذلك ايام الخلفاء الراشدين المهديين حتى نفخ الشيطان في اذان هشام فراى ان مد النبي صلى الله عليه وسلم لا يشبعه ولا مثله من حواشيه ونظرائه فسول له ان يجري مدا يكون فيه شبعه فجعله رطلين وحمل الناس عليه فاذا ابتل عاد نحو الثلاثة ارطال فغير السنة واذهب محل البركة قال صلى الله عليه وسلم حين دعا لاهل المدينة بان يبقى لهم البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك لابراهيم بمكة فكانت البركة تجري بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده فسعى الشيطان في تغيير هذه السنة واذهاب هذه البركة فلم يستجب له في ذلك الا هشام وكان من حق العلماء ان يلغوا ذكره ويمحوا رسمه اذ لم يغيروا امره واما ان يحيلوا على ذكره في الاحكام ويجعلوه مفسرا لما ذكر الله ورسوله بعد ان كان مفسرا عند الصحابة الذين نزل عليهم فخطب جسيم وكذلك كانت رواية اشهب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة الظهار احب الينا من الرواية بانها بمد هشام الا ترى كيف نبه مالك على هذا العلم بقوله الشبع عندنا بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة وبهذا اقول فان العبادة اذا اديت بالسنة فان كانت في البدن كان اسرع الى القبول وان كانت في المال كان قليلها اثقل في الميزان وابرك في يد الاخذ واطيب في شدقه واقل آفة في بطنه واكثر اقامة لصلبه والله اعلم قلت ولا يجزي عند مالك والشافعي ان يطعم اقل من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة واصحابه ان اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه الثالثة قال القاضي ابو بكر ابن العربي من غريب الامر ان ابا حنيفة قال الحجر على الحر باطل واحتج بقوله تعالى فتحرير رقبة ولم يفرق بين الرشيد والسفيه وهذا فقه ضعيف لا يناسب قدره فان هذه الاية عامة وقد كان القضاء بالحجر في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشيا والنظر يقتضيه ومن كان عليه حجر الصغر والولاية وبلغ سفيها قد نهي عن دفع ماله اليه فكيف ينفذ فعله والخاص يقضي على العام فيه الرابعة وحكم الظهار عند بعض العلماء لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما الخامسة قوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك الذي وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا ان الله امر به وقد استدل بعض العلماء على ان هذه الكفارة ايمان بالله سبحانه وتعالى لما ذكرها واوجبها قال ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده ولا تتعدوها فسمى التكفير لانه طاعة ومراعاة للحد

بها فاثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان فان قيل معنى قوله ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزورا قيل له قد يجوز ان يكون هذا مقصودا والاول مقصودا فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا للقول المنكر والزور بل تدعوهما طاعة لله سبحانه اذ كان قد حرمهما ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان تكفروا اذ كان الله منع من مسيسها وتكفروا اذ كان الله تعالى امر بالكفارة والزم اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن لم يصدق باحكام الله عذاب جهنم قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو مثل قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله وقيل يحادون الله اي اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وقال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك واصلها الممانعة ومنه الحداد للبواب كبتوا قال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر والمراد المشركون وقيل المنافقون كما كبت الذين من قبلهم وقيل كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هي بلغة مذحج وقد انزلنا ايات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين عذاب مهين قوله تعالى يوم نصب بعذاب مهين او بفعل مضمر تقديره واذكر تعظيما لليوم يوم يبعثهم الله جميعا اي الرجال والنساء يبعثهم من قبورهم في حالة واحدة فينبئهم اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا احصاه الله عليهم في صحائف اعمالهم ونسوه حتى ذكرهم به في صحائفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شيء شهيد مطلع وناظر لا يخفى عليه شيء قوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية ما يكون من نجوى ثلاثة قراءة الجماعة بالياء لاجل الحائل بينهما وقرا ابو جعفر بن القعقاع والاعرج وابو حيوة وعيسى ما تكون بالتاء لتانيث الفعل والنجوى السرار مصدر قد يوصف به يقال قوم نجوى اي ذوو نجوى ومنه قوله تعالى واذ هم نجوى قوله تعالى ثلاثة خفض باضافة النجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز وهي قراءة ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه قاله الزمخشري ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ثم قيل كل سرار نجوى وقيل النجوى ما يكون في خلوة يسرون شيئا ويتناجون به والسرار ما كان بين اثنين الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الاية بالعلم وقيل النجوى وهي ما ارتفع من الارض فالمتناجيان يتناجيان ويخلوان بسرهما كخلو المرتفع من الارض عما يتصل به والمعنى ان سمع الله محيط بكل كلام وقد سمع الله مجادلة المراة حين ظاهر منها زوجها ولا ادنى من ذلك ولا اكثر قرا سلام ويعقوب وابو العالية ونصر وعيسى بالرفع على موضع من نجوى قبل دخول من لان تقديره ما يكون نجوى ويجوز ان يكون مرفوعا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكون مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى وقرا الزهري وعكرمة اكبر بالباء والعامة بالثاء وفتح الراء على اللفظ وموضع جر وقال الفراء في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم قال المعنى غير مصمود والعدد غير مقصود لانه تعالى انما قصد وهو اعلم انه مع كل عدد قل او كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا يخفى عليه خافية فمن اجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض وقيل معنى ذلك ان الله تعالى معهم بعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال ونزل ذلك في قوم من المنافقين قاله ابن عباس

وقال قتادة ومجاهد نزلت في اليهود ثم ينبئهم يخبرهم بما عملوا من حسن وسيء يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى فيه ثلاث مسائل الاولى قوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى قيل ان هذا في اليهود والمنافقين حسبما قدمناه وقيل في المسلمين قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون باعينهم فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوءهم ذلك فلكثرة شكواهم الى النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسئله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك الثانية روى ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقرا حمزة وخلف ورويس عن يعقوب ويتنجون في وزن يفتعلون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى اذا تناجيتم وتناجوا النحاس وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا ياتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا فعلى هذا يتناجون ويتنجون واحد في المعنى بالاثم والعدوان اي الكذب والظلم ومعصيت الرسول اي مخالفته وقرا الضحاك ومجاهد وحميد ومعصيات الرسول بالجمع الثالثة قوله واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله لا خلاف بين النقلة ان المراد بها اليهود كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليكم يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم قال ابن العربي وهي مشكلة وكانوا يقولون لو كان محمد نبيا لما امهلنا الله بسبه والاستخفاف به وجهلوا ان الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبه فكيف من سب نبيه وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اصبر على الاذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم فانزل الله هذا كشفا لسرائرهم وفضحا لبواطنهم ومعجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عن قتادة عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه فقال السام عليكم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتدرون ما قال هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال قال كذا ردوه علي فردوه وقال قلت السام عليكم قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت وانزل الله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله قلت خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وثبت عن عايشة انها قالت جاء اناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقلت السام عليكم وفعل الله بكم وفعل فقال عليه السلام مه يا عايشة فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش فقلت يا رسول الله الست ترى يردون عليه ما يقولون اقول وعليكم ونزلت هذه الاية بما لم يحيك به الله اي ان الله سلم عليك وهم يقولون السلام عليك والسام الموت خرجه البخاري ومسلم بمعناه وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم كذا الرواية وعليكم بالواو وتكلم عليها العلماء لان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم ان يدخل فيما دعوا به علينا من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سئم يسام سامة وساما قال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي اجزنا انتحى ولكن الواو وقال بعضهم هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال بعضهم هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما قال

النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سلم ناس من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم فقالت عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا خرجه مسلم ورواية الواو احسن معنى واثباتها اصح رواية واشهر وقد اختلف في رد السلام على اهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للامر بذلك وذهب مالك فيما روى اشهب وابن وهب ان ذلك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقد اختار ابن طاووس ان يقول في الرد عليهم عليك اي ارتفع عنك واختار بعض اصحابنا السلام بكسر السين يعني الحجارة وما قاله مالك اتباعا للسنة والله اعلم روى مسروق عن عايشة قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم قالت عايشة قلت بل عليكم السام والذام فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عايشة لا تكوني فاحشة فقالت ما سمعت ما قالوا قال اوليس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم وفي رواية قال ففطنت بهم عايشة فسبتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عايشة فان الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فانزل الله تبارك وتعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله الى اخر الاية الذام بتخفيف الميم هو العيب ومنه المثل لا تعدم الحسناء ذاما اي عيبا ويهمز ولا يهمز يقال ذامه يذامه مثل ذابه يذابه والمفعول مذؤوم مهموزا ومنه مذؤوما مدحورا ويقال ذامه يذومه مخففا كرامه يرومه قوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول قالوا لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول فهلا يعذبنا الله وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام والسام الموت فلو كان نبيا لاستجيب له فينا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل كتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا فبئس المصير اي المرجع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا نهى المؤمنين ان يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم اي تساررتم فلا تتناجوا هذه قراءة العامة وقرا يحيى ابن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب فلا تنتجوا من الانتجاء بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر اي بالطاعة والتقوى اي بالعفاف عما نهى الله عنه وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا بزعمهم وقيل اي يا ايها الذين امنوا بموسى واتقوا الله الذي اليه تحشرون تجمعون في الاخرة قوله تعالى انما النجوى من الشيطان فيه مسئلتان الاولى قوله انما النجوى من الشيطان اي من الشيطان ليحزن الذين امنوا اذا توهموا ان المسلمين اصيبوا في السرايا او اذا راوا اجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيئا الا باذن الله بمشيئته وقيل بعلمه وعن ابن عباس بامره وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يكلون امرهم ويفوضون جميع شانهم الى عونه ويستعيذون من الشيطان على الوسواس ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفه عنه الثانية في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجا اثنين دون الواحد وعن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتناجا اثنان دون الواحد حتى يختلطوا بالناس الثالثة من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجاء اخر يريد ان يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه الموطا وفيه ايضا التنبيه على التعليل بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره وانهم لم يروه اهلا ليشركوه في حديثهم الى غير ذلك من القيات الشيطان واحاديث النفس وحصل

ذلك كله من بقائه وحده فاذا كان معه غيره امن من ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد ياتي فيه ذلك المعنى وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال واليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور وسوا كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن يقع به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان في حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا فانه يجد من يعينه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم المغيث قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الى قوله والله بما تعملون خبير فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقاله الضحاك وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون قوله مقاعد للقتال قال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من اهل بدر فنزلت قيس بن شماس وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم انت يا فلان وانت يا فلان بعدد القايمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فغمز المنافقون وتكلموا بان قالوا ما انصف هولاء وقد احبوا القرب من نبيهم فسبقوا الى المكان فانزل الله عز وجل هذه الاية تفسحوا اي توسعوا وفسح فلان لاخيه في مجلسه يفسح فسحا اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك فسحة وتفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا ومنه مكان فسيح قلت قرا السلمي وزر بن حبيش وعاصم في المجالس وقرا قتادة وداود بن ابي هند والحسن باختلاف عنه اذا قيل لكم تفاسحوا الباقون تفسحوا في المجلس فمن جمع فلان قوله تفسحوا ينبي ان لكل مجلسا واحدا ويجوز ان يراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وجمع لان لكل جالس مجلسا وكذلك ان اريد به الحرب وكذلك يجوز ان اريد المفرد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يراد به الجمع على مذهب الجنس كقولهم الدينار والدرهم الثانية الصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة فان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذ لذلك فيخرجه الضيق عن موضعه روى البخاري ومسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه اخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقام الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه لفظ البخاري فرع اذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره ان يقيمه حتى يقعد مكانه لما روى مسلم عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم ليخالف الى

مقعده

مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا فرع القاعد في المكان اذا قام حتى يقعد غيره موضعه نظر فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه فرع اذا امر انسان انسانا ان يبكر الى الجامع فياخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الامر يقوم من الموضع لما روي ان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس له فيه فاذا جاء قام له منه قلت وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فتبسط له في موضع من المسجد الثالثة روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به قال علماونا هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه الى ان يقوم منه لانه اذا كان اولى به بعد قيامه فقبله احرى واولى وقيل على الندب لانه موضع غير متملك لاحد لا قبل الجلوس ولا بعده وهذا فيه نظر وهو ان نقول سلمنا انه غير متملك لكنه يختص به الى ان يفرغ غرضه فصار كانه يملك منفعته اذ قد منع غيره من ان يزاحمه عليه والله اعلم الرابعة قوله تعالى يفسح الله لكم اي في قبوركم وقيل في قلوبكم وقيل يوسع عليكم في الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا قرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما وكسر الباقون وهما لغتان مثل يعكفون ويعرشون والمعنى انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل الخير قاله اكثر المفسرين وقال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان كل واحد منهم يحب ان يكون اخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا عنه فان له حوايج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى اجيبوا اذا دعيتم الى امر بمعروف وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز ماخوذ من نشز الارض وهو ارتفاعها يقال نشز ينشز اذا انتحى من موضعه اي ارتفع منه وامراة ناشزة اي منتحية عن زوجها واصل هذا من النشز وهو ما ارتفع من الارض وتنحى الخامسة قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اي في الثواب في الاخرة وفي الكرامة في الدنيا فيرفع المومن على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم وقال ابن مسعود مدح الله العلما في هذه الاية والمعنى انه يرفع الله الذين اوتوا العلم على الذين امنوا ولم يوتوا العلم اي درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لهم ورأى عليه الصلاة والسلام رجلا من الاغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقرا اراد ان يجلس اليه فقال يا فلان اخشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين في هذه الاية ان الرفعة عند الله بالعلم والايمان لا بالسبق الى صدر المجلس وقيل اراد بالذين اوتوا العلم الذين قروا القران وقال يحيى بن يحيى عن مالك يرفع الله بها العالم والطالب للحق قلت والوقوع اوقع في المسالة واولى بمعنى الاية فيرفع المومن بايمانه اولا ثم بعلمه ثانيا وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب كان يقدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه وسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس ابن حصن وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القرا اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا او شبانا الحديث وقد مضى في اخر الاعراف وفي صحيح مسلم ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على اهل الوادي فقال ابن ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه قارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرايض قال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين وقد مضى اول الكتاب ومضى القول في فضل العلم والعلما في غير

موضع في هذا الكتاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
ساير الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم
بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة كشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان
بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي العلم واعطي المال والملك معه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم
صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير
بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله
فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ
عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او
عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قوله يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا الى قوله خبير تقدم ذكره قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول ناجيتم ساررتم قال ابن عباس نزلت بسبب ان المسلمين كانوا
يكثرون المسايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك كف كثير من الناس ثم وسع عليهم بالاية
التي بعدها وقال الحسن نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم ويناجونه
فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى
ليقطعهم عن استخلائهم وقال زيد بن اسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله
عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان
الشيطان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله قال فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول الاية فلم ينتهوا فانزل الله هذه الاية فانتهى
اهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجويهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من النجوى
لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الاية الثانية قال ابن العربي وفي هذا الخبر
عن زيد ما يدل على ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلك خير لكم واطهر وهذا
رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد الرحمن وقد ضعفه العلماء والامر قوله
ذلك خير لكم واطهر نص متواتر في الرد على المعتزلة والله اعلم الثالثة روى الترمذي عن علي بن علقمة الانماري
عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة سالني
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة فنزلت ءاشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة قال ابو عيسى هذا حديث

حسن من هذا الوجه ومعنى قوله شعيرة يريدون شعيرة من ذهب قال ابن العربي وهذا يدل على مسئلتين
حسنتين اصوليتين الاولى نسخ العبادة قبل فعلها والثانية النظر في المقدرات بالقياس خلافا لابي حنيفة
قلت الظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة وقد روي عن مجاهد ان اول من تصدق في ذلك علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه وسلم روي انه تصدق بخاتم وذكر القشيري وغيره عن
علي بن ابي طالب قال في كتاب الله اية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي يا ايها الذين امنوا اذا
ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة كان لي دينار فبعته فكنت اذا ناجيت الرسول تصدقت
بدرهم حتى نفد فنسخت بالاية الاخرى ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات وكذلك قال ابن عباس
نسخها الله بالاية التي بعدها وقال ابن عمر لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت
احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى ذلك خير لكم من امساكها
واطهر لقلوبكم من المعاصي فان لم تجدوا يعني الفقراء فان الله غفور رحيم قوله تعالى ءاشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجويكم صدقات فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ءاشفقتم استفهام معناه التقرير قال ابن عباس
ءاشفقتم اي ابخلتم بالصدقة وقيل خفتم والاشفاق الخوف من المكروه اي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق
عليكم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال
الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقال ابن عباس ما بقي الا ساعة من النهار حتى نسخ كذا قال قتادة والله
اعلم الثانية قوله تعالى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي نسخ الله ذلك الحكم وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق
به فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة فنسخت اية فريضة الزكاة هذه الصدقة وهذا يدل على جواز الصدقة وما
روي عن علي ضعيف لان الله تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء والله اعلم واطيعوا
الله في فرايضه ورسوله في سننه والله خبير بما تعملون قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود ما هم منكم ولا منهم يقول ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين
بل هم مذبذبون بين ذلك وكانوا يحملون اخبار المسلمين قال السدي ومقاتل نزلت في عبد الله بن ابي والمنافقين
كان احدهم يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجرة من حجراته اذ قال يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان
ازرق اسمر قصير خفيف اللحية فقال عليه الصلاة والسلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
هذه الاية وقال معناه وروى عكرمة عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا قد كاد الظل يتقلص عنه
فقال يجيئكم رجل ازرق ينظر اليكم نظر شيطان فبينما نحن على ذلك اذ اقبل رجل ازرق فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم
فقال علام تشتمني انت واصحابك قال دعني اجيئك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا انه ما كان من ذلك شيء فانزل
الله يوم يبعثهم الله جميعا الى قوله هم الخاسرون واليهود مذكورون في القران بغضب الله عليهم اعد الله لهم
اي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس الاعمال
اعمالهم اتخذوا ايمانهم جنة يستجنون بها من القتل وقرا الحسن وابو العالية ايمانهم بكسر الهمزة هنا وفي
المنافقين اي اقرارهم جنة وامنت السنتهم من خوف القتل وكفرت قلوبهم فلهم عذاب مهين في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالنار والصد المنع عن سبيل الله اي عن الاسلام وقيل في قتلهم بالكفر وفي الاخرة لما
اظهروه من النفاق وقيل اي بالقاء الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد وتخويفهم قوله تعالى لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذابه وقال مقاتل قال المنافقون ان محمدا يزعم انه ينصر
يوم القيمة لقد شقينا اذن الله لننتصرن يوم القيمة بانفسنا واولادنا واموالنا ان كانت قيامة

فنزلت يوم يبعثهم الله جميعاً اي لهم عذاب يوم يبعثهم فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم وهذا امر عجيب
وهو مغالطتهم باليمين غداً وقد صارت المعارف ضرورة وقال ابن عباس هو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انه ينفعهم في الاخرة وقيل يحسبون في الدنيا
انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ينادي مناد يوم القيمة اين خصماء الله فيقوم القدرية مسودة وجوههم من رقة اعينهم ما يل شدقهم
يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ولا صنماً ولا وثناً ولا اتخذنا من
دونك الهاً قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
اي غلب واستعلى اي بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم وقال المفضل احاط بهم ويحتمل ايضاً اي جمعهم
وضمهم يقال احوذ الشيء اي جمعه وضم بعضه الى بعض واذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم واحاط بهم فا
نساهم ذكر الله اي اوامره بالعمل بطاعته وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى
الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا اولئك حزب الشيطان طائفته ورهطه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة قوله تعالى ان
الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اولئك في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل منهم كتب الله
لاغلبن اي قضى الله ذلك وقيل كتبه في اللوح المحفوظ عن قتادة الفراء كتب بمعنى قال انا توكيد ورسلي
من بعث منهم بالحرب فان الرسول غالب بالحرب ومن بعث منهم بالحجة قال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح
الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله ابن
ابي بن سلول اتظنون الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها والله لانهم اكثر عدداً واشد بطشاً من ان
تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي نظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون قوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون اي يحبون ويوالون
من حاد الله ورسوله تقدم ولو كانوا اباءهم قال السدي نزلت في عبد الله ابن عبد الله بن ابي جلس الى النبي
صلى الله عليه وسلم فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ماء فقال بالله يا رسول الله ما ابقيت فضلة من شرابك
اسقيها ابي لعل الله يطهر بها قلبه فافضل له فاتاه بها فقال له عبد الله ما هذا قال هي من شراب رسول
الله صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له ابوه جئني ببول امك فانه اطهر
منه فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اما اذنت لي في قتل ابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ترفق به وتحسن اليه وقال ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر ابنه صكة سقط
منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك له فقال او فعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك
بالحق نبياً لو كان السيف مني قريباً لقتلته وقال ابن مسعود نزلت في ابي عبيدة ابن الجراح قتل اباه
عبد الله بن الجراح يوم احد وقيل يوم بدر وكان الجراح يتصدى لابي عبيدة وابو عبيدة يحيد عنه
فلما اكثر قصد اليه ابو عبيدة وقتله فانزل الله حين قتل اباه لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر
الاية قال الواقدي كذلك يقول اهل الشام ولقد سالت رجالاً من بني الحارث ابن فهر فقالوا توفي
ابوه من قبل الاسلام او ابناءهم يعني ابا بكر دعا ابنه الى البراز يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم متعنا
بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة السمع والبصر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد
ابن عمير يوم بدر او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلياً وحمزة
قتلا عتبة وشيبة والوليد وقيل ان الاية نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة لما كتب لاهل مكة بمسير النبي صلى الله
عليه وسلم عام الفتح على ما ياتي بيانه اول سورة الممتحنة ان شاء الله تعالى بين ان الايمان يفسد بموالاة

الكفار

الكفار وان كانوا اقارب الثانية استدل مالك رحمه الله من هذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم
قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله عز وجل لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله قلت وفي معنى اهل القدر اهل الظلم والعدوان وعن الثوري انه قال كانوا يرون
انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز ابن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه
وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوماً
يؤمنون بالله الى قوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوال من
حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله فساكتبها
للذين يتقون وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقراءة العامة
بفتح الكاف من كتب ونصب النون من الايمان بمعنى كتب الله وهو الاجود قوله تعالى وايدهم بروح منه وقراءة
وقرا ابو العالية وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم وقيل كتب على ما لم يسم فاعله الايمان برفع وقرا زر بن حبيش
وعشيراتهم بالف وكسر التاء على الجمع ورواها الاعشى عن ابي بكر وقيل كتب في قلوبهم كما في قوله في جذوع النخل
وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان وايدهم قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه وقال الربيع
ابن انس بالقران وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة من الله وقال بعضهم ايدهم بجبريل
عليه السلام ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه
فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال سعيد بن ابي سعيد الجرجاني عن بعض
مشايخه قال داود الهي من حزبك وحول عرشك فاوحى الله يا داود الغاضة ابصارهم النقية قلوبهم السليمة
اكفهم اولئك حزبي وحول عرشي والله اعلم سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون اية في قول الجميع روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش
والكرسي والسموات والارض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر
والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له فان مات في يومه او ليلته مات شهيداً اخرجه الثعلبي عن يزيد
الرقاشي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر الى اخرها فمات من ليلته مات شهيداً
وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى
يمسي وان مات من يومه مات شهيداً وان قراها حين يمسي فكذلك قال حديث حسن غريب بسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب
الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن
يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء
قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون
دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين

تفسير سورة الحشر وهي مدنية

جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
ربنا انك رؤف رحيم الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون قوله سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت
لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن
بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من امرهم ما نص عليه الثانية قوله تعالى لاول الحشر الحشر الجمع
وهو على اربعة اوجه حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل
قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام
فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال ابن عباس اول من حشر
من اهل الكتاب واخرج من دياره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم
الى خيبر واخره اخراج عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيما واريحا وذلك بكفرهم ونقض
عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث
باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل منهم من تخلف وهذا ثابت في الصحيح وقد ذكرناه في التذكرة ونحوها
روى ابن وهب عن مالك قال قلت لمالك هو جلاؤهم من ديارهم فقال الحشر يوم القيامة حشر اليهود قال
واجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر حين سئلوا عن المال فكتموه فاستحلهم بذلك قال ابن العربي للحشر
اول واوسط واخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن الحسن
هم بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه بقية المفسرين وقال بنو قريظة ما حشروا ولكنهم حكاه
الثعلبي الثالثة قال الكيا الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شي لا يجوز وانما
كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم قوله تعالى
ما ظننتم ان يخرجوا يريد لعظم اليهود ومنعتهم وقوتهم في صدور الاسلام واجتماع كلمتهم وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم قيل هي الوطيح والسلالم والكتيبة من الله اي من امره وكانوا اهل حلقة
اي سلاح كثير وقصور منيعة فلم يمنعهم شي منها فاتاهم الله اي امره من حيث لم يحتسبوا اي بقتل كعب
ابن الاشرف قاله ابن جريج والسدي وابو صالح قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم وكان
الذي قتله هو محمد بن مسلمة وابو نايلة سلكان بن سلامة بن وقش بن اوس بن معاذ وابو عبس
ابن جبير وخبره مشهور في السيرة وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب مسيرة
شهر فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة الى محلة بني النضير وهذه خصيصة لمحمد ص دون غيره
قوله تعالى يخربون بيوتهم قراءة العامة بالتخفيف من اخرب اي يهدمون وقرا السلمي والحسن ونصر
ابن عاصم وابو العالية وقتادة وابو عمرو يخربون بالتشديد من التخريب قال ابو عمرو وانما اخترت
التشديد لان الاخراب ترك الشي خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما
خربوها بالهدم يؤيده قوله بايديهم وايدي المؤمنين وقال اخرون التخريب والاخراب بمعنى واحد
والتشديد بمعنى التكثير وحكى سيبويه ان فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته وافرحته
وفرحته واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج
ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم فروي انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان لا يكونوا

ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعت في التوراة فلا ترد له راية فلما هزم
المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا
عند الكعبة فامر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم بالكتائب فقال
لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا
من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها
احدى وعشرين يوما فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى الا
الجلاء وقال الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما
اقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة والعمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب
المؤمنون باقيها وعن ابن زيد ايضا كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع موضع القتال
وهم ينقبون دورهم من ادبارها الى التي بعدها ليتحصنوا فيها ويرمون بالتي اخرجوا منها المسلمين وقيل
ليسدوا بها ازقتهم وقال عكرمة بايديهم في اخراب داخلها وما فيها لئلا ياخذه المسلمون وبايدي المؤمنين
في اخراب ظاهرها ليصلوا بذلك اليهم قال عكرمة كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين ان يسكنوها فخربوها
من داخل وخربها المسلمون من خارج وقيل يخربون بيوتهم بنقض المواعدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة
قاله الزهري ايضا وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها قال
ابن العربي التناول للافساد اذا كان باليد كان حقيقة واذا كان بنقض العهد كان مجازا الا ان قول
الزهري في المجاز امثل من قول ابي عمرو بن العلا قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار اي اتعظوا يا اصحاب
العقول والالباب وقيل يا من عاين ذلك ببصره فهو جمع البصر ومن جملة على الاعتبار قال انهم اعتصموا با
لحصون من الله فانزلهم الله منها ومن وجوهه انه سلط عليهم من كان ينصرهم ومن وجوهه ايضا انهم هدموا
اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه وفي الامثال الصحيحة السعيد من اتعظ بغيره قوله تعالى
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي لولا انه قضى انه سيجليهم عن دارهم وانهم يبقون مدة ويولد لهم من يؤمن
لعذبهم في الدنيا اي بالقتل والسبا كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء
واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما في الابعاد واحدا ان الجلاء ما كان
مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد الثاني ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون
لواحد ولجماعة قاله الماوردي قوله تعالى ذلك اي ذلك الجلاء بانهم شاقوا الله اي عادوه وخالفوا امره ومن
يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع ومن يشاقق الله باظهار التضعيف كالتي في الانفال والادغام
الباقون قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها الى قوله الفاسقين فيه خمس مسائل الاولى قوله ما
قطعتم من لينة ما في محل نصب بقطعتم كانه قال اي شي قطعتم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل
على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش يوم احد امر بقطع نخيلهم واحراقها و
اختلفوا في عدد ذلك فقال قتادة والضحاك انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ست نخلات وقال محمد بن اسحق انهم
قطعوا نخلة وكان ذلك عن اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم او بامره اما لاضعافهم بها واما لسعة
المكان بها فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود اهل الكتاب يا محمد الست تزعم انك نبي تريد الصلاح
افمن الصلاح قطع النخل وقطع الشجر وهل انزل عليك اباحة الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله
عليه وسلم ووجد المؤمنون في انفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم لا نقطعها مما افاء الله علينا وقال بعضهم
اقطعوا لنغيظهم بذلك فنزلت الاية بتصديق من نهى وتحليل من قطع من الاثم واخبار ان قطعه وتركه

باذن الله قال شاعرهم سماك اليهودي في ذلك السنا ورثنا الكتاب الحكيم * على عهد موسى ولم نصدف * وانتم
رعاء لشاء عجاف * بسهل تهامة والاخيف * ترون الرعاية مجدا لكم * لدى كل دهر لكم مجحف * فيا ايها الشاهدون
انتهوا * عن الظلم والمنطق المؤنف * لعل الليالي وصرف الدهور * تديل من العادل المنصف * بقتل النضير واجلائها
وعقر النخيل ولم تقطف * فاجابه حسان بن ثابت تفاقد معشر نصروا قريشا * وليس لهم ببلدتهم نصير *
هم اوتوا الكتاب فضيعوه * وهم عمي عن التوراة بور * كفرتم بالقران وقد ابيتم * بتصديق الذي قال
النذير * وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير * فاجابه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
ادام الله ذلك من صنيع * وحرق في نواحيها السعير * ستعلم اينا منها بنزه * وتعلم اي ارضينا تضير * فلو كان
النخيل بها ركابا * لقالوا لا مقام لكم فسيروا الثانية كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول
اول السنة الرابعة من الهجرة وتحصنوا منه في الحصون وامر بقطع النخل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر
ودس عبد الله بن ابي بن سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير انا معكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فاغتروا بذلك فلما جاءت الحقيقة خذلوهم واسلموهم فالقوا بايديهم وسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم ويجليهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا السلاح
فاحتملوا ذلك الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان منهم من سار الى خيبر اكابرهم كحيي بن اخطب وسلام
ابن ابي الحقيق وكنانة بن الربيع فكانت لهم خيبر الثالثة ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وبها يقول حسان وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير *
وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة الاية واختلف في دار العدو وحرقها وقطع ثمارها على قولين الاول ان ذلك
جائز قاله في المدونة الثاني ان علم المسلمون ان ذلك لهم لم يفعلوا وان يئسوا فعلوا قاله مالك في الواضحة
وعليه يناظر اصحاب الشافعي ابن العربي والصحيح الاول وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نخل بني النضير
له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها واتلاف بعض المال لصلاح باقيه
مصلحة جائزة شرعا مقصودة عقلا الرابعة قال الماوردي ان في هذه الاية دليلا على ان كل مجتهد مصيب
وقاله الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا
شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا
باطل لان النبي صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه
لعموم الاذاية للكفار ودخول الاذن في الكل بما يقتضي عليهم بالاجتياح والبوار وذلك قوله تعالى وليخزي
الفاسقين الخامسة اختلف في اللينة ما هي على اقوال عشرة الاول النخل كله الا العجوة قاله الزهري ومالك
وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وعن ابن عباس ايضا انها لون من النخل وعن الثوري انها كرام النخل وعن
ابي عبيدة انها جميع الوان التمر سوى العجوة والبرني قال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة وذكر ان العتيق
والعجوة كانا مع نوح عليه السلام في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق
على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة
يرى نواه من خارج ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة القريبة من الارض
وانشد الاخفش قد شجاني الحمام حين تغنى * بفراق الاحباب من فوق لينه * وقيل ان اللينة الفسيلة لانها
الين من النخلة ومنه قول الشاعر غرسوا لينها بمجرى معين * ثم حفوا النخل بالاجام * وقيل ان اللينة الاشجار
كلها للينها بالحياة وقال ذو الرمة طراق الخوافي واقع فوق لينة * ندى ليله في ريشه يترقرق * العاشر
انها الدقل قاله الاصمعي قال واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموائد حتى توجد الالوان يعنون الدقل ابن
العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين احدهما انهم اعرف ببلدهم واشجارها الثاني ان الاشتقاق

يقصدوا

يقصدوا اهل اللغة يصحح ذلك فان اللينة وزنها لونة واعتلت على اصولها فالتالي لينة فهو لون فاذا دخلت
الهاء كسر اولها كبدل الصدر بفتح الباء وتركه بكسرها لاجل الهاء وقيل لينة اصلها لونة فقلبت الواو ياء لانكسار
ما قبلها وجمع اللينة لين وقيل ليان قال امرؤ القيس يصف عنق فرسه وسالفة كسحوق الليان * اضرم فيها
الغوي السعر * وقال الاخفش انما سميت لينة اشتقاقا من اللون لا من اللين المهدوي واختلف في اشتقاقها
فقيل من اللون واصلها لونة وقيل اصلها لينة من لان يلين وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة
او تركتموها قائمة على اصولها المعنى لم تقطعوها وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان احدهما انه
جمع اصل كرهن ورهن الثاني اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن
الله اي بامره وليخزي الفاسقين اي ليذل اليهود والكفار ويزيدهم غيظا قوله تعالى وما افاء الله على
رسوله منهم الاية والتي بعدها الى قوله شديد العقاب فيه عشر مسائل الاولى قوله وما افاء الله
يعني ما رده الله على رسوله من اموال بني النضير فما اوجفتم عليه وضعتم عليه والايجاف في السير الاسراع
يقال وجف الفرس اذا اسرع واوجفته انا اي حركته واتعبته ومنه قول تميم بن مقبل مذاود بالبيض
الحديث صقالها * عن الركب احيانا اذا الركب اوجفوا * والركاب الابل واحدها راحلة يقول لم تقطعوا
اليها شقة ولا لقيتم بها حربا وانما كانت من المدينة على ميلين قال الفراء فمشوا اليها مشيا ولم
يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا
واجلاهم واخذ اموالهم فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وما افاء الله على رسوله منهم
الاية فجعل اموال بني النضير خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله
عليه وسلم بين المهاجرين قال الواقدي ورواه ابن وهب عن مالك ولم يعط الانصار منها شيئا الا
ثلاثة نفر محتاجين منهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقيل انما
اعطى رجلين سهلا وابا دجانة ويقال اعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم
ولم يسلم من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وفي صحيح
مسلم عن عمر قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا
ركاب وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق على اهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع
والسلاح عدة في سبيل الله وقال العباس لعمر رضي الله عنهما اقض بيني وبين هذا الكاذب الاثم الغادر الخائن
يعني عليا رضي الله عنه فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير فقال عمر تعلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله عز وجل كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة
لم يخصص بها احدا غيره وما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول لا ادري هل قرا الاية التي
قبلها ام لا فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها عليكم ولا
اخذها دونكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما
بقي اسوة المال الحديث بطوله خرجه مسلم وقيل لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها
حظ كالغنائم فبين الله تعالى انها فيء وكان قد جرى بعض قتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا
ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادئ القتال وجرى الحصار وخص الله تلك
الاموال برسوله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه وفي هذا بيان ان
تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة ايام من المدينة وخيبر

وقرى عربية و ينبع جعلها الله لرسوله وبين ان في ذلك المال الذي خص بالرسول عليه الصلاة والسلام
سهماً لغير الرسول نظراً منه لعباده وقد تكلم العلماء في هذه الاية والتي قبلها على معناهما واحداً ويختلف
والاية التي في الانفال فقال قوم من العلماء ان قوله ما افاء الله على رسوله من اهل منسوخ بما في سورة
الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام تقسم الغنيمة على هذه
الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك
وقال قوم انما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله فيه فيئاً والاولى للنبي صلى الله
عليه وسلم والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه والثالثة الغنيمة المذكورة في سورة
الانفال للغانمين وقال قوم منهم الشافعي انه معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال الكفار بغير قتال قسم
على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايضاً وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو
المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل ولما بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي
في قول الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفي قول
اخر يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة
اخماس الفيء فاما السهم الذي كان من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم
بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وقد مضى القول فيه في
سورة الانفال وكذلك ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقة يصرف عنه الى مصالح المسلمين كما قال عليه
الصلاة والسلام انا لا نورث ما تركناه صدقة وقيل كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
ما افاء الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالاً انما كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف
الباقي في مصالح المسلمين قال القاضي ابو بكر بن العربي لا اشكال انها ثلاث معان في ثلاث ايات اما الاية
الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما
افاء الله على رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفاً فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يريد كما بينا
فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من بني النضير وما كان
مثلها فهذه ليلة واحدة ومعنى متحد الايات الثانية فهو قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله
وللرسول وهذا الكلام مبتدأ غير الاول لمستحق الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة ولا شك انه معنى اخر
باستحقاق ثان لمستحق اخر بين ان الاية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئاً
افاء الله على رسوله واقتضت الاية انه حاصل بغير قتال واقتضت الاية الثانية وهي قوله تعالى ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى بقتال وبغير قتال فنشأ الخلاف من طائفة قالت هي ملحقة بالثانية وهي اية
الانفال والذين قالوا انها ملحقة باية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة لما تقدم او محكمة والحاقها بشهادة
الله بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فائدة ومعنى ومعلوم ان الحمل من الاية فضلاً عن الاية بتجديد
اولى من حمله على فائدة معادة وروى ابن وهب عن مالك في قوله فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب هي
النضير لم يكن فيها خمس ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قسمها بين المهاجرين وثلاثة من الانصار حسب ما تقدم في قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى بني قريظة وكانت قريظة والخندق في يوم واحد قال ابن العربي قول مالك ان الاية الثانية
في بني قريظة اشارة الى ان معناها يعود الى اية الانفال ويلحقها النسخ وهو اقوى من القول بالاحكام
ونحن لا نختار الا ما قسمنا وبينا ان الاية الثانية لها معنى مجدداً حسب ما دللنا عليه والله اعلم

قلت

قلت ما اختاره حسن وقد قيل ان سورة الحشر نزلت بعد الانفال فمن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر وقال ابن
جريج المال ثلاثة مغنم او فيء او صدقة وليس منه درهم الا وقد بين الله موضعه وهذا اشبه الثالثة
الاموال التي لائمة الاولاة فيها مدخل ثلاثة لضرب ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات
والزكاة والثاني الغنائم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكافرين بالحرب والقهر والغلبة والثالث
الفيء وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكفار عفواً صفواً من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج
والعشور الماخوذة من تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت منهم احد في دار الاسلام
بلا وارث فاما الصدقة فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملين عليها حسب ما ذكره الله وقد مضى في براءة
واما الغنائم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شاء كما قال في الانفال قل
الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وقد مضى في الانفال بيانه فاما
الفيء فقسمته وقسمة الخمس سواء والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسهما لنوازل تنزل بالمسلمين
فعل وان راى قسمتهما او قسمة احدهما قسمه كله بين الناس وسوى فيه بين عربيهم ومولاهم ويبدأ
بالفقراء من رجال ونساء حتى يغنوا ويعطى ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء سهمهم
على ما يراه الامام وليس له حد معلوم واختلف في اعطاء الغني منهم فاكثر الناس على اعطائه لانه حق
لهم وقال مالك لا يعطى منهم غير فقرائهم لانه جعل لهم عوضاً من الصدقة وقال الشافعي ان ما حصل من اموال
الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمس وعشرين سهماً عشرون للنبي صلى الله
عليه وسلم يفعل فيها ما يشاء والخمس يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا
قول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصاً له كما في الصحيح عن عمر مبيناً للاية ولو كان هذا لكان
قوله خالصة لك من دون المؤمنين يدل على انه يجوز الموهوبة لغيره وان قوله خالصة يوم القيامة يجوز ان يشركهم
فيها غيرهم وقد مضى قول الشافعي مستوعباً في ذلك والحمد لله ومذهب الشافعي رضي الله عنه ان سبيل خمس الفيء
سبيل خمس الغنيمة وان اربعة اخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين وله قول اخر
انها بعده للمرصدين انفسهم للقتال خاصة بعده كما تقدم الرابعة قال علماؤنا ويقسم كل مال في البلد الذي
هو فيه ولا ينقل ذلك عن البلد الذي جبي فيه حتى يغنوا ثم ينقل الى الاقرب من غيرهم الا ان ينزل بغير
البلد الذي جبي فيه فاقة شديدة فينقل ذلك الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او ستة وقد قيل عامين وقيل عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع
وان لم يكن ما وصفنا ورأى الامام ايقاف الفيء اوقفه لنوائب المسلمين ويعطي منه المنفوس ويبدأ بمن ابوه فقير
والفيء حلال للاغنياء ويسوي بين الناس فيه الا انه يؤثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون
على قدر الحاجة ويعطى منه الغرماء ما يؤدون به ديونهم ويعطى منه الجائزة والصلة ان كان ذلك اهلاً
ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفير الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعاً
ومن اخذ من الفيء شيئاً في الديوان كان عليه ان يغزو اذا غزي الخامسة قوله تعالى كي لا يكون دولة
قراءة العامة يكون بالياء دولة بالنصب اي كي لا يكون الفيء دولة وقرأ ابو جعفر والاعرج وهشام عن
ابن عامر وابو حيوة تكون بالتاء دولة بالرفع اي كي لا تقع دولة فكان تامة ودولة على الرفع اسم كان
ولا خبر له ويجوز ان تكون ناقصة وخبرها بين الاغنياء منكم متعلق بدولة على معنى تداول بين
الاغنياء منكم ويجوز ان يكون بين الاغنياء منكم وصفاً للدولة وقراءة العامة دولة بضم الدال وقرأها
السلمي وابو حيوة بالنصب قال عيسى بن عمر ويونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد وقال ابو عمرو بن

العلا الدولة بالفتح الظفر في الحرب وغيره وهي المصدر وبالضم اسم الشيء الذي يتداول من الاموال وكذا قال
ابو عبيدة الدولة اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل ومعنى الاية فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا تقسمه
الروساء والاغنياء والاقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء لان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا اخذ الرئيس
ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها ايضا بعد المرباع وفيها قال الشاعر لك المرباع منها والصفايا
يقول كي لا يعمل فيه ما كان يعمل في الجاهلية فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه في المواضع
التي امر بها ليس فيها خمس فاذا جا خمس وقع بين المسلمين جميعا السادسة قوله وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا اي ما اعطاكم من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله
الحسن وعن السدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه قال ابن جريج ما اتاكم
من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه الماوردي وقيل انه محمول على العموم في جميع اوامره
ونواهيه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد قلت هذا معنى القول الذي قبله فهي ثلاثة اقوال
السابعة قال المهدوي قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب ان كل ما امر به النبي
صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى وان كانت في الغنايم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل
فيها وقال الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب عسير
على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه
بجامع القران ومن تهاون بالقران وحديثي فقد خسر الدنيا والاخرة وامرتكم ان تاخذوا بقولي وتتبعوا امري
وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران ومن استهزا بقولي فقد استهزا بالقران قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه
ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هارون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول
سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول
في المحرم يقتل الزنبور فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليماني قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وحدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام
عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور قال علماونا وهذا جواب
في نهاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بالاقتداء به وان الله سبحانه امر بقبول ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط
من الكتاب والسنة وقد مضى هذا المعنى من قول عكرمة حين سئل عن امهات الاولاد فقال هن احرار في
سورة النساء عند قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني كيت
وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت لقد قرات بين
اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه فقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث وقد مضى القول فيه في النساء مستوفى قوله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء بلفظ الايتاء وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله وما نهاكم عنه

فانتهوا

فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر والدليل على ذلك ما ذكرناه قبل من قوله عليه الصلاة
والسلام اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقال الكلبي انها نزلت
في روساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا
والباقي هكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشدوا لك المرباع فيها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول
فانزل الله هذه الاية قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه
فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب لمن خالف ما امره به قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
اي الفيء والغنائم للفقراء المهاجرين وكي لا يكون دولة بين الاغنياء ولكن يكون للفقراء وقيل هو بيان لقوله
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيما ذكروا باسمائهم فهم قيل المال لهولاء لانهم فقراء ومهاجرين
وقد اخرجوا من ديارهم فهم احق الناس به ولكن الله يسلط رسله على من يشاء الفقراء المهاجرين لكي لا يكون
المال دولة للاغنياء من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب للكفار بسبب
الفقراء المهاجرين ومن اجلهم ويدخل في هولاء الفقراء المتقدم ذكرهم في قوله ولذي القربى واليتامى وقيل
هو عطف على ما مضى ولم يات بواو العطف كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان والمهاجرين هنا من هاجر
الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة هولاء المهاجرين الذين تركوا الديار والاموال
والاوطان حبا لله ولرسوله حتى ان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ
الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها وقال عبد الرحمن بن ابزى وسعيد بن جبير كان ناس من المهاجرين لاحدهم
العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله تعالى الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة
ومعنى اخرجوا اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل يبتغون يطلبون فضلا من الله
ورضوانا في الاخرة اي مرضات ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد اولئك هم الصادقون في فعلهم
ذلك وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه خطب بالجابية فقال من اراد ان يسال عن القران فليات ابي بن
كعب ومن اراد ان يسال عن الفرائض فليات زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل
ومن اراد ان يسال عن المال فلياتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني باد بازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فمعطيهن ثم بالفقراء الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا قوله تعالى والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم لا خلاف ان الذين تبوءوا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين
اليها والايمان نصب بفعل غير تبوءوا لان التبوء انما يكون في الاماكن ومن قبلهم صلة تبوءوا والمعنى والذين
تبوءوا الدار من قبل المهاجرين واعتقدوا الايمان واخلصوه لان الايمان ليس بمكان يتبوء كقوله تعالى فاجمعوا
امركم وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم ذكره ابو علي والزمخشري وغيرهما ويكون من باب علفتها تبنا وماء باردا
ويجوز حمله على حذف المضاف كانه قال تبوءوا الدار موضع الايمان ويجوز حمله على ما دل عليه تبوءوا كانه قال لزموا
الدار ولزموا الايمان فلم يفارقوهما ويجوز ان يكون تبوءوا الايمان على طريق المثل كما يقال تبوء من بني فلان الصميم
والتبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار تبوءوا قبل المهاجرين الا انهم امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
اليهم الثانية واختلف ايضا هل هذه الاية مقطوعة مما قبلها او معطوفة على قوله للفقراء المهاجرين وان
الايات التي في الحشر كلها معطوفة بعضها على بعض ولو تاملوا ذلك لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه
لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا الى قوله
الفاسقين فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم حين خلوه لانه لم يوجف عليه وما تقدم فيهم من القتال وقطع
شجرهم فقد كانوا رجعوا عليه وانقطع ذلك الامر ثم قال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول

اي غنيمة

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا الكلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوءوا الدار والايمان ابتداء في مدح الانصار والثناء عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين وكانه قال الفيء للفقراء المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفيء وكذا والذين تبوءوا الدار وقال مالك بن انس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الاية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرا ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوءوا الدار والذين جاءوا من بعدهم فقال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا في ذلك الامر وتدبروه ثم اغدوا علي ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الآيات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالآيات التي في سورة الحشر وتلا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى قوله للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون قال ما هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاءوا من بعدهم الى قوله رءوف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك والله اعلم **الثالثة** روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفي الروايات المستفيضة من الطرق الكثيرة ان عمر رضي الله عنه ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر من الغنائم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق النسوة والذراري وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين قبله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لان اشتراءه اياها وترك من ترك عن طيب نفس بمنزلة قسمها وقيل انه ابقاها بغير شيء اعطاه اهل الجيش وقيل انه تاول في ذلك قول الله سبحانه وتعالى للفقراء المهاجرين الى قوله ربنا انك رءوف رحيم على ما تقدم **الرابعة** واختلف العلماء في قسم العقار فقال مالك للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال ابو حنيفة الامام مخير بين ان يقسمها او يجعلها وقفا لمصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كسائر الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا فله ومن لم يطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس الغانمين واشتراها منهم **قلت** وعلى هذا يكون قوله والذين جاءوا من بعدهم مقطوعا مما قبله وانهم ندبوا بالدعاء للاولين والثناء عليهم **الخامسة** قال ابن وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا الآية والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية وقد مضى الكلام في هذا وفي فضل الصلاة في المسجدين المسجد الحرام ومسجد المدينة فلا معنى للاعادة **السادسة** قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضافين المعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة وكان المهاجرون في دار الانصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في اموالهم ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يكن يعط الانصار شيئا الا ثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل انه يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذا كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحال في حياة النبي صلى الله عليه وسلم دينا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال سترون بعدي اثرة فاصبروا

حتى

حتى تلقوني على الحوض **السابعة** قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال هذا حديث حسن صحيح خرجه مسلم ايضا وخرج عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك ما عندنا الا ماء فقال من يضيف هذا الليلة يرحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شيء فقالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج واريه انا ناكل فاذا اهوى لياكل فقومي الى السراج حتى تطفئيه قال فقعدوا واكل فلما غدا على النبي صلى الله عليه وسلم قال قد عجب الله عز وجل من صنيعكما بضيفكما الليلة وفي رواية عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال الا رجل يضيف هذا الرجل يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله وساق الحديث بنحو الذي قبله وذكر فيه نزول الآية وذكر المهدوي عن ابي هريرة ان هذا نزل في ثابت بن قيس نزل به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته اطفئي السراج ونومي الصبية فنزلت ويؤثرون على انفسهم الى قوله فاولئك هم المفلحون وقيل ان فاعل ذلك ابو طلحة ذكره القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى قال اهدى لرجل من الصحابة راس غنم وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عادت الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم ولم نقسم من الغنيمة شيئا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة فنزلت ويؤثرون على انفسهم والاول اصح وفي الصحيحين عن انس ان الرجل كان يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات من ارضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير فجعل بعد ذلك يرد عليه ما كان اعطاه لفظ مسلم وقال الزهري عن انس بن مالك لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بايديهم شيء وكان الانصار اهل الارض والعقار فقاسمهم الانصار على ان يعطوهم انصاف ثمار اموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة وكانت ام انس تدعى ام سليم وكانت ام عبد الله بن ابي طلحة وكان اخا لانس لامه وكانت اعطت ام انس رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا لها فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مولاته ام اسامة بن زيد قال ابن شهاب فاخبرني انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم قال فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امي عذاقها واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مكانهن من حائطه خرجه مسلم ايضا **الثامنة** الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ورغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشا عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم اليها حسب ما تقدم بيانه وفي موطا مالك انه بلغه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان مسكينا سالها وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت اعطيه اياه قالت ففعلت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت او انسان ما كان يهدي لنا شاة وكفنها فدعتني عائشة فقالت كلي من هذا فهذا خير من قرصك قال علماؤنا هذا من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله يعجل الله منه ما شاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنده ومن ترك شيئا لله لم يجد فقده وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين اثنى الله عليهم بانهم يؤثرون على انفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة وان من

فعل ذلك فقد وقي شح نفسه والله فلاحا الاخسارة بعده وعنى شاة وكفنها فان العرب او بعض العرب او بعض وجوههم كان هذا من طعامهم يأتون الى الشاة اذا سلخوها غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور فلا يخرج من ودكه شيء الا في ذلك الكفن من طيب الطعام عندهم وروى النسائي عن نافع ان ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشترى له عنقود بدرهم ثم جاء به الى ابن عمر فجاء مسكين فسال فقال اعطوه اياه فخالف انسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به اليه فاراد السائل ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه لانه ما خرج لله لا يعود فيه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا محمد ابن مطرف قال حدثنا ابو حازم عن عبد الرحمن بن سعد بن يربوع عن مالك الدار ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تكلم ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى نفدها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وتكلم في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها اليه فقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي بيت فلان بكذا فاطلعت امراة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فاعطنا فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فسر بذلك وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة في اعطاء معاوية اياها وكان عشرة الاف وكان المنكدر دخل عليها

فان قيل وردت اخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء **قيل له** انما كره ذلك في حق من لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله عليهم بالايثار على انفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وكان الايثار افضل فيهم من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة اولى من الايثار وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس والله اعلم **التاسعة** والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال السائرة • والجود بالنفس اقصى غاية الجود •

ومن عبارات الصوفية في حد المحبة انها الايثار الا ترى ان امراة العزيز لما تناهت في حبها ليوسف عليه السلام اثرته على نفسها فقالت انا راودته عن نفسه وافضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى رسول الله صلعم بيده فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت له اسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فجئته فاذا رجل يقول اه فاشار الي هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت ان وجدنا اكلنا وان فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون المصري ما حد الزهد المنشرح صدره قال ثلاثة تفريق المجموع وترك المفقود والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الري ومعهم ارغفة معدودة

لا تشبع

لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل منه احد شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه **العاشرة** قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة الخصاصة الحاجة التي تختل بها الحال واصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة اي ولو كان بهم فاقة وحاجة ومنه **قول الشاعر**

اما الربيع اذا تكون خصاصة • عاش السقيم به واثرى المقتر

قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الشح والبخل سواء يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم • ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا • وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم شحاح واشحة والمراد بالاية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه وروى ابو الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتى فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد ان اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القران انما الشح الذي ذكره الله تعالى في القران ان تاكل مال اخيك ظلما وذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام لا يقنع ابن جبير الشح منع الزكاة وادخال الحرام ابن عيينة الشح الظلم الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدع شيئا امره الله به فقد وقاه الله شح نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم بريء من الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها وقال ابو الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه **قلت** يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقد بيناه في اخر ال عمران وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله تعالى** والذين جاءوا من بعدهم فيه اربع مسائل **الاولى** قوله والذين جاءوا من بعدهم يعني التابعين ومن دخل في الاسلام الى يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل المهاجرون والذين تبوءوا الدار والذين جاءوا من بعدهم فاجهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن شمسا فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن كوكبا مضيئا فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ومن جهة النور لا ينقطع ومعنى هذا كن مهاجريا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امرك الله وروى مصعب بن سعد قال الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم انه جاءه رجل فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الاية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل هذه الاية فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوءوا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله ان لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية وقد قيل ان محمد ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم روى عن ابيه ان نفرا من اهل العراق جاءوا اليه فسبوا ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا قال قد
تبرأتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم من الذين قال الله عز وجل والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم قوموا فعل الله بكم وفعل
ذكره النحاس انتهى الثانية هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا
على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم وان من سبهم او واحدا منهم او اعتقد فيهم شرا انه لا حق له في الفيء روي
ذلك عن مالك وغيره قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه
عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرا والذين جاءوا من بعدهم الاية الثالثة هذه الاية تدل على ان الصحيح من
اقوال العلماء قسمة المنقول وابقاء العقار والارض شملا بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد
الوالي فينفذ الامر فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس عليه وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر
عن الفيء فجعله لثلاث طوايف المهاجرين والانصار فهم معلومون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين والاتين بعدهم الى يوم الدين وفي الحديث الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
وددت ان رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا باخوانك فقال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد
وانا فرطهم على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم
الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن والذين جاءوا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد
انقطاع الهجرة الرابعة قوله تعالى يقولون نصب في موضع الحال اي قايلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وفيه وجهان احدهما امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة من مؤمني اهل
الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا لهم فسبوهم الثاني امروا ان يستغفروا للسابقين
الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس امر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وهو يعلم انهم سيفتتنون وقالت عايشة امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد فسببتموهم سمعت نبيكم
صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعنة الله على شركم وقال العوام بن حوشب ادركت هذه
الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تألف عليه القلوب ولا تذكروا
ما شجر بينهم فتجسر الناس عليهم وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سيلت اليهود
من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسيلت النصارى من خير ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسيلت الرافضة
من شر ملتكم فقالوا اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة ولا تجعل
في قلوبنا غلا اي حقدا وحسدا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر مع علمهم بانهم لا
يعتقدون دينا ولا كتابا ومن جملة المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد
وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا وقالوا لليهود قريظة والنضير لئن
اخرجتم لنخرجن معكم وقيل هو من قول بني النضير لقريظة وقوله لا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال تعالى والله يشهد انهم لكاذبون
اي في قولهم وفعلهم قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار
ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا

الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم
قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار
واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من
خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو
الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قوله تعالى لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون قيل معنى لا ينصرونهم
طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضميرين
متفقان وقيل المعنى لئن اخرج اليهود لا يخرجون معهم المنافقون ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي ولئن نصر
اليهود المنافقين ليولن الادبار وقيل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم اي علم الله منهم انهم لا يخرجون اذا اخرجوا
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي علم الله منهم ذلك ثم قال ليولن الادبار فاخبر عما قد اخبر انه لا يكون كيف
كان يكون لو كان وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معنى ولئن نصروهم ولئن شئنا
ان ينصروهم زينا ذلك لهم ليولن الادبار قوله تعالى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية
في صدورهم من الله يعني صدور بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون
منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف بانهم قوم لا يفقهون قوله تعالى لا يقاتلونكم جميعا يعني اليهود
الا في قرى محصنة بالحيطان والدور يظنون انها تمنعهم منكم او من وراء جدر اي من خلف حيطان اي
يستترون بها لجبنهم ورهبتهم وقراءة العامة جدر على الجمع وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لانها
نظير قوله تعالى في قرى محصنة وذلك انه جمع وقرا ابن عباس ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو جدار
على التوحيد لان التوحيد يدل على الجمع وروي عن بعض المكيين جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهي
لغة في الجدار ويجوز ان يكون معناه من وراء نخلهم وشجرهم يقال اجدر النخل اذا طلعت رءوسه في اول الربيع
والجدر نبت واحده جدرة وقرئ جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار ويجوز ان تكون الالف في الواحد
كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة هجان ونوق هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار جمع الواحد
مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله ابن جني قوله تعالى باسهم بينهم شديد يعني عداوتهم بعضهم لبعض
وقال مجاهد باسهم بينهم شديد اي بالكلام وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد
وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم يلقوا عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة والباس ولكن اذا لقوا العدو انهزموا
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين قاله مجاهد وعنه ايضا يعني المنافقين الثوري هم المشركون
واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر ورأي وقلوبهم شتى متفرقة فاهل الباطل مختلفة
اراؤهم مختلفة شهادتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين مخالف
لدين اليهود وهذا يقوي انفس المؤمنين عليهم وقال الشاعر الى الله اشكو نية شقت العصا هي اليوم شتى
وهي امس جميع وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتيتا اي اشد ذلك التشتيت والكفر
بانهم لا عقل لهم قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم قال ابن عباس يعني قينقاع امكن الله منهم قبل بني
النضير وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة مجاهد كفار قريش يوم بدر وقيل هو عام في كل

من انتقم منه على كفره قيل بني النضير من قوم نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وبال جزاء كفرهم ومن
قال هم بنوا قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو
قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال امرهم الجلاء والنفي مكان بني قريظة والنضير وكانت وقعة بدر قبل
غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقد قال غزوة بني النضير قبل وقعة احد ولهم عذاب اليم في الاخرة
قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخذيعهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف
حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كما تقول انت عاقل انت كريم انت عالم وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب تركت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان
فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه
الشيطان فوعده ان يسجد له اذا انجاه منهم فسجد له فتبرأ منهم فاسلم ذكره القاضي اسماعيل وعلي بن المديني عن
سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر خبره مطولا ابن عباس ووهب بن منبه ولفظهما مختلف قال ابن عباس في قوله تعالى كمثل الشيطان كان راهبا
في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس
فجمع ابليس مردة الشياطين فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو
الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس على وجه الوحي فجاء جبريل فدخل بينهما ثم دفعه
بيده فوقع الى اقصى الهند فذلك قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين فقال انا اكفيكه فانطلق فتزيا
بزي الرهبان وحلق راسه حتى اتى الى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في
كل عشرة ايام يوما فكان يواصل الصوم العشرة ايام والعشرين والاكثر فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في
اصل صومعته فلما انفتل برصيصا من صلاته راى الابيض قائما في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم
حين لم يجبه فقال له ما حاجتك فقال اكون معك اتادب بادابك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فقال
اني في شغل عنك ثم اقبل على صلاته واقبل الابيض ايضا على الصلاة فلما راى برصيصا شدة اجتهاده و
عبادته قال له ما حاجتك قال ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فاقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في اربعين
يوم يوما واحدا ولا ينفتل من صلاته الا في اربعين يوما وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده
تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفي الله بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء
ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه ثم قال لاهله وقد تصور في صورة الادميين ان
بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم قال اني لا اقوى على جنيته ولكن اذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب فجاؤه فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل
بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك وكان لها ثلاثة اخوة وكان
ابوهم ملكا فمات واستخلف اخاه فكان عمها من بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل
متطبب ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا جاء
شيطانها دعا لها فبرئت قالوا لا يجيبنا الى هذا قال فابنوا صومعة الى جانب صومعته ثم ضعوها
فيها وقولوا هي امانة عندك فاحتسب فيها فسالوه ذلك فابى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل
من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فاسقط في يده فجاءها الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته
ودعا لها فذهب الشيطان ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض لبرصيصا
ثم جاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فلم تجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل حتى واقعها فحملت وظهر
حملها فقال الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فاذا جاؤك وسالوك

فقل

فقل جاءها شيطانها فذهب بها فقتلها برصيصا ودفنها ليلا فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي
خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل
باختكم كذا وكذا فاستعظموا ذلك وقالوا لبرصيصا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه
وانصرفوا ثم جاءهم الشيطان في المنام وقال انها مدفونة في موضع كذا كذا وان طرف ردائها خارج
من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه
فامر بقتله فلما صلب قال له الشيطان اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات اما اتقيت
الله اما استحيت وانت اعبد بني اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك واقررت عليها و
فضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك بعدك قال فكيف اصنع
قال تطيعني في خصلة واحدة وانجيك منهم وآخذ باعينهم قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة واحدة
قال انا افعل فسجد له من دون الله قال يا برصيصا هذا اردت منك عاقبة امرك ان كفرت بربك اني اخاف
الله رب العالمين وقال وهب بن منبه ان عابدا كان في بني اسرائيل وكان من اعبد اهل زمانه وكان
في زمانه ثلاثة اخوة لهم اخت وكانت بكرا ليست لهم اخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا
عند من يخلفون اختهم ولا يامنون عليها ولا عند من يضعونها قال فاجتمع رايهم على ان يخلفوها عند
عابد بني اسرائيل فكان ثقة في انفسهم فاتوه فسالوه ان يخلفوها عنده فتكون في جواره الى ان يقفلوا
من غزاتهم فابى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن اختهم قال فلم يزالوا به حتى اطاعهم فقال انزلوها في بيت
عند صومعتي فانزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها
الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد الى صومعته ثم يامرها فتاخذ
ما وضع لها من الطعام قال فتلطف الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها
نهارا ويخوفه ان يراها احد فيعلقها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والاجر وقال
له لو كنت تمشي اليها بطعامها فتضعه في بيتها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير
وحضه عليه وقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتانس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة
قال فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته ثم اتاه ابليس بعد ذلك فقال لو
كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها وتحدثك كان انس
لها فلم يزل به حتى انزله واجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد
على باب بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس ورغبه في الخير والثواب فيما يصنع وقال لو
خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من بيتها كان انس لها فلم يزل به حتى فعل فلبث زمانا ثم
جاءه ابليس ورغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال له لو دنوت من باب بيتها
وحدثتها فلبث زمانا ثم جاءه ابليس فلبث بذلك حينا ثم جاءه ابليس فقال لو دخلت البيت
معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لاحد كان احسن فلم يزل به حتى دخل البيت معها يحدثها نهاره
كله فاذا امسى صعد في صومعته ثم اتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على
فخذها وقبلها فلم يزل ابليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فاحبلها فولدت له غلاما
فجاءه ابليس فقال له ارايت ان جاء اخوة هذه الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا امن عليك
ان تفتضح او يفضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم عليك مخافة اخوتها ان
يطلعوا على ما صنعت بها فقتل فقال له اتراها تكتم على اخوتها ما صنعت وقتل ابنها خذها
فاذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها والقاها في الحفيرة مع ابنها واطبق عليها صخرة عظيمة

وسوى عليها التراب وصعد الى صومعته يتعبد بذلك ما شاء الله ان يمكث حتى قفل اخوتها من الغزو فجاؤه
فسالوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكى لهم وقال كانت خير امة وهذا قبرها فانظروا فاتوا اخوتها القبر
فبكوا على قبرها وترحموا عليها واقاموا عليها اياما ثم انصرفوا الى اهاليهم فلما جن عليهم الليل واخذوا مضاجعهم
اتاهم الشيطان في النوم في صورة رجل مسافر فبدا باكبرهم فساله عن اختهم فاخبر بقول العابد وموتها
وترحمه عليها وكيف اراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال لم اصدقكم امر اختكم انه قد احبل اختكم
فولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم والقاها في حفرة احتفرها خلف الباب الذي
كانت فيه على يمين من دخله فانطلقوا هنالك جميعا كما اخبرتكم قال واتى الاوسط في منامه وقال له مثل ذلك
ثم اتى اصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما راى كل واحد منهم فاقبل
بعضهم على بعض يقول كل واحد لقد رايت عجبا فاخبر بعضهم بعضا بما راى قال كبيرهم هذا حلم
ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا قال اصغرهم لا امضي حتى اتي ذلك المكان فانظر فيه قال فانطلقوا
جميعا حتى دخلوا البيت الذي كانت فيه اختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم
فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم فسالوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما
صنع بها فاستعدوا عليه ملكهم فانزل من صومعته ليصلب فلما اوثقوه على الخشبة اتاه
الشيطان وقال له قد علمت اني صاحبك الذي فتنتك في المراة حتى احبلتها وذبحتها وذبحت ابنها
فان اطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما انت فيه قال فكفر العابد بالله فلما كفر
خلى عنه الشيطان بينه وبين اصحابه فصلبوه قال ففيه نزلت الاية كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين الى قوله جزاء الظالمين قال ابن عباس فضرب
الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك ان الله تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة
فدس اليهم المنافقون انا لا نخرجكم من دياركم فان قاتلوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه
وسلم فخذلهم المنافقون وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا العابد فكان الرهبان
بعد ذلك لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاحبار فرموهم
بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب وبراه الله وانبسطت بعده الرهبان فظهروا
للناس وقيل المعنى مثل المنافقين في وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير كمثل النظير
اذ قال لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقال مجاهد المراد بالانسان
هاهنا جميع الناس في غرور الشيطان ومعنى قوله تعالى اذ قال للانسان اكفر اي اغواه حتى
قال اني كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبري
من الانسان فهو تاكيد لقوله تعالى اني بريء منك وفتح الياء من اني نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن
الباقون فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها نصب على
الحال والتثنية ظاهرة في من جعل الاية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها في الجنس
فالمعنى وكان عاقبة الفريقين او الصنفين ونصب عاقبتهما على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا
الحسن فكان عاقبتهما على الضد من ذلك وقرا الاعمش خالدان فيها بالرفع وذلك خلاف المرسوم ورفعه
والظرف ملغي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اوامره ونواهيه واداء فرايضه واجتناب
معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيمة والعرب تكني عن المستقبل بالغد وقيل ذكر
الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كما قال و وان غدا للناظرين قريب • وقال الحسن وقتادة
قرب الساعة حتى جعلها كغد ولا شك ان كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعنى ما قدمت يعني

من خير او شر واتقوا الله اعاده هذا تكريرا كقولك العجل العجل ارم ارم وقيل التقوى الاولى التوبة
فيما مضى من الذنوب والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل والله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير
اي بما يكون منكم والله اعلم قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امره فانساهم انفسهم
ان يعملوا لها خيرا قاله ابن حبان وفيه نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم قاله سفيان وقيل
نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى
وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة ونسب تعالى الفعل
الى نفسه في انسائهم اذ كان ذلك بسبب امره ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا وقيل
نسوا الله في الرخاء فانساهم انفسهم في الشدة اولئك هم الفاسقون قال ابن جبير العاصون
وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسوق الخروج اي الذين خرجوا عن طاعته قوله تعالى لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة اصحاب الجنة هم الفائزون اي المقربون المكرمون
وقيل الناجون من النار وقد مضى الكلام في معنى هذه الاية في المائدة عند قوله قل لا يستوي الخبيث
والطيب وفي سورة السجدة افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وفي سورة ص ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فلا معنى للاعادة
قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا حث على تامل مواعظ القران وبين انه
لا عذر في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه
ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اي متشققة من خشية الله والخاشع
الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية الله ان
يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو
انزل هذا القران على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المتهودون باعجازه لا ترغبون
في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران
يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك فثبتناك له فيكون ذلك امتنانا
عليه بان ثبته لما لم تثبت عليه الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا
فهو يقوم بحقه اذا اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب قوله تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون
وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموه وشاهدوه هو
الرحمن الرحيم قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس اي المنزه عن كل نقص والطاهر عن كل عيب
والقدوس بالتحريك السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس لاحد الاواني التي يستخرج
بها الماء من البير السانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب
انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدنيا يقرا القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو
مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر
وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم وقد يفتح السلام اي ذو السلامة من النقصان قال ابن العربي
اتفق العلماء رحمهم الله على ان معنى قولنا في الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا
في ترجمة النسبة على ثلاثة اقوال الاول معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص الثاني
معناه ذو السلامة اي المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه
الذي سلم الخلق من ظلمه قلت وهذا قول الخطابي وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى

انه البريء من العيوب والنقايص تكون صفة للذات وقيل السلام المسلم لعباده المؤمن المصدق
لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق للمؤمنين ما وعدهم به من الثواب ومصدق للكافرين ما
وعدهم من العقاب وقيل المؤمن الذي يؤمن اولياؤه من عذابه ويؤمن عباده من ظلمه يقال
امنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وآمنهم من خوف فهو مؤمن قال النابغة
العايذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله
شهد الله انه لا اله الا هو وقال ابن عباس اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من
يخرج من وافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا
المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين المهيمن العزيز تقدم الكلام في المهيمن في المائدة وفي
العزيز في غير موضع الجبار قال ابن عباس هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة
ذات من قولهم نخلة جبارة قال امرؤ القيس سوابق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر
احمرا يعني النخلة التي فاتت اليد فكان هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقدسه عن ان تناله النقايص
وصفات الحدوث وقيل من الجبر وهو الاصلاح يقال جبرت العظم فجبر اذا اصلح بعد الكسر فهو فعال
من جبر اذا اصلح الكسير واغنى الفقير وقال الفراء هو من اجبر على الامر اي قهر قال ولم اسمع فعالا
من افعل الا في جبار ودراك من ادرك وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته المتكبر الذي تكبر بربوبيته
فلا شيء مثله وقيل المتكبر على كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدوث والذم واصل الكبر
والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد وقال حميد بن ثور عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت بها كبرياء
الصعب وهي ذلول والكبر في صفات الله مدح وفي صفات المخلوقين ذم وفي الصحيح عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني في واحد منهما قصمته ثم قذفته في النار وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير لانه
هو اجل من ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى
الكبير وليس كما يوصف به المخلوق اذا وصف بتفعل اذا نسب الى ما لم يكن ثم نزه نفسه فقال سبحان الله
اي تنزيها لجلاله وعظمته عما يشركون قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق هنا المقدر
والبارئ المنشئ المخترع والمصور مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة فالتصوير مرتب على الخالق
والبرية وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل الذي يكون لهذا صورة الامهات
خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون لهذا صورة وهيئة يعرف بها
ويتميز عن غيره بسببها فتبارك الله احسن الخالقين وقال النابغة الخالق البارئ المصور في الارحام
ماء حين يصير دماء وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير وليس كذلك وانما التصوير اخرا والتقدير
اولا والبراية بينهما ومنه قوله الحق واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فلانت تفري
ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري يقول تقدر ما تقدر ثم تفريه اي تمضيه
على وفق تقديرك وغيرك يقدر ما لا يتم له ولا يقع فيه مراده اما لتقصير في تقديره او لعجزه
عن تمام مراده وقد اتينا على جميع هذا كله في الكتاب شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله وعن حاطب بن
ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي برأ الصور اي غير ما يصوروه بتفاوت
الهيئات ذكره الزمخشري له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم
الكلام فيه وعن ابي هريرة قال سألت خليلي ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم
هو الله فكان هذه الاية فقال يا ابا هريرة عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه فاعاد

علي

علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي امامة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك
اليوم فقد اوجب الله له الجنة سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية في قول الجميع الممتحنة بكسر الحاء
اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشف من عيوب المنافقين
ومن قال في هذه السورة الممتحنة بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الاية وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا
بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل
ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم
ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في
ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما
املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله
غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان
الله يحب المقسطين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء عدى اتخذ الى مفعولين
وهما عدوكم واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر وقع على الجماعة ايقاعه على
الواحد وفي هذه الاية سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء روى الائمة
واللفظ لمسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بامراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت
ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في
قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم من انفسها وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم
فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق
فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قيل اسم المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما
بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم
الا وحده لاظفره الله بكم ولانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره ذكره بعض المفسرين وذكر القشيري والثعلبي
ان حاطب بن بلتعة كان رجلا من اهل اليمن وكان له حلف بمكة في بني اسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام
وقيل كان حليفا للزبير بن العوام فقدمت مكة سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف الى المدينة

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا في زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم امهاجرة جئت يا سارة فقالت لا قال امسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل
والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت
عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه الصلاة والسلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية قالت
ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطائها
فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت الى مكة واتاها حاطب فقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي
هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة
ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية عليا
والزبير والمقداد وفي رواية ارسل عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا
وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها
وخلوا سبيلها فان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها
كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه
وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوائبها وفي رواية من
حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف الكتاب
قال نعم وذكر الحديث بنحو ما تقدم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم **الثانية**
السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد مضى ذلك في غير موضع من ذلك قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ومثله
كثير وذكر ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان **الثالثة** تلقون اليهم
بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق
وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده والباء في بالمودة زائدة كما تقول قرات السورة وقرات بالسورة
ورميت اليه ما في نفسي وبما في نفسي ويجوز ان تكون ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون
اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وقال الفراء تلقون اليهم بالمودة من صلة اولياء ودخول
الباء في المودة وخروجها سواء ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز
ان تكون استينافا ومعنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم قاله الزجاج **الرابعة**
من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله لغرض
دنيوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين **الخامسة**
اذا قلنا انه لا يكون بذلك كافرا فهل يقتل بذلك حدا ام لا اختلف الناس فيه فقال مالك وابن
القاسم واشهب يجتهد في ذلك الامام وقال عبد الملك اذا كانت عادته ذلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك
يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اتخذ التكرار
في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله والله اعلم **السادسة** فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا
لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا ان تظاهرا على الاسلام فيقتلان
وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان
فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه
وسلم فخلي سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات بن حيان وقوله وقد كفروا حال اما من لا تتخذوا
واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم وقال الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم

من الحق

من الحق **السابعة** قوله تعالى يخرجون الرسول استينافا في الكلام كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا
واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون المعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله
اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام
تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم بالله ربكم تعليل لتخرجون
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه مقدم في المعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء ونصب جهادا وابتغاء لانه مفعول له وقوله تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون
ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب **وانشد سيبويه**
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وقيل هو على تقدير انتم تسرون اليهم بالمودة فيكون
استينافا وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب **كما قال** اعاتب ذا المودة من صديق • اذا ما رابني منه
اجتناب • اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب • ومعنى بالمودة اي بالنصيحة في الكتاب
اليهم والباء زائدة كما ذكرنا او ثابتة غير زائدة انتهى **قوله تعالى** وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم والباء في بما
زائدة يقال علمت كذا وقيل انا اعلم بكل احدهما تخفون وما تعلنون فحذف من كل واحد كما تقول فلان
اعلم وافضل من غيره وقال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد
ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم فقد ضل سواء السبيل اخطا قصد الطريق **قوله تعالى** ان يثقفوكم
يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة في المسايفة وشبهه وقيل يثقفوكم يظفروا
بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم **قوله تعالى** لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب
بان له اولادا وارحاما فيما بينهم بين الرب عز وجل ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيئا يوم القيامة ان
عصى من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المؤمنون الجنة ويدخل الكافرون النار وفي يفصل قراءات سبع قرا
عاصم يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرا حمزة والكسائي يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرا
الحسن وابن عامر يفصل كذلك مشددا الا انه على ما لم يسم فاعله وقرا طلحة والنخعي بالنون وكسر
مشددة وروي عن علقمة كذلك بالنون مخففة وقرا قتادة وابو حيان يفصل بضم الياء وكسر الصاد
مخففة من افصل وقرا الباقون يفصل بياء مضمومة وتخفيف الفاء وفتح الصاد على الفعل المجهول واختار
ابو عبيدة فمن خفف فلقوله وهو خير الفاصلين ان يوم الفصل ومن شدد فلان ذلك ابين في الفعل الكثير
المكرر ومن اتى به على ما لم يسم فاعله فلان الفاعل مرفوع ومن اتى به مسمى الفاعل رد الضمير الى الله تعالى
ومن قرا بالنون فعلى التعظيم والله بما تعملون بصير **قوله تعالى** قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم لما نهى عن
موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به وأتموا الا في استغفاره
لابيه والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدوة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وقرا عاصم اسوة
بضم الهمزة لغتان والذين معه يعني اصحاب ابراهيم من المؤمنين وقال ابن زيد هم الانبياء اذ قالوا لقومهم الكفار
انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله اي الاصنام وبرآء جمع بريء مثل شريك وشركاء وظريف وظرفاء
وقراءة العامة على وزن فعلاء وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق براء بكسر الباء على وزن فعال مثل قصير
وقصار وطويل وطوال وظريف وظراف ويجوز ترك الهمزة حتى يقول برا وتنون وقرئ بريء على
الوصف بالمصدر وقرئ براء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب والاية نص في الامر بالاقتداء بابراهيم ع
في فعله وذلك يصحح ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله كفرنا بكم اي بما انتم به من الاوثان

وقيل اي بافعالكم وكذبناها وانكرنا ان تكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا بكم ما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابرهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين انه عدو له في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ساير الانبياء حين امرنا بالاقتداء به امرا مطلقا في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امر بالاقتداء بابرهيم استثنى بعض افعاله وقيل هو استثناء منقطع اي لكن قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان له انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا يجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم وما املك لك من الله من شي هذا من قول ابرهيم لابيه اي ما ارفع عنك من عذاب الله شيئا ان اشركت به ربنا عليك توكلنا هذا من دعا ابرهيم واصحابه وقيل علم المؤمنين ان يقولوا هذا اي تبروا من الكفار وتوكلوا على الله وقولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا واغفر لنا انك انت العزيز الحكيم قوله تعالى لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه من الانبياء والاولياء اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه ومن يتول اي عن الاسلام وقبول هذه فان الله هو الغني الحميد اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم الحميد في نفسه وصفاته ولما نزلت عادى المسلمون اقاربهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وهذا بيان انه سيسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش كانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فمات زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل وامهرها النجاشي اربعماية دينار وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجها اياه بعث الى النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه وقال ابو سفيان وهو مشرك لاصحابه لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين فيه ثلاث مسايل الاولى هذه اية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل كان هذا الحكم لعلة هو الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قال الحسن الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقاله ابو صالح وقال هم خزاعة وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا وقيل يعني به النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم حكاه بعض المفسرين وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة قال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية فيها نزلت روى عامر بن عبد الله

ابن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسما بنت ابي بكر قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده الثانية قوله ان تبروهم ان في موضع رفع على البدل من الذين اي لا ينهاكم الله عن ان تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفا لهم الى اجلهم حكاه الفرا وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي الثالثة قال القاضي ابو بكر في كتاب الاحكام له استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشي وترك النهي عنه لا يدل على وجوبه وانما يعطيك الاباحة خاصة وقد بينا ان اسماعيل بن اسحاق القاضي دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلى هذه الاية عليهم قوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور قوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركو مكة ان تولوهم ان في موضع جر على البدل على ما تقدم في ان تبروهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحباء فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فيه ست عشرة مسئلة الاولى قوله اذا جاءكم المؤمنات لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها يسالون رسول الله ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال عليه الصلاة والسلام كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انه لا ياتيك منا احد الا رددته الينا

حتى انزل الله في المؤمنات ما انزل يومي الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وقيل ان التي جاءت اميمة
بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له
عبد الله قاله زيد بن حبيب كذا قال الماوردي وقال ابن وهب عن خالد ان هذه الاية نزلت في اميمة
بنت بشر من بني عمرو بن عوف وهي امراة حسان بن الدحداح وتزوجها بعد هجرتها سهل بن حنيف
وقال مقاتل انها سعيدة زوجة صيفي بن الراهب مشرك من اهل مكة والاكثر من اهل العلم انها ام كلثوم بنت
عقبة الثانية واختلف اهل العلم هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طائفة منهم
قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في
الرجال على ما كان وهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره
على خطاء وقالت طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر
العموم عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن على عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما
انهن ذوات فروج من عليهن الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها
فمردودة عليهم الثالثة قوله تعالى فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت ساهاجر
الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلف فيما كان يمتحنهن
به على ثلثة اقوال الاول قال ابن عباس كانت المحنة ان تستحلف بالله انها ما خرجت من بغض
زوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل منا بل حبا لله ولرسوله فاذا حلفت
بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها
ولم يردها وذلك قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن الثاني المحنة انها كانت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ابن
عباس ايضا الثالث بما بينه في السورة بعد من قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات قالت عائشة
رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالاية التي قال الله اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
رواه معمر عن الزهري عن عائشة خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن الرابعة واكثر العلماء على ان هذا
ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشا من ان يرد عليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من
ذلك النسب وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض العلماء كله منسوخ في الرجال والنساء
ولا يجوز للامام ان يهادن العدو على ان يرده اليهم من جاءه مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا تجوز
وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جائز عند مالك وقد احتج الكوفيون لما ذهبوا اليه من
ذلك بحديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثه الى قوم من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف
الدية وقال انا بريء من كل مسلم اقام مع مشرك في دار الحرب لا تراءى ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين
الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برئ ممن اقام معهم في دار الحرب ومذهب مالك
والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل بامره لانه
يلي الاموال كلها فان عقد غير الخليفة هذا العقد فهو مردود الخامسة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن
اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه متولي السرائر فان علمتموهن مؤمنات اي بما يظهرن من
الايمان وقيل علمتموهن قبل الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
اي لم يحل الله مؤمنة لكافر ولا نكاح مؤمن لمشركة وهذا ادل دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة
من زوجها اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين واليه اشار

مالك

مالك بل عبارته والصحيح الاول لان الله تعالى قال لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فبين ان العلة عدم الحل
بالاسلام وليس باختلاف الدار والله اعلم وقال ابو عمر لا فرق بين الدارين في الكتاب ولا في السنة ولا في
القياس وانما المراعاة في ذلك الديانان فباختلافهما يقع الحكم وباجتماعهما لا بالدار والله المستعان
قوله واتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا امسكت المراة المسلمة ان ترد على زوجها ما انفق وذلك من
الوفا بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال اليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين
الزوجية والمال السادسة ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر واذا حضر وطلب منعناها وغرمنا فان
كانت ماتت قبل حضور الزوج لم يغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا لم نغرم شيئا
لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي ولو جاءتنا المراة
الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من دار الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار الحرب فمن طلبها من
ولي سوى زوجها منع منها واذا طلبها زوجها لنفسه او غيره بوكالته ففيه قولان احدهما يعطى العوض
والقول ما قال الله عز وجل وفيه قول اخر انه لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض
فان شرط الامام رد النساء كان الشرط منسوخا وليس عليه عوض لان الشرط المنسوخ باطل ولا
عوض للباطل السابعة امر الله تعالى برد مثل ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام
ينفذ مما بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقيل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين
فان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء وقال قتادة في رد الصداق انما هو
في اهل العهد واما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق والامر كما قال الثامنة
قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن يعني اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من نكاح المشركة في الحال
ولها التزوج التاسعة قوله اذا اتيتموهن اجورهن اباح نكاحها بشرط المهر لان الاسلام فرق
بينها وبين زوجها العاشرة قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر قراءة العامة بالتخفيف من الامساك وهو
اختيار ابي عبيدة لقوله تعالى فامسكوهن بمعروف وقرا الحسن وابو العالية وابو عمرو ولا تمسكوا مشددة من
التمسك يقال مسك يمسك تمسكا يعني امسك يمسك وقرئ ولا تمسكوا بنصب التاء اي لا تتمسكوا والعصم جمع العصمة
وهو ما اعتصم به والمراد بالعصمة هنا النكاح يقول من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فليست له
امراة فقد انقطعت عصمتها لاختلاف الدارين وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار
يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب امراتين له بمكة
مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية
ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية
طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية من ذلك وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى
بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص
وكان ممن فر الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد وزوج عليه الصلاة
والسلام زينب ابنته وكانت كافرة من ابي العاص بن الربيع ثم اسلمت واسلم زوجها بعدها ذكر عبد الرزاق
عن ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب قال اسلمت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد النبي
صلى الله عليه وسلم في الهجرة الاولى وزوجها ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بمكة مشرك الحديث وفيه
انه اسلم بعدها وكذلك قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص
ابن الربيع فاسلمت ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى زوجها فاسلم فردها عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمر

في حديثه بعد ست سنين قال الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو امن وجهين اما انها
لم تحض لما اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقول الله عز وجل وبعولتهن احق بردهن في ذلك
يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه بين العلما انه عني بعد العدة وقال ابن شهاب الزهري في قصة زينب
هذه كانت قبل ان تنزل الفرايض وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة فقطع العهد بينهم وبين
المشركين والله اعلم الحادية عشر بعصم الكوافر المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان من لا يجوز ابتداء نكاحها
فهي خاصة بالكوافر غير اهل الكتاب وقيل هي عامة فنسخ منها نساء اهل الكتاب ولو كان على ظاهر الاية
لم تحل كافرة بوجه وعلى القول فاذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهذا قول بعض
اهل العلم ومنهم من قال ينتظر بها تمام العدة اذا عرض الاسلام ولم تسلم قال مالك بن انس وهو قول الحسن
وطاوس ومجاهد وعكرمة وقتادة والحكم واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند بنت عتبة
امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فاخذت بلحيته وقالت
اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله
حكيم بن حزام قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى ولا
تمسكوا بعصم الكوافر لان نساء المومنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكافرات الوثنيات
ولا المجوسيات بقول الله عز وجل لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله من قوله
هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الباقي منهما في العدة واما الكوفيون ابو حنيفة واصحابه فانهم
قالوا في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو
كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيضات اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان
احدهما في دار الاسلام والاخر في دار الحرب انقطعت العصمة وليس بشي وقد تقدم الثانية عشر هذا الاختلاف
انما هو في المدخول بها فان كانت غير مدخول بها فلا نعلم اختلافا في انقطاع العصمة اذ لا عدة عليها
وكذا يقول مالك في المراة ترتد وزوجها مسلم انقطعت العصمة بينهما وحجته ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو
قول الحسن البصري والحسن بن صالح ومذهب الشافعي واحمد انه ينتظر بهما تمام العدة الثالثة عشر فان كان الزوجان
نصرانيين فاسلمت الزوجة ففيها ايضا اختلاف ومذهب مالك واحمد والشافعي الوقوف الى تمام العدة وكذا
الوثني تسلم زوجته انه ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما كان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما
لما اسلما في عدتهما على حديث ابن شهاب ذكره مالك في الموطا كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امراته نحو
من شهرين قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار
الحرب الا فرقت هجرتها بينه وبينها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها ومن العلماء من قال ينفسخ
النكاح بينهما قال يزيد بن علقمة اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وجماعة
منهم عطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل عليها الا بخطبة الرابعة عشر قوله تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما
انفقوا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدا الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها وكان
ذلك نصفا وعدلا بين الحالين وكان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع
الامة قاله ابن العربي الخامسة عشر قوله ذلكم حكم الله اي ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم والله عليم حكيم تقدم
في غير موضع قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار فيه ثلاث مسائل الاولى قوله وان فاتكم شي
من ازواجكم في الخبر ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان فاتكم
شي من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وروى الزهري عن عروة عن عايشة
قالت حكم الله عز وجل بينكم فقال جل ثناوه واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله

بيننا بانه اذا جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا
اليهم اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شي فوجهوا به فانزل الله عز وجل وان فاتكم شي من
ازواجكم الى الكفار الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من
اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد
انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد قالا
ومعنى عاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار
وقال قتادة ايضا وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال سفيان الثوري لا يعمل به اليوم
وقال قوم هو ثابت الحكم ايضا حكاه القشيري الثانية قوله تعالى فعاقبتم قراءة العامة فعاقبتم وقرا علقمة
والنخعي وحميد والاعرج فعقبتم خفيفة بغير الف وقرا مسروق وشقيق بن سلمة فعقبتم بكسر القاف خفيفة
وقال غنمتم وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب وعقب وتعاقب وتعقب اذا غنم وقال القتبي فعاقبتم
فغزوتم معاقبين غزوا بعد غزو وقال ابن بحر اي عاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها من غنايم المسلمين
الثالثة قوله تعالى فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا قال ابن عباس يقول ان لحقت امراة مومنة بكفار
اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد وليس لها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة
قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفي وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان امتنعوا من ان
يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم قال الاعمش هي منسوخة
وقال عطا بل حكمها ثابت وقد تقدم جميع هذا القشيري والاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت
وتركت زوجها عياض القرشي ولم ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت الى الاسلام وحكى الثعلبي عن ابن
عباس هن ست نسوة رجعن عن الاسلام ولحقن بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين ام الحكم بنت ابي سفيان
كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب
وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت هشام بن العاص
وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب وشهبة بنت غيلان فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مهور
نسائهم من الغنيمة واتقوا الله احذروا ان تتعدوا ما امرتم به قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك
لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء نساء مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا يشركن وفي
صحيح مسلم عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كانت المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمتحن بقول الله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا
الى اخر الاية قالت عايشة فمن اقر بهذا من المومنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلعم اذا اقررن بذلك
من قولهن قال لهن صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلعم يد امراة
قد غير انه بايعهن بالكلام قالت عايشة ما اخذ رسول الله صلعم قط الا بما امره الله عز وجل وما مست كف رسول
الله كف امراة قط وكان يقول لهن اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه الصلاة والسلام بايع النساء
وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر
اسفل منه فجعل يشترط على النساء البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعهن
ابن العربي وذلك ضعيف وانما ينبغي التعويل على ما في الصحيح وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددنا عليه السلام فقال انا
رسول رسول الله اليكن ان لا تشركن بالله شيئا الاية فقلنا نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من

داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع دعى
بقدح من ماء فغمس يده ثم امر النساء فغمسن ايديهن فيه الثانية روي ان النبي صـ لما قال على ان لا يشركن بالله شيئا قالت
هند بنت عتبة وهي منتقبة خوفا من النبي صـ ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك
اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صـ ولا يسرقن فقالت هند ان ابا
سفيان رجل شحيح وانا اصيب من ماله قوتنا فقال ابو سفيان هو لك حلال فضحك النبي صـ وعرفها وقال انت
هند فقالت عفا الله عما سلف ثم قال ولا يزنين فقالت هند لم تزن الحرة ثم قال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن
الموءودات ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا يوم بدر فانتم وهم ابصر وروى
مقاتل انها قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم فضحك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى استلقى
وكان حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك في معروف فقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين
ايديهن من قبلة او حسنة وبين ارجلهن الجماع وقيل المعنى لا يلحقن برجالهن ولدا من غيرهن وهذا قول
الجمهور وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان
والافتراء وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن الولد لان بطنها الذي يحمل فيه الولد بين يديها وفرجها
الذي تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا
وروي ان هند لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالارشاد ومكارم الاخلاق
ثم قال ولا يعصينك في معروف قال قتادة لا ينحن ولا تخلو امراة منهن الا بذي محرم وقال سعيد بن
المسيب ومحمد بن السايب وزيد بن اسلم وهو ان لا يخمشن وجها ولا يشققن جيبا ولا يدعون ويلا ولا ينشرن
شعرا ولا يحدثن الرجال الا ذا محرم وروت ام عطية عن النبي صـ ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس وروى
شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صـ ولا يعصينك في معروف قال هو النوح وقال مصعب بن نوح ادركت عجوزا ممن
بايع النبي صـ فحدثتني عنه عليه الصلاة والسلام في قوله ولا يعصينك في معروف قال النوح وفي صحيح مسلم عن ام
عطية لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا الى قوله ولا يعصينك في معروف قال كان
منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله الا ال بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من
اسعادهم فقال رسول الله صـ الا ال بني فلان وعنها قالت اخذ علينا رسول الله صـ مع البيعة ان لا ننوح فما
وفت منا امراة الا خمس ام سليم وام العلا وابنة ابي سبرة امراة معاذ وقيل ان المعروف هاهنا الطاعة لله
ولرسوله قاله ميمون بن مهران وقال بكر بن عبد الله المزني لا يعصينك في كل امر فيه رشد وهذا الكلبي هو عام
في كل معروف امر الله ورسوله به فروي ان هند قالت عند ذلك ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي انفسنا ان
نعصيك في شيء الثالثة ذكر الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام في صفة البيعة خصالا شتى صرح
فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان الامر وهي ستة ايضا الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج و
الاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دايم في كل الازمان وكل الاحوال فكان التنبيه على الاشتراط الدايم اكد
وقيل ان هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه
قوله عليه الصلاة والسلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الزنا والحنتم والنقير والمزفت فحثهم على ترك المعصية
في شرب الخمر على ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي كان عليه ترك
سايره مما لا شهوة له فيه الرابعة لما قال النبي صـ في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفيان رجل
مسيك فهل علي حرج ان اخذ ما يكفيني وولدي فخشيت هند ان تقتصر على ما يعطيها فتضيع او تاخذ اكثر
من ذلك فيكون سارقة ناكثة للبيعة فقال لها النبي صـ لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة

الاكثر

الى الكثير من الحاجة قال ابن العربي وهذا انما هو فيما لا يختزن في حجاب ولا ينضبط عليه بقفل فانه اذا
هتكته الزوجة واخذت منه كانت سارقة تعصي به وتقطع يدها الخامسة قال عبادة بن الصامت
اخذ علينا رسول الله صـ كما اخذ على النساء ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم
ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به بعضه بسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في
قوله تعالى ولا ياتين ببهتان انه السحر وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يعضهن رجلا ولا امراة
ببهتان اي بسحر والله اعلم يفترينه بين ايديهن وارجلهن ما او لدن من زنا وقد تقدم السادسة
قوله ولا يعصينك في معروف في البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف
قال انما هو شرط للنساء واختلف في معناه على ما ذكرنا والصحيح على انه عام في جميع ما يامر به النبي صـ
وينهى عنه فيدخل فيه النوح وتخريق الثياب وجز الشعر والخلوة بغير محرم الى غير ذلك وهذه كلها كباير
ومن افعال الجاهلية وفي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي
من امر الجاهلية فذكر منها النياحة وروى يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه النوايح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما
تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يؤمر بهن الى النار وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تصلي الملائكة على نايحة ولا مرنة وروي عن عمر بن الخطاب انه سمع نايحة فاتاها فضربها
بالدرة حتى وقع خمارها عن راسها فقيل يا امير المؤمنين المراة قد وقع خمارها فقال انها لا حرمة لها
اسند جميعه الثعلبي واما تخصيص قوله بمعروف مع قوله ولا يعصينك ففيه قولان احدهما انه
تنبيه للمعنى على التاكيد كما قال تعالى قل رب احكم بالحق لانه قال احكم لكفى الثاني انما الشرط المعروف في
بيعة النبي صـ حتى يكون تنبيها على ان غيره اولى بذلك والزم له وانفى للاشكال السابعة روى البخاري
عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صـ فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا
تسرقوا وقرا اية النساء واكثر لفظ سفيان في الاية فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا
فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفي
الصحيح عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان
فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكاني انظر اليه حين يجلس الرجال
بيده ثم اقبل يشقهم حتى اتى النساء مع بلال فقال يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن حتى فرغ من الاية كلها ثم قال حين فرغ انتن على ذلك
فقالت امراة واحدة لم يجبه احد غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هي قال فتصدقن وبسط بلال ثوبه
فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال الثامنة قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن
ذلك والامر عليهن بذلك لا الزام قال بعض اهل النظر اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على امام
المسلمين اقامة المحنة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك
ان ناسا من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من
ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود قال ابن مسعود معناه انهم تركوا العمل للاخرة واثروا
الدنيا وقيل المعنى يئسوا من ثواب الاخرة قاله مجاهد ومعنى كما يئس الكفار اي الاحياء من الكفار من
اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم قاله الحسن وقتادة وقاله ابن عرفة وهم الذين قالوا وما يهلكنا الا الدهر
وقال مجاهد المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور ان يرجعوا الى الدنيا وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما
بداها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره قال ابن عباس يا ايها الذين

امنوا لا تتولوا اي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار من اصحاب القبور من حظ يكون لهم في الاخرة رحمه الله تعالى وقال القاسم بن ابي بزة في قوله تعالى قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور قال من مات من الكفار يئس من الخير

سورة الصف وهي اربع وعشرون اية مدنية

في قول الجميع فيما ذكر الماوردي وقيل انها مكية ذكره النحاس عن ابن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم. قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فيه خمس مسائل

الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي ابو محمد في مسنده حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى ابن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله تعالى لعملناه فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله بن سلام فقراها رسول الله علينا حتى ختمها قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة حتى ختمها فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها الدارمي وقال ابن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما ذكر الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلم ما هي لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالى بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت تعييرهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتلته وقال رجل اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلعم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحل قتله فاخبره فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا

الثانية هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي بها وفي صحيح عن ابي موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل اليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم

وواديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة يعني ثابت في الدين فان من التزم شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدا كقوله لله علي صلاة وصوم وصدقة ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفاء به اجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم غائبي فعلي صدقة او علق بشرط رهبة كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة فاختلف العلماء فيه فقال مالك وابو حنيفة يلزم الوفاء به وقال الشافعي في احد اقواله انه لا يلزم الوفاء به وعموم الاية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون ما يقصد منه القربة مما هو من جنس القربة وهذا وان كان من جنس القربة لكنه لم يقصد به القربة وانما قصد منع نفسه من فعل او الاقدام على فعل وقلنا القرب الشرعية مشقات وكلف وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة بمشقة لجلب نفع او دفع ضر فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب قال ابن العربي فان كان المقول منه وعدا فلا يخلو ان يكون منوطا بسبب كقوله ان تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت جارية كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقهاء وان كان وعدا مجردا فقيل يلزم بتعلقه وتعلقوا بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم اي الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه الاية وهو حديث لا باس به وقد روي عن مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفاء به على كل حال الا لعذر قلت قال مالك فاما العدة مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهب له الهبة فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما ارى ذلك يلزمه وقال ابن القاسم اذا وعد الغرما فقال اشهدكم اني قد وهبت له من ان يؤدي اليكم فان هذا يلزمه واما ان يقول نعم انا افعل ثم يبدو له فلا ارى عليه ذلك قلت اي لا يقضى عليه بذلك فاما في مكارم الاخلاق وحسن المروة فنعم وقد اثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بنذره فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وقد تقدم بيانه

الثالثة قال النخعي ثلاث ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة ان انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله

الرابعة قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعل اما في الماضي فيكون كذبا وفي المستقبل فيكون خلفا وكلاهما مذموم وتاول سفيان بن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في الانكار

الخامسة قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون قد يحتج به في وجوب الوفاء في اللجاج والغضب على احد قولي الشافعي وان رفع بالابتداء وما قبلها الخبر وكانه قال قولكم ما لا تفعلون مذموم ويجوز ان يكون مبتدا خبر محذوف الكسائي في موضع رفع لان كبر بمنزلة بئس رجلا اخوك ومقتا نصب بالتمييز المعنى كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت

والمقاتة مصدران يقال رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص قال الفراء مرصوص وقال المبرد هو من رصصت البناء اذا لائمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان بعضها الى بعض والتراص التلاصق ومنه وتراصوا في الصف ومعنى الاية يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونوا عند قتال عدوهم الثانية وقد استدل بعض اهل التاويل بهذا على ان قتال الرجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الاجر والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان معناه الثبات الثالثة لا يجوز الخروج عن الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولين احدهما انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقال اصحابنا لا يبرز احد طالبا لذلك لان فيه رياء وخروجا الى ما نهى الله عنه من لقاء العدو وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلعم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد مضى القول مستوفى في هذا في البقرة عند قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وذلك حين رموه بالادرة حسب ما تقدم في اخر سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون انه دس الى امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم انك قتلت هارون وقد تقدم هذا وقد تعلمون اني رسول الله اليكم والرسول يحترم ويعظم فدخلت قد على تعلمون للتاكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيها فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل لما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل اي لما تركوا ما امر الله به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم واذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم اي بالانجيل مصدقا لما بين يدي من التوراة لان في التوراة صفتي اني لم اتكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني ومبشرا برسول مصدقا ومبشرا نصب على الحال والعامل فيهما معنى الارسال واليكم صلة للرسول ياتي من بعدي اسمه احمد قرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح الياء وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش وابي بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من بعدك والتاء من قمت الباقون بالاسكان وقرا من بعد اسمه احمد بحذف الياء من اللفظ واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل فتلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حامدون ونبينا احمد اكثرهم حمدا واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من الكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه قبل ان يسمي نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى الله ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حتى قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في

الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد وانا في الزبور الماحي محى الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد واسمي في القران محمد لاني محمود في اهل السماء والارض وفي الصحيح لي خمسة اسماء محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلعم قالوا هذا سحر مبين وقرا الكسائي وحمزة ساحر نعت للرجل وروي انها قراءة ابن مسعود الباقون نعتا لما جاء به الرسول قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب تقدم في غير موضع وهو يدعى الى الاسلام هذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد صلعم بعد المعجزات التي ظهرت لهما وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعى بفتح الياء والدال وشدها وكسر العين اي ينتسب ويدعي وينتسب سواء والله لا يهدي القوم اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم الاطفاء هو الاخماد يستعملان في النار ويستعملان فيما يجري مجراها من الضياء والظهور ويفترق الاطفاء والاخماد من وجه وهو ان الاطفاء يستعمل في القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي نور الله هنا اقاويل احدها انه القران يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن عباس وابن زيد والثاني انه الاسلام يريدون دفعه بالكلام قاله السدي الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك الرابع حجج الله ودلائله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم قاله ابن بحر الخامس انه مثل مضروب اي من اراد اطفاء الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى وسبب نزول هذه الاية ما حكاه عطاء عن ابن عباس ان النبي صلعم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلعم فانزل الله هذه الاية واتصل الوحي بعدها حكاه جميعه الماوردي رحمه الله والله متم نوره اي باظهاره في الافاق وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم والله متم نوره بالاضافة على نية الانفصال كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وشبهه حسب ما تقدم بيانه في ال عمران الباقون متم نوره لانه فيما يستقبل فعمل ولو كره الكافرون من سائر الاصناف قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي محمدا بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله اي بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد يكون اهل الاسلام في اخر الزمان قال مجاهد ذلك اذا نزل الله عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على سائر الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا وغيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن جمع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال لرسول الله صلعم لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بالليل ابدا ولا افطر نهارا ابدا فقال النبي صلعم ان من سنتي

النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي في سبيل الله في الجهاد وحصا امتي الصوم ولا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان وددت
يا نبي الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب الثانية
قوله تعالى تنجيكم اي تخلصكم من عذاب اليم اي مولم وقد تقدم وقراة العامة تنجيكم باسكان النون من
الانجاء وقرا الحسن وابن عامر حيوة تنجيكم مشددا من التنجية ثم بين التجارة وهي الثالثة فقال تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذكر الاموال اولا لانها يبدا بها في الانفاق ذلكم اي
هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون وتؤمنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك
جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وفي قراة عبد الله امنوا بالله وقال الفرا يغفر لكم جوابا الاستفهام
وهذا انما يصح على الحمل على المعنى وذلك ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قال
تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم قال المهدوي فان لم تقدر هذا التقدير لم تصح المسئلة لان التقدير يصير
ان دللتم يغفر لكم والغفران انما نعت بالقبول والايمان لا بالدلالة قال الزجاج ليس اذا دلهم على ما
ينفعهم غفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا لام الامر كقوله تخيت بعد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شي
تبالا اراد لتبعد وادغم بعضهم فقال يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان الرا حرف مكرر قوي فلا
يحسن الادغام في اللام لان الا قوى لا يدغم في الاضعف الزمخشري وجه قول الفرا ان متعلق التجارة
هو التجار نحو التجارة مفسرة بالايمان وكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم الرابعة قوله ومساكن
طيبة خرج ابو الحسين الاجري عن الحسن قال سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير هذه الاية
ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لولوة في الجنة فيه
سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير
سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعين امراة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة
سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تبارك وتعالى المؤمن القوة
في غداة واحدة حتى ياتي على ذلك كله في جنات عدن اي اقامة ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدايمة
الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب الخامسة قوله واخرى تحبونها قال الاخفش والفرا اخرى معطوفة
على تجارة فهي في محل خفض وقيل محلها رفع اي ذلكم خصلة اخرى وتجارة اخرى تحبونها نصر من الله اي
هو نصر من الله فنصر على هذا تفسير واخرى وقيل رفع على البدل من اخرى اي ولكم نصر من الله وفتح قريب
اي في عاجل الدنيا قيل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المومنين قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله اكد من الجهاد اي كونوا حواري نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر
حواري عيسى على من خالفه وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع انصارا لله بالتنوين قالوا لان معناه اثبتوا
وكونوا عونا لله بالسيف على اعدائه وقرا الباقون من اهل البصرة والكوفة والشامية انصار الله
بلا تنوين وحذفوا لام الاضافة من اسم الله تعالى واختاره ابو عبيد لقوله نحن انصار الله ولم ينون
ومعناه كونوا انصارا كما فعل اصحاب عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين والحواريون خواص الرسل
قال معمر كان ذلك بحمد الله اي نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم من قريش
وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون
وحمزة بن عبد المطلب ولم يذكر سعيدا فيهم وذكر جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين كما قال عيسى بن مريم
للحواريين وهم اصفياوهم اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماوهم في ال عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قال

ابن عباس وقال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه القصارون فاسالهم النصرة فاتاهم عيسى
وقال من انصاري الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه ومعنى من انصاري مع الله كما تقول الذود الى
الذود ابل اي مع الذود وقيل اي من انصاري فيما يقرب الى الله تقدم معنى هذه الاية في ال عمران فامنت
طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة والطايفتان في زمن عيسى افترقوا بعد رفعه الى السما على ما
تقدم في ال عمران بيانه فايدنا الذين امنوا على عدوهم الذين كفروا بعيسى فاصبحوا ظاهرين اي غالبين
قال ابن عباس ايد الله الذين امنوا في زمن عيسى باظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد ايدوا في زمانهم
على من كفر بعيسى وقيل ايدنا الان المسلمين على الفرقتين الضالتين من كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله
فرفعه اليه لان عيسى يوم بر لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده قتال وقال زيد بن علي وقتادة
فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روي الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله تعالى
لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية في رسل عيسى عليهم الصلاة والسلام قال ابن اسحق وكان الذي بعثهم الله عيسى
من الحواريين والاتباع فطرس وبولس الى رومية واندراييس ومتى الى الارض يا كل اهلها الناس وتوماس الى ارض
بابل من ارض المشرق وقليبس الى قرطاجنة وهي افريقيا ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس
الى اورى سلم وبنا بيت المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهوذا ويودس
الى الاسكندرية وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت على الحايط اي
علوت عليه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشر اية
في قول وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل
الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيمة
ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما
اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود
وبعد غد للنصارى بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بيس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله
والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قوله تعالى يسبح لله ما في
السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وقرا ابو العالية ونصر بن عاصم الملك
القدوس العزيز الحكيم كلها رفعا اي هو الملك قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا قال ابن عباس الاميون
العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل الكتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون
وكذلك كانت قريش وروى منصور عن ابراهيم قال الامي الذي يقرا ولا يكتب وقد مضى في البقرة رسولا
منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحق الا حي
تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب
ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي فان قيل فما وجه الامتنان في ان بعث نبيا اميا فالجواب
عنه من ثلاثة اوجه احدها لموافقته ما تقدمت بشارة الانبياء الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم
فيكون اقرب لموافقتهم الثالث لينتفي عنه سو الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم
التي تلاها قلت هذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله تعالى يتلوا عليهم اياته يعني القران

ويزكيهم اي يجعلهم ازكيآء القلوب بالايمان قاله بن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله بن جريج
ومقاتل وقال السدي ياخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القران والحكمة السنة قاله الحسن وقال
ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط فشا في العرب بالشرع لما امروا بتقييده بالخط وقال مالك ابن انس
الحكمة الفقه في الدين وقد مضى القول في هذا في البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم
لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق قوله تعالى واخرين منهم يجوز ان يكون منصوبا بالعطف على الهاء والميم
في يعلمهم ويزكيهم اي يعلمهم ويعلم اخرين من المؤمنين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا
الى اوله فكانه هو الذي تولى كلما وجد منه لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر
وسعيد بن جبير هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلعم اذ نزلت عليه
سورة الجمعة فلما قرئ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلعم حتى ساله
مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلعم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا
لناله رجال من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابناء فارس
حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون يجاهدهم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلعم الى يوم القيمة
وروى سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلعم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب
وتلى واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول ثبت وقد روي ان النبي صلعم قال رايتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها
غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا رسول الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال
النبي صلعم كذا اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلعم وهو علي بن ابي
طالب قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله
يؤتيه من يشاء قاله الكلبي وقيل يعني الوحي والنبوة قاله مقاتل وقيل انه المال ينفق في الطاعة وهو
معنى قول ابي صالح وقد روى مسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلعم فقالوا
ذهب اهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم
ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلعم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون
وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلعم
فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله صلعم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل
خامس انه الانقياد الى تصديق النبي صلعم ودخولهم في ذمته ونصرته والله اعلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية
ضرب الله مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتورية ولم يؤمنوا بمحمد صلعم حملوا التورية اي كلفوا العمل بها عن ابن عباس
وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التورية كمثل الحمار يحمل اسفارا هي جمع سفر وهو
الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل
فهكذا اليهود وفي هذا تنبيه من الله لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من
الذم ما لحق هؤلاء وقال الشاعر زوامل للاسفار لا علم عندهم • بجيدها الا كعلم الاباعر • لعمرك لا يدري
البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغرائر • وقال يحيى بن يمان يكتب احدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر
فاذا سئل احدهم عن مسئلة جلس كانه مكاتب وقال الشاعر ان الرواة على جهل بما حملوا • مثل الجمال عليها
يحمل الودع • لا الودع ينفعه حمل الجمال له • ولا الجمال بحمل الودع تنتفع • وقال منذر بن سعيد البلوطي فاحسن
انفق بما شئت تجد فصاله • ودم اسفا لله يحمد حاله • يحملها وصفت من اسفار مثله • كمثل الحمار يحمل اسفاره •

ومادرا ان كان فيها صوابا • ان يسئلوا قالوا كذا روينا • وما كذبنا ولا اعتدينا • كبيرهم يصغر عند الحفل
لانه قد ناهل الحمل • ثم لم يحملوها اي لم يحمل كتابا وليس له الا ثقل الحمل من غير فايدة ويحمل في موضع نصب
على الحال اي حاملا ويجوز ان يكون في موضع جر على وصف لان الحمار كاللئيم قال ولقد امر على اللئيم يسبني
بئس مثل القوم المثل ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين اي من سبق في علمه ان
يكون كافرا قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس لما ادعت اليهود الفضيلة
وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه قال الله تعالى ان كنتم اولياء لله من دون الناس فللاولياء عند الله
الكرامة فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لتصيروا الى ما يصير اليه اولياء الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلعم فلو تمنوه لماتوا وكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه
من الولاية وفي حديث ان النبي صلعم قال لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي
على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلعم وقد مضى معنى هذه الاية في البقرة
في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو
ومن التجارة والله خير الرازقين قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم قال الزجاج
لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لان معنى الذي معنى الشرط والجزاء اي ان فررتم منه
فانه ملاقيكم وتكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه قال زهير ومن هاب اسباب المنايا
ينلنه • ولو رام اسباب السماء بسلم • ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدى
فانه ملاقيكم وقال طرفة وكفى بالموت فاعلم واعظا • لمن الموت عليه قد قدر • فاذكر الموت وحاذر
ذكره • ان في الموت لذي اللب عبر • كل شيء سوف يلقى حتفه • في مقام او على ظهر سفر • والمنايا
حوله ترصده • ليس ينجيه من الموت الحذر • قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فيه ثلاث عشرة مسئلة الاولى قوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة قرا عبد الله
ابن الزبير والاعمش وغيرهما الجمعة باسكان الميم على التخفيف وهما لغتان جمعهما جمعات قال الفرا الجمعة
بسكون الميم والجمعة بضم الميم والجمعة بفتح الميم وقال الفرا وابو عبيد والتخفيف احسن واقيس نحو
غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي صلعم وعن
سلمان ان النبي صلعم قال انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من
خلق كل شيء فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لتجتمع الساعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها الثانية
للصلوة من بمعنى في اي في يوم كقوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض
قال اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعة الانصار وقال ابن سيرين جمع
اهل المدينة من قبل ان يقدم النبي صلعم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك
انهم قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه في سبعة ايام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا
فلنجتمع نجعل يوما نذكر الله فيه ونصلي فيه ونستذكر او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم
الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة ابو امامة رضي الله عنه فصلى بهم يومئذ
ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم

فمنه اول جمعة في الاسلام وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا على ما ياتي وجاءت في هذه الرواية ان الذى
جمع بهم وصلى اسعد بن زرارة وكذا في حديث عبد الرحمن بن كعب على ما ياتي وروينا عن موسى بن عقبة
عن ابن شهاب الزهري ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها النبي صم
قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعرفة اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه والله اعلم
واما اول جمعة جمعها النبي صم باصحابه فقال اهل السير والتواريخ قدم رسول الله صم مهاجرا حتى
نزل بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحا به
رضي الله عنهم اجمعين ومن تلك السنة يعد التاريخ واقام بقبا الى يوم الخميس واسس المسجد ثم خرج يوم
الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بني سالم في بطن واد لهم فاتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع
بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه
واومن به ولا اكفره واعادي من كفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم
وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير
ما اوصى به المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان
تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبتغون من الاخرة ومن يصلح الذي
بينه وبين ربه من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا
فيما بعد الموت حين يفتقر العبد الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه
يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية
لا ينوي به الا وجه الله يكن له ... سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله
توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة
خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم
الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو سماكم او سماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله
تعالى لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس
ولا يقضون عليه ويملكون من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها جواثى من قرى البحرين وقد قيل ان اول من سماها
الجمعة كعب بن لؤي بن غالب لاجتماع قريش فيه الى كعب على ما تقدم **الثالثة** خاطب الله المؤمنين بالجمعة
دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم
قوله واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض العلماء كون صلاة الجمعة ههنا
معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ قال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من
يوم الجمعة لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو عام في سائر الايام
ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فائدة **الرابعة** قد
تقدم حكم الاذان في سورة المائدة مستوفى وقد كان الاذان على عهد رسول الله صم كما في سائر
الصلوات يؤذن واحد اذا جلس النبي صم وكذلك كان يفعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان

على المنبر

على المنبر اذانا ثالثا على داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا
جلس عثمان على المنبر اذن مؤذن النبي صم ثم يخطب عثمان خرجه ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن
اسحق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال ما كان لرسول الله صم الا مؤذن واحد اذا خرج اذن
واذا نزل اقام وابو بكر وعمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس اذن الثاني على دار في السوق يقال
لها الزوراء فاذا خرج اذن واذا نزل اقام خرجه البخاري من طرق بمعناه وفي بعضها ان الاذان
الثاني يوم الجمعة امر به عثمان بن عفان حين كثر الناس في المسجد وكان التاذين يوم الجمعة حين
يجلس الامام وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لحضور
الجمعة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله عنه امر ان يؤذن في السوق قبل
المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه اذانين
في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صم واحدا فلما
كان زمن عثمان زاد الاذان الثالث على الزوراء واسماه في الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كما
قال عليه الصلاة والسلام بين كل اذانين صلاة لمن شاء يعني الاذان والاقامة ويتوهم الناس انه اذان
اصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم ورايتهم
يؤذنون بمدينة السلام بعد اذان المنار بين يدي الامام تحت المنبر في جماعة كما كانوا يفعلون عندنا
في الدول الماضية وكل ذلك محدث **الخامسة** قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اختلف في معنى السعي
هنا على ثلاثة اقوال اولها القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب
والنية **الثاني** انه العمل كقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان سعيكم
لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وهذا قول الجمهور **وقال زهير** سعى بعدهم قوم لكي
يدركوهم • وقال ايضا فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهر والتوجه
اليه **الثالث** ان المراد به السعي على الاقدام وهذا فضل وليس بشرط ففي البخاري ان ابا عيسى بن جبير
واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة مشى الى الجمعة راجلا وقال سمعت رسول الله صم يقول من
اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ويحتمل ظاهره رابعا وهو الجري والاشتداد قال ابن
العربي وهو الذي انكره الصحابة والفقهاء فقراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد
الذي يدل عليه الظاهر وقرا ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي
وقرا ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراءة قران منزل
وجائز قراءة القران بالتفسير في معرض التفسير قال ابو بكر الانباري وقد احتج من خالف المصحف
بقراءة عمر وابن مسعود وان خرشة بن الحر قال راني عمر ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر الله
فقال لي عمر من اقراك هذا قلت ابي قال ان ابيا اقرؤنا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا الى ذكر الله
حدثنا ادريس قال حدثنا هشام عن المغيرة عن ابرهيم عن خرشة فذكره وحدثنا محمد بن يحيى
اخبرنا محمد وهو ابن سعدان قال حدثنا سفين بن عيينة عن الزهري عن سالم عن ابيه قال ما
سمعت عمر يقرا قط الا فامضوا الى ذكر الله وقال لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي
قال ابو بكر فاحتج عليه بان الامة اجمعت على فاسعوا برواية ذلك عن الله تعالى ورسوله صم فاما
عبد الله بن مسعود فما صح عنه فامضوا لان السند غير متصل اذ ابرهيم النخعي لم يسمع من عبد الله
ابن مسعود شيئا وانما وردت فامضوا بان معنى المضي غير انه لا يخلو من الجد والانكماش **قال
زهير** سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما • تبزل ما بين العشيرة بالدم • اراد بالسعي المضي بجد وانكماش

ولمن يقصد العدو والاسراع في الخطو وقال الفرا وابو عبيدة معنى السعي في الاية واحتج الفرا بقوله هو يسعى يطلب فضل الله معناه هو يمضي جد واجتهاد واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر اسعى على
افنانه وقضاحته • حلي بني مالك كل امرء في شانه ساع • فهل يحتمل المتنى في هذا البيت الا في
مذهب المضي بالانكماش ومحال ان يخفى هذا على ابن مسعود على فصاحته واتقان عربيته قلت
ومما يدل على ان المراد هنا العدو قوله عليه الصلاة والسلام فلا تاتوها تسعون ولكن ائتوها
وعليكم السكينة قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة وعليهم
السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي ان السعي بقلبك وعملك وهذا
احسن لانه يجمع الاقوال الثلاثة وقد جاء في الاغتسال للجمعة والطيب والتزين باللباس احاديث مذكورة
في كتب الحديث انتهى السادسة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا خطاب للمكلفين باجماع ويخرج منه المرضى والزمنى
والمسافرين والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقائد عند ابي حنيفة روى ابو
الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه بالجمعة الا مريضا او مسافرا او صبيا
او مملوكا فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد خرجه الدارقطني وقال علماؤنا رحمهم الله
ولا يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر مثل المرض الحابس او خوف زيادة المرض او خوف جور السلطان
عليه في مال او بدن دون القضاء عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر لمن ينقطع ولم يره مالك عذرا له حكاه
المهدوي ولو تخلف عنها ولي على حميم له قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره رجا ان
يكون في سعة وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله
وهو في تخلفه عنها مع امكانه كذلك عاص لله بفعله السابعة قوله تعالى اذا نودي للصلاة يختص بوجوب
الجمعة القريب الذي يسمع النداء فاما البعيد الدار الذي لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب واختلف الناس
فيمن ياتي الجمعة من الداني والقاصي فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال
وقال الشافعي اشتراط سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن
عند سور البلد وفي الصحيح عن عايشة ان الناس كانوا ياتون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فياتون في الغبار
يصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اغتسلتم ليومكم هذا قال علماؤنا والصوت اذا كان رفيعا
والناس في هدوء وسكون فاقصى سماع الصوت ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها ثلاثة اميال
وقال احمد بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع النداء وروى الدارقطني من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما الجمعة على من سمع النداء وقال ابو حنيفة واصحابه تجب على من في المصر ان
سمع النداء حتى سئل هل تجب الجمعة على اهل زبارة بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا وروى عن ربيعة ايضا
انما تجب على من في المصر وان سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة وقد روي عن الزهري انها تجب
عليه اذا سمع الاذان الثامنة قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله دليل على ان
الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت بدليل قوله عليه الصلاة والسلام اذا حضرت الصلاة
فاذنا ثم اقيما وليؤمكما اكبركما قاله لمالك بن الحويرث وصاحبه وفي البخاري عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
الجمعة حين تميل الشمس وقد روي عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل انها تصلى قبل الزوال وتمسك احمد في
ذلك بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث
ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة ومثله عن سهل خرجه مسلم وحديث سلمة محمول على التبكير
رواه هشام عن عبد الملك عن يعلى بن الحرث عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه وروى وكيع عن يعلى
عن اياس عن ابيه قال كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء وهذا مذهب الجمهور من

السلف

السلف والخلف وقياسا على صلاة الظهر وحديث ابن عمر وسهل دليل على انهم كانوا يبكرون الى الجمعة تبكيرا كثيرا
عند الغداة او قبلها فلا يتناولون ذلك الا بعد انقضاء الصلاة وقد راى مالك ان التبكير بالجمعة انما يكون
قبل الزوال بيسير وتاول قول النبي صلى الله عليه وسلم من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة الحديث بجملته انه كله في ساعة
واحدة وحمله ساير العلماء على ساعات النهار الزمانية الاثنى عشر ساعة المستوية والمختلفة بحسب زيادة النهار
ونقصانه قال ابن العربي وهو الصحيح لحديث ابن عمر رضي الله عنهما ما كانوا يقيلون ولا يتغدون الا بعد الجمعة لكثرة
البكور اليها التاسعة فرض الله الجمعة على كل مسلم ردا على من يقول انها فرض كفاية ونقل عن بعض الشافعية
ونقل عن مالك من لم يحقق انها سنة وجمهور الامة والائمة انها فرض على الاعيان لقول الله تعالى اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين اقوام عن ودعهم
الجماعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وهذه حجة واضحة في وجوب الجمعة وفرضيتها
وفي سنن ابن ماجة عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث مرات
تهاونا بها طبع الله على قلبه اسناد صحيح وحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا
من غير ضرورة طبع الله على قلبه ابن العربي وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم
العاشرة اوجب الله السعي الى الجمعة مطلقا من غير شرط وثبت شرط الوضوء بالقران والسنة في جميع
الصلوات لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله صلاة بغير طهور واغربت طائفة فقالت ان غسل الجمعة فرض ابن العربي وهذا باطل لما روى
النسائي وابو داود في سننهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن
اغتسل فالغسل افضل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا يوم الجمعة ثم راح الى الجمعة
فاستمع وانصت غفر الله له ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا وهذا نص وفي
الموطا ان رجلا دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب الحديث الى ان قال ما زدت على ان توضات قال عمر
والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل فاقر عمر بالغسل ولم يامره بالرجوع فدل على انه محمول
على الاستحباب فلم يمكن وقد تلبس بالفرض وهو الحضور والانصات للخطبة ان يرجع عنه الى السنة وذلك
بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حول عمر وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الحادي عشر لا تسقط
الجمعة لكونها في يوم عيد خلافا لاحمد بن حنبل حيث قال اذا اجتمع عيد وجمعة سقط فرض الجمعة لتقدم
العيد عليها واشتغال الناس به عنها وتعلق في ذلك بما روي ان عثمان اذن في يوم عيد لاهل العوالي
ان يتخلفوا عن الجمعة وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع عليه والامر بالسعي
متوجه يوم العيد كتوجهه في ساير الايام وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في
العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم
واحد يقرا بهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة الثانية عشر
قوله تعالى الى ذكر الله اي الى الصلاة وقيل الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير ابن العربي والصحيح انه
واجب في الجمعة واول الخطبة وبه قال علماؤنا الا عبد الملك ابن الماجشون فانه رآها سنة والدليل على
وجوبها انها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم المباح واذا قلنا ان المراد بالذكر
الصلاة فالخطبة من الصلاة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله الزمخشري
فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك قلت وكان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه
وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك
فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على الثالثة عشر قوله تعالى وذروا البيع منع الله عز وجل منه

عند صلوة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطبًا بفرضها والبيع لا يخلوا عن شروط اكتفى بذكر احدها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل بها اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة لا ينهى عن البيع والشراء وفي وقت التحريم قولان الاول انه بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك وابو الحسن وعطا والثاني من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلاة قاله الشافعي ومذهب مالك انه يترك البيع اذا نودي الصلاة ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادات الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشرا والهبة والصدقة نادر لا تفسخ ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع من الاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعًا مفسوخ المهدوي واري بعض البيع في الوقت المذكور جايز وتاول النهي عنه ندبًا واستدل بقوله تعالى ذلكم خير لكم قلت وهذا مذهب الشافعي فان البيع ينعقد عنده ولا ينفسخ وقال الزمخشري في تفسيره ان عامة العلماء على ان ذلك لا يودي فساد البيع قالوا لان البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد قلت الصحيح فساده وفسخه لقوله عليه الصلاة والسلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود والله اعلم

قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض هذا امر اباحة كما في قوله فاذا حللتم فاصطادوا يقول اذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف وقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله وابتغوا من فضل الله انه العمل يوم السبت وعن الحسن بن سعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شي من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنايز وزيارة الاخ في الله تعالى

قوله تعالى واذكروا الله كثيرًا اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما به انعم عليكم من التوفيق لاداء الفرايض لعلكم تفلحون قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح وقد مضى هذا مرفوعًا في البقرة

قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها في صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله ان النبي صلعم كان يخطب قايمًا يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلاً في رواية انا فيهم فانزلت هذه الاية التي في الجمعة واذا راوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها وتركوك قايمًا في رواية ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد ذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب الطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا وقيل احدى عشر رجلا قال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلعم ثمانية رجال حكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال بينما رسول الله صلعم يخطب يوم الجمعة فاقبل عير يحمل طعامًا حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا وتركوا رسول الله صلعم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلعم واذا راوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها وتركوك قايمًا قال الدارقطني لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلعم الا اثني عشر رجلا وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعًا لاضرم الله عليهم الوادي نارًا ذكره الزمخشري وروي من حديث مسروق اسماء الاثني عشر رجلا رواه اسد بن عمرو وكنا اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلعم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد

ابن ابي وقاص

ابن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر قلت لم يذكر جابرًا وقد ذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضًا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله فيهم فهم اربعة عشر وقد ذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقًا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلعم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم الجمعة والنبي صلعم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفاف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه في ترك الخطبة بشي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها فقدم النبي صلعم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة وكان لا يخرج احد لرعاف وحدث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلعم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلعم ثم يشير اليه بيده وكان من المنافقين من تثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترًا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلعم يوجب ان يكون صحيحًا وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير تمر لهو لا فايدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلعم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه باسم اللهو ما نزل وجاء عن رسول الله صلعم انه قال كلما يلهو به باطل الا رمية بقوسه الحديث وقد مضى في سورة الانفال ولله الحمد وقال جابر بن عبد الله كان الجواري اذا نكحن يمررن بالمزامير والطبل فانفضوا اليها فنزلت وانما رد الكناية الى التجارة لانها اهم وقرا طلحة بن مصرف واذا راوا التجارة او اللهو انفضوا اليها وقيل المعنى واذا راوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها فحذف لدلالته كما قال

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف

وقيل الاجود في العربية ان يجعل الراجع في الذكر الى الاخر من الاسمين

الثانية واختلف العلماء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على اقوال فقال الحسن تنعقد باثنين وقال الليث وابو يوسف بثلاثة وقال سفيان الثوري وابو حنيفة باربعة وقال ربيعة باثني عشر رجلا وذكر النجار ابو بكر احمد بن سلمان قال حدثنا ابو خالد يزيد بن الهيثم بن طهمان الدقاق حدثنا صبح بن دينار قال حدثنا المعافى بن عمران ان النبي صلعم بعث الى المدينة وانه نزل في دار سعد بن معاذ جمع بهم وهم اثنا عشر رجلا ذبح لهم يومئذ شاة وقال الامام الشافعي باربعين رجلا ابو اسحق الشيرازي في كتاب التنبيه على مذهب الشافعي كل قرية فيها اربعون رجلا بالغين عقلا احرارًا مقيمين لا يظعنون صيفًا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا حاضرين في الخطبة الا ان تقام الجمعة وجبت عليهم الجمعة وقال احمد واسحق هذا القول ولم يشترط هذه الشروط وقال مالك اذا كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد وكتب عمر بن عبد العزيز اي قرية اجتمع فيها ثلاثون بيتًا فعليهم الجمعة وقال ابو حنيفة لا تجب على اهل السواد والقرى لا يجوز لهم اقامتها فيها والشرط في وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع والسلطان القاهر والسوق القايمة والنهر الجاري واحتج بحديث علي لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع وجماعة تعينهم وهذا يرده حديث ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلعم بقرية يقال لها جواثا من البحرين وحجة الامام الشافعي في الاربعين حديث جابر المذكور الذي خرجه الدارقطني وفي سنن ابن ماجة والدارقطني ايضا ودلايل النبوة للبيهقي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت الى الجمعة فسمع الاذان فصلى على ابي امامة واستغفر له فمكثت حينًا لا اسمع

الاذان الا لذلك بالجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابت استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو
قال اي بني هو اول من جمع بالمدينة في هزم من حرة بناحية يقال له بقيع الخضمات قال قلت كم انتم يومئذ
قال اربعين رجلاً وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة ايام وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة
واضحى وفطر وذلك انهم جماعة خرجه الدارقطني وروى ابو بكر احمد بن سليمان النجار قرا على عبد الملك
ابن محمد الرقاشي وانا اسمع حدثني رجاء بن سلمة قال حدثنا ابي روح بن عطية الثقفي قال حدثني الزهري
عن ابي سلمة قال قلت لابي هريرة قال كم تجب الجمعة من رجل قال لما بلغ رسول الله صلعم خمسين قال حدثنا
رجا بن سلمة قال حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلعم
تجب الجمعة على خمسين رجلاً ولا تجب على من دون ذلك قال ابن المنذر وكتب عمر بن عبد العزيز ايما قرية
اجتمع فيها خمسين رجلاً فليصلون الجمعة وروى الزهري عن ام عبد الله الدوسية قالت قال رسول الله صلعم
الجمعة واجبة في كل قرية وان لم يكن فيها الا اربعة يعني بالقرى المداين لا يصح هذا عن الزهري في رواية الجميع
واجبة على اهل كل قرية وان لم يكونوا الا ثلاثة رابعهم امامهم لا يصح سماعهم من الروس والحكم متروك
الثالثة وتصح الجمعة بغير اذن الامام وحضوره وقال ابو حنيفة من شرطها الامام وخليفته ودليلنا
ان الوليد بن عقبة والي الكوفة ابطا يوماً فصلى ابن مسعود بالناس من غير اذن وروي ان علياً
صلى الجمعة يوم حصر عثمان ولم ينقل انه استاذنه وروي ان سعيد بن العاص والي المدينة لما خرج من المدينة
صلى ابو سعيد بالناس الجمعة من غير استيذان وقال مالك ان لله فرايض في ارضه لا يضيعها وليها ولي
او لم يليها انتهى **الرابعة** قال علماؤنا من شرط ادائها المسجد المسقف قال ابن عربي ولا اعلم وجهه **قلت**
وجهه قوله تعالى وطهر بيتي للطائفين وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وحقيقة البيت ان يكون ذا
حيطان وسقف هذا العرف والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى وتركوك قائماً شرط في قيام الخطيب على المنبر
اذا خطب قال علقمة سئل عبد الله اكان النبي صلعم يخطب قائماً فقال اما تقرا وتركوك قائماً وفي صحيح مسلم
عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن ام الحكم يخطب قاعداً فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعداً
وقال الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً وخرج عن جابر ان رسول الله صلعم كان
يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب فمن حدثك انه كان يخطب جالساً فقد كذب فقد والله صليت معه
اكثر من الفي صلاة وعلى هذا جمهور الفقهاء وائمة العلماء وقال ابو حنيفة ليس القيام بشرط فيها ويروى ان
من خطب قاعداً معوية وخطب عثمان قائماً حتى رق فخطب قاعداً وقيل ان معاوية انما خطب قاعداً لسنه
وقد كان النبي صلعم يخطب قائماً ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم في قعوده رواه جابر بن سمرة ورواه ابن عمر
في كتاب البخاري **السادسة** والخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وهو قول جمهور العلماء وقال
الحسن هي مستحبة وكذا قال ابن الماجشون انها سنة وليست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين
من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر والدليل على وجوبها قوله
تعالى وتركوك قائماً وهذا ذم والواجب الذي يذم تاركه شرعاً ثم ان النبي صلعم لم يصلها الا بخطبة **السابعة**
ويخطب متوكئاً على قوس او عصى وفي سنن ابن ماجة قال حدثنا هشام بن عامر بن سعد قال حدثني ابي عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلعم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصى **الثامنة**
ويسلم اذا صعد المنبر على الناس عند الشافعي وغيره ولم يره مالك وقد روى ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم انتهى **التاسعة** فان خطب على غير طهارة الخطبة كلها
او بعضها اساء عند مالك ولا اعادة عليه اذا صلى غير طاهر وللشافعي قولان في ايجاب الطهارة شرطها
في الجديد ولم يشترطها في القديم وهو قول ابي حنيفة انتهى **العاشرة** واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله

ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران ويجب في الثانية اربع كالاولى
لان الواجب بدلاً من القراءة الدعا قاله اكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد والتسبيح والتكبير
اجزاه عن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام
مقالاً وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وصلى وكان ذلك بحضرة الصحابة
فلم ينكر عليه احد وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما تناوله اسم خطبة وهو قول الشافعي وقال ابو عمر بن عبد البر
وهو اصح ما قيل في ذلك **الحادية عشر** في صحيح مسلم عن يعلى بن امية انه سمع النبي صلعم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك
وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت لعمرة قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا من في رسول الله صلعم في يوم الجمعة
وهو يقراها على المنبر في كل جمعة وقد مضى في اول ق وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلعم
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ارسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله
ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله وعنه قال بلغنا عن رسول الله صلعم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو
آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس ما شاء الناس الا ما شاء الله يريد الله
امراً ويريد الناس امراً ما شاء الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون
شي الا باذن الله وقال جابر كان النبي صلعم يخطب فيقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم
فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري
ما الله قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه
لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما
بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد تقدم ما خطب به عليه الصلاة والسلام
اول جمعة عند قدومه المدينة **الثانية عشر** السكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة والسنة
ان يسكت لها من يسمع ومن لم يسمع وهما ان شاء الله في الاجر سواء ومن تكلم حينئذ فقد لغا ولا تفسد
صلاته بذلك وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب
فقد لغوت الزمخشري واذا قال المنصت لصاحبه صه فلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغياً نعوذ بالله
من غربة الاسلام ونكد الايام **الثالثة عشر** ويستقبل الناس الامام لما رواه ابو داود مرسلاً عن ابان
ابن عبد الله قال كنا مع عدي بن ثابت يوم الجمعة فلما خرج الامام او قال صعد المنبر استقبله وقال
هكذا كان اصحاب رسول الله صلعم يفعلون برسول الله صلعم خرجه ابن ماجة عن عدي بن ثابت عن ابيه
فزاد في الاسناد عن ابيه قال كان رسول الله صلعم اذا قام على المنبر استقبله اصحابه بوجوههم قال ابن
ماجة ارجو ان يكون متصلاً **قلت** وخرجه ابو نعيم الحافظ قال حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا محمد بن
عبد الله بن محمد حدثنا دحية قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا ابن الفضل الخراساني عن منصور
عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال كان النبي صلعم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا تفرد به محمد بن
الفضل بن عطية عن منصور **الرابعة عشر** ولا يركع من دخل المسجد والامام يخطب عند مالك رحمه الله
وهو قول ابن شهاب وغيره وفي الموطا عن ابن شهاب فخروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام
وهذا مرسل وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلعم اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع
ركعتين وليتجوز فيهما وهذا نص في الركوع وبه يقول الشافعي وغيره **الخامسة عشر** ابن عون عن ابن سيرين
قال كانوا يكرهون النوم والامام يخطب ويقولون فيه قولاً شديداً قال ابن عون ثم لقيني بعد ذلك فقال

تدري ما يقولون قال يقولون مثلهم كمثل سرية اجمعوا ثم قال هل تدري ما اجمعوا لم يغنموا شيئا وعن
سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم فليتحول الى مقعد صاحبه ويتحول صاحبه الى مقعده السادسة
عشر نذكر فيها من فضل الجمعة وفرضيتها ما لم نذكر روى الائمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن وهو يصلي يسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه
اياه واشار بيده يقللها وفي صحيح مسلم وهو يصلي من حديث ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي
ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا علينا ذات يوم فلما
خرج قلنا احتبست قال ان جبريل اتاني بكهيئة المراة البيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل
قال هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد ارادها اليهود والنصارى فاخطاوها وهداكم الله لها قلت
يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها
خيرا الا اعطاه اياه او ادخر له مثله يوم القيامة او يصرف عنه من السوء مثله وانه خير الايام عند الله وان
اهل الجنة يسمونه يوم المزيد وذكر الحرث وابن المبارك ويحيى بن سلام قالا حدثنا المسعودي عن
المنهال وعن ابن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال تسارعوا الى الجمعة فان الله
تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر
تسارعهم الى الجمعة في الجنة وقال يحيى بن سلام كتسارعهم الى الجمعة في الدنيا وزاد فيحدث لهم من الكرامة شيئا لم
يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت عن المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد قلت
قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون
الى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرءون القرآن
باحسن صوت يسمعه الاولون والآخرون فاذا انصرفوا الى منازلهم فلولا ان الله يهديهم الى منازلهم ما
اهتدوا اليها لما يحدث الله لهم في كل جمعة ذكره يحيى بن سلام وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
بي رايت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون
الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة ذكره
الثعلبي وخرج القاضي ابو اليسر بن الحسن علي بن ابرهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهم باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث
الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى
كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور
ينظر اليهم الثقلان لما يطوفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم احد الا المؤذنون المحتسبون وفي
سنن ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر
خرجه مسلم بمعناه وعن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر
وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة اجر سنة صيامها وقيامها
وعن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا با
لاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر
والعلانية ترزقوا وتنصروا وتوجروا واعلموا ان الله قد فرض عليكم الجمعة في مقامي هذا في شهري هذا
في عامي هذا الى يوم القيامة فمن تركها في حياتي او بعد مماتي وله امام عادل او جائر استخفافا بها
او جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في امره الا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له
حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه الا لا تؤمن امراة رجلا ولا يؤم اعرابي مهاجرا مؤمنا الا ان

سلطان يخاف سيفه او سوطه وقال يونس بن ابي شيبة اردت الجمعة مع الحجاج فتهيات للذهاب
ثم قلت الى اذهب خلف هذا الفاجر فقلت مرة اذهب ومرة لا اذهب ثم اجمع رايي على الذهاب فناداني
مناد من جانب البيت يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
السابعة عشرة قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فيه وجهان احدهما ما عند الله من
ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم الثاني ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما
اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجاء العاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا
والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا
والاخرة سورة المنافقون مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله روى زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله
ابن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسولا الى عبد الله بن ابي واصحابه
فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله
عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله الى قوله ليخرجن
الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك خرجه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح وفي الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر
الماء وكان الاعراب يسبقونا اليه فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه قال فاتى رجل من
الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة
فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه
فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب
وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام
فلياكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد
وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي الي وقال ما اردت الى ان مقتك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جرائهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني
ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال شيئا الا انه عرك
اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وسئل حذيفة بن اليمان
عن المنافقين فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا
يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه
كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا
ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قلت اخبر عليه السلام ان من
جمع هذه الخصال كان منافقا وخبره صدق وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال ان بني
يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم

على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقة ان تفضي بهم الى النفاق ليس المعنى ان من ندر منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقد مضى في سورة براءة القول في هذا مستوفى والحمد لله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد انجز واذا ائتمن وفا والمعنى المؤمن الكامل اذا حدث صدق والله اعلم قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله قيل المعنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر معين ومنه قول قيس بن ذريح فاشهد عند الله اني احبها • فهذا لها عندي فما عندها ليا • ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه والله يعلم انك لرسوله كما قالوه بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي فيما اظهروا من شهادتهم وحلفهم بالسنتهم وقال الفراء والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضماير وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقد مضى هذا المعنى مستوفى وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب الاية التي نزلت عليه حسبما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة اذ قال يحلفون بالله الثانية من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت بالله او اشهدت بالله او عزمت بالله او حلفت بالله فقال في ذلك كله بالله فلا خلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه اذا قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وحكاه الكيا عن الشافعي اذا قال اشهد ونوى اليمين كان يمينا وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود وهي الثالثة او صرفوا المؤمنين عن اقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي واخذ الاموال فهو من الصد او منعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجرى عليه في الظاهر حكم الايمان انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله اعمالا قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا وهذا اعلام من الله تعالى بان المنافق كافر اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان ولا الخير وقرا زيد بن علي فطبع الله على قلوبهم قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هيئاتهم ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبي المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قيس كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة

وفي صحيح

وفي صحيح مسلم قوله تعالى كانهم خشب مسندة شبههم بخشب مسندة الى الحيطان لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطونها وقرا قنبل وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البزي وابن عازب واختاره ابو عبيدة لان واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن وليس في اللغة فعلة يجمع على فعل ويلزم من ثقلها ان تقول البدن فتقرا والبدن وذكر اليزيدي انه جمع الخشباء كقوله تعالى وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلباء وقرا الباقون بالتثقيل وهي قراءة البزي عن ابن كثير وعياش عن ابي عمرو واكثر الروايات عن عاصم واختاره ابو حاتم كانه جمع خشاب وخشب نحو ثمرة وثمار وثمر وان شئت جمعت خشبة على خشب كما قالوا بدنة وبدن وقد روي عن ابن المسيب فتح الخاء والشين في خشب قال سيبويه خشبة وخشب مثل بدنة وبدن قال وخشب ومثله بغيرها اسد واسد ووثن ووثن ويقرا خشب وهو جمع الجمع خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشيء اذا املته وسندة للتكثير اي استندوا الى الايمان لحقن دمائهم قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو اي اهل كل صيحة هم العدو فهم العدو في موضع المفعول الثاني على ان الكلام لا ضمير فيه يصفهم بالجبن والخوف قال مقاتل والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر ان انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما قال الشاعر وهو الاخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا • وقيل يحسبون كل صيحة عليهم العدو وضمير فيه لا يفتقر الى ما بعده وتقديره يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان للريبة خوفا ثم استانف الله خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح به دماءهم ويهتك به استارهم وفي هذا المعنى قال الشاعر فلو انها عصفورة لحسبتها • مسومة تدعو عبيدا وازنما • بطن من بني يربوع حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم ثم وصفهم الله بقوله هم العدو فاحذرهم وفي قوله تعالى فاحذرهم وجهان احدهما ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم الثاني فاحذر مماثلتهم لاعدائك وتخذيلهم لاصحابك قاتلهم الله اي لعنهم الله قاله ابن عباس وابو مالك وهي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لانه عدو معاند حكاه ابن عيسى انى يؤفكون اي يكذبون قاله ابن عباس قتادة معناه يعدلون عن الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وهو الصرف وانى بمعنى كيف وقد تقدم قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لما نزل القران بصفتهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رؤوسهم اي حركوها استهزاء واباء قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه وسبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق وعليها رجل يقال له الريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه مع حليف لعبد الله بن ابي يقال له سفيان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سفيان بالانصار فلطم جهجاه سفيان فقال عبد الله بن ابي وقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول

سمعن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن
ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص في قومك ومحمد صلعم في عز من الرحمن
ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
فاخبر زيد النبي صلعم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلعم قال زيد فوجدت في
نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد
الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلعم ليستغفر لك فالوى براسه فانزلت
الايات خرجه البخاري ومسلم والترمذي بمعناه وقد تقدم اول السورة وقيل ليستغفر لكم يستتيبكم
من النفاق لان التوبة الاستغفار ورايتهم يصدون وهم مستكبرون اي يعرضون عن الرسول
متكبرين عن الايمان وقرا نافع لووا بالتخفيف وشدد الباقون واختاره ابو عبيدة وقال
هو فعل الجماعة النحاس وغلط في هذا لانه نزل في عبد الله بن ابي لما قيل له تعالى يستغفر
لك رسول الله حرك راسه استهزاء فان قيل كيف اخبر عنه بفعل الجماعة قيل له العرب
تفعل هذا اذا كنيت عن الانسان وانشد سيبويه لحسان ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم
وفينا رسول عنده الوحي واضعه • وانما خاطب حسان ابن الابيرق في شيء سرقه بمكة
وقصته مشهورة وقد يجوز ان يخبر عنه ومن فعل فعله وقيل قال ابن ابي لما لوى راسه
امرتموني ان اومن فقد امنت وان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد
قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم يعني كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا
لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين وقد تقدم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين اي من سبق في علم الله
ان يموت فاسقا قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ذكرنا سبب النزول
فيما تقدم وان ابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه
ان خزائن السموات والارض ينفق كيف يشاء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزائن
السموات والارض قال الجنيد خزائن السموات الغيوب وخزائن الارض القلوب فهو عالم الغيوب
ومقلب القلوب وكان الشبلي يقول ولله خزائن السموات والارض فاين تذهبون ولكن المنافقين
لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل القايل ابن ابي كما تقدم وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث
الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلعم والبسه قميصه فنزلت هذه الاية لن يغفر
الله لهم وقد مضى بيان هذا كله في سورة براءة مستوفى وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي قال
لابيه والله الذي لا اله الا هو لا تدخل المدينة حتى تقول ان رسول الله صلعم هو الاعز وانا الاذل
فقال له ويحك وان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المؤمنين اخلاق المنافقين اي لا
تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا للشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله عن
ذكر الله اي عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر وقيل عن الصلوات الخمس
قاله الضحاك وقال الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل هو خطاب للمنافقين
اي امنتم بالقول امنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك

هم الخاسرون قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيه اربع مسايل الاولى
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت يدل على وجوب تعجيل اداء الزكاة ولا يجوز تاخيرها
اصلا وكذلك ساير العبادات اذا تعين وقتها الثانية قوله تعالى فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق سال الرجوع الى الدنيا ليعمل صالحا وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان
له مال يبلغه حج بيت ربه او تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن
عباس اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال سا تلوا عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان
ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين الى قوله والله خبير
بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مايتي فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قلت
ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسين بن الحسين في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول
الله صلعم من كان عنده مال يبلغه الحج الحديث فذكره وقد تقدم في ال عمران ان له   قال ابن العربي
اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما
وتقديرا بالمايتين واما القول في الحج ففيه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المعصية في الموت
قبل الحج خلاف بين العلماء فلا تخرج الاية عليهم وان قلنا ان الحج على الفور فالاية في العموم صحيح فان من
وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود انه رجع ليأتي بما ترك من العبادات واما تقدير الامر بالزاد
والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعد
لا يدخل في المسايل المجتهد فيها والمختلف عليها وانما يدخل في المتفق والصحيح تناوله للواجب من الانفاق
كيف تصرف بالاجماع او بنص القران لاجل ان ما عدا ذلك لا يتطرق اليه تحقيق الوعيد الثالثة قوله تعالى لولا
اي هلا يكون استفهاما وقيل الاصلة فيكون الكلام بمعنى التمني بالفاء واكون عطف على فاصدق وهي
قراءة ابي عمرو وابن محيصن ومجاهد وقرا الباقون واكن بالجزم عطفا على موضع لان قوله فاصدق
لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في قراءة من جزم
قال ابن عباس هذه الاية اشد على اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتاخير فيها احد له عند
الله خير في الاخرة قلت الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة والله خبير بما
تعملون من خير وشر وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرا ابو بكر عن عاصم والسلمي بالياء على الخبر عن
من مات وقال هذه المقالة والله اعلم سورة التغابن مدنية في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي
هي مكية ومدنية وهي ثماني عشرة اية وعن ابن عباس نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلت بالمدينة في
عوف بن مالك الاشجعي شكى الى رسول الله صلعم جفاء اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى اخر السورة وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما من مولود يولد الا في تشابيك راسه خمس ايات من فاتحة سورة التغابن بسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
تقدم في غير موضع قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس خلق بني ادم
مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيمة مؤمنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول
الله صلعم فذكر شيئا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا
ويموت مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت
كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وقال ابن مسعود قال النبي صلعم خلق الله فرعون

في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود ان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان
احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة
فيدخلها اخرجه البخاري والترمذي وليس فيه ذكر الباع وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول
الله ص قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يظهر للناس وهو من اهل النار فيما بينه وبين الله وان الرجل ليعمل
عمل اهل النار فيما بينه وبين الناس وهو من اهل الجنة قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري
ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل
في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين وقال جماعة من
اهل العلم ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا قالوا وتمام الكلام هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم
كافر ومنكم مؤمن كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم
والمشي فعلهم واختاره الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه الحديث قال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق وقد مضى في سورة الروم
ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه وقال عطا بن ابي رباح فمنكم مؤمن بالله كافر بالكوكب
كافر بالله مؤمن بالكوكب يعني في شان الانوا قال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الايمة والجمهور
من الامة ان الله خالق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له
وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه
وعلم منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلم منه لان وجود خلاف المقدور
عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر كما قال الشاعر
يا ناظرا في الدين ما الامر • لا قدر صح ولا جبر • وقال سيلان قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر
فقال امر تغالت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب ان ترد ما اشكل علينا من حكمه الى ما
سبق من علمه قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض بالحق تقدم في غير موضع اي خلقها خلقا يقينا
لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وصوركم فاحسن صوركم يعني ادم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل الثاني جميع الخلائق وقد
مضى معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل فان قيل كيف احسن صوركم قيل له جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه
صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته
ان خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم على ما ياتي بيانه ان شاء الله
تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله قوله تعالى يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم تقدم في غير موضع فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شي بذات الصدور
ذلك اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسول كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالدلايل الواضحة فقالوا ابشر
يهدوننا انكروا ان يكون الرسول من البشر وارتفع ابشر بالابتداء وقيل باضمار فعل والجمع
على معنى بشر ولهذا قال يهدوننا وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وواحده انسان لا واحد له
من لفظه وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد نحو قوله تعالى ما هذا بشرا فكفروا بهذا القول قالوه استصغارا ولم
يعلموا ان الله يبعث من يشاء الى عباده وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن المواعظة
والايمان واستغنى الله اي عن سلطانهم وعن طاعة عباده قاله مقاتل وقيل استغنى الله بما اظهره لهم

من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو الى الرشد وتهدي الى الهداية قوله تعالى زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت
في العاص بن وايل السهمي مع خباب حسب ما تقدم بيانه في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر قل يا محمد بلى
وربي لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم احياء ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير
اذ الاعادة اسهل من الابتداء قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة
والنور الذي انزلنا وهو القران وهو نور يهتدى به من ظلمة الضلالة والله بما تعملون خبير قوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فيه ثلاث مسائل الاولى قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع العامل في يوم لتنبؤن
او باضمار اذكروا والغبن النقص يقال غبنته اذا اخذ الشي عنه بدون قيمته وقراة العامة يجمعكم بالياء
لقوله والله بما تعملون خبير فاخبر وبذكر اسم الله اولا وقرا نصر وابن ابي اسحق والجحدري ويعقوب
وسلام نجمعكم بالنون اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا ويوم الجمع يوم جمع الاولين والاخرين والانس والجن
واهل السما واهل الارض وقيل يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل لانه
فيه بين كل نبي وامته وقيل لانه يجمع فيه بين ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي ذلك يوم
التغابن اي يوم القيمة قال وما ارتجي بالعيش من دار فرقة • الا انما الراحات يوم التغابن •
وسمي يوم القيمة يوم التغابن لان فيه غبن اهل الجنة اهل النار اي ان اهل الجنة اخذوا الجنة
واخذ اهل النار النار على طريق المبادلة فوقع الغبن لاجل مبادلتهم الخير بالشر والجيد بالردي والنعيم
بالعذاب يقال غابنت فلانا اذا بايعته او شاريته فكان النقص عليه والغلبة لك وكذا اهل الجنة
واهل النار على ما ياتي بيانه يقال غبنت الثوب وخبنته اذا طال عن مقدارك فخطت منه شيئا فهو
نقصان ايضا والمغابن ما انثنى من الخلق نحو الابطين والفخذين قال المفسرون فالمغبون من غبن
اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان
وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته الثانية
فان قيل فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها قيل له هو تمثيل في الشرا والبيع كما قال تعالى
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولما ذكر ان الكفار اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى
اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله سبحانه وتعالى الخلق
فرقتين فريقا في الجنة وفريقا في النار ومنازل الكل موضوعة في الجنة والنار فقد يسبق الخذلان
على العبد كما بينا في هذه السورة وغيرها فيكون من اهل النار فيحصل الموفق على منزل المخذول ومنزل
الموفق في النار فكانه وقع التبادل فحصل التغابن والامثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقران
وذلك كله مجموع من نشر الاثار وقد جاءت مفرقة في هذا الكتاب وقد يخبر عن هذا التبادل با
لوراثة كما بيناه في قد افلح المؤمنون والله اعلم وقد يقع التغابن في غير ذلك اليوم على ما ياتي
بيانه بعد ولكنه اراد بالتغابن الذي لا جبران لنهايته وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن
في ثلاثة اصناف رجل علم علما فعلمه وضيعه هو ولم يعمل به فشقي به وعمل به من تعلمه منه فنجى به
ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه
خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فيه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد
فعمل العبد بطاعة ربه وسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروي عن النبي ص انه قال ان الله تعالى
يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول تعالى لهما قولا فما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب
اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حرام وحلال وهولاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي

به فتقول المراة يا رب وما عسى ان اقول اكتسبه حلالا واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك
فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات
الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن الثالثة قال ابن العربي
استدل علماؤنا بقوله ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملة الدنيوية لان الله تعالى خص
التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في بيع فانه مردود ان زاد على
الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم لحبان ابن منقذ اذا بايعت
فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا وهذا فيه نظر طويل بيناه في نكتة ان الغبن في الدنيا ممنوع باجماع
في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لاحد
فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه حتى اذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب
الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل في الشرع معلوم فقدر علماؤنا الثلث لهذا الحد اذ راوه في
الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا ذلك يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن
الذي لا يستدرك ابدا لان تغابن الدنيا يستدرك بوجهين اما برد في بعض الاحوال واما بربح في بيع اخر وسلعة
اخرى فاما من خسر الجنة فلا درك له ابدا وقد قال بعض علماء الصوفية ان الله كتب الغبن على الخلق اجمعين
فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب وفي الاثر قال
النبي لا يلقى الله احد الا نادما ان كان محسنا ان لم يزدد وان كان مسيئا ان لم يزدد قوله تعالى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء قوله
تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لما ذكر ما للمؤمنين
ذكر ما للكافرين كما تقدم في غير موضع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضائه وقال
الفرا الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله
عن المصائب في الدنيا فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضي هما او يوجب
عقابا عاجلا او اجلا فبعلم الله وقضائه قوله تعالى ومن يؤمن بالله اي يصدق ويعلم انه لا يصيبه
مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضى وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الحيري من صح ايمانه
يهدي الله قلبه لاتباع السنة وقيل من يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
قاله ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل
الثواب في الجنة وقراءة العامة يهد بفتح الياء وكسر الدال وقرا السلمي وقتادة يهد قلبه بضم الياء وفتح
الدال على الفعل المجهول ورفع الباء لانه اسم فعل لم يسم فاعله وقرا طلحة بن مصرف والاعرج نهد بنون
على التعظيم قلبه بالنصب وقرا عكرمة يهدا قلبه بهمزة ساكنة ورفع الباء اي يسكن ويطمئن وقرا
مثله مالك بن دينار الا انه لين الهمزة والله بكل شي عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد وسلم لامره ولا كراهة
من كرهه قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله
واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا التبليغ الله
لا اله الا هو لا معبود سواه ولا خالق غيره فعليه توكلوا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى النبي جفاء اهله وولده فنزلت ذكره
النحاس وحكاه الطبري عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الايات يا ايها

الذين امنوا

الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية كلها بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي وبقيتها
الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى عن ابن عباس وساله رجل عن هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي
فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي فلما اتوا النبي راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان
يعاقبوهم فانزل الله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية هذا حديث حسن صحيح
الثانية قال القاضي ابو بكر ابن العربي هذا يبين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته انما يكون
عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد والطاعة
وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال
له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك
اهلك ومالك فخالفه ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم
مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما بالوسوسة
والثاني بان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا
لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان للدنيا عبدا وفي
صحيح الحديث بيان ادنى من ذلك في حال العبد قال النبي تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار
والدرهم ولا همة اخس من همة ترتفع بثوب جديد الثالثة كما ان الرجل يكون له ولده وزوجه عدوا كذلك
المراة يكون لها زوجها وولدها عدوا بهذا المعنى بعينه وعموم الاية الرابعة في قوله تعالى فاحذروهم
معناه على انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين اما لضرر في البدن واما لضرر في الدين وضرر البدن
يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله سبحانه العبد من ذلك وانذره به الخامسة قوله تعالى
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم روى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي فيقول له اهله
اين تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن هذا الامر فلافعلن
فانزل الله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في قوله يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم قال ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم لهم
على ان اخذوا الحرام فاعطوهم اياه والاية عامة في كل معصية لله وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وقال القتيبي فتنة اي اغرام يقال
فتن الرجل بالمراة اي شغف بها وقيل فتنة محنة ومنه قول الشاعر لقد فتن الناس في دينهم
وخلى ابن عفان شرا طويلا وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة انه ليس احد منكم
يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن
وقال الحسن في قوله من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما
اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذي وغيره عن
عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده
اجر عظيم يعني الجنة ولا اجر اعظم منها في قول المفسرين وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك

فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدًا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا ربنا واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدًا وقد تقدم ولا اشك في ان الرضا غاية الامال وانشد الصوفية في تحقيق ذلك ما امتحن الله بر خلقه النار والجنة في قبضته * فهجره اعظم من ناره * ووصله اطيب من جنته قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ذهب جماعة من اهل التاويل الى ان هذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته منهم قتادة والربيع ابن انس والسدي وابن زيد ذكره الطبري وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال انا ابن وهب قال ابن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا ويبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقيل هي محكمة لا نسخ فيها قال ابن عباس قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده ولا ياخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابائهم وقد تقدم الثانية فان قيل فان كانت هذه الاية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز الامر باتقاء الله حق تقاته والامر باتقائه ما استطعنا والامر باتقائه حق التقاة ايجاب القران بغير خصوص ولا وصل بشرط والامر باتقائه ما استطعنا امر باتقائه موصولا بشرط قيل له قوله فاتقوا الله ما استطعتم بمعزل مما دل عليه قوله اتقوا الله حق تقاته وانما عنى فاتقوا الله ما استطعتم اتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان تفتنكم وتصرفكم عن الواجب عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة ما استطعتم بمعنى وانتم للهجرة مستطيعون وذلك ان الله جل ثناؤه قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم واخبر انه قد عفا عمن لم يستطع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ومما يدل على صحة هذا ان قوله فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الاية ولا خلاف بين السلف من اهل العلم بتاويل القران ان هذه الاية نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك حسبما تقدم وهذا كله اختيار الطبري وقيل فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله اتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فانزل الله تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قاله ابن جبير قال الماوردي ويحتمل ان لم يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها قوله تعالى واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا اليه ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما امركم او نهاكم قال قتادة عليهما بويع النبي ص على السمع والطاعة وقيل واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فايدته قلت وقد تغلغل في هذه الاية الحجاج حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا هي لعبد الملك بن مروان امين الله وخليفته في ارضه ليس فيها مثنوية والله لو امرت رجلا ان يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحل لي دمه وكذب في تاويلها بل هي للنبي ص اولا ثم لاولي الامر من بعده دليله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الرابعة قوله تعالى وانفقوا قيل هي الزكاة وقيل النفقة في النفل

وقال الضحاك

وقال الضحاك هو النفقة في الجهاد وقال الحسن هو نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قايل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقة على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وكلما يفعل الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة وروي عن النبي ص انه قال له رجل عندي دينار قال انفقه على نفسك قال عندي اخر قال انفقه على عيالك قال عندي اخر قال انفقه على ولدك قال عندي اخر قال تصدق به فبدا بالنفس ثم الاهل والولد وجعل الصدقة بعد ذلك وهو الاصل في الشرع الخامسة قوله تعالى خيرا لانفسكم نصب بفعل مضمر عند سيبويه دل عليه وانفقوا كانه قال ايتوا في الانفاق خيرا لانفسكم وقدموا خيرا لانفسكم وهو عند ابي عبيدة خبر كان مضمرة اي يكن خيرا لانفسكم من اموالكم ومن جعل الخير المال فهو منصوب بانفقوا قوله تعالى ومن يوق شح نفسه تقدم الكلام فيه وكذا ان تقرضوا الله قرضا حسنا تقدم الكلام فيه ايضا في البقرة وسورة الحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى الشكور في البقرة والحليم الذي لا يعجل قوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وحضر العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات الافعال ومنه قوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من القاهر المحكم خالق الاشياء قال الخطابي وقد يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعدله شيء وانه لا مثل له والله اعلم الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة اية وقيل اثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فيه اربع عشرة مسألة الاولى قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الخطاب للنبي ص خوطب بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما وفي سنن ابن ماجه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله ص طلق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها وروى قتادة عن انس قال طلق رسول الله ص حفصة فاتت اهلها فانزل الله تعالى عليه يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي زاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله ص على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت الاية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حائضا تطليقة واحدة فامره رسول الله ص بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر فاذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وقيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد ابن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا وقد قيل انه خطاب للنبي ص والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كما قال اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة تقديره يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمؤمنين واذا اراد الله بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله يا ايها النبي فاذا كان الخطاب له باللفظ والمعنى جميعا قال يا ايها الرسول قلت ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية ففي كتاب ابي داود انها طلقت على عهد النبي ص

ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله حين طلقت اسما بالعدة للطلاق فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق
وقيل المراد به نداء النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما ثم ابتدا فقال اذا طلقتم النساء كقوله يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر الاية فذكر المؤمنين على معنى تقديمهم وتكريمهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر الاية **الثانية**
روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق الا فاسق ولا استحلف به الا منافق اسند جميعه الثعلبي
في كتابه وروى الدارقطني قال حدثنا ابو العباس محمد بن موسى بن علي الدولابي ويعقوب بن ابرهيم
قالا حدثنا الحسين بن عرفة قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن حميد بن مالك اللخمي عن مكحول عن
معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله على وجه الارض شيئا احب اليه من العتاق
ولا خلق الله شيئا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شاء الله فهو حر
ولا استثناء له واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناؤه ولا طلاق عليه حدثنا محمد
ابن موسى بن علي قال حدثنا حميد بن الربيع قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا لو كان حميد
ابن مالك معروفا قلت هو جدي قال يزيد سررتني الان صار حديثا حدثنا عثمان بن احمد
الدقاق قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال حدثنا عمرو بن ابرهيم بن خالد قال حدثنا حميد بن مالك اللخمي
قال حدثنا مكحول عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيئا ابغض
اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله استثناؤه قال ابن المنذر اختلفوا في الاستثناء في الطلاق
والعتق فقالت طائفة ذلك جائز وروي هذا القول عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي واصحاب
الراي ولا يجوز الاستثناء في الطلاق في قول مالك والاوزاعي وهذا قول قتادة في الطلاق خاصة
قال ابن المنذر وبالقول الاول نقول **الثالثة** روى الدارقطني من حديث عبد الرزاق اخبرني عمي وهب
ابن نافع قال سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس يقول الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان
ووجهان حرامان فاما الحلالان فان يطلقها طاهرا عن غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا
حملها واما الحرام فان يطلقها وهي حائض او يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد
ام لا **الرابعة** قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن في كتاب ابي داود عن اسماء بنت يزيد بن السكن
الانصارية انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله سبحانه حين طلقت اسما
بالعدة للطلاق فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق وقد تقدم **الخامسة** قوله لعدتهن يقتضي
انهن اللاتي دخل بهن من الازواج لان غير المدخول بها خرجت بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها **السادسة** من طلق
في طهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه واصاب السنة وان طلقها حائضا نفذ طلاقه واخطا السنة
واليه ذهب الشيعة وفي الصحيحين واللفظ للدارقطني عن عبد الله بن عمر قال طلقت امراتي
وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها فان بدا له ان يطلقها فليطلقها
طاهرا من حيضتها قبل ان يمسها فذلك الطلاق للعدة كما امر الله كان عبد الله بن عمر طلقها
تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي واحدة وهذا نص وهو يرد على الشيعة قولهم **السابعة** عن عبد الله

ابن مسعود

ابن مسعود قال طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة التي امر الله
بها رواه الدارقطني عن الاعمش عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال علماؤنا طلاق السنة
ما جمع شروطا سبعة وهو ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا تقدمه
طلاق في حيض ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث
ابن عمر المتقدم وقال الشافعي طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة وقال الشعبي يجوز ان يطلقها
في طهر جامعها فيه فعلماؤنا قالوا يطلقها واحدة في طهر لم يمس فيه ولا تبعه طلاق في عدة ولا يكون
الطهر تاليا لحيض وقع فيه الطلاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شاء امسك وان شاء طلق فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وتعلق الامام الشافعي بظاهر
قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وهذا عام في كل طلاق كان واحدة او اثنتين او اكثر وانما راعى الله سبحانه الزمان في هذه
الاية ولم يعتبر العدد وكذلك حديث ابن عمر لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد قال ابن العربي وهذه غفلة عن الصحيح
فانه قال مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت
منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سواء وهو مذهب الشافعي
لولا قوله بعد ذلك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الاية كما قالوا وكذلك
الحديث فسرها كما قلنا واما قول الشعبي يجوز ان يطلقها في طهر جامعها فيه فيرده حديث ابن عمر بنصه ومعناه
اما نصه فقد قدمناه واما معناه فلانه اذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به فالطهر المجامع فيه
اولى بالمنع لانه يسقط الاعتداد به مخافة شغل الرحم وبالحيض التالي له **قلت** وقد احتج الشافعي في طلاق
الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدارقطني عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه ان عبد الرحمن بن عوف طلق
امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فلم يبلغنا ان احدا من اصحابه عاب
ذلك وحدثنا سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
تطليقات في كلمة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه واحتج ايضا بحديث عويمر العجلاني
لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد انفصل علماؤنا عن هذا احسن انفصال بيناه
في غير هذا الموضع وقد ذكرناه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس وعن سعيد بن المسيب وجماعة من
التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاثا لم يقع وشبهوه بمن وكل بطلاق فخالف **الثامنة**
قال الجرجاني اللام في قوله تعالى لعدتهن بمعنى في كقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر فقوله لعدتهن اي في
عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع وفي الطهر ماذون فيه ففيه
دليل على ان القرء هو الطهر وقد مضى القول فيه في البقرة **فان قيل** معنى فطلقوهن لعدتهن اي في قبول عدتهن او لقبول
عدتهن وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر في صحيح مسلم وغيره فقبل العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض **قيل له**
هذا هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله على ان الاقراء هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تبعه لوجب ان
يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل وايضا اقبال الحيض يكون بدخول
الحيض وبانقضاء الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشيء ادبار ضده لكان الصائم مفطرا قبل مغيب الشمس
اذ الليل يكون مقبلا في ادبار النهار قبل انقضاء الليل ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء ولان بعض
القرء يسمى قرءا لقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوالا وذا القعدة وبعض ذي الحجة لقوله تعالى فمن تعجل في
يومين وهو منعجل في بعض اليوم الثاني وقد مضى هذا كله في البقرة مستوفى **التاسعة** قوله تعالى واحصوا العدة
يعني في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها وله ان يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة ويكون بعدها كاحد
الخطاب ولا تحل له في الثلاث الا بعد زوج **العاشرة** قوله تعالى واحصوا العدة معناه احفظوها اي احفظوا

الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى اذا انفصل المشروط منه وهو الثلاثة قروء في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء حلت للازواج وهذا يدل على ان العدة هي الاطهار وليست بالحيض ويؤيده وتفسيره قراءة النبي
صلعم لقبل عدتهن وقبل الشيء بعضه لغة وحقيقة بخلاف استقباله فانه يكون غيره الحادية عشر من المخاطب
بامر الاحصاء وفيه ثلاثة اقوال احدها انهم الازواج الثاني انهم الزوجات الثالث انهم المسلمون ابن العربي والصحيح
ان المخاطب بهذا الامر الازواج لان الضماير كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد فرجع
الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق بالزوج لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او ليقطع او ليسكن
او يخرج او ليلحق وينقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة دونه بغير ذلك وكذلك
الحاكم يفتقر الى الاحصاء للعدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه فوايد الاحصاء
المامور بها الثانية عشر قوله تعالى واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه ولا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج
ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان
خرجت اثمت ولا تنقطع العدة والرجعية والمبتوتة في هذا سواء وهذا لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة
البيوت اليهن كقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقوله وقرن في بيوتكن فهو اضافة
اسكان وليس اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج ويقتضي قوله ولا يخرجن
انه حق على الزوجات وفي صحيح الحديث عن جابر بن عبد الله قال طلقت خالتي فارادت ان تجد نخلها فزجرها رجل
ان تخرج فاتت النبي صلعم فقال بلى فجدي نخلك فانك عسى ان تصدقي او تفعلي معروفا اخرجه مسلم ففي هذا
الحديث دليل لمالك والشافعي وابن حنبل والليث على قولهم ان المعتدة تخرج بالنهار في حوايجها وانما تلزم منزلها
بالليل وسوا عند مالك كانت رجعية او باينة وقال الشافعي في الرجعية لا تخرج ليلا ولا نهارا وانما تخرج نهارا
المبتوتة وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها واما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا والحديث يرد
عليه وفي الصحيحين ان ابا حفص بن عمرو خرج مع علي بن ابي طالب الى   فارسل الى امراته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت
بقيت من طلاقها وامر لها الحارث بن هشام وعياش بن ربيعة بنفقته فقالا لها والله ما لك من نفقة الا
ان تكوني حاملا فاتت النبي صلعم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك فاستاذنته في الانتقال فاذن لها فقالت
اين يا رسول الله فقال الى ابن ام مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلما مضت عدتها انكحها النبي صلعم اسامة
ابن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذويب يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع بهذا الحديث الا من
امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القران قال
الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث وكيف تقولون
لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا وتحبسونها لفظ مسلم فبين ان الاية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعية
ولذلك استدلت فاطمة بان الاية التي تليها انما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها بصدد ان
يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما الباين فليس له شيء
من ذلك فيجوز لها ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة وخافت دعوة سترها كما اباح لها النبي صلعم ذلك وفي
مسلم قالت فاطمة يا رسول الله زوجي طلقني ثلاثا واخاف ان يقتحم علي قال فامرها فتحولت وفي البخاري عن
عايشة انها كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها فلذلك ارخص النبي صلعم لها وهذا كله يرد على الكوفي وفي
حديث فاطمة ان زوجها ارسل اليها بتطليقة كانت بقيت من طلاقها فهو حجة لمالك وحجة على الشافعي وهو
اصح من حديث سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امراته ثلاث تطليقات في كلمة على ما
تقدم الثالثة عشر قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد
هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا والشافعي انه البذاء على احمائها فيحل لهم اخراجها وروى

عن سعيد بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمائها بلسانها فامرها عليه السلام ان
تنتقل وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن ام
مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم ويقوى هذا ان محمد بن ابرهيم بن الحرث روى ان عايشة
قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فانك تعلمين لم اخرجت وعن ابن عباس ايضا الفاحشة كل معصية كالزنا
والسرقة والبذاء على الاهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر ايضا والسدي الفاحشة خروجها من بيتها في العدة
وتقدير الاية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق لو خرجت كانت عاصية وقال
قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته قال ابن العربي اما من قال انه الزنا فلا
وجه له لان ذلك الخروج للقتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام واما من قال انه البذاء فهو
مفسر في حديث فاطمة بنت قيس واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح
الاخراج ولا الخروج واما من قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا
يخرجن شرعا الا ان يخرجن تعديا الرابعة عشر قوله وتلك حدود الله اي هذه الاحكام التي بينها احكام الله
على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوز فقد ظلم نفسه واوردها الهلاك لا تدري لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا الامر الذي يحدث بعد ذلك ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها
ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى
القول التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على
الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد الى الرجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة
من غير خلاف قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء العدة لقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فامسكوهن اي قربن انقضاء الاجل فامسكوهن بمعروف اعني المراجعة بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد
للمضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن
انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضاء العدة اذا ادعت ذلك على ما
بيناه في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الاية قوله تعالى واشهدوا ذوي
عدل منكم فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى واشهدوا امر بالاشهاد على الطلاق فان راجع من غير اشهاد
ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب
اليه عند ابي حنيفة كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة
وفايدة الاشهاد في الرجعة مندوب لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولا يموت احدهما فيدعي
الباقي ثبوت الزوجية ليرث الثانية الاشهاد عند اكثر العلماء على الرجعة ندب واذا جامع او قبل او باشر
يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة
قالوا والنظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقد قيل وطيه مراجعة
على كل حال نواها او لم ينوها وروي ذلك عن طايفة من اصحاب مالك واليه ذهب الليث وكان مالك يقول اذا
وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود لوطيها حتى يستبريها من مايه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة
الاولى وليس له رجعة في هذا الاستبراء الثالثة اوجب الاشهاد في الرجعة احمد بن حنبل في احد قوليه
وكذلك الشافعي لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول
فلم تفتقر الى الاشهاد كساير الحقوق وخصوصا على الظاهر بالكفارة قال ابن العربي وركب اصحاب الشافعي على وجوب
الاشهاد في الرجعة انه لا يصح ان يقول كنت راجعتها امس وانا اشهد اليوم على الاقرار بالرجعة ومن شرط الرجعة الاشهاد
فلا يصح دونه وهذا فاسد مبني على ان الاشهاد في الرجعة سنة ونحن لا نسلم فيها ولا في النكاح بان يقول انه

موضوع للتوثق وذلك موجود في الاقرار كما هو موجود في الاشهاد **الرابعة** من ادعى بعد انقضاء العدة انه راجع امراته في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضر جهلها بذلك وكانت زوجته وان كانت تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتان احداهما ان الاول احق بها والاخرى ان الثاني احق بها فان كان الثاني دخل بها فلا سبيل للاول عليها **الخامسة** قوله تعالى ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي مذكر ولذلك قال علماؤنا لا مدخل للنساء فيما عدا الاموال وقد مضى ذلك في سورة البقرة **السادسة** قوله واقيموا الشهادة لله اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير وقد مضى في سورة البقرة معناه عند قوله واقوم للشهادة **قوله تعالى** ذلكم يوعظ به اي يرضى به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فاما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه المواعظ **قوله تعالى** ومن يتق الله يجعل له مخرجا عن النبي صلعم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله ابو صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله في الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقال عمر بن عثمان الصدفي ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو وقال ابن عيينة هو البركة في الرزق وقال ابو سعيد الخدري ومن يبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ بها الناس لكفتهم ثم تلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اتى الى النبي صلعم فقال يا رسول الله ان ابني اسره العدو وجزعت الام وعن جابر بن عبد الله نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلعم يشكو اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال عليه السلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى المدينة وقال لامراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلعم تلك الاغنام له في رواية انه جاء وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا قال الكلبي اصاب خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال النبي صلعم ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فروى الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلعم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها اي اتقى وآثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلعم قال من اكثر

الاستغفار

الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب **قوله تعالى** ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل ان الله بالغ امره قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه فيكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقراءة العامة بالغ منونا امره نصبا وقرا عاصم بالغ امره بالاضافة وحذف التنوين استخفافا وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال وقرا داود بن ابي هند بالغ امره بالتنوين ورفع الراء اي امره بالغ وقيل امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد قد جعل الله لكل شيء قدرا اي لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلعم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله تعالى قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان **قوله تعالى** واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فيه سبع مسائل **الاولى** قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لما بين امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم وقال ابو عثمان عمرو بن سالم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان نساء يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيه شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي يئسن الاية قال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن المحيض وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية والله اعلم وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة **الثانية** قوله تعالى ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد اذ يكون شكا ويقينا كالظن واختار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها القشيري وفي هذا نظر لانا اذا شككنا هل بلغت سن الياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سن الياس في قول اقصى عادة في العالم وفي قول غالب نساء عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني ان لم تعلموا عدة اليائسة التي لم تحض فالعدة هذه وقيل المعنى ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة وهو اصح ما قيل فيه **الثالثة** المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما ترفعها انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة فان طلقها فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع عنها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للازواج وهذا قاله الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تمكث الحرة المتوفى عنها زوجها المسترابة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي عن الشافعي ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى تبلغ من الايسات وهو قول النخعي والثوري وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق فان كانت المراة

شابة وهي المسئلة الرابعة استوفت بها هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فوضعه وان لم يستبن فقال مالك
عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال احمد واسحق ورووه عن عمر بن الخطاب وغيره واهل العراق يرون
ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان مكثت عشرين سنة الا ان تبلغ من الكبر
مبلغا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي
وعليه جمهور العلماء وروي ذلك عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة
اشهر والمرتابة ليست ايسة الخامسة واما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن اصبغ تعتد
بتسعة اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته
وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي
وزيد فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته واعتدت عدة
الوفاة السادسة ولو تاخر الحيض بغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر ثم ثلاثة
على ما ذكرنا فتحل ما لم تحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة او سبعة على اختلاف الروايات عند
علمائنا ومشهورها خمسة اعوام فان تجاوزت تحللت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى ينقطع عنها الريبة قال ابن
العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك
وقد روي عن مالك مثله السابعة واما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة اقوال قال ابن المسيب
تعتد سنة وهو قول الليث عدة المطلقة المتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة وهو مشهور قول
علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في ذلك كله عند مالك
في تحصيل مذهبه سنة منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة
اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين من القرويين ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة
اذا كانت دمها ينفصل فعلمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت ثلاثة قروء وهذا اصح في النظر واثبت في القياس
والاثر قوله تعالى واللائي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر
لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات فهي تعتد بالاشهر فاذا رأت الدم في زمن
احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل فاذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا
اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فيه
مسئلتان الاولى قوله واولات الاحمال اجلهن وضع الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها
رجع الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث سبيعة وقد مضى في البقرة القول فيه
مستوفى الثانية اذا وضعت المرأة ما وضعت من مضغة او علقة حلت وقال الشافعي وابو حنيفة لا تحل
الا بما يكون ولدا وقد مضى القول فيه في سورة البقرة وسورة الرعد والحمد لله قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له من امره يسرا في توفيقه للطاعات ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم
ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سيئاته من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له اجرا اي في الاخرة
قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم قال اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل
لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قول الله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم
يعني المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة
لانها باينة منه والنفقة والمسكن حتى تنقضي عدتها فاما من لم تبن منهن فانهن نساؤهم يتوارثون ولا
يخرجن الا ان ياذن لهن ازواجهن ما كن في عدتهن ولم يؤمروا بالسكنى لهن لان ذلك لازم لازواجهن مع نفقتهن
وكسوتهن حوامل كن او غير حوامل وانما امر الله بالسكنى للاتي بن من ازواجهن قال الله تعالى وان كن اولات

حمل

حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل للحوامل اللائي قد بن من ازواجهن السكنى والنفقة
ابن العربي وبسط ذلك وتحقيقه ان الله سبحانه لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها
بالحمل فدل على ان المطلقة البائن لا نفقة لها وهي مسئلة عظيمة قد مهدنا اصلها قرآنا وسنة ومعنى في مسائل الخلاف
وهذا ماخذها من القرآن قلت اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي
ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى على حديث فاطمة بنت قيس
قالت دخلت على رسول الله ص ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وهذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا
نفقة قال بل لك السكنى ولك النفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي ص انما النفقة والسكنى على
من له عليها الرجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان اصحاب عبد الله
يقولون ان لها السكنى والنفقة خرجه الدارقطني ولفظ مسلم عنها انه طلقها زوجها في عهد النبي ص
وكان انفق عليها نفقة دونا فلما رات ذلك قالت والله لاعلمن رسول الله ص فان كان لي نفقة
اخذت الذي يصلحني وان لم يكن لي نفقة لم اخذ شيئا قالت فذكرت ذلك لرسول الله ص فقال لا نفقة
لك ولا سكنى وذكر الدارقطني عن الاسود قال قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس لا نجيز في المسلمين
قول امراة وكان يجعل للمطلقة ثلاثا السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد
فقال الشعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس عن رسول الله ص قلت ما احسن هذا وقد
قال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى
اسكنوهن راجع على ما قبله وهي المطلقة الرجعية والله اعلم ولان السكنى تابع للنفقة وجارية
مجراها فلما لم تجب للمبتوتة نفقة لم تجب لها سكنى وحجة ابي حنيفة ان للمبتوتة النفقة قوله تعالى
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وترك النفقة من اكبر الاضرار وفي انكار عثمان على فاطمة قولها
ما يبين هذا ولانها معتدة تستحق السكنى عن طلاق فكانت لها النفقة كالرجعية ولانها محبوسة
عليه لحقه فاستحقت النفقة كالزوجة ودليل مالك قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن الاية
على ما تقدم بيانه وقد قيل ان الله ذكر المطلقة الرجعية واحكامها اول الاية الى قوله ذوي عدل
منكم ثم ذكر بعد ذلك حكما يعم المطلقات كلهن من تعديد الاشهر وغير ذلك وهو عام في كل مطلقة فرجع
ما بعد ذلك من الاحكام الى كل مطلقة الثانية قوله تعالى من وجدكم اي من سعتكم يقال وجدت في المال
اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والمقدرة وقراءة العامة بضم الواو وقرا الاعرج والزهري بفتحها ويعقوب
بكسرها وكلها لغات فيها الثالثة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في المسكن مقاتل
في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي من عدتها يومان راجعها ثم طلقها
الرابعة قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة
والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل منهن حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال
علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان والضحاك ينفق عليها
من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه
لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة بيانه قوله تعالى فان ارضعن لكم يعني المطلقات اولادكم
منهن فعلى الاباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا
يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهما ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول
في الرضاع في البقرة مستوفى قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف هو خطاب للازواج والزوجات اي وليقبل
بعضكم من بعض ما امر به من المعروف الجميل والجميل منها ارضاع الولد من غير اجرة والجميل منه توفير الاجرة

عليها اللا ارضاع وقال ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده **الثالثة** قوله تعالى وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي الام رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها ويستاجر مرضعا غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وهو خبر في معنى الامر وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر لولده اخرى فان لم يقبل اجبرت على الرضاع بالاجر وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه رضاع الولد على ثلثة اقوال قال علماؤنا رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ في ماله الثاني قال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال الثالث يجب عليها في كل **قوله تعالى** فان طلقها فلا يلزمها ارضاعه الا ان يكون غير قابل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا في الاجر فان دعت الى اجر مثلها وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعا وان دعى الاب الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها اخذت جبرا برضاع ولدها **قوله تعالى** لينفق ذو سعة من سعته فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى لينفق اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما اذا كان موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد وعلى مجرى العادة فينظر المفتي الى قدر حاجة المنفق عليه ثم ينظر الى حالة المنفق عليها ردها الى قدر احتماله وقال الشافعي رضي الله عنه واصحابه النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد لحاكم ولا لمفت فيها وتقديرها هي بحال الزوج وحده من يسره وعسره ولا يعتبر بحالها وكفايتها قالوا فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فان كان الزوج موسرا لزمه مدان وان كان متوسطا فمد ونصف وان كان معسرا فمد واستدلوا بقوله لينفق ذو سعة من سعته الاية فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر دونها لان الاعتبار بكفايتها لا سبيل الا العلم به للحاكم ولا لغيره فيؤدي الى الخصومة لان يدعي انها تلتمس فوق كفايتها وهي تزعم ان الذي يطلب قدر كفايتها فجعلناها مقدرة قطعا للخصومة والاصل في هذا عندهم قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته كما ذكرنا وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والجواب ان هذه الاية لا تعطي اكثر من فرق بين الغني والفقير وانها تختلف بيسر الزوج وعسره وهذا مسلم فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة على وجه فليس فيه وقد قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ان يكون كفاية تعلق المعروف في حقها لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان تكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال ابي سفيان الواجب عليه بطلبها ولم يقل لها لا اعتبار بكفايتك وان الواجب لك شيء مقدر بل ردها الى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج الى توقيف والاية لا تقتضيه **الثانية** روي ان عمر رضي الله عنه فرض للمنفوس مائة درهم وفرض له عثمان خمسين درهما ابن العربي واحتمل ان يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين او بحسب عادة القدر في التسعير لثمن القوت والملبس وقد روى محمد بن هلال المزني قال حدثني ابي وجدي انها كانت ترد على عثمان ففقدها فقال لاهله ما لي لا ارى فلانة فقالت امراته يا امير المؤمنين ولدت الليلة فبعث اليها بخمسين درهما وشقيقة سنبلانية ثم قال هذا عطاء ابنك وهذه كسوته فاذا مرت له سنة رفعناه الى مائة وقد اتي علي رحمه الله بمنبوذ ففرض له مائة قال ابن العربي هذا الفرض قبل الفطام مما اختلف فيه العلماء فمنهم من رآه مستحبا لانه داخل في حكم ابويه ومنهم من رآه واجبا لما تجدد من حاجته

وعرض من

وعرض من مؤنته وبرا فيه لكن يختلف قدره بحاله عند الولادة وبحاله عند الفطام وقد روى سفيان بن وهب ان عمر اخذ المدي بيد والقسط بيد فقال اني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة وقسطي خل وقسطي زيت زاد غيره وقال انا اخرجنا لكم اعطاياكم وارزاقكم في كل شهر فمن انتقصها فعل الله به كذا فدعا عليه فقال ابو الدرداء اكم سنة واشدد عمر رضي الله عنه في امة محمد والمد والقسط كيلان شاميان في الطعام والادام وقد درسا بعرف اخر فاما المد فدرس الى الكيلجة واما القسط فدرس الى الكيل ولكن التقدير فيه عندنا ربعان في الطعام وثمنان في الادام واما الكسوة فبقدر العادة قميص وسراويل وجبة في الشتاء وكساء وازار وحصير وهذا الاصل ويزيد بحسب الاحوال والعادة **الثالثة** هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز يقول انها على الابوين على قدر الميراث ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المرأة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك ولدك انفق علي الى من تكلني فقد تعاضد القرآن والسنة وتواردا في شرعة واحدة **الرابعة** قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اي لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الضيق سعة **قوله تعالى** وكاين من قرية لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وقد مضى القول في كاين في آل عمران والحمد لله عتت عن امر ربها اي عصت يعني القرية والمراد اهلها فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وقد مضى في سورة الكهف فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا والاخرة بجهنم وجيء بلفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كاين فكان قد فاتقوا الله يا اولي الالباب اي العقول الذين آمنوا بدل من اولي الالباب او نعت لهم اي يا اولي الالباب الذين آمنتم بالله اتقوا الله الذي انزل عليكم القرآن خافوه واعملوا بطاعته وانتهوا عن معاصيه وقد تقدم رسولا قال الزجاج انزال الذكر دليل على اضمار ارسل اي انزل اليكم قرآنا وارسل رسولا وقيل ان المعنى قد انزل عليكم صاحب ذكر رسولا مرسلا نعت للذكر على تقدير حذف المضاف وقيل ان رسولا معمول للذكر لانه مصدر والتقدير قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ويجوز ان يكون رسولا بدلا من ذكر على ان يكون رسولا بمعنى رسالة او على ان يكون على بابه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر الله لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو ويجوز ان ينتصب رسولا على الاغراء كانه قال اتبعوا رسولا وقيل الذكر هنا الشرف نحو قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان جميعا منزلين يتلوا عليكم آيات الله نعت لرسول وآيات الله القرآن مبينات قراءة العامة بفتح الياء اي بينها الله وقرا ابن عامر وحفص والكسائي بكسرها اي تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام والاولى قراءة ابن عباس واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله قد بينا لكم الآيات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي من سبق له ذلك في علم الله من الظلمات اي من الكفر الى النور اي الهدى والايمان قال ابن عباس نزلت في مؤمني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان يحصل منه بطاعته **قوله تعالى** ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء قد احسن الله له رزقا اي وسع الله له في الجنات **قوله تعالى** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن دل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف

في السموات انها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الاسرا وغيره ثم قال ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن على قولين احدهما وهو قول الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والسما وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات والاول اصح لان الاخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما وقد مضى ذلك مبينا في البقرة وقد خرج ابو نعيم قال حدثنا محمد بن علي بن حبيش قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق السراج وحدثنا ابو محمد بن حيان قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا حفص بن ميسرة عن موسى حدثنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدخل قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها قال ابو نعيم هذا حديث ثابت من حديث موسى بن عقبة تفرد به عن عطا روى عنه ابن ابي الدنيا وغيره في صحيح مسلم قال سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيمة الى سبع ارضين ومثله حديث عايشة وابين منهما حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حق الا طوقه الله الى سبع ارضين يوم القيمة قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين بعضها فوق بعض تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والقول الثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وهذا قول من جعل الارض كالاكرة وفي الاية قول ثالث حكاه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار ويظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان يقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام عند امكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا والله اعلم ما استاثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه ثم قال يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل ارضين وارض والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فيكون بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر القضا والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هنا يكون المراد بقوله بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهياتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها لتعلموا ان الله على كل شي قدير يعني ان من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام امكن واذا استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله قد احاط بكل شي علما ختمت السورة بحمد **سورة التحريم مدنية في قول الجميع وهي اثنتا عشرة اية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم** بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك** فيه خمس مسائل **الاولى** قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطات انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزلت

لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وعنها ايضا قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة منه اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه يقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحلة العرفط وساقول له ذلك وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذا الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها العسل حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطا ابن ابي مسلم ابن العربي وهذا كله جهل وتصور بغير علم فقال باقي نسائه وغيره لمن شرب ذلك عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير فعلة او صمغة متغيرة الرايحة فيها حلاوة واحدها مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيب او يجدها ويكره الريح الخبيث لمناجاة الملك فهذا قول وقول اخر انه اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها لاجل ازواجه قاله ابن عباس وعكرمة والمراة ام شريك وقول ثالث انه حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحق هي من كورة انصنا من بلد يقال لها حفن فواقعها في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها في بيتي ما فعلت هذا دون نسائك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعايشة فهي علي حرام ان قربتها قالت حفصة كيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعايشة فالى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة وانزل الله عز وجل لم تحرم ما احل الله لك الاية **الثانية** اصح هذه الاقوال اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم للموهوبة ليس تحريما لها لان من رد ما وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية القبطية فهو امثل في السند واقرب الى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح وروي مرسلا وقد روى ابن وهب عن مالك عن زيد بن اسلم قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم فقال انت علي حرام والله لا اتيتك فانزل الله عز وجل في ذلك يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك وروى مثله ابن القاسم عنه وروى اشهب عن مالك قال راجعت عمر امراة له من الانصار في شي فاقشعر من ذلك وقال ما كان النساء هكذا قالت بلى وقد كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه فاخذ ثوبه فخرج الى حفصة فقال لها اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم ولو اعلم انك تكره ما فعلت فلما بلغ عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر نساءه قال رغم انف حفصة وانما الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عايشة وحفصة فيه وجرى ما جرى فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية **الثالثة** قوله تعالى لم تحرم كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام شيئا حاشا الزوجة وقال ابو حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا فوجبت الكفارة وقال زفر يمين في الكل حتى في الحركة والسكون وعول المخالف على ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقد قال تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا ودليلنا قول الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله

لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم الله المحرم للحلال ولم يوجب
عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فلم ينو
طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والاما فعليه
كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيئا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك ويجب بذلك
كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة **الرابعة** واختلف العلماء في الرجل يقول لزوجته انت علي حرام
على ثمانية عشر قولا احدها لا شي عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ وهو عندهم
كتحريم الماء والطعام قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات
ومما احل الله وقال تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وما لم يحرمه الله فليس
لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلعم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع
منه فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها انها يمين
يكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعايشة رضي الله عنهم والاوزاعي
وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل عليه امراته فانما هي يمين يكفرها وقال
ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلعم كان حرم جاريته فقال الله تعالى لم تحرم
ما احل الله لك الى قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر عن يمينه وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني
وثالثها انها تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي
في احد قوليه وفي هذا القول نظر والاية ترده على ما ياتي ورابعها هي ظهار ففيها كفارة قاله عثمان واحمد
ابن حنبل واسحق وخامسها انه ان نوى الظهار وهو ينوي انها محرمة كتحريم ظهر امه كان ظهارا وان نوى
تحريم عينها عليه بغير طلاق تحريما مطلقا وجب كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي
وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة وابن الماجشون وسابعها
انها طلقة باينة قاله حماد بن ابي سليمان وزيد بن ثابت ورواه ابن خويزمنداد عن مالك وثامنها انها ثلاث تطليقات
قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة وتاسعها هي في المدخول بها ثلاث وينوي في غير المدخول
بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل
وان لم يدخل قاله عبد الملك في المبسوط وبه قال ابن ابي ليلى وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي
التي دخل بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق او الظهار كان ما نوى فان
نوى الطلاق فواحدة باينة الا ان ينوي ثلاثا فان نوى ثنتين فواحدة وان لم ينو شيئا كانت واحدة وكان الرجل
موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه وثالث عشرها
انه لا ينفعه نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القاسم ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها
لم يجز له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة فهي
رجعية وهو قول الشافعي وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين وسادس عشرها ان نوى
ثلاثا فثلاث وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهو يمين وان لم ينو شيئا فلا شي عليه وهو قول
سفيان وبمثله قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم ينو شيئا فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون
اقل من واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو شيئا لم يكن شيئا قاله ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر
ان عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا يبعد في المقالات عندي **قلت** قد ذكره
الدارقطني في سننه عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن اسماعيل قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا روح
قال حدثنا سفيان الثوري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت

امراتي

امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات
عتق رقبة وقد قال جماعة من اهل التفسير انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى
الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره **الخامسة** قال علماونا سبب الاختلاف في هذا الباب انه ليس في كتاب الله
ولا في سنة رسول الله صلعم نص ولا ظاهر صحيح يعتمد عليه في هذه المسئلة فتجاذبها العلماء لذلك فمن تمسك بالبراءة
الاصلية قال لا يلزمه بها شي ومن قال انها يمين فقال سماها الله يمينا ومن قال تجب فيها كفارة وليست
بيمين فبناه على احد امرين احدهما انه ظن ان الله اوجب الكفارة فيها ولم تكن يمينا والثاني ان معنى اليمين التحريم
عنده فوقعت الكفارة على المعنى ومن قال انها طلقة رجعية فانه حمل اللفظ على اقل وجوهه والرجعية تحرمه
الوطء وكذلك وجه من قال فيجعل اللفظ عليه وهو يلزم مالك لقوله ان الرجعية محرمة الوطء وكذلك وجه
من قال انها ثلث حمله على اكثر معناه وهو الطلاق الثلاث ومن قال انه طلقة باينة فعول على ان الطلاق
الرجعي لا يحرم المطلقة وان الطلاق البائن يحرمها واما قول يحيى بن عمر فانه احتاط بان جعله طلاقا فلما
ارتجعها احتاط بان يلزمه الكفارة ابن العربي فهذا لا يصح فانه جمع بين المتضادين فانه لا يجتمع ظهار و
طلاق في معنى لفظ واحد فلا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه في الدليل واما من قال انه ينوي في التي لم
يدخل بها فلان الواحدة تبينها وتحرمها شرعا اجماعا وكذلك قال من لم يحكم باعتبار نيته ان الواحدة تكفي
قبل الدخول في التحريم بالاجماع فيكفي اخذا بالاقل المتفق عليه ومن قال انه ثلاث فيهما فلانه اخذ بالحكم الاعظم
فانه لو صرح بالثلاث لنفذت في التي لم يدخل بها نفوذها في التي دخل بها ومن الواجب ان يكون المعنى
مثله وهو التحريم والله اعلم وهذا كله في الزوجة واما في الامة فلا يلزم فيها شي من ذلك الا ان نوى
به العتق عند مالك وذهب عامة العلماء الى ان عليه كفارة يمين ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة
لانه لو ذكر الطلاق كان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده كذلك اذا ذكر التحريم يكون اقله الا ان يقيده
بالاكثر مثل ان يقول انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص على المراد **قلت** اكثر المفسرين ان الاية نزلت في
حفصة لما خلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها بجاريته ذكره الثعلبي وعلى هذا فكانه قال لا يحرم
عليك ما حرمته ولكن عليك كفارة يمين وان كان في تحريم العسل والجارية ايضا فكانه قال لا يحرم عليك
ما حرمته ولكن ضممته الى التحريم يمينا فكفر عن اليمين وهذا صحيح فان النبي صلعم حرم ثم حلف كما ذكره
الدارقطني وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن عبيد بن عمير عن عايشة قالت كان رسول الله صلعم
يشرب عند زينب ويمكث عندها فتواطات انا وحفصة على ايتنا دخل عليها فلتقل له اكلت مغافير
اني لاجد منك ريح مغافير قال لا ولكن شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت لا تخبري احدا تبتغي مرضات ازواجك
فيعني بقوله ولن اعود له على جهة التحريم وبقوله حلفت اي بالله بدليل ان الله تعالى انزل عليه عند ذلك
معاتبته على ذلك وحوالته على كفارة اليمين بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل المحرم بقوله
لن اعود له تبتغي مرضات ازواجك اي تفعل ذلك طلبا لمرضاتهن والله غفور رحيم غفور لما اوجب المعاتبة
رحيم برفع المواخذة وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغاير والصحيح انه معاتبة على ترك الاولى وانه لم يكن له
صغيرة ولا كبيرة **قوله تعالى** قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه ثلث مسائل **الاولى** قوله تعالى قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم تحليل اليمين كفارتها اي اذا احببتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة المائدة
فكفارته اطعام عشرة مساكين ويتحصل من هذا ان من حرم شيئا من الماكول والمشروب لم يحرم عليه عندنا
لان الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه وابو حنيفة يراه يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما
يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او على زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية
وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا فان قال نويت

الكذب فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في ما يطأ الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب
اذا لم ينو ولا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عندنا
على ما تقدم بيانه فان حلف ان لا ياكل حنث وبرا بالكفارة الثانية فان حرم امته او زوجته كما في صحيح
مسلم عن ابن عباس قال اذا حرم الرجل عليه امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
الثالثة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وعن الحسن لم يكفر لان النبي صم قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر به الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي صم ثم ان الامة تقتدى
به في ذلك وقد قدمنا عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق وعن مقاتل ان رسول الله صم اعتق رقبة
في تحريم مارية والله اعلم وقيل قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فبين في قوله ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له اي فيما شرع له في النساء المحللات اي حلل لكم تمليك الايمان فلم تحرم مارية على نفسك
مع تحليل الله اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثناء اي فرض الله لكم الاستثناء المخرج عن اليمين ثم
عند قوم يجوز الاستثناء من اليمين متى شاء وان تخلل مدة وعند المعظم لا يجوز الا متصلا فكانه قال استثن
بعد هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة تحلة فادغمت وتفعلة من مصادر فعل كالتوصية
والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف
ما حرم على نفسه اي اذا كفر صار كمن لم يحلف والله مولاكم وليكم وناصركم بازالة المحظور فيما تحرمونه
على انفسكم وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة والثواب على ما تخرجونه في الكفارة قوله تعالى واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه حديثا اي ما ذكرنا اسر يت الى حفصة حديثا يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه
اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقاله ابن عباس
قال اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة روى الدارقطني في سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صم مع ام ابرهيم
فقال لا تخبري عايشة قال فانطلقت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض
عن بعض قال اعرض عن قوله ان اباك وابا ها يكونان بعدي كره رسول الله صم ان ينشر ذلك في الناس فلما
نبات به اي خبرت به عايشة لمصافات كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على نساء النبي صم واظهره
الله عليه اي اطلعه الله على انها قد نبات به وقرا طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان انباء
ونباء ومعنى عرف بعضه واعرض عن بعض تكرما قاله السدي وقال الحسن ما استقصى كريم قط
قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو
حديث ام ولده ولم يخبرها ببعض وهو قول حفصة لعايشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده وقراءة
العامة عرف مشددا ومعناه ما ذكرناه واختاره ابو عبيد وابو حاتم ثم يدل عليه قوله تعالى
واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة لقال في ضده وانكر بعضا وقرا علي وطلحة بن
مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والاعمش عن ابي بكر عرف مخففة
قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرا عليه الرجل عرف مشددا حصبه بالحجارة قال الفرا وتاويل
قوله عز وجل عرف بعضه بالتخفيف اي غضب فيه وجازى عليه وهو كقولك لمن اسا اليك
لاعرفن لك ما فعلت اي لاجازينك عليه وجازاها النبي صم بان طلقها طلقة واحدة فقال عمر لو كان
في الخطاب لما كان رسول الله صم طلقك فامر جبريل بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صم
نساءه شهرا وقعد في مشربة ام ابرهيم حتى نزلت اية التخيير على ما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى
قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها فلما نباها به

اخبر حفصة

اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت له من انباك هذا يا رسول الله عني فظنت ان عايشة اخبرته
فقال عليه السلام نباني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء وهنا سد مسد مفعولي انباء ونباء الاول
تعدى الى مفعول ونباء الثاني يعدى الى مفعول واحد لان نباء وانباء اذا لم يدخلا على المبتدا والخبر
جازان يكتفى فيهما بمفعول واحد وبمفعولين ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثالث لان
الثالث هو خبر المبتدا في الاصل فلا يقتصر دونه كما لا يقتصر على المبتدا دون الخبر قوله تعالى
ان تتوبا الى الله يعني حفصة وعايشة حضهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة
رسول الله صم فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبتا ما كره النبي صم من اجتناب
مارية واجتناب العسل وكان عليه السلام يحب العسل والنساء قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما
ان يحبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صم وقيل قد مالت قلوبكما الى التوبة وقال فقد صغت
قلوبكما ولم يقل فقد صغا قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل
وقد مضى هذا المعنى في سورة المائدة في قوله تعالى فاقطعوا ايديهما وقيل كلما ثبتت الاضافة فيه مع
التثنية فالجمع اليق به لانه امكن واخف وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء للشرط لان هذا الصغو
كان سابقا فجواب الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما قوله تعالى
وان تظاهرا عليه اي تتظاهرا وتتعاونا على النبي صم بالمعصية والايذاء وفي صحيح مسلم عن
ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله هيبة
له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت
حتى فرغ ثم سرت معه فلما رجع قلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صم من ازواجه
فقال تلك حفصة وعايشة قال فقلت والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع
هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث فان
الله هو مولاه اي وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وجبريل وصالح المؤمنين قال سعيد بن
جبير وعكرمة ابو بكر وعمر لانهما ابوا عايشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما وقيل صالح المؤمنين
علي رضي الله عنه وقيل خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله الطبري
وقيل صالح المؤمنين هم الانبياء قاله العلا بن زياد وقتادة وسفيان وقال ابن زيد هم الملائكة السدي
هم اصحاب محمد صم فاضاف الصالحين الى المؤمنين وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لما اعتزل رسول الله صم نساءه وذلك قبل ان يؤمر بالحجاب قال عمر فقلت لاعلمن ذلك اليوم
فدخلت على عايشة فقلت يا ابنة ابي بكر اقد بلغ من شانك ان تؤذي رسول الله صم فقالت ما لي وما لك
يا ابن الخطاب عليك نفسك قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت يا حفصة اقد بلغ من شانك ان
تؤذي رسول الله صم والله لقد علمت ان رسول الله صم لا يحبك ولولا انا لطلقك رسول الله فبكت اشد البكا
فقلت لها اين رسول الله صم قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله صم
قاعد على اسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله صم وينحدر فناديت
يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله صم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيئا ثم رفعت صوتي
فقلت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله صم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيئا ثم رفعت
صوتي فقلت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله صم فاني اظن ان رسول الله صم ظن اني جئت من
اجل حفصة والله لو امرني رسول الله بضرب عنقها لاضربن عنقها ورفعت صوتي فاومى الي ان ارقه فدخلت
على رسول الله صم فاذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثله قرظا في ناحية الغرفة واذا افيق معلق

قال فابتدرت عيناي قال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا رسول الله ما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك
وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى وقيصر وكسرى في الثمار والانهار وانت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك
فقال يا ابن الخطاب الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قلت بلى يا رسول الله قال ودخلت عليه حين دخلت
وانا لا ارى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما شق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك
وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الا ان يكون الله عز
وجل ان يصدق قولي وانزلت هذه الاية اية التخيير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وكانت عايشة بنت ابي بكر وحفصة
بنت عمر تظاهران على سائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت
المسجد والمسلمون ينكتون الحصا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فانزل اخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم
ان شئت فلم ازل احدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر وضحك وكان من احسن الناس ثغرا ثم نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونزلت انا اتشبث بالجذع ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما يمشي على الارض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله انما كنت في
الغرفة تسعا وعشرين قال ان الشهر تسعا وعشرين فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا ممن استنبط ذلك الامر وانزل الله اية التخيير قوله تعالى
وجبريل فيه لغتان تقدمت في سورة البقرة ويجوز ان يكون معطوفا على مولاه والمعنى الله وليه وجبريل
وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المؤمنين مبتدا والملائكة معطوفا عليه والخبر
ظهير وهو بمعنى الجمع وصالح المؤمنين ابو بكر قاله المسيب بن شريك وقال سعيد بن جبير عمر وقال عكرمة ابو بكر
وعمر وروى سفيان عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
قال ان صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هو علي عن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المؤمنين
علي بن ابي طالب وقيل غير ذلك مما تقدم القول فيه ويجوز ان يكون وجبريل مبتدا وما بعده معطوفا عليه والخبر
ظهير وهو بمعنى الجمع ايضا فيوقف على هذا على مولاه ويجوز ان يكون جبريل وصالح المؤمنين معطوفا على مولاه
فيوقف على المؤمنين وتكون الملائكة بعد ذلك ظهير ابتداء وخبر ومعنى ظهير اعوان وهو بمعنى ظهراء كقوله
تعالى وحسن اولئك رفيقا وقال ابو علي قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسال حميم حميما يبصرونهم وقيل كان
التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا آلى منهن شهرا واعتزلهن وفي صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر
فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا نساؤه حوله يسالونه قال فقال لاقولن
شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة
يجا عنقها كلاهما يقول تسالين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا
وعشرين نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث وقد ذكرناه
في الاحزاب قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن وقد تقدم في الصحيح ان هذه الاية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه
ثم قيل كل عسى في القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم
يطلقهن ان يبدله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله معناه السدي
وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الدنيا خيرا منهن وقرئ ان يبدله
بالتشديد والتخفيف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال والله كان عليما بانه لا يطلقهن ولكن

اجزى عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
مسلمات مؤمنات مخلصات قاله سعيد بن جبير وقيل معناه مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله صلى الله عليه وسلم مؤمنات مصدقات
بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات والقنوت الطاعة وقد تقدم تائبات اي من ذنوبهن قاله السدي
وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس
كل عبادة في القران فهو التوحيد سائحات صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه
عبد الرحمن ويمان مهاجرات قال زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان
في الارض وقال الفراء والقتبي وغيرهما سمي الصايم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام
وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب وقد مضى في سورة براءة والحمد لله ثيبات وابكارا
اي منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت الثيب ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل
لانها ثابت الى بيت ابويها وهذا اصح لانه ليس كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذراء سميت بكرا لانها
على اول حالتها التي خلقت بها وقال الكلبي اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران
قلت وهذا يمشي على قول من يقول ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا زوجه في الاخرة خيرا
منهن والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فيه مسالة واحدة وهي الامر بوقاية
الانسان نفسه واهله النار وقال الضحاك معناه قوا انفسكم واهلوكم فليقوا اهليكم فليقوا انفسهم نارا وروى
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم وقال علي وقتادة ومجاهد
رضي الله عنهم قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه العطف
الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا وكقوله
ورايت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي
للرعية وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو
مسؤول عنهم وعن هذا عبر الحسن في هذه الاية بقوله يامرهم وينهاهم وقال بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد
لان الولد بعض منه كما دخل في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم فلم يفردوا بالذكر افراد سائر القرابات
فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام الى غير ذلك من الاثام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد
ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقد
روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا
بينهم في المضاجع خرجه جماعة من اهل الحديث وهذا لفظ ابي داود وخرج ايضا عن سمرة بن جندب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين واذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها وكذلك يخبر اهله
بوقت الصلاة ووجوب الصيام ووجوب الفطر اذا وجب مستندا في ذلك الى رؤية الهلال وقد روى مسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوتر يقول قومي فاوتري يا عايشة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرا قام من الليل فصلى
فايقظ اهله فان لم تقم رش على وجهها بالماء ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها وان لم
يقم رشت على وجهه الماء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ايقظوا صواحب الحجر ويدخل هذا في عموم قوله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وذكر القشيري ان عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية قلت يا رسول الله نقي
انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله عنه وتامرونهم بما امر الله وقال مقاتل ذلك حق عليه في
نفسه واهله وولده وعبيده وامائه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه
من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ونحو قوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين

وفي الحديث مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع وقودها الناس والحجارة تقدم في سورة البقرة القول فيه عليها ملائكة
غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق
كما حبب لبني ادم اكل الطعام والشراب شداد الابدان وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان
شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل اراد بالغلاظ ضخامة اجسامهم وبالشدة القوة قال
ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين
الف انسان في قعر جهنم وذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلعم في خزنة جهنم ما
بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفونه في امره من زيادة او
نقصان ويفعلون ما يؤمرون في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله يستحيل
التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق في ان الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق
الملائكة ولله ان يفعل ما يشاء قوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم فان عذركم لا ينفع وهذا
النهي لتحقيق الياس انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا
هم يستعتبون وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا فيه مسئلتان الاولى
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحيان وكل الازمان وقد تقدم
بيانها والقول فيها في النساء وغيرها توبة نصوحا اختلف عبارات العلماء وارباب القلوب في التوبة النصوح على
ثلاثة وعشرين قولا فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع وروي عن عمر وابن مسعود وابي
ابن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ الى النبي صلعم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل
الخالصة يقال نصح اي اخلص له القول وقال الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره
وقيل هي التي لا يوثق بقبولها ويكون على وجل منها وقيل هي التي لا يحتاج معها الى توبة وقال الكلبي التوبة النصوح
الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان على انه لا يعود وقال سعيد بن جبير هي التوبة
المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط خوف ان لا يقبل ورجاء ان تقبل وادمان الطاعة وقال سعيد
ابن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم وقال القرطبي يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان
واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وقال سفيان الثوري علامة التوبة النصوح اربعة القلة والعلة
والذلة والغربة وقال الفضيل بن عياض هو ان يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كانه ينظر اليه ونحوه عن السماك
ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك وقال ابو بكر الوراق هو ان تضيق
عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو بكر الواسطي هي توبة لا لنفل عوض
لان من اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حفظ نفسه لا لله وقال ابو بكر
الدقاق المصري التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات وقال رويم هو ان تكون لله وجها
بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه وقال ذو النون علامة التوبة النصوح ثلاثة قلة الكلام وقلة
الطعام وقلة المنام وقال شقيق هو ان يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من افاتها بالسلامة
وقال سري السقطي لا تصلح التوبة النصوح الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس
مثله وقال الجنيد التوبة النصوح ان ينسى الذنب فلا يذكره ابدا لان من صحت توبته صار محبا لله ومن احب الله
نسي ما دون الله وقال ابو الاديان هو ان يكون دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال فتح الموصلي علامتها ثلاث
مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظما وقال سهل بن عبد الله التستري هي التوبة لاهل السنة والجماعة
لان المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلى الله عليه وسلم حجب الله كل صاحب بدعة ان يتوب وعن حذيفة بحسب الرجل
من الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه واصل التوبة النصوح من الخلوص يقال هذا عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل

هي

هي ماخوذة من النصاحة وهي الخياطة وفي اخذها منها وجهان احدهما لانها توبة قد احكمت طاعته واوثقتها
كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه الثاني لانها قد جمعت بينه وبين اولياء الله والصقته بهم كما يجمع الخياط
الثوب ويلصق بعضه ببعض وقرا العامة نصوحا بفتح النون على نعت التوبة مثل امراة صبور اي توبة بالغة في
النصح وقرا الحسن وخارجة وابو بكر عن عاصم بالضم وتاويله على هذه القراءة توبة نصح لانفسكم ويجوز ان يكون
نصوحا جمع نصح وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة ونصوحا وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر نحو الذهاب
والذهوب وقال المبرد اراد توبة ذات نصح يقال نصحت نصحا ونصاحة ونصوحا الثانية في الاشياء التي يتاب
منها وكيف التوبة منها قال العلماء الذنب الذي يكون منه التوبة لا يخلو اما ان يكون حقا لله او للادميين فان
كان حقا لله كترك صلاة فان التوبة لا تصح حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها وهكذا ان كان ترك صوم
او تفريطا في الزكاة وان كان قتل نفس بغير حق فان يمكن من القصاص ان كان عليه وكان مطلوبا به فان عفي
عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يؤديه ان
كان واجدا له قال الله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان قد قذفا
يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد ان كان مطلوبا به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص
وان كان ذلك حدا من حدود الله كائنا ما كان فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص
الله على سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم وفي ذلك دليل على انها لا تسقط عنهم اذا تابوا
بعد القدرة عليهم حسب ما تقدم بيانه وكذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك
منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركوا وهم في هذه الحالة كا
المحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده لصاحبه
والخروج عنه عينا كان او غيره ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا عليه فالعزم ان يؤديه اذا قدر في
اعجل وقت واسرعه وان كان اضر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشعر به ولا يدري من اين اتي
فانه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يساله ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه وان ارسل
من يسال ذلك له فعفى ذلك المظلوم عن ظالمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اساء رجل
الى رجل بان فزعه بغير حق او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوط فالمه ثم جاءه مستعفيا
نادما على ما كان منه عازما على ان لا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفى عنه سقط ذلك
الذنب عنه وهكذا ان كان شانه بشتم لا حد فيه قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم عسى من الله
واجبة وهو معنى قوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وان في موضع نصب قوله تعالى
ويدخلكم معطوف على يكفر وقرا ابن ابي عبلة ويدخلكم مجزوما عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا
يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي العامل في يوم يدخلكم
او فعل مضمر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب الذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم تقدم في سورة الحديد يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير قال ابن عباس
ومجاهد وغيرهما هذا دعاء المؤمنين حين اطفا الله نور المنافقين واغلظ عليهم فيه مسئلة واحدة وهو التشديد
في دين الله فامره ان يجاهد الكفار بالسيف والموعظة الحسنة والدعاء الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة
الحجة وان يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المؤمنين وقال الحسن اي جاهدهم
باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود تقام عليهم وماواهم جهنم راجع
الى الصنفين وبئس المصير اي المرجع قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة لوط ضرب الله هذا المثل تنبيها
على انه لا يغني احد في الاخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين وكان اسم امراة نوح والهة واسم امراة

لوط والعة قاله مقاتل وقال الضحاك عن عايشة رضي الله عنها ان جبريل نزل على النبي صلعم فاخبره ان اسم
امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فخانتاهما قال عكرمة والضحاك
بالكفر وقال سليمان بن رقية عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تخبر
باضيافه وعنهما ما بغت امراة نبي قط وهذا اجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري انما كانت خيانتهما في الدين
وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحى اليهما شيئا افشتاه الى المشركين قاله
الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزل ضيف دخنت لتعلم قومها انه نزل به ضيف لما كانوا عليه من
ارتكاب الرجال فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما لما
عصيتا شيئا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة ويقال ان كفار مكة
استهزؤوا وقالوا ان محمد يشفع لنا فبين الله تعالى ان شفاعته لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء كما
لا تنفع شفاعة نوح لامراته وشفاعة لوط لامراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل يجوز ان تكون امراة
نوح بدلا من قوله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين
امنوا امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل
ضربه الله يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلعم ثم ضرب لهما مثلا بامراة
فرعون ومريم ابنت عمران ترغيبا لهما في التمسك بالطاعة والثبات على الدين وقيل هذا حث للمؤمنين
على الصبر في الشدة اي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت على اذى فرعون
وكانت اسية امنت بموسى وقيل هي عمت موسى امنت به قال ابو العالية اطلع فرعون على ايمان امراته
فخرج على الملا فقال لهم ما تعلمون من اسية ابنة مزاحم فاثنوا عليها فقال انها تعبد ربا غيري فقالوا
اقتلها فاوتد لها اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فقال فرعون الا
تعجبوا من جنونها انا نعذبها وهي تضحك فقبض روحها وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان النهدي
كانت تعذب بالشمس فاذا هاجرت الشمس اظلتها الملائكة باجنحتها وقيل سمر يديها ورجليها في الشمس
ووضع على ظهرها رحى فاطلعها الله حين رات مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة رات بيتا وقيل انه من درة وعن الحسن ولما قالت ونجني نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة
فهي تاكل وتشرب وتتنعم ومعنى من فرعون وعمله يعني بالعمل الكفر ويقال من عمله من عذابه وظلمه
وشماتته وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر مقاتل القبط قال الحسن وابن
كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب قوله تعالى ومريم ابنت عمران اي واذكر
مريم وقيل هو معطوف على امراة المعنى وضرب الله مثلا لمريم ابنت عمران وصبرها على اذى اليهود التي
احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال المفسرون انه اراد بالفرج هنا الجيب لانه قال فنفخنا فيه من روحنا وجبريل
عليه السلام انما نفخ في جيبها ولم ينفخ في فرجها وهي قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق في
الثوب يسمى فرجا ومنه قوله وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها
ومعنى فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى وقد مضى في اخر
سورة النساء بيانه مستوفى والحمد لله وصدقت بكلمات ربها قراءة العامة وصدقت بالتشديد وقرا
حميد والاموي وصدقت بالتخفيف بكلمات ربها فقال جبريل لها انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل
يعني بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى كلمة الله وقد تقدم وقرا الحسن وابو العالية بكلمة ربها وكتابه
وقرا ابو عمرو وحفص عن عاصم وكتبه جمعا عن ابي رجا وكتبه مخفف التاء والباقون بكتابه على التوحيد
والكتاب يراد به الجنس ويكون في معنى كل كتاب انزل الله وكانت من القانتين اي من المطيعين وقيل

من المصلين بين المغرب والعشاء ولعله قيل من القانتات لانه اراد وكانت من القوم القانتين ويجوز ان يرجع
هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله وعن معاذ بن جبل ان النبي صلعم قال لخديجة وهي تجود بنفسها
اتكرهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم
ابنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثم او قال حليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالرفا والبنين
يا رسول الله وروى قتادة عن انس عن النبي صلعم قال حسبك من نساء العالمين مريم ابنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون بنت مزاحم وقد مضى في ال عمران الكلام في هذا
مستوفى والحمد لله **تفسير سورة الملك مكية في قول الجميع وتسمى الواقية والمنجية وهي ثلاثون اية**
روى الترمذي عن ابن عباس قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلعم خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا
قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلعم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب
انه قبر فاذا قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلعم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب
القبر قال حديث حسن غريب وعنه قال قال رسول الله صلعم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية
شفعت في رجل حتى اخرجته من النار يوم القيمة وادخلته الجنة وهي سورة تبارك خرجه الترمذي
بمعناه وقال فيه حديث حسن وقال ابن مسعود اذا وضع الميت في قبره فيوتى من قبل رجليه فيقال
ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ثم يوتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس
لكم عليه سبيل انه كان يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك
من قراها في ليلة فقد اكثر واطنب وروي ان من قراها كل ليلة لم يضره الفتان **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدايم
الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه والذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال
ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع وقال محمد بن اسحق
له ملك النبوة التي اعز بها من اتبعه وذل بها من خالفه وهو على كل شي قدير من انعام وانتقام **قوله تعالى**
الذي خلق الموت والحيوة فيه مسالتان **الاولى** قوله الذي خلق الموت والحيوة قيل المعنى خلقكم للموت
والحيوة يعني للموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما
قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشياء في الابتداء كانت
في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلعم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت
وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الاخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن ابي الدردا ان النبي صلعم قال لولا
ثلاث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب **الثانية** الموت والحيوة قدم
الموت على الحياة لانه اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه وقدم لانه فيما يرجع الى الغرض
المسوق له الاية اهم اسم الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن
ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار والحياة عكس ذلك وحكي عن ابن عباس والكلبي
ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على
صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار دون
البغل لا تمر بشي يجد ريحها الا حيي ولا تخطو على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاها على
العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي **قلت** وفي التنزيل
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ثم توفته رسلنا ثم قال الله يتوفى
الانفس حين موتها فالوسايط ملايكة مكرمون صلوات الله عليهم وهو سبحانه المميت على الحقيقة انما التنزيل

الموت بالكبش في الآخرة قد يذبح على الصراط حسبما ورد به الخبر الصحيح وما ذكر عن ابن عباس يحتاج الى خبر صحيح يقطع العذر والله اعلم وعن مقاتل ايضا خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قلت وهذا قول حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وتقدم الكلام فيه في سورة الكهف وقال السدي في قوله الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واكثر استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلى النبي صلعم تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل معنى ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر اي ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزا وخلق الحيوة للابتلاء فاللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحيوة لا بخلق الموت ذكره الزجاج وقال الفرا والزجاج ايضا لم تقع البلوى على اي لان فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايهم رفع بالابتداء واحسن خبره ومعنى ليبلوكم فينظر او فيعلم احسن عملا وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب اليه قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا اي بعضها فوق بعض والملتزق منها اطرافها كذا روى عن ابن عباس وطباقا نعت لسبع فهو وصف بالمصدر وقيل مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة او على طوبقة طباقا وقال سيبويه نصب لانه مفعول قلت فيكون خلق بمعنى جعل وصير وطباق جمع طبق مثل جمل وجمال وقيل جمع طبقة وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات طباق بالخفض على النعت لسموات ونظيره سبع سنبلات خضر ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قراه حمزة والكسائي من تفوت بغير الف مشددة وهي قراءة ابن مسعود واصحابه الباقون من تفاوت بالف وهما لغتان مثل التعاهد والتعهد والتحامل والتحمل والتظهر والتظاهر وتصاعر وتصعر وتضاعف وتضعف وتباعد وتبعد كله بمعنى واختار ابو عبيد من تفوت واحتج بحديث عبد الرحمن بن ابي بكر يتفوت عليه في بناته النحاس وهذا امر مردود على ابي عبيد لان يتفوت يفتات بهم وتفاوت في الاية اشبه كما يقال تباين يقال تفاوت الامر اذا تباين وتباعد اي فات بعضها بعضا الا ترى ان قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والمعنى ما ترى في خلق السموات من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صوره وصفاته وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت شي شيئا فيقع الخلل لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال ابو عبيدة يقال تفوت الشي اي فات ثم امر بان ينظر في خلقه ليعتبروا به فيتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد طرفك الى السماء ويقال قلب البصر في السماء ويقال اجهد بالنظر الى السماء والمعنى متقارب وانما قال فارجع البصر بالفاء وليس قبله فعل مذكور لانه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة والفطور الشقوق عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل السدي من خروق ابن عباس من وهن واصله من التفطر والانفطار وهو الانشقاق قال الشاعر بنى لكم بلا عمد سماء • وزينها فما فيها فطور • وقال اخر شققت القلب ثم ذررت فيه • هواك فليم فالتام الفطور • تغلغل حيث لم يبلغ شراب • ولا سكر ولم يبلغ سرور • ثم ارجع البصر كرتين كرتين في موضع المصدر لان معناه رجعتين اي مرة بعد اخرى وانما امر بالنظر مرتين لان الانسان اذا نظر الى الشي مرة لا يرى عيبه ما لم ينظر اليه مرة اخرى فاخبر تعالى انه وان نظر الى السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها فذلك قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا اي خاشعا صاغرا متباعدا من ان يرى شيئا من ذلك يقال خسأت الكلب اي ابعدته وطردته وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا

يتعدى

ولا يتعدى وانخسأ الكلب ايضا وخسأ بصره خسأ وخسوءا اي سدر ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وقال ابن عباس الخاسئ الذي يرى ما يهوى وهو حسير اي قد بلغ الغاية في الاعياء فهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعياء ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشيء وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر من مد طرفا الى ما فوق غايته • ارتد خساء ومنه الطرف قد حسرا • يقال قد حسر بصره يحسر حسورا اي كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال نظرت اليها بالمحصب من منى • فعاد الي الطرف وهو حسير • وقال يصف ناقة فشطرها نظر العينين محسور نصب شطرها على الظرف اي نحوها وقال اخر والخيل شعث ما تزال جيادها • حسرى تغادر بالطريق سخالها • وقيل انه النادم ومنه قول الشاعر ما انا اليوم على شي خلا • يا ابنة القين تولى بحسر • والمراد بكرتين هاهنا التكثير والدليل على ذلك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وذلك دليل على كثرة النظر قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمى الكوكب مصباحا لاضاءته وجعلناها رجوما اي جعلنا شهبها فحذف المضاف دليله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها وقيل ان الضمير راجع الى المصابيح على ان الرجم من انفس الكواكب ولا يسقط الكوكب نفسه انما ينفصل منه شي يرجم به من غير ان ينقص ضوءه ولا صورته قاله ابو علي جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من الهوى الذي هو موضع الكواكب القشيري وامثل من قول ابي علي هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا ويتخذون النجوم علة واعتدنا لهم عذاب السعير اي اعتدنا للشياطين اشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير قوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف وقيل الشهيق من الكفار عند القائهم في النار قاله عطا والشهيق في الصدور والزفير وقد مضى في سورة هود وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان تركتم قدركم لا شي فيها • وقدر القوم حامية تفور • وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم على المرجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان يفور غيظا قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ تتقطع وينفصل بعضها من بعض قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من شدة الغيظ من الغليان واصل تميز تتميز كلما القي فيها فوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها على جهة التوبيخ والتقريع الم ياتكم نذير اي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا قالوا بلى قد جاءنا نذير انذرنا وخوفنا فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع من النذر اي الرسل ما جاؤا به او نعقل عنهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله او كنا نسمع سماع من يعي ويفكر او نعقل عقل من يميز وينظر ودل هذا على ان الكافر لم يعط من العقل شيئا وقد مضى في الطور بيانه ما كنا في اصحاب السعير يعني ما كنا من اهل النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلعم انه قال لقد ندم الفاجر يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فقال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم اي بتكذيبهم الرسل والذنب هنا بمعنى الجمع لان فيه معنى الفعل يقال خرج عطاء الناس اي اعطيتهم فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرا الكسائي وابو جعفر فسحقا بضم الحاء ورويت عن علي الباقون باسكانها وهما لغتان مثل السحت والرعب الزجاج

وهو منصوب على المصدر اي اسحقهم الله سحقا اي باعدهم بعدا قال امرؤ القيس يجول باطراف البلاد مغربا • وتسحقه
ريح الصبا كل مسحق • وقال ابو علي القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل وان اهلك فذلك كان تدبيري
اي تدبيري وقيل ان قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير من قول خزنة جهنم لاهلها قوله تعالى ان الذين يخشون
ربهم بالغيب نظيره من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه الذي هو بالغيب وهو
عذاب الله يوم القيمة لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر
والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلعم او جهرتم به انه عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر
ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا
قولكم يعني في محمد وقيل في سائر الاقوال واجهروا به اعلنوه انه عليم بذات الصدور ذات الصدور ما فيها كما يسمى
ولد المراة وهو جنين ذا بطنها ثم قال الا يعلم من خلق يعني الا يعلم السر من خلق يقول انا خلقت السر في القلب
افلا اكون عالما بما في قلوب العباد وقال اهل المعاني ان شئت جعلت من اسما للخالق عز وجل ويكون المعنى
الا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته اسما للمخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق
عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينا رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى ان
الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات
ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقايق الصفات ومنها الشهيد ويختص
بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه انه لا يغيب عنه شي ومنها الحافظ ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل
ضوء النور واشتداد الرياح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اخبر الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي
يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي سهلة تستقرون
عليها والذلول المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي جعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة
والغلظة وقيل اي ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت تتكفا متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل
اشار الى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار فامشوا في مناكبها هو امر اباحة وفيه
اظهار الامتنان وقيل هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس
وقتادة وبشير بن كعب في مناكبها في جبالها وروي ان بشير ابن كعب كان على سرية فقال لها ان اخبرتيني مناكب
الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدردا فقال دع ما يريبك
الى ما لا يريبك مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها قاله السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكب
الرجل جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكبا الرجل والريح النكباء وتنكب فلان عن فلان يقول امشوا حيث اردتم
فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابي الجلد ان الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فللسودان اثنا
عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب الف وكلوا من رزقه اي مما احله لكم قاله الحسن
وقيل مما انبته لكم واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي خلق السماء لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر
على ان يرزقكم قوله تعالى ءامنتم من في السماء قال ابن عباس ءامنتم عذاب من في السماء ان عصيتموه وقيل تقديره
ءامنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته وخص السماء وان عم ملكه تنبيها على ان الاله الذي تنفذ
قدرته في السماء لا ما تعظمونه في الارض وقيل هو اشارة الى الملائكة وقيل الى جبريل وهو الملك الموكل قلت
ويحتمل ان يكون المعنى ءامنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور اي تذهب
وتجيء والمور الاضطراب بالذهاب والمجيء قال الشاعر رمين فاقصدن القلوب ولن ترى • دما مائرا الا جرى في
الحيازم • جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقال المحققون

امنتم

امنتم من فوق السماء لقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من
على السماء كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق
والحجاز اي واليها واميرها والاخبار في هذا الباب صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد
او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات
والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الى السما لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل
القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة
قبلة للصلاة ولانه خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له
ولا زمان وهو الان على ما عليه كان وقرا قنبل عن ابن كثير النشور امنتم بقلب الهمزة واوا وتخفيف الثانية وقرا
الكوفيون والبصريون واهل الشام سوى ابي عمرو بالتخفيف في الهمزتين وخفف الباقون وقد تقدم جميعه قوله
تعالى ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل
وقيل ريح فيها حجارة وحصبا وقيل سحاب فيها حجارة فستعلمون كيف نذير اي انذاري وقيل النذير بمعنى
المنذر يعني محمدا صلعم اي فستعلمون صدقه وعاقبة تكذيبكم قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم
كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين واصحاب الرس وقوم فرعون فكيف كان نكير اي انكاري
وقد تقدم واثبت ورش اليا في نذيري ونكيري في الوصل واثبتها يعقوب في الحالين وحذف الباقون
اتباعا للمصحف قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي كما ذلل الارض للادمي ذلل الهوى للطيور وصافات
اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها اذا بسطتها صففن قوائمها صفا ويقبضن اي يضربن بها جنوبهن
قال ابو جعفر النحاس يقال للطاير اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمها قابضا لانه يقبضها قال
ابو خراش يبادر جنح الليل فهو مهابذ • يحث الجناح بالبسط والقبض • وقيل يقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن
من الطيران فهو معطوف على صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في
قول الشاعر بات يعشيها بعضب باتر • يقصد في اسوقها وجائر • ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو
وهي تطير الا الله عز وجل انه بكل شي بصير قوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم قال ابن عباس حزب ومنعة لكم
ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد لذلك قال هذا الذي هو جند
لكم وهو استفهام انكار اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من سوى الرحمن ان الكافرون
الا في غرور من الشياطين تغرهم بان لا عذاب ولا حساب قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم منافع
الدنيا وقيل المطر من الهتكم ان امسك يعني الله تعالى رزقه بل لجوا اي تمادوا واصروا في عتو طغيان ونفور
عن الحق قوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه ضرب مثلا للمؤمن والكافر مكبا اي منكسا راسه لا ينظر امامه
ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه
وعن يمينه وعن شماله قال ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا
يزال منكبا على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي وقال قتادة هو الكافر
اكب على معاصي الله في الدنيا فحشره الله يوم القيمة على وجهه وقال ابن عباس والكلبي عني بالذي يمشي مكبا على
وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلعم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر وقال عكرمة
هو عام في الكافر والمؤمن اي ان الكافر لا يدري اعلى حق هو ام على باطل اي هذا الكافر اهدى او المسلم الذي
يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام يقال اكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى
بالالف فاذا تعدى قيل كبه الله لوجهه بغير الف قوله تعالى قل هو الذي انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم
مع اعترافهم بان الله خلقهم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون هذه النعم ولا

توحدون الله تعالى تقول ما افعل كذا اي لا افعله **قوله تعالى** قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم في الارض قاله ابن عباس
وقيل نشركم فيها وفرقكم على ظهرها قاله ابن شجرة واليه تحشرون حتى يجازى كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين اي متى يوم القيمة ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا به وهذا استهزاء منهم وقد تقدم **قوله تعالى** قل انما العلم عند الله اي قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل انما علمها عند
ربي الاية وانما انا نذير مبين اي مخوف ومعلم لكم **قوله تعالى** فلما راوه زلفة مصدر بمعنى مزدلفا اي قريبا قاله
مجاهد الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المعنى فلما راوه يعني العذاب وهو عذاب الاخرة وقال مجاهد يعني عذاب
بدر وقيل اي راوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم ودل عليه تحشرون وقال ابن عباس لما راوا اعمالهم السيئة قريبا
سيئت وجوه الذين كفروا اي فعل بها السوء وقال الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب واظهر على وجوههم
شبه يدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقرا نافع وابن محيصن وابن عامر والكسائي سيئت
باشمام كسر الباقون بغير اشمام طلبا للخفة ومن ضم لاحظ الاصل وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قال الفرا
تدعون وتفتعلون من الدعاء وهو قول اكثر العلماء اي تتمنون وتسالون وقال ابن عباس تكذبون وتاويل هذا
الذي كنتم من اجله تدعون بالتشديد تاويله ما ذكرناه وقرا قتادة وابن ابي اسحق والضحاك ويعقوب
تدعون مخففة وقال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الاية وقال ابو العباس تدعون تستعجلون يقال دعوت بكذا اذا طلبته وادعيت افتعلت
منه النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما يقال قدر واقتدر وعدى واعتدى الا ان في افتعل معنى شيء بعد شيء
وفعل يقع للقليل والكثير **قوله تعالى** قل ارايتم ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد يريد مشركي مكة وكانوا يتمنون موت
محمد كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت اجالنا فمن يجيركم من عذاب الله
فلا حاجة لكم الى التربص بنا ولا الاستعجال لقيام الساعة واسكن الياء في اهلكني الله ابن محيصن والمسيبي وشيبة
والاعمش وحمزة وفتحها الباقون وكلهم فتح الياء في ومن معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة
قوله تعالى قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون قرا الكسائي بالياء على الخبر ورواه عن علي الباقون بالتاء
على الخطاب وهو تهديد لهم ويقال لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا يقال لوقوع امنا تعريضا بالكافرين
حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال عليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم عليه متوكلون
من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري **قوله تعالى** قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض
لا ينالها الدلاء وكان ماؤهم من بيري زمزم وبير ميمون فمن ياتيكم بماء معين اي جار قاله قتادة والضحاك فلا بد
لهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فقل لهم لم تشركون به من لا يقدر ان ياتيكم يقال غار الماء يغور غورا اي
نضب بالغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضى وقد مضى في سورة الكهف ومضى القول في
المعين في سورة المؤمنين والحمد لله وعن ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معين
الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب ختمت السورة والحمد لله **سورة**
ن والقلم مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه
على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى اكبر لو كانوا يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يكتبون مكي
ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين وما بقي مكي قاله الماوردي وهي ثنتان وخمسون اية **بسم الله الرحمن الرحيم** **قوله تعالى**
ن والقلم ادغم النون الثانية من هجايها في الواو ابو بكر والمفضل وهبيرة وورش وابن محيصن وابن عامر والكسائي
ويعقوب والباقون بالاظهار وقرا عيسى بن عمر بفتحها كانه اضمر فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابي اسحق بكسرها
على اضمار حرف القسم وقرا هرون ومحمد بن السميقع بضمها على البناء واختلف في تاويله فروى معاوية بن قرة
عن ابيه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ن لوح من نور وروى ثابت البناني ان ن الدواة وروى

تفسير سورة ن

الوليد بن مسلم حدثنا مالك بن انس عن سمي مولى ابي بكر عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب
قال ما كان وما يكون وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم
القيمة ثم قال ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي
منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا
اطوعهم لله واعملهم بطاعته وعن مجاهد قال ن الحوت الذي تحت الارض السابعة قال والقلم الذي كتب
به الذكر وكذا قال مقاتل ومرة الهمداني وعطا الخراساني والسدي والكلبي ان النون هو الحوت الذي عليه
الارضون وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كاين ثم رفع بخار الماء فخلق
منه السماء ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض
ثم قرا ابن عباس ن والقلم الاية وقال الكلبي ومقاتل اسمه البهموت **قال الراجز** ما لي اراكم كلكم سكوتا والله ربي
خلق البهموتا وقال ابو علي القطان والواقدي ليوثا وقال كعب لوثيا وقال لهوتا قال كعب ان ابليس
تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارضون فوسوس في قلبه وقال اتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الدواب
والشجر والارضين وغيرهم لو لفظتهم القيتهم عن ظهرك اجمع فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث الله اليه
دابة دخلت منخره ووصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله لها فخرجت قال
كعب فوالله انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وقال الضحاك عن ابن عباس
ان نون اخر حرف من حروف الرحمن قال الر وحم ون الرحمن تعالى مقطعة قال ابن زيد هو قسم اقسم
الله تعالى به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقيل اسم السورة وقال عطا وابو العالية افتتاح اسمه
نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصره للمومنين وهو حق بيانه قوله تعالى وكان حقا
علينا نصر المومنين وقال جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو المعروف من حروف المعجم
لانه لو كان غير ذلك لكان معربا وهذا اختيار القشيري ابو نصر عبد الرحيم في تفسيره قال لان نون حرف
لا يعرب فلو كانت كلمة تامة اعربت كما اعرب القلم فهو اذا حرف هجا كما في ساير مفاتيح السور وعلى هذا
قيل هو اسم للسورة اي هذه سورة نون ثم قال والقلم اقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان وهو واقع
على كل قلم يكتب به من في السماء ومن في الارض ومنه **قول ابي الفتح البستي** اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم وللشعرا
في تفضيل القلم على السيف ابيات كثيرة ما ذكرناه اعلاها وقال ابن عباس هذا القسم الذي خلقه الله فجرى
بكتابة جميع ما هو كاين الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويقال خلق الله القلم
ثم نظر اليه فانشق نصفين فقال اجر فقال يا رب بما اجري قال بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح
المحفوظ وقال الوليد بن عبادة بن الصامت اوصاني ابي عند موته فقال يا بني اتق الله انك لن تتقي
ولن تبلغ العلم حتى تومن بالله وحده والقدر خيره وشره سمعت النبي يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال
له اكتب قال رب وما اكتب فقال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كاين وقال ابن عباس اول
ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما هو كاين فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال قتادة والقلم نعمة من الله
تعالى على عباده قال غيره فخلق الله القلم الاول فكتب ما في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ثم خلق الله القلم الثاني
ليكتب به في الارض على ما ياتي بيانه في سورة اقرا باسم ربك **قوله تعالى** وما يسطرون اي وما يكتبون يريد
الملائكة يكتبون اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس
معنى وما يسطرون وما يعملون وما موصولة او مصدرية اي ومسطوراتهم او وسطورهم ويراد به

كل من سطر او الحفظة على الخلائق ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي وكان المشركون يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل
الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بمجنون اي برحمة ربك والنعمة هنا الرحمة ويحتمل
ثانيا ان النعمة هاهنا قسم وتقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقيل هو
كما تقول ما انت بمجنون ومنه قول لبيد وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي • وفارقني جار باربد نافع • اي وهو اربد
وقال النابغة لم يحرموا حسن الغدا وامهم • طفحت عليك بناتق مذكار • اي وهو ناتق والباء في بنعمة ربك متعلقة
بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة ربك عاقل ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون
منعما عليك بذلك وان لك لاجرا اي ثوابا على ما تحملته من اثقال النبوة غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص
يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال الشاعر عبسا كواسب لا يمن طعامها • اي لا يقطع
وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب الحسن غير ممنون غير مكدر بالمن الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وهو
التفضل لان الجزاء مقدر والتفضل غير مقدر ذكره الماوردي وهو معنى قول مجاهد قوله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم فيه مسئلتان الاولى قوله وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان
ليس دين احب الى الله تعالى ولا ارضى عنده منه وفي صحيح مسلم عن عايشة ان خلقه كان القران وقال علي رضي الله عنه
وعطية هو ادب القران وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي
عنه مما نهى الله عنه وقيل اي انك على طبع كريم الماوردي وهو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما هو ياخذ به الانسان
نفسه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي وقد اوضح الاعشى ذلك في شعره
فقال واذا ذو الفضول ضن على المولى • وعادت لخيمها الاخلاق • قلت ما ذكر عن عايشة في صحيح مسلم
اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المؤمنون الى عشر ايات وقالت ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلعم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم ولم يكن خلق محمود الا وكان للنبي صلعم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع
مكارم الاخلاق فيه وقيل لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد
روي عنه عليه السلام انه قال ادبني ربي تاديبا حسنا اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما
قبلت ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم الثانية روى الترمذي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلعم
قال اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال حديث حسن صحيح وعن ابي الدرداء
ان النبي صلعم قال ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن فان الله تعالى يبغض الفاحش البذي قال
حديث حسن صحيح وعنه قال سمعت النبي صلعم يقول ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب
حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سئل
رسول الله صلعم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق واكثر ما يدخل الناس النار فقال
الفم والفرج قال هذا حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن المبارك انه وصف حسن الخلق فقال هو بسط الوجه
وبذل المعروف وكف الاذى وعن جابر ان رسول الله صلعم قال من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم
اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون قال وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث
حسن صحيح قوله تعالى فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة وقيل فسترى
ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل بايكم المفتون الباء زايدة اي فستبصر ويبصرون ايكم المفتون
اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهذا قول قتادة وابي عبيد والاخفش

وقال الراجز

قال الراجز نحن بنو ضبة اصحاب الفلج • نضرب بالسيف ونرجو بالفرج • وقيل الباء ليست بزايدة والمعنى
بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر على وزن المفعول ويكون معناه الفتون كما قالوا ما لفلان مجلود
ولا معقول ولا معقول اي عقل ولا جلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعي حتى اذا لم يتركوا
لعظامه لحما • ولا لفؤاده معقولا • اي عقلا وفي الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى بايكم فتنة المفتون
وقال الفراء الباء بمعنى في فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون ابالفرقة التي انت بها من المؤمنين
ام بالفرقة الاخرى والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب
بالنار اذا حميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت في الوليد
ابن المغيرة وابي جهل وقيل المفتون الشيطان لانه مفتون في دينه كانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون
هذا فقال الله فسيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا
بعمله قوله تعالى فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين كانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين
الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل فلا تطع
المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي مكة حين دعوه الى دين ابائه قوله تعالى ودوا لو
تدهن فيدهنون قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس
ايضا ودوا لو ترخص فيرخصون لك وقال الفراء والكلبي لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي
قاله الفراء وقال مجاهد المعنى ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب
فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك
في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون امرهم زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون
وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقيل ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون [illegible]
الهرمز فهذه اثنا عشر قولا ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى
مثل قوله ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون قلت كلها ان شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى
اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام و
التليين في القول قال الشاعر لبعض الغشم احزم في امور • تنوبك من مداهنة العدو • وقال المفضل النفاق
وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شيء منها لم يكن قال المبرد يقال
ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر يقال فيه داهنت بمعنى واريت وادهنت
بمعنى غششت قاله الجوهري وقال فيدهنون فساقه على العطف ولو جاء به جواب النهي لقال فيدهنوا وانما اراد
انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل النظير قوله تعالى
ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس بن شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحق وقيل الاسود بن عبد يغوث
او عبد الرحمن بن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلعم مالا وحلف ان يعطيه ان رجع
عن دينه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين الضعيف القلب عن مجاهد
ابن عباس الكذاب والكذاب مهين وقيل المكثار في الشر قاله الحسن وقتادة وقال الكلبي المهين الفاجر العاجز
وقيل معناه الحقير عند الله وقال ابن شجرة انه الذليل الرماني المهين الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانة
بمعنى القلة وهي هنا القلة في الراي والتمييز اي فعيل بمعنى مفعل والمعنى ممتهن قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده
ويضربهم واللماز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز ناحيته في المجلس كقوله تعالى همزة وقيل الهماز الذي يذكر الناس في
وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم قاله ابو العالية وعطاء بن ابي رباح والحسن ايضا وقال مقاتل ضد هذا الكلام

ان الهمزة الذي يغتاب في الغيبة واللمزة الذي يغتاب في الوجه وقد مرّ هما سوى وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب
ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر تدلي بودّ اذا لاقيتني كذبا • واذا اغيب فانت الهامز اللمزة • مشاء بنميم اي يمشي بالنميمة
بين الناس ليفسد بينهم يقال نمّ ينمّ نمًّا ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد وفي صحيح مسلم عن حذيفة انه بلغه ان رجلا
ينمّ الحديث فقال حذيفة سمعت رسول الله صلعم يقول لا يدخل الجنة نمّام وقال الشاعر ومولى كبيت النمل لا خير عنده •
لمولاه الا سعيه بنميم • قال الفراء هما القتات وقيل النميم جمع نميمة مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه قال ابن
عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا معتد اي على الناس
في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل اثيم اي ذي اثم ومعناه ما ثوم فهو فعيل بمعنى مفعول عتل بعد ذلك زنيم العتل
الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفراء هو الشديد الخصومة بالباطل وقيل انه الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب
ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح وعتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته
جذبا عنيفا ورجل معتول بالكسر وقال يصف فرسا نفرعه فرعا ولسنا نعتله • قال ابن السكيت عتله وعتنه باللام
والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال
لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا
يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب والحسن
العتل الفاحش السيء الخلق وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم
وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبي صلعم قال الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله
لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال
وذكر الماوردي عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن مسعود ان النبي صلعم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا
جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم فقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي
جمع ومنع والجعظري الفظ الغليظ والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام
للناس وذكر الثعلبي عن شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم سمعتها من النبي صلعم قلت
وما الجواظ قال كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما العتل الزنيم قال الرحيب الجوف
الوتير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم قلت فهذا التفسير من النبي صلعم في العتل قد اربى على اقوال المفسرين
ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه الفظ الغليظ ذكره من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال قال
رسول الله صلعم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قال والجواظ الفظ الغليظ ففيه تفسيران مرفوعان حسبما
ذكرناه اولا وقيل انه الجافي القلب وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال النبي صلعم تبكي السماء
من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا وكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي
السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الارض تقله والزنيم الملصق بالقوم والدعي عن ابن عباس وغيره قال الشاعر
زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع • وعن ابن عباس ان رجلا من قريش كان له زنمة كزنمة
الشاة وروى عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل انه الذي يعرف بالابنة وهو عن ابن
عباس ايضا وعنه انه الظلوم وقد ذكر ستة اقوال وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة
وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق في نسب القوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم وقال
حسان وانت زنيم نيط في آل هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد قلت وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي
رضي الله عنه انه الذي لا اصل له والمعنى واحد وروي ان النبي صلعم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال
عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيمة في صورة القردة والخنازير وقالت

ميمونة سمعت النبي صلعم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان
يعمهم الله بعقاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قلت اما الحديث الاول والثاني فما اظن لهما
سندا يصح واما حديث ميمونة وما قاله عكرمة ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش زوج النبي صلعم قالت خرج النبي
صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قال قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث خرجه البخاري وكثرة الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا كذا فسره العلماء وقول عكرمة
قحط المطر تبيين لما يكون به الهلاك وهذا يحتاج الى توقيف وهو اعلم من اين قاله ومعظم المفسرين على ان
هذا نزل في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى ثلاثة ايام حيسا وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة
الا لا يدخنن احد بكراع الا ومن اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا
والفا اكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
وقال محمد بن اسحق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال ابن عباس
في هذه الاية فلم يعرف حتى قتل فعرف وكان له زنمة في عنقه معلقة يعرف بها وقال مرة الهمداني انما ادعاه
ابوه بعد ثماني عشرة سنة قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين قرا ابو جعفر وابن عباس وابو حيوة والمغيرة
والاعرج انكان ذا بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا المفضل وابو بكر وحمزة أان كان بهمزتين محققتين
وقرا الباقون بهمزة واحدة على الخبر فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين مخففتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ
ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى لان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا
قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير لان كان ذا مال وبنين يكفر ولا يشكر ودل عليه ما تقدم من الكلام
فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا انكان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر
والتقدير يكفر لان كان ذا مال ودل عليه هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى
ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبله وقال
جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير
مقدما ومؤخرا في حال ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بلا
استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها قال غيره ويجوز
ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان تتعلق بعتل
واساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم وخرافاتهم وقد تقدم قوله تعالى سنسمه على الخرطوم فيه مسئلتان
الاولى قوله سنسمه على الخرطوم قال ابن عباس معنى سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت
فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتادة سنسمه يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها
يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه بسمة وكي وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه
علامة ظاهرة وقال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة فافادت هذه الاية
علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية
ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه والخرطوم وقد خص بالسمة
فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال الطبري نبين امره تبيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا
تخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتيبي تقول العرب للرجل
يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى اثرها قال جرير
لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل • اراد به الهجاء قال وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة

ولا تعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوبه احد ما بلغه منه فالحقه به عارًا لا يفارقه في الدنيا كالوسم على الخرطوم
وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله بحر واستشهد **بقول الاعشى**
فدعها وما يعنيك واعمد لغيرها * بشعرك واغلب انف من انت واسم * وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب
الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم **قال الشاعر** تظل يومك في لهو وفي طرب * وانت بالليل شراب الخراطيم **وقال الراجز**
صهبا خرطوما * عقارا قرقفا **وقال آخر** ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه * ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا **الثانية**
قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديمًا عند الناس حتى انه روي كما تقدم ان اليهود لما اهملوا رجم الزاني
اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ما راى العلماء من تسويد وجه شاهد
الزور علامة على قبح المعصية وتشديدًا لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجو تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته
فقد كان عزيزًا بقول الحق وقد صار مهينًا بالمعصية واعظم الاهانة الوجه ولذلك كانت الاستهانة به في طاعة
الله سببًا للحيوة الابد والتحريم له على النار فان الله تعالى قد حرم على النار ان تاكل من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت
في الصحيح **قوله تعالى** انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فيه ثلث مسائل **الاولى** قوله تعالى انا بلوناهم يريد اهل مكة
والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم اموالا ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدًا صلى الله عليه وسلم ابتلاهم بالجوع والقحط
كما بلونا اهل الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعا ويقال
بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات صارت لولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها
الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعا فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل
هي جنة بضوران وضوران على فرسخ من صنعا وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بيسير وكانوا بخلاء
وكانوا يجدون التمر ليلا من اجل المساكين وكانوا ارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
فغدوا عليها فاذا هي اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال النهار صريم فان كان اراد الليل
فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع ونقاء
الارض منه وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة
الطائف اليوم ولذلك سميت الطائف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الشجر والاعناب والماء غيرها وقال البكري في المعجم كانت
الطائف لان رجلا من الصدف يقال له الدمون بنى حائطا وقال لكم بنيت لكم طائفا حول بلدكم فسميت الطائف
والله اعلم **الثانية** قال بعض العلماء على من حصد زرعًا او جذ ثمرة ان يواسي منها من حضر وذلك معنى قوله
وآتوا حقه يوم حصاده وانه غير الزكاة على ما تقدم في الانعام بيانه وقال بعضهم وعليه ترك ما اخطاه الحصادون
وكان بعض العباد يتحرون اقواتهم من هذا وروي انه نهى عن الحصاد بالليل فقيل انه لما ينقطع عن المساكين
في ذلك من الرفق وتاول من قال هذه الاية التي في سورة ن والقلم وقيل انما نهى عن ذلك خشية الحيات
وهوام الارض **قلت** الاول اصح والثاني حسن وانما قلنا الاول اصح لان العقوبة كانت بسبب ما ارادوه من منع
المساكين كما ذكر الله تعالى وروى اسباط عن السدي قال كان قوم باليمن وكان ابوهم رجلا صالحا وكان اذا بلغ
ثماره اتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وان ياكلوا ويتزودوا فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض علام نعطي
اموالنا هولاء المساكين تعالوا فلندلج فلنصرمها قبل ان يعلم المساكين ولم يستثنوا فانطلقوا وبعضهم يقول
لبعض خفتا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين يعني حلفوا فيما بينهم ليصرمنها
مصبحين يعني ليجدنها وقت الصبح قبل ان يخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شاء الله وقال ابن عباس
كانت تلك الجنة دون صنعا بفرسخين غرسها رجل من اهل الصلاح وكان له ثلاث بنون وكان للمساكين
كلما تعداه المنجل فلم يجزه الكرم فاذا طرح على البساط فكل شي سقط عن البساط فهو ايضا للمساكين فاذا حصدوا
زرعهم فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين فاذا ادرسوا كان لهم كل شي انتثر فكان ابوهم يتصدق منها
على المساكين وكان يعيش من ذلك في حياة ابيهم اليتامى والارامل والمساكين فلما مات ابوهم فعلوا ما ذكر الله

عنهم فقالوا قل المال وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون غدوة قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا يعرف
المساكين وهو قوله اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ليقطعن ثمر نخلهم اذا اصبحوا بسدفة من الليل لئلا
يتنبه المساكين لهم والصرم القطع يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اي حان وقت صرامه
مثل اركب المهر واحصد الزرع اي حان ركوبه وحصاده ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شاء الله فتنادوا
مصبحين ينادي بعضهم بعضا ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين عازمين على الصرام والجداد قال
قتادة حاصدين زرعكم وقال الكلبي ما كان في جنتهم عنبا ولم يقولوا ان شاء الله وقال ابو صالح كان
استثناؤهم قولهم سبحان ربنا وقيل معنى ولا يستثنون اي لا يستثنون حق المساكين قاله عكرمة
فجاؤها ليلا فراوا الجنة مسودة قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون قيل الطائف جبريل عليه السلام
على ما تقدم ذكره وقال ابن عباس امر من ربك وقال قتادة عذاب من ربك ابن جريج عنق من نار خرج من
وادي جهنم والطائف لا يكون الا بالليل قاله الفرا **الثالثة** قلت في هذه الاية دليل على ان العزم مما يواخذ
به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى مبينا
في ال عمران عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا **قوله تعالى** فاصبحت كالصريم اي كالليل المظلم عن ابن عباس
والفرا وغيرهما **قال الشاعر** تطاول ليلك الجون البهيم * فما ينجاب عن صبح بهيم * اي احترقت فصارت كالليل
الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود قال والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة الثوري كالزرع
المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم مفعول ايضا
وقال المورج اي كالرملة انصرمت عن معظم الرمل يقال صريمة وصرايم فالرملة لا تنبت شيئا ينتفع به
وقال الاخفش اي كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد اي كالنهار فلا شي فيها قال شمر الصريم الليل والصريم
النهار اي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا
يكون فعيل بمعنى فاعل وقال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع عن التصرف **قوله تعالى**
فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتسارون اي يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة
وهو من خفت يخفت اذا سكن ولم يبين كما **قال دريد بن الصمة** وانى لم اهلك سلالا ولم امت * خفاتا وكلا
ظنه بي عودي * وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقراء والمساكين ليحضروا وقت
الحصاد والصرام وغدوا على حرد قادرين اي على قصد وقدرة في انفسهم ويظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال
معناه ابن عباس وغيره والحرد القصد حرد يحرد بالكسر حردا قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك
وقال اخر اقبل سيل جاء من امر الله * يحرد حرد الجنة المغلة * وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على جد الحسن على
حاجة وفاقة وقال ابو عبيدة والقتبي على حرد على منع من قولهم حاردت الابل حرادا اي قلت البانها
والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها السدي وسفيان على حرد على
غضب والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي وهو مخفف **وانشد** اذا جياد الخيل جاءت تردي *
مملوة من غضب وحرد * وقال ابن السكيت وقد يحرك تقول منه حرد بالكسر حردا فهو حارد وحردان
ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حردا اي تنحى عن قومه
ونزل منفردا ولم يخالطهم وقال ابو زيد رجل حريد من قوم حرد وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه
وتحول عنهم وكوكب حريد اي معتزل عن الكواكب قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنحرد المنفرد
في لغة هذيل **وانشد لابي ذويب** كانه كوكب في الجو منجرد * رواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفرد قال وهو

شُميل وقال الازهري حرد اسم قريتهم السدي اسم جنتهم وفيه لغتان حرد وحرد وقرا العامة بالاسكان وقرا
ابو العالية وابن السميقع بالفتح وهما لغتان ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه قاله النزال وقال قتادة
قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين يعني على المساكين وقيل معناه من الوجد اي منعوا وهم واجدون
قوله تعالى فلما راوها قالوا انا لضالون اي لما راوها محترقة لا شيء فيها قد صارت كالليل الاسود ينظرون اليها
كالرماد وانكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا لضالون اي ضللنا الطريق الى جنتنا قاله قتادة وقيل انا
لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما صنعنا
روى اسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلعم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيئ له
ثم تلا فطاف عليها طائف من ربك الايتين قوله تعالى قال اوسطهم اي امثلهم واعدلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون
اي هلا تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان الاوسط امرهم بالاستثناء
فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه
على ما اعطاكم قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله جل وعز فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه
الله عز وجل ان يكون شيء الا بمشيئته وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبوا اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم
قال لهم حين عزموا على ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان ربنا اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله
عن ان يكون ظالما فيما فعل وقال ابن عباس في قولهم سبحان ربنا اي نستغفر الله من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا
في منعنا المساكين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم هذا هذا في القسم ومنع المساكين ويقول بل انت اشرت
علينا بهذا قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كيسان طغينا
نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباؤنا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا
منها لنصنعن كما صنعت اباؤنا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها وامر جبرائيل ان يقتلع تلك
الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم اخلصوا
وعرف الله منهم صدقهم فابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال اليماني ابو خالد
دخلت تلك الجنة فرايت فيها كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري
ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مومنين وسئل قتادة عن
اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والمعظم يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري
وقراءة العامة يبدلنا بالتخفيف وقرا اهل المدينة وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان وقيل التبديل تغيير الشيء او تغيير
حاله وعين الشيء قايم والابدال رفع الشيء ووضع اخر مكانه وقد مضى في سورة النساء القول فيه هنا قوله تعالى كذلك
العذاب اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجذب
لدعا النبي صلعم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس
هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر   وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه ويرجعوا الى مكة ويطوفوا
بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القيان على رؤسهم فاخلف الله ظنهم فقتلوا واسروا وانهزموا كاهل الجنة لما
خرجوا عازمين على الصرام فخابوا ثم قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل
انه كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما اصاب اهل مكة من القحط وعلى
قتال بدر قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم تقدم القول فيه اي ان للمتقين في الاخرة جنات النعيم
ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم
من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المومنين قالوا ان صح انا نبعث
كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم

انساونا

ان ساوونا فقيل افنجعل المسلمين كالمجرمين اي كالكفار وقال ابن عباس وغيره قال كفار مكة انا نعطى في الاخرة
خيرا مما يعطون فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء
مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ان لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب فيه تدرسون اي الكم كتاب تجدون
فيه المطيع كالعاصي ان لكم فيه لما تخيرون تختارون وتشتهون والمعنى ان لكم بالفتح ولكنه كسر لدخول اللام
تقول علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر فالعامل في ان لكم لما تخيرون تدرسون في المعنى ومنعت اللام
من فتح ان وقيل تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي لكم في هذا الكتاب اذا ما تخيرون
اي ليس لكم ذلك والكناية في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب ثم زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق
علينا بالغة موكدة والبالغة المؤكدة بالله تعالى اي ام لكم عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ان لكم
لما تحكمون كسرت ان لدخول اللام في الخبر وهي من صلة ايمان والموضع النصب ولكن كسرت لاجل اللام تقول حلفت
ان لك لكذا وقيل تم الكلام عند قوله الى يوم القيمة ثم قال ان لكم لما تحكمون اذا اي ليس الامر كذلك وقرا ابن هرمز ان
لكم فيه لما تخيرون ان لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا وقرا الحسن البصري بالغة بالنصب على الحال اما من
الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان ففيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس
الايمان لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت نكرة كما اجاز ونصب
حقا على الحال من متاع في قوله تعالى متاعا بالمعروف حقا على المتقين والعامة بالغة بالرفع نعت لايمان قوله تعالى
سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هؤلاء المتقولين علي بهم كفيل بما تقدم ذكره ما للمسلمين والزعيم الكفيل
والضمين قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول ام لهم شركاء
اي الهة والميم صلة شركاء اي شهداء فليأتوا بشركائهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل اي
فليأتوا بشركائهم ان امكنهم فهو امر معناه التعجيز قوله تعالى يوم يكشف عن ساق يجوز ان يكون العامل في يوم فليأتوا
بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اي اذكر يوم يكشف عن ساق فيوقف على
صادقين ولا يوقف عليه على التقدير الاول وقرئ يوم نكشف بالنون وقرا ابن عباس يوم يكشف على بناء الفاعل اي
تكشف الشدة او القيمة عن ساقها كقولهم شمرت الحرب عن ساقها قال الشاعر فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها وان
شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال اخر قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا وقال اخر
عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طراد الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها
وقال اخر كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وعن ابن عباس ايضا والحسن وابي العالية تكشف بتاء مفتوحة على معنى
الفاعل وهذه القراءة راجعة الى معنى يكشف وكانه قال يوم تكشف القيمة عن شدة وقرئ يوم تكشف بالتاء مضمومة
وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشوف اذا انقلب شفته العليا وذكر ابن المبارك قال
حدثنا اسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة اخبرنا ابن جريج
عن مجاهد قال شدة الامر وجده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد ساعة في يوم القيمة وقال ابو عبيدة اذا اشتد
الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق
والكشف في موضع الشدة وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم يكشف عن
اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصلها وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت
اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه المؤذن الى الصلاة فلا يمكنه
ان يقوم ويخرج فاما ما روي ان الله يكشف عن ساقه فانه عز وجل تعالى عن الاعضاء والتبعيض وان يكشف ويتغطى
ومعناه ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلعم في قوله تعالى
عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وقال ابو الليث السمرقندي في تفسيره حدثنا الخليل بن احمد قال

حدثنا ابن منيع قال حدثنا هشيم قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن ابي بردة عن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد
فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا فلم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم
فيقال وكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى اقوام ظهورهم
كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في
النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة
ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا احب الي من هذا وقال قيس بن السكن حدث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب
فقال اذا كان يوم القيمة قام الناس لرب العالمين اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق فلا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم اربعين عاما ثم ينادي مناد يا ايها الناس اليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم واماتكم واحياكم ثم عبدتم غيره ان
يولي كل قوم ما تولوا قالوا نعم فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى يقذفهم في النار فيبقى المسلمون
والمنافقون فيقال لهم الا تذهبون فقد ذهب الناس فيقولون حتى ياتي ربنا فيقال لهم او تعرفونه فيقولون ان اعترف لنا
عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخر من كان يعبده خالصا ساجدا ويبقى المنافقون لا يستطيعون
كان في ظهورهم السفافيد فيذهب بهم الى النار ويدخل هؤلاء الجنة فذلك قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ونصبها على الحال ترهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم ووجوههم
اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع اشد سوادا من القار قلت معنى حديث ابي موسى وابن
مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وغيره قوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود اي في الدنيا وهم سالمون
معافون اصحاء قال ابرهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فلا ياتون وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي
على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه
عليهم في الشرع والمعنى متقارب وقد مضى في سورة البقرة وجوب صلاة الجماعة وكان الربيع بن خثيم قد فلج وكان يهادى
بين الرجلين الى المسجد فقيل يا ابا يزيد لو صليت في بيتك لكانت لك رخصة فقال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا
وقيل لسعيد بن المسيب ان طارقا يريد قتلك فتغيب فقال الحسب لا يقدر الله علي فقيل اجلس في بيتك قال اسمع حي
على الفلاح فلا اجيب قوله تعالى فذرني اي دعني ومن يكذب ومن مفعول معه او معطوف على ضمير المتكلم بهذا الحديث يعني
القران قاله السدي وقيل يوم القيمة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانا اجازيهم وانتقم منهم ثم قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
معناه سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال
الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق اي كلما احدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وقيل هو ان ناخذهم قليلا ولا نباغتهم وفي حديث ان
رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني قال فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك
وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله
النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا وقيل
درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على التدريج فهو واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة والملاوة المدة من الدهر
واملى الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل املي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد وقد مضى في الاعراف
ان كيدي متين اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني شيء قوله تعالى ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله
تعالى ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم
من بذل المال اي ليس عليهم كلفة بل يستولون بمتابعتك على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم قوله تعالى ام عندهم

الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اي انزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس الغيب هنا اللوح
المحفوظ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم بما
يريدون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل فاصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة
وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب
والضجر والعجلة وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد مضى خبره في سورة
يونس والانبياء والصافات والفرق بين اضافة ذي وصاحب في سورة يونس فلا معنى للاعادة اذ نادى اي حين دعا في
بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس
ومجاهد والثاني قول عطا وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم
محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان كظم غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى
النفس قاله المبرد وقد مضى هذا وغيره في يوسف قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه قراءة العامة تداركه وقرا ابن
هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه في الدال وهو على تقدير حكاية الحال كانه قال لولا
ان كان يقال فيه تداركه نعمة ابن عباس وابن مسعود تداركته وهو خلاف المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على
معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها واختلف في معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك وقيل
عبادته التي سلفت قاله ابن جبير وقيل نداؤه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قاله ابن زيد وقيل نعمة الله عليه اخراجه
من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل اي رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه قوله تعالى لنبذ بالعراء وهو مذموم اي لنبذ مذموما
ولكنه نبذ سقيما غير مذموم ومعنى مذموم في قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذنب وقيل مذموم مبعد من
كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت
الى يوم القيمة ثم نبذ بعراء القيامة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون فاجتباه ربه اي اختاره ربه واصطفاه فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي
قومه وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ان هي المخففة من
الثقيلة اي يعتانونك بابصارهم اخبر بشدة عداوتهم النبي صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش
وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر
باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم
يرفع جانب الخباء فتمر به الابل والغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب حتى تسقط
منها طائفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم وانشد
قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم وذكر نحوه الماوردي وان العرب اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله تجوع
ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه
بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما تكون بالاستحسان
والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران
قلت اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من ان يصاب
بالعين عداوة حتى يهلك وقرا ابن عباس وابن مسعود والاعمش وابو وائل ومجاهد ليزهقونك اي ليهلكونك
وهذه القراءة على التفسير من زهقت نفسه وازهقها وقرا اهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء وضمها الباقون
وهما لغتان بمعنى يقال زلقه يزلقه وازلقه يزلقه ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا
اذا حلقه وكذلك ازلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو

الذي يتزلقون ان يجامع حكاه الجوهري وغيره فمعنى الكلمة اذا التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلعم الا بهلاكه
وموته قال الهروي اراد ليعتالونك بعيونهم فيزلقونك عن مقامك الذي اقامك الله عنه عداوة لك وقال ابن
عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك من شدة نظرهم
قال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال العوفي
يزيحونك وقال المورخ يزيلونك وقال يتظرون اليك نظرا شزرا بتحديق شديد وقال ابن زيد ليمسونك وقال
جعفر الصادق لياكلونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما قال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قال
الشاعر يترسد مزلقة العيون بطرفها ويكل عنك نصال الرامي وقال اخر يتقارضون اذا التقوا في مجلس
نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل المعنى انهم ينظرون اليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك وهذا كله راجع الى ما
ذكرنا وان المعنى الجامع يصيبونك بالعين والله اعلم وما هو الا ذكر للعالمين وقيل وما محمد الا ذكر للعالمين
يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القران كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف
العالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم سورة الحاقة مكية في قول الجميع وهي احدى
وخمسون اية وروى ابو الزاهرية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من قرا احدى عشرة اية من سورة
الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كان له نور يوم القيمة من فوق راسه الى قدمه بسم الله الرحمن الرحيم
الحاقة ما الحاقة يريد القيمة سميت بذلك لان الامور تحق فيها قاله الطبري كانه جعلها من باب ليل قايم وقيل
سميت حاقة لانها تكون من غير شك وقيل سميت بذلك لان فيها يصير كل انسان حقيقا بجزاء عمله وقال
الازهري يقال حاققته فحققته احقه اي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله
بالباطل اي كل مخاصم وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه وقال الرجل اذا خاصم
في صغار الاشياء انه لنزق الحقاق ويقال ماله فيه حق ولا احقاق اي خصومة والتحاق التخاصم والاحتقاق
الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى وقال الكسائي والمورخ والحاقة يوم الحق وتقول العرب لما عرف
الحقة مني هرب والحاقة الاولى رفع بالابتداء والخبر المبتدا الثاني وخبره وهو ما الحاقة لان معناها ما هي واللفظ
استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما زيد على التعظيم لشانه وما ادراك ما الحاقة استفهام
ايضا اي اي شيء اعلمك ما ذلك اليوم والنبي صلعم كان عالما بالقيمة ولكن بالصفة فقيل تفخيما لشانها وما ادراك
ما هي كانك لست تعلمها اذا لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القران وما ادريك فقد ادرك
اياه وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك
فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكر
من كذب بالقيمة والقارعة القيمة سميت بذلك لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي
اهواله وشدايده ونعوذ بالله من قوارع الدهر وقوارعه وقوارصه لسانه انزجع قارصة وهي الكلمة المؤذية
وقوارع القران الايات التي يقراها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي كانها تقرع الشيطان
وقيل القارعة ماخوذة من القرعة في دفع قوم وحط اخرين قاله المبرد وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي
نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال
محمد بن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل
بين عمان وحضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي خلق وبسطة ذكره محمد بن اسحق وقد تقدم قوله تعالى
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة اي بالصيحة الطاغية المجاوزة
للحد اي لحد الصيحات من الهول لما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان
مجاوزة الحد وقال الكلبي بالطاغية في مصدر كالكاذبة والعاقبة اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم وقيل ان

الطاغية

تفسير سورة الحاقة
وهي مكية

الطاغية عاقر الناقة قاله ابن زيد اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا
وانما هلك الجميع لانهم رضوا بفعله وقالوه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة
ونسابة قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر
قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم
ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقيل عتت على عاد فقهرتهم روى سفيان الثوري عن موسى
ابن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال النبي صلعم ما ارسل الله من نسمة من ريح الا بمكيال ولا قطرة
ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل
ثم قرا انا لما طغى الماء الاية والريح لما كان يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا عاتية سخرها
عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعة
لا تفتر ولا تنقطع عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما قال الفرا الحسوم التتابع من حسم الداء وهو الكي
لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان
تتابع فيه اعوام حسوم وقال المبرد هو من قولك حسمت الشيء اذا قطعته وفصلته عن غيره وقيل الحسم
الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته قال الشاعر حسام اذا ما قمت معتضدا
به كفى العود منه البدء ليس بمعضد والمعنى انها حسمتهم اي قطعتهم واذهبتهم فهي القاطعة بعذاب
الاستيصال قال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احد وعنه انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها لانها ابتدات
من طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم وقال الليث الحسوم الشوم يقال هذه ليالي
الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقاله في الصحاح وقال عكرمة والربيع بن انس مشايم دليله قوله تعالى في ايام
نحسات عطية العوفي حسوما اي حسمت الخير عن اهلها واختلف في اولها فقيل غداة يوم الاحد قاله
السدي وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع بن انس وقيل غداة يوم الاربعاء قاله يحيى بن سلام ووهب بن منبه
قال وهب وهذه الايام التي تسميها العرب ايام العجوز كانت برد وريح شديدة وكان اولها يوم الاربعاء ونسبت
الى العجوز لان عجوزا من عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها
وقعت في عجز الشتاء وهي في ادبار من اشهر البرد ثنتين ولها اسامي مشهورة فيها يقول الشاعر كسع الشتاء
بسبعة غبر ايام شهلتنا من الشهر فاذا انقضت ايامها ومضت صن وصنبر مع الوبر وبامر واخيه مؤتمر ومعلل
وبمطفي الجمر ذهب الشتاء موليا عجلا واتتك واقدة من النجر وحسوما نصب على الحال وقيل على المصدر قال
الزجاج تحسمهم حسوما اي تفنيهم وهو مصدر مؤكد ويجوز ان يكون مفعولا له اي سخرها عليهم هذه المدة
للاستيصال اي لتقطعهم وتستاصلهم ويجوز ان تكون جمع حاسم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي
سخرها عليهم مستاصلة قوله تعالى فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع يعني موتى وقيل
فيها اي في الريح كانهم اعجاز اي اصول نخل خاوية اي بالية قاله ابو الطفيل وقيل خالية الاجواف لا شيء فيها
والنخل يذكر ويؤنث وقد قال تعالى في موضع اخر كانهم اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي فرغت
من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم
حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف وقال ابن شجرة كانت
الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام انما قال
خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز نخل خاوية عن اصولها
من البقاع كما قال تعالى فتلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا لانها
اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل الخالية قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية اي من فرقة باقية

او نفس باقية وقيل من بقية وقيل من بقاء فاعلة بمعنى المصدر نحو العافية ويجوز ان يكون اسما اي فهل ترى
لهم احدا باقيا وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن
ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم
قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه وتبعه من جنوده
واختاره ابو عبيدة وابو حاتم اعتبارا بقراءة عبد الله وابي ومن معه وقرا ابو موسى الاشعري ومن تلقاءه الباقون
قبله بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون الخالية والامم الماضية والمؤتفكات اي اهل قرى لوط
وقراءة العامة بالالف وقرا الحسن والجحدري والمؤتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت اهل قرى قوم لوط
مؤتفكات لانها ائتفكت بهم اي انقلبت وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات صبعة وصعرة وعمرة
ودوما وسدوم وهي القرية العظمى بالخاطئة اي بالفعلة الخاطئة وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي
كانوا يفعلونها وقال الجرجاني اي بالخطاء العظيم والخاطئة مصدر قوله تعالى فعصوا رسول ربهم قال الكلبي هو موسى
وقيل هو لوط لانه اقرب وقيل عني موسى ولوطا عليهما السلام كما قال انا رسول رب العالمين وقيل رسول بمعنى
رسالة وقد يعبر عن الرسالة بالرسول قال الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •
فاخذهم اخذة رابية اي عالية زائدة على الاخذات وعلى عذاب الامم ومنه الربا اذا اخذ في الذهب والفضة
اكثر مما اعطي يقال ربا الشيء يربو اي زاد وتضاعف وقال مجاهد شديدة كانه اراد زائدة في الشدة قوله تعالى
انا لما طغى الماء اي ارتفع وعلا وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه
قال قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا وقال ابن عباس طغى الماء زمن نوح على خزانه وكثر عليهم فلم يدروا
كم خرج وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل غير ذلك اليوم وقد مضى هذا مرفوعا اول السورة
والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم
من عليهم بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن
الجارية والمحمول في الجارية نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اولئك لنجعلها لكم تذكرة يعني سفينة
نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى ادركها اوائلهم في قول قتادة وقال ابن جريج كانت
الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباءكم من سفينة
هلكت وصارت خرابا ولم يبق منها شيء وقيل لنجعل تلك الفعلة من اغراق قوم نوح وانجاء من امن به
موعظة لكم ولهذا قال تعالى وتعيها اذن واعية اي تحفظها وتسمعها اذن حافظة لما جاء من عند الله
والسفينة لا توصف بهذا قال الزجاج ويقال وعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم
ووعيت ما قلت كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعاء قال الزجاج يقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته
بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف وقرا طلحة وحميد الاعرج وتعيها باسكان العين تشبيها
بقوله ارنا واختلف فيها عن عاصم وابن كثير الباقون بكسر العين ونظيره قوله وتعيها اذن واعية ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب
الله عز وجل وروى مكحول قال كان علي رضي الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فنسيته الا
وحفظته ذكره الماوردي وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبي قال لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وسلم سالت
ربي ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فوالله ما نسيت شيئا قط وما كان لي ان انسى وقال ابو بردة الاسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق على الله ان تعي قوله تعالى فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلم يبق احد الا مات وجاز تذكير نفخ
لان تانيث النفخة غير حقيقي وقيل هذه النفخة هي الاخيرة وقال نفخة واحدة اي لا تثنى قال الاخفش ووقع
الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة ويجوز نفخة نصبا على المصدر وبها قرا ابو السماك

ويقال

ويقال انما قصر على الاخبار عن الفعل كما تقول ضرب ضربا وقال الزجاج في المصدر يقوم مقام ما لم يسم فاعله
قوله تعالى وحملت الارض والجبال قراءة العامة بتخفيف الميم اي رفعت من اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة
واحدة لا يجوز في دكة الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا وقال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها
كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك
كالزلزلة كما قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام
البعير اذا انفرش في ظهره وقد مضى في سورة الاعراف القول فيه وقرا عبد الحميد عن ابن عامر وحملت الارض
والجبال بالتشديد على اسناد الفعل الى المفعول الثاني ينبغي له ولو جيء بالمفعول الاول لاسند الفعل اليه فكانه
قال وحملت قدرتنا الارض وقد يجوز بناؤه للثاني على وجه القلب فيقال حملت الارض الملك كقولك البس زيد الجبة والبست
الجبة زيدا قوله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء اي انصدعت وتفطرت وقيل
تنشق لنزول ما فيها من الملائكة دليله قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقد تقدم
فهي يومئذ واهية اي ضعيفة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف فقيل
انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيامة
وقيل واهية اي متخرقة قاله ابن شجرة ماخوذ من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم خل سبيل من وهى سقاؤه • ومن
هريق بالفلاة ماؤه • اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك يعني الملائكة اسم للجنس على ارجائها اي على
اطرافها حين تنشق لان السماء مكانهم عن ابن عباس الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك
كان على اطرافها مما لم ينشق منها يريد ان السماء مكان الملائكة فاذا انشقت صاروا في اطرافها وقال سعيد ابن
جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف
الملائكة على تلك القطع اي ليست متشققة في انفسها وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل
فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعوا من حيث جاؤوا وقيل على ارجائها ينتظرون ما
يؤمرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله راجع الى معنى قول
ابن جبير ويدل عليه ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض على ما بيناه هناك والارجاء النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور
وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال الشاعر فلا يرمى بي الرجوان اني • اقل القوم من يغني مكاني •
ويقال ذلك لحرف البئر والقبر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ابن عباس ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية
الاف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية ذكره
الثعلبي وخرجه الماوردي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله اليوم اربعة وهم يوم القيامة
ثمانية وقال العباس بن عبد المطلب هم ثمانية املاك على صورة الاوعال ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله
الرزق لذلك الجنس ولما انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قول امية بن ابي الصلت • رجل وثور تحت رجل يمينه •
والنسر للاخرى وليث مرصد • والشمس تصبح كل اخر ليلة • حمراء يصبح لونها يتورد • ليست بطالعة لهم في رسلها
الا معذبة والا تجلد • قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية اوعال
بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي
من حديث العباس بن عبد المطلب وقد مضى في سورة البقرة بكماله وذكر نحوه الثعلبي ولفظه وفي حديث
مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر

المسبح وفي تفسير الكلبي ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء من الملائكة وعنه ثمانية اجزاء من عشرة اجزاء
من الملائكة ثم ذكر عدة الملائكة مما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبي والثاني القشيري قال الماوردي عن ابن
عباس ثمانية اجزاء من تسعة وهم الكروبيون والمعنى ينزل بالعرش واضافة العرش الى الله تعالى كما اضاف البيت
وليس البيت للسكنى وكذلك العرش ومعنى فوقهم اي فوق رؤسهم قال السدي العرش تحمله الملائكة الذين في
السماء **قوله تعالى** يومئذ تعرضون اي على الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا يعلم به ما لم يكن
عالما به بل معناه الحساب وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة وروى الحسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك
تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله خرجه الترمذي وقال لا يصح من قبل ان الحسن لم يسمع
من ابي هريرة لا تخفى منكم خافية اي هو عالم بكل شيء من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها
من اعمالهم قال ابن شجرة وقيل لا يخفى عليه انسان اي لا يخفى انسان يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى
المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا تستتر منكم عورة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة وقرا الكوفيون
الا عاصما لا يخفى بالياء لان تانيث الخافية غير حقيقي نحو قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه
قد حال بين الفعل وبين الاسم المؤنث الجار والمجرور الباقون بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الخافية **قوله تعالى**
فاما من اوتي كتابه بيمينه اعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة وقال ابن عباس اول من يعطى كتابه من
هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات هيهات زفته الملائكة
الى الجنة ذكره الثعلبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة والحمد لله
فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اي يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من
دلايل الفرح والشمال من دلايل الغم **قال الشاعر** ابيني افي يمنى يديك جعلتني ٭ فافرح ام صيرتني في شمالك
ومعنى هاؤم تعالوا قاله ابن زيد وقال مقاتل هلم وقيل اي خذوا ومنه الحديث في الربا الا هاء وهاء اي يقول
كل واحد لصاحبه خذ قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول هاء يا رجل اقرا وللاثنين هاؤما يا رجلان
هاؤم يا رجال وللمراة هاء بكسر الهمزة وهاؤما وهاؤن والاصل هاكم فابدلت الهمزة من الكاف قاله القتيبي
وقيل ان هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند النشاط والفرح روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت
عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم وطول صوته وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا
لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخلت الهاء فتبين فتحة الياء وكانت الهاء للوقف وكذلك في اخواته
حسابيه وماليه سلطانيه وفي القارعة ماهيه وقرا العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معا لانهن وقعن في
المصحف بالهاء فلا يترك واختار ابو عبيد ان يتعمد الوقف عليها لتوافق اللغة في الحاق الهاء في السكت وتوافق
الخط وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد ويعقوب بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف فيهن جمع ووافقهم
حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وجملة هذه الحروف سبعة واختار ابو حاتم قراءة يعقوب
ومن معه اتباعا للغة ومن قراهن في الوصل بالهاء فهو على نية الوقف اني ظننت اي ايقنت وعلمت عن
ابن عباس وغيره وقال اني ظننت ان يواخذني الله بسيئاتي عذبني وقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها
قال الضحاك كل ظن في القران من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا
شك وقال الحسن في هذه الاية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء الظن بربه فاساء العمل
اني ظننت اني ملاق حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن
ان الله يحاسبه فعمل للاخرة فهو في عيشة راضية اي في عيش يرضاه لا مكروه فيه وقال ابو عبيدة والفراء راضية
اي مرضية كقولك ماء دافق اي مدفوق وقيل ذات رضى اي يرضى بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب اللبن

والتمر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون باسا
ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية اي قريبة التناول يتناولها
القايم والقاعد والمضطجع على ما ياتي بيانه في سورة الانسان والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو ما
يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك
هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا وقال كلوا
بعد قوله فهو في عيشة راضية لقوله واما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع وذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة
عبد الله بن عبد الاسد المخزومي والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك
ايضا قال الثعلبي ويكون هذا الرجل ونحوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة والسعادة يدل
عليه قوله تعالى كلوا واشربوا وقد قيل ان المراد بذلك كل من متبوع في الخير فاذا كان الرجل راسا في الخير يدعو اليه
ويامر به ويكثر تبعه عليه دعي باسمه واسم ابيه فيتقدم حتى اذا دنا اخرج له كتاب ابيض بخط ابيض في باطنه
السيئات وفي ظاهره الحسنات فيبتدا بالسيئات فيقراها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب
وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه فيقرا حسناته فلا يزداد
الا فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ويؤتى بتاج فيوضع
على راسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة ادم عليه السلام ويقال له انطلق
الى اصحابك فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا ادبر قال هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق
حسابيه قال الله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية اي قد رضيها في جنة عالية في السماء قطوفها ثمارها
وعناقيدها دانية ادنيت منهم فيقول لاصحابه هل تعرفوني فيقولون قد غمرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان
ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي قدمتم في ايام الدنيا واذا
كان الرجل راسا في الشر يدعو اليه ويامر به ويكثر تبعه عليه نودي باسمه واسم ابيه فيتقدم الى حسابه فيخرج له
كتاب اسود بخط اسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات فيبدا بالحسنات فيقراها ويظن انه سينجو
فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير
ثم يقلب كتابه فيقرا سيئاته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه
سيئاتك وقد ضوعفت عليك اي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى انه يزاد عليه ما لم يعمل قال فيعظم للنار وتزرق
عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال له انطلق الى اصحابك واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فينطلق
وهو يقول يا ليتني لم اوت كتابيه ٭ ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ٭ يتمنى الموت هلك عني سلطانيه ٭
تفسير ابن عباس هلكت عني حجتي وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطانه في الدنيا
وهو الملك وكان هذا الرجل مطاعا في اصحابه **قال الله تعالى** خذوه قيل يبتدره مائة الف ملك ثم تجمع يده الى عنقه وهو
قوله عز وجل فغلوه ٭ اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه ٭ اي اجعلوه يصلى الجحيم ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ٭
الله اعلم باي ذراع قاله الحسن وقال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف كل ذراع سبعون باعا وكل باع
ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال مقاتل لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما
يذوب الرصاص وقال كعب لو ان حلقة من السلسلة التي قال الله ذرعها سبعون ذراعا ان حلقة منها مثل جميع
حديد الدنيا فاسلكوه ٭ قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه وقال مقاتل والمعنى ثم اسلكوا فيه
سلسلة وقيل تدخل عنقه فيها ثم يجر بها وجاء في الخبر انها تدخل في دبره وتخرج من منخريه وفي خبر اخر انها تدخل من
فيه وتخرج من دبره فينادي اصحابه هل تعرفوني فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن انت فينادي انا فلان لكل رجل
منكم مثل هذا **قلت** وهذا التفسير اصح ما قيل في هذه الاية يدل عليه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وفي الباب

حديث ابي هريرة بمعناه خرجه الترمذي وقد ذكرناه في سورة سبحان فتامله هناك انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين • اي على الاطعام كما يوضع العطا موضع الاعطا قال الشاعر اكفرا بعد رد الموت عني • وبعد عطائك المائة الرتاعا • اراد بعد اعطائك بيين انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر والحض التحريض والحث واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف الى المسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام موضع المسكين نصب والتقدير الطعام المطعم للمسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول قوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم • خبر ليس قوله له ولا يكون الخبر قوله هاهنا لان المعنى يصير كيف ليس هاهنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعام غيره وهاهنا متعلق بما في له من معنى الفعل والحميم هاهنا القريب يرق له ويدفع عنه وهو ماخوذ من حمم وهو الماء الحار كانه الصديق الذي يرق قلبه له والغسلين فعلين من الغسل فكانه ينغسل من ابدانهم وهو صديد اهل النار السايل من جروحهم وفروجهم عن ابن عباس وقال الضحاك والربيع ابن انس هو شجر ياكله اهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وابشعه ابن زيد لا يعلم ما هو ولا الزقوم وقال في موضع اخر ليس لهم طعام الا من ضريع فيجوز ان يكون الضريع من الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم هاهنا حميم الا من غسلين ويكون الماء الحار ولا طعام اي وليس لهم طعام ينتفعون به • لا ياكله الا الخاطئون • اي المذنبون وقال ابن عباس يعني المشركين وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدولي الخاطون انما هو الخاطيون ما الصابون انما هو الصابيون ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • المعنى اقسم بالاشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون ولا صلة وقيل هو رد الكلام سبق اي ليس الامر كما يقوله المشركون وقال مقاتل سبب ذلك ان الوليد ابن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقال الله عز وجل فلا اقسم اي اقسم وقيل لا هاهنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا القسم لوضوح الحق في ذلك وعلى هذا فجوابه كجواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم يريد جبريل قاله الحسن والكلبي ايضا والقتيبي الرسول نبينا محمد صلعم لقوله وما هو بقول شاعر وليس القران من قول الرسول انما هو من قول الله عز وجل ونسب القول الى الرسول لانه قال به ويبلغه والقايل به كقولنا هذا قول مالك قوله تعالى وما هو بقول شاعر • لانه مباين لضروب الشعر كلها • ولا بقول كاهن • لانه ورد بسبب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئا على من سبهم وما زايدة في قوله قليلا ما تومنون وقليلا ما تذكرون والمعنى قليلا تومنون وقليلا تذكرون وذلك القليل من ايمانهم هو انه اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ولا يجوز ان يكون ما مع الفعل مصدرا وينصب قليلا بما بعده لما فيه من تقديم الصلة على الموصول لان ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر وقرا ابن محيصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب ما يومنون ويذكرون بالياء الباقون بالتاء لان الخطاب قبله وبعده اما قبله فقوله تبصرون واما بعده فما منكم الاية قوله تعالى تنزيل • اي هو تنزيل من رب العالمين • وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل • يقول ان تكلف وان تقول من قبل نفسه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قوله تعالى لاخذنا منه باليمين • اي القدرة والقوة اي لاخذناه بالقوة من صلة زايدة وعبر عن القوة والقدرة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه قاله القتيبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • اي بالقوة وقال اخر ولما رايت الشمس اشرق نورها • تناولت منها حاجتي بيميني • وقال السدي باليمين بالحق قال تلقاها عرابة باليمين اي بالاستحقاق وقال الحسن لقطعنا يده اليمين وقيل المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف قاله نفطويه وقال ابو جعفر الطبري ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاتب كما يقول السلطان لمن

يريد

يريد هوانه خذوا بيديه اي لامرنا بالاخذ بيده وبالغنا في عقابه • ثم لقطعنا منه الوتين • يعني نياط القلب اي لاهلكناه وهو عرق يتعلق بالقلب اذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس واكثر الناس قال اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين • وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه والموتون الذي قطع وتينه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع ولا ان شبع عرف قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين • ما يعني واحد في معنى الجمع فلذلك نعته بالجمع اي فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لان بين لا يقع الا على اثنين فما زاد قال النبي صلعم لم تحل الغنايم لاحد سوى الروس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زايدة والحجز المنع وحاجزين يجوز ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لم يمتنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب قوله تعالى وانه • يعني القران لتذكرة للمتقين • اي الخايفين الذين يخشون الله ونظيره فيه هدى للمتقين على ما بيناه اول سورة البقرة وقيل المراد محمد صلعم اي هو تذكرة ورحمة ونجاة قوله تعالى وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران • وانه لحسرة • يعني التكذيب والحسرة الندامة وقيل اي وان القران لحسرة على الكافرين يوم القيمة اذا راوا ثواب من امن به وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم ان ياتوا بمثله • وانه لحق اليقين • يعني ان القران العظيم تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل اي حقا يقينا ليكونن ذلك حسرة عليهم يوم القيمة فعلى هذا وانه لحسرة اي وان التحسر فهو مصدر بمعنى التحسر فيجوز تذكيره وقال ابن عباس انما هو كقولك لعين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين • فسبح باسم ربك العظيم • اي فصل لربك قاله ابن عباس وقيل اي نزه عن السوء والنقايص

تفسير سورة المعارج وهي مكية باتفاق وهي اربع واربعون اية

تفسير سورة المعارج وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سال سايل بعذاب واقع • نافع وابن عامر سال سايل بغير همزة الباقون بالهمز فمن همز فهو من السؤال والباء يجوز ان يكون بمعنى عن والسؤال بمعنى الدعا اي دعا داع بعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره اي التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا فالباء زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وقوله وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيد اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي صلعم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شيء منك ام من الله تعالى فقال النبي صلعم والله الذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل الاية وقيل ان السايل هنا ابو جهل وهو القايل لذلك قاله الربيع وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلعم اي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب ان يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام

الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب واذا كانت الباء بمعنى عن وهو قول قتادة فكان
سايلا سال عن العذاب بمن يقع او متى يقع قال الله تعالى فاسال به خبيرا وقال علقمة فان تسالوني بالنساء فانني
بصير بادواء النساء طبيب اي عن النساء ويقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان ويقال سالوا بمن يقع العذاب
ولمن يكون فقال الله للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السوال فاصله ان يتعدى الى مفعولين
ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل
النبي او المسلمين بعذاب او عن عذاب ومن قرا بغير همز فله وجهان احدهما انه لغة في السوال وهي لغة
قريش تقول العرب سال يسال مثل نال ينال وخاف يخاف والثاني ان يكون من السيلان ويويده قراءة ابن عباس
سال سيل قال عبد الرحمن بن زيد فسال واد من اودية جهنم يقال له سايل وهو قول زيد بن ثابت قال الثعلبي والاول
احسن كقول الاعشى في تخفيف الهمزة • سالتاني الطلاق اذ رانماني • قل مالي قد جيتماني بنكر • وفي الصحاح
قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال يسال وقال • ومرهق سال
امتاعا باصدته • لم يستعن وحوامي الموت تغشاه • الهروي من قرا سال جاز ان يكون خفف الهمزة بابدالها
الفا وهو البدل على غير قياس وجاز ان تكون الالف منقلبة عن واو على لغة من قال سلت اسال كخفت
اخاف النحاس حكى سيبويه سلت اسال مثل خفت اخاف بمعنى سالت وانشد • سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب • ويقال هما يتساولان المهدوي وجاز ان تكون مبدلة من ياء من سال يسيل
ويكون سايل واديا في جهنم فهمزة سايل على القول الاول اصلية وعلى الثاني بدل من واو وعلى الثالث بدل
من ياء القشيري وسايل مهموز لانه ان كان من سال بالهمز فهو مهموز وان كان من غير الهمز كان مهموزا
ايضا نحو قايل وخايف لان العين اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل ايضا ولم يكن الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس
فكان بالقلب الى الهمزة لتخفيف الهمزة حتى تكون بين بين واقع اي يقع بالكافرين انه من الله ذي المعارج
وقال الحسن انزل الله سال سايل بعذاب واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام في للكافرين متعلقة
بواقع وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب واللام دخلت للعذاب لا للواقع
اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على والمعنى واقع على
الكافرين وروي انها في قراءة ابي كذلك وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع • عن الكافرين من الله • اي ذلك
العذاب من الله • ذي المعارج • اي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج
مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلا قال مجاهد هي معارج السماء وقيل هي معارج الملايكة لان
الملايكة تعرج الى السماء فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اي ذو الغرف اي جعل لاوليايه
في الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح
والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون • تعرج الملايكة والروح • اليه • اي تصعد في المعارج
التي جعلها الله لهم وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي يعرج بالياء على ارادة الجمع ولقوله ذكروا
الملايكة ولا تونثوهم وقرا الباقون بالتاء على ارادة الجماعة والروح جبريل عم قاله ابن عباس دليله قوله
تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله كهيية الناس
وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في
السماء لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه
اي الى عرشه • في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • قال وهب والكلبي ومحمد بن اسحق اي عروج الملايكة
الى المكان الذي هو محلهم في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين الف سنة وقال وهب ايضا من
اسفل الارض الى العرش مسيرة خمسين الف سنة وهو قول مجاهد وجمع بين هذه الاية وقوله في يوم كان

مقداره

مقداره الف سنة في سورة السجدة فقال في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من منتهى امره من
اسفل الارضين الى منتهى امره من فوق السموات خمسون الف سنة وقوله تعالى في الم تنزيل في يوم كان
مقداره الف سنة يعني بذلك الامر من سماء الدنيا الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار
الف سنة لان ما بين السماء الى الارض خمسماية عام وعن مجاهد ايضا والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول
ما خلقت الى اخر ما بقي خمسون الف سنة لا يدري احدكم مضى وكم بقي الا الله وقيل المراد يوم القيمة اي مقدار
الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون الف سنة قاله عكرمة ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول سبحانه وتعالى
وانا افرغ منه في ساعة وقال الحسن هو يوم القيمة لا انفاد له ذكر موقفهم للحساب هو في خمسين الف سنة من
سني ثم حينيذ يستقر اهل الدارين في الدارين وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنا في كل موطن الف
سنة وقال ابن عباس هو يوم القيمة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار
قلت وهذا القول احسن ما قيل في هذه الاية ان شاء الله بدليل ما رواه قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلعم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلعم والذي نفسي بيده
انه ليخفف عن المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا واستدل النحاس على صحة هذا
القول بما رواه سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال ما من رجل لم يود زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار
ويكوى بها جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس قال فهذا يدل على انه
يوم القيمة وقال ابرهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي هذا المعنى مرفوعا
من حديث معاذ عن النبي صلعم انه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع
الحساب واسرع الحاسبين ذكره الماوردي وقيل بل يكون الفراغ لنصف يوم كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وهذا على قدر فهم الخلايق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذلك يحاسبهم
في لحظة قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وعن ابن عباس ايضا انه سيل عن هذه الاية وعن قوله في
يوم كان مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله هو اعلم بها كيف تكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم وقيل معنى ذكر
خمسين الف سنة تمثيل وهو تعريف طول مدة القيمة في الموقف وما يلقى الناس فيه من الشدايد والعرب تصف ايام
الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر قال الشاعر ويوم كظل الرمح قصر طوله • دم الزق عنا واصطفاق المزاهر • وقيل
في الكلام تقديم وتاخير والمعنى سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه وهذا القول هو معنى ما اختاره والموفق الاله قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي
على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم
لا يدرى من هو والمعنى متقارب وقال ابن زيد هي منسوخة باية السيف انهم يرونه بعيدا • يريد اهل مكة يرون
العذاب بالنار بعيدا اي غير كاين • ونراه قريبا • لان ما هو ات فهو قريب قال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم
لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيد لا يكون وقيل اي يرون هذا
اليوم بعيدا ونراه نعلمه لان الروية انما تتعلق بالموجود وهو كقول الشافعي يرى في هذه المسيلة كذا وكذا
قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل • العامل في يوم الواقع بعد قوله يقع بهم العذاب يوم وقيل نراه او بيصرونهم او تكون
بدلا من قريب والمهل دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس وغيره وقال ابن مسعود ما اذيب من الرصاص والنحاس
والفضة وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم وصديد وقد مضى في سورة الدخان والكهف القول فيه • وتكون الجبال كا
لعهن • اي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا ان يكون مصبوغا وقال الحسن تكون الجبال كالعهن وهو الصوف
الاحمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير كان فتات العهن في كل منزل • نزلن به حب الفنا لم يحطم • الفنا القطع
والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تلونها الوانا والمعنى انها تلين بعد

للشقة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا • ولا
يسئل حميم حميما • اي عن شانه لشغل كل انسان بنفسه قاله قتادة كما قال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقيل
ولا يسئل حميم عن حميم فحذف الجار ووصل الفعل وقراءة العامة يسئل بفتح الياء وقرا شيبة والبزي عن عاصم ولا يسئل
على ما لم يسم فاعله اي لا يسئل حميم عن حميم ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسئل عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت
رهينة قوله تعالى يبصرونهم • اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل اباه
واخاه وقرابته وعشيرته ولا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون
بعد تلك الساعة وفي بعض الروايات ان اهل القيامة يفرون من المعارف مخافة المظالم وقال ابن عباس ايضا يبصر
بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على هذا للكفار والهاء والميم للاقرباء وقال مجاهد
المعنى يبصر الله المؤمنين الكفار في يوم القيامة فالضمير في يبصرونهم للمؤمنين والهاء والميم للكفار ابن زيد المعنى يبصر الله
الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه
والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام
عند قوله يبصرونهم ثم قال • يود المجرم • اي يتمنى الكافر • لو يفتدي من عذاب يومئذ • يعني من عذاب جهنم باعز ما كان
عليه في الدنيا من اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال • ببنيه وصاحبته • زوجته • واخيه • وفصيلته • اي عشيرته
التي تؤويه • تنصره قاله مجاهد وابن زيد وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب وقال ابو عبيدة
الفصيلة دون القبيلة وقال ثعلب هم اباؤه الادنون وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد وهي دون القبيلة
وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها بالبعض منه وقد مضى في سورة الحجرات القول في القبيلة وغيرها وهنا مسالة وهي
اذا حبس على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنى فالادنى والاول اكثر
في النطق والله اعلم ومعنى تؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به • ومن في الارض جميعا • اي ويود لو فدي بهم لافتدى
ثم ينجيه • اي يخلصه ذلك فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا
بالفاء كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي
فينجيه الافتداء قوله تعالى كلا • تقدم القول في كلا وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت
بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اي ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء
ثم قال انها لظى • اي هي جهنم اي تتلظى نيرانها كقوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى واشتقاق لظى من التلظي والتظاء النار
التهابها وتلظيها تلهبها وقيل كان اصلها لظظ اي دامت لدوام عذابها فقلبت احدى الظائين الفا فبقيت لظى
وقيل هي الدركة الثانية من طبقات جهنم وهي اسم مؤنثة معرفة فلا تنصرف • نزاعة للشوى • قرا ابو جعفر وشيبة
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي نزاعة بالرفع وروى ابو عمرو عن عاصم نزاعة بالنصب
فمن رفع فله خمسة اوجه احدها ان تجعل لظى خبر ان وترفع نزاعة باضمار هي فمن هذا الوجه يحسن الوقف على لظى والوجه الثاني
ان تكون لظى ونزاعة خبرين لان كما تقول انه خلق مخاصم والوجه الثالث ان تكون نزاعة بدلا من لظى ولظى خبر ان
والوجه الرابع ان تكون لظى بدلا من اسم ان ونزاعة خبر ان والوجه الخامس ان يكون الضمير في انها للقصة ولظى مبتدا
ونزاعة خبر الابتداء والجملة خبر ان المعنى ان القصة والخبر لظى نزاعة للشوى ومن نصب نزاعة حسن له ان يقف
على لظى وينصب نزاعة على القطع من لظى اذا كانت نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق
مصدقا ويجوز ان تنصب على معنى انها تتلظى نزاعة اي في حال نزعها للشوى والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى
التلظي ويجوز ان يكون حالا على انه حال للمكذبين بخبرها ويجوز نصبها على المدح كما تقول مررت بزيد العاقل الفاضل
فهذه خمسة اوجه للنصب ايضا والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس قال الاعشى قالت قتيلة ماله • قد جللت شيبا شواته • وقال
اخر لاصبحت هدتك الحوادث هدة • لها فشواة الراس باد قتيرها • الشيب وفي الصحاح والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس

والشق

والشق واليدان والرجلان والراس من الادميين وكل ما ليس مقتلا يقال رماه فاشواه قال الهذلي فان من القول
التي لا شوى لها • اذا زل عن ظهر اللسان انفلاتها • يقول ان من القول كلمة لا تشوي ولكن تقتل قال الاعشى قالت قتيلة
ماله قد جللت شيبا شواته • قال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب الاخفش ابا عمرو بن العلا فقال له صحفت انما هو سراته
فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انما هو شواته وشوى قوائمه لانه يقال عبل الشوى ولا يكون هذا للراس لانهم قد
وصفوا الخيل باسالة الخدين وعتق الوجه وهو دقته والشواد الى المال والشوى هو الشي الهين اليسير وقال ثابت البناني
والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه ابو العالية لمحاسن وجهه قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك
تبري اللحم والجلد على العظم حتى لا يترك منه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقال بعض الائمة هي القوائم والجلود قال
امرؤ القيس سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفات على الفال • وقال ابو صالح اطراف اليدين والرجلين
قال الشاعر اذا نظرت عرفت الفخر منها • وعينيها ولم تعرف شواها • يعني اطرافها وقال الحسن ايضا الشوى الهام • تدعو
من ادبر وتولى • اي تدعو لظى من ادبر وتولى في الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الايمان ودعاؤها ان تقول يا
مشرك الي يا كافر وقال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح اي يا كافر يا منافق ثم تلتقطهم
كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعو اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعا تعالوا
ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي ان مصير
من ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر ولقد هبطنا بواد بين وادين تدعوا • الانيس به
العضيض الابكم • العضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه نبه عليه فدعا اليه قلت القول الاول هو
الحقيقة حسب ما تقدم بيانه باي القران والاخبار الصحيحة القشيري ودعا لظى بخلق الحياة فيها حين تدعو
وخوارق العادة غدا كثيرة • وجمع فاوعى • اي جمع المال فجعله في وعائه ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا
منوعا قال الحكم كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعى قوله تعالى ان الانسان
خلق هلوعا • يعني الكافر عن الضحاك والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع والخسة وكذلك قال قتادة
ومجاهد وغيرهما وقد هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير والمعنى انه لا يصبر في خير ولا شر حتى يفعل فيهما
ما لا ينبغي عكرمة هو الضجور الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله وقال ابن كيسان
خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكره ويسخط ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره
وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر قاله ثعلب وقال ايضا قد فسره الله
الهلوع وهو الذي اذا ناله الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد
شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة قال يكاد عليها اذا
استدبرتها • حرج اذا استقبلتها هلواع • وجزوعا ومنوعا نعتان لهلوع على ان ينوى بهما التقديم وقيل اذا
وقيل خبر كان مضمرة قوله تعالى الا المصلين • دل على ان ما قبله في الكفار فالانسان اسم جنس بدليل الاستثناء
الذي يعقبه كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة
المكتوبة ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون عامة فانهم
يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم • الذين هم على صلاتهم دائمون • اي على مواقيتها وقال عقبة بن عامر
هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدائم اي الساكن وقال ابن
جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها • والذين في اموالهم حق معلوم • يريد الزكاة المفروضة قاله قتادة
وابن سيرين وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة الرحم وحمل الكل والاول اصح لانه وصف
الحق بانه معلوم وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر • للسائل والمحروم • تقدم
في والذاريات • والذين يصدقون بيوم الدين • اي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة وقد مضى في سورة الفاتحة القول فيه

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • اي خائفون • ان عذاب ربهم غير مأمون • قال ابن عباس لمن اشرك او كذب انبياءه
وقيل لا يأمنه احد بل الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه • والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • تقدم في سورة المؤمنون • والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون • تقدم ايضا • والذين هم بشهاداتهم قائمون • على من كانت قريبا او بعيدا يقومون بها عند الحاكم
ولا يكتمونها ولا يغيرونها وقد مضى القول في الشهادة واحكامها في البقرة وقال ابن عباس بشهاداتهم ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقرئ لاماناتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن فالامانة اسم جنس
فيدخل فيها امانات الدين فان الشرايع امانات ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس الودايع وقد مضى
هذا كله مستوفى في النساء وقرا عباس الدوري عن ابي عمرو ويعقوب بشهاداتهم جمعا الباقون بشهادتهم على التوحيد
لانها تؤدى عن الجميع فالمصدر قد يفرد وان اضيف الى الجمع كقوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال الفراء ويدل
على انها بشهادتهم توحيدا قوله تعالى واقيموا الشهادة لله • والذين هم على صلاتهم يحافظون • قال قتادة على
وضوئها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج التطوع وقد مضى في سورة المؤمنين فالدوام خلاف المحافظة فدوامهم
عليها ان يحافظوا على اداها لا يخلون ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ
الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظونها من الاحباط باقتراف المآثم
فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها • اولئك في جنات مكرمون • اي اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات

قوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين • قال الاخفش مسرعين • قال

بمكة اهلها ولقد اراهم • اليه مهطعين الى السماع
والمعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم مسرعين في التكذيب لك وقيل ما
بال الذين كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك وقال عطية مهطعين معرضين الكلبي ناظرين
اليك تعجبا وقال قتادة عامدين والمعنى متقارب اي ما بالهم مسرعين عليك مادين اعناقهم مدمنين النظر اليك وذلك
من نظر العدو وهو منصوب على الحال عن اليمين وعن الشمال عزين • اي متفرقين حلقا وجماعات والعزين جماعات في تفرقة قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه خرج على اصحابه فرآهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة
عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف خرجه مسلم وغيره • وقال الشاعر • ترانا عنده والليل داج
على ابوابه حلقا عزينا • وقال الراعي • اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسى سراتهم اليك عزينا • اي متفرقين • وقال اخر
كانهم على مناح • صرعى حصاه اما عزينا • وقال الكميت • ونحن وجندك ساع تركنا • كتايب جندك شتى عزينا •
وقال عنترة • وقرن قد تركت لدى ولي • عليه الطير كالعصب العزين • وواحد عزين عزة جمع بالواو والنون ليكون ذلك
عوضا مما حذف منها واصلها عزهة فاعتلت سنة فمن قال اصلها سنهة وقيل اصلها شنه وقيل اصلها عزوة
من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره فكل احد من الجماعات مضافة الى الاخرى والمحذوف منها الواو وفي الصحاح
العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الياء والجمع عزى على فعل الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصناف من الناس
وعن اليمين وعن الشمال • متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق بعزين على حد قولك اخذته عن زيد • ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم • قال المفسرون كان المشركون يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فيكذبونه
ويكذبون عليه ويستهزؤون باصحابه ويقولون لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ولئن اعطوا منها شيئا
لنعطين اكثر منه فنزلت ايطمع الاية وقيل كان المستهزئون خمسة رهط وقرا الحسن وطلحة ابن مصرف والاعرج
ان يدخل بفتح الياء وضم الخاء مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم الباقون ان يدخل على الفعل المجهول • كلا • لا يدخلونها
ثم ابتدا فقال • انا خلقناهم مما يعلمون • اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق
ساير جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا
يستهزؤون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون فلا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة

في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله وروي ان مطرف بن عبد الله الشخير راى المهلب بن ابي صفرة
يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بينهما تحمل العذرة فمضى
المهلب وترك مشيته • نظم هذا الكلام محمود الوراق فقال • عجبت من معجب بصورته • وكان في الاصل نطفة مذره •
وهو غدا بعد حسن صورته • يصير في اللحد جيفة قذره • وهو على تيهه ونخوته • ما بين ثوبيه يحمل العذره •
وقال اخر • هل في ابن ادم غير الراس مكرمة • وهو بخمس من الاوساخ مضروب • انف يسيل واذن ريحها سهك • والعين
مرمصة والثغر ملهوب • يا ابن التراب وماكول التراب غدا • اقصر فانك ماكول ومشروب • وقيل معناه من اجل
ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الشاعر وهو الاعشى • ازمعت من ال ليلى ابتكارا • وشطت
على ذي هوى ان تزارا • اي من اجل ان تزار • قوله تعالى فلا اقسم • لا صلة • برب المشارق والمغارب • هي مشارق الشمس
ومغاربها وقد مضى الكلام فيها وقرا ابو حيوة وابن محيصن وحميد برب المشرق والمغرب على التوحيد • انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم • يقول نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع والمال وما نحن
بمسبوقين • اي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر نريده • قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا • اي اتركهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به ولا يعظمن عليك شركهم فان لهم يوما يلقون فيه
ما وعدوا وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون • وهذه الاية منسوخة باية
السيف • قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث • يوم بدل من يومهم الذي قبله وقراءة العامة يخرجون بفتح الياء
وضم الراء وفتح الراء على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها جدث وقد مضى في سورة يس • سراعا
حين يسمعون الصيحة الاخيرة الى اجابة الداعي وهو نصب على الحال • كانهم الى نصب يوفضون • قراءة العامة
بفتح النون وجزم الصاد وقرا ابن عامر وحفص بضم النون واسكان الصاد والنصب لغتان مثل الضعف والضعف
الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون الله وكذلك النصب بالضم وقد يحرك قال الاعشى • وذا النصب المنصوب
لا تنسكنه • والله ربك فاعبدا • فوقف بالالف كما تقول رايت زيدا والجمع الانصاب وقوله وذا النصب يعني اياك وذا النصب
والنصب الشر والبلاء ومنه قوله تعالى مسني الشيطان بنصب وعذاب وقال الاخفش والفراء النصب جمع النصيب مثل
رهن ورهن والانصاب جمع النصب فهو جمع الجمع وقيل النصب والانصاب واحد وقيل النصب جمع نصاب وهو حجر
او صنم يذبح عليه ومنه قوله تعالى وما ذبح على النصب وقد قيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل في عمر وعمر ذكره
النحاس قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي ينصب اليها بصره وقال الكلبي الى شيء منصوب علم او راية
وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم • يوفضون • يسرعون والايفاض الاسراع قال الشاعر • فوارس ذبيان تحت الحديد • كالجن يوفضون
من عبقر • وقال الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها والايفاض متعدد والذي في الاية لازم يقال
وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع • قوله تعالى خاشعة ابصارهم • اي ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعون
من عذاب الله • ترهقهم ذلة • اي يغشاهم الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق
اذا غشي الاحتلام رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر والرهق العذاب
والمعنى قد يلحقهم الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به يكون لا محالة • ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون • سورة نوح عليه السلام

مكية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه • وقد مضى القول في
ان نوحا اول رسول ارسل في سورة الاعراف رواه قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل
الى جميع اهل الارض فلذلك لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو
ادريس بن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى
قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين وقد مضى القول فيه في سورة العنكبوت والحمد لله
ان انذر قومك • موضع ان نصب باسقاط الخافض وقيل موضعها جر لقوته خدمتها مع ان ويجوز ان بمعنى

تفسير سورة نوح مكيه

المنذرة وقد يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء وقراءة عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول البقرة • من قبل ان ياتيهم عذاب اليم • قال ابن عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو ما نزل عليهم من الطوفان وقيل اي انذرهم العذاب الاليم على الجملة ان لم يومنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى فيهم مجيبا وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى في سورة العنكبوت قوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين • اي مخوف مبين اي مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه • ان اعبدوا الله واتقوه • وان المفسرة على ما تقدم في ان انذر اعبدوا اي وحدوا واتقوا خافوا • واطيعون • اي فيما امركم به فاني رسول الله اليكم • يغفر لكم من ذنوبكم • قاله السدي وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها • ويؤخركم الى اجل مسمى • قال ابن عباس اي ينسي في اعماركم وان لم يومنوا عوجلوا بالعذاب وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى اجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدائد الى اجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفراء وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله • ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر • بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه • لو كنتم تعلمون • لعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر قوله تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا • اي سرا وجهرا وقيل اي واصلت الدعاء • فلم يزدهم دعائي الا فرارا • اي تباعدا من الايمان وقراءة العامة بفتح الياء من دعائي واسكنها الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو قوله تعالى واني كلما دعوتهم لتغفر لهم • اي الى سبب المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك • جعلوا اصابعهم في اذانهم • لئلا يسمعوا دعائي • واستغشوا ثيابهم • اي غطوا بها وجوههم فاستغشاء الثياب في سد الاذان حتى لا يسمعوا لتكبرهم انفسهم حتى بالسكت وليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية عن العداوة فيقال لبس فلان ثياب • واصروا • اي على الكفر فلم يتوبوا • واستكبروا • عن الحق لانهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون • استكبارا • تفخيم قوله تعالى ثم اني دعوتهم جهارا • اي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه من بعضهم نصب بعضه لكونها احد انواع القعود او لانه جهارا او مجاهرا به او يكون مصدرا في موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعوة • ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا • اي لم ابق مجهودا وقال مجاهد اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعاء عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء لهم وتلطف في الدعاء لهم وفتح الياء من اني اعلنت الحرميون وابو عمرو واسكن الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم • فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وهذا منه ترغيب في التوبة وقد روى حذيفة بن اليمان عن النبي صلعم انه قال الاستغفار ممحاة للذنوب وقال الفضيل يقول العبد استغفر الله وتفسيرها اقلني الثانية قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء ففيه اضمار وقيل السماء المطر اي يرسل المطر قال الشاعر

اذا سقط السماء بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •

ومدرارا ذا غيث كثير وجزم يرسل جوابا للامر وقال مقاتل لما كذبوا نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا الى نوح عم واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه لم يزل كذلك لمن اناب اليه ثم قال ترغيبا في الايمان • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا • قال قتادة علم نبي الله صلعم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا والاخرة الثالثة في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار يستنزل

به الرزق

به الرزق والامطار قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال ابن صبيح شكى رجل الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقني ولدا فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت من عندي شيئا ان الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقد مضى في سورة ال عمران كيفية الاستغفار وان ذلك يكون عن اخلاص واقلاع عن الذنوب وهو الاصل في الاجابة قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا • قيل الرجاء هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته على احدكم بالعقوبة اي عذر لكم في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطاء بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابال والوقار العظمة والتوقير التعظيم وقال قتادة ما لكم لا ترجون عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار الثبات لله عز وجل ومنه قوله تعالى وقرن في بيوتكن اي اثبتن ومعناه ما لكم لا تثبتون لله عز وجل وانه الهكم لا اله لكم سواه قال ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال • وقد خلقكم اطوارا • يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة اي طورا بعد طور الى تمام الخلق كما ذكر في سورة المؤمنين والطور في اللغة المرة اي من فعل هذا وقدر عليه فهو احق ان تعظموه وقيل اطوارا صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفاء ثم اقوياء وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل ان اطوارا اختلافهم في الاخلاق والافعال قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا • ذكرهم دليل التوحيد اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وسماء خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه • وجعل القمر فيهن نورا • اي في سماء الدنيا كما يقال اتاني بنو تميم واتيت بني تميم والمراد بعضهم قاله الاخفش قال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقال الكلبي اي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقال جلة اهل اللغة في قول امرئ القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده • ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال •

في بمعنى مع النحاس وسالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين انه اذا جعله في احداهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة وان كنت انما اعلمت احدها وجواب اخر يروى ان وجه القمر الى داخل السماء واذا كان الى داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال عطاء نورا لاهل السماء والارض وقال ابن عباس القمر وجهه لاهل الارض وظهره يعني لاهل السماء • وجعل الشمس سراجا • يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم

وفي اضاءتها لاهل السماء القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهها في
السموات وقفاه في الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله ابن عمر وما بال الشمس تصطلينا احيانا وتبرد علينا
احيانا فقال انها في الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ولو كانت
في السماء الدنيا لما قام لها شيء قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا يعني ادم عليه السلام خلقه من
اديم الارض كلها قال ابن جريج وقد مضى في سورة البقرة والانعام وقال خالد بن معدان خلق الانسان
من طين فانما تلين القلوب في الشتاء ونباتا مصدر على غير المصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل
الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر وقد مضى بيانه في سورة ال عمران وغيرها وقيل هو مصدر محمول على
المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا قاله الزجاج والخليل وقيل اي انبت لكم من الارض النبات
فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر
وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور للبعث يوم القيمة
قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا السبل الطرق والفجاج
جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين وقد مضى في سورة الانبياء
والحج قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني شكاهم الى الله تعالى بانهم عصوه ولم يتبعوه فيما امرهم به
من الايمان قال اهل التفسير لبث فيهم ما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم
وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رجا نوح بعد الابناء منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما
حتى كثر الناس وفشوا قال الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني كبراهم واغنياهم الذين لم يزدهم كبرهم واموالهم واولادهم الا
ضلالا في الدنيا وهلاكا في الاخرة وقرا اهل المدينة والشام وعاصم وولده بفتح الواو واللام الباقون
ولده بضم الواو وسكون اللام وهي لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا للولد اما المال فانه واحد
وجمع وقد تقدم قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا اي كبيرا عظيما يقال كبير وكبار مثل عجيب وعجاب بمعنى
ومثله طويل وطوال يقال رجل حسن وحسان وجميل وجمال وقرا القراء ووضاء للوضي وانشد ابن
السكيت بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء وقال اخر والمرء يلحقه بحسان الندى
خلق الكريم وليس بالوضاء وقال المبرد كبار بالتشديد للمبالغة وقرا ابن محيصن وحميد ومجاهد كبارا
بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم للناس
بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما
جعلوه لله من الصاحبة والولد وقيل مكرهم كفرهم وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرون
الهتكم ولا تذرن ودا قوله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا قال ابن عباس وغيره
هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها
غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله تعالى لا تذرن الهتكم
ويكون معنى الكلام كما قال قوم نوح لاتباعهم لا تذرن الهتكم قالت العرب لاولادهم وقومهم لا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح عم وعلى القول الاول الكلام
منسوب كله الى قوم نوح وقال عروة ابن الزبير وغيره اشتكى ادم عم وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر
وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه
قالوا افعل فصوره من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتنقصت الاشياء

كلما ينقص

كلما ينقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما
نعبد قال الهتكم والهة ابائكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا لا
تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين
بين ادم ونوح وكان لهم تبع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم
وليتسلوا بالنظر اليها فصورهم فلما ماتوا وجاء اخرون قالوا ليت شعرنا هذه الصور ما كان اباؤنا يصنعون
بها فجاءهم الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئ عبادة الاوثان
من ذلك الوقت قلت وبهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا
كنيسة رايتاها بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صم فقال رسول الله صم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل
الصالح فمات فبنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة وذكر الثعلبي
عن ابن عباس قال هذه الاصنام اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا في
مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك
ونسخ العلم عبدت من دون الله وذكر ايضا عن ابن عباس ان نوحا عم كان يحرس جسد ادم عم على جبل بالهند فيمنع
الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما
هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان
دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب قال الماوردي فاما ود فهو
اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا ومقاتل
وفيه يقول شاعرهم حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر
في قولهم واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان الثعلبي
وللحرث على وانعم وهما من طي ولاهل جرش من مذحج واما يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية
ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحرث بن كعب بن خزاعة وقال ابو عثمان الهندي رايت يغوث
وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك
نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله واما يعوق فكان لهمدان ببلخع في قول
عكرمة وقتادة وعطا ذكره الماوردي وقال الثعلبي واما يعوق فكان لكهلان من سبا ثم توارثه بنوه الاكبر
حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش
واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ونحوه عن مقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع
على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير فالله اعلم
وقرا نافع ولا تذرن ودا بضم الواو وفتحها الباقون قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا
بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التاء و
ادغموها في الدال والود في قول امرئ القيس تظهر الود اذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تعتكر قال ابن دريد هو اسم
جبل وود صنم كان لقوم نوح عم ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سموا عبد ود وقال لا تذرن الهتكم
ثم قال ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية خصها بالذكر لقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وقد اضلوا كثيرا هذا من قول نوح اي اضل كبراؤهم كثيرا من اتباعهم فهو عطف على قوله ومكروا مكرا
كبارا وقيل ان الاصنام اضلوا كثيرا اي ضل بسببها كثير نظيره قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاجرى
عليهم وصف ما يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي عذابا قاله ابن بحر واستشهد
بقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالموت بالمال والولد وهو محتمل قوله تعالى

ثم خطاياهم اغرقوا ما صلة مؤكدة والمعنى قال وما يدل على المجازات وقراءة ابي عمرو خطاياهم على جمع التكثير الواحد خطية وكان الاصل في الجمع خطايئ على فعايل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لان قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء الفا ثم قلبت الهمزة الاولى لخفائها بين الالفين الباقون خطيئاتهم على جمع السلامة قال ابو عمرو قوم كفروا الف سنة فلم يكن لهم الا خطيات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيات. وقال قوم خطايا وخطيات واحد جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما وقرئ خطياهم وخطيئاتهم بقلب الهمزة وادغامها وعن الجحدري وعمرو بن عبيد والاعمش وابو حيوة واشهب العقيلي خطيئتهم على التوحيد والمراد الشرك فادخلوا نارا اي بعد اغراقهم قال القشيري وهذا يدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كما قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اشارة الى ما في الخبر البحر نار في نار وروى ابو روق عن الضحاك في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب ذكره الثعلبي انشدنا ابو القاسم الحسني قال انشدنا ابو سعيد احمد بن محمد بن رميح قال انشدنا ابو بكر بن الانباري الخلق مجتمع طورا ومفترق والحادثات فنون ذات اطوار لا تعجبن لاضداد ان اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يرفع عنهم العذاب قوله تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا دعا عليهم حين يئس من اتباعهم اياه قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي ص اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام النساء واصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة وقيل باربعين قال قتادة ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم كان عذابا من الله لهم وعدلا فيهم ولكن الله اهلك اطفالهم وذريتهم بغير عذاب ثم اهلكهم الله بالعذاب بدليل قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم الثانية قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين ودعا النبي ص على من تحزب على المؤمنين والب عليهم وكان هذا اصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم يعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان مآله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي ص بالدعاء عتبة وشيبة واصحابهما لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء عن حالهم والله اعلم قلت قد مضت هذه المسئلة مجردة في سورة البقرة الثالثة قال ابن العربي ان قيل لم جعل نوح دعوته على قومه سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة قلنا قال الناس في ذلك وجهين احدهما ان تلك الدعوة نشات عن غضب وقسوة والشفاعة تكون عن رضى ورقة فخاف ان يعاتب بها ويقال دعوت على الكفار بالامس وتشفع لهم اليوم الثاني انه دعا غضبا بغير نص ولا اذن صريح في ذلك فخاف الدرك فيه الى يوم القيمة كما قال موسى عم اني قتلت نفسا لم اؤمر بقتلها قال وبهذا اقول قلت وان كان لم يؤمر بالدعاء نصا فقد قيل له انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاعلم عواقبهم فدعا بالهلاك كما دعا نبينا صلى الله عليه وسلم على شيبة وعتبة ونظرائهم فقال اللهم عليك بهم لما اعلم عواقبهم وعلى هذا يكون فيه معنى الامر بالدعاء والله اعلم الرابعة قوله تعالى ديارا اي من يسكن الديار قاله السدي واصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى مثل القيام اصله قيوام ولو كان فعالا لكان دوارا وقال القتيبي اصله من الدار اي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار اي احد وقيل الديار صاحب الدار قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين وهو

لامك

لامك بن متوشلخ وسمحا بنت انوش ذكره القشيري والثعلبي وحكى الماوردي في اسم امه سمحا وقال سعيد ابن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرا سعيد بن جبير ولوالدي بكسر الدال على الواحد قال الكلبي كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنين وقال ابن عباس لم يكفر لنوح اب فيما بينه وبين آدم عليهما السلام ولمن دخل بيتي مؤمنا اي مسجدي ومصلاي مصليا مصدقا بالله وكان انما يدخل بيوت الانبياء من آمن بهم فجعل المسجد سبب الدعاء في المغفرة وقد قال النبي ص الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه الحديث وقد تقدم هذا قول ابن عباس بيتي مسجد حكاه الثعلبي وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا ولمن دخل ديني فالبيت بمعنى الدين حكاه القشيري وقاله جويبر وعن ابن عباس ايضا يعني صديقي الداخل الى منزلي حكاه الماوردي وقيل اراد داري وقيل سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات عامة الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اظهر ولا تزد الظالمين اي الكافرين الا تبارا فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاه السدي ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وقيل التبار الدمار والمعنى واحد والله اعلم

تفسير سورة الجن مكية

سورة الجن مكية في قول الجميع وهي ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى قل اوحي الي اي قل يا محمد لامتك اوحي الله الي على لسان جبريل انه استمع الي نفر من الجن وما كانوا عليه السلام عالما به قبل ان يوحى اليه هكذا قال ابن عباس وغيره على ما ياتي وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل يقال اوحى اليه ووحي فقلبت الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومه وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واساده واعاء ونحوه الثانية واختلف هل راهم النبي ص ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى استمع وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال ما قرا رسول الله ص على الجن وما راهم انطلق رسول الله ص في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي ص وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه ص قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن رواه الترمذي عن ابن عباس قال قول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما راوه يصلي واصحابه يصلون بصلاته ويسجدون معه تعجبوا من طواعية اصحابه له قالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا هذا حديث حسن صحيح ففي هذا الحديث دليل على انه عليه السلام لم ير الجن ولكنهم حضروه وسمعوا قراءته وفيه دليل على ان الجن كانوا مع الشياطين يتجسسون الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب وكان المرميون بالشهب من الجن ايضا وقيل لهم شياطين كما قال شياطين الجن والانس فان الشيطان كل متمرد وخارج من طاعة الله وفي الترمذي عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الى الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيها فيكون باطلا فلما بعث رسول الله ص منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الامر الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ص قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض هذا حديث حسن صحيح فدل هذا الحديث على ان الجن رموا كما رميت الشياطين وفي رواية السدي انهم لما رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان

من امرهم فقال ائتوني من كل ارض بقبضة من ترابها فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث نفرا قيل كانوا سبعة وقيل تسعة منهم زوبعة وروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي م وقال الثعالبي بلغني انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا واقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس وروى ايضا عاصم عن زر انهم كانوا سبعة نفر ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وقيل ان الجن الذي اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى وقد مضى بيان هذا في سورة الاحقاف قال عكرمة والسورة التي كان يقرؤها رسول الله م اقرا باسم ربك وقد مضى في سورة الاحقاف التعريف باسم النفر من الجن فلا معنى لاعادة ذلك وقيل ان النبي م راى الجن ليلة الجن وهو اثبت روى عامر الشعبي قال سالت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله م ليلة الجن فقال علقمة انا سالت ابن مسعود فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله م قال لا ولكنا كنا مع رسول الله م ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة باتت بها قوم فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة باتت بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم فسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله م فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم قال ابن العربي وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقد قيل ان الجن اتوا النبي م دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه عبد الله ابن عباس انما هو في اول ما سمعت الجن قراءة النبي م وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي والاحاديث الصحاح تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبي م ليلة الجن وانما سار معه حين انطلق به وبغيره يريهم اثار الجن واثار نيرانهم قال وقد روي من غير وجه انه كان معه ليلتئذ وقد مضى هذا المعنى في سورة الاحقاف والحمد لله روي عن ابن مسعود ان النبي م قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقال عبد الله بن مسعود انا اذهب معك يا رسول الله فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابي دب وخط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدر عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فلا اراه فقمت فاوما الي بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى ما اراهم فلما انفتل الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم بعظم ولا بعر قال عكرمة وكانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل وفي رواية انطلق بي م حتى اذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خط لي خطا فاتاه نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكي فقالوا ما انت قال نبي الله قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت اشهد انك لرسول الله فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة لها قعاقع حتى عادت كما كانت ثم روي انه عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة فيها نبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضا منه **الثالثة** قد مضى الكلام في الماء في سورة الحجر وما يستنجى به في سورة براءة فلا معنى للاعادة **الرابعة** واختلف اهل العلم في اصل الجن وروى اسمعيل عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد ادم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك

عنابن عباس

عن ابن عباس ان الجن ولد الجان وليسوا بشياطين وهم مؤمنون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا الى النار حكاه الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان بيان انهم يدخلونها **الخامسة** قال البيهقي في روايته وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم دليل على انهم ياكلون ويطعمون وقد ذكر جماعة من كفرة الاطباء الفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله وافتراء والقران والسنة ترد عليهم وليس من المخلوقات بسيط مركب من زوج انما الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد كيف ما تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي م في صورهم كما نرى الملائكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الموطا ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن رسول الله بانصاف النهار ان يرجع الى اهله الحديث وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وقد مضى في سورة البقرة بيان التحريج عليهن وقد ذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مختصا بها وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة وهذا بين يعضده قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى في سورة البقرة القول في هذا فلا معنى للاعادة **قوله تعالى** فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا اي في فصاحة كلامه وقيل عجبا في بلاغة مواعظه وقيل عجبا في عظم بركته وقيل قرانا عزيزا لا يوجد مثله وقيل يعنون عظيما يهدي الى الرشد اي الى مراشد الامور وقيل الى معرفة الله تعالى ويهدي في موضع الصفة اي هاديا فامنا به اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه لانه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما رمي الجن بالشهب وقيل لا نتخذ مع الله الها اخر لانه المنفرد بالربوبية وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب مشركي قريش عما ادركته الجن بتدبرها القران **قوله تعالى** استمع نفر من الجن اي استمعوا الى النبي م فعلموا ان ما يقرؤه كلام الله ولم يذكر المستمع اليه لدلالة الحال عليه والنفر الرهط قال الخليل ما بين ثلاثة الى عشرة وقرا عيسى الثقفي يهدي الى الرشد بفتح الراء والشين **قوله تعالى** وانه تعالى جد ربنا كان علقمة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون ان في جميع السورة في اثني عشر موضعا وهو انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا لمسنا السماء وانا كنا نقعد وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا ان لن نعجز الله وانا لما سمعنا الهدى وانا منا المسلمون عطفا على قوله انه استمع نفر وانه استمع لا يجوز فيها الا الفتح لانها في موضع اسم فاعل اوحي فما بعده معطوف عليه وقيل هو محمول على الهاء في امنا به اي وبانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حذف الجار مع ان وقيل المعنى وصدقنا انه جد ربنا وقرا الباقون كلها بالكسر واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا على قوله فقالوا انا سمعنا لانه كله من كلام الجن واما ابو جعفر وشيبة فانهما فتحا ثلاثة مواضع وهي قوله وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانه كان رجال قالوا لانه من الوحي وكسرا ما بقي لانه من كلام الجن واما قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فكلهم فتحوا الا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وابا بكر والمفضل عن عاصم فانهم كسروا لا غير ولا خلاف في فتح همزة انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وان قد ابلغوا وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول نحو قوله فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعو ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك وكذلك لا خلاف

في كسر ما كان بعد فالجزاء نحو قوله تعالى فان له نار جهنم وفانه يسلك من بين يديه لانه موضع ابتداء قوله تعالى جد ربنا الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس كان الرجل اذا حفظ البقرة وال عمران جد في عيوننا اي عظم وجل فمعنى جد ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد اي ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرته الضحاك فعله وقال القرظي والضحاك ايضا الاؤه ونعمه على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الذي هو الاب وان يكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى وقرا عكرمة جد بكسر الجيم على ضد الهزل وكذلك قرا ابو حيوة ومحمد بن السميقع ويروى عن ابن السميقع ايضا وابي الاشهب جدى ربنا وهو الجدا والمنفعة وقرا عكرمة ايضا جدا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع بتعالى وجدا منصوب على التمييز وعن عكرمة ايضا جد بالتنوين والرفع ربنا بالرفع على تقدير تعالى جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وحذف واقيم المضاف اليه مقامه ومعنى الاية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ صاحبة او ولدا للاستيناس بهما والحاجة اليهما والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا الهاء في انه للامر او الحديث وكان اسمها وما بعدها الخبر ويجوز ان يكون كان زائدة والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة ابن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلعم وقيل المشركون من الجن قاله قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشتطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور الكلبي هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق قال الشاعر بايتر جال حكموا فيك فاشتطوا ۞ وما ذاك الا حيث يممك الوخط قوله تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق وقرا يعقوب والجحدري وابن ابي اسحق ان لن تقول وقيل انقطع الاخبار عن الجن هاهنا فقال الله تعالى وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله تعالى والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا نزل بواد اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن زيد وغيرهما قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السائب خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلعم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد وانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اي زاد الانس والجن رهقا اي خطية واثما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال الاعشى لا شيء ينفعني من دون رؤيتها ۞ هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا يعني اثما واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا ازدادوهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفاء ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان

رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا هذا من قول الله تعالى للانس وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم الكلبي ظنت الجن كما ظنت الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش اي اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد فانتم احق بذلك قوله تعالى وانا لمسنا السماء هذا من قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي حفظة يعني الملائكة والحرس جمع حارس والشهب جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد مضى القول فيه في سورة الحجر والصافات ووجد يجوز ان يقدر متعديا الى مفعولين فالاول الهاء والالف وملئت في موضع المفعول الثاني ويجوز ان يتعدى الى مفعول واحد ويكون ملئت في موضع الحال على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول بملئت وشديدا من نعت الحرس اي ملئت ملائكة شدادا ووحد الشديد على لفظ الحرس وهو كما يقال السلف الصالح بمعنى الصالحين وجمع السلف اسلاف وجمع الحرس احراس قال تجاوزت احراسا والقول معشر ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا منها اي من السماء ومقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء يعني ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء حتى يلقوها الى الكهنة على ما تقدم بيانه فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن انقضاض الكواكب الا بعد مبعث النبي صلعم وهو اية من اياته واختلف السلف هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث او كان ذلك امرا احدث لمبعث النبي صلعم فقال الكلبي وقوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلعم فلما بعث النبي صلعم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قلت ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ رسول الله صلعم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلما بعث محمد صلعم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت عن الدنو من السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبئ رسول الله صلعم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل البعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلعم انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى ملئت اي زيد في حرسها وقال اوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدري يتبعه ۞ نقع يثور تخاله طنبا وهذا قول الاكثرين وقد انكر الجاحظ هذا البيت وقال كل شعر روي فيه فهو مصنوع وان الرمي لم يكن قبل المبعث والقول بالرمي لم يكن قبل المبعث ملئت حرسا وشهبا وهذا اخبار عن الجن انه زيد في حرس السماء امتلات منها ومنهم ولما روي عن ابن عباس قال بينا النبي صلعم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال النبي صلعم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتتخطف الجن فيرمون فما جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان الرجم كان قبل البعث وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين

عن علي بن ابي طالب وعن ابن عباس وفي اخره قال الزهري كان يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله سبحانه
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين
بعث النبي صلعم ونحوه قال القتيبي قال ابن قتيبة كان ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث فكانوا من قبل
يسترقون ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلعم منعت من ذلك اصلا وقد تقدم بيان ذلك في
سورة الصافات عند قوله ويقذفون من كل جانب دحورا قال الجاحظ فلو قال قايل كيف تتعرض الجن
لاحتراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى
تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا
لما تحقق التكليف والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد
في غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد
له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي هذا الحرس
الذي حرست به السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا
المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يسمعوا قراءة
النبي صلعم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من
كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم
بمبعث النبي صلعم ولما علموا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعد
ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل
الارض بما امنا به او يؤمنون قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا هذا من قول
الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلعم وانا قبل استماع القران منا الصالحون ومنا الكافرون
وقيل ومنا دون ذلك اي ومنا دون الصالحين في الصلاح وهو اشبه من حمله على الايمان والشرك كنا طرائق
قددا اي فرقا شتى قاله السدي والضحاك اديانا مختلفة قتادة اهواء متباينة ومنه قول الشاعر القابض
الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس اذ اهواؤهم قدد والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين
منهم كفار ومنهم مؤمنون صلحاء ومنهم مؤمنون غير صلحاء وقال المسيب كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس
وقال السدي في قوله تعالى طرائق قددا قال في الجن مثلكم قدرية ومرجية وخوارج ورافضة وشيعة وسنية
وقال قوم اي وانا بعد استماع القران مختلفون منا المؤمنون ومنا الكافرون اي ومنا الصالحون ومنا مؤمنون
لم يتناهوا في الصلاح والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتورية وكان هذا مبالغة منهم
في دعاء من دعوه الى الايمان وايضا لا فايدة في قولهم نحن الان منقسمون الى مؤمن والى كافر والطرائق جمع
طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال القوم طرائق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرائق وهو
تاكيد لها واحدها قدة يقال لكل طريقة قدة واصلها من قد السيور وهو قطعها قال لبيد يرثي اخاه زيدا لم تبلغ العين
كل همتها يوم يمشي الجياد بالقدد وقال اخر ولقد قلت وزيد حاسر يوم ولت خيل عمرو قددا والقد بالكسر
سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ما له قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف من خشب قوله تعالى وانا ظننا
ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول وانهم
ظنوا اي علمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وهربا مصدر
في موضع الحال اي هاربين قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى يعني القران امنا به وبالله وصدقنا محمدا على رسالته
وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن الى الانس والجن ولم يبعث الله قط رسولا من الجن ولا من

اهل البادية

اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا
المعنى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود اي الانس والجن فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف
ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم قال الاعشى
لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا الوامق المحب وقد ومقه يمقه بالكسر اي احبه فهو
وامق وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن لقوة ايمانهم وصحة اسلامهم وقراءة العامة فلا يخاف رفعا على تقدير فانه
لا يخاف وقرا الاعمش ويحيى عن ابرهيم فلا يخف جزما على جواب الشرط والغاء الفاء قوله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
اي وانا بعد استماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجاير لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه
عادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال الشاعر يوم قتلوا ابن هند عنوة عمرو وهم قسطوا على النعمان فمن اسلم
فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه تحرى القبلة واما القاسطون اي الجايرون عن طريق الحق
والايمان فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا وقوله فكانوا في علم الله قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة هذا من قول الله
تعالى اي لو امن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم في الرزق وهذا محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا
قاله ابن بحر كل ما في هذه السورة من ان المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القران فرجعوا الى قومهم
منذرين وكل ما فيها من ان المفتوحة المخففة فهي وحي الى رسول الله صلعم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو قد
استقاموا اضمر يمينا فاما تاويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله
لو قمت لقمت قال الشاعر اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق ومن فتح ما قبل المخففة نسقها اعني الخفيفة
على اوحي الي انه وان لو استقاموا او على امنا به وبان لو استقاموا ويجوز لمن كسر الحروف كلها الى ان المخففة على وحي
الي او على امنا به ويستغني عن اضمار اليمين وقراءة العامة بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرا ابن وثاب
والاعمش بضم الواو ماء غدقا اي واسعا كثيرا وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين يقال غدقت العين تغدق فهي
غدقة اذا كثر ماؤها وقيل المراد الخلق كلهم اي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين
مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا اي كثيرا لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم وقال عمر في هذه
الاية اينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة فمعنى لاسقيناهم لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء
الغدق الكثير لذلك مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر يكون فاقيم مقامه كقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم اي بالمطر والله اعلم وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية
وعبيد بن عمير والحسن كان والله اصحاب النبي صلعم سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي
ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان بن عفان وقال الكلبي وغيره وان لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها
من الكفر فكانوا كلهم كفارا لوسعنا ارزاقهم مكرا بهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها في الدنيا والاخرة وهذا قول قاله
الربيع ابن انس وزيد بن اسلم وابنه والكلبي والثمالي ويمان بن رباب وابن كيسان وابو مجلز واستدلوا بقوله
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية والاول اشبه لان الطريقة معرفة بالالف واللام فالاوجب ان يكون
طريقة الهدى ولان الاستقامة لا تكون الا مع الهدى وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلعم
قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر الحديث وقال صلعم
فوالله ما الفقر اخشى عليكم انما اخشى عليكم ان يبسط الله عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم
قوله تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه يعني القران قال ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما عن القبول ان قيل انها في
اهل الكفر الثاني عن العمل ان قيل انها في المؤمنين وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن شكر نعمه نسلكه عذابا صعدا

وقرا الكوفيون وعياش عن ابي عمرو يسلكه بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لذكر اسم الله اولا فقال ومن يعرض
عن ذكر ربه الباقون نسلكه بالنون وروى عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام وكذلك قرا طلحة والاعرج
وهما لغتان سلكه واسلكه بمعنى اي ندخله عذابا صعدا اي شاقا شديدا قال ابن عباس هو جبل في جهنم الخدري
كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن عباس مشقة من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان الصعد المشقة تقول
تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح اي ما شق علي وعذاب
صعد اي شديد والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي
يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقال ابو عبيد الصعد مصدر اي عذاب ذا صعد والمشي في الصعود يشق والصعود
العقبة الكؤود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبي
يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا صعودها فذلك
دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا قوله تعالى وان المساجد لله فيه ست مسائل الاولى قوله وان المساجد
لله ان بالفتح قيل هو مردود الى قوله قل اوحي الي اي واوحي الي ان المساجد لله وقال الخليل اي ولان المساجد لله
والمراد البيوت التي تبنيها اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد
معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله وطاعته وقال الحسن اراد بها كل البقاع
لان الارض كلها مسجد للنبي صلعم يقول اين ما كنتم فصلوا فانما صليتم فهو مسجد وفي الصحيح وجعلت لي الارض
كلها مسجدا وطهورا وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب اراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها العبد
وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه يقول هذه الاعضاء انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة
الله قال عطا مساجدك اعضاؤك التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها وفي الصحيح امرت ان اسجد
على سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين وقال العباس قال النبي صلعم
اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد هي الصلوات اي لان السجود لله قاله الحسن ايضا
فان جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفراء وان جعلتها الاعضاء
فواحدها مسجد بفتح الجيم ويقال هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجدت سجودا ومسجدا كما تقول
ضربت في الارض ضربا ومضربا بالفتح اذا سرت في ابتغاء الرزق وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي
هي القبلة وسميت مكة المساجد لان كل احد يسجد اليها والقول الاول اظهر هذه الاقوال ان شاء الله وهو
مروي عن ابن عباس رحمه الله الثانية قوله تعالى لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت العتيق
فقال وطهر بيتي وقال عليه السلام لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد الحديث خرجه الايمة وقد مضى الكلام فيه وقال
عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال ابن العربي وقد روي
من طريق لا باس بها ان النبي صلعم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فان
صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا ولو صح هذا لكان نصا قلت هو صحيح بنقل العدل عن العدل
حسب ما بيناه في سورة ابرهيم الثالثة المساجد وان كانت لله ملكا وتشريفا فانها قد تنسب لغيره تعريفا فيقال
مسجد فلان وفي صحيح الحديث ان النبي صلعم سابق بين الخيل التي اضمرت من الحفيا وامدها ثنية الوداع وسابق
بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق وتكون هذه الاضافة بحكم المحلية كانها في قبلتهم وقد
تكون بتحبيسهم ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس
غير ذلك الرابعة مع ان المساجد لا يذكر فيها الا الله فانه يجوز القسم فيها للاموال ويجوز وضع الصدقات فيها
على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء اكل ويجوز حبس الغريم وربط الاسير والنوم فيه وسكنى المريض

فيه وفتح الباب للجار اليه وانشاد الشعر فيه اذا عري عن الباطل وقد مضى هذا كله مبينا في سورة براءة
والنور وغيرهما الخامسة قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في
المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه و
المؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى
افردوا المساجد بذكر الله ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح
من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى في سورة النور ما فيه
كفاية من احكام المساجد السادسة روى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلعم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى
وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم انا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور فاسالك برحمتك
ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح
ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي فيها جدا قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي
اليه انه ويجوز الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلعم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران حسبما تقدم
اول السورة يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا قال
الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلعم اي كاد يركب بعضهم بعضا الضحاك ابن عباس رغبة في سماع
الذكر وروى برد عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلعم في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند
انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب
النبي صلعم وائتمامهم به في الركوع والسجود وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلعم
وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه وابى الله
الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون المعنى كادت العرب يجتمعون على النبي صلعم ويتظاهرون على اطفاء
النور الذي جاء به وقال مجاهد قوله لبدا جماعات وهو من تلبد الشيء اي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم
صوفه وكل شيء الصقته الصاقا شديدا فقد لبدته وجمع اللبدة لبد مثل قربة وقرب ويقال للشعر الذي على
ظهر الاسد لبدة وجمعها لبد قال زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ويقال للجراد
الكثير لبد وفيه اربع لغات وقراءات فتح الباء وكسر اللام وهي قراءة العامة وضم اللام وفتح الباء وهي قراءة مجاهد
وابن محيصن وهشام عن اهل الشام واحدتها لبدة وبضم اللام والباء وهي قراءة ابي حيوة ومحمد بن السميقع وابي
الاشهب العقيلي والجحدري واحدها لبد مثل سقف وسقف ورهن ورهن وبضم اللام وشد الباء وفتحها وهي
قراءة الحسن وابي العالية والاعرج والجحدري ايضا واحدها لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وقيل اللبد بضم
اللام وفتح الباء الشيء الدائم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لدوامه وبقائه قال النابغة اخنى عليها الذي اخنى على
لبد القشيري وقرئ لبدا بضم اللام والباء وهو جمع لبيد وهو الجوالق الصغير وفي الصحاح واهلكت مالا لبدا
اي جمعا ويقال ايضا الناس لبد اي مجتمعون واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر من امرئ ذي سماح
لا تزال له نزلا يعيا بها الجثامة اللبد ويروى اللبد قال ابو عبيد وهو اشبه ولبد اخر نسور لقمان وهو
ينصرف لانه ليس بمعدول وتزعم العرب ان لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها الى الحرم ليستسقي لها فلما
اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من اطب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر وبقاء سبعة انسر كلما
هلك نسر خلفه بعد نسر فاختار النسور وكان اخر نسوره يسمى لبدا وقد ذكرته الشعراء قال النابغة اضحت
خلاء واضحى اهلها احتملوا اخنى عليها الذي اخنى على لبد واللبد الجوالق الصغير يقال البدت القربة اي جعلتها
في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر قوله تعالى قل انما ادعو ربي قال صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي
ولا اشرك به احدا وكذا قرا اكثر القراء على الخبر وقرا عاصم وحمزة قل على الامر وسبب نزولها ان كفار قريش

قالوا له انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت قوله تعالى قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا • اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما على التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياة قوله تعالى قل انى لن يجيرني من الله احد • اي لا يدفع عذابه عنى احد ان استحفظته وهذا لانهم قالوا اترك ما انت عليه ونحن نجيرك وروى ابو الجوزاء عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط على خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال انى لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله لى احد الثانى لن يجيرني مما قدره الله تعالى على احد • ولن اجد من دونه ملتحدا • اي ملجأ والجاء اليه قاله قتادة وعنه نصيرا ومولى السدي حرزا الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب ومنه قول الشاعر يا لهف نفسي ولهفا غير مجدية • عنى وما من قضاء الله ملتحد • الا بلاغا من الله • فذلك الذى املكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا املكهما فعلى هذا يكون مردودا الى قوله تعالى قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك الا ان ابلغكم اي لكن ابلغكم ما ارسلت به قال الفراء وقال الزجاج هو منصوب على البدل في قوله ملتحدا اي ولن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتينى من الله • ورسالاته • اي ومن رسالاته التى امرنى بتبليغها او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالته فاخذ نفسي بما امر به غيرى وقيل هو مصدر ولا بمعنى لم وان للشرط والمعنى لن اجد من دونه ملتحدا ان لم ابلغ رسالات ربى بلاغا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله • في التوحيد والعبادة • فان له نار جهنم • كسرت ان لان ما بعدها فالجزاء موضع ابتداء وقد تقدم • خالدين فيها • نصب على الحال وجمع خالدين لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ من ثم جمع للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون فيها • ابدا • دليل على ان العصيان هنا هو الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون معنى خالدين فيها ابدا الا ان اعفو او تلحقهم شفاعة ولا محالة اذا خرجوا من الدنيا على الايمان ان يلحقهم العفو وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة النساء وغيرها قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون • حتى هنا مبتدا اي حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة او ما يوعدون من عذاب الدنيا وهو القتل ببدر فسيعلمون • حينئذ • من اضعف ناصرا اهم ام المؤمنون • واقل عددا • معطوف قوله تعالى قل ان ادرى اقريب ما توعدون • يجوز ان تكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان تكون بمعنى الذى ويقدر حذف العائد ام يجعل له ربى امدا • اي غاية واجلا وقراءة العامة باسكان الياء من ربى وفتح الحرميان وابو عمرو بالفتح قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا • فيه مسئلتان الاولى قوله عالم الغيب عالم رفعا نعتا لقوله ربى اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم بيانه في اول سورة البقرة • فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول • فانه يظهرهم على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار بالغائبات وفي التنزيل وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى لا يظهر على غيبه الا من ارتضى اي اصطفى للنبوة فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه فيكون ذلك دالا على نبوته الثانية قال العلماء رحمة الله عليهم لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصا وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان على اختلاف احوالهم وتباين رتبهم

فيهم

فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغنى والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طبايعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال قبحه الله انما غرقهم الطالع الذى ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة ابدا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقى ولا سعيد فلم يبق الا معاندة القران الكريم وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم ولقد احسن الشاعر حيث قال حكم المنجم ان طالع مولدي • يقضى على بميتة الغرق • قل للمنجم صبحة الطوفان هل • ولد الجميع بكوكب الغرق • وقيل لامير المؤمنين على بن ابى طالب رضي الله عنه لما اراد لقاء الخوارج تلقاهم والقمر في العقرب فقال رضى الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال على رضى الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغنى انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لى سلطان ثم سافر في الساعة التى نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التى امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل سار في الساعة التى امر بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى عمن سواه فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا • يعنى ملائكة يحفظونه عن ان يقرب منه الشيطان فيحفظ الوحى من استراق الشياطين والالقاء الى الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه وورائه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب اربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدى رصدا اي حفظة يحفظون الوحى فما جاء من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول وفي الصحاح والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث وربما قالوا ارصاد والراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قوله تعالى ليعلم • قال مقاتل وقتادة اي ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف تتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحى الا ومعه اربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل اي ليعلم ابليس ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم • سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما نزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقراءة الجماعة ليعلم بفتح الياء وتاويله ما ذكرناه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء اي ليعلم الناس ان الرسل قد بلغوا وقال الزجاج اي ليعلم الله ان رسله قد ابلغوا رسالاته بفتح الياء كقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين المعنى ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا • واحاط بما لديهم • اي احاط علمه بما عندهم

تفسير سورة المزمل وهي مكية

اي بما عند الرسل وما عند الملائكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته و
احصى كل شيء عددا اي احاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء وعددا نصب على الحال اي احصى
كل شيء في حال العدد وان شئت على المصدر اي احصى وعد كل شيء عددا فيكون مصدر الفعل المحذوف فهو سبحانه
المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شيء وقد بينا جميعه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله سورة
المزمل مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي
تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسع عشرة
آية والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها المزمل فيه ثمان مسائل الاولى قال الاخفش اصله المتزمل فادغمت
التاء في الزاي وكذلك المدثر وفي اصل المزمل قولان احدهما انه المحتمل يقال زمل الشيء اذا حمله ومنه الزاملة لانها تحمل
القماش الثاني ان المزمل هو المتلفف يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا تغطى وزمل غيره اذا غطاه وكل شيء لفف فقد زمل
ودثر قال امرؤ القيس كبير اناس في بجاد مزمل الثانية قوله تعالى يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلعم وفيه ثلاثة اقوال
الاول قول عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه ايضا يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر
وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى المزمل نفسه
والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني يا ايها المزمل بالقرآن قاله ابن عباس الثالث بثيابه قاله قتادة وغيره
قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلعم
وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي
قلت وهذا القول من عائشة يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلعم لم يبن بها الا بالمدينة وما ذكر من انها
مكية لا يصح والله اعلم وقال الضحاك تزمل ثيابه لمنامه وقيل بلغه من المشركين سوء قول فيه فاشتد عليه فتزمل
في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المزمل وقيل في ابتداء ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة
فاتى اهله وقال زملوني دثروني روي معناه عن ابن عباس وقال العلماء انما خاطبه بالمزمل والمدثر لانه في اول الامر
لانه لم يكن بعد تحمل امرا شيئا من تبليغ الرسالة ثم قال ابن العربي واختلف في تاويل يا ايها المزمل فمنهم من حمله على حقيقته
قيل له يا من تلفف في ثيابه او قطيفته قاله ابراهيم وقتادة ومنهم من حمله على المجاز كانه قال له يا من تزمل
بالنبوة قاله عكرمة وانما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله
واما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل قلت وقد بينا انها على حذف المفعول وقد قرئ بها فهي صحيحة
المعنى قال واما من قال انه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز لكنه قد قدمنا لا يحتاج اليه الثالثة قال السهيلي ليس
المزمل باسم من اسماء النبي صلعم ولم يعرف به كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه عليه السلام وانما
المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما
الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو
عليها كقول النبي صلعم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم
يا ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له اشعارا لترك العتب والناسب بقول الله تعالى لمحمد صلعم
يا ايها المزمل قم فيه تانيس وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد
ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر اسم الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل
ذلك العمل واتصف بتلك الصفة الرابعة قوله تعالى قم الليل قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرا
ابو السمال بضم الميم اتباعا لضمة القاف وحكى الفتح لخفته قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها
هربا من التقاء الساكنين فباي حركة تحركت فقد وقع الغرض وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى مفعول
فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى

تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال الخامسة
والليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما او كان ندبا وحضا والدلائل تقوي
ان قيامه كان حتما فرضا وذلك ان الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا
به وقت دون وقت وايضا فقد جاء التوقيف بذلك من عائشة وغيرها على ما ياتي واختلف ايضا هل كان فرضا
على النبي صلعم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير
لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلعم وعلى الانبياء قبله الثالث قول عائشة
وابن عباس ايضا وهو الصحيح كما في صحيح مسلم عن زرارة ان ابن سعد بن هشام بن عامر اراد ان يغزو في سبيل الله
الحديث وفيه فقلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلعم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل
افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلعم واصحابه حولا كاملا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني
عشر شهرا في السماء حتى انزل في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وذكر الحديث وذكر
وكيع ويعلى قالا حدثنا مسعر عن سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول لما نزلت اول يا ايها المزمل كانوا يقومون
نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث
النبي صلعم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
فخفف الله عنهم السادسة قوله تعالى الا قليلا استثناء من الليل اي صل الليل كله الا يسيرا منه لان قيام جميعه
على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الشيء ما دون النصف فحكي عن وهب بن منبه
انه قال القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه او انقص منه قليلا وكان ذلك
تخفيفا اذ لم يكن زمان القيام محدودا فقام الناس حتى ورمت اقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى علم ان لن تحصوه
وقال الاخفش نصفه اي او نصفه يقال اعطه درهما درهمين ثلاثة يريد او درهمين او ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل
من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف المعنى ثم نصف الليل او انقص من النصف قليلا
الى الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين وكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه وقيل ان نصفه بدل من قوله
قليلا وكان مخيرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه وبين قيام الزائد عليه كان تقدير الكلام
قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه او اكثر من نصفه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم قال ينزل الله عز
وجل الى سماء الدنيا كل ليلة حتى يمضي ثلث الليل الاول فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له حتى يضيء
الفجر من ذا الذي يسالني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر عن ابي هريرة وابي سعيد
جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل الله
الحديث رواه من طريقين عن ابي هريرة هكذا على الشك وقد جاء في كتاب النسائي عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلعم
ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من
سائل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق فتبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول وان ذلك يكون عند نصف الليل اخرج ابن
ماجة من حديث ابن شهاب عن ابي سلمة وابي عبد الله الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ينزل الله ربنا تبارك وتعالى
حتى يبقى ثلث الليل الاخير كل ليلة فيقول من يسالني فاعطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع
الفجر فكانوا يستحبون صلاة اخر الليل على اوله قال علماؤنا وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فانهما يصدران من
مشكاة واحدة وفي الموطا وغيره من حديث ابن عباس انه بات عند خالته ميمونة حتى اذا انتصف الليل او قبله بقليل او
بعده بقليل استيقظ رسول الله صلعم فقام الى شن معلق فتوضا وضوءا خفيفا وذكر الحديث السابعة اختلف العلماء في
الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعائشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
الى اخر السورة وقيل قوله علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا هو منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى وعن

عايشة ايضا والشافعي ومقاتل وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه
قال ابو عبد الرحمن لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزلت قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه
قال بعض العلماء وهو فرض نسخ به كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك **قلت**
القول الاول يعم جميع الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلوة فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وقد ذهب
الحسن وابن سيرين الى ان صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية
الحمد لله تطوع بعد الفريضة وهو الصحيح ان شاء الله لما جا في قيامه من الترغيب والفضل في القران والسنة وعن عايشة
رضي الله عنها قالت كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي
ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم وقال يا ايها الناس اكلفوا
من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل
فكتب عليهم فانزل بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فرحمهم الله وانزل
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا **قلت**
حديث عايشة هذا ذكره الثعلبي ومعناه ثابت في الصحيح وقوله ان ربك وباقيه يدل على ان قوله يا ايها المزمل نزل
بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو
ستة عشر شهرا لم يذكره غيره عنها وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
كان فرضا عليه وفي نسخه عنه قولان احدهما انه كان فرضه الى ان قبضه الله تعالى الثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن
امته وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس
حولا وقول عايشة ستة عشر شهرا الثاني انها كانت عشر سنين الى ان خفف عنها بالنسخ زيادة في التكليف لتميزه
بفعل الرسالة قاله ابن جبير **قلت** هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتامله و
سياتي لهذه المسئلة زيادة بيان اخر السورة ان شا الله تعالى **الثامنة** قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي لا تعجل بقراءة
القران بل اقراه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال الضحاك اقراه حرفا حرفا وقال مجاهد احب الناس في القراءة الى الله اعقلهم عنه
والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ومنه ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد وقد
تقدم بيانه في مقدمة الكتاب وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز وجل
ورتل القران ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة رجلا يقرا قراءة حسنة فقال لقد رتل القران فداه ابي وامي وقال
ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف معانيه وطالب نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال
عليه وروى عبد الرحمن بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بقارئ القران يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة
ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقروها حرجه ابو داود وقد تقدم في اول
الكتاب وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة مدا **قوله تعالى** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا هو متصل بما فرض
من قيام الليل اي سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره
لم يتهيا له ذلك الا بحمل شديد على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر يثقل على العبد وقيل اي سنوحي اليك القران
وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرايعه قال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده مجاهد حلاله وحرامه الحسن العمل به
ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين وقيل على الكفار لما فيه من
الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب الهتهم والكشف عما حرفه اهل الكتاب السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ
من قولهم فلان ثقيل علي اي كريم علي الفرا ثقيلا رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا قال الحسين بن الفضل
ثقيلا لا يحمله الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا
يثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ثابتا كثبوت الثقيل في محله ويكون معناه انه ثابت الاعجاز لا يزول

اعجازه ابدا وقيل هو القران نفسه كما جا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها
يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وفي الموطا وغيره انه عليه السلام سئل كيف ياتيك
الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا
فاعي ما يقول قالت عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد
عرقا قال ابن العربي وهذا اولى لانه الحقيقة وقد جا وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السمحة وقيل القول هذه السورة هو قول لا اله الا الله اذ في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
ذكره **قوله تعالى** ان ناشئة الليل فيه خمس مسائل **الاولى** قوله ان ناشئة الليل اي اوقاته وساعاته لان اوقاته تنشا اولا فاولا يقال
نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيا بعد شي فهو ناشي وانشاه الله فنشا ومنه نشات السحابة اذا بدت
وانشاها الله فناشئة فاعلة من نشات تنشا فهي ناشئة ومنه قوله او من ينشا في الحلية وهو في الخصام
غير مبين والمراد ان ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعة لان كل ساعة تحدث
وقيل الناشئة مصدر بمعنى قيام الليل كالخاطئة والكاذبة اي ان نشاة الليل هي اشد وطا وقيل ان ناشئة الليل قيام الليل قال ابن
مسعود الحبشة يقولون نشا اي قام فلعله اراد ان الكلمة عربية ولكنها شايعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا
فليس في القران ما ليس في لغة العرب وقد تقدم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى **الثانية** بين تعالى في هذه
الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب
واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل فقال ابن عمر وانس بن مالك هو ما بين المغرب والعشا تمسكا بان لفظ نشا يعطي الابتداء فكان بالاولية احق ومنه **قول الشاعر**
ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشا الصغار
وكان علي بن الحسين يصلي
بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشئة الليل وقال عطا وعكرمة انه بدء الليل وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما
هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو الذي اختاره مالك بن انس ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه
اللغة وقالت عايشة رضي الله عنها وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم
فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل وذلك ان
الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وفي الصحاح وناشئة الليل اول ساعاته وقال القتيبي اول ساعات الليل
لانها تنشا ساعة بعد ساعة وعن الحسن ومجاهد هي ما بعد العشاء الاخرة الى الصبح وعن الحسن ما كان بعد العشا
فهو ناشئة وقيل انها ما ينشا في الليل من الطاعات حكاه الجوهري **الثالثة** قوله تعالى هي اشد وطا قرا ابو العالية
وابو عمرو وابن ابي اسحق ومجاهد وحميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وابو حيوة وطاء بكسر الواو وفتح الطاء
واختاره ابو عبيد الباقون وطئا بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختاره ابو حاتم من قولك اشتدت على
القوم وطاة سلطانهم اي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر
فالمعنى انها اثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك ان الليل وقت منام وتودع واجمام فمن شغله بالعبادة فقد
تحمل المشقة العظيمة ومن مد فهو مصدر وطات وطاء ومواطاة وافقته ابن زيد واطاته على الامر مواطاة
اذا وافقته من الوفاق وفلان يواطئ اسمه وتواطوا عليه اي توافقوا فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر
والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن ابي مليكه وغيرهما وقال ابن عباس بمعناها اي
يواطئ السمع القلب قال الله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل المعنى اشد مهادا للتصرف في التفكر
والتدبر والوطاء خلاف الغطاء وقيل اشد وطاء بسكون الطاء وفتح الواو اي اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو
فيه بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل وانفى لما يلهي من شغل القلب والوطء الثابت تقول وطيت الارض بقدمي
وقال الاخفش اشد قياما الفرا اثبت قراءة وقياما وعنه اشد وطاء اي اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار
من العبادة والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع الكلبي اشد وطاء اي اشد نشاطا

المصلي لانه في زمان راحته وقال عبادة اشد وطأ اثبت للقراءة **الرابعة** قوله تعالى واقوم قيلا اي القراءة في الليل اقوم
منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي
ما يقوله قال قتادة ومجاهد اي اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقال ابو علي اقوم قيلا اي اشد
استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اي اعجل الاجابة للدعاء حكاه ابن شجرة وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم
اخلاصا واكثر بركة وعن زيد بن اسلم اجدر ان تتفقه في القران وعن الاعمش قال قرا انس بن مالك ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واصوب قيلا فقيل له واقوم قيلا فقال اقوم واصوب واهيا سوا قال ابو بكر الانباري وقد ترامى بعض
هولاء الزايغين الى ان قال من قرا بحرف يوافق من القران فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله وقصد له
واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الى قايله لانه لو قرا بالفاظ تخالف الفاظ القران اذا قاربت
معانيها واشتملت على عامتها لجاز ان يقول في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر
في هذا حتى يبطل لفظ جميع القران ويكون التالي له مفتريا على الله عز وجل وكاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القران على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث
يوجب ان القراءات الماثورة المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلعم اذا اختلفت الفاظها اتفقت معانيها كان ذلك
فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلعم واصحابه وتابعوه رضي الله عنهم فانه من
اورد حرفا منه في القران بهت ومان وخرج عن مذهب الصواب قال ابو بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه
الضلالة حديث لا يصح عند اهل العلم لانه مبني على رواية الاعمش عن انس فهو مقطوع ليس بمتصل فيوخذ
به من قبل ان الاعمش راى انسا ولم يسمع منه **الخامسة** قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا قراءة العامة بالحاء
غير معجمة اي تصرفا في حوايجك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في
الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري **قال امرؤ القيس** مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا
بالكديد المركل وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار سبحا اي نوما والسبح التمدد
ذكره الخليل وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك
وقال الزجاج ان فاتك في الليل شي فلك في النهار فراغ الاستدراك وقرا يحيى بن يعمر وابو وايل سبخا بالخاء
المعجمة قال المهدوي ومعناه النوم روي ذلك عن القاريين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة والسعة والاستراحة
ومنه قول النبي صلعم لعايشة وقد دعت على سارق رداها لا تسبخي بدعايك عليه اي لا تخففي عنه اثمه
قال الشاعر فسبخ عليك الهم واعلم بانه اذا قدر الرحمن شيا فكاين الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها
وسبخ الحر فتر وخف والتسبيخ النوم الشديد والتسبيخ ايضا توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها يقال
للمراة سبخي قطنك والسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف اي يلف لتغزله المراة والقطعة منه سبيخة وكذلك
من الصوف والوبر ويقال لقطع القطن سبايخ **قال الاخطل** يصف القناص والكلاب فارسلوهن يذرين التراب كما
يذري سبايخ قطن ندف اوتار وقال ثعلب السبخ بالخاء التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلعم
الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء اي اسكنوها وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ **قلت** فعلى هذا يكون من
الاضداد بمعنى السبح بالحاء غير المعجمة **قوله تعالى** واذكر اسم ربك فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله واذكر اسم ربك
اي ادعه باسمايه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل اي اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل
اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه وقيل
واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي
بالنهار **قلت** وهذا حسن فانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر على ما تقدم **الثانية** قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا التبتل الانقطاع الى

عبادة الله

عبادة الله عز وجل اي انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره يقال بتلت الشي اي قطعته ومنه قولهم طلقها
بتة بتلة وهذه صدقة بتة بتلة اي باينة منقطعة عن صاحبها اي قطع ملكه بالكلية ومنه مريم
البتول لانقطاعها الى الله تعالى ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب
التفرد قال ابن عرفة والاول اقوى لما ذكرنا ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل له لان معنى تبتل بتل نفسه
فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل **الثالثة** قد مضى في المايدة في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية قال ابن
العربي واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وقلت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة
والعزبة افضل من التاهل ولكن معنى الاية انقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله وكذلك قال
مجاهد معناه اخلص له بالعبادة ولم يرد التبتل فصار ماموما به في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر
غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع الى الله
باخلاص العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه وهو
سلوك سبيل النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال
المسلم غنما يتتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن **قوله تعالى** رب المشرق والمغرب
قرا اهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو وابن ابي اسحق وحفص رب بالرفع على الابتداء
والخبر على اضمار هو الباقون بالخفض على نعت الرب في قوله واذكر اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب
المشارق والمغارب انقطع بعمله اليه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي قايما بامورك وقيل كفيلا بما
وعدك **قوله تعالى** واصبر على ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع
من دعايهم واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان في ذلك ترك الدعا الى الله
وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت اية القتال ما كان قبلها من الترك
قاله قتادة وغيره وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم
قوله تعالى وذرني والمكذبين اي ارض بي لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزئين
وقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيى بن سلام
انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه
واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية
لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا يعني الى مدة الدنيا **قوله تعالى** ان لدينا انكالا
وجحيما الانكال القيود عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي
نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله تعالى جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله
ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه
قول الخنسا دعاك فقطعت انكاله وقد كن قبلك لا تقطع وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل
وقد جا ان النبي صلعم قال ان الله تعالى يحب النكل على النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل وما النكل قال الرجل القوي
المجرب على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب
قوي واشتد والجحيم النار الموججة وطعاما ذا غصة اي غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج
انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع
وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد هو كالزقوم كما قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال حمران
ابن اعين قرا النبي صلعم ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة فصعق وقال خليد بن حسان امسى الحسين

عندنا صائماً فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية إن لدينا أنكالاً وجحيماً فقال ارفع الطعام فلما كانت الثانية
أتيته بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعوه ومثله في الثالثة وانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي
ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به حتى شرب من سويق والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم أو
غيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فأنت غاص بالطعام وغصان وأغصصته
أنا والمنزل غاص بالقوم أي ممتلئ بهم قوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال أي تتحرك وتضطرب بمن عليها وانتصب
يوم على الظرف أي ينكل بهم يوم ترجف الأرض وقيل بنزع الخافض يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض والجبال
وقيل العامل ذرني أي وذرني والمكذبين يوم ترجف الأرض وكانت الجبال أي وتكون والكثيب الرمل المجتمع
قال حسان عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب والمهيل الذي يمر تحت الأرجل قال الضحاك
والكلبي المهيل الذي إذا وطئته بالقدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال وقال ابن عباس مهيلاً
أي رملاً سائلاً متناثراً وأصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب أهيله إهالة وهيلاً
إذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر قد كان قومك
يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد معيون وفي حديث النبي ﷺ أنهم شكوا الجدوبة فقال أتكيلون أم تهيلون
قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وأهلت الدقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل وإنما حذفت
الواو لالتقاء الساكنين قوله تعالى إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم يريد النبي ﷺ أرسله إلى قريش
كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً وهو موسى فعصى فرعون الرسول أي كذب به ولم يؤمن قال مقاتل ذكر
موسى وفرعون لأن أهل مكة ازدروا محمداً ﷺ واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى موسى
لأنه رباه ونشأ فيما بينهم كما قال تعالى ألم نربك فينا وليداً قال المهدوي فدخلت الألف واللام في الرسول
لتقدم ذكره ولذلك اختير في أول الكتب سلام عليكم وفي آخرها السلام عليكم فأخذناه أخذاً وبيلاً
شديداً وضرب وبيل وعذاب وبيل أي شديد قاله الأخفش وقال الزجاج أي ثقيلاً غليظاً ومنه قيل للمطر
وابل وقيل مهلكاً قال أكلت بنيك أكل الضب حتى وجدت مرارة الكلأ الوبيل واستوبل فلان كذا أي
لم يحمد عاقبته وماء وبيل أي وخيم غير مريء وكلأ مستوبل وطعام وبيل ومستوبل إذا لم يمرأ ولم يستمرأ
قال زهير فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلأ مستوبل متوخم وقالت الخنساء لقد أكلت بجيلة يوم لاقت
فوارس مالك أكلاً وبيلاً والوبيل أيضاً العصا الضخمة قال لو أصبح في يمنى يدي زمامها وفي كفي الأخرى
وبيلاً تحاذره وكذلك الموبل بكسر الباء والموبلة أيضاً الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد قوله تعالى فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً توبيخ وتقريع أي كيف
تتقون إن كفرتم الولدان شيباً إن كفرتم وكذا قراءة عبد الله وعطية قال الحسن أي بأي صلاة تتقون
العذاب بأي صوم تتقون العذاب وفيه إضمار أي كيف تتقون عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من
كفر بالله ذلك اليوم بشيء ويوماً مفعول تتقون على هذه القراءة وليس بظرف وإن قدر الكفر بمعنى الجحود كان
اليوم مفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله كفرتم والابتداء يوماً يذهب بها إلى أن يوماً مفعول
يجعل والفعل لله عز وجل كأنه قال يجعل الله الولدان شيباً في يوم قال ابن الأنباري وهذا لا يصح لأن اليوم هو
الذي يفعل هذا من شدة هوله المهدوي والضمير في يجعل يجوز أن يكون لله عز وجل ويجوز أن يكون
لليوم وإذا كان لليوم صلح أن يكون صفة له ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عز وجل إلا مع تقدير حذف
كأنه قال يوماً يجعل الله الولدان فيه شيباً ابن الأنباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لأن
اليوم إذا علق بكفرتم احتاج إلى صفة كفرتم ليوم فإن احتج محتج بأن الصفة قد تحذف ويُنصب ما بعدها
احتججنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون يوماً قلت هذه القراءة ليست متواترة وإنما جاءت على وجه

التفسير وإذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوماً مفعول صريح من غير صفة ولا حذف فيها أي فكيف تتقون الله
وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء وقرأ أبو السمال فكيف تتقون بكسر النون على الإضافة والولدان
الصبيان وقال السدي هم أولاد الزنا وقيل أولاد المشركين والعموم أصح أي اليوم يشيب فيه الصغير من غير
كبر وذلك حين يقول لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار على ما تقدم في أول سورة الحج قال القشيري ثم إن أهل الجنة
يغير الله أحوالهم وأوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لأن يوم القيامة لا
يكون فيه ولدان ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة ويقال
هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق والله أعلم الزمخشري وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلاً
أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال رأيت القيامة والجنة والنار
في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون أن يوصف اليوم بالطول فإن
الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب قوله تعالى السماء منفطر به أي منشقة لشدته ومعنى به أي فيه
أي في ذلك اليوم لهوله هذا أحسن ما قيل فيه ويقال مثقلة به أثقالاً يؤدي إلى انفطارها لعظمته عليها و
خشيتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السماوات والأرض وقيل به أي بذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك
وفي حرمتك والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
أي في يوم القيامة وقيل به أي بالأمر أي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيباً وقيل منفطر بالله أي بأمره وقال أبو عمرو
ابن العلاء لم يقل منفطرة لأن مجازها السقف تقول هذا سماء البيت قال فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء
وبالسحاب وفي التنزيل وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وقال الفراء السماء يذكر ويؤنث وقال أبو علي هو
من باب الجراد المنتشر والشجر الأخضر وأعجاز نخل منقعر وقال أبو علي أيضاً أي السماء ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع
أي ذات إرضاع فجرى على طريق النسب كان وعده أي بالقيامة والحساب والجزاء مفعولاً كائناً لا شك فيه
ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله قوله تعالى إن هذه تذكرة يريد هذه السورة أو
الآيات عظة وقيل آيات القرآن إذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً أي من أراد أن يؤمن ويتخذ
بذلك إلى ربه سبيلاً أي طريقاً إلى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر له الحجج والدلائل ثم قيل
نسخت بآية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبي والأشبه أنه غير منسوخ قوله تعالى إن ربك يعلم
أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم
أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض
يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا
الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور
رحيم فيه ثلاث عشرة مسألة الأولى قوله إن ربك يعلم أنك تقوم هذه الآية تفسير لقوله قم الليل إلا قليلاً نصفه
أو انقص منه قليلاً كما تقدم وهي الناسخة لفرضية صلاة الليل كما تقدم تقوم معناه تصلي وأدنى أقل وقرأ ابن السميقع
وأبو حيوة وهشام عن أهل الشام ثلثي بإسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض وقراءة العامة عطفاً على ثلثي المعنى
وتقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى علم أن لن تحصوه فكيف تقومون
نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفاً على أدنى التقدير أدنى من ثلثي
الليل وتقوم ثلثه قال الفراء وهو أشبه بالصواب لأنه قال أقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا أقل من القلة القشيري
وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون
وفي الزيادة إصابة المقصود فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل أنهم
أمروا بقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة إلى قريب من الثلثين وفي النصف إلى الثلث ويحتمل أنهم قدر لهم

النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم وقال
قوم انما افترض الله عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع وهذا القول تحكم **الثانية** قوله تعالى والله يقدر الليل والنهار
اي يعلم مقادير الليل والنهار على حقايقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا علم ان لن تحصوه اي تطيقوا
معرفة حقايق ذلك والقيام به وقيل ان لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره
لما نزلت قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف
الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف
عنهم فقال تعالى علم ان لن تحصوه وان مخففة من الثقيلة اي علم انكم لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى
تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم **الثالثة** قوله تعالى فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا
يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل اي فتاب عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع
كما تقدم فالمعنى رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات على طريق التحري
فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى والله يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شيء
فقدره تقديرا ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله بها ما يشاء من وظايف التكليف **الرابعة**
قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران فيه قولان احدهما ان المراد نفس القراءة اي فاقرءوا فيما تصلونه بالليل
ما خف عليكم قال السدي مائة اية الحسن من قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران كعب من قرا في ليلة مائة اية
كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية **قلت** قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات لم يكتب
من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي في
مسنده من حديث عبد الله بن عمرو وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب والحمد لله القول الثاني فاقرءوا ما تيسر منه اي فصلوا ما
تيسر عليكم والصلاة تسمى قرانا كقوله تعالى وقران الفجر اي صلاة الفجر ابن العربي والاول اصح لانه عن الصلاة اخبر
واليها يرجع **قلت** القول الاول اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز فانه من تسمية الشيء ببعض
ما هو من اعماله **الخامسة** قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان
من النصف والزيادة عليه ثم احتمل قول الله عز وجل فاقرءوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثابتا لانه
ازيل به غيره كما ازيل به غيره وذلك لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فاحتمل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ان يتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال
الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلعم تدل على ان لا واجب
من الصلاة الا الخمس **السادسة** قال القشيري ابو نصر والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة
في حق النبي صلعم وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك
لم يكن بد من صلاة الليل ولكن فرض قدره الى خيرة المصلي وعلى هذا فقد قال قوم فرض قيام الليل باق وهو
مذهب الحسن وقال قوم نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل وهو مذهب الشافعي ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلعم
هي هذه وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه معناه
اقرءوا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم الى ان النسخ بالكلية تقرر في حق النبي صلعم ايضا فما كانت صلاة
الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ
فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة كقوله اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك والخطاب للنبي صلعم وللامة كما ان فريضة الصلاة وان خوطب بها النبي صلعم في قوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل كانت
عامة له ولغيره وقد قيل فريضة قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة بقوله تعالى علم ان سيكون

منكم مرضى

منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال
بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس
لما قدم رسول الله صلعم المدينة نسخ قوله ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلاة الليل **السابعة** قوله تعالى
ان سيكون منكم مرضى الاية بين سبحانه ان علة تخفيف قيام الليل ان الخلق منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل
والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هؤلاء وان في ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون
الثامنة سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله
والاحسان والافضال فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله وروى ابرهيم
عن علقمة قال قال رسول الله صلعم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته
عند الله منزلة الشهداء ثم قرا رسول الله صلعم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه
كان عند الله بمنزلة الشهداء وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في
سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي جبل
ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وعن
بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع الطعام يوم تدخل البصرة
ولا تؤخره الى الغد فوافق سعة في السعر فقال التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه
امثاله فكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وقد
جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار
كفافا لا علي ولا لي ويروى ان غلاما من اهل مكة كان ملازما للمسجد فافتقده ابن عمر فمشى الى بيته فقالت
امه هو على طعام له يبيعه فلقيه فقال له يا بني ما لك وللطعام فهلا ابلا فهلا بقرا فهلا غنما ان صاحب
الطعام يحب المحل وصاحب الماشية يحب الغيث **التاسعة** قوله فاقرءوا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله
من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم قال ابن العربي وقد قال قوم ان فرض
قيام الليل سن في ركعتين من هذه الاية قاله البخاري وغيره وعقد له بابا وذكر فيه حديث يعقد الشيطان
على قافية راس احدكم ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت
عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان
وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي صلعم في الرؤيا قال اما الذي يثلغ راسه بالحجر فانه ياخذ القران فيرفضه
وينام عن الصلاة المكتوبة وحديث عبد الله بن مسعود قال ذكر عند النبي صلعم رجل نام الليل كله فقال ذلك رجل بال
الشيطان في اذنه قال ابن العربي وهذه احاديث مقتضية مطلق الصلاة المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله
قال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله صلعم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا
ما اقره النبي صلعم ولا اخبر بمثل هذا الخبر بل كان يذمه غاية الذم وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة
النبي صلعم اذا راى رؤيا قصها على النبي صلعم وكنت غلاما شابا عزبا وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله صلعم فرايت
في النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البير واذا لها قرنان واذا فيها ناس قد عرفتهم
فجعلت اقول اعوذ بالله من النار قال فلقينا ملك اخر فقال لي لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول
الله صلعم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا فلو كان ترك القيام معصية
لما قال له الملك لم ترع **العاشرة** اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقرءوا ما تيسر من القران فاقرءوا
ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجوز العدول عنها

وكالاقتصار على بعضهما وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة ذكر القول الاول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب اليه مالك والشافعي على ما بيناه في الفاتحة اول الكتاب والحمد لله وقيل ان المراد قراءة القران في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا يكون مطلق هذا الامر محمولا على الوجوب او على الاستحباب دون الوجوب وهذا قول الاكثرين لانه لو وجب عليه ان يقراه لوجب ان يحفظه الثاني انه محمول على الوجوب ليقف بقراءته على اعجازه وما فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة لا الواجبة وفي قدر ما تضمنه هذا الامر من القراءة خمسة اقوال احدها جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك الثاني ثلث القران حكاه جويبر الثالث مايتا اية قاله السدي الرابع مائة اية قاله ابن عباس الخامس ثلاث ايات كاقصر سورة قاله ابو خالد الكناني **الحادية عشر** قوله تعالى واقيموا الصلاة يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص له **الثانية عشر** قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقد مضى بيانه في سورة الحديد وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله **الثالثة عشر** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة وروي عن عمر بن الخطاب انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه مسكين فاخذه ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هو فيه كانه تاول وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا اي مما تركتم وخلفتم ومن الشح والتقصير واعظم اجرا قال ابو هريرة الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطائه بالجنة عشرا ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير

تفسير سورة المدثر وهي مكية

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم وهي ست وخمسون اية مكية في قول الجميع

يا ايها المدثر فيه ست مسائل **الاولى** قوله يا ايها المدثر اي يا ذا الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام واصل المتدثر فادغمت التاء في الدال لتجانسهما وقرا ابي المتدثر على الاصل وقال معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلعم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينما انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحرا جالسا على كرسي بين السماء والارض قال فجثيت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني دثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر في رواية قبل ان تفرض الصلاة وهي الاوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى يقول سالت ابا سلمة اي القران انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل قبل فقلت او اقرا فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله صلعم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احدا ثم نوديت فنظرت فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا هو على العرش في الهوى يعني جبريل صلى الله عليه وسلم فاخذتني رجفة شديدة فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني فصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر خرجه البخاري وقال فيه فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز

فاهجر وفي لا تمنن تستكثر ابن العربي وقد قال بعض المفسرين انه جرى على النبي صلعم من عقبة امر فرجع الى منزله مغموما فقلق واضطجع فنزلت يا ايها المدثر وهذا باطل قال القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول كفار مكة انت ساحر فوجد من ذلك غما وحم فتدثر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي لا تفكر في قولهم وبلغهم الرسالة وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل ومطعم بن عدي وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتساءلون عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل يقول مجنون واخر كاهن واخر شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال شاعر فقال الوليد سمعت كلام ابن الابرص وامية بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما فقالوا كاهن فقال الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قط فقام اخر فقال مجنون فقال الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقال مالك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه زعموا انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فقلت انه ساحر وشاع هذا في الناس وصاحوا يقولون ان محمدا ساحر ورجع رسول الله صلعم الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة ونزلت يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن تنبا بعد وعلى انها اول القران لم يكن تمكن منها بعد وان كانت ثاني ما نزل **الثانية** قوله تعالى يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد ويا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة المزمل ومثله قول النبي صلعم لعلي اذ ناداه في المسجد قم يا ابا تراب وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه واصابه تراب خرجه مسلم ومثله قوله صلعم لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان وقد تقدم **الثالثة** قوله تعالى قم فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه مقدمة الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الفراء قم فصل وامر بالصلاة **الرابعة** قوله تعالى وربك فكبر اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظمه وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي حديث انهم قالوا بم نفتتح الصلاة فنزلت وربك فكبر اي وصفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه مراد به التكبير والتقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه وقد روي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلعم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ في عرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلعم الوارد على الاطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا لما شرع لامره بالسفك **قلت** قد تقدم في اول سورة البقرة ان هذا اللفظ الله اكبر هو المتعبد به في الصلاة المنقول عن النبي صلعم وفي التفسير انه لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام رسول الله صلعم وقال الله اكبر فكبرت خديجة وعلمت انه الوحي من الله تعالى ذكره القشيري **الخامسة** الفاء في قوله تعالى فكبر دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في فانذر اي قم فكبر ربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب اي زيدا اضرب فالفاء زايدة **السادسة** قوله تعالى وثيابك فطهر فيه ثمانية اقوال احدها ان المراد بالثياب العمل الثاني القلب الثالث النفس الرابع الجسم الخامس الاهل السادس الخلق السابع الدين الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر فمن ذهب الى القول الاول قال تاويل الاية وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح

قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ونحوه عن السدي ومنه قول الشاعر لاهم ان عامر بن جهم • اودم حجا في ثياب دسم • ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في ثوبيه الذي مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن ذهب الى القول الثاني قال تاويل الاية وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ودليله قول امرء القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل • اي قلبي من قلبك قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما معناه وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهذا مروي عن ابن عباس واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي فاني بحمد الله لا ثوب غادر • لبست ولا من غدرة اتقنع • ومن ذهب الى القول الثالث قال تاويل الاية ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنترة فشككت بالرمح الطويل ثيابه • ليس الكريم على القنا بمحرم • وقال امرؤ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقال ثياب بني عوف طهارى نقية • و اوجههم عند المشاهد غران • اي انفس بني عوف ومن ذهب الى القول الرابع قال تاويل الاية وجسمك فطهر عن المعاصي الظاهرة ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول الخنساء وقد ذكرت الابل رموها باثواب خفاف • فلا يرى لها شبها الا النعام المنفرا • اي ركبوها فرموها بانفسهم ومن ذهب الى القول الخامس قال تاويل الاية واهلك فطهر من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال الله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما معناه وثيابك فطهر باختيار المؤمنات العفائف الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر لا الحيض حكاه بعضهم ومن ذهب الى القول السادس قال وخلقك فحسن لان خلق الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الشاعر ويحيي لا يلام بسوء خلق • ويحيي طاهر الاثواب حر • اي حسن الاخلاق ومن ذهب الى القول السابع قال تاويل الاية ودينك فطهر وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين وروى ابن وهب انه قال يعجبني ان اقرا القران الا في الصلاة في المساجد لا في الطرق قال الله تعالى وثيابك فطهر يريد ما الله كنى بالثياب عن الدين وقد روى عبد الله بن نافع عن ابي بكر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن انس بن مالك في قوله وثيابك فطهر اي لا تلبسها على غدر ومنه قول ابي كبشة ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غران • يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن الدنائات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي وقال سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا غدر ولا جور ولا اثم قاله عكرمة ومنه قول الشاعر اودم حجا في ثيابه دسم • اي تدنسها بالمعاصي وقال النابغة رقاق النعال طيب حجزاتهم • يحيون بالريحان يوم السباسب • ومن ذهب الى القول الثامن قال ان المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تاويله اربعة اوجه احدها معناه وثيابك فانق ومنه قول امرئ القيس ثياب بني عوف طهارى نقية • الثاني وثيابك فشمر وقصر فان تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يؤمن ان يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك الا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طايل ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس يمتنع ان تحمل الاية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز واذا حملناها على الثياب المعلومة الطاهرة فهي تحتمل معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن الخطاب لغلام من الانصار وقد بلى ذيله مستر حيا ارفع ازارك فانه انقى واتقى وابقى قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلعم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون

دفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقايدة العجب بمن يحمل الله معه غيره ولا الحق به سواه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من يجر ثوبه خيلاء ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال ابو بكر يا رسول الله ان احد شق ازاري يسترخي الا ان اتعاهد ذلك منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق فاراد الامر ربا الحاق انفسهم بالرفعا وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها المهدوي وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب قال ابن سيرين وابن زيد لا تصل الا في ثوب طاهر واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب وليست عند مالك واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل على ذلك الاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى في سورة براءة مستوفى قوله تعالى والرجز فاهجر • قال مجاهد وعكرمة يعني الاوثان دليله قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال ابن عباس وابن زيد وعن ابن عباس ايضا والماثم فاهجر اي فاترك وكذا روى مغيرة عن ابرهيم النخعي قال الرجز الاثم وقال قتادة الرجز اساف ونايلة صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف المعنى وعمل الرجز فاهجر او العمل المؤدي الى العذاب واصل الرجز العذاب قال الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقال تعالى فارسلنا عليهم رجزا من السماء فسميت الاوثان رجزا لانها تؤدي الى العذاب وقراءة العامة الرجز بكسر الراء وقرا الحسن وعكرمة وابن محيصن وحفص عن عاصم والرجز بضم الراء هما لغتان مثل الركز والركز قال ابو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الكسائي ايضا بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي بنصب الراء الوعيد قوله تعالى ولا تمنن تستكثر • فيه عشر تاويلات الاول لا تمنن على ربك بما تتحمله من اثقال النبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير الثاني لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة قال الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه مامور باشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقاله مجاهد الثالث عن مجاهد ايضا لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير الرابع عن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك قال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته الخامس قال الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره السادس لا تمنن بالنبوة والقران على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثر به السابع قال القرطبي لا تعط مالك مصانعة قال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك الثامن لا تقل دعوت فلم يستجب لي التاسع لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها العاشر لا تفعل الخير لترائي به الناس الثالثة هذه الاقوال وان كانت مرادة فاظهرها قول ابن عباس لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اذا اعطيته ويقال للعطية المن فكان امر بان تكون عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها الانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم وكان ما يفضل من نفقة عياله وفلوكه مصالح المسلمين ولهذا لم يورث لانه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء وقد عصمه الله عن الرغبة في شيء من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقة وابيحت له الهدية فكان يقبلها ويثيب عليها وقال لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدي الى كراع لقبلت ابن العربي فكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة واذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالاغنياء اولى بالاجتناب لانها باب من ابواب المذلة وذلك قول من قال لا تعط عطية تنتظر ثوابها فان الانتظار تعلق بالاطماع وذلك في حيزه بحكم الامتناع وقد قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وذلك جائز لساير الخلق لانه من متاع الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها واما من قال اراد به العمل لا تمنن على الله بعملك فتستكثره فهو صحيح فان ابن ادم لو اطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر

الرابعة قوله تعالى ولا تمنن قرا العامة باظهار التضعيف وقرا ابو السمال العدوي واشهب العقيلي والحسن

ولا تمنن مدغمة مفتوحة تستكثر قراءة العامة بالرفع وهو في معنى الحال تقول جاء زيد يركض اي راكضا لا تعط
شيئا مقدرا بدلا من تمنن كانه قال لا تستكثر وانكره ابو حاتم وقال لان المن ليس بالاستكثار فيبدل منه
ويحتمل ان يكون سكن تخفيفا كعضد او ان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش ويحيى تستكثر بالنصب على توهم
لام كي كانه قال ولا تمنن لتستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة
ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر قال الكسائي فاذا حذف ان رفع وكان المعنى واحدا وقد يكون المن بمعنى التعداد
على المنعم عليه بالنعم فيرجع الى القول ويعضده قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقد يكون
مرادا في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر اي ولسيدك ومالكك فاصبر على اداء فرائضه وعبادته
وقال مجاهد على ما اوذيت وقال ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل فاصبر على
البلوى لانه يمتحن اولياءه واصفياءه وقيل على اوامره ونواهيه وقيل على فراق الاهل والاوطان قوله تعالى
فاذا نقر في الناقور اذا نفخ في الصور والناقور فاعول من النقر كانه الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت
والنقر في كلام العرب التصويت ومنه قول امرئ القيس اخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض
وهم يقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه مختصا بدعائه وقال مجاهد وغيره هو كهيئة البوق ويعني به النفخة
الثانية وقيل الاولى لانها اول الشدة الهائلة العامة وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في النحل والانعام
وفي كتاب التذكرة والحمد لله وعن ابي حيان قال امنا زرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير اي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين اي على من كفر بالله
وانبيائه صلى الله عليهم غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا الى عقدة اشد منها
بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فانها تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلوا الجنة برحمة الله ويومئذ نصب على
تقدير فذلك يومئذ يوم عسير وقيل بتقدير جر مجازه فذلك في يومئذ وقيل يجوز ان يكون رفعا الا
انه بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ذرني اي دعني وهي كلمة وعيد
وتهديد ومن خلقت اي دعني والذي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف اي
خلقته وحده لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته والمفسرون على انه الوليد بن المغيرة المخزومي
وان كان الناس خلقوا مثل خلقه وانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وايذاء الرسول عليه السلام
وكان يسمى الوحيد في قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير
وكان يسمى الوحيد فقال الله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا بزعمه لا ان الله تعالى صدقه بانه وحيد وقال
قوم ان قوله تعالى وحيدا يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في
الانتقام منه عن كل منتقم والثاني اني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه احد وانا اهلكه ولا احتاج الى ناصر
في اهلاكه فوحيدا على هذا حال من ضمير الفاعل وهو التاء في خلقت والاول قول مجاهد اي خلقته وحيدا
على هذا يرجع الى الوليد اي لم يكن شيئا فملكته وقيل اراد بذلك ليدله على انه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا
وقيل الوحيد الذي لا يعرف ابوه وكان الوليد معروفا بانه دعي كما ذكرنا في قوله عتل بعد ذلك زنيم وهو في
صفة الوليد ايضا قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا وما كان للوليد بين مكة
والطايف من الابل والحجور والنعم والجنان والعبيد والجواري كذا كان ابن عباس يقول وكان مجاهد غلته
الف دينار وقاله سعيد بن جبير وابن عباس ايضا وقال قتادة ستة الاف دينار وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع
خيره شتاء ولا صيفا وقال عمر رضي الله عنه وجعلت له مالا ممدودا غلة شهر بشهر النعمان بن سالم ايضا
يزرع فيها القشيري والاظهر انه اشارة الى ماله كله لا ينقطع رزقه بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة قوله تعالى
وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون عنه في تصرف قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقيل اثنا عشر قاله السدي

والضحاك

والضحاك قال الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطايف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولدا
وقال مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول
هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك وقيل شهودا اي قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام
بما كان يباشره والاول قول السدي اي حاضرين في مكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون قوله تعالى
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا مترفها يرجع الى رايه والتمهيد عند
العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام
وقاله مجاهد وعنه ايضا في مهدت له تمهيدا انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله تعالى ثم يطمع ان
ازيد اي ثم ان الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد كلا اي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم
وقال الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي
فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل النقصان في ماله وولده حتى هلك وثم
في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك كما تقول اعطيتك ثم انت تجحد
كالمتعجب من ذلك وقيل يطمع ان اترك ذلك في عقبه وذلك انه كان يقول ان محمدا مبتور اي ابتر وينقطع
ذكره بموته وكان يظن ان ما رزق لا ينقطع بموته وقيل اي ثم ان انصره على كفره وكلا قطع للرجاء عما
كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتداء انه كان يعني الوليد
لاياتنا عنيدا مثل جالس فهو جليس قاله مجاهد وعند يعند بالكسر اي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو
عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع وانشد ابو عبيدة
قول الحارثي اذا ركبت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيق العندا وقال ابو صالح عنيدا معناه قال الشاعر
ارى على حال تفرق بيننا نوى غربة ان الفراق عنود قتادة جاحدا مقاتل معرضا ابن عباس جحودا وقيل
انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد ايضا قال مجانبا للحق معاندا له معرضا عنه والمعنى كله متقارب والعرب
تقول عند الرجل اذا عتا وجاوز قدره والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية ورجل عنود
اذا كان يحل وحده لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند اذا لم يرقا دمه كل هذا قياس واحد
وقد مضى في سورة ابرهيم وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف قوله تعالى ساراهقه صعودا اي ساكلفه
وكان ابن عباس يقول ساحمله والارهاق في كلام العرب ان يحمل الانسان على الشيء صعودا الصعود جبل
من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي
وقال فيه حديث غريب وروى عطية بن ابي سعيد قال صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت
فاذا رفعوها عادت قال فيبلغ اعلاها في اربعين سنة يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع
حتى اذا بلغ اعلاها رمي بها الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا المعنى في سورة قل اوحي وفي التفسير
انه صخرة ملساء يكلف صعودها فاذا صار في اعلاها حدر في جهنم فيقوم يهوي الف عام من قبل ان يبلغ
قرار جهنم يحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال ابن عباس ساكلفه مشقة من العذاب
لا راحة له فيه ونحوه عن الحسن وقتادة وقيل انه تصاعد نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت ليعذب
من داخل جسده كما يعذب من خارجه قوله تعالى انه فكر وقدر يعني الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقران
وقدر اي هيا الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت الشيء اذا هياته وذلك انه لما نزل حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير سمعه الوليد يقراها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام
الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما
يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش

فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له مالي اراك حزينا فقال ومالي لا احزن وهذه
قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي
كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه
وانتم تعرفون قدر مالي واللات والعزى مالي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
قط يخنق قالوا لا والله قال فتزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا للكهنة اسجاعا
وتخالجا فهل رايتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله
قال فتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة
صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس وبسر فقال ما هذا الا سحر اما رايتموه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه فذلك قوله تعالى انه فكر في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه
ان يقول فيهما فقتل اي لعن وكان بعض اهل التاويل يقول معناها فقهر وغلب وكل بذلك ومقتل قال
وما ذرفت عيناك الا لتقدحي بسهميك في اعشار قلب مقتل وقال الزهري عذب وهو من باب الدعاء
كيف قدر قال ناس كيف تعجب كما تقول للرجل تعجب من صنيعه كيف فعلت هذا وذلك قوله ثم نظر وقيل
فقتل بضرب من العقوبة ثم قتل بضرب اخر من العقوبة كيف قدر اي على اي حال قدر ثم نظر باي شيء يرد
الحق ويدفعه ثم عبس اي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين وذلك انه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من
القول في محمد صلى الله عليه وسلم بانه ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس وبسر
على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب
الابل من ابعارها وابوالها قال ابو النجم كان في اذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الايل وبسر اي كلح وجهه
وتغير لونه قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن ابي خازم صبحنا تميما غداة الجفار بشهباء ملمومة باسرة
قال الشاعر وقد رابني منها صدود رايته واعراضها عن حاجتي وبسورها وقيل ان ظهور العبوس في الوجه
بعد المحاورة وظهور البسر في الوجه قبل المحاورة وقال قوم بسر وقف لا يتقدم ولا يتاخر قالوا ولذلك يقول
اهل اليمن اذا وقف المركب فلم يجي ولم يذهب قد بسر المركب وابسر اي وقف وابسرنا والعرب تقول وجه باسر
بين البسور اذا تغير واسود ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا الى اهله واستكبر حين دعي اليه
فقال ان هذا اي ما هذا الذي اتى به محمد الا سحر يؤثر اي ياثره عن غيره والسحر الخديعة وقد تقدم
بيانه في سورة البقرة وقال قوم السحر اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا
ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف وقال امرؤ القيس ولو عن نثا غيره جاءني
وجرح اللسان كجرح اليد لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني يد المسند يريد اخر الدهر وقال الاعشى
ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر ويروى بين ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين
يختدع به القلوب كما تختدع بالسحر قال السدي يعنون انه من قول سيار عبد لبني الحضرمي الكاهن وقيل انما
تلقنه ممن ادعى النبوة من قبل فنسج على منوالهم قال ابو سعيد الضرير ان هذا الا امر سحر يؤثر اي يورث قوله
تعالى ساصليه سقر اي سادخله سقر كي يصلى حرها وانما سميت سقر من سقرته الشمس اذا ابته ولوحت ولوحت
جلدة وجهه ولا ينصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس هو الطبق السادس من جهنم وروى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سال موسى ربه فقال اي رب اي عبادك افقر قال صاحب سقر ذكره الثعلبي وما ادراك ما سقر هذا
مبالغة في وصفها اي وما اعلمك اي شيء هي وهي كلمة تعظيم ثم فسر حالها فقال لا تبقي ولا تذر اي لا تترك
لهم عظما ولا لحما ولا دما الا احرقته وكرر اللفظ تاكيدا وقيل لا تبقي منهم شيئا ثم يعادون خلقا جديدا
فلا تذر اي تعاود احراقهم هكذا ابدا وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا

وقال

وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما لواحة للبشر اي مغيرة من لاحه اذا غيره وقراءة العامة لواحة بالرفع
نعت لسقر في قوله تعالى وما ادراك ما سقر وقرا عطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر لواحة بالنصب على
الاختصاص للتهويل قال ابو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها اشد سوادا من الليل وقال مجاهد والعرب
تقول لاحه البرد والحر والسقم والحزن اذا غيره ومنه قول الشاعر تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي
لاحني الهواجر وقال اخر وتعجب هند ان راتني شاحبا تقول لشيء لوحته السمائم وقال رؤبة بن العجاج
لوح منه بعد بدن وسبق تلويحك الضامر يطوى للسبق وقيل ان اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش
ولوحه اي غيره والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها قاله الاخفش وانشد سقتني على لوح من الماء شربة
سقاها به الله الرهام الغواديا يعني باللوح شدة العطش والتاح اي عطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة
الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام وقال ابن عباس لواحة اي تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام الحسن تلوح لهم
جهنم حتى يرونها عيانا نظيره وبرزت الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان احدهما انه الانس من اهل النار قاله
الاخفش والاكثرون الثاني انه جمع بشرة وهي جلدة الانسان الظاهرة قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر ابشار
وهذا على التفسير الاول واما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه الا الجن والناس لا الجلود لانه من لاح الشيء
يلوح اذا لمع قوله تعالى عليها تسعة عشر اي على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها اهلها ثم قيل على
جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا ويحتمل ان يكون التسعة عشر
نقيبا ويحتمل ان يكون التسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان
ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلائق كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق وقال ابن جريج
نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم من القوة مثل
قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي فوقهم الجبل قلت وذكر ابن المبارك
قال حدثنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الاية وما ادراك
ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر فقال ما تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت
لا بل تسعة عشر ملكا قال وانى تعلم ذلك فقلت لقول الله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت
هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها في النار سبعين الفا وعن
عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال
ناس من يهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نساله
فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم قال وبماذا غلبوا قال سالهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة
جهنم قال فماذا قالوا قالوا لا ندري حتى نسال نبينا قال افيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسال نبينا لكنهم سالوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي باعداء الله اني
سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاءوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا
في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا اخبرنا يا ابا القاسم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد
عن الشعبي عن جابر وذكر ابن وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي
احدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان
يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم قلت والصحيح ان شاء الله ان هؤلاء
التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء واما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف
زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل عليها تسعة عشر

قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهماء اي
العدد والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسد الجمحي لا يهولنكم
التسعة عشر ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون الى الجنة يقولها مستهزئا
في رواية ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين وقيل ان ابا جهل قال افيعجز كل مائة
ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فنزل قوله تعالى ﴿وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة﴾ اي لم
نجعلهم رجالا تتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم
ما ياخذ المجانسين من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فيؤمن هوادتهم
ولانهم اشد خلق الله باسا واقواهم بطشا ﴿وما جعلنا عدتهم الا فتنة﴾ اي بلية ويروى عن ابن عباس من غير وجه قال
ضلالة ﴿للذين كفروا﴾ يريد ابا جهل وذويه وقيل الا عذابا كما قال تعالى يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم
اي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب وفي تسعة عشر سبع قراات قراءة العامة تسعة عشر وقرا ابو جعفر
ابن القعقاع وطلحة بن سليمان تسعة عشر باسكان العين وعن ابن عباس تسعة عشر بضم الهاء وعن انس بن مالك
تسعة وعشر ذكرها المهدوي وعنه ايضا تسعة اعشر وقال من قرا تسعة عشر اسكن العين لتوالي الحركات ومن
قرا تسعة وعشر جاء به على الاصل قبل التركيب وعطف عشرا على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال واسكن
الراء من عشر على نية السكون عليها ومن قرا تسعة عشر فكانه من التداخل كانه اراد العطف وترك التركيب فرفع
هاء التانيث ثم راجع البناء واسكن واما تسعة اعشر فغير معروف وقد انكرها ابو حاتم وكذلك تسعة وعشر
لانها محمولة على تسعة اعشر والواو بدل من الهمزة وليس كذلك وجه عند النحويين الزمخشري وقرا تسعتا
عشر جمع عشر مثل يمين وايمن قوله تعالى ﴿ليستيقن الذين اوتوا الكتاب﴾ اي ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل ان
عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل انه يريد
الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان يريد الكل ﴿ويزداد الذين امنوا ايمانا﴾ بذلك لانهم كلما صدقوا بما
في كتاب الله امنوا ثم ازدادوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة جهنم ﴿ولا يرتاب﴾ اي لا يشك ﴿الذين اوتوا﴾ اي
اعطوا ﴿الكتاب والمؤمنون﴾ اي المصدقون من امة محمد في ان عدد خزنة جهنم تسعة عشر ﴿وليقول الذين
في قلوبهم مرض﴾ اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد
الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة وقيل المعنى اي وليقول الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد
الهجرة ﴿والكافرون﴾ اي اليهود والنصارى ﴿ماذا اراد الله بهذا مثلا﴾ يعني بعدد خزنة جهنم وقال الحسين ابن
الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف والكافرون اي مشركو العرب وعلى القول
الاول اكثر المفسرين ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين
بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله اي ما اراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث
قال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها ﴿كذلك﴾ اي كما اضل الله
ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم ﴿يضل﴾ اي ويخزي ﴿من يشاء﴾ ﴿ويهدي﴾ اي ويرشد ﴿من يشاء﴾ كاصحاب
محمد صلعم وقيل كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء ﴿وما يعلم جنود ربك الا هو﴾ اي وما يدري
عدة ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الا الله جل ثناؤه وهذا جواب لابي جهل حين قال
اما لمحمد من الجنود الا تسعة عشر وعن ابن عباس ان النبي صلعم كان يقسم غنائم حنين فاتاه جبريل فجلس عنده
ملك فقال ان ربك يامرك بكذا وكذا فخشي النبي صلعم ان يكون شيطانا فقال يا جبريل اتعرفه فقال هو
ملك وكل ملائكة ربك اعرف وقال الاوزاعي قال موسى يا رب من في السماء قال ملائكتي قال كم عدتهم يا رب
قال اثنا عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي وفي الترمذي عن النبي صلعم اطت السماء وحق

لها ان تئط ويحج والقرآن وقيل وما هي اي وما هذه النار التي هي سقر الا ذكرى اي عظة للبشر اي الخلق وقيل نار الدنيا
تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج وقيل وما هذه العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه لا
يحتاج الى اعوان وانصار فالكناية على هذا في قوله وما هي ترجع الى الجنود لانه اقرب مذكور قوله تعالى ﴿كلا والقمر﴾
قال الفراء كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على كلا واجاز
الطبري الوقف عليها وجعلها ردا للذين يزعمون انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم انه
يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده فقال ﴿والليل اذ ادبر﴾ اي ولى وكذلك دبر وقرا
نافع وحمزة وحفص اذ ادبر بالف الباقون بغير الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وكذلك قبل الليل واقبل وقد
قالوا امس الدابر والمدبر قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر
ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش قال بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت
ابن عباس عن قوله تعالى والليل اذ ادبر فسكت حتى اذا ادبر قال حدثنا مجاهد هذا حين دبر الليل وقرا محمد بن
السميقع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك في مصحف عبد الله والا سفر بالفين وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل
من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه الصواب
ادبر انما يدبر ظهر البعير واختار ابو عبيد دبر قال لانها اكثر موافقة للحروف الذي يليه الا تراه يقول ﴿والصبح اذا اسفر﴾
فكيف يكون احدهما اذ والاخر اذا وليس في القرآن قسم يعقبه اذ وانما يتعقبه اذا ومعنى اسفر اضاء وقراءة العامة
اسفر بالالف وقرا ابن السميقع سفر وهما لغتان يقال سفر وجه فلان واسفر اذا اضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر
فانه اعظم للاجر اي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار والاسفار الانارة واسفر وجهه حسنا
اي اشرق وسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر ويجوز ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس
ومنه السفير لما تسقط من ورق الشجر وتحتت يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة
مسالة استدل الحنفي بهذه الاية على الاسفار بالصبح قوله تعالى ﴿انها لاحدى الكبر﴾ جواب القسم اي ان هذه النار لاحدى
الكبر اي لاحدى الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وروي عن ابن عباس انها اي تكذيبهم محمدا صلعم
لاحدى الكبر اي لكبيرة من الكبائر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر والكبر هي العظائم من العقوبات قال الراجز
يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر داهية الدهر وجماء الغبر والواحدة الكبرى مثل الصغرى والعظمى والعظم وقراءة
العامة لاحدى وهو اسم بني ابتداء للتانيث وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واخرى والفه الف قطع لا تذهب في الوصل
وروى جرير بن حازم عن ابن كثير انها لحدى الكبر بحذف الهمزة ﴿نذيرا للبشر﴾ يريد النار اي ان هذه النار الموصوفة نذيرا
للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله الزجاج وذكر لانه معنى العذاب واراد ذات انذار على معنى النسب
كقولهم امراة طالق وطاهر وقال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المؤنث وقال الحسن والله ما انذر
الخلائق بشيء ادهى منها وقيل المراد بالنذير محمد صلعم اي قم نذيرا للبشر اي مخوفا لهم فنذيرا حال من قم في اول السورة
حين قال قم فانذر قاله ابو علي الفارسي وابن زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفراء ابن الانباري وقال بعض المفسرين
معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل هو من صفة الله تعالى روى ابو
معوية الضرير حدثنا اسماعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها
ونذيرا على هذا نصب على الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرا بذلك البشر وقيل هو حال من هو
في قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل هو في موضع المصدر كانه قال انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون
النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله تعالى
فكيف كان نذير اي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا وقيل هو منصوب باضمار
فعل وقرا ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار هو وقيل اي ان القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد

لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر • اللام متعلقة بنذيرا اي نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم الى الخير والطاعة او
يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن
هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال بعض اهل التاويل
معناه لمن شاء الله ان يتقدم او يتاخر فالمشيئة متصلة بالله عز وجل والتقدم الايمان والتاخر الكفر وكان ابن
عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة
وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى
الجنة قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة • اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما اوبقها وكسبت رهينة
تانيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا
بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل بما كسبت رهين
ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف كويكب • رهينة رمس ذي تراب وجندل • كانه قال رهين رمس والمعنى
كل نفس معتقة بكسبها عند الله غير معلول الا اصحاب اليمين • فانهم لا يرتهنون بذنوبهم واختلف في تعيينهم فقال
ابن عباس الملائكة علي بن ابي طالب اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم الضحاك الذين سبقت لهم من الله
الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا
قال مقاتل ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم يوم الميثاق حين قال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا
ابالي وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابي ظبيان عن
ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو محمد الباقر
نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم
يدخلوا في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم وقال القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر
الا من اعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة فكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون وكل من اعتمد على الفضل
فهو غير ماخوذ به في جنات • اي في بساتين يتساءلون • اي يسالون عن المجرمين • اي المشركين • ما سلككم
اي ادخلكم في سقر • كما تقول سلكت الخيط في كذا اي اذا ادخلته فيه قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من
اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر وعنه قرا عمر بن
الخطاب يا فلان ما سلككم في سقر وهي قراءة على التفسير لا انها قران كما زعم من طعن في القران قاله ابو بكر
الانباري وقيل ان المؤمنين يسالون الملائكة عن اقربائهم فتسال الملائكة المشركين فيقولون لهم ما سلككم في سقر
قال الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب قالوا • يعني اهل النار لم نك من المصلين
اي المؤمنين الذين يصلون • ولم نك نطعم المسكين • اي لم نك نتصدق • وكنا نخوض مع الخائضين • اي كنا نخالط
اهل الباطل في باطلهم وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم كاهن مجنون شاعر ساحر
وقال السدي اي وكنا نكذب مع المكذبين وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه كنا اتباعا ولم نكن
متبوعين • وكنا نكذب بيوم الدين • اي لم نكن نصدق بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم قوله تعالى حتى اتانا اليقين
اي جاءنا ونزل بنا الموت ومنه قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين وذلك ان قوما من اهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم
الله بتوحيدهم والشفاعة فاخرجوا من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه يشفع نبيكم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة
ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده

في كتاب

في كتاب التذكرة قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين • اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا عما جئتهم به وفي
تفسير مقاتل الاعراض عن القران من وجهين احدهما الجحود والانكار والوجه الاخر ترك العمل بما فيه ومعرضين نصب
على الحال من الهاء والميم في لهم وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل كانهم اي كان هؤلاء الكفار في
فرارهم منه كانهم حمر مستنفرة • قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية وقرا نافع وابن عامر بفتح الفاء اي منفرة مذعورة
واختاره ابو عبيد وابو حاتم الباقون بالكسر اي نافرة يقال نفرت واستنفرت بمعنى مثل عجبت واستعجبت
وسخرت واستسخرت وانشد الفراء امسك حمارك انه مستنفر • في اثر احمرة عمدن لغرب قوله تعالى فرت من قسورة
اي نفرت من قسورة اي من رماة يرمونها وقال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال
سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا
عن ابن عباس ايضا ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انها تقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وروى ابو حمزة
عن ابن عباس قال ما اعلم القسورة جمع الرجال • فاس كوني حجره لحبه • احوالها الجن واهل القسورة • وعنه ركز الناس
اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان
الحبشة الرماة وبلسان فارس شير وبلسان النبط ازيا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي فرت من ظلمة الليل
وقاله عكرمة ايضا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال اقويا وكل
شديد عند العرب فهو قسورة وقسور قال لبيد بن ربيعة اذا ما هتفنا هتفة في ندينا • اتانا الرجال العائدون القساور
قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة • اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا
يا محمد ائتنا بكتاب من رب العالمين الى فلان اني قد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم نظيره لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه
وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار قال مطر الوراق
ارادوا ان يعطوا بغير علم وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه
وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقال مجاهد ارادوا ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى فلان بن فلان
وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لا
نرى ذلك كلا • اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم بل لا يخافون الاخرة • اي لا اعطيهم
ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخرة اغترارا بالدنيا وقرا سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون فاما
تسكين الحاء فتخفيف واما تسكين النون فشاذ انما يقال نشرت الثوب وشبهه ولا يقال انشرت ويجوز ان
يكون شبه الصحيفة بالميت لانها ميتة بطيها فاذا نشرت حييت فجاء على انشر الله الميت كما شبه احياء الميت
بنشر الثوب فقيل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه قوله تعالى كلا انها تذكرة • اي حقا ان القران عظة • فمن شاء
ذكره • اي اتعظ به • وما يذكرون • اي وما يتعظون • الا ان يشاء الله • اي ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكير
الا بمشيئة الله ذلك لهم وقراءة العامة يذكرون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة
وقرا نافع ويعقوب بالتاء واختاره ابو حاتم لانه اعم واتفقوا على تخفيفها • هو اهل التقوى واهل المغفرة • في
الترمذي وسنن ابن ماجه عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال
قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلا يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وقال فيه حديث
حسن غريب وفي بعض التفاسير فانا اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار
باجتناب الذنوب الكبار وقال المحاسبي انا اهل ان يتقيني عبدي وان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له

سورة القيامة
مكية وهي تسع وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة قيل ان لا صلة وجاز وقوعها
في اول السورة لان القران متصل بعضه ببعض فهو في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه
في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة

ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيمة قاله ابن عباس وابن جبير وابو عبيدة ومثله قول الشاعر تذكرت
ليلى ما اعترتني صبابة • فكاد صميم القلب لا يتقطع • وحكى ابو الليث السمرقندي اجمع المفسرون ان معنى
لا اقسم اقسم واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم لا زيادة في الكلام للزينة ويجري في كلام العرب زيادة لا كما
قال في اية اخرى قال ما منعك ان لا تسجد وقال بعضهم رد لكلامهم حيث انكروا البعث فقال ليس الامر كما ذكرتم
قلت وهذا قول الفرا وكثير من النحويين يقولون لا صلة ٢ ان يبدا بجحد ثم يجعل صلة لان هذا لو كان
كذا لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ولكن القران جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار
فجا الاقسام بالرد عليهم وذلك كقولهم لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى وذلك كقولك لا والله ان القيمة
لحق كانك اكذبت قوما انكروه وانشد الفرا لامرئ القيس فلا وابيك يا ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر
وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمالي • ليحزنني فلا بك ما ابالي • وفايدتها توكيد القسم في الرد قال الفرا
وكان من لا يعرف هذه الجهة هذا لا اقسم بغير الف كانها لام تاكيد دخلت على اقسم وهو صواب لان العرب تقول
لاقسم بالله وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز بيوم القيمة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم
ولله جل وعز ان يقسم بما شاء • ولا اقسم بالنفس اللوامة • لا خلاف في هذا بين القرا وانه سبحانه انما اقسم
بيوم القيمة تعظيما لشانه وعلى قراءة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة
رد اخر وابتدا قسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه اقسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي بنفس المومن
الذي لا تراه الا يلوم نفسه يقول ما اردت بكذا فلا تراه الا وهو يعاتب نفسه قاله ابن عباس ومجاهد والحسن
وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المومن وما يرى المومن الا ما يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت
تخويف نفسي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى
الخير لم لا تستكثر منه وقيل انها ذات اللوم وقيل انها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها فعلى هذه الوجوه تكون
اللوامة بمعنى اللايمة وهو صفة المدح وعلى هذا يجي القسم بها سايغا حسنا وفي بعض التفسير ان ادم عليه السلم
لم يزل لايما لنفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وقيل اللوامة بمعنى الملومة المذمومة عن ابن عباس
ايضا فهي صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما اذ ليس للعاصي خطر يقسم به فهي كثيرة اللوم وقال مقاتل هي
نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الاخرة على ما فرط في جنب الله وقال الفرا ليس من نفس محسنة او مسيئة
الا وهي تلوم نفسها فالمحسن يلوم نفسه ان لو كان ازداد احسانا والمسي يلوم نفسه ان لا يكون ارعوى عن اساته
قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • فنعيدها خلقا جديدا بعد ان صارت رفاتا قال الزجاج اقسم
بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهو جواب القسم وقال النحاس جواب القسم محذوف اي لتبعثن
ودل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه للاحيا والبعث والانسان هنا الكافر المكذب
بالبعث والاية نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلعم حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها
فاخبره النبي صلعم بذلك فقال لو عاينت ذلك لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام ولهذا كان صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السو عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابا جهل حين
انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق • بلى وقف حسن ثم يبتدى • قادرين •
فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير وقيل المعنى بل نقدر قادرين قال
الفرا قادرين نصب على الخروج من نجمع اي نقدر ونقوى قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح نصبه على التكرير
اي بلى فليحسبنا قادرين وقيل المضمر اي كنا قادرين في الابتدا وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن
السميفع بلى قادرين نحن قادرون على ان نسوي بنانه • البنان عند العرب الاصابع واحدها بنانة قال النابغة
بمخضب رخص كان بنانه • عنم يكاد من اللطافة يعقد وقال عنترة وان الموت طوع يدي اذا ما • وصلت بنانها

بالهندوان • فنبه بالبنان على بقية الاعضاء وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر قال القتيبي والزجاج وزعموا
ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونولف
بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين المعنى على ان نسوي
بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وكحافر الحمار وكظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به
شيئا ولكنا فرقنا اصابعه حتى ياخذ بها ما شا وكان الحسن يقول جعل لك اصابع فانت تبسطهن وتقبضهن بهن
ولو شا الله لجمعهن فلم تتق الارض الا بكفيك وقيل اي نقدر ان نعيد الانسان في هيبة البهايم فكيف في صورته
التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون قلت والتاويل الاول
اشبه بمساق الاية والله اعلم قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه • قال ابن عباس يعني الكافر يكذب بما امامه
من البعث والحساب وقاله عبد الرحمن بن زيد ودليله يسال ايان يوم القيمة • اي يسال متى يكون على وجه الانكار
والتكذيب ولكن باثمه لما بين يديه ومما يدل على ان الفجور التكذيب ما ذكره القتيبي وغيره ان اعرابيا قصد عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وشكى اليه نقب ابله ودبرها وساله ان يحمله على غيرها فلم يحمله فقال الاعرابي اقسم بالله ابو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر • اغفر له اللهم ان كان فجر • يعني ان كان كذبني فيما ذكرت وعن ابن عباس ايضا يعجل المعصية
ويسوف التوبة وفي بعض الحديث قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف فكذب وهذا قول مجاهد والحسن
وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب حتى ياتيه الموت على اشر احواله وقال الضحاك هو
الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقيل اي يعزم على المعصية ابدا وان كان لا يعيش الا مدة
قليلة فالها على هذه الاقوال للانسان وقيل الها ليوم القيمة والمعنى بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي
يوم القيمة والفجور اصله الميل عن الحق يسال ايان يوم القيمة اي متى يوم القيمة قوله تعالى فاذا برق البصر • قرا
نافع وابان عن عاصم برق بفتح الرا معناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف قاله مجاهد وغيره هذا
عند الموت وقال الحسن هذا يوم القيمة وقال فيه معنى الجواب عما سال عنه الانسان كانه قال يوم القيمة اذا برق
البصر وخسف القمر • والباقون بالكسر برق ومعناه تحير فلم يطرف قاله ابو عمرو والزجاج وغيرهما قال ذو الرمة
ولو ان لقمان الحكيم تعرضت • لعينيه مي سافرا كان يبرق • الفرا والخليل برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب
تقول للانسان المتحير المبهوت قد برق فهو برق وانشد الفرا فنفسك فانع ولا تنعني • وداو الكلوم ولا تبرق •
اي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد قول
الكلابي لما اتاني ابن عمير راغبا • اعطيته عيسا صهابا فبرق • اي فتح عينيه وقيل ان كسر الرا وفتحها
لغتان بمعنى قوله تعالى وخسف القمر • اي بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى غاب ومنه قوله
تعالى فخسفنا به وبداره الارض وقرا ابن ابي اسحاق وعيسى والاعرج وخسف القمر بضم الخا وكسر السين يدل عليه
وجمع الشمس والقمر • وقال ابو حاتم محمد بن ادريس اذا ذهب بعضه فهو الكسوف واذا ذهب كله فهو الخسوف وجمع
الشمس والقمر اي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضو للشمس كما لا ضو للقمر بعد خسوفه قاله الفرا والزجاج قال
الفرا ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما وقال ابو عبيدة هو على تغليب المذكر وقال الكسائي هو محمول على المعنى كانه
قال الضوءان المبرد التانيث غير حقيقي وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب
اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران عقيران وقد مضى الحديث بهذا المعنى في اخر سورة الانعام وفي
قراءة عبد الله وجمع بين الشمس والقمر وقال عطا بن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله
الكبرى وقال علي وابن عباس يجعلان في نحو الحجب وقد يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار
عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم وفي مسند ابي داود الطيالسي
عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك يرفعه الى النبي صلعم قال قال النبي صلعم ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وقيل

هذا الجمع يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلجمهم العرق لشدة الحر فكان المعنى يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قوله تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم ويقال ابو جهل اين المفر قال الشاعر اين المفر والكباش تنتطح واي كبش حاد عنها يفتضح الماوردي ويحتمل وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيمة دون المومن لثقة المومن ببشرى ربه الثاني ان يكون من قول المومن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها وقراة العامة بفتح الفاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه مصدر وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم قال الكسائي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفاء المهدوي من فتح الميم والفاء من المفر فهو مصدر بمعنى الفرار ومن فتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الانسان الجيد الفرار فالمعنى اين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو من ذلك قال الشيخ المولف رحمه الله ومنه قول امرئ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا يريد انه حسن الكر والفر جيده كلا اي لا مفر فكلا رد وهو من الله ثم فسر هذا الرد فقال لا وزر اي لا ملجا من النار وكان ابن مسعود يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا جبل وابن عباس يقول لا ملجا وابن جبير لا محيص ولا منعة والمعنى في ذلك كله واحد والوزر في اللغة ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لا وزر يعصمكم يومئذ مني قال طرفة ولقد تعلم بكر اننا فاضلوا الراي وفي الروع وزر اي ملجا للخائف ويروى وقر الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى قال قتادة نظيره وان الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع وقيل اي المستقر في الاخرة حيث يقره الله اذ هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا من قول الانسان لنفسه اذا علم انه ليس له مفر قال لنفسه كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ اي يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيمة بما قدم واخر اي بما اسلف من عمل سيئ او صالح او اخر من سنة سيئة او صالحة يعمل بها غيره قاله ابن عباس وابن مسعود وروى منصور عن مجاهد قال ينبا باول عمله واخره قاله النخعي وقال ابن عباس ايضا اي بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال زيد بما قدم من ماله لنفسه وبما اخر خلفه للورثة وقال الضحاك ينبا بما قدم من فرض واخر من فرض قال القشيري وهذا الانباء يكون في القيامة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت قال الشيخ المولف رحمه الله الاول اظهر لما خرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهري حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان مما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته يلحقه من بعد موته وخرجه ابو نعيم الحافظ من حديث قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم سبع يجري اجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما او اجرى نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته وهو في قبره فنص على ان ذلك لا يكون عند الموت وانما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله وان كان يبشر بذلك في قبره ودل على هذا ايضا قوله الحق وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في الاخرة بعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول انت حجة على نفسك وقال ابن عباس بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد وانشد الفرا السلمية

كانت على

كانت على ذي العقل عينا بصيرة بمقعده او منظر هو ناظره يحاذر حتى يحسب الناس كلهم من الخوف لا تخفى عليهم سرائره ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجاء تانيث البصيرة لان المراد بالانسان ها هنا الجوارح لانها شاهدة على نفس الانسان فكانه قال بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة قال معناه القتبي وغيره وناس يقولون هذه الهاء في قوله بصيرة هي التي تسميها اهل الاعراب هاء المبالغة كالهاء في قولهم داهية وعلامة وراوية وهو قول ابي عبيدة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله ولو القى معاذيره فيمن جعل المعاذير الستور وهو قول السدي والضحاك وقال بعض اهل التفسير المعنى بل على الانسان من نفسه بصيرة اي شاهد فحذف حرف الجر ويجوز ان يكون بصيرة نعتا لاسم مونث فيكون تقديره بل الانسان على نفسه عين بصيرة وانشد الفرا كان على ذي العقل عين بصيرة وقال الحسن في قوله بل الانسان على نفسه بصيرة يعني بصير بعيوب غيره جاهل بعيوب نفسه ولو القى معاذيره اي ولو القى ستوره والستر بلغة اهل اليمن معذار قاله الضحاك قال الشاعر ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا واطت فوقها بالمعاذر قال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وقيل اي ولو اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا والفرا والسدي ايضا ومقاتل قال مقاتل اي لو ادلى بعذر او حجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر قال الشاعر واياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك المصادر فما حسن ان يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر واعتذر رجل الى ابرهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب وقال ابن عباس ولو القى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي قال الشيخ المولف رحمه الله والاظهر انه الادلاء بالحجة والاعتذار من الذنب ومنه قول النابغة ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت وان صاحبها مشارك النكد للحرمان وضيق الحال والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقوله في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث وقد تقدم في حم السجدة وغيرها والمعاذير جمع معذرة ويقال عذرته فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذر قال الشاعر اني حددت ولا عذر لمحدود ولذلك المعذرة وتثنى مثل الركبة والجلسة قال النابغة ها ان تا عذرة الا تكن نفعت وان صاحبها قد تاه في البلد وتضمنت هذه الاية مسايل الاولى قال القاضي ابو بكر ابن العربي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فيها دليل على قبول اقرار المرء على نفسه لانها شاهدة منه عليه قال الله سبحانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولا خلاف فيه لانه اخبار على وجه تنتفي التهمة عنه لان العاقل لا يكذب على نفسه وقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله وانا معكم من الشاهدين وقال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم وهو في الاثار كثير قال النبي صلعم واغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها فاما اقرار الغير على الغير بوارث او دين وهي المسالة الثانية فقال مالك الامر المجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون فيقول احدهم قد اقر ابي ان فلانا ابنه ان ذلك النسب لا يثبت الا بشهادة اثنين ولا يجوز اقرار الذي اقر على نفسه في حصته من مال ابيه يعطى الذي شهد له قدر الذي يصيبه من المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك ان يهلك الرجل ويترك ابنين ويترك ستمائة دينار ثم يشهد احدهما بان اباه الهالك اقر ان فلانا ابنه فيكون على الذي شهد للذي استلحق مائة دينار وذلك نصف ميراث المستلحق لو لحق وان اقر له الاخر اخذ المائة الاخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه وهو ايضا بمنزلة المراة تقر بالدين على ابيها او على زوجها وينكر الورثة فعليها ان تدفع الى الذي اقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ان كانت امراة فورثت الثمن دفعت الى الغريم ثمن دينه وان كانت ابنة ورثت النصف

ودفعت الى الغريم نصف دينه على حساب هذا يدفع اليه من اقر له من النسا الثالثة لا يصح الاقرار الا من مكلف لكن يشترط
ان لا يكون محجورا عليه لان الحجر يسقط قوله اذا كان لحق نفسه فان كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط ومنه جايز
وبيانه في مسايل الفقه وللعبد حالتان في الاقرار احدهما في ابتدائه ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم والثاني في انتهائه
وذلك مثل ابهام الاقرار وله صور كثيرة وامهاتها ستة الصورة الاولى ان يقول له عندي شيء قال الشافعي لو فسره بتمرة
او كسرة قبل منه والذي تقتضيه اصولنا انه لا يقبل الا فيما له قدر فاذا فسره به قبل منه ولو حلف عليه الصورة الثانية
ان يفسر بالخمر او خنزير او بما لا يكون مالا في الشريعة لم يقبل باتفاق ولو ساعده المقر له الصورة الثالثة ان
يفسر بمختلف فيه مثل جلد الميتة او خنزير او كلب فان الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه من رد وامضاء فان رده
لم يحكم عليه حاكم غيره بشيء لان الحكم قد نفذ بابطاله وقال بعض اصحاب الشافعي يلزمه الخمر والخنزير وهو قول باطل
وقال ابو حنيفة اذا قال على شيء لم يقبل تفسيره الا بمكيل او موزون لانه لا يثبت في الذمة الا هما وهذا ضعيف فان
غيرهما يثبت في الذمة اذا وجب اجماعا الصورة الرابعة قال له عندي مال قبل تفسيره بما لا يكون مالا في العادة
الدرهم والدرهمين ما لم يجي من قرينة الحال ما يحكم عليه باكثر منه الصورة الخامسة ان يقول له عندي مال كثير
او عظيم قال الشافعي يقبل في الحبة وقال ابو حنيفة لا يقبل الا في نصاب الزكاة وقال علماؤنا في ذلك اقوال مختلفة
منها نصاب السرقة والزكاة والدية واقله عندي نصاب السرقة لانه لا يبان عضو المسلم الا في مال عظيم وبه قال
اكثر الحنفية ومن يعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد انه لا يقبل في اقل من اثنين وسبعين درهما فقيل له ومن اين
تقول ذلك قال لان الله تعالى قال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وغزواته وسراياه كانت اثنين وسبعين وهذا
لا يصح لانه اخرج حسابها وكان حقه ان يقول في احد وسبعين وقد قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال
لا خير في كثير من نجواهم وقال لعنهم لعنا كثيرا الصورة السادسة اذا قال له عندي عشرة او ماية او الف فانه
يفسرها بما شاء ويقبل منه فان قال الف درهم او ماية درهم وخمسون درهما فانه يفسر المبهم ويقبل منه وبه
قال الشافعي وقال ابو حنيفة ان عطف على العدد المبهم مكيلا او موزونا كان تفسيرا للماية وقال ابن الخيران والاصطخري
من اصحاب الشافعي الدرهم لا يكون تفسيرا في الماية والخمسين لا للخمسين خاصة ويفسر الماية بما شاء المسلة الرابعة
قوله تعالى ولو القى معاذيره معناه لو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعدما اقر في
الحدود التي هي خالص حق الله تعالى فقال اكثرهم منهم الشافعي وابو حنيفة يقبل رجوعه عن الاقرار وقال ابن مالك في
احد قوليه وقال في القول الاخر لا يقبل الا ان يذكر لرجوعه وجها صحيحا والصحيح جواز الرجوع مطلقا لما روى
الايمة منهم البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنا مرارا اربعا كل مرة يعرض عنه ولما شهد
على نفسه اربع مرات دعاه النبي م وقال ابك جنون قال لا قال احصنت قال نعم وفي حديث البخاري لعلك قبلت
او غمزت او نظرت وفي النساي وابي داود حتى قال له في الخامسة انكتها قال نعم قال غاب ذلك منك في ذلك منها قال
نعم كما يغيب المرود في المكحلة والرشا في البير قال نعم قال هل تدري ما الزنا قال نعم اتيت منها حراما مثل ما ياتي الرجل
اهله حلالا قال فما تريد من هذا القول قال اريد ان تطهرني قال فامر به فرجم قال الترمذي وابو داود فلما مسته الحجارة
من شيء فر فضربه رجل بلحي جمل وضربه الناس حتى مات فقال النبي م هلا تركتموه وقال ابو داود والنساي ليستثبت
رسول الله م باما لم يك حرف لا وهذا كله بطريق التعريض لقبوله وفي قوله عليه الصلاة والسلام لعلك
قبلت او غمزت اشارة الى قول مالك انه يقبل رجوعه اذا ذكر وجها الخامسة وهذا في الحر المالك لامر نفسه واما
العبد فان اقراره لا يخلو من احد قسمين اما ان يقر على بدنه او على ما في يده وذمته فان اقر على ما في بدنه
فما فيه عقوبة من القتل او غيره نفذ ذلك عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل ذلك منه لان بدنه مستغرق لحق السيد
وفي اقراره اتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا قوله م من اصاب من هذه القاذورة شيئا فليستتر بستر الله
فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد المعنى ان محل العقوبة اصل الخلقة وهي الدمية في الادمية ولا حق للسيد فيها

وانما حقه في الوصف والبيع وهي المالية الطارية عليه الا ترى انه لو اقر بمال لم يقبل حتى قال ابو حنيفة انه لو قال
سرقت هذه السلعة انه لم يقطع يده ويأخذها المقر له وقال علماؤنا السلعة للسيد ويتبع العبد بقيمتها اذا عتق لان
مال العبد للسيد اجماعا فلا يقبل قوله فيه ولا اقراره عليه لا سيما وابو حنيفة يقول ان العبد لا ملك له ولا يصح
ان يملك ونحن وان قلنا انه يصح تملكه ولكن جميع ما في يده لسيده باجماع على القولين والله اعلم قوله تعالى لا تحرك به
لسانك لتعجل به في الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله م اذا انزل عليه القران يحرك لسانه يريد
ان يحفظه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك به شفتيه وحرك سفيان شفتيه قال ابو
عيسى هذا حديث حسن صحيح ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان النبي م يعالج من التنزيل شدة كان يحرك
شفتيه قال فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقروه
فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا بيانه ان تقراوه قال فكان رسول الله م اذا اتاه جبريل
عليهما السلام استمع واذا انطلق جبريل قراه النبي م كما اقراه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا
تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره اذا نزل عليه من حبه
له وحلاوته في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لان بعضه مرتبط ببعض وقيل كان عم اذا نزل الوحي حرك لسانه
مع الوحي مخافة ان ينساه فنزلت ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه ونزل سنقريك فلا تنسى ونزل
لا تحرك به لسانك قال ابن عباس وقراناه اي وقراءته عليك والقراءة والقران في قول الفراء مصدران وقال
قتادة فاتبع قرانه اي اتبع شرايعه واحكامه وقوله ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما
وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك كلا قال ابن عباس انا اجمل لا يومن بتفسير القران وبيانه وقيل اي كلا لا
يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل تحبون اي بل تحبون يا كفار اهل مكة العاجلة اي الدار الدنيا والحياة
فيها وتذرون اي تدعون الاخرة والعمل لها وفي بعض التفسير قال الاخرة الجنة وقرا اهل المدينة والكوفيون
بل تحبون وتذرون بالتاء على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف هولاء القراء لقراتها بالياء
لتقدم الانسان قبل ذلك الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار ابي حاتم فمن قرا بالياء فرده على قوله ينبا
الانسان وهو بمعنى الناس ومن قرا بالتاء فعلى انه واجههم بالتقريع لان ذلك ابلغ في المقصود نظيره ان هولاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الاول من النضرة التي
هي الحسن والنعمة والثاني من النظر اي وجوه المومنين مشرقة حسنة ناعمة يقال نضرهم الله ينضرهم نضرة
ونضارة وهو الاشراق والعيش والغنى ومنه الحديث نضر الله امرا سمع مقالتي الى ربها اي خالقها ومالكها
ناظرة اي تنظر الى ربها على هذا جمهور العلماء وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في يونس عند
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم تلى هذه الاية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وروى يزيد النحوي عن عكرمة قال تنظر الى ربها نظرا وكان
الحسن يقول نضرت وجوههم ونظروا الى ربهم وقيل ان النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب وروى
عن ابن عمر ومجاهد وقال عكرمة تنتظر امر ربها حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة وليس معروفا الا عن
مجاهد وحده واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذا القول ضعيف جدا خارج عن
مقتضى ظاهر الاية والاخبار وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر
الى جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرا رسول الله م وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هذا حديث غريب وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه
وفي صحيح مسلم عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن النبي م قال جنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب ابنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكرامة على وجهه في جنة عدن

...بربها مع

وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صم ننظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة عند غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وخرجه ايضا ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وخرج ابو داود عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا نرى الله عز وجل مخليا به يوم القيامة قال نعم يا ابا رزين ان ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن صهيب قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وفي التفسير لابي اسحق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صم يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظرون الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة قال الثعلبي وقول مجاهد انها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه فتاويل مدخول لان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تاويله ما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال فانكما ان تنظراني ساعة من الدهر • تنفعني لدى ام جندب • لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظران الي واذا ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه قال • نظرت اليها والنجوم كانها • مصابيح رهبان تشب لقفال قال الشاعر نظرت اليها بالمحصب من منى • ولي نظر لولا التحرج عارم وقال اخر اني اليك لما وعدت لناظر • نظر الفقير الى الغني الموسر • اي اني انظر اليك بذل لان نظر الذل والخضوع ارق لقلب المسؤول فاما ما استدلوا به من قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما ذلك في الدنيا وقد مضى القول فيه في موضعه مستوفى وقال عطية العوفي ينظرون الى الله لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم نظيره قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال القشيري ابو نصر وقيل الى واحد الالاء اي نعمه منتظرة وهذا ايضا باطل لان واحد الالاء يكتب بالالف لا بالياء ثم الالاء نعمه الدفع وهم في الجنة لا ينتظرون دفع نقمه عنهم والمنتظر للشيء متنغص العيش فلا يوصف اهل الجنة بذلك وقيل اضاف النظر الى الوجه وهو كقوله تجري من تحتها الانهار وانما يجري في النهر الماء قد يذكر الوجه بمعنى العين قال الله تعالى فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة حتى يخلق الرؤية والنظر في الوجه وهو كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه فقيل يا رسول الله كيف يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم • ووجوه يومئذ باسرة • اي وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة وفي الصحاح وبسر الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها من غير ضبعة وبسر الرجل وجهه بسورا اي كلح يقال عبس وبسر وقال السدي باسرة اي متغيرة والمعنى واحد تظن ان يفعل بها فاقرة • اي توقن وتعلم والفاقرة الداهية والامر العظيم يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره وقال قتادة الفاقرة الشر السدي الهلاك ابن عباس وابن زيد دخول النار والمعنى متقارب واصلها الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا حززته بحديدة ثم جعلت على الحز جرير وعليه وتر ملوا اي لتذلله بذلك وترويضه ومنه قولهم قد عمل به الفاقرة قال النابغة • ابى لي قبر لا يزال مقابلي • وضربة فاس فوق راسي فاقرة • اي كاسرة قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي • كلا ردع وزجر اي بعيد ان يؤمن الكافر بيوم القيامة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي النفس او الروح التراقي فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به كقوله حتى توارت بالحجاب وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وقد تقدم وقيل كلا معناه حقا

اي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت اي اذا ارتفعت النفس الى التراقي وكان ابن عباس يقول اذا بلغت نفس الكافر والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من اعلى الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي • وقد يكنى عن الاشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت قوله تعالى وقيل من راق • اختلف فيه فقيل من الرقية عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما روى سماك عن عكرمة قال من راق يرقي اي يشفي وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس اي هل من طبيب يشفيه وقاله ابو قلابة وقتادة قال الشاعر هل للفتى من بنات الدهر من واق • ام هل له من حمام الموت من راق • فكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اي من يقدر ان يرقي من الموت وعن ابن عباس ايضا وابي الجوزاء انه من رقي يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من يرقى بهذه النفس وذلك ان نفس الكافر تكره الملائكة قربها فيقول ملك الموت يا فلان اصعد واظهر عاصم وحفص النون في قوله من راق واللام في قوله بل ران لئلا يشبه مراق وهو بائع المرق وبران في تثنية البر والصحيح ترك الاظهار وكسرة القاف في من راق وفتحة النون في بل ران تكفي في زوال اللبس وامثل مما ذكر قصد الوقف على من وبل فاظهرهما قاله القشيري قوله تعالى وظن • اي ايقن الانسان انه الفراق • اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملائكة وقال الشاعر فراق ليس يشبهه فراق • قد انقطع الرجاء عن التلاقي • والتفت الساق بالساق • اي اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي وغيره التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه ولقد كان عليهما جوالا قال النحاس القول الاول احسنها روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق قال اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحمه الله اي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع والدليل على هذا قوله الى ربك يومئذ المساق • وقال مجاهد بلاء ببلاء يقول تتابعت عليه الشدائد وقال الضحاك وابن زيد اجتمع عليه امران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه والعرب لا تذكر الساق الا في المحن والشدائد العظام ومنه قولهم قامت الدنيا على ساق وقامت الحرب على ساق قال • وقامت الحرب بنا على ساق • وقد مضى هذا المعنى في اخر سورة ن وقال قوم الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه فهذه الساق الاولى ثم يكون بعدها ساق البعث وشدائده الى ربك • اي الى خالقك يومئذ • اي يوم القيامة المساق • اي المرجع وفي بعض التفاسير قال يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات والمساق المصدر من ساق يسوق كالمقال من قال يقول قوله تعالى فلا صدق ولا صلى • اي لم يصدق ابو جهل ولم يصل وقيل يرجع هذا الى الانسان في اول السورة وهو اسم جنس والاول قول ابن عباس اي لم يصدق بالرسالة ولا صلى ودعا لربه وصلى على رسوله وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله وقيل ولا صدق بمال له ذخرا عند الله ولا صلى الصلوات التي امره الله بها وقيل فلا امن بقلبه ولا عمل ببدنه قال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره والعرب تقول لا عبد الله خارج ولا فلان ولا تقول مررت برجل لا محسن ولا مجمل وقوله فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لان معناه افلا اقتحم اي فهلا اقتحم فحذف الف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق اي لم يصدق كقوله فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشيء اخر والعرب تقول لا ذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه

قول زهير فلا هو ابداها ولم يتقدم قوله تعالى ولكن كذب وتولى اي كذب بالقران وتولى عن الايمان ثم
ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وقتادة مجاهد المراد بها ابو جهل وقيل
يتمطى من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي مطاه وقيل اصله يتمطط وهو التمدد من التكسل والتثاقل عن
الداعي الى الحق فابدل من الطا يا كراهة التضعيف والتمطي يدل على قلة الاكتراث وهو التمدد كانه يمد ظهره
ويلويه من التبختر والمطيط الماء الخاثر من اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد وفي خبر اذا مشت امتي
المطيطا وخدمتهم ابناء فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيطا التبختر ومد اليدين في المشي قوله
تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد فهو وعيد اربعة لاربعة
كما روي انها نزلت في ابي جهل الجاهل بربه فقال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي لا صدق
رسول الله ولا وقف بين يدي فصلى ولكن كذب رسولي وتولى عن التصلية بين يدي فترك التصديق
خصلة والتكذيب خصلة وترك الصلوات خصلة والتولي عن الله خصلة فجاء الوعيد اربع كلمات
لترك الخصال الاربعة والله اعلم لا يقال فان قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى خصلة خامسة فانا نقول
تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي فاخبر عنها في المكذبين في قول قتادة على ما نذكره وقيل ان رسول
الله صلعم خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول
الله صلعم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتهددني فوالله اني لاعز اهل الوادي
واكرمه ونزل على رسول الله صلعم كما قال لابي جهل وهي كلمة وعيد قال الشاعر فاولى ثم اولى ثم اولى وهل للدر
يحلب من مرد قال قتادة اقبل ابو جهل بن هشام يتبختر فاخذ النبي صلعم بيده فقال اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى فقال ما تستطيع انت ولا ربك لي شيئا اني لاعز من بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف
على المسلمين فقال لا يعبد الله بعد هذا اليوم ابدا فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة وقيل معناه
الويل لك ومنه قول الخنساء هممت بنفسي كل الهموم فاولى لنفسي اولى لها الاله الحالة والاله السرير
ايضا الذي يحمل عليه الميت وهذا على التاويل قيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل
والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار وهذا التكرير
كما قال لك الويلات انك مرجلي اي لك الويل ثم الويل وضعف هذا القول وقيل معناه الذم لك اولى
من تركه الا انه كثر في الكلام فحذف وقيل المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب وقال ابو العباس احمد بن
يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك قد دانيت الهلاك
واصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يدنون
منكم وانشد الاصمعي واولى ان يكون له اولاه اوما يلذ يكون له وانشد ايضا اولى لمن هاجت له ان يكمدا
اي قد دنا صاحبها الكمد وكان ابو العباس ثعلب يستحسن قول الاصمعي ويقول ليس احد يفسر كتفسير الاصمعي
النحاس العرب تقول اولى لك كدت تهلك ثم افلت وكان تقديره اولى لك واولى بك الهلكة المهدوي
قال ولا يكون اولى افعل منك وتكون خبر مبتدا محذوف كانه قال الوعيد اولى له من غيره لان ابا
زيد قد حكى اولاة الان اذا اوعدوا فدخول علامة التانيث دليل على انه ليس كذلك ولك خبر عن اولى
ولم ينصرف اولى لانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد وقيل التكرير فيه على معنى الذم لك
على عملك السيء الاول ثم على الثاني والثالث والرابع كما تقدم قوله تعالى ايحسب الانسان اي يظن ابن ادم
ان يترك سدى ترعى بلا راع وقيل ايحسب ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وقال الشاعر
فاقسم بالله جهد اليمين ما ترك الله شيئا سدى قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى اي من قطرة ماء
تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك سميت منى لاراقة الدماء وقد تقدم والنطفة الماء القليل يقال

نطفة الماء

نطف الماء اذا قطر اي الم يكن ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المراة وقرا حفص من مني يمنى بالياء وهي
قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن ابي عمرو واختاره ابو عبيد لاجل المني الباقون بالتاء لاجل
النطفة واختاره ابو حاتم ثم كان علقة اي دما بعد النطفة منه بهذا كله على حسبه قدره ثم قال
فخلق اي قدر فسوى اي فسواه تسوية وعدله تعديلا بجعل الروح فيه فجعل منه اي من الانسان وقيل
من المني الزوجين الذكر والانثى اي الرجل والمراة وقد احتج بهذا من راى اسقاط الخنثى وقد مضى في
سورة الشورى ان هذه الاية وقرينتها انما خرجتا مخرج الغالب وقد مضى في سورة النساء ايضا القول فيه
وذكرنا في اية المواريث حكمه فلا معنى لاعادته اليس ذلك بقادر اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من
قطرة ماء بقادر على ان يحيي الموتى اي على ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى وروي عن
رسول الله صلعم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم بلى وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره
فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره
ذكره الثعلبي من حديث ابي اسحق السبيعي عن سعيد بن جبير سورة الانسان مكية في قول ابن عباس ومقاتل
والكلبي وقال الجمهور مدنية وقيل فيها مكي ومدني قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة
وما تقدمه مدني وهي احدى وثلاثون اية وذكر ابن وهب قال حدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلعم ليقرا هل
اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود كان يسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل على النبي صلعم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده
فلما قراها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة خرجت نفسه فقال رسول الله صلعم اخرج نفس صاحبكم واخيكم
الشوق الى الجنة وروي عن عكرمة خلاف هذا اللفظ وسياتي وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي رضي
الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هل بمعنى قد قاله الكسائي والفراء وابو عبيدة
وقد حكي عن سيبويه هل بمعنى قد قال الفراء هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك
تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي بمنزلة الاستفهام والمعنى اتى والانسان
هنا ادم عليه السلام قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وروي عن ابن عباس حين من الدهر قال ابن
عباس في رواية ابي صالح اربعون سنة مرت به قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وعن
ابن عباس ايضا في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال
اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وزاد ابن مسعود فقال اقام وهو من تراب اربعين سنة فتم
خلقه بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره عن ابن عباس ايضا حكاه الماوردي
لم يكن شيئا مذكورا قال الضحاك عن ابن عباس لا في السماء ولا في الارض وقيل اي كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر
ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفراء وقطرب وثعلب وقال يحيى بن سلام
لم يكن شيئا مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيئا مذكورا وقيل ليس هذا الذكر بمعنى الاخبار فان اخبار الرب عن
الكائنات قديم بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر وانه لذكر لك ولقومك اي قد اتى على الانسان حين لم يكن له
قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملائكة انه جعل ادم خليفة وحمله الامانة التي عجز عنها السموات والارض والجبال
ظهر فضله على الكل فصار مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله وحكى محمد بن الجهم عن الفراء لم يكن شيئا قال كان شيئا ولم
يكن مذكورا وقال قوم النفي يرجع الى الشيء اي قد مضى مدد من الدهر وادم لم يكن شيئا يذكر في الخليقة لانه اخر ما خلقه
من اصناف الخليقة والمعدوم ليس بشيء حتى ياتي عليه حين والمعنى قد مضت ازمنة وما كان ادم شيئا ولا مخلوقا
ولا مذكورا لاحد من الخليقة وهذا قول قتادة ومقاتل قال قتادة انما خلق الانسان حديثا لا يعلم من خليقة الله

تفسير سورة الانسان مكية

جل ثناؤه خليقة بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وتقديره هل اتى حين من الدهر لم يكن الانسان
شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق حيوانا بعده وقد قيل الانسان في قوله تعالى
هل اتى على الانسان عنى به الجنس من ذرية ادم وان الحين تسعة اشهر مدة حمل الانسان في بطن امه
لم يكن شيئا مذكورا اذا كانت علقة ومضغة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر رضي الله
عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا تبتلى اي ليت المدة التي اتت على ادم لم يكن شيئا مذكورا تمت على
ذلك فلا يذكر ولا يبتلى ولاده سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت قوله تعالى انا خلقنا الانسان اي ابن ادم من غير خلاف من نطفة اي ما
يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه • ما لي اراك تكرهين الجنة
هل انت الا نطفة في شنه • وجمعها نطف ونطاف امشاج اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين قال
رؤبة يطرحن كل معجل مشاج • لم يكس جلدا في دم امشاج • ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج
ومشيج مثل خليط ومخلوط وقال المبرد واحد الامشاج مشيج يقال مشج يمشج اذا خلط وهو هنا اختلاط النطفة
بالدم قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت • على مشج سلالته مهين • وقال الفرا امشاج اختلاط ماء الرجل
وماء المراة والدم والعلقة ويقال للشيء من هذا اذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط وروى
عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة وهذا قول يختاره كثير من اهل اللغة
قال الهذلي كان الريش والفوقين منه • خلاف النصل سيط به مشيج • وعن ابن عباس ايضا يختلط ماء الرجل وهو
ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان
من لحم ودم وشعر فهو من ماء المراة وقد روى هذا مرفوعا ذكره البزار وروى عن ابن مسعود امشاجها عروق
المضغة وعنه ماء الرجل وماء المراة وهما لونان وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا
وصفرا وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم
ثم لحم ونحوه قال قتادة هي طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم يكسو العظام لحما
كما قال في سورة المؤمنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ابن السكيت الامشاج الاخلاط
لانها ممتزجة من انواع فخلق الانسان منها ذا طبايع مختلفة وقال اهل المعاني الامشاج ما جمع وهو في
معنى الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروى عن ابي ايوب الانصاري قال جاء
حبر من اليهود الى النبي صلعم فقال اخبرني عن ماء الرجل وماء المراة فقال ماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر
رقيق فاذا علا ماء المراة انثت واذا علا ماء الرجل اذكرت فقال الحبر اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
وقد مضى هذا مستوفى في سورة الشورى نبتليه اي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا وهو الاختبار وفيما
يختبر به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر قاله الكلبي الثاني نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء قاله الحسن
وقيل نبتليه نكلفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني الدين يكون ماموزا بالطاعة
ومنهيا عن المعاصي وروى عن ابن عباس نبتليه نصرفه خلقا بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن
الجهم عن الفرا قال المعنى والله اعلم جعلناه سميعا بصيرا • لنبتليه وهي مقدمة معناها التاخير لان الابتلاء
لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل جعلناه سميعا بصيرا يبصر به الهدى قوله تعالى انا هديناه السبيل • اي بينا له
وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فامن او كفر قوله وهديناه النجدين وقال مجاهد اي
بينا له السبيل الى الشقاء والسعادة وقال الضحاك وابو صالح والسدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه
ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله • اما شاكرا واما كفورا • اي ايهما فعل فقد بينا له قال الكوفيون
ان هاهنا جزا وما زايدة اي بينا له الطريق شكر او كفر واختاره الفرا ولم يجزه البصريون لانه لا يدخل

ان للجزا

ان للجزا على الاسماء الا ان يضمر بعدها فعل وقيل اي هديناه الرشد اي بينا له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه
ثم ان خلقنا له الهداية اهتدى وامن وان خذلناه كفر وهو كما تقول نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت
فاترك اي فان شئت فتحذف الفاء وكذا اما شاكرا والله اعلم ويقال هديته السبيل وللسبيل والى السبيل وقد
تقدم في الفاتحة وغيرها وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة
في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل
شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل
واغلالا وسعيرا • بين حال الفريقين وانه تعبد العقلاء وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فعليه العقاب ومن وحد
وشكر فله الثواب والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى في الحاقة وقرا نافع والكسائي
وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا منونا الباقون بغير تنوين ووقف قنبل وابن كثير وحمزة بغير الف
الباقون بالف واما قوارير الاول فنونه نافع وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم ولم ينون الباقون ووقف يعقوب
وحمزة بغير الف والباقون بالالف واما قوارير الثانية فنونه ايضا نافع والكسائي وابو بكر ولم ينون الباقون فمن
نون قرا بالالف ومن لم ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين في الثلاثة والوقف بالالف اتباعا لخط
المصحف قال رايت في مصحف عثمان سلاسلا بالالف وقواريرا الاولى بالالف وكان الثاني مكتوبا بالالف فحكت فرايت
اثرها هناك فمن صرف فله اربع حجج احدها ان الاخفش حكى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف الا افعل منك وكذا قال
الكسائي والفرا هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا قولهم هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الانباري في ذلك
قول عمرو بن كلثوم كان سيوفنا فينا وفيهم • مخاريق بايدي لاعبينا وقال لبيد وجزور ايسار دعوت لحتفها • بمغالق
متشابه اعلامها وقال ايضا فضلا وذو كرم يعين على الندى • سمح كسوب رغايب غنامها • بصرف مخاريق ومغالق
ورغايب وسبيلها ان لا تنصرف والحجة الثانية ان يقول نونت قوارير الاول لانه راس اية وروس الاي جاءت
بالنون كقوله جل وعز مذكورا سميعا بصيرا فنونا الاول ليوفق بين روس الاي ونون الثاني على الجوار للاول
والحجة الرابعة اتباع المصاحف وذلك انهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف وقد احتج من لم
يصرف بان قال ان كل جمع بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان وحرف مشدد لا يصرف في معرفة ولا
نكرة فالذي بعد الالف منه حرفان قول الله عز وجل لهدمت صوامع لان بعد الالف حرفين وكذلك قوله
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذي بعد الالف منه حرف مشدد سعاب ودواب وقال خلف سمعت يحيى
ابن ادم يحدث عن ابن ادريس قال في المصاحف الاول الحرف الاول بالالف والثاني بغير الف فهذا حجته لمذهب حمزة وقال
خلف رايت في مصحف ينسب الى قراءة ابن مسعود الاول بالالف والثاني بغير الف واما افعل منك فلا يقول
احد من العرب في شعر ولا في غيره هو افعل منك منونا لان من تقوم مقام الاضافة فلا يجمع بين تنوين
واضافة في حرف لانهما دليلان من دلايل الاسماء ولا يجمع بين الدليلين قاله الفرا وغيره قوله تعالى
واغلالا • جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وعن جبير بن نفير عن ابي الدردا كان يقول ارفعوا هذه الايدي
الى الله جل ثناؤه قبل ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل في اعناق اهل النار لانهم اعجزوا الرب
سبحانه ولكن ادطفا وسعيرا تقدم القول فيه قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس • الابرار اهل الصدق
واحد بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل جمع بر مثل نهر
وانهار وفي الصحاح وجمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبره اي يطيعه والامراة برة بولدها
وروى ابن عمر عن رسول الله صلعم قال انما سماهم الله جل ثناؤه الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالدك عليك
حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق
الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا • يشربون من كاس • اي من اناء فيه الشراب

قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال عمرو بن كلثوم
صبنت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا قال الاصمعي يقال صبنت عنا الهدية او ما كان من
معروف تصبن صبنا يعني كففت قاله الجوهري كان مزاجها اي شوبها وخلطها قال كان سبيئة من بيت
راس يكون مزاجها عسل وماء ومنه مزاج البدن وما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة
كافورا قال ابن عباس هو اسم عين ماء في الجنة يقال لها الكافور اي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا
وقال سعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك وقاله مجاهد وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل ان ماء
الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل اراد كالكافور في بياضه وطيبه وبرده لان الكافور لا يشرب كقوله
حتى اذا جعله نارا اي كالنار وقال ابن كيسان طيبت بالمسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس بكافور
الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب وقوله كان مزاجها كان زايدة اي من كاس
مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله قال الفراء ان الكافور اسم لعين ماء في الجنة فعينا بدل من كافور
على هذا وقيل بدل من كاس على الموضع وقيل هي حال من المضمر في مزاجها وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل
فيقول العاقل اللبيب اي ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعني وقيل يشربون عينا وقال الزجاج المعنى
من عين ويقال كافور وقافور والكافور ايضا وعاء طلع النخل وكذلك الكفرى قاله الاصمعي واما قول
الراعي تكسو المفارق واللبات ذا ارج من قصب معتلف الكافور دراج فان الظبي الذي يكون منه المسك
انما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا يشرب بها ويشرب بها سواء في المعنى فكان يشرب بها يروى بها وينتفع بها
وانشد شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج وقال مثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما
حسنا وقيل المعنى يشربها والباء زايدة وقيل الباء بدل من تقدير يشرب منها قاله القتيبي يفجرونها تفجيرا
فيقال ان الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد في قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجري معه حيث
ما دار في منازله على مستوى الارض في غير اخدود ويتبعه حيث ما صعد الى اعلا قصوره وذلك قوله عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاوا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم وروى ابو مقاتل
عن صالح بن سعيد عن ابي سهل عن الحسن قال قال رسول الله ص اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش
احداهما التي ذكر الله يفجرونها تفجيرا والاخرى الزنجبيل وعينان نضاختان من فوق العرش احداهما التي
ذكر الله سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال التسنيم للمقربين خاصة
شربا لهم والكافور للابرار شربا لهم يمزج للابرار من التسنيم شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار
منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار من مزاج فهو للمقربين
صرف وما كان للابرار صرف فهو لساير الجنة مزاج والابرار هم الصادقون والمقربون هم الصديقون
قوله تعالى يوفون بالنذر اي لا يخلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة
والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في الله جل ثناوه وقال
الفراء والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد مرة كان وتحذف اخرى
والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله وان شيت قلت في حد النذر هو ايجاب المكلف
على نفسه من الطاعات ما لم يلزمه وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود والمعنى واحد وقد قال الله
تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم اي اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا القول قول
قتادة وان النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بايمانه من امتثال امر الله تعالى قاله القشيري وروى اشهب
عن مالك انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال
قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين قوله تعالى ويخافون اي يحذرون يوما اي يوم القيامة كان

شره مستطيرا اي عاليا داهيا فاشيا وهو في اللغة ممتدا والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة
واستطال اذا امتد قال الاعشى فبانت وقد اثارت في الفواد صدعا على نايها مستطيرا ويقال استطار الحريق
اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء قال حسان وهان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير
وكان قتادة يقول استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيا
في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه قوله
تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له وقال الداراني
على حب الله وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وكان الربيع ابن خيثم اذا جاءه السائل قال اطعموه شكرا
فان الربيع يحب الشكر مسكينا اي ذا مسكنة فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو الطواف يسألك مالك ويتيما
اي من يتامى المسلمين وروى منصور عن الحسن ان يتيما كان يحضر طعام ابن عمر فدعا ذات يوم بطعامه فطلب
اليتيم فلم يجده وجاء بعدما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام فدعا له بسويق وعسل فقال دونك
هذا فوالله ما غبنت قال الحسن وابن عمر والله ما غبن واسيرا اي الذي يوسر فيحبس فروى ابو صالح عن ابن
عباس قال الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم وقاله قتادة وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الاسير هو
المحبوس وكذا قال سعيد بن جبير وعطا هو المسلم يحبس بحق وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابن
عباس قال قتادة لقد امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك واخوك المسلم احق
ان تطعمه وقال عكرمة الاسير العبد وقال ابو حمزة اليماني الاسير المراة يدل عليه قوله عليه السلام استوصوا
بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم اي اسيرات وقال ابو سعيد الخدري قرا النبي ص ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا فقال المسكين الفقير واليتيم الذي لا اب له والاسير المملوك والمسجون ذكره الثعلبي
وقيل نسخ طعام المسكين اية الصدقات وطعام الاسير السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره هو ثابت
الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الا ان يتخير فيه الامام الماوردي
ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك يقف على راي الامام وهذا
بر واحسان وعن عطا قال الاسير من اهل القبلة وغيرهم قال الشيخ المولف رحمه الله عام يجمع جميع
الاقوال ويكون طعام الاسير المشرك قربة الى الله تعالى غير انه صدقة التطوع فاما المفروضة فلا والله
اعلم ومعنى القول في المسكين واليتيم والاسير واشتقاق ذلك من اللغة في البقرة والحمد لله قوله تعالى
انما نطعمكم لوجه الله اي يقولون بالسنتهم للمسكين واليتيم والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناوه فزعا
من عذابه وطمعا في ثوابه كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما تكلموا به
ولكن علمه الله جل ثناوه منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه
القشيري وقيل ان هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقاء الانصاري نذر نذرا فوفى به وقيل نزلت فيمن تكفل
اسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة
رضي الله عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما
واسيرا وقال ابو حمزة اليماني بلغني ان رجلا قال يا رسول الله اطعمني فاني والله مجهود فقال والذي نفسي بيده
ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتى رجلا وهو يتعشى مع امراته فساله واخبره بقول النبي ص فقالت
المراة اطعمه واسقه ثم اتى النبي ص يتيم فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال ما عندي ما اطعمك ولكن
اطلب فاستطعم ذلك الانصاري فقالت المراة اطعمه واسقه ثم اتى النبي ص اسير فقال يا رسول الله اطعمني
فاني مجهود فقال والله ما معي ما اطعمك ولكن اطلب فجاء الانصاري فطلب فقالت المراة اطعمه واسقه فنزلت
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره الثعلبي وقال اكثر اهل التفسير نزلت في علي وفاطمة

رضي الله عنهما وجاريتهما اسمها فضة قال الشيخ رحمه الله والصحيح انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلاً حسناً
فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً
لا يصح ولا يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله جل وعز يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً
ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً قال مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلعم وعادهما عمومة العرب
فقالوا يا ابا الحسن ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلعم
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن رجع الحديث الى حديث ليث بن ابي سليم لو نذرت لولدك نذراً وكل نذر ليس له وفا
فليس بشي فقال علي ان برا ولدي صمت لله ثلاثة ايام شكراً وقالت فاطمة مثل ذلك وفي حديث الجعفي فقال الحسن والحسين
علينا فالبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى شمعون بن حبان الخيبري وكان
يهودياً فاستقرض منه ثلاثة اصع من شعير فجاء به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته
وصلى علي مع النبي ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه وفي حديث الجعفي فقامت الجارية الى صاع من شعير فخبزت
منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص فلما مضى صيامهم الاول وضع بين ايديهم الخبز والملح الجريش اذا اتاهم مسكين
فوقف بالباب وقال السلام عليكم اهل بيت محمد في حديث الجعفي انا مسكين من مساكين امة محمد وانا والله جائع فاطعموني
اطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي فانشا يقول فاطم ذات السداد واليقين • يا بنت خير الناس اجمعين •
اما ترين البائس المسكين • قد قام بالباب له حنين • يشكو الى الله ويستكين • يشكو الينا قلبه حزين • كل امرئ
بكسبه رهين • وفاعل الخير سيستبين • موعدنا جنة عليين • حرمها الله على الضنين • وللبخيل موقف مهين •
تهوي به النار الى سجين • شرابه الحميم والغسلين • من يفعل الخير يقم سمين • ويدخل الجنة اي حين • فانشات فاطمة
رضي الله عنها تقول امرك يا ابن عم سمع طاعه • ما بي من لوم ولا رضاعه • غذيت في الخير له صناعه • اطعمه ولا ابالي الساعه •
ارجو اذا اشبعت من مجاعه • ان الحق الاخيار والجماعه • وادخل الجنة في شفاعه • فاطعموه الطعام ومكثوا
يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً الا الماء القراح فلما ان كان في اليوم الثاني قامت الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي
مع النبي ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب يتيم فقال السلام عليكم اهل بيت محمد يتيم من اولاد
المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي فانشا يقول فاطم بنت النبي الكريم
بنت نبي ليس بالزنيم • لقد اتى الله بذا اليتيم • من يرحم اليوم يكن رحيم • ويدخل الجنة اي سليم • قد حرم الجنة للئيم •
الا يجوز الصراط المستقيم • يزل في النار الى الجحيم • شرابه الصديد والحميم • فانشات فاطمة تقول اني ساطعمه ولا ابالي •
واوثر الله على عيالي • امسوا جياعاً وهم اشبالي • اصغرهما يقتل في القتال • بكربلا يقتل باغتيال • يا ويل للقاتل مع وبال •
يهوي في النار هوى سفال • وفي يديه الغل والاغلال • كبوله زادت على الاكبال • فاطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين
لم يذوقوا شيئاً الا الماء القراح فلما كان في اليوم الثالث قامت الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي مع
النبي ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ اتاهم اسير فوقف بالباب فقال السلام عليكم اهل بيت محمد
تاسروننا ولا تطعموننا اطعموني فاني اسير امة محمد فسمعه علي فانشا يقول فاطم يا بنت النبي احمد •
بنت نبي سيد مسود • سماه الله فهو محمد • قد زانه الله بحسن اغيد • هذا اسير للنبي المهتد • مثقل في غله مقيد •
يشكو الينا الجوع قد تمدد • من يطعم اليوم يجده في غد • عند العلي الواحد الموحد • ما يزرع الزارع سوف يحصد •
اعطيه لا لا تجعليه انكد • فانشات فاطمة تقول لم يبق مما جاء غير صاع • دميت كفي مع الذراع • ابني والله هما جياع •
يا رب لا تتركهما ضياع • ابوهما للخير ذو اصطناع • يصطنع المعروف بابتداع • عبل الذراعين شديد الباع • وما على
راسي من قناع • الا قناع نسجه نساع • فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا شيئاً الا الماء
القراح فلما ان كان في اليوم الرابع وقد قضى الله النذر اخذ بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين واقبل نحو
رسول الله صلعم وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع فلما بصر بهم رسول الله صلعم قال يا ابا الحسن ما اسوى ما ارى

يكم

يكم انطلق بنا الى ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع
فلما ان راها رسول الله صلعم وعرف المجاعة في وجهها بكى وقال واغوثاه يا الله اهل بيت محمد يموتون جوعاً فهبط
جبريل وقال السلام يقريك السلام يا محمد خذه هنيئاً في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقراه هل اتى على
الانسان حين من الدهر الى قوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً قال الترمذي الحكيم
في نوادره فهذا حديث مزوق قد تطرق فيه صاحبه حتى يشتبه على المستمعين فالجاهل بهذا الحديث يعض
شفتيه تلهفاً الا يكون بهذه الصفة ولا يعلم ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله تعالى في تنزيله يسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلعم متواترة بان
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدا بنفسك ثم بمن تعول وافترض الله على الازواج نفقة اهاليهم واولادهم
وقال رسول الله صلعم كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يقوت افيحسب عاقل ان علياً جهل هذا الامر حتى اجهد صبياناً
صغاراً من ابناء خمس وست على جوع ثلاثة ايام ولياليها حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون منهم لخلاء اجوافهم
حتى ابكى رسول الله صلعم ما بهم من الجهد هب انه آثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل اهله على
تلك وهب ان اهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له ان يحمل على اطفاله ثلاثة ايام بلياليهن ما يروج مثل هذا
الا على حمقاً جاهل ابى الله لقلوب متنبهة ان تظن بعلي مثل هذا وليت شعري من حفظ هذه الابيات
كل ليلة عن علي وفاطمة واجابة كل منهما صاحبه حتى اداه الى هولاء الرواة فهذا واشباهه من حديث اهل
السجون فيما ارى بلغني ان قوماً يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون احاديث من السمر واشباهه
ومثل هذه الاحاديث مفتعلة فاذا صارت الى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شي الا له آفة ومكيدة
وآفة الدين وكيده اكثر قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا عبوساً من صفة اليوم تعبس فيه
الوجوه من هوله وشدته فالمعنى نخاف يوماً ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من عينيه
عرق كالقطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقمطرير الطويل قال الشاعر شديداً عبوساً قمطريرا • وقيل القمطرير
الشديد تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفراء بني عمنا هل تذكرون بلاءنا • عليكم اذا
ما كان يوم قماطر • بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلا
قال الفرا ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها • ولج بها اليوم العبوس القماطر • وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم
وازمهر اقمطراراً وازمهراراً وهو الزمهرير والقمطرير ويوم مقمطر اذا كان صعباً شديداً قال الهذلي
بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة • ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب • وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير
بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدايد ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي يغدو على الصيد
يعود منكسر • ويقمطر ساعة وكهر • وقال ابو عبيد يقال رجل قمطرير اي منقبض ما بين العينين وقال الزجاج
يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة
قال اسد بن ناعضة واصطلت الحروب في كل يوم • باسل الشر قمطرير الصباح قوله تعالى فوقاهم الله شر اي
دفع عنهم شر ذلك اليوم • اي باسه وشدته وعذابه ولقاهم • اي اتاهم واعطاهم حين لقوه اي رأوه نضرة •
اي حسناً وسروراً • اي حبوراً قال الحسن ومجاهد نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم وفي النضرة ثلاثة
اوجه احدها انها البياض والنقا قاله الضحاك الثاني الحسن والبهاء قاله ابن جبير الثالث انها اثر النعمة قاله ابن
زيد قوله تعالى وجزاهم بما صبروا • على الفقر وقال القرطبي على الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام النذر
وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وما مصدرية وهذا على ان الاية نزلت
في جميع الابرار ومن فعل فعلاً حسناً وروى عمران رسول الله صلعم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها
الصبر عند المصيبة الاولى والصبر على اداء الفرايض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصا

جنة وحريرا• أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير أي يسمى بحرير الدنيا وكذلك الذي في الآخرة ما شاء الله
عز وجل من الفضل وقد تقدم أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة
عوضا عن حبسهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها قوله تعالى متكئين فيها• أي في الجنة ونصب
متكئين على الحال من الهاء والميم في جزاهم والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها صبروا لأن الصبر إنما كان في
الدنيا والاتكاء في الآخرة وقال الفراء وإن شئت جعلت متكئين تابعا كأنه قال جزاهم جنة متكئين فيها
على الأرائك السرر في الحجال وقد تقدم وجاءت عن العرب أسماء تحتوي على صفات أحدها الأريكة لا تكون
إلا في حجلة على سرير ومنها السجل وهو الدلو الممتلئ ماء فإذا صفرت لم تسم سجلا وكذلك الذنوب لا تسمى
ذنوبا حتى تملأ والكأس لا تسمى كأسا حتى تترع من الخمر وكذلك الطبق الذي تهدى عليه الهدية مهدى
فإذا كان فارغا قيل طبق أو خوان وقال ذو الرمة خدود جفت في السير حتى كأنما• يباشرن بالمعزاء مس الأرائك•
أي الفرش على السرر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا• أي لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا
أي ولا بردا مفرطا قال الأعشى منعمة طفلة كالمهاة• لم تر شمسا ولا زمهريرا• وعن أبي صالح عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلعم اشتكت النار إلى ربها عز وجل قالت يا رب أكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا
في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر في الصيف
من سمومها وعن النبي صلعم أنه قال إن هواء الجنة سجسج لا حر ولا برد والسجسج الظل الممتد كما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وقال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شيء مثل رؤوس الإبر ينزل
من السماء في غاية البرد وقال ابن مسعود هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى إن أهل النار إذا ألقوا
فيه سألوا الله أن يعذبهم بالنار ألف سنة أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا قال أبو النجم لو كنت
ريحا كنت زمهريرا• وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طيء قال شاعرهم وليلة ظلامها قد اعتكر• قطعتها
والزمهرير ما ظهر• ويروى ما زهر أي لم يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر
الدنيا أي أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لأن ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر وقد مضى
هذا المعنى مجودا في سورة مريم عند قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن عباس بينما أهل الجنة في
الجنة إذ رأوا نورا ظنوه شمسا قد أشرقت بذلك النور الجنة فيقولون قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فما هذا
النور فيقول لهم رضوان ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي ضحكا فأشرقت الجنان من نور
ضحكهما وفيهما أنزل الله تعالى هل أتى على الإنسان وأنشد أنا مولى لفتى• أنزل فيه هل أتى• ذاك علي المرتضى•
وابن عم المصطفى قوله تعالى ودانية عليهم ظلالها• أي ظل الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار فهي مظلة
عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس ثم كما أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وسخ ولا شعث ثم
ويقال إن ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مائة عام فإذا اشتهى ولي الله ثمرتها دنت حتى يتناولها وانتصب
دانية على الحال عطفا على متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال وقيل انتصب
نعتا للجنة أي وجزاهم جنة وحريرا دانية فهي صفة لموصوف محذوف وعلى موضع لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا ويرون دانية وقيل على المدح أي دنت دانية قاله الفراء وظلالها مرفوعة بدانية ولو قرئ
برفع دانية على أن يكون الظلال مبتدأ ودانية الخبر لجاز وتكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في
جزاهم وقد قرئ بذلك وفي قراءة عبد الله ودانيا عليهم لتقدم الفعل وفي حرف أبي ودان رفع على
الاستئناف وذللت• أي سخرت لهم قطوفها• أي ثمارها• تذليلا• أي تسخيرا فيتناولها القائم والقاعد
والمضطجع لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قاله قتادة وقال مجاهد إن قام أحد ارتفعت له وإن جلس
تدلت له وإن اضطجع دنت منه فأكل منها وعنه أيضا أرض الجنة من ورق وترابها الزعفران وطينها

مسك أذفر وأصول شجرها ذهب وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والثمر تحت ذلك كله فمن أكل منها قائما
لم تؤذه وقال ابن عباس إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف
تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لأنه يقطف كما سمي الجني لأنه يجنى تذليلا•
تأكيدا لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى تكليما الماوردي ويحتمل أن يكون
تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص لهم من نواها قلت وفي هذا بعد فقد روى ابن المبارك قال
أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها
ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمارها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا
من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم قال أبو جعفر النحاس ويقال المذلل الذي قد ذلله
الماء أي أرواه ويقال المذلل المستوي لأن أهل الحجاز يقولون ذلل نخلك ويقال المذلل القريب المتناول
ومنه قولهم حائط ذليل أي قصير قال أبو جعفر وهذه الأقوال التي حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة
وقالوها في قول امرئ القيس وساق كأنبوب السقي المذلل قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب•
أي تدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما
في الجنة إلا الأسماء أي ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى ثم لم تنف الأواني الذهبية بل المعنى يسقون
في أواني الفضة وقد يسقون في أواني الذهب وقد قال يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب
وقيل نبه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد فنبه بذكر أحدهما على
الثاني والأكواب الكيزان العظام التي لا آذان لها ولا عرى الواحد منها كوب قال عدي متكئا
تقرع أبوابه• يسعى عليه العبد بالكوب• وقد مضى في الزخرف كانت قوارير قوارير من فضة• أي في
صفاء القوارير وبياض الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضة وقيل أرض الجنة من فضة والأواني
تتخذ من تربة الأرض التي هي منها ذكره ابن عباس وقال ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم مثله أو شبهه
إلا القوارير من فضة وقال لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم
تر من ورائها الماء ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفاء القوارير والكاف قدروها تقديرا• قراءة العامة
بفتح القاف والدال أي قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما أتوا بها
على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان الكلبي وذلك ألذ وأشهى والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم وعن
ابن عباس أيضا قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل أو بإفراط صغر وقيل إن الشاربين
قدروا لها مقادير في أنفسهم على ما اشتهوا وقدروا وقرأ عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين قدروها بضم
القاف وكسر الدال أي جعلت لهم قدرا على قدر ريهم وذكر هذه القراءة المهدوي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما
وقال من قرأ قدروها فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى وكأن الأصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى
قدرت عليهم وأنشد سيبويه آليت حب العراق الدهر أطعمه• والحب يأكله في القرية السوس• وذهب إلى أن المعنى
على حب العراق وقيل إن هذا التقدير هو أن الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى
قدروها تقديرا أي لا يفضل عن الري ولا ينقص منه فقد ألهمت الأقداح معرفة مقدار ري المشتهي حتى تغترف
بذلك المقدار ذكر هذا القول الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قوله تعالى ويسقون فيها كأسا• وهي الخمر
في الإناء كان مزاجها زنجبيلا• كان صلة أي مزاجها زنجبيل أو كان في حكم الله زنجبيلا وكانت العرب تستلذ
ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه
نهاية النعمة والطيب وقال المسيب بن علس يصف ثغر امرأة• وكأن طعم الزنجبيل به• إذ ذقته وسلافة
الخمر• ويروى الكرم وقال آخر كأن جنيا من الزنجبيل• بات بفيها وأريا مشارا• ونحوه قول الأعشى•

كان الترنقل والزنجبيل • با بايها وانا مسوراه • وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار
وكذا قال قتادة والزنجبيل اسم العين التي يشرب المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هي عين
في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل وقيل فيها معنى الشراب ممزوج بالزنجبيل والمعنى كان فيها زنجبيلا عينا
بدل من كاس ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اي يسقون عينا ويجوز نصبه باسقاط الخافض اي من عين على
ما تقدم في قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله • فيها اي في الجنة تسمى سلسبيلا السلسبيل الشراب
اللذيذ وهو فعليل من السلاسة تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل بمعنى اي
طيبة الطعام لذيذة وفي الصحاح وقد تسلسل الماء في الحلق جرى وسلسلته انا صببته فيه وماء
سلسل وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه والسلاسة سل بالضم مثله وقال الزجاج
السلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة فكان العين سميت بصفتها وعن مجاهد قال
سلسبيلا حديدة الجرية تسيل في حلوقهم اسلالا ونحوه عن ابن عباس انها الحديدة الجري ذكره الماوردي
ومنه قول حسان بن ثابت يسقون من ورد البريص عليهم • كاسا يصفق بالرحيق السلسل • وقال ابو
العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم من اصل العرش من جنة
عدن الى اهل الجنة وقال قتادة سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا ونحوه عن عكرمة وقال القفال اي تلك
عين شريفة فسل سبيلا اليها وروي هذا عن علي رضي الله عنه وقال ابن عباس هنا عن علي رضي الله عنه
وقوله تسمى اي انها مذكورة عند الملائكة وعند الابرار واهل الجنة بهذا الاسم وصرف سلسبيل لانه
راس اية كقوله الظنونا والسبيلا قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون • بين من الذي يطوف عليهم
بالانية اي ويخدمهم ولدان فانهم اخف في الخدمة ثم قال مخلدون اي باقون على ما هم عليه من الشباب
والغضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة وقيل مخلدون
لا يموتون وقيل مسورون مقرطقون اي محلون والتخلية التحلية وقد تقدم هذا • اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا • اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء الوانهم لؤلؤا مفرغا في عرصة المجلس واللؤلؤ اذا كان منثورا كان
احسن منه منظوما وعن المامون انه زفت له بوران بنت الحسن بن سهل على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت
عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس
كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب • وقيل انما شبههم
بالمنثور لانهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين اذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمة
قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا • ثم ظرف مكان اي هناك في الجنة والعامل في ثم معنى رايت اي واذا
رايت ببصرك ثم وقال الفراء في الكلام ما مضمرة اي واذا رايت ما ثم كقوله لقد تقطع بينكم اي ما بينكم وقال
الزجاج ما موصولة بثم على ما ذكره الفراء ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رايت يتعدى
في المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعني بثم الجنة وقد ذكر الفراء هذا ايضا والنعيم سائر
ما يتنعم به والملك الكبير استيذان الملائكة عليهم قاله السدي وغيره قال الكلبي هو ان ياتي الرسول
من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن
عليه فذلك الملك العظيم وقاله مقاتل بن سليمان الكبير هو ان يكون لاحدهم سبعون حاجبا دون
حاجب فبينما ولي الله فيما هو فيه من اللذة والسرور اذ يستاذن عليه ملك من عند الله قد ارسله
الله بكتاب وهدية وتحفة من رب العالمين لم يرها ذلك الولي في الجنة قط فيقول الحاجب للحاجب
الذي يليه هذا رسول من رب العالمين معه هدية وكتاب ليستاذن على ولي الله فيستاذن
كذلك حتى يبلغ الى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له يا ولي الله هذا رسول من رب العالمين يستاذن

عليك معه كتاب وتحفة من رب العالمين فيؤذن له فيقول نعم فاذنوا له فيقول ذلك الحاجب للاخر كذلك
حتى يبلغ الحاجب الاخر فيقول له نعم ايها الملك قد اذن لك فيدخل فيسلم ويقول السلام يقريك السلام وهذه
تحفة وهذا كتاب من رب العالمين اليك فاذا هو مكتوب عليه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فيفتحه
فاذا فيه سلام على عبدي ووليي ورحمتي وبركاتي يا وليي اما ان لك ان تشتاق الى رؤية ربك فيستخفه
الشوق فيركب البراق فيطير به البراق شوقا الى زيارة علام الغيوب فيعطيهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وقال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم دليله قوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل الملك الكبير كون التيجان
على رؤسهم كما تكون على راس الملك من الملوك وقال الترمذي الحكيم يعني ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا
كن وقال ابو بكر الوراق ملك لا يتعقبه هلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك الكبير هو ان ادناهم
منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه
ربه تعالى كل يوم مرتين قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق • قرا نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم
ساكنة الياء واجازه ابو عبيد اعتبارا بقراة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما عليهم وبتفسير ابن عباس اما رايت
الرجل عليه ثياب يعلوها افضل منها الفراء وهو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب سندس واسم الفاعل يراد به الجمع
ويجوز في قول الاخفش ان تكون افراده على انه فعل متقدم وثياب مرتفعة به وسدت مسد الخبر والاضافة
فيه في تقدير الانفصال لانه لم يمض وابتدي به لانه اختص بالاضافة وقرا الباقون عاليهم بالنصب قال الفراء
هو كقوله فوقهم والعرب تقول قومك داخل الدار فينصبون داخل على الظرف لانه محل وانكر الزجاج هذا وقال
هو مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفا لم يجز اسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين احدهما الهاء والميم
في قوله يطوف عليهم في هذا الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان اي اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في
حال علو الثياب ابدانهم وقال ابو علي العامل في الحال اما لقاهم نضرة وسرورا واما جزاهم بما صبروا قال
ويجوز ان يكون ظرفا فصرف المهدوي ويجوز ان يكون اسم فاعل ظرفا كقولك هو ناحية من الدار وعلى ان عاليا
لما كان بمعنى فوق اجري مجراه فجعل ظرفا وقرا ابن محيصن وابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر بالجر على نعت السندس
واستبرق بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق وقرا ابن عامر وابو عمرو ويعقوب
خضر رفعا نعتا للثياب واستبرق بالخفض نعتا للسندس واختاره ابو عبيد وابو حاتم لجودة معناه لان
الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة واحسن ما عطف الاستبرق على السندس عطف جنس على جنس
والمعنى عليهم ثياب خضر واستبرق اي من هذين النوعين وقرا نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون خضر
نعتا للثياب لانهما جميعا بلفظ الجمع واستبرق عطفا على الثياب وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي
كلاهما بالخفض ويكون قوله خضر نعتا للمصدر للسندس والسندس اسم جنس واجاز الاخفش وصف اسم
الجنس بالجمع على استقباح له تقول اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض ولكنه مستبعد في الكلام والمعنى
على هذه القراءة عليهم ثياب سندس خضر وثياب استبرق وكلهم صرف الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه
ولم يصرفه فقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول
الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى استفعل
من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور بتعريبه وان اصله استبره والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ
منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا • عطف على ويطوف اساور من فضة • وفي سورة فاطر من اساور من ذهب وفي سورة الحج
من اساور من ذهب ولؤلؤا فقيل حلي الرجل الفضة وحلي النساء الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة
وقيل يجمع في يد احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد

ابن المسيب وقيل اي لكل قوم ما تميل اليه نفوسهم وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري
عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى
ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد
اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين على باب الجنة تنبع من ساق
شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى وقذر وهذا معنى ما روي
عن علي انه في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعيلا لا فعولا للمبالغة ولا يكون فيه حجة اللخمي انه بمعنى الظاهر
وقد مضى بيانه في سورة الفرقان والحمد لله وقال الطيبي الخال صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرا وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه وفمه كانه يمص شيئا فلما فرغ قيل له اتشرب ام تقرا فقال والله لم اجد لذته عند
قراءته كلذته عند شربه لما قراته قوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لهم انما هذا جزاء لكم ثواب وكان سعيكم اي
عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته اياه وروى سعيد عن قتادة
قال غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقال مجاهد مشكورا اي مقبولا والمعنى متقارب فانه سبحانه اذا قبل العمل شكره
واذا شكره اثاب عليه الجزيل اذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا قال يا رسول الله
فضلتم علينا بالصور والالوان والنبوة افرايت اذا امنت بما امنت به وعملت بما عملت به اكائن انا معك في
الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة وضياؤه مسيرة الف عام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله
الا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله وبحمده كان له عند الله مائة الف حسنة واربعة وعشرون الف حسنة
فقال رجل كيف نهلك بعدها يا رسول الله فقال ان الرجل لياتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة
من نعم الله فتكاد ان تستنفد ذلك كله الا ان يتطول الله برحمته قال ثم نزلت هل اتى على الانسان حين من الدهر
الى قوله وملكا كبيرا قال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكى الحبشي حتى فاضت
نفسه قال ابن عمر فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
قلت يا رسول الله وما هو قال والذي نفسي بيده لقد اوقفه الله ثم قال اي عبدي لابيضن وجهك ولابوئنك
من الجنة حيث شئت فنعم اجر العاملين قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ما افتريته ولا جئت
به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون ووجه اتصال هذه الاية بما قبل انه سبحانه لما ذكر
اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر
وانه حق وقال ابن عباس نزل القران متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلناه وقد مضى
القول في هذا مبينا والحمد لله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك وروى الضحاك عن ابن عباس قال
اصبر على اذى المشركين هكذا قضيت ثم نسخ باية القتال وقيل اي اصبر لما حكم به عليك من الطاعات
وانتظر حكم الله اذ وعدك انه ينصرك عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا اثم
او كفورا اي لا تطع الكفار وروى معمر عن قتادة قال قال ابو جهل ان رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه
فانزل الله عز وجل ولا تطع منهم اثما او كفورا وقال انزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم
يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت ولا تطع منهم اثما قال مقاتل الذي عرض
التزويج عتبة بن ربيعة قال ان بناتي اجمل من نساء قريش فانا ازوجك ابنتي من غير مهر وارجع عن هذا
الامر فنزلت ثم قيل او في قوله تعالى اثما او كفورا اولى من الواو لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما
كان غير عاص لانه امره ان لا يطيع الاثنين فاذا قال لا تطع منهم اثما او كفورا فاو قد دلت على ان كل واحد
منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن او ابن سيرين فقد قلت هذان

اهل

اهل ان يتبعا وكل واحد منهما اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفراء او هنا بمنزلة لا كانه قال ولا كفورا قال الشاعر
لا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد عجول اضلها ربع او وجد شيخ اضل ناقته يوم توافى في الحجيج فاندفع اراد ولا وجد
شيخ وقيل الاثم المنافق والكفور الكافر الذي يظهر الكفر اي لا تطع منهم اثما ولا كفورا وهو قريب من قول الفراء قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره الظهر والعصر ومن الليل
فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء الاخرة وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس
وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سواء كان في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد هو ندب
وقيل هو مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في مثله في سورة المزمل وقال ابن حبيب حسن ويجمع الاصيل الاصايل والاصل
كسفاين وسفن قال ولا بالحسن منها اذ دنى الاصل وقال في الاصايل وهو جمع الجمع قال اعمري لانت البيت اكرم اهله
واقعد في افنائه بالاصايل وقد مضى هذا في اخر الاعراف مستوفى ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على
المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة
الدنيا ويذرون اي ويدعون وراءهم اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسيرا شديدا كما قال ثقلت في السماء
والارض اي يتركون الايمان بيوم القيامة وقيل وراءهم اي خلفهم اي ويذرون الاخرة وراء ظهورهم فلا يعملون
لها وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة اخذهم
الدنيا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم واليوم الثقيل يوم القيامة
وانما سمي ثقيلا لشدائده واهواله وقيل للقضاء فيه بين عباده قوله تعالى نحن خلقناهم اي من طين وشددنا
اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيد يقال فرس شديد
الاسر اي الخلق وقيل اسره الله جل ثناؤه اذا شدد خلقه قال لبيد ساهم الوجه شديد اسره مشرق الحاول محمود
الكسد وقال الاخطل من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا وقال ابو هريرة والحسن والربيع
شددنا مفاصلهم واوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في تفسير الاسر هو الشرج اذا خرج
الغائط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر القوة وقال ابن احمر يصف فرسا يمشي باوظفة شداد اسرها
ثم السنابك لا تقي بالجدجد واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب يقال اسرت القتب
اسرا اذا شددته وربطته ويقال ما احسن اسر قتبه اي شده وربطه ومنه قوله خذه باسره اذا ارادوا
ان يقولوا هو لك كله كانهم ارادوا تعكيمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء ومنه الاسير لانه كان يكتف
بالاسار والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم فابوها بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوى
ثم انت تكفر بي واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس يقول لو شئنا لاهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم
وعنه ايضا لغيرنا محاسنهم الى سمج الصور واقبحها كذلك روى الضحاك عنه والاول رواه ابو صالح قوله تعالى
ان هذه اي السورة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا الى طاعته وطلب
مرضاته وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقا الى الخير والمعنى واحد وما تشاءون اي الطاعة
والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله الا ان يشاء الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا تنفذ
مشيئة احد ولا تتقدم الا ان تتقدم مشيئته وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يشاءون بالياء على معنى الخبر عنهم
والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه وقيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية والاشبه انه ليس
بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته قال الفراء وما تشاءون الا ان يشاء الله جواب لقوله فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاءون ذلك السبيل الا ان يشاء الله لكم انه كان عليما
باعمالكم حكيما في امره ونهيه لكم وقد مضى في غير موضع يدخل من يشاء في رحمته اي يدخله الجنة راحما له
والظالمين اي ويعذب الظالمين فنصبه باضمار يعذب قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوبا اي يدخل

تفسير سورة المرسلات

من يشاء في رحمته والظالمين ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم يجز العطف على المنصوب قبله
فارتفع بالابتداء وهاهنا قوله اعد لهم اعدلهم عذابا يدل على ويعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون
رفعا بالابتداء والخبر اعد الله لهم عذابا اليما • اي مولما موجعا وقد تقدم هذا في سورة البقرة سورة المرسلات
مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهو قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الى
غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات
عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله والمرسلات عرفا • جمهور المفسرين
على ان المرسلات الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر
والوحي وهو قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقيل هم الانبياء ارسلوا بلا اله الا الله وقال ابو صالح انهم الرسل
ارسلوا بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح قال الله تعالى وارسلنا الرياح وقال
ويرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضها بعضا بعرف التقدير تقول العرب والناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا
اليه فاكثروا وهو نصب على الحال من والمرسلات اي الرياح التي ارسلت متتابعة ويجوز ان يكون مصدرا
اي تباعا ويجوز ان يكون النصب على تقدير حرف الجر كانه قال والمرسلات بالعرف والمراد الملائكة او الملائكة والرسل
وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت فيه ومن ارسلت اليه
وقيل انها الزواجر والمواعظ على هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قاله
الحسن يعني في القلوب وقيل معروفات في العقول فالعاصفات عصفا • الرياح بغير اختلاف قاله المهدوي وعن
ابن مسعود هي الرياح العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه كما قال تعالى ويرسل عليكم قاصفا من الريح وقيل
العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشيء اي
اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت
بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف • والناشرات نشرا • الملائكة الموكلون بالسحاب
ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اي تنشر السحاب
بالغيث وروي ذلك عن ابي صالح وعنه ايضا الامطار تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحياء يقال انشر الله الميت
ونشره اي احياه وروي عنه السدي انها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل وروى الضحاك عن ابن عباس قال
يريد ما ينشر من الكتب واعمال بني ادم الضحاك انها الصحف تنشر على الله باعمال العباد وقال الربيع انه البعث
للقيامة تنشر فيه الارواح قال والناشرات بالواو لانه استيناف قسم اخر • فالفارقات فرقا • الملائكة تنزل
بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما تفرق
الملائكة من الاقوات والارزاق والاجال وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب
وتبدده وعن ابن مسعود وسعيد عن قتادة قال الفارقات فرقا الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام
والحلال وقاله الحسن وابن كيسان وقيل يعني الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا ذلك وقيل السحابات
الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند في الارض ونوق فوارق وفرق فشبهوا السحابة التي
تنفرد من السحاب بهذه الناقة وقال ذو الرمة او مزنة فارق يجلو غواربها • تبوج البرق والظلماء علجوم
فالملقيات ذكرا • الملائكة باجماع اي تلقي كتب الله عز وجل الى الانبياء عليهم السلام قاله المهدوي وقيل هو
جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون الى امهم ما انزل الله عليهم قاله قطرب

وقرا ابن عباس

وقرا ابن عباس فالملقيات بالتشديد مع فتح القاف وهو كقوله تعالى وانك لتلقى القران • عذرا او نذرا
اي تلقي الوحي اعذارا من الله وانذارا الى خلقه من عذابه قاله الفرا وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل
يعذرون وينذرون وروى سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله جل ثناؤه الى خلقه ونذرا للمومنين ينتفعون
وياخذون به وروى الضحاك عن ابن عباس عذرا اي ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير اوليائه وهي
التوبة ونذرا ينذر اعداءه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ونذرا باسكان الذال وجميع السبعة
على اسكان ذال عذرا سوى ما رواه الجعفي والاعشى عن ابي بكر عن عاصم انه ضم الذال وروي ذلك عن
ابن عباس والحسن وغيرهما وقرا ابراهيم التيمي وقتادة عذرا ونذرا بالواو العاطفة ولم يجعلا بينهما الفا وهما
منصوبان على المفعول له اي للاعذار والانذار وقيل على المفعول به وقيل على البدل من ذكرا اي فالملقيات
عذرا او نذرا وقال ابو علي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله تعالى هذا نذير من النذر
الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار ويكون مفعولا لذكرا اي
فالملقيات تذكر عذرا او نذرا وقال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير • انما توعدون • من امر
القيمة لواقع • بكم ونازل عليكم ثم بين وقت وقوعه فقال • فاذا النجوم طمست • اي ذهب ضوؤها ومحي نورها
كطمس الكتاب يقال طمس الشيء اذا درس وطمس فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة والاثر
طامسا بمعنى مطموس • واذا السماء فرجت • اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا
وروى الضحاك عن ابن عباس قال فرجت للطي • واذا الجبال نسفت • اي ذهب بها كلها بسرعة يقال نسفت
الشيء واذا اذا اخذته كله بسرعة وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس
نسوف اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال بشر نسوف للحزام بمرفقيها ونسفت الناقة الكلا اذا رعته وقال
المبرد نسفت قلعت من موضعها يقول الرجل للرجل تقتلع رجليه من الارض نسفت رجلاه وقيل النسف
تفريق الاجزاء حتى تذروها الرياح ومنه نسف الطعام لانه يحرك حتى يذهب بعض ما فيه من التبن •
واذا الرسل اقتت • اي جمعت لوقتها ليوم القيمة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى
جعل لها وقت واجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي
جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العقاب بمن كذبهم بان الكفار ممهلون وانما تزول الشكوك
يوم القيمة والاول احسن لان التوقيت معناه شيء يقع يوم القيمة كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء
ولا يليق به التاقيت قبل يوم القيمة قال ابو علي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل اقتت وعدت
واجلت وقيل اقتت اي رسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد والهمزة في اقتت بدل من الواو قاله
الفرا والزجاج قال الفرا وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان يبدل منها همزة تقول صلى القوم احدانا
تريد وحدانا ويقولون هذه وجوه حسان وهذا لان ضمة الواو ثقيلة ولم يجز البدل في قوله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة وقرا ابو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد وقتت بالواو
وتشديد القاف على الاصل قال ابو عمرو وانما يقرا اقتت من قال في وجوه اجوه وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج
وقتت بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين
وهو من الوقت ايضا مثل عوهدت ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين الفا لجاز وقرا يحيى وايوب وخالد
ابن الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف • لاي يوم اجلت • اي اخرت
وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت وروى سعيد عن قتادة قال
يفصل فيه بين الناس باعمالهم الى الجنة والى النار وفي الحديث اذا حشر الناس يوم القيمة قاموا اربعين عاما
على رؤوسهم الشمس شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون الفصل • وما ادراك ما يوم الفصل • اتبع التعظيم تعظيما

اي بما اعلمت يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل
فهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل اية لمن كذب لانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشي عذابا
سوى تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به وهو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم
في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله جزاء وفاقا وروي عن النعمان
ابن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره قال ابن عباس اذا احست جهنم اخذ من جرم
فالقي عليها فتاكل بعضها بعضا وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت على جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل
وروي انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشي بسفل من الارض وينطبق وقد علم العباد في الدنيا
ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف وماء الحمامات فذكر ان ذلك
الوادي يستنقع صديد اهل الكفر والشرك لتعلم العقول انه لا شي اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا ولا اشد
منه مرارة ولا اشد سوادا منه ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تضمن من العذاب وانه اعظم واد في جهنم فذكره الله في
وعيده في هذه السورة قوله تعالى الم نهلك الاولين اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم
ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاولين الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلناه بمن تقدم نفعل بمشركي
قريش اما بالسيف واما بالهلاك وقراءة العامة ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وقرا الاعمش نتبعهم بالجزم
عطفا على نهلك الاولين ثم استانف فقال كذلك نفعل بالمجرمين يريد من يهلك فيما بعد ويجوز ان يكون الاسكان
تخفيفا من نتبعهم لتوالي الحركات وروي عنه الاسكان للتخفيف وفي قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم والكاف من كذلك
في موضع نصب اي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك ثم قيل معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا اعتبارا وقيل
هو اعتبار بعذابهم في الاخرة قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم وهذه
الاية اصل لمن قال ان خلق الجنين انما هو من ماء الرجل وحده وقد مضى القول فيه فجعلناه في قرار مكين اي في
مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان نصوره وقيل الى وقت الولادة فقدرنا قرا نافع والكسائي
فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون وهما لغتان بمعنى قال الكسائي والفرا والقتيبي قدرنا بمعنى قدرنا مشددة كما تقول
قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له السير والمنازل وقال محمد بن
الجهم عن الفرا فقدرنا قال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد
والتخفيف واحدا لان العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف
والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدرون قال
الفرا وتجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقال الاعشى وانكرتني وما كان
الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا وروي عن عكرمة فقدرنا مخففة من القدرة وهو اختيار ابي
عبيد وابي حاتم والكسائي لقوله فنعم القادرون ومن شدد فهو من التقدير اي فقدرنا الشقي والسعيد فنعم المقدرون
رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى قدرنا قصيرا او طويلا ونحوه عن ابن عباس قدرنا ملكنا المهدوي وهذا
التفسير اشبه بقراءة التخفيف قلت هو صحيح فان عكرمة هو الذي قرا قدرنا مخففا قال معناه فملكنا فنعم
المالكون فافادت الكلمتان معنيين متغايرين اي قدرنا وقت الولادة واحوال النطفة في التنقل من حالة
الى حالة حتى صارت بشرا سويا او الشقي والسعيد او الطويل والقصير كله على قراءة التشديد وقيل هما
بمعنى كما ذكرنا قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا فيه مسئلتان الاولى قوله الم نجعل الارض كفاتا اي ضامة
تضم الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه ودفن شعره
وساير ما يزيله عنه وهو قوله عليه السلام قصوا اظافركم وادفنوا قلاماتكم وقد مضى في البقرة بيانه
يقال كفت الشي اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه كرام حين تنكفت الافاعي

الى جارهن

الى جارهن من الصقيع وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية ويقال للنحي كفت وكفيت لانه يحوي اللبن ويضمه قال فانت
اليوم فوق الارض حيا وانت غدا تضمن في كفات وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات
ثم نظر الى البيوت وقال هذه كفات الاحياء وروي عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له قلت ذلك قال ان الله عز وجل
يقول الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالارض حرز وقد مضى هذا في سورة المائدة وكانوا يسمون بقيع الغرقد
كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحياء الى منازلهم والاموات الى قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض
ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقيل كفاتا للاحياء يعني دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات اذ لا
ضم في كون الناس عليها والضم يشير الى الاحتفاف من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه
الاحياء والاموات ترجع الى الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت وقال الفرا انتصب احياء
وامواتا بوقوع الكفات عليه اي الم نجعل الارض كفات احياء واموات فاذا نونت نصبت كقوله تعالى او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما وقيل نصب على الحال من الارض اي منها كذا او قال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها
الجمع فنعتت بالجمع وقال الخليل التكفيت تقليب الشي ظهرا لبطن او بطنا لظهر وقيل انكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا
فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها ويدفنون فيها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات
يعني الجبال والرواسي الثوابت والشامخات الطوال ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا واسقيناكم ماء فراتا اي
جعلنا لكم سقيا والفرات الماء العذب يشرب ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا الماء الفرات وهذه الامور اعجب
من البعث وفي الحديث قال ابو هريرة في الارض من الجنة الفرات والنيل ونهر الاردن وفي صحيح مسلم سيحان وجيحان
والنيل والفرات كل من انهار الجنة قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال للكفار سيروا الى ما كنتم به
تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي دخان ذي ثلاث شعب كذلك بان
الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم وصف الظل فقال لا ظليل اي ليس كالظل الذي يقي
حر الشمس ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم شيئا واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر
وقيل ان الشعب الثلاث الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة
احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما
النور فيقف على رؤس المؤمنين واما الدخان فيقف على رؤس الكافرين وقيل هو السرادق وهو لسان من نار
يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما قال
تعالى في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم كما تقدم وفي الحديث ان الشمس تدنو من رؤس الخلائق
وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ومد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من
يشاء الى ظل من ظله فهنالك يقولون قد من الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فتكون اولياء الله في ظل عرشه او حيث شاء من الظل الى ان يفرغ من
الحساب ثم يؤمر بكل فريق مستقره من الجنة والنار ثم وصف النار وقال انها ترمي بشرر كالقصر الشرر واحده
شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف
والقصر البناء العالي وقراءة العامة كالقصر باسكان الصاد اي الحصون والمداين في العظم وهو واحد القصور
قاله ابن عباس وابن مسعود وهو في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة
وجمر وتمرة وتمر والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ وفي البخاري عن ابن عباس ايضا ترمي بشرر كا
لقصر قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة اذرع او اقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك
هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي كالقصر
بفتح الصاد اراد اعناق النخل والقصر العنق جمع قصرة وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرا سعيد بن جبير

بكسر القاف وفتح الصاد وهو هي ايضا جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة وحلق لحلق الحديد وقال
ابو حاتم ولعله لغة كما قالوا حلقة وحوج وقيل القصر الجبل فشبه الشرر بالقصر في مقاديره ثم شبهه في لونه بالجمالات
الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل بالصفر قال تلك خيلي وتلك ركابي هن صفر اولادها
كالزبيب اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرًا لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة كما قيل لبيض الظبا الادم
لان بياضها يعلوه كدرة والشرر اذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شيء بالابل السود لما يشوبها
من صفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورميتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوا وضعف
اليزيدي هذا القول فقال وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل فنسب كله الى ذلك الشائب
والعجب لمن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلم يعلم شيئًا من هذا في اللغة ووجهه عندنا ان النار خلقت
من النور فهي نار مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث اليها سلطانه
وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت حدة وصارت اشد سوادًا من النار ومن كل شيء سوادًا فاذا كان
يوم القيمة وجيء بجهنم في الموقف رمت بشررها على اهل الموقف غضبًا لغضب الله والشرر هو اسود لانه من نار
سودا فاذا رمته النار بشررها فانها ترمي الاعداء بها فهي سود من سواد النار لا يصل ذلك الموحدين لانهم في
سرادق الرحمة قد احاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي ياتي فيه الرب تبارك وتعالى يعاينون ذلك الرمي فاذا
عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه في راي العين منه حتى يروها صفرًا ليعلم الموحدون انهم في رحمة الله
لا في سلطانه وغضبه وكان ابن عباس يقول الجمالات الصفر حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال
ذكره البخاري وكان يقرؤها جمالات بضم الجيم وكذلك قرا مجاهد وحميد جمالات بضم الجيم وهي الحبال الغلاظ وهي قلوس
السفينة اي حبالها وواحد القلوس قلس وعن ابن عباس ايضا وعلي انها قطع النحاس والمعروف في الجمل الحبل الغليظ جمل
بتشديد الميم كما تقدم في الاعراف وجمالات بضم الجيم جمع جمالة بكسر الجيم موحدًا كانه جمع جمل نحو حجارة وقرا يعقوب
وابن ابي اسحق وعيسى والجحدري جمالة بضم الجيم موحدًا وهي الشيء العظيم المجموع بعضه الى بعض نحو حجر وحجارة وذكر
وذكارة وقرا حفص وحمزة والكسائي جمالة كما يقال رجل ورجال ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل
لمتابعة بعضها بعضًا والقصر واحد القصار وقصر الظلام اختلاطه ويقال اتيته قصرًا اي عشيًا فهو مشترك
قال كانهن قصر ايصابع راهب يعودون روي بالسليط ذبابها مسئلة في هذه الاية دليل على جواز ادخار الحطب
والفحم وان لم يكن من القوت فانه من مصالح المرء ومعاني معاشه وذلك مما يقتضي النظر ان يكسبه في غير وقت حاجته
لكونه ارخص وحالة وجوده امكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في غير وقت عموم وجوده من كسبه وماله وكل
شيء محمول عليه وقد بين ابن عباس هذا بقوله كنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه
وندخره للشتا وكنا نسميه القصر وهذا اصح ما قيل في ذلك والله اعلم قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون اي لا يتكلمون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي ان يوم القيمة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن لهم
في الاعتذار والنصب عن عكرمة عن ابن عباس قال ساله ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع
الا همسا وقد قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له ان الله عز وجل يقول وان يومًا عند ربك كالف سنة
فان لكل مقدار من هذه الايام لونًا من هذه الالوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه
ما نطق قال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقد تقدم
وقال ابو عثمان اسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب وقال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وجحده وكفر اياديه
ونعمه ويوم بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر اي تقول الملائكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون
قوله انطلقوا من قول الملائكة ثم يقول الله لاوليائه هذا يوم لا ينطق الكفار ومعنى اليوم الساعة والوقت
وروى يحيى بن سلمان عن ابي بكر عن عاصم هذا يوم لا ينطقون بالنصب ورويت عن ابي هريرة وعن هرمز فجاز ان يكون

سببًا لاضافته الى الفعل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون في موضع نصب على ان
تكون الاشارة الى غير اليوم وهذا مذهب البصريين لانه انما بني عندهم اذا اضيف الى مبني والفعل ها هنا
معرب قال الفراء في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفاء نسق اي عطف على يؤذن واخر ذلك لان اواخر
الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب
ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع قوله تعالى هذا يوم الفصل اي
ويقال لهم هذا يوم الفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين قال ابن عباس جمع الذين
كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله رواه عنه الضحاك فان كان لكم كيد اي حيلة في الخلاص من
العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك وقيل اي فان كان لكم كيدًا اي قدرة
على حرب تحاربون محمدًا صلى الله عليه وسلم وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل اي انكم كنتم في الدنيا تعملون
بالمعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم وقيل انه من قول النبي عليه السلام فيكون كقول هود فكيدوني
جميعًا ثم لا تنظرون قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون اخبر بما يصير اليه المتقون غدا والمراد بالظلال ظلال
الاشجار وظلال القصور مكان الظل في الشعب الثلاث وفي سورة يس هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون وفواكه مما يشتهون اي يتمنون وقراءة العامة ظلال وقرا الاعرج والزهري وطلحة ظلل جمع
ظلة يعني في الجنة كلوا واشربوا اي يقال لهم غدا هذا بدل ما يقال للمشركين فان كان لكم كيد فكيدون
فكلوا واشربوا في الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم بمحمد واعمالهم في الدنيا قوله تعالى كلوا وتمتعوا
قليلا هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم
في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الاخرة من
الشرك والمعاصي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهؤلاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون
لا يصلون قاله مجاهد وقال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم قال مقاتل قال لهم
النبي عليه السلام اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال النبي عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع
ولا سجود يذكر ان مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع
فقام فركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا
يركعون وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون قتادة هذا في
الدنيا ابن العربي في هذه الاية دليل على وجوب الركوع وانزاله ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وظن
قوم ان هذا انما يكون في القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليهم ويل وعقاب وانما
يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن سجد لله يمكن من السجود ومن كان يسجد رئاء لغيره
صار ظهره طبقا واحدا وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما
ذكر الصلاة لانها اصل الشرائع بعد التوحيد وقيل الامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان
قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون اي ان لم يصدقوا بالقران الذي هو المعجز والدلالة على صدق
الرسول عليه السلام فباي شيء يصدقون وكرر ويل يومئذ للمكذبين لمعنى تكرار التخويف والوعيد
وقيل ليس بتكرار لانه اراد بكل قول منه غير الذي اراده بالاخر كانه ذكر شيئا وقال ويل لمن يكذب بهذا
ثم ذكر شيئا اخر فقال ويل لمن يكذب بهذا ثم كذلك الى اخرها والله اعلم سورة عم يتساءلون مكية وتسمى
سورة النبأ وهي اربعون او احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عم يتساءلون
عم لفظ الاستفهام ولذلك سقطت منها الالف ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم ومم اذا استفهمت

تفسير سورة النبأ
وهي مكية

والمعنى عن اي شيء يتسال بعضهم بعضا وقال الزجاج اصل عم عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة
والضمير في يتساءلون لقريش وقيل عم بمعنى فيم يتشدد المشركون ويختصمون قوله تعالى عن النبإ العظيم • اي يسالون عن
النبإ العظيم وليس يتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون اعن النبإ العظيم
كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق
بيتساءلون آخر مضمر وحسن ذلك لتقدم يتساءلون قاله المهدوي وذكر بعض اهل العلم ان الاستفهام في قوله عم مكرر
لانه مضمر كانه قال عم يتساءلون عن النبإ العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولى والنبإ العظيم الخبر الكبير • الذي
هم فيه مختلفون • اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب اخر فروى ابو صالح عن ابن عباس قال
هو القران دليله قوله قل هو نبأ عظيم الشان وروى سعيد عن قتادة قال هو البعث بعد الموت صار الناس
فيه رجلين مصدق ومكذب وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم وروى الضحاك عن ابن عباس قال وذلك ان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه وسلم
عن اشياء كثيرة فاخبره الله جل ثناؤه باختلافهم ثم هددهم فقال كلا سيعلمون • اي سيعلمون عاقبة
القران وسيعلمون البعث هو حق ام باطل وكلا رد عليهم في انكارهم البعث وتكذيبهم القران فيوقف عليها
ويجوز ان تكون بمعنى حقا او الا فيبدا بها والاظهر ان سؤالهم انما كان عن البعث قال بعض علمائنا والذي يدل
عليه قوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يدل على انهم كانوا يتساءلون عن البعث • ثم كلا سيعلمون •
اي حقا ليعلمون صدق ما جاء به محمد من القران وما ذكر لهم من البعث بعد الموت وقال الضحاك كلا سيعلمون
يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس ايضا وقال
الحسن هو وعيد بعد وعيد وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر لقوله يتساءلون وقوله هم فيه مختلفون
وقرا الحسن وابو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا • دلهم على قدرته على
البعث اي قدرتنا على ايجاد هذه الامور اعظم من قدرتنا على الاعادة والمهاد الوطاء والفراش وقد قال الذي جعل
لكم الارض فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينام عليه • والجبال اوتادا • اي لتسكن
ولا تتكفا ولا تميل باهلها • وخلقناكم ازواجا • اصنافا ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل يدخل في هذا كل زوج من قبيح
وحسن وطويل وقصير مختلف الاحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول • وجعلنا نومكم • جعلنا معناه
صيرنا ولذلك تعدت الى مفعولين سباتا • المفعول الثاني اي راحة لابدانكم ومنه يوم السبت اي يوم الراحة
اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم فلا تعملون فيه شيئا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة
سبات وقيل اصله التمدد والترجيل يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالممدود ورجل
مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل ان يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره
سبتا حلقه وكانه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح ويقال
سير سبت اي سهل لين قال الشاعر ومطوية الاقراب اما نهارها • فسبت واما ليلها فذميل • وجعلنا
الليل لباسا • اي تلبسكم ظلمته وتغشاكم قاله الطبري وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم • وجعلنا النهار
معاشا • فيه اضمار اي وقت معاش اي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب
وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير
حذف المضاف • وبنينا فوقكم سبعا شدادا • اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة البنيان
وجعلنا سراجا وهاجا • اي وقادا وهي الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد والوهاج
الذي له وهج يقال وهج يهج وهجا ووهجا ووهجانا ويقال للجوهرة اذا تلالات توهجت قال ابن عباس وهاجا منيرا
متلالئا • وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا • قال مجاهد وقتادة المعصرات الرياح وقاله ابن عباس كانها تعصر
السحاب وعن ابن عباس ايضا انها السحاب وقال سفيان والربيع وابو العالية والضحاك اي السحاب التي تنعصر

بالماء ولم تمطر بعد كالمراة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض قال فكان مجني دون من كنت اتقي • ثلاث
شخوص كاعبان ومعصر وقال اخر وذو اشر كالاقحوان يزينه • ذهاب الصبا والمعصرات الروائح •
فالرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج وهي الاعصار والنحاس هذه
الاقوال صحاح يقال للرياح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر والمطر ينزل من
الريح التي تاتي بالمطر على هذا ويجوز ان تكون الاقوال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات
ماء ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات السحاب كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان بالريح
اولى وفي الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا ومنه قرا بعضهم وفيه يعصرون
والمعصر الجارية اول ما ادركت وحاضت يقال قد اعصرت كانها دخلت عصر شبابها او بلغته قال الراجز
جارية بسفوان دارها • تمشي الهوينى ساقطا خمارها • قد اعصرت او قد دنا اعصارها • والجمع معاصير ويقال
هي التي قاربت الحيض لان الاعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام سمعته من ابي الغوث قال غيره والمعصر
السحابة التي حان لها ان تمطر يقال اجز الزرع فهو مجز اي صار الى ان يجز وكذلك السحاب اذا صار الى ان يمطر فقد اعصر
وقال المبرد يقال سحاب معصر اي ممسك للماء ويعتصر منه شيء بعد شيء ومنه العصر بالتحريك للملجا الذي يلجا اليه
والعصرة بالضم ايضا الملجا وقد مضى هذا المعنى في سورة يوسف والحمد لله وانشد ابو زبيد صاديا يستغيث غير مغاث
ولقد كان عصرة المنجود • ومنه المعصر للجارية التي قربت من البلوغ يقال لها معصر لانها تحبس في البيت فيكون البيت
لها عصرا وفي قراءة ابن عباس وعكرمة وانزلنا بالمعصرات والذي في المصاحف من المعصرات قال ابي بن كعب والحسن وابن
جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان من المعصرات اي من السموات ماء ثجاجا صبابا متتابعا وثجه والثجاج في
الاية المنصب وقال الزجاج اي الصباب وهو متعد كانه يثج نفسه اي يصب وقال عبيد بن الابرص فثج اعلاه ثم ارتج اسفله
وضاق ذرعا بحمل الماء فانصاح • وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الحج المبرور فقال العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج
اراقة الدماء وذبح الهدايا وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا والمعنى واحد قوله تعالى لنخرج به • اي بذلك الماء حبا • كالحنطة والشعير
وغير ذلك • ونباتا • من الاب وهو ما ياكله الدواب من الحشيش وجنات • اي بساتين الفافا • اي ملتفة بعضها ببعض
لتشعب اغصانها ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل واحد الالفاف لف بالكسر ذكره الكسائي قال جنة لف وعيش مغدق
وندامى كلهم بيض زهر • وعنه ايضا وابي عبيدة لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع حكاه الكسائي يقال جنة لفا
ونبت لف والجمع لف بضم اللام مثل حمر ثم يجمع اللف الفافا الزمخشري ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد
لكان وجيها ويقال شجرة لفا وشجر لف وامراة لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم وقيل التقدير ونخرج به جنات
الفافا فحذف لدلالة الكلام عليه ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه ان الاشجار في البساتين تكون متقاربة
الاغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا • اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين
والاخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب وسمي يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله تعالى يوم ينفخ
في الصور • اي للبعث فتاتون • اي الى موضع العرض افواجا • اي امما كل امة مع امامهم وقيل زمرا وجماعات الواحد فوج
ونصب يوما بدلا من اليوم الاول وروي من حديث معاذ قلت يا رسول الله ارايت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور
فتاتون افواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال
يحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون
وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم لعابا
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا

من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من
الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس واما المنكسون رؤسهم ووجوههم فاكلة
الربا والعمي من يجور في الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين
يخالف قولهم فعلهم والمقطعة ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبين على جذوع من النار فالسعاة بالناس
الى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من اموالهم والذين
يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا اي لنزول الملائكة كما قال
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب
على هذا التاويل بحذف الكاف وقيل التقدير فكانت ذوات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقد
يتحلل ويتناثر حتى يصير فيها ابواب وقيل ان لكل عبد بابان في السماء بابا لعمله وبابا لرزقه فاذا قامت القيمة
انفتحت الابواب وفي حديث الاسرا ثم عرج الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معه
قال محمد وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شيء كما ان السراب كذلك
يظنه الرائي ماء وليس بماء وقيل سيرت من اصولها وقيل ازيلت من مواضعها قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا
مفعال من الرصد والرصد كل شيء كان امامك قال الحسن ان على النار رصدا لا يدخل احد الجنة حتى يجتاز عليه
فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس وعن سفيان قال عليها ثلاث قناطر وقيل مرصادا ذات ارصاد على
النسب اي ترصد من يمر بها وقال مقاتل مجلسا وقيل طريقا وممرا فلا سبيل الى الجنة حتى يقطع جهنم وفي الصحاح
والمرصاد الطريق وذكر القشيري ان المرصاد المكان الذي يرصد الواحد العدو والمضمار للموضع الذي يضمر فيه الخيل
اي هذه معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا جهنم وذكر الماوردي عن ابي سنان
انها بمعنى راصدة تجازيهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد للشيء المراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا
والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد الاصمعي رصدته ارصدته ترقبته وارصدته اعددت له والكسائي مثله
قوله تعالى فجهنم معدة مترصدة متفعل من الرصد وهو الترقب اي هي مطلقة لمن يأتي فالمرصاد مفعال من ابنية المبالغة
كالمعطار والمعمار فكانه يكثر من جهنم انتظار الكفار للطاغين مآبا بدل من قوله مرصادا والمآب المرجع اي
مرجعا يرجعون اليها يقال آب يؤوب اوبا اذا رجع وقال قتادة مأوى ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه
بالكفر او في دنياه بالظلم قوله تعالى لابثين فيها احقابا اي ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع
فكلما مضى حقب جاء حقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب قال متمم
ابن نويرة التميمي وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول
اجتماع لم نبت ليلة معا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل على ما ياتي والجمع احقاب
والمعنى في الاية فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها فحذف الاخرة لدلالة الكلام عليه اذ في الكلام ذكر الاخرة
وهو كما يقال ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الى غير واغا كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقاب او عشرة ونحوه
وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شيء عندهم فتكلم بما تذهب اليه اذهانهم ويعرفونها وهي كناية عن التابيد
اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود في
حق المشركين ويمكن حمل الاية على العصاة الذين يخرجون من النار وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق
فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا
حميما وغساقا لابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب وقرا حمزة والكسائي
لبثين بغير الف وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع وعزه
وفارة ويقال هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شانه فشبه به بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق

لان باب

لان باب فعل انما يكون خلقة في الشيء في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لابث والحقب ثمانون سنة في قول ابن
عمر وابن عباس وابي هريرة والسنة ثلاثمائة يوم وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا قاله ابن عباس وروى ابن عمر
هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل الدنيا وعن ابن عمر ايضا الحقب اربعون
سنة السدي سبعون سنة وقيل انه الف شهر رواه ابو امامة مرفوعا بشير ابن كعب ثلاثمائة سنة الحسن الاحقاب لا يدري
احدكم هي ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون وعن ابي امامة
ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحقب الواحد ثلاثون الف سنة ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال قطرب هو الدهر الطويل الغير
محدود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم والله ما يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها
احقابا الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان
يخرج من النار ذكره الثعلبي القرطبي الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة
كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون قلت هذه اقوال متعارضة والتحديد في الاية للخلود يحتاج
الى توقيف يقطع العذر وليس ذلك ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم بما ذكرناه اولا اي لابثين فيها ازمانا معنى لابثين فيها
احقابا لا غاية لها ولا انتهاء فكانه قال ابدا وقال ابن زيد ومقاتل انها منسوخة بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل قلت وهذا بعيد لانه خبر وقال تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط على ما تقدم هذا في حق الكفار واما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص
والله اعلم وقيل المعنى لابثين فيها اي في الارض اذ تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبة قال فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها فانك مما احدثت بالمجرب
قال من لها بعد حقبة وحقب قوله تعالى لا يذوقون فيها اي في الاحقاب بردا ولا شرابا البرد النوم في قول
ابي عبيدة وغيره وقال الكميت فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وقاله
مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي وانشد قول الكندي بردت مراشفها علي فصدني
عنها وعن تقبيلها البرد يعني النوم والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم قلت وقد جاء
الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها فكذلك
النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد الشراب الماء وقال
الزجاج اي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة وهذا برد ينفعهم فاما
الزمهرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطاء وابن
زيد بردا اي روحا وراحة قال الشاعر فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء اوقات العشاء تذوق
وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جملة في موضع الحال من الطاغين او نعت للاحقاب والاحقاب
ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين على تعدية فعل الا حميما قاله ابو عبيدة وقال ابن زيد الحميم
دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه قال النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى
ومنه وظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير
وقرا حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضى في ص القول فيه جزاء وفاقا اي موافقا لاعمالهم
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة وجزاء نصب على المصدر
اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم قاله الفراء والاخفش وقال الفراء ايضا هو جمع الوفاق والوفق واللفق واحد
وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت
اعمالهم سيئة فاتاهم الله ما يسوءهم انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون حسابا اي محاسبة على اعمالهم
وقيل معناه لا يرجون ثواب حساب الزجاج اي انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم وكذبوا بآياتنا كذابا

اي بما جاءت به الانبياء وقيل بما انزل لنا من الكتب وقراة العامة كذابا بتشديد الذال وكسر الكاف على الكذب اي كذبوا تكذيبا كبيرا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل حصره فصارا فعالا مشددا في لغتهم وانشد بعض الكلابيين لقد طال ما ثبطني عن صحابتي • وعن حاجة قضاؤها من شفائيا • وقال علي رضي الله عنه كذابا بالتخفيف وهو مصدر ايضا قال ابو علي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة كقول الاعشى فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابه • ابو الفتح جاء جميعا لمصدر كذب وكذب جميعا الزمخشري كذابا بالتخفيف مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابا • وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا كذابا فكذبوا كذابا او ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمين عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة وقرا ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قاله ابو حاتم ونصبه على الحال الزمخشري وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وفي الصحاح وقوله وكذبوا باياتنا كذابا وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى تفعل مثل ومزقناهم كل ممزق • وكل شيء احصيناه كتابا • كل نصب باضمار فعل يدل عليه احصيناه اي احصينا كل شيء احصيناه وقرا ابو السمال وكل شيء بالرفع على الابتداء كتابا نصب على المصدر لان معنى احصينا كتبنا اي كتبناه كتابا ثم قيل اراد به العلم فان ما كتب كان ابعد من النسيان وقيل اي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة وقيل اراد ما كتب على العباد من اعمالهم فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة دليله قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين • فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا • قال ابو برزة سالت النبي صلعم عن اشد اية في القران فقال قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى ان للمتقين مفازا • ذكر جزاء من اتقى مخالفة امر الله مفازا موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه اهل النار ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها • حدائق واعنابا • هذا تفسير الفوز وقيل اي للمتقين مفازا اي حدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف • وكواعب اترابا • كواعب جمع كاعبة وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وتكعبت تكعب تكعيبا ونهدت تنهد نهودا وقال الضحاك الكعوب العذارى ومنه قول عاصم وكم من حصان قد حوينا كريمة • ومن كاعب لم تدر ما البوس معصر • والاتراب الاقران في السن وقد مضى في سورة الواقعة الواحد ترب • وكاسا دهاقا • قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس مترعة مملوءة يقال ادهقت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق اي ممتلئة قال الا فاسقني صرفا سقاني الساقي • من مائها بكاسه الدهاق وقال خراش بن زهير اتانا عامر يبغي قرانا • فاترعنا له كاسا دهاقا • وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس ايضا متتابعة يتبع بعضها بعضا ومنه ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض فالمتتابع كالمتداخل وعن عكرمة ايضا وزيد بن اسلم قال الشاعر لا بالي العواد احب قرنا من الصاد على كاس الدهاق • وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير وخمرا ذات دهاق اي عصرت وصفيت قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي افرغته افراغا شديدا قال ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه المرد والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه ابن الاعرابي دهقت الشيء كسرته وقطعته وكذلك دعرقته وانشد لحجر بن خالد ندهدق بضع اللحم للباع والندى • وبعضهم تغلي بذم مراجله • ودهمقته بزيادة الميم مثله وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شيء لين ومنه حديث عمر لو شئت ان يدهمق لي

لغفلت ولكن الله عاب قوما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قوله تعالى لا يسمعون فيها • اي في الجنة لغوا ولا كذابا • اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه حديث اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا باللغو بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا تقدم اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذابا بالتخفيف من كاذبت كذابا اي لا يتكاذبون في الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما خففها هنا لانها ليست بمقيد بفعل يصير مصدرا له وشدد في قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب • جزاء من ربك • نصب على المصدر لان المعنى جزاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك عطاء لان معنى اعطاهم وجازاهم واحد اي اعطاهم • عطاء حسابا • اي كثيرا قاله قتادة يقال احسبت فلانا اي كثرت له العطاء حتى قال حسبي قال وتقفي وليد الحي اذ كان جائعا • ونحسبه ان كان ليس بجائع • وقال القتيبي ونرى اصل هذا ان يعطيه حتى يقول حسبي قال الزجاج حسابا اي ما يكفيهم وقاله الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشرا مجاهد حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العد اي بقدر ما وجب له في وعد الرب فانه وعد للحسنة عشرا ووعد لقوم بسبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعال اي كفافا قال الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وانشد الفراء قول الشاعر اذا اتاه ضيفه يحسبه • وقرا ابن عباس حسانا بالنون قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن • قرا ابن مسعود ونافع وابو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم رب السموات بالرفع على الاستيناف الرحمن خبره ومعنى هو رب السموات ويكون الرحمن مبتدا ثانيا وقرا ابن عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله جزاء من ربك رب السموات الرحمن وقرا ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي رب السموات خفضا على النعت الرحمن رفعا على الابتداء اي هو الرحمن واختاره ابو عبيد قال هذا اعدلها خفض رب لقربه من قوله من ربك فيكون نعتا ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره لا يملكون منه خطابا اي لا يملكون ان يسالوا الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائي لا يملكون منه خطابا • بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار اي لا يملكون منه خطابا فاما المؤمنون فيشفعون قلت بعد ان يؤذن لهم لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا • يوم نصب على الظرف اي لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح واختلف في الروح على ثمانية اقوال الاول انه ملك من الملائكة قال ابن عباس ما خلق الله مخلوقا بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم ونحو منه عن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وهو من حيال السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجي يوم القيمة وحده صفا وسائر الملائكة صفا الثاني انه جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا على جماله وعظما على عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه سبعين الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور والكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقال وهب ان جبريل عليه السلام

واقف بين يدي الله تعالى ثم صفوا بعد يخلق الله تعالى من كل عشرة الف ملك والملائكة صفوف بين يدي
الله تعالى منكسون رؤسهم فاذا اذن لهم في الكلام قالوا لا اله الا انت فذلك قوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا • لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا • يعني قول لا اله الا الله الثالث روى ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايدي وارجل
ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا فان هؤلاء جند وهذا قول ابي صالح
ومجاهد وعلى هذا هم خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس الرابع انهم اشراف الملائكة قاله
مقاتل بن حيان الخامس انهم حفظة على الملائكة قاله ابن ابي نجيح السادس انهم بنو ادم قاله الحسن
وقتادة فالمعنى ذو الروح وقال العوفي والقرطبي هذا مما كان يكتمه ابن عباس قال الروح خلق من خلق الله
على صورة بني ادم وما نزل ملك من السماء الا ومعه واحد من الروح السابع ارواح بني ادم تقوم صفا وتقوم
الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية الثامن انه القران قاله زيد
ابن اسلم وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبئ على
الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر وجاء ربك والملك صفا
صفا هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قال معناه القتيبي وغيره وقيل يقوم الروح صفا
والملائكة صفا فهم صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في
الشفاعة وقال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد وقال ابو صالح لا اله الا الله وروى الضحاك عن ابن
عباس قال يشفعون لمن قال لا اله الا الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب
اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة
واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه وقال
الحسن ان الروح يقول يوم القيمة لا يدخل احد الجنة الا بالرحمة ولا النار الا بالعمل فهو معنى قوله تعالى
وقال صوابا قوله تعالى ذلك اليوم الحق • اي الكاين الواقع فمن شاء اتخذ الى ربه مابا • اي مرجعا بالعمل الصالح
كانه اذا عمل خيرا رده الى الله عز وجل واذا عمل شرا باعده منه وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام
والخير كله بيديك والشر ليس اليك وقال قتادة مابا سبيلا قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا • يخاطب
كفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث والعذاب عذاب الاخرة وكل ما هو ات قريب وقد قال
تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا
لانه اقرب العذابين قال مقاتل هي قتل قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو الموت والقيامة لان
من مات فقد قامت قيامته وان كان من اهل الجنة راى مقعده من الجنة وان كان من اهل النار
اي الخزي والهوان ولهذا قال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه • اي يراه وقيل ينظر الى ما قدم فحذف الى
والمرء هاهنا المؤمن في قول الحسن اي يجد لنفسه عمله فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان
يكون ترابا ولما قال ويقول الكافر علم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل المراد هنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط
ويقول الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد وانسان يرى في ذلك اليوم جزا ما كسب وقال مقاتل نزلت
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • في
اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هاهنا ابليس وذلك
بانه عاب ادم بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة
وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه يكون بمكان ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في
بعض التفاسير القشيري ابو نصر وقيل اي يقول ابليس يا ليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير من ادم

وعن ابن عمر

وعن ابن عمر اذا كان يوم القيمة مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحوش ثم يوضع القصاص
بين البهايم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرنا والبهايم والوحوش القصاص بينهما قيل لها كوني ترابا فعند
ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ونحوه عن ابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد ذكرنا
في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة والحمد لله ذكر ابو جعفر النحاس حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال
حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد
ابن الاصم عن ابي هريرة قال ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال للبهايم والطير كوني
ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال قوم يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث كما قال يا ليتني لم اوت
كتابيه وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لساير الامم ولمؤمني
الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فيقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن
يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا
فيها وهذا اصح وقد مضى في سورة الرحمن بيان هذا وانهم مكلفون يثابون ويعاقبون كبني ادم والله اعلم سورة
النازعات مكية باجماع وهي خمس وست واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنازعات غرقا • اقسم
سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها على ان القيامة حق والنازعات الملائكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي رضي
الله عنه وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد هي الملائكة تنزع نفوس بني ادم قال ابن مسعود يريد
انفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود
ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يجعلها في اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار وقاله ابن عباس وقال سعيد
ابن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال
السدي هي النفوس حين تغرق في الصدور ومجاهد هو الموت ينزع النفوس الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق
الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع
من افق اخر قاله ابو عبيدة وابن كيسان والاخفش وقيل النازعات القسي تنزع بالسهام قاله عطا وعكرمة غرقا بمعنى
اغراقا واغراق النازع في القوس اي تبلغ غاية المد حتى تنتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها
وذلك بان تنتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب ويقال لقشرة البيضة الداخلة
غرقئ وقيل هم الغزاة الرماة قلت هو والذي قبله سوا لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما
لها وهو مثل قوله والعاديات ضبحا والله اعلم واراد بالاغراق المبالغة في النزع وهو شايع في جميع وجوه تاويلها
وقيل هي الوحش تنزع من الكلا وتنفر حكاه يحيى بن سلام ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات
نشطا • قال ابن عباس يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه
وحكى هذا القول الفرا ثم قال والذي سمعت من العرب ان يقولوا انشطت وكانما انشط من عقال وربطها
نشطا والرابط الناشط واذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فانت ناشط واذا حللته فقد انشطته وانت
منشط وعن ابن عباس ايضا هي نفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن الا ويعرض عليه
الجنة من قبل ان يموت فيرى فيها ما اعده الله له من ازواجه واهله من الحور العين فهم يدعونه اليها
فنفسه اليهم نشطة اي تخرج بنايتهم وعنه ايضا قال الانفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب
به السرج والنشط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة وقال
ابو زيد نشطت الحبل انشطه نشطا عقدته انشوطة وانشطته اي حللته وانشطت الحبل اي مددته حتى
ينحل وقال الفرا انشط العقال اي حط ونشط اي ربط الحبل في يديه وقال الليث انشطته بانشوطة وانشوطتين
اي اوثقته وانشطت بعقال وثقته وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط

تفسير سورة النازعات

بمعنى انشط لغتان بمعنى وعليه يصح قول ابن عباس المذكور اولا وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنهما هي الملائكة تنشط
ارواح الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم نشطا بالكرب والغم كما ينشط بسفود الحديد وهو من النشط
بمعنى الجذب يقال نشطت الدلو انشطها بالكسر وانشطها بالضم اي نزعتها قال الاصمعي بئر انشاط اي قريبة القعر يخرج
الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس
المومن السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق
السهام وعن عطا ايضا وقتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب وكذا في الصحاح
والناشطات نشطا يعني النجوم من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال
هميان بن قحافة امست همومي تنشط المناشطا • الشام بي طورا وطورا واسطا • ابو عبيدة وعطا ايضا الناشطات
هي الوحش حين تنشط من بلد الى بلد كما ان الهموم تنشط الانسان من بلد الى بلد وانشد قول هميان امست همومي البيت
وقيل والنازعات للكافرين والناشطات للمومنين فالملائكة يجذبون روح المومن برفق والنزع جذب بشدة •
والنشط جذب برفق وقيل هما جميعا للكفار والآيتان بعدهما للمومنين عند فراق الدنيا قوله تعالى والسابحات سبحا
قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المومنين الكلبي هي الملائكة تقبض ارواح المومنين كالذي يسبح في الماء
فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وقال مجاهد وابو صالح ينزلون
من السماء مسرعين لامر الله كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن مجاهد ايضا الملائكة تسبح
في نفس بني ادم وقيل هي الغزاة قال عنترة • والخيل تعلم حين تسبح • في حياض الموت سبحا وقال امرؤ القيس • مسح اذا
ما السابحات على الونى • اثرن غبارا بالكديد المركل • قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر
قال الله تعالى كل في فلك يسبحون عطا هي السفن تسبح في الماء ابن عباس السابحات ارواح المومنين تسبح شوقا الى
لقاء الله ورحمته حين تخرج قوله تعالى فالسابقات سبقا • قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقال مسروق ومجاهد وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح
وقيل تسبق بني ادم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المومنين
الى الجنة ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله ورحمته
ونحوه عن الربيع قال هي النفس تسبق بالخروج عند الموت وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها في السير عطا
هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان تكون السابقات ما يسبق من الارواح الى الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي
وقال الجرجاني ذكر فالسابقات بالفاء لانها مشتقة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قم فذهبت فهذا
يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام ذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قوله تعالى فالمدبرات امرا • قال
القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكة قال فيه الماوردي قولان احدهما الملائكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب
السبعة حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الامر وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها الثاني
تدبيرها ما قضى الله تعالى فيها من تقلب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق كثيرا من تدبير
امر العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره وعلى ان المراد بالمدبرات
الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وهو الى الله جل ثناؤه
ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك كما قال عز وجل نزل به الروح الامين وكما قال فانه نزله على قلبك يعني
جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والله عز وجل هو الذي انزله وروى عطا عن ابن عباس المدبرات امرا
الملائكة وكلت بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر
الدنيا الى اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود
واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس في البر والبحر واما اسرافيل فهو

ينزل بالامر عليهم وليس من الملائكة اقرب من اسرافيل وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام وقيل اي وكلوا بامور
عرفهم الله بها ومن اول السورة الى هنا اقسم الله به ولله ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا الا ذلك به عز وجل
وجواب القسم مضمر كانه قال والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن اضمر لمعرفة السامعين بالمعنى قاله الفرا
ويدل عليه قوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب لقولهم ائذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى
بقوله ائذا كنا عظاما نخرة قال قوم وقع القسم على قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهذا اختيار الترمذي
محمد بن علي اي فيما اقتصصت من ذكر يوم القيمة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولكن وقع القسم على ما في
السورة مذكورا ظاهرا بارزا احرى واحق من ان يوتى بشيء ليس بمذكور فيه قال ابن الانباري هذا قبيح لان الكلام
قد طال فيما بينهما وقيل جواب القسم هل اتاك حديث موسى لان المعنى قد اتاك وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة •
على تقدير ليوم ترجف فحذف اللام وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة • والنازعات
غرقا وقال السجستاني يجوز ان يكون هذا من التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات ابن الانباري وهذا
خطا لان الفاء لا يفتتح بها الكلام والاول الوجه وقيل انما وقع القسم على ان قلوب اهل النار تجف وابصارهم تخشع
فانتصاب يوم ترجف الراجفة على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه قال الزجاج اي قلوب الراجفة يوم ترجف وقيل
انتصب باضمار اذكر وترجف تضطرب والراجفة اي المضطربة كذا قال عبد الرحمن بن زيد قال هي الارض و
الرادفة الساعة مجاهد الراجفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وعنه ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان
اي النفختان اما الاولى فتميت كل شيء باذن الله تعالى واما الثانية فتحيي كل شيء باذن الله تعالى وجاء في الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال بينهما اربعون سنة قال مجاهد ايضا الرادفة حين تنشق السماء فحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين والله
اعلم وقد مضى في اخر النمل ما فيه كفاية في النفخ في الصور واصل الرجفة الحركة قال الله تعالى يوم ترجف الارض
وليست الرجفة ههنا من الحركة فقط بل من قولهم يرجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهر الصوت
والحركة ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس بها قال • ابالاراجيف يا ابن اللوم توعدني •
وفي الاراجيف خلت اللوم والخور • وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب ربع الليل قام ثم قال يا ايها
الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه • قلوب يومئذ واجفة • اي خائفة وجلة
قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر وقال المورج
قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف
القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة
على السير السريع قال • بدلن بعد جره صريفا • وبعد طول النفس الوجيفا • وقلوب رفع بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها
خاشعة • خبرها مثل قوله ولعبد مومن خير من مشرك ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة والمعنى ابصار اصحابها فحذف المضاف يقولون • اي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث
اذا قيل لهم انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين ائنا نرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما كنا قبل الموت وهو
كقولهم ائنا لمبعوثون خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته وعلى حافرته اي رجع من حيث جاء قاله قتادة وانشد
ابن الاعرابي احافرة على صلع وشيب • معاذ الله من سفه وعار • يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل
والصبي بعد ان شبت وصلعت ويقال رجع على حافرته اي الطريق الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند
الحافرة اي عند اول كلمة التقوا وقيل الحافرة العاجلة اي ائنا لمردودون الى الدنيا فنصير احياء كما كنا قال الشاعر
آليت لا انساكم فاعلموا • حتى يرد الناس في الحافرة • وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة
كقوله تعالى ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ائنا لمردودون في قبورنا احياء قاله مجاهد والخليل والفرا وقيل

سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم ارضا لانها على الارض والمعنى انا لراجعون بعد الموت الى الارض
فنمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار وقال ابن عباس الحافرة في كلام العرب الدنيا وقرا ابو حيوة الحفرة بغير الف مقصور
من الحافرة وقيل الحفرة الارض المنتنة بلحساد موتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها
يقال في اسنانه حفر وقد حفرت تحفر مثال كسر يكسر كسرا اذا فسدت اصولها وبنو اسد يقولون في اسنانه حفر بالتحريك
وقد حفرت مثال نصب نصبا وهي اردا اللغتين قاله في الصحاح ا اذا كنا عظاما نخرة • اي بالية متفتتة يقال نخر
العظم بالكسر اي بلي وتفتت يقال عظام نخرة وكذا قرا الجمهور من اهل المدينة ومكة والشام والبصرة واختاره
ابو عبيد لان الاثار التي يذكر فيها العظام نظرنا فيها فاذا هي نخرة لا ناخرة وقرا عمر وابنه عبد الله وابن عباس
وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وابو بكر ناخرة واختاره الفرا والطبري وابو معاذ النحوي لوفاق رؤس
الاي وفي الصحاح والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير ويقال ما بها ناخر اي ما بها
احد حكاه يعقوب الباهلي وقال ابو عمرو بن العلا الناخرة التي تنخر بعد اي لم تبل ولا بد ان تنخر وقيل الناخرة المجوفة
وقيل هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشي فهو نخر وناخر وفره وفاره قال الشاعر يدل بها الشي الذي
كان باديا • يدن على عوج له نخرات • عوج يعني قوايم وفي بعض التفسير ناخرة بالالف بالية ونخرة ينخر فيها
الريح اي تمر فيها على عكس الاول قال من بعد ما كانت عظاما ناخرة • وقال بعضهم الناخرة التي اكلت اطرافها
وبقيت اوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اي مرفوتة كما قال عظاما ورفاتا ونخرة الريح
بالضم شدة هبوبها والنخرة ايضا والنخرة مثال الهمزة مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته اي انفه
قالوا تلك اذا كرة خاسرة • اي رجعة خائبة كاذبة باطلة اي ليست كاينة قاله الحسن وغيره الربيع بن انس
خاسرة على من كذب بها وقيل اي هي كرة خاسرة والمعنى اهلها خاسرون كما يقال تجارة رابحة اي يربح صاحبها
ولا شي اخسر من كرة تقتضي المصير الى النار وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لئن رجعنا احياء بعد الموت لنحشرن
بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار وانكروا الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة
المرة والجمع الكرات • فانما هي زجرة واحدة فاذا هم • اي الخلايق اجمعون وروى الضحاك عن ابن عباس قال
نفخة واحدة فاذا هم اي الخلايق اجمعون • بالساهرة • اي على وجه الارض بعد ما كانوا في بطنها قال الفرا سميت
هذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه
يسهر فيها خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها واستدل ابن عباس والمفسرون بقول امية بن ابي الصلت
وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم • وقال اخو فهم يوم ذي فار لفرسه • اقدم محاج انها الساهرة •
ولا تهولنك رجل بادره • فانما قصرك ترب الساهرة • ثم يعود بعدها في الحافرة • من بعد ما كانت عظاما ناخرة •
وفي الصحاح ويقال الساهور ظل الساهرة وهي وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة قال ابو بكر الهذلي
يريدون ساهرة كان جميمها • وجميمها اسفاد ليل مظلم • ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف
وانشدوا قول امية بن ابي الصلت • قمر وساهور يسل ويغمد وانشدوا لاخر في وصف امراة • كانها عرق سام
عند ضاربه • او شقة خرجت من جوف ساهور • يريد شقة القمر وقيل الساهرة هي الارض البيضا وروى
الضحاك عن ابن عباس قال ارض من فضة لم يعص الله جل ثناوه عليها قط خلقها حينئذ وقيل ارض
جددها الله يوم القيمة وقيل عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري والزهري
الساهرة ارض الشام وذهب ابن منبه جبل بيت المقدس عثمان بن ابي العاتكة اسم مكان من الارض بعينه
بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان يمده الله كيف شاء قتادة هي جهنم اي فاذا هولاء
الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها حينئذ ويقال الساهرة الارض البيضا المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الما وفي ضدها نايمة وقال الاشعث بن قيس

وساهرة

وساهرة تضحي السراب مجللا • لاقطارها قد جئتها متلثما • او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة قوله هل اتاك حديث
موسى • اي قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلعم اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك
هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكن اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما
فيه كفاية وفي طوى ثلاث قراات قرا ابن محيصن وابن عامر والكوفيون طوى منونا واختاره ابو عبيد لخفة
الاسم الباقون بغير تنوين لانه معدول عن غير وقال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو
كما عدل عمر عن عامر وقرا الحسن وعكرمة طوى بكسر الطا وروي عن ابي عمرو وعلى معنى المقدس بعد مرة قاله
الزجاج وانشد اعاذل ان اللوم في غير كنهه • علي طوى من غيك المتردد • اي هو لوم مكرر علي ونثل بضم الطا وكسرها
لغتان وقد مضى في طه القول فيه • اذهب الى فرعون • اي ناداه ربه اذهب فحذف لان النداء قول فكانه
قال له ربه اذهب الى فرعون • انه طغى • اي جاوز القدر في العصيان وروي عن الحسن ايضا قال كان من اهل
اصبهان يقال له ذو ظفر طوله اربعة اشبار • فقل هل لك الى ان تزكى • اي تسلم فتطهر من الذنوب وروى
الضحاك عن ابن عباس قال هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله • واهديك الى ربك • اي وارشدك الى طاعة
ربك • فتخشى • اي فتخافه وتتقيه وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاي على ادغام التا في الزاي لان
اصلها تتزكى الباقون بتخفيف الزاي على معنى طرح التا وقال ابو عمرو تزكى بالتشديد الصدقة وتزكى
تكون زكيا مومنا وانما دعي فرعون ليكون زكيا مومنا قال فلهذا اخترنا التخفيف وقال صخر بن جويرية
لما بعث الله موسى الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال
يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله اليه ان امض لما امرتك به فان في السما اثني عشر
الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولن يدركوه • فاراه الاية الكبرى • اي العلامة العظمى وهي المعجزة
وقيل العصا وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس وروى الضحاك عن ابن عباس الاية الكبرى قال العصا
الحسن يده وعصاه وقيل فلق البحر وقيل انه اشار الى جميع اياته ومعجزاته • فكذب • اي كذب نبي الله موسى
وعصى • ربه عز وجل • ثم ادبر يسعى • اي ولى مدبرا معرضا عن الايمان يسعى هاربا من الحية • فحشر • اي
جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر الناس للحضور
فنادى • اي قال لهم بصوت عال • انا ربكم الاعلى • اي لا رب لكم فوقي وروي ان ابليس قال له ويحك
اما تعرفني قال لا قال وكيف خلقتني الست القايل انا ربكم الاعلى ذكره الثعلبي في كتاب العرايس قال عطا
كان صنع له اصناما صغارا وامرهم بعبادتها فقال انا رب اصنامكم وقيل اراد القادة والسادة هو ربهم
واولئك هم ارباب السفلة وقيل في الكلام تقديم وتاخير فنادى فحشر لان النداء يكون قبل الحشر فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى • اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله بعد انا ربكم الاعلى قاله ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وكان بين الكلمتين اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة
فعذبه بكلمتيه وقيل نكال الدنيا هو ان اغرقه ونكال الاخرة العذاب في الاخرة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد
عذاب اول عمره واخره وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عن قتادة ايضا ونكال منصوب
على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل الله به فاخرج مكان نكل مصدر من معناه لا من لفظه
وقيل نصب بنزع حرف الصفة اي فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب وقال الفرا اي اخذه
الله اخذا نكالا اي للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل فلان بفلان
اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى في سورة المزمل والحمد لله
ان في ذلك لعبرة • اي اعتبارا وعظة • لمن يخشى • اي يخاف الله عز وجل قوله تعالى • انتم اشد خلقا • يريد
اهل مكة اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم • ام السما • فمن قدر على السما قدر على الاعادة وهذا كقوله

تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السماء فقال بناها اي رفعها فوقكم كالبناء رفع سمكها
اي جعل سقفها في الهوى وسمكت الشي سموكا ارتفع وقال الفرا كل شي حمل شيئا من البناء وغيره فهو
سمك وبناء مسموك وسنام سامك تامك اي عال والسموكات السموات ويقال اسمك في الديم اي اصعد
في الدرجة قوله تعالى فسواها اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا فطور واغطش ليلها اي جعله
مظلما اغطش الليل واغطشه الله كقولك اظلم الليل واظلمه الله والغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش
وفلاة غطشا لا يهتدى لها قال الاعشى ويهما بالليل غطش الفلاة. يؤنسني صوت فيادها وقال ايضا عقرت لهم
ناقتي موهنا. وغامرهم مدلهم غطش يعني وغامرهم ليلهم لانه غمرهم بسواده واضاف الليل الى السماء لان الليل
يكون بغروب الشمس والشمس مضافة الى السماء يقال نجوم السماء لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها
اي ابرز نهارها وضوءها وشمسها واضاف الضحى الى السماء كما اضاف الظلمة لان فيها سبب الظلام والضياء
بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وهذا يشير الى كون الارض بعد السماء وقد
مضى القول فيه في اول البقرة عند قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء مستوفى
والعرب تقول دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال لعش النعامة ادحي لانه مبسوط على وجه الارض
قال امية بن ابي الصلت بث الخلق فيها اذ دحاها. فهم قطانها حتى التنادي وانشد المبرد دحاها
فلما راها استوت. على الماء ارسى عليها الجبالا. وقيل دحاها سواها ومنه قول زيد بن عمرو واسلمت وجهي
لمن اسلمت. له الارض تحمل صخرا ثقالا. دحاها فلما استوت شدها. بايد وارسى عليها الجبالا. وعن ابن
عباس خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الله الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض
من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضعه كانه قال والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد
ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقال الشاعر فقلت لها عني اليك فانني. حرام
واني بعد ذاك لبيب اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل
الفرقان قال ابو كبير الهذلي حمدت الهي بعد عروة اذ نجا. خراش وبعض الشر اهون من بعض. وزعموا ان خراشا قبل
عروة وقيل دحوها حرثها وشقها قاله بن زيد وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب وقراءة العامة
والارض بالنصب اي دحى الارض وقرا الحسن وعمرو بن ميمون والارض بالرفع على الابتداء لرجوع الهاء ويقال دحا
يدحو ودحا يدحي دحوا ودحيا والمحو والمحي فمن قال يدحو قال دحوت ومن قال دحيا قال دحيت اخرج منها
اي اخرج من الارض ماءها اي العيون المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات الذي يرعى وقال القتيبي دل
بشيئين على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف
والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء والجبال ارساها قراءة العامة
والجبال بالنصب اي فارسى الجبال ارساها يعني اثبتها فيها اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن ميمون
وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم والجبال بالرفع على الابتداء ويقال هلا ادخل حرف العطف على اخرج
فيقال انه حال باضمار قد كقوله تعالى حصرت صدورهم متاعا لكم اي منفعة لكم ولانعامكم من الابل
والبقر والغنم ومتاعا نصب على المصدر من غير اللفظ لان معنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك
وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا قوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى
اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية يكون معها البعث قاله بن عباس في رواية الضحاك عنه
وهو قول الحسن وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعم
ما سواها لعظم هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى. المبرد الطامة عند

العرب الداهية التي لا تستطاع وانما اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في
الجري وطم الماء اذا ملا النهر كله وغيرهم ماخوذة من طم السيل الركية اي دفنها والطم الدفن والعلو وقال
القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى
قول مجاهد وقال مجاهد هي الساعة التي يسلم اهل النار الى الزبانية اي الداهية التي طمت وعظمت قال بعض
الهم يعمي ويصم. وكذلك البعض ادهى وأطم. يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير او شر وبرزت الجحيم
اي ظهرت لمن يرى. النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار
وجواب فاذا جاءت الطامة محذوف اي اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرا مالك
ابن دينار وبرزت الجحيم عكرمة وغيره لمن ترى بالتاء اي لمن تراه الجحيم اي لمن تراه انت يا محمد والخطاب له عليه
السلام والمراد الناس قوله تعالى فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحرث وهي عامة
في كل كافر واثر الحيوة الدنيا على الاخرة وروي عن يحيى بن ابي كثير قال من اتخذ من طعام واحد ثلاثة الوان
فقد طغى وروى جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على هذه الامة ان يؤثروا ما يرون
على ما يعلمون ويروى انه وجد في الكتب ان الله جل ثناؤه قال لا يؤثر عبد دنياه على اخرته الا بثثت عليه همومه
وضيعته ثم لم ابال في ايها هلك فان الجحيم هي الماوى اي ماواه والالف واللام بدل من الهاء واما من خاف
مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وكان قتادة يقول ان لله عز
وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقع
نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والحرام وقال سهل ترك
الهوى مفتاح الجنة لقوله عز وجل ونهى النفس عن الهوى قال عبد الله بن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى
وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي الماوى اي المنزل والايتان
نزلتا في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب
ابن عمير فلم يشدوه وثاقا واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي
باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدائه واما من خاف مقام
ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلعم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في
جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلعم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته
وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامرا يوم
بدر وعن ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الاية في رجلين ابو جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري
وقال السدي نزلت هذه الاية واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه كان له
غلام ياتيه بطعام وكان يساله من اين اتيت بهذا فاتاه يوما بطعام فلم يساله واكله فقال له غلامه
لم لا تسالني اليوم فقال نسيت فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت لقوم في الجاهلية فاعطونيه فتقياه
من ساعته وقال يا رب ما بقي في العروق فانت حبسته فنزلت واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي نزلت
فيمن هم بمعصية وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله ونحوه عن ابن عباس يعني من خاف عند المعصية
مقامه بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرسيها قال ابن عباس سال
مشركوا مكة رسول الله صلعم متى تكون الساعة استهزاء فانزل الله عز وجل الاية قال عروة بن الزبير في قوله
فيم انت من ذكريها لم يزل النبي صلعم يسال عن الساعة حتى نزلت هذه الاية الى ربك منتهاها ومعنى مرسيها
اي قيامها قال الفرا رسوها قيامها كرسو السفينة وقال ابو عبيدة اي منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي وهو
قول ابن عباس الربيع بن انس متى زمانها والمعنى متقارب وقد مضى في اخر الاعراف بيان ذلك وعن الحسن ان رسول الله صلعم

قال لا تقوم الساعة الا بغضبة يغضبها ربك فيم انت اي في اي شيء انت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها وليس
لك السؤال عنها وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت فيم
انت من ذكريها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها فكانه عليه السلام لما اكثروا عليه سال الله ان يعرفه ذلك
فقيل له لا تسأل ولست في شيء من ذلك ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم له اي فيم انت من ذلك
حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس والذكرى بمعنى الذكر الى ربك منتهاها
علمها فلا يوجد عند غيره وهو كقوله قل انما علمها عند ربي وقوله ان الله عنده علم الساعة انما انت منذر اي
مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر
وخشي الرحمن بالغيب وقراءة العامة منذر بالاضافة غير منون طلب التخفيف والا فاصله التنوين لانه للمستقبل
وانما لا ينون في الماضي قال الفراء يجوز التنوين وتركه كقوله بالغ امره وموهن كيد الكافرين والتنوين الاصل
وبه قال ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن محيصن وحميد وعباس عن ابي عمرو منذر منونا وتكون في موضع
نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان تكون الاضافة للماضي نحو ضارب
زيد امس لانه قد فعل الانذار والاية رد على من قال احوال الاخرة غير محسوسة وانما هي راحة للروح او
تالمها من غير حس كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية او ضحاها
اي او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وروى
الضحاك عن ابن عباس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا يوما واحدا وقيل لم يلبثوا في قبورهم الا عشية او ضحاها
وذلك انهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفراء يقول القائل وهل للعشية من ضحى
انما الضحى لصدر النهار ولكن اضيف الضحى الى العشية وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب يقولون
اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية او غداتها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول النهار
قال وانشدني بعض بني عقيل نحن صبحنا عامرا في دارها جردا تعادى طرفي نهارها عشية الهلال او سرارها
اراد عشية الهلال او عشية سرار العشية فهذا اشد من اتيتك الغداة او عشيتها سورة عبس وهي اربعون
واثنان مكية في قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى فيه ست مسائل الاولى
قوله عبس اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وقد تقدم وتولى اعرض بوجهه ان جاءه ان في موضع نصب لانه
مفعول له لان جاءه الاعمى اي الذي لا يبصر بعينه فروى اهل التفسير اجمع ان قوما من اشراف قريش
كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في اسلامهم فاقبل عبد الله بن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقطع عبد الله عليه كلامه فاعرض عنه ففيه نزلت هذه الاية قال مالك ان هشام بن عروة
حدثه عن عروة انه قال نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد
استدنيني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر
ويقول يا فلان هل ترى بما اقول باسا فيقول لا والدمى ما ارى بما تقول باسا فانزل الله عبس وتولى وفي
الترمذي مسندا قال حدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثني ابي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن ابيه عن
عائشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل
على الاخر ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا نزل قال حديث غريب الثانية الاية عتاب من الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم في اعراضه وتوليه عن عبد الله بن ام مكتوم ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم
عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها
وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين يقال له الوليد بن المغيرة ابن العربي قال المالكية من علمائنا

تفسير سورة عبس وهي مكية

وهو يكنى

وهو يكنى ابا عبد شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وعنه ابي بن خلف وقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابي بن خلف وقال عطا عتبة بن ربيعة سفيان الثوري كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس الزمخشري
كان صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن
خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم قال علماؤنا اما قول علمائنا انه
الوليد بن المغيرة فقد قال اخرون انه امية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا
الدين وذلك ان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما
كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع احد الثالثة
اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الى الله تعالى وقد قوي طمعه في اسلامهم
وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك
الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه
كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء انما يتبعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض عنه فنزلت الاية قال
الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي
ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس فرايته يوم القادسية
راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء الرابعة قال علماؤنا ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان
عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل
الصفة او ليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المؤمن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الامر الاخر
وهو الاقبال على الاغنياء طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوعا من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما
كان لنبي ان يكون له اسرى الاية على ما تقدم وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن
ام مكتوم من الايمان كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه الخامسة
قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام
مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه وكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه
صلى الله عليه وسلم عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغائب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه
بمواجهة الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله يعني ابن ام مكتوم يزكى بما استدعى منك
تعليمه اياه من القران والدين بان يزداد طهارة في دينه وزوال ظلمة الجهل عنه وقيل الضمير في لعله للكافر
يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت
فيه كائن وقرا الحسن اان جاءه الاعمى بالمد على الاستفهام فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى
التقدير ان جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على وتولى ولا يوقف عليه على قراءة الخبر
وهي قراءة العامة السادسة نظير هذه الاية في العتاب قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا
وما كان مثله والله اعلم او يذكر اي يتعظ بما تقول فتنفعه الذكرى اي العظة وقراءة العامة
فتنفعه بضم العين عطفا على يزكى وقرا عاصم وابن ابي اسحاق وعيسى فتنفعه نصبا وهي قراءة السلمي وزر
ابن حبيش على جواب لعل لانه غير موجب كقوله ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع قوله تعالى اما من استغنى اي كان
ذا ثروة وغنى فانت له تصدى اي تعرض له وتصغي لكلامه والتصدي الاصغاء قال الشاعر
الراعي تصدى لوضاح كان جبينه سراج الدجى يحني اليه الاساور واصله تتصدد من الصدد
وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد دارك اي قبالتها نصب على الظرف وقيل هو من

الصدي وهو العطش اي تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة المعارضة وقراءة العامة تصدى بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام • وما عليك الا يزكى • اي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن انما انت رسول ما عليك الا البلاغ قوله تعالى واما من جاءك يسعى يطلب العلم لله • وهو يخشى • يخاف الله • فانت عنه تلهى • اي تعرض عنه بوجهك وتشتغل بغيره واصلها تتلهى يقال لهيت عن الشيء اي تشاغلت عنه والتلهي التغافل ولهيت عنه وتلهيت بمعنى قوله تعالى كلا انها تذكرة • كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما تفعل مع الفريقين اي لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني واعراضك عن المؤمن الفقير والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم ولو حمل على صغيرة لم يبعد قاله القشيري والوقف على كلا على هذا الوجه جائز ويجوز ان يقف على تلهى ثم يبتدي كلا على معنى حقا انها اي السورة او آيات القران تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق • فمن شاء ذكره • اي اتعظ بالقران قال الجرجاني انها اي القران والقران مذكر الا انه لما جعل القران تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال في موضع اخر كلا انه تذكرة ويدل على انه اراد القران قوله فمن شاء ذكره • اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى الهمه ثم اخبر عن جلالته فقال • في صحف • جمع صحيفة • مكرمة • اي عند الله قاله السدي الطبري مكرمة في الدين لما فيها من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة او لانها نازلة من اللوح المحفوظ وقيل مكرمة لانها نزلت من كريم لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه وقيل المراد كتب الانبياء دليله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى • مرفوعة • رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة عنده تبارك وتعالى وقيل مرفوعة في السماء السابعة قال يحيى بن سلام الطبري مرفوعة الذكر والقدر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض • مطهرة • قال الحسن من كل دنس وقيل مصانة عن ان ينالها الكفار وهو معنى قول السدي وعن الحسن ايضا مطهرة من ان تنزل على المشركين وقيل اي القران اثبت للملائكة في صحف يقرؤونها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة • بايدي سفرة • اي الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله فهم • كرام بررة • لم يتدنسوا بمعصية وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مطهرة تجعل التطهير لمن حملها بايدي سفرة قال كتبة وقال مجاهد ايضا وهم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار التي هي الكتب واحدهم سافر وجمعه اسفار قال الزجاج وانما قيل للكتاب سفر بكسر السين وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال اسفر الصبح اذا اضاء وسفرت المراة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومنه سفرت بين القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم وقاله الفراء وانشد فما ادع السفارة بين قومي • ولا امشي بغش ان مشيت • والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء ويقال للوراقين سفراء بلغة العبرانية وقال قتادة السفرة هنا هم القراء لانهم يقرؤون الاسفار وعنه ايضا كقول ابن عباس وقال وهب بن منبه بايدي سفرة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة كراما بررة ولكن ليسوا مرادين بهذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم وروي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي يقرا القران وهو حافظ مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرا وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله اجران متفق عليه واللفظ للبخاري كرام اي كرام على ربهم قاله الكلبي الحسن كرام عن المعاصي فهم يرفعون انفسهم عنها وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او تبرز لغائط وقيل اي يؤثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين

لله صادقين الله في اعمالهم وقد مضى في الواقعة قوله انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره • قتل اي لعن وقيل عذب والانسان الكافر وروى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران قتل الانسان فانما عني به الكافر وروى الضحاك عن ابن عباس قال نزلت في عتبة بن ابي لهب وكان قد امن فلما نزلت والنجم ارتد وقال امنت بالقران كله الا النجم فانزل الله جل ثناؤه فيه قتل الانسان اي لعن عتبة حيث كفر بالقران ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبك اسد الغاضرة فخرج عتبة الى الشام فنزل في بعض الطريق فذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان هو اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا المتاع حوله فبينما هم على ذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرحال وثب فاذا هو فوقه فمزقه وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيئا قط الا كان وروى ابو صالح عن ابن عباس ما اكفره اي شيء اكفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب ايضا قال ابن جريج اي ما اشد كفره وقيل ما استفهام اي اي شيء دعاه الى الكفر فهو استفهام توبيخ وما تحتمل التعجب وتحتمل معنى اي فيكون استفهاما • من اي شيء خلقه • اي من شيء خلق الله هذا الكافر اي اعجبوا لخلقه • من نطفة • اي من ماء يسير مهين جماد • خلقه • فلم يغلط في نفسه قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين • فقدره • اي في بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن عباس اي قدر يديه ورجليه وعينيه وساير آرابه وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل فقدره اي فسواه كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقال الذي خلقك فسواك وقيل فقدره اطوارا من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه • ثم السبيل يسره • قال ابن عباس في رواية عطاء وقتادة والسدي ومقاتل يسره للخروج من بطن امه مجاهد يسره لطريق الخير والشر اي بين له ذلك دليله انا هديناه السبيل وهديناه النجدين وقال الحسن وعطاء وابن عباس ايضا في رواية ابي صالح عنه وعن مجاهد ايضا قال سبيل الشقاء والسعادة ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له • ثم اماته فاقبره • اي جعل له قبرا يواري فيه اكراما ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافي قاله الفراء وقال ابو عبيدة اقبره جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيدة ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وقال اقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده قال الاعشى لو اسندت ميتا الى نحرها • لعاش ولم ينقل الى قابر • يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا تقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره طريدا • ثم اذا شاء انشره • اي احياه بعد موته وقراءة العامة انشره بالالف وروى ابو حيوة عن نافع وشعيب بن ابي حمزة شاء نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى يقال انشر الله الميت ونشره قال الاعشى حتى يقول الناس مما راوا • يا عجبا للميت الناشر • قوله تعالى كلا لما يقض ما امره • لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب آدم ثم قيل كلا ردع وزجر اي ليس الامر كما يقول الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى ربما يقول قد قضيت ما امرت به فقال كلا لما يقض شيئا بل هو كافر بي وبرسولي وقال الحسن اي حقا لم يقض اي لم يعمل بما امر به وما في قوله لما عماد للكلام كقوله فبما رحمة من الله وقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام ابن فورك اي كلا لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له ابن الانباري الوقف على كلا قبيح والوقف على امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه • لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر

كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيأ له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وروي عن الحسن
ومجاهد قال فلينظر الانسان الى طعامه اي الى مدخله ومخرجه وروى ابن ابي خيثمة عن الضحاك بن سفيان
الكلابي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ما
ذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا فان قزحه واصلحه فلينظر الى ما
يصير قال ابو الوليد سالت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول انظر
الى ما بخلت به الى ما صار قوله تعالى انا صببنا الماء صبا • قراءة العامة انا بالكسر على الاستيناف وقرا الكوفيون
ورويس عن يعقوب انا بفتح الهمزة فان في موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه كانه قال فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقوف على طعامه من هذه القراءة وكذلك ان رفعت ان باضمار
هو انا صببنا فاخرجنا به الطعام اي كذلك كان وقرا بعض القراء انى بمعنى كيف فمن اخذ بهذه القراءة
قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى انى اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من اي وجه صببنا الماء
قال الكميت انى ومن اين آبك الطرب • من حيث لا صبوة ولا ريب • صببنا الماء صبا يعني الغيث والامطار
ثم شققنا الارض شقا • اي بالنبات • فانبتنا فيها حبا • اي قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد ويدخر
وعنبا وقضبا • وهو القت والعلف سمي بذلك لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله وعنه ايضا انه
الفصفصة وهو القت الرطب وقال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وقيل يابسين فاذا يبست فهو قت
قال القضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسي ويقال القضبا يعني جميع ما يقضب
مثل القت والكراث وساير البقول التي تقطع فينبت اصله وفي الصحاح والقضبة الرطبة وهي الاسفست
بالفارسية والموضع الذي ينبت فيه مقضبة • وزيتونا • وهي شجرة الزيتون • ونخلا • يعني النخل • وحدائق
اي بساتين واحدها حديقة قال الكلبي كل شيء احيط عليه من نخل او شجر فهو حديقة وما لم يحط به فليس
بحديقة • غلبا • طوالا شجرها يقال شجرة غلبا ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا
قال العجاج ما زلت يوم البين الوي صلبي • والراس حتى صرت مثل الاغلب • اذا كان بين الغلب اذا كان
غليظ الرقبة والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب
الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا • وحديقة غلبا ملتفة وحدائق غلب واغلولب العشب
بلغ والتف البعض بالبعض قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال قتادة وابن
زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد وعكرمة عظام الاوساط والجذوع مجاهد ملتفة • وفاكهة • اي ما
تاكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما • وابا • هو ما تاكله البهايم من العشب قال ابن عباس والحسن
الاب كل ما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم • له دعوة ميمونة ريحها الصبا • بها ينبت الله الحصايد والابا • وقيل انما سمي الاب لانه يوب اي
يؤم وينتجع والاب والام والاخوان قال جذنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب به والمكرع • قال الضحاك
الاب كل شيء ينبت على وجه الارض وكذا قال ابو رزين هو النبات يدل عليه قول ابن عباس الاب ما ينبت
على الارض مما ياكل الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة قال الضحاك هو التين
خاصة وهو يحكى عن ابن عباس ايضا قال الشاعر فما لهم مرتع للسوام • والاب عندهم يقدر • الكلبي هو كل نبات
سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابرهيم التيمي سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه
عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال سمعت
عمر بن الخطاب قرا هذه الاية ثم قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكليف
وما عليك يا عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم انه قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله خلقتم من
سبع يعني من نطفة ثم من علقة الاية والرزق من سبع وهو قوله فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله وفاكهة
ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانه مما يختص بالبهايم والله اعلم • متاعا لكم • نصب على المصدر
المؤكد لان انبات هذه الاشياء متاع لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم
كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع ويتضمن امتنانا عليهم بما انعم به وقد مضى في غير
موضع ايضا قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة • لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال
الصالحة والانفاق مما امتن به عليهم والصاخة الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصخ الاسماع
اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به الاحياء وذكر ناس من المفسرين قال تصيخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا
اي استمع اليه ومنه الحديث ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس
وقال الشاعر يصيخ للنبأة اسماعه • اصاخة الناشد للمنشد • قال بعض العلماء وهذا يؤخذ على وجه التسليم للقدما
فاما اللغة فمقتضاها القول الاول قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها بشدة وقعتها
واصل الكلمة في اللغة الصك الشديد وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اذا صكه قال الراجز يا جارتي هل لك
ان تجالدي • جلادة كالصك بالجلامد • ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وباقتهم البايقة
وهي الداهية الطبري احسبه من صخ فلان فلانا اذا اصمه ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة
وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض حديثي الاسنان • حدثني الازمان • اصم بك الناعي وان سمعا وقال
اخر اصمني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما • ولعمر الله صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع
امور الاخرة قوله تعالى يوم يفر المرء • اي يهرب اي تجيء الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من اخيه • اي من موالاة
اخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعده • لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه • اي
يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه لما بينهم من التبعات وقيل لئلا يروا ما هو فيه من
الشدة وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا وقال عبد الله
ابن طاهر الابهري يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم
ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى • وصاحبته • اي زوجته • وبنيه • اي اولاده
وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه وابرهيم ع
من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط من امراته وادم من سوءة بنيه قال الحسن اول من يفر يوم القيامة
من ابيه ابرهيم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من امراته لوط قال فيرون ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا
اقرار النبوة • لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه • في صحيح مسلم عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلعم يقول يحشر
الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر
اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض خرجه الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلعم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة
اننظر او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث حسن صحيح
وقراءة العامة بالغين المعجمة اي حال يشغله عن الاقرباء وقرا ابن محيصن وحميد يعنيه ويصده عن قرابته ومنه
يقال اعن عني وجهك اي اصرفه واعن عن السفيه قال خفاف سيعنيك حرب بني مالك • عن الفحش والجهل في المجهل •
قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة • اي مشرقة مضيئة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم وهي وجوه المؤمنين • ضاحكة
اي مسرورة فرحة قوله مستبشرة • اي بما اتاها الله من الكرامة وقال عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت
في سبيل الله جل ثناؤه ذكره ابو نعيم الضحاك من اثار الوضوء ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار يقال اسفر الصبح اذا اضاء • ووجوه يومئذ عليها غبرة • اي غبار ودخان

ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قال ابن عباس وعنه ايضا ذلة وشدة والقترة في كلام العرب
الغبار جمع القتر عن ابي عبيد وانشد الفرزدق متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا وفي الخبر
ان البهايم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السماء
والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد اولئك هم الكفرة جمع كافر الفجرة جمع فاجر وهو الكاذب
المفتري على الله وقيل الفاسق يقال فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل وقد مضى بيانه
والكلام فيه والله اعلم سورة التكوير مكية في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية وفي الترمذي عن ابن عباس

تفسير سورة التكوير
وهي مكية

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت
قال هذا حديث حسن بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا الشمس كورت قال ابن عباس تكويرها ادخالها
في العرش الحسن ذهاب ضوءها وقاله قتادة ومجاهد وروي عن ابن عباس ايضا سعيد بن جبير عورت ابو عبيدة
كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى وقال الربيع بن خيثم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور اي سقط قال
الشيخ المؤلف رحمه الله واصل التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة على راسه يكورها اي لاثها وجمعها فهي
متكورة يمحى ضوءها ثم يرمى بها والله اعلم وعن ابن عباس كورت نكست واذا النجوم انكدرت اي تهافتت
وتناثرت وقال ابو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب اذا كسرت قال العجاج يصف صقرا ابصر خربان فضاء
فانكدر تقضي البازي اذا البازي كسر وروى ابو صالح عن ابن عباس قال لا يبقى في السماء يومئذ نجم الا سقط
في الارض حتى يفزع اهل الارضين السبع مما لقيت واصاب العليا يعني الارض وروى الضحاك عن ابن عباس
قال تساقطت وذلك انها قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي
ملائكة من نور فاذا جاءت النفخة الاولى مات من في السموات ومن في الارض فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت
السلاسل من ايدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها ويحتمل ان يكون انكدارها طمس آثارها وسميت النجوم
نجوما لظهورها في السماء بضوءها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها
والمعنى متقارب واذا الجبال سيرت يعني قلعت من الارض وسيرت في الهواء وهو مثل قوله ويوم نسير الجبال وترى
الارض بارزة وقيل تسييرها اي تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن
وتكون هباء منثورا وتكون سرابا مثل السراب الذي ليس بشيء وعادت الارض قاعا صفصفا وقد تقدم في
غير موضع واذا العشار عطلت اي النوق الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة عشراء وهي التي اتى عليها
في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعدما تضع ايضا ومن عادت العرب ان يسموا الشي باسمه
المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح هاتوا مهري يسميه بمتقدم اسمه قال عنترة
لا تذكري مهري وما اطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجرب وقال ايضا وحملت مهري وسطها فمضاها
وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما تكون على العرب وليس يعطلها اهلها الا حال القيمة وهذا على وجه
المثل لان في القيمة لا يكون ناقة عشراء ولكن اراد به المثل ان هول يوم القيمة بحال لو كان للرجل
ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم اذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا وراوا الوحوش
والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت انفس اموالهم لم يعبؤا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب بامر
العشار لان مالها وعيشها اكثر من الابل وروى الضحاك عن ابن عباس عطلت عطلها اهلها لاشتغالهم
بانفسهم وقال الاعشى هو الواهب المائة المصطفاة اما مخاضا واما عشارا وقال ومانيع الزوار مال
مزورهم اذا سرحت شول له وعشار يقال ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عشراوات يبدلون
من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشراء وقيل العشار السحاب تعطل مما
يكون فيه وهو الماء فلا يمطر والعرب يشبه السحاب بالحامل وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل

الارض

الارض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع والاول اشهر وعليه من الناس الاكثر واذا الوحوش حشرت اي جمعت والحشر
الجمع عن الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس ايضا قال يحشر كل شي حتى الذباب وقال ايضا تحشر الوحوش غدا اي
تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت مما رواه عنه عكرمة وقد بيناه
في كتاب التذكرة مستوفى ومضى في سورة الانعام بعضه اي اذا كانت الوحوش هذه حالها فكيف بني آدم
وقيل عني بهذا اي انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال
ذلك اليوم قال معناه ابي بن كعب واذا البحار سجرت اي ملئت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره
سجرا اذا ملاته فهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع بن خيثم سجرت فاضت وملئت
فيفضي بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل عذبها على مالحها ومالحها
على عذبها حتى امتلات عن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرا واحدا القشيري وذلك بان يرفع
الله الحاجز الذي ذكره في قوله بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض
كلها وصارت البحار بحرا واحدا وقيل صارت بحرا واحدا من الحميم لاهل النار وعن الحسن ايضا وقتادة وابن
حيان تيبس فلا يبقى من مائها قطرة القشيري وهو من سجرت التنور اذا احميته وما يسلط عليه الايقاد نشف
ما فيه من الرطوبة وتسير الجبال حينئذ وتصير الجبال والارض كلها شيئا واحدا بان يملا مكان البحار سراب
الجبال وقال النحاس وقد تكون الاقوال متفقة يبيس من الماء بعد ان يفيض بعضها الى بعض فتقلب نارا قال الشيخ المؤلف
رحمه الله ثم تسير الجبال حينئذ كما ذكر القشيري والله اعلم وقال ابن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وابي وعلي ابن
ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه اوقدت فصارت نارا قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر
ثم يبعث عليها ريحا دبورا فينفخه حتى يصير نارا وكذا في بعض الحديث فامر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرن
في البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها نارا فتلك نار الله الكبرى التي يعذب الله بها الكفار قال القشيري
قيل في تفسير قول ابن عباس سجرت اوقدت يحتمل ان تكون جهنم في قعور من البحار فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا
فاذا انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان تكون تحت البحر نار ثم يوقد الله البحر
كله فيصير نارا وفي الخبر البحر نار في نار وقال معاوية بن سعيد بحر الروم وسط الارض اسفله آبار مطبقة بنحاس
يسجر يوم القيمة وقد تكون الشمس في البحر فيكون البحر نارا بحر الشمس ثم جميع ما في هذه الآيات يجوز ان يكون
يوم القيمة وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيمة قال المؤلف رحمه الله روي عن عبد الله بن عمرو لا يتوضا بماء
البحر لانه طبق جهنم وقال ابي بن كعب ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم ذهب ضوء الشمس
وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت
هباء منثورا ففزع الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها في
بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج
فبينما هم كذلك اذ انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم
كذلك اذ جاءت ريح فاماتتهم وقيل معنى سجرت هو حمرة مائها حتى تصير كالدم ماخوذ من قولهم عين سجراء
اي حمراء وقرا ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا اخبارا عن حالها مرة واحدة وقرا الباقون بالتشديد اخبارا
عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد اخرى قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال النعمان بن بشير قال
النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون لعمله وقال عمر بن الخطاب يقرن الفاجر
مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال ابن عباس ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج
يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج وعنه ايضا قال زوجت نفوس المؤمنين بالحور
العين وقرن الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وعنه ايضا قرن كل شكل بشكله من اهل الجنة

واهل النار فيضم المبرز في الطاعة الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله والمعنى واذا النفوس قرنت الى اشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال عبد الرحمن بن زيد جعلوا ازواجا على اشباه اعمالهم ليس بتزويج اصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والسابقون زوج وقد قال جل ثناؤه احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم وقال عكرمة واذا النفوس زوجت قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها وقال الحسن الحق كل امرئ شيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض المنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من شيطان او انسان على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع بمن دعاه الى الطاعة من الانبياء والمؤمنين وقيل قرنت النفوس باعمالها فصارت لاختصاصها به كالتزويج قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت • باي ذنب قتلت • الموؤدة المقتولة وهي الجارية تدفن وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اي يثقلها حتى تموت ومنه قوله تعالى ولا يؤده حفظهما اي يثقله وقال متمم بن نويرة وموؤدة مقبورة في مفازة • بآمتها موسومة لم تمهد • وكانوا يدفنون احياء لخصلتين احداهما كانوا يقولون الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به الثانية اما مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق وقد مضى في سورة النحل هذا المعنى عند قوله ام يدسه في التراب مستوفى وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر به الفرزدق فقال ومنا الذي منع الوائدات • واحيا الوئيد فلم يوأد • يعني جده صعصعة كان يشتريهن من ابائهن فجاء الاسلام وقد احيا سبعين موؤدة وقال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز سميتها اذ ولدت تموت • والقبر صهر ضامن زميت • الزميت الوقور والزميت مثال الفسيق اوقر من الزميت وفلان ازمت الناس اي اوقرهم وما اشد تزمته عن الفراء وقال قتادة كانت الجاهلية يقتل احدهم ابنته ويغذو كلبه فعاتبهم الله على ذلك وتوعدهم بقوله واذا الموؤدة سئلت وقال عمر في قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى النبي صلعم فقال يا رسول الله اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وقوله سئلت سؤال الموؤدة سؤال توبيخ لقاتلها كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله ان يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقال زيد بن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وذكر بعض اهل العلم في قوله سئلت قال طلبت كانه يريد كما يطلب بدم القتيل قال وهو كقوله وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادكم وقرا الضحاك وابو الضحى وجابر بن زيد وابو صالح واذا الموؤدة سألت فتتعلق الجارية بابيها فتقول باي ذنب قتلتني فلا يكون له عذر قاله ابن عباس وكان يقرا واذا الموؤدة سألت وكذلك هو في مصحف ابي وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلعم قال ان المراة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثدييها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والقول الاول عليه الجمهور وهو مثل قوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤالهم الموؤدة توبيخ لوائدها وهو ابلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما لا يصلح الا بذنب فبأي ذنب كان ذلك واذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها والله اعلم وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون على ان التعذيب لا يستحق الا بذنب قوله تعالى واذا الصحف نشرت • اي

فتحت

فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل اهلها من خير وشر تطوى بالموت وتنشر بالقيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وروى عن مرثد بن وداعة قال اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية الى قوله الخالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم الى قوله ولا كريم وروى عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلعم قال يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة فقلت يا رسول الله كيف بالنساء قال شغل الناس يا ام سلمة قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقد مضى في سبحان قول ابي السوار العدوي هما نشرتان وطية اما ما حييت يا ابن ادم فصحيفتك المنشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اذا مات المرء طويت صحيفة اعماله فاذا كان يوم القيمة نشرت اقرا كتابك وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر يوم القيمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو عمرو نشرت مخففا على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة والباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرار ذلك من الانسان والملائكة الشهداء عليه قوله تعالى واذا السماء كشطت • الكشط قلع عن شدة التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره والقشط لغة فيه وفي قراءة عبد الله واذا السماء قشطت وكشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخته لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته وانكشط اي ذهب فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء وقيل تطوى كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب فكان المعنى قلعت فطويت والله اعلم قوله تعالى واذا الجحيم سعرت • اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف من السعير وقرا نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد لانها اوقدت مرة بعد مرة قال قتادة سعرها غضب الله وخطايا بني ادم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وروي موقوفا قوله تعالى واذا الجنة ازلفت • اي دنيت وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وكان عبد الرحمن بن زيد يقول زينت والزلفى في كلام العرب القربة قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وتزلف فلان تقرب قوله تعالى علمت نفس ما احضرت • يعني ما عملت من خير وشر وهذا جواب اذا الشمس كورت وما بعدها قال عمر رضي الله عنه لهذا اجري الحديث وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرا فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة فالمعنى على هذا اذا الشمس كورت وكانت هذه الاشياء علمت نفس ما احضرت من عملها وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلعم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر اشام منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل وقال الحسن اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة ازلفت اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وقد بينا الستة الاول بقول ابي بن كعب قوله تعالى فلا اقسم • اي اقسم ولا زائدة كما تقدم • بالخنس الجوار الكنس • هي الكواكب الخمسة الدراري زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة فيما ذكر اهل التفاسير والله اعلم وهو مروي عن علي كرم الله وجهه وفي تخصيصها بالذكر من بين ساير النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي النجوم التي تخنس بالنهار واذا غربت وقال علي رضي الله عنه هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها فلا ترى وفي الصحاح والخنس الكواكب كلها لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى نهارا ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة وقال الفراء في قوله تعالى فلا

اقسم بالخنس الجواري الكنس انها النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في مجراها وتكنس اي
تستتر كما تكنس الظبا في الغار ويقال سميت خنسا لتاخرها لانها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم يقال خنس
عنه يخنس بالضم خنوسا تاخر واخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
قليل في الارنبة والرجل اخنس والمراة خنسا والبقر كلها خنس وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى
فلا اقسم بالخنس هي بقر الوحش روى هشيم عن زكريا عن ابي اسحق عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال قال لي عبد الله
ابن مسعود انكم قوم عرب فما الخنس قلت هي بقر الوحش قال وانا ارى ذلك وقاله ابرهيم وجابر بن عبد الله
وروي عن ابن عباس انما اقسم الله ببقر الوحش وروى عنه عكرمة قال الخنس البقر والكنس الظبا فهي خنس
اذا رأين الانسان خنسن وانقبضن وتاخرن ودخلن كناسهن القشيري وقيل على هذا الخنس من الخنس في الانف
وهو تاخير الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظبا خنس والاصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد
هذا فذكر النجوم اليق بذلك قال المؤلف رحمه الله لله سبحانه ان يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان
وجماد وان لم يعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابيان والنخعي
انها بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انها الظبا وعن الحجاج بن منذر قال سالت جابر بن زيد
عن الجواري الكنس فقال الظبا والبقر فلا يبعد ان يكون المراد النجوم وقيل انها الملائكة حكاه الماوردي
والكنس الغيب ماخوذ من الكنس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه قال اوس بن حجر الم تر ان الله انزل مزنه
وعفر الظبا في الكناس تقمع وقال طرفة كان كناسي ضالة يكنفانها واطر قسي تحت صلب مؤيد وقيل
المكنوبات تاوي الى مكانسها وهي المواضع التي تاوي اليها الوحوش والظبا قال الاعشى فلما اتينا الحي اتلع انس
كما التفت تحت المكانس ربرب يقال تلع النهار ارتفع واتلعت الربوة من كناسها اي سمت بجيدها وقال
امرؤ القيس تعشى قليلا ثم انحى ظلوفه يثير التراب عن مبيت ومكنس والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس
جمع خانس وخانسة والجواري جمع جارية من جرى يجري والليل اذا عسعس قال الفرا اجمع المفسرون على معنى
عسعس ادبر حكاه الجوهري وقال بعض اصحابنا انه دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض
المهدوي والليل اذا عسعس ادبر بظلامه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وروي عنهما ايضا وعن الحسن وغيرهم
اقبل بظلامه زيد بن اسلم عسعس ذهب لغة العرب تقول عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه الا اليسير الخليل
وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام
في اوله وادباره في اخره قال علقمة بن قرط حتى اذا الصبح لنا تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقال رؤبة
يا هند ما اسرع ما تعسعسا من بعد ما كان فتى ترعرعا وهذه حجة الفرا وقال امرؤ القيس عسعس حتى لو نشا
اذا وقال كان من ناره مقتبس فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس اظلم قال الشاعر حتى اذا ما
ليلهن عسعسا ركبن من حد الظلام حندسا الماوردي واصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس
لامتلائه وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه واما قول امرئ القيس الما على الربع القديم بعسعسا فموضع
بالبادية وعسعس ايضا اسم رجل قال الراجز وعسعس نعم الفتى تبياه اي تعتمده ويقال للذيب العسعس
والعساعس والعساس لانه يعس بالليل قال ابو عمرو والتعسعس الشم وانشد كمنخر الذيب اذا تعسعسا والتعسعس
ايضا طلب الصيد قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار اذا زاد تنفس وكذلك
المرج اذا اتسع الماء ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وقيل اذا تنفس اي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس
اذا تصدعت انه لقول رسول كريم هذا جواب القسم والرسول الكريم جبريل قاله الحسن وقتادة والضحاك والمعنى
انه لقول رسول عن الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل ثم عداه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم
اهل التحقيق في التصديق انه الله عز وجل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذي قوة من جملة جبريل

فقوته ظاهرة وروى الضحاك عن ابن عباس قال من قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحه عند ذي العرش
عند الله جل ثناؤه مكين اي ذي منزلة ومكانة فروي عن ابي صالح قال يدخل سبعين سرادقا بغير اذن مطاع ثم
اي في السموات قال ابن عباس من طاعة الملائكة جبريل انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان
خازن الجنان افتح له ففتح فدخل وراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها فاطاعه وفتح له امين
اي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي
يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون حتى يتهم في قوله وهو جواب القسم وقيل
اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يرى جبريل في الصورة التي يكون فيها عند الله جل وعز فقال ما ذاك الي فاذن له الرب
جل ثناؤه فاتاه وقد سد الافق فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فقال المشركون انه مجنون
فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم بمجنون وانما راى جبريل على صورته فهابه وورد عليه ما لم تحتمل بنيته
فخر مغشيا عليه قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين اي راى جبريل في صورته له ستماية جناح بالافق المبين اي
مطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين اي من جهته ترى الاشياء
وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها قال الشاعر اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع الماوردي
فعلى هذا فيه ثلاثة اقاويل احدها انه راه في افق السماء الشرقي قاله سفيان الثاني في افق السماء الغربي
حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقدر على ذلك قال بلى قال فاين تشا
ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال بعرفات قال ذلك بالحري اي يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الموقف
فاذا هو قد اقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في السماء ورجلاه
في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل في صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد
لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش على كاهله
وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا
عظمته وقيل ان محمدا عليه السلام راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو معنى قول ابن مسعود وقد مضى
القول في هذا في سورة والنجم مستوفى فتامله هناك وفي المبين قولان احدهما انه صفة الافق قاله الربيع
الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد وما هو على الغيب بظنين بالظاء قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي
اي بمتهم والظنة التهمة قال الشاعر اما وكتاب الله لا عن شناءة هجرت ولكن الظنين ظنين واختاره
ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولان الاكثر من كلام العرب ما هو بكذا ولا يقولون ما هو على كذا
انما يقولون ما انت على هذا بمتهم وقرا الباقون بضنين بالضاد اي ببخيل من ضننت بالشيء اضن ضنا
فروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقال الشاعر اجود بمكنون
الحديث وانني بسرك عمن سالني لضنين والغيب القران وخبر السماء ثم هذا صفة محمد وقيل صفة
جبريل وقيل بظنين بضعيف حكاه الفرا والمبرد يقال رجل ظنين اي ضعيف وبئر ظنون اذا كانت
قليلة الماء قال الاعشى ما جعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي اذا ما طما يقذف
بالبوصي والماهر والظنون الدين الذي لا تدري ايقضيه اخذه ام لا ومنه حديث علي عليه السلام
في الرجل يكون له الدين الظنون قال يزكيه لما مضى اذا قبضه ان كان صادقا والظنون الرجل السيئ
الخلق فهو لفظ مشترك وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم اي مرجوم ملعون كما قالت قريش قال
عطا يريد بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه اي يغيبه فاين تذهبون
قال قتادة فالى اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته كذا روى معمر عن قتادة اي اين تذهبون عن كتابي

وطاعتي وقال الزجاج فاي طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ويقال اين تذهب والى اين
تذهب وحكى الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف
الثلاثة وانشد لبعض بني عقيل تصيح بنا حنيفة اذ راتنا • واي الارض تذهب بالصياح يريد الى اي ارض فحذف
الى وقال الجنيد معنى الاية مقرون باية اخرى وهو قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه المعنى اي طريق تسلكون
ابين من الطريق الذي بينته لكم وهذا معنى قول الزجاج ان هو • يعني القران • الا ذكر للعالمين • اي موعظة
وزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر لمن شاء منكم ان يستقيم • قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان
شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزلت • وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين • فبين
بهذا انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه وقال الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام
حتى شاء الله لها وقال وهب بن منبه قرات في سبعة وثمانين كتابا مما انزل الله على الانبياء من جعل
الى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله الا ان يشاء الله
وقال وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاي في هذا
كثير وكذلك الاخبار وان الله سبحانه هدى بالاسلام واضل بالكفر كما تقدم في غير موضع والله اعلم

سورة الانفطار مكية عند الجميع وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء — تفسير سورة الانفطار وهي مكية
انفطرت • اي تشققت بامر الله لنزول الملائكة كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وقيل تفطرت لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر
وتفطر الشيء تشقق وسيف فطار اي فيه شقوق قال عنترة وسيفي كالعقيق فهو كمعي • سلاحي لا افل ولا فطارا
وقد تقدم في غير موضع • واذا الكواكب انتثرت • اي تساقطت نثرت الشيء انثره نثرا فانتثر والاسم النثار
والنثار بالضم ما تناثر من الشيء ودر منثر شدد للكثرة • واذا البحار فجرت • اي فجر بعضها في بعض فصار
بحرا واحدا على ما تقدم وقال الحسن فجرت ذهب ماؤها ويبست وذلك انها اولا راكدة مجتمعة فاذا فجرت
تفرقت فذهب ماؤها وهذه الاشياء بين يدي الساعة على ما تقدم في اذا الشمس كورت • واذا القبور بعثرت •
اي قلبت فاخرج ما فيها من اهلها احياء يقال بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته
اذا هدمته وجعلت اسفله اعلاه وقال قوم منهم الفرا بعثرت اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك
من اشراط الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها • علمت نفس ما قدمت واخرت • مثل ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وقد تقدم وهذا جواب اذا السماء انفطرت لانه قسم في قول الحسن وقع على قوله علمت نفس
يقول اذا بدت هذه الامور من اشراط الساعة ختمت الاعمال فعلمت كل نفس ما كسبت فانها لا ينفعها عمل بعد
ذلك وقيل اذا كانت هذه الاشياء قامت القيمة فحوسبت كل نفس بما عملت واوتيت كتابها بيمينها او شمالها
فتذكرت عند قراءته جميع اعمالها وقيل هو خبر وليس بقسم وهو الصحيح ان شاء الله قوله تعالى يا ايها الانسان •
خاطب بهذا منكري البعث وقال ابن عباس الانسان هنا الوليد بن المغيرة وقال عكرمة ابي بن خلف وقيل نزلت
في ابي الاسد بن كلدة الجمحي عن ابن عباس ايضا • ما غرك بربك الكريم • اي ما الذي غرك حتى كفرت بربك الكريم
اي المتجاوز عنك قال قتادة غره شيطانه الخبيث وقيل حمقه وجهله رواه الحسن عن علي رضي الله عنه وروى
غالب الحنفي قال لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال غره الجهل وقال صالح بن مسمار بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقال عمر رضي الله عنه كما قال الله انه كان ظلوما جهولا وقيل غره
عفو الله اذ لم يعاقبه في اول مرة قال ابرهيم بن الاشعث قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله بين يديه فقال لك ما
غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت اقول غرني ستورك المرخاة لان الكريم هو الستار نظم ابن السماك
ذلك فقال يا كاتم الذنب اما تستحي • والله في الخلوة ثانيكا • غرك من ربك امهاله • وستره طول مساويكا وقال

ذوالنون يا من على في النهي والتيه • وغره طول تماديه • املى لك الله فبارزته • ولم تخف غب معاصيه • وروي عن
علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يجبه فنظر فاذا هو في الباب فقال ما لك لا تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني
من عقوبتك فاستحسن جوابه فاعتقه وناس يقولون ما غرك ما خدعك وسول لك حتى اضعت ما عليك وقال
ابن مسعود ما منكم من احد الا وسيخلو الله به يوم القيمة فيقول له يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت
فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين • الذي خلقك • اي قدر خلقك • فسواك • في بطن امك وجعل لك يدين
ورجلين وعينين وساير اعضائك • فعدلك • اي جعلك معتدلا سوي الخلق كما يقال هذا شيء معدل وهذه
قراءة العامة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال الفرا وابو عبيد يدل عليه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وقرا الكوفيون فعدلك مخففا اي امالك وصرفك الى اي صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما
طويلا واما قصيرا وقال نجرة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين
ادم اما قرات هذه الاية • في اي صورة ما شاء ركبك • قال ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان
شاء في صورة قرد وان شاء في صورة خنزير وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء انثى وقال مجاهد في اي صورة اي
في اي شبه من اب او ام او عم او خال او غيرهما وفي متعلقة بركبك ولا تتعلق بعدلك على قراءة من خفف
لانك تقول عدلت الى كذا ولا تقول عدلت في كذا ولذلك منع الفرا التخفيف لانه قدر في متعلقة بعدلك
وما يجوز ان تكون صلة موكدة اي في اي صورة شاء ركبك ويجوز ان تكون شرطية اي ان شاء ركبك
في غير صورة الانسان من صورة قرد او حمار او خنزير فما بمعنى الشرط والجزا اي في صورة ما شاء ان يركبك فيها
ركبك قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين • يجوز ان يكون كلا بمعنى حقا او الا فيبتدا بها ويجوز ان تكون بمعنى لا على
ان يكون المعنى ليس الامر على ما تقولون من انكم في عبادتكم غير الله محقون يدل على ذلك قوله تعالى ما غرك بربك الكريم
وكذلك يقول الفرا يصير المعنى ليس كما غررت به وقيل اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث وقيل هو بمعنى الردع
والزجر اي لا تغتروا بحلم الله وكرمه فتتركوا التفكر في اياته ابن الانباري الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك
والوقف على كلا قبيح بل تكذبون يا اهل مكة بالدين اي بالحساب وبل لنفي شيء تقدم وتحقيق غيره وانكارهم
للبعث كان معلوما وان لم يجر له ذكر في هذه السورة قوله تعالى وان عليكم لحافظين • اي رقباء من الملائكة
كراما • اي على الله كقوله تعالى كرام بررة وههنا ثلاث مسائل الاولى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الكرام
الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الخراة والجماع فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجرم او غيره
او ليستره اخوه وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي العورة وروي ان العبد
اذا دخل الحمام بغير ميزر لعنه ملكاه الثانية واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة ام لا فقال بعضهم لا
لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى كلا بل
تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون • وقال واما من اوتي كتابه بشماله
وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فان قيل
الذي عن يمينه ايش يكتب ولا حسنة له قيل له الذي يكتب عن شماله يكون باذن صاحبه ويكون شاهدا
على ذلك وان لم يكتب والله اعلم الثالثة سئل سفيان كيف يعلم الملائكة ان العبد قد هم بحسنة او سيئة
فقال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقد مضى في ق عند
قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الاية وقد كره العلماء الكلام عند الغايط
والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك وقد مضى في اخر ال عمران القول في هذا وعن الحسن يعلمون لا يخفى عليهم
شيء من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به انفسكم والله اعلم قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم • تقسيم مثل قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وقال يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا

الايتين• يصلونها• اي يصيبهم لهبها وحرها• يوم الدين• اي يوم الجزا والحساب وكرر ذكره تعظيما لشانه
نحو قوله القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة وقال ابن عباس فيما روي عنه كل شي في القران من قوله
وما ادراك فقد ادراه وكل شي من قوله وما يدريك فقد طوي عنه• يوم لا تملك نفس• قرا ابن كثير وابو
عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين او ردا على اليوم الاول فيكون صفة ونعتا ليوم الدين ويجوز ان يرفع
باضمار هو الباقون بالنصب على انه موضع رفع الا انه نصب لانه مضاف غير متمكن كما تقول اعجبني يوم يقوم
زيد وانشد المبرد من اي يومين من الموت افر• ايوم لم يقدر ام يوم قدر• فاليومان الثانيان مخفوضان
بالاضافة على الترجمة عن اليومين الاولين الا انهما نصبا في اللفظ لانهما اضيفا الى غير محض وهذا اختيار
الفرا والزجاج وقال قوم اليوم الثاني منصوب على المحل كانه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا• وقيل
بمعنى ان هذه الاشيا تكون يوم او على انهم يدانون يوم لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر• والامر
يومئذ لله• لا ينازعه فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم تمت السورة

سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل
قال مقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات من قوله تعالى
ان الذين اجرموا الى اخرها مكي وقال الكلبي وجابر ابن زيد نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون
اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل للمطففين• فيه اربع مسايل الاولى روى النسائي عن ابن
عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين
فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفرا فهم اوفى من الناس كيلا الى يومهم وعن ابن عباس ايضا قال هي اول
سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح
واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال
قوم نزلت في رجل يعرف بابي جهينة واسمه عمرو كان له صاعان ياخذ بواحد ويعطي باخر قاله ابو
هريرة رضي الله عنه الثانية قوله ويل اي شدة عذاب في الاخرة وقال ابن عباس انه واد في جهنم يسيل
فيه صديد اهل النار فهو قوله تعالى ويل للمطففين اي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم وروي
عن ابن عمر قال المطفف الرجل يستاجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه وقال اخرون
التطفيف في الكيل والوزن والوضو والصلاة والحديث وفي الموطا قال مالك ويقال لكل شي
وفا وتطفيف وروي عن سالم بن ابي الجعد قال الصلاة بمكيال فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال
الله عز وجل ويل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من التطفيف وهو القليل والمطفف
هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل او وزن وقال الزجاج انما قيل للفاعل من هذا مطفف
لانه لا يكاد يسرق من الميزان والمكيال الا الشي اليسير الخفي وانما اخذ من طف الشي وهو جانبه وطفاف
بالفتح المكوك وطفافه بالفتح والكسر ما ملا اصباره وكذلك طف المكوك وطففه وفي الحديث كلكم بنو
ادم طف الصاع لم تملوه وهو ان يقرب ان يمتلي فلا يفعل والمعنى بعضكم قريب من بعض فليس لاحد على احد فضل
الا بالتقوى والطفاف والطفافة بالضم ما فوق المكيال واناء طفان اذا بلغ الكيل طفافه تقول منه اطففت
والتطفيف نقص المكيال وهو ان لا تملاه الى اصباره اي جوانبه يقال ادهقت الكاس الى اصبارها واصبارها اي
الى راسها وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل كنت فارسا يومئذ فسبقت الناس حتى طفف الفرس مسجد
بني زريق حتى كاد يساوي المسجد يعني وثب بي الرابعة المطفف هو الذي يبخس في الكيل والوزن ولا
يوفي حسبما بيناه وروى ابن القاسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تجلب ولكن
ارسل وصب عليه صبا حتى اذا استوى ارسل يدك ولا تمسك وقال عبد الملك بن الماجشون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة المطففين مكية

عن مسح الطفاف وقال ان البركة في راسه وقال بلغني ان كيل فرعون كان مسحا بالحديد قوله تعالى الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون• قال الفرا اي من الناس يقال اكتلت منك اي استوفيت وتقول اكتلت ما عليك اي
اخذت وقال الزجاج اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والمعنى اذا استوفوا اخذوا الزيادة واذا اوفوا
او وزنوا لغيرهم نقصوا فلا يرضون للناس ما يرضون لانفسهم الطبري على بمعنى عند قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون• فيه مسئلتان الاولى قوله واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل
فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك وامرتكه وامرت لك قاله الاخفش والفرا وسمعت اعرابية تقول اذا صدر
الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج
لا يجوز الوقف على كالوا حتى يصل به هم ومن الناس من يجعلها توكيدا ويجيز الوقف على كالوا او وزنوا والاول
الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسائي قال ابو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على كالوا
او وزنوا ويبتدي هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك ايضا قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة
واحدة من جهتين احداهما الخط وذلك انهم كتبوهما بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا
او وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما يقال
صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك يخسرون
اي ينقصون والعرب تقول اخسرت الميزان وخسرته وهم في موضع نصب على قراءة العامة راجع الى الناس
تقديره واذا كالوا الناس او وزنوهم يخسرون وفيه وجهان احدهما ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف
الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا• ولقد نهيتك عن بنات الاوبر• اراد جنيت لك
والوجه الاخر ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون
وعلى القراءة الثانية هم في موضع رفع بالابتداء اي واذا كالوا للناس او وزنوا لهم فهم يخسرون ولا يصح لانه
يكون الاولى ملغاة ليس لها خبر وانما كانت تستقيم لو كان بعدها واذا كالوهم ينقصون او وزنوهم يخسرون
الثانية قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير
ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الطاعون وما طففوا الكيل
الا منع عنهم النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر خرجه ابو بكر البزار
بمعناه ومالك بن انس ايضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال مالك بن دينار دخلت
على جار لي قد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار فقلت ما تقول اتهجر قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان
اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالاخر حتى كسرتهما فقال يا ابا يحيى كلما ضربت احدهما
بالاخر ازداد الامر عظما فمات في وجعه وقال عكرمة اشهد على كل كيال او وزان انه في النار قيل له فان ابنك
كيال او وزان فقال اشهد انه في النار قال الاصمعي وسمعت اعرابية تقول لا تلتمس المروة ممن مروته
في رووس المكاييل ولا السنة الموازين وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وقال عبد خير مر علي رضي الله
عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد ارجح فاكفا الميزان ثم قال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك
ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع
فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوم القيامة يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم
الى انصاف اذانهم وقد روي ان ابا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر وقد استخلف على المدينة
سباع بن عرفطة قال ابو هريرة فوجدناه في صلاة الصبح فقرا في الركعة الاولى كهيعص وفي الركعة
الثانية ويل للمطففين قال ابو هريرة فاقول في صلاتي الثانية ويل لفلان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي
واذا كال كال بالناقص قوله تعالى الا يظن اولئك• انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف

كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون • مسئولون عما يفعلون والظن هنا بمعنى
اليقين اي لا يوقن اولئك ولو ايقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد اي ان كانوا لا
يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه ويأخذوا بالاحوط • ليوم عظيم • شانه وهو
يوم القيمة قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين • فيه ثلاث مسائل الاولى العامل في يوم فعل
مضمر دل عليه مبعوثون والمعنى يبعثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون بدلا من يوم
في ليوم عظيم وهو مبني وقيل هو في موضع خفض لانه اضيف الى غير متمكن وقيل هو منصوب
على الظرف اي في يوم ويقال ائتني يوم يخرج فلان فتنصب يوم فان اضافوا الى الاسم فحينئذ يخفضون
ويقولون ائتني يوم خروج فلان وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون يوم يقوم
الناس لرب العالمين ليوم عظيم الثانية وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت
ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به
فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين لا بكيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجب وكلمة الظن ووصف
اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل
في كل قول وعمل الثالثة قرا ابن عمر ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى سقط
وامتنع من قراءة ما بعده ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه
ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ اذنيه حتى ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروى
ناس عن ابن عباس قال يقومون مقدار ثلثمائة سنة ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة وروى
عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال يقومون الف عام في الظلة وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ
يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى ان احدهم ليقوم في رشحه الى انصاف اذنيه وعنه ايضا عن النبي ﷺ يقوم
مائة سنة وقال ابو هريرة قال النبي ﷺ لبشير الغفاري كيف انت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلثمائة
سنة لرب العالمين لا ياتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بامر قال بشير المستعان بالله قلت قد ذكرنا مرفوعا
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة
يصليها في الدنيا في سال سائل وعن ابن عباس يهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة وقيل ان ذلك
المقام على المؤمن كزوال الشمس والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون ثم وصفهم فقال الذين امنوا وكانوا يتقون جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنته
امين وقيل المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين قاله ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا من
الاخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة وحسبك ما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر
عن النبي ﷺ يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى نصف اذنيه ثم قيل هذا القيام يوم
يقومون من قبورهم وقيل في الاخرة بحقوق عباده في الدنيا وقال يزيد الرقاشي يقومون بين يديه للقضا
الرابعة القيام لله سبحانه بالاضافة الى عظمته وحقه فاما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف فيه الناس
فمنهم من اجازه ومنهم من منعه وقد روي ان النبي ﷺ قام الى جعفر بن ابي طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب
ابن مالك يوم تيب عليه وقال النبي ﷺ للانصار حين طلع عليه سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقال
ايضا من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار فذلك يرجع الى حال الرجل ونيته فان
انتظر ذلك واعتقده لنفسه فهو ممنوع وان كان على طريق البشاشة والوصلة فانه جائز وخاصة عند

الاسباب

الاسباب كالقدوم من السفر ونحوه وقد مضى في اخر سورة يوسف شيء من هذا قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار
لفي سجين • قال قوم من اهل العربية كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان
او تكذيب بالاخرة فليرتدعوا عن ذلك فهي كلمة ردع وزجر ثم استانف فقال ان كتاب الفجار وقال الحسن
كلا بمعنى حقا فعلى هذا يوقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل ان اعمال الفجار وروى ناس عن ابن عباس قال
ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل
كتاب الفجار تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب قال كعب ارواح الكفار تحت
خد ابليس وعن كعب ايضا قال سجين صخرة سودا تحت الارض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان تلقى انفس الكفار
عندها وقال سعيد بن جبير سجين تحت خد ابليس يحيى بن سلام حجر اسود تحت الارض تكتب فيها ارواح الكفار
وقال عطا الخراساني هي الارض السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته وعن ابن عباس قال ان الكافر يحضره الموت
وتحضره رسل الله فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم اياه ان يؤخروه ولا يعجلوه حتى تجي ساعته فيقبضون نفسه
ويدفعونه الى ملائكة العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه من الشر ثم هبطوا به الى الارض السابعة وهي سجين
وهي اخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه وعن كعب الاحبار في هذه الاية قال ان روح الفاجر اذا قبضت يصعد
بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل في سبع ارضين
حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من سجين من تحت خد ابليس رق فيوضع تحت خد ابليس
وقال الحسن سجين في الارض السابعة وقيل هو ضرب مثل واشارة الى ان الله يرد اعمالهم التي ظنوا انها تنفعهم
قال مجاهد المعنى عملهم تحت الارض السابعة لا يصعد منها شيء قال وسجين صخرة في الارض السابعة وروى
ابو هريرة عن النبي ﷺ قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقال في الفلق انه جب مغطى وقال انس هي دركة في
الارض السفلى وقال انس قال النبي ﷺ سجين اسفل سبع ارضين وقال عكرمة سجين خسار وضلال كقولهم لمن سقط
قدره قد زلق بالحضيض وقال ابو عبيدة والاخفش والزجاج لفي سجين في حبس وضيق شديد فعيل من السجن كما يقال
فسيق وشريب قال ابن مقبل ورفقة يضربون البيض ضاحية • ضربا تواصت به الابطال سجينا • والمعنى كتابهم
في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم او لانه يحل من الاعراض عنه والابعاد له محل الزجر والهوان وقيل
اصله سجيل فابدلت اللام نونا وقد تقدم ذلك ابن اسلم سجين الارض السافلة وسجيل السماء الدنيا القشيري
سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون وهذا دليل
على خبث اعمالهم وتحقير الله اياها ولهذا قال في كتاب الابرار يشهده المقربون • وما ادريك ما سجين • اي ليس
ذلك مما كنت تعلمه يا محمد انت ولا قومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي مكتوب كالرقم في الثوب لا ينسى
ولا يمحى وقال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص فيهم احد وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير
واصل الرقم الكتابة قال • سارقم في الماء القراح اليكم • على بعدكم ان كان للماء راقم • وليس في قوله وما ادريك
ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل في قوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما
القارعة بل هو تعظيم لامر سجين وقد مضى في مقدمة الكتاب انه ليس في القران غير عربي والحمد لله • ويل
يومئذ للمكذبين • ثم بين امرهم فقال الذين يكذبون بيوم الدين • اي بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد
وما يكذب به الا كل معتد اثيم • اي فاجر جائر عن الحق معتد على الخلق في معاملته اياهم وعلى نفسه وهو
اثيم في ترك امر الله وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرائهم لقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين • وقراءة العامة تتلى بتاءين وقرا ابو حيوة وابو سمال والاشهب العقيلي والسلمي يتلى
بالياء واساطير الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدتها اسطورة واسطارة وقد تقدم
قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون • كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن

معنا ها حقا ران على قلوبهم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم قال ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه
نكتة سودا فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الرين الذي
ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا حديث حسن صحيح وكذا قال المفسرون هو الذنب
على الذنب حتى يسود القلب قال مجاهد هو الرجل يذنب فيحيط الذنب بقلبه ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه
حتى تغشي الذنوب قلبه قال مجاهد هي مثل الاية التي في سورة البقرة بلى من كسب سيئة الاية ونحوه عن
الفرا قال يقول كثرت المعاصي والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وروي عن مجاهد ايضا قال القلب
مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اصبعه ثم ضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على قلبه
قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومثله عن حذيفة رضي الله عنه
سوا وقال بكر بن عبد الله ان العبد اذا اذنب صار في قلبه كوخزة الابرة ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك ثم
اذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل او كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح وقد بينا في البقرة القول في
هذا المعنى بالاخبار الثابتة عن رسول الله صلعم فلا معنى لاعادتها وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن
عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله اعلم
بصحته قال هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذي يلبس في الحرب قال وقال الحزون الران
الخاطو الذي يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يضمن عهدة صحته فالله اعلم فاما عامة اهل التفسير فعلى ما قد
مضى ذكره قبل هذا وكذلك اهل اللغة يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا اي غلب قال ابو عبيدة في
قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غلب وقال ابو عبيد كلما غلبك فقد ران بك ورانك وران
عليك قال الشاعر وكم ران من ذنب على قلب فاجر ۝ فتاب من الذنب الذي ران فانجلى ۝ ورانت الخمر على عقله اي
غلبته وران عليه النعاس اذا غطاه ومنه قول عمر في الاسيفع اسيفع جهينة فاصبح قد رين به اي غلبته الديون
وكان يدان ومنه قول ابي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا فقال ثم لما راه رانت به الخمر ۝
وان لا يرينه باتقا فقوله رانت به الخمر اي غلبت على عقله وقلبه وقال الاموي قد ران القوم فهم مرينون اذا
هلكت مواشيهم او هزلت وهذا من الامر الذي اتاهم مما يغلبهم ولا يستطيعون احتماله قال ابو زيد يقال
قد رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب
من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهذا اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع الزجاج الرين كالصدا
يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين يقال غين على قلبه غطي والغين شجر ملتف الواحدة غينا اي خضرا
كثيرة الورق ملتفة الاغصان وقد تقدم قول الفرا انه احاطة الذنب بالقلوب وذكر الثعلبي عن ابن عباس
ران على قلوبهم اي غطى عليها وهذا هو الصحيح عنه ان شاء الله وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل
ران بالامالة لان فاء الفعل الراء وعينه الالف منقلبة عن ياء فحسنت الامالة لذلك ومن فتح فعلى الاصل
لان باب فاء الفعل في فعل الفتح مثل كال وباع ونحوه واختاره ابو عبيد وابو حاتم ووقف حفص بل ثم يبتدي ران وقفا
يبين اللام لا للسكت قوله تعالى كلا انهم ۝ اي حقا انهم يعني الكفار عن ربهم يومئذ ۝ اي يوم القيمة لمحجوبون ۝
وقيل كلا ردع وزجر اي ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الزجاج في هذه الاية دليل
على ان الله عز وجل يرى في القيمة ولولا ذلك لما كان في هذه الاية فائدة ولا حسنت منزلة الكفار بانهم
يحجبون وقال الله جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاعلم الله جل ثناؤه ان المؤمنين ينظرون
اليه واعلم ان الكفار يحجبون عنه وقال مالك بن انس في هذه الاية لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه
حتى راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم قال اما والله لو لم يوقن محمد بن
ادريس انه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم

في الآخرة عن رؤيته وقال مجاهد في قوله لمحجوبون اي عن كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو
ان الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعلى الاول الجمهور وانهم محجوبون عن رؤيته فلا
يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم ۝ اي ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم سعيرا ويقال الجحيم الباب السابع من النار ثم يقال ۝ لهم خزنة جهنم ۝ هذا الذي
كنتم به تكذبون ۝ رسل الله في الدنيا قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ۝ كلا بمعنى حقا والوقف على
تكذبون اي ليس الامر كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب المؤمنين في عليين وقال مقاتل كلا اي لا يؤمنون
بالعذاب الذي يصلونه ثم استانف فقال ان كتاب الابرار مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم قال ابن عباس
اي في الجنة وعنه ايضا قال اعمالهم في كتاب الله في السماء وقال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة
فيها ارواح المؤمنين وروى الاجلح عن الضحاك قال هي سدرة المنتهى ينتهي اليها كل شي من امر الله لا يعدوها
فيقولون رب عبدك فلان وهو اعلم به منهم فياتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بامانه من العذاب فذلك
قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار وعن كعب قال ان روح المؤمن اذا قبضت صعد بها وفتحت لها ابواب السماء
وتلقتها الملائكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج لهم من تحت العرش رق فيرقم
ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيمة ويشهده المقربون وقال قتادة ايضا في عليين هي فوق السماء
السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقال البرا بن عازب قال النبي صلعم عليون في السماء السابعة تحت العرش
وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجدة خضرا معلق بالعرش اعمالهم مكتوبة فيه وقال الفرا عليون اعلا الامكنة
وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له ولذلك جمع بالواو والنون وهو معنى قول الطبري وقال
البزي هو اسم موضوع على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه كقوله عشرين وثلاثين والعرب تقول اذا جمعت
جمعا ولم يكن له بنا من واحده ولا تثنية قالوا في المذكر والمؤنث بالنون وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب
الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وقال يونس النحوي واحدها علي وعلية قال ابو الفتح عليين
جمع علي وهو فعيل من العلو لما حذفت اليا من علي عوضوا منها الجمع بالواو كما يقال فلان في بني فلان
اي هو في جملتهم وعندهم والذي في الخبر من حديث ابن عمر ان رسول الله صلعم قال ان اهل عليين لينظرون الى الجنة
من كوى فاذا اشرف رجل من عليين اشرقت الجنة لضيا وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال اشرف
رجل من اهل عليين الابرار اهل الطاعة والصدق وفي خبر اخر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى
الكوكب الدري في افق السماء يدل على ان عليين اسم الموضع المرتفع وروى ناس عن ابن عباس في قوله عليين
قال الجنان اعمالهم وارواحهم في السماء الرابعة ثم قال ۝ وما ادريك ما عليون ۝ اي ما الذي اعلمك يا محمد
اي شي عليون على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة ثم فسره له فقال ۝ كتاب مرقوم ۝
يشهده المقربون ۝ وقيل ان كتاب مرقوم ليس تفسير العليين بل تم الكلام عند قوله عليون ثم ابتدا
وقال كتاب مرقوم اي كتاب الابرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار قاله القشيري وروي
ان الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم
الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص لي عمله فاجعلوه في عليين قد غفرت له وانها
لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب
على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين قوله تعالى يشهده المقربون ۝ اي يشهد عمل الابرار
مقربوا كل سماء وقال وهب بن اسحق المقربون هنا اسرافيل عليه السلام فاذا عمل العبد عمل البر صعدت
الملائكة بالصحيفة وله نور يتلالا في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها اسرافيل فيختم عليها
فيكتب فهو قوله يشهده المقربون اي يشهد كتابتهم قوله تعالى ان الابرار ۝ اي اهل الصدق والطاعة ۝ لفي نعيم ۝

اي نعمة والنعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامراة منعمة ومناعمة اي ان الابرار في الجنات يتنعمون
على الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد وقال
مقاتل ينظرون الى اهل النار وعن النبي صلعم ينظرون الى اعدائهم في النار ذكره المهدوي وقيل على ارائك انفضاله
ينظرون الى وجهه وجلاله قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجته وغضارته ونوره يقال
انضر النبات اذا ازهر ونور وقراءة العامة تعرف بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصبا اي تعرف يا محمد وقرا جعفر
ابن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن ابي اسحق تعرف بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول نضرة رفعا
يسقون من رحيق اي من شراب لا غش فيه قاله الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافية وفي الصحاح
الرحيق صفوة الخمر والمعنى واحد الخليل افضل الخمر واجودها وقال مقاتل وغيره هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية
من الغش النيرة قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل وقال الاخر
ام لا سبيل الى الشباب وذكره اشهى الي من الرحيق السلسل مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم بها
اخر جرعة وقيل المعنى اذا شربوا هذا الرحيق يعني باقي الكاس يختم ذلك بخاتم المسك وكان ابن مسعود يقول
يجدون عاقبتها طعم المسك ونحوه عن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي قال الاختامه اخر طعمه وهو حسن لان
سبيل الاشربة ان يكون الكدر في اخرها فوصف شراب اهل الجنة بان رائحة اخره رائحة المسك وعن
مسروق عن عبد الله قال المختوم الممزوج وقيل مختوم اي ختمت ومنعت من ان يمسها ماس الى ان يفك
خاتمها الابرار وقرا علي وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي خاتمه بفتح الخاء والتاء والالف
بينهما قال علقمة اما رايت المراة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا تريد اخره والختام والخاتم متقاربان
في المعنى لان الخاتم الاسم والختام المصدر قاله الفراء وفي الصحاح والختام الذي يختم به وكذا قاله مجاهد
ابن زيد يختم اناؤه بالمسك بدلا من الطين حكاه المهدوي وقال الفرزدق وبتا فض اغلاق الختام وقال
الاعشى فابرزها وعليها ختم اي عليها طينة مختومة مثل نفض بمعنى منفوض وقبض بمعنى مقبوض وذكر
ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله ختامه مسك خلطه ليس بخاتم
يختم الا ترى الى قول المراة من نسائكم ان خلطه من الطين كذا وكذا انما خلطه مسك قال شراب ابيض مثل الفضة
يختمون به اخر اشربتهم لو ان رجلا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وروى ابي بن كعب
قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم قال غدران الخمر وقيل مختوم في الانية وهو غير الذي يجري في الانهار
والله اعلم وفي ذلك اي وفي الذي وصفناه فليتنافس المتنافسون فليرغب الراغبون يقال نفست عليه
الشيء انفسه نفاسة اي ضننت به ولم احب صيرورته اليه وقيل الفاء بمعنى الى اي والى ذلك فليتبادر المبادرون في
العمل نظيره لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه اي ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب
عليهم من علو وهو اشرف شراب في الجنة واصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو
الى سفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسنيم القبور وروى عن عبد الله قال تسنيم عين في الجنة
يشرب بها المقربون صرفا ويمزج منها كاس اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس في قوله عز وجل ومزاجه
من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل التسنيم عين تجري في الهوى
بقدرة الله تعالى فتنصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك الماء فلا يقع منه قطرة
على الارض ولا يحتاجون الى الاستقاء قاله قتادة ابن زيد بلغنا انها عين تجري من تحت العرش وكذا
في مراسيل الحسن وقد ذكرناه في سورة الانسان عينا يشرب بها المقربون اي يشرب منها اهل جنة عدن
وهم افاضل اهل الجنة صرفا وهي لغيرهم مزاج وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال من تسنيم
وتسنيم معرفة ليس له اشتقاق وان جعلته مصدرا مشتقا من السنام فعينا نصب لانه مفعول به

كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهذا قول الفراء انه منصوب بتسنيم وعند الاخفش بيسقون اي يسقون
عينا او من عين وعند المبرد باضمار اعني على المدح قوله تعالى ان الذين اجرموا وصف احوال الكفار في الدنيا مع المؤمنين
في استهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من اهل الشرك روى ناس عن ابن عباس قال هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن ابي
معيط والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والعاص بن هشام وابو جهل والنضر بن الحرث واولئك كانوا من الذين
امنوا من اصحاب محمد صلعم مثل عمار وخباب وصهيب وبلال يضحكون على وجه السخرية واذا مروا بهم عند اتيانهم
رسول الله صلعم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم وقيل ان يعيروهم بالاسلام ويعيبوهم به يقال
غمزت الشيء بيدي قال الشاعر وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما وقالت عائشة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سجد غمزني فقبضت رجلي الحديث وقد مضى في النساء وغمزته بعيني وقيل الغمز بمعنى العيب
يقال غمزه اي عابه وما في فلان غمزة اي عيب وقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب جاء في نفر من المسلمين الى النبي صلعم
فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامزوا واذا انقلبوا اي انصرفوا الى اهلهم اي اصحابهم وذويهم انقلبوا فاكهين
اي معجبين منهم وقيل يعجبون بما هم عليه من الكفر متفكهون بذكر المؤمنين وقرا ابن القعقاع وحفص والاعرج
والسلمي فكهين بغير الف الباقون بالالف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم في سورة
الدخان والحمد لله وقيل الفكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم واذا راوهم اي اذا راي هؤلاء الكفار اصحاب محمد صلعم
قالوا ان هؤلاء لضالون في اتباعهم محمدا وما ارسلوا عليهم حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم رقباء عليهم
فاليوم الذين امنوا يعني هذا اليوم الذي هو يوم القيمة الذين امنوا بمحمد صلعم من الكفار يضحكون كما ضحك الكفار منهم
في الدنيا نظيره في اخر سورة المؤمنين وقد تقدم وذكر ابن المبارك اخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون قال ذكر لنا ان كعبا كان يقول ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو
كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم قال ذكر لنا انه اطلع فرأى جماجم القوم
تغلي وذكر ابن المبارك ايضا اخبرنا الكلبي عن ابي صالح في قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يقال لاهل النار وهم
في النار اخرجوا فيفتح لهم ابواب النار فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون
اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها اغلقت دونهم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون الله يستهزئ بهم ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من
الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقد مضى هذا في اول سورة البقرة ومعنى
هل ثوب اي هل جوزي بسخريتهم في الدنيا بالمؤمنين اذا فعل بهم ذلك وقيل انه متعلق بينظرون اي ينظرون
هل جوزي الكفار فيكون معنى هل وموضعها نصبا بينظرون وقيل استيناف لا موضع له وقيل هو على اضمار
القول والمعنى يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار اي اثيب وجوزي وهو من ثاب اي رجع فالثواب ما يرجع
على العبد في مقابلة عمله ويستعمل في الخير والشر

تفسير سورة الانشقاق وهي مكية

سورة الانشقاق مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء انشقت اي تصدعت وتفطرت بالغمام والغمام مثل السحاب الابيض
كذا روى ابو صالح عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال تنشق من المجرة وقال المجرة باب السماء وهذا من اشراط
الساعة وعلاماتها واذنت لربها وحقت اي سمعت وحق لها ان تسمع روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما
ومنه قوله صلعم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشيء قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا
ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اي سمعوا قال قعنب ابن ام صاحب ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا
عني وما اذنوا من صالح دفنوا وقيل المعنى وحق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق قال الضحاك حقت
اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا وطاعة السماء بمعنى انها لا تمتنع مما اراد الله
بها ولا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجيب وقال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومنه قول كثير

فان تكن العتبى فاهلاً ومرحبا • وحق لها العتبى لدينا وقلت قوله تعالى واذا الارض مدت • اي بسطت ودكت جبالها
قال النبي صلعم تمد مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وقاله ابن عباس وابن مسعود ويزاد في سعتها
كذا وكذا لوقوف الخلايق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد الا موضع قدمه يعني لكثرة الخلايق فيها وقد مر معنى
في سورة ابرهيم ان الارض تبدل بارض اخرى وهي الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه • والقت ما فيها وتخلت •
اي اخرجت امواتها وتخلت منهم وقال ابن جبير والقت ما في بطنها من الموتى وتخلت على ظهرها من الاحياء وقيل القت
ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها خلا جوفها فليس في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر
كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة وقيل تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها وقيل القت ما استودعت وتخلت
مما استحفظت لان الله تعالى يستودعها عباده احياء وامواتا واستحفظها بلاده مزارعة واقواتا • واذنت
لربها وحقت • اي في القاء موتاها وحق لها ان تسمع امره واختلف في جواب اذا فقال الفراء اذنت
والواو زايدة وكذلك والقت ابن الانباري قال بعض المفسرين جواب اذا السماء انشقت اذنت وزعم ان الواو مقحمة
وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين وقيل الجواب فاء مضمرة كانه قال اذا السماء انشقت
فلاقى الانسان كدحه وقيل فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء
انشقت قاله المبرد وعنه ايضا الجواب فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو قول الكسائي اي اذا السماء انشقت فمن اوتي
كتابه بيمينه فحكمه كذا قال ابو جعفر النحاس وهذا اصح ما قيل فيه واحسنه وقيل هو بمعنى اذكر اذا السماء
انشقت وقيل الجواب محذوف لعلم المخاطبين به اي اذا كانت هذه الاشياء علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وخسرانهم
وقيل تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة فقيل لهم اذا ظهرت اشراطها كانت القيامة فرايتم عاقبة تكذيبكم بها والقران
كالاية الواحدة في دلالة البعض على البعض وعن الحسن ان قوله اذا السماء انشقت قسم والجمهور على خلافه ان قوله من
انه خبر وليس بقسم قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا • المراد بالانسان الجنس اي يا ابن ادم وكذا روى
سعيد عن قتادة يا ابن ادم ان كدحك لضعيف فمن استطاع ان يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله
وقيل هو معين قال مقاتل يعني الاسود بن عبد الاسد ويقال يعني ابي بن خلف ويقال جميع الكفار يعني يا ايها الكافر
انك كادح والكدح في كلام العرب العمل والكسب قال ابن مقبل وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح وقال اخر ومضت بشاشة كل عيش صالح • وبقيت اكدح للحياة وانصب • اي اعمل روى الضحاك عن ابن عباس
انك كادح راجع الى ربك كدحا اي رجوعا لا محالة • فملاقيه • اي ملاق ربك وقيل ملاق عملك القتيبي انك
كادح اي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك والملاقاة بمعنى اللقاء اي تلقى ربك بعملك وقيل اي تلاقي
كتاب عملك لان العمل قد انقضى ولهذا قال فاما من اوتي قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه • وهو المؤمن
فسوف يحاسب حسابا يسيرا • لا مناقشة فيه كذا روي عن رسول الله صلعم من حديث عايشة قالت قال رسول
الله صلعم من حوسب يوم القيمة عذب قالت فقلت يا رسول الله اليس قد قال الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيمة عذب اخرجه البخاري
ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح • وينقلب الى اهله مسرورا • في الجنة من الحور العين مسرورا مغتبطا
قرير العين ويقال انها نزلت في ابي سلمة بن عبد الاسد وهو اول من هاجر من مكة الى المدينة وقيل الى اهله الذين
كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته والاول قول قتادة اي الى اهله الذين قد اعدهم الله له في الجنة
قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره • نزلت في الاسود بن عبد الاسد اخي ابي سلمة قاله ابن عباس ثم هي عامة
في كل مؤمن وكافر وقال ابن عباس يمد يده اليمنى لياخذ كتابه فيجذبه ملك فيخلع يمينه فياخذ كتابه بشماله
من وراء ظهره وقال قتادة ومقاتل يفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فياخذ كتابه

كذلك • فسوف يدعوا ثبورا • اي بالهلاك يقال يا ويلاه يا ثبوراه • ويصلى سعيرا • اي ويدخل النار حتى يصلى
بحرها وقرا الحرميان وابن عامر والكسائي يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام لقوله تعالى ثم الجحيم صلوه
وقوله وتصلية جحيم الباقون يصلى مخففا فعل لازم غير متعد لقوله الا من هو صال الجحيم وقوله يصلى النار الكبرى
وقوله ثم انهم لصالوا الجحيم وقراءة ثالثة رواها ابان عن عاصم وخارجة عن نافع واسمعيل المكي عن ابن كثير و
يصلى بضم الياء واسكان الصاد وفتح اللام مخففا كما قرئ وسيصلون بضم الياء وكذلك في الغاشية قد
قرئ تصلى نارا وهما لغتان صلى واصلى كقوله نزل وانزل • انه كان في اهله • اي في الدنيا مسرورا • قال ابن
زيد وصف الله اهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فاعقبهم به النعيم والسرور في الاخرة
وقرا قوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين قال ووصف اهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه
فقال انه كان في اهله مسرورا • انه ظن ان لن يحور بلى • اي لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب ويعاقب وقال
حار يحور اذا رجع قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • وقال عكرمة وداود
ابن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع ويجوز اي تتفق الكلمات فانها كلمة اشتقاق ومنه الخبز
الحوارى لانه يرجع الى البياض وقال ابن عباس ما كنت ادري ما يحور حتى سمعت اعرابية تدعو بنية لها
حوري اي ارجعي الي فالحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من
الحور بعد الكور يعني من الرجوع بعد النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالقمم وفي المثل حور في محار
اي نقصان في نقصان للرجل اذا كان امره يتمدد قال الشاعر واستعجلوا عن خفيف المضغ وازدردوا
والذم يبقى وزاد القوم في حور • والحور ايضا الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما احارت شيئا اي ما
ردت شيئا من الدقيق والحور ايضا الهلكة قال الراجز في بير لا حور سرى وما شعر • قال ابو عبيدة اي في
بير حور ولا زيادة وروي بعد الكون ومعناه من انتشار الامر بعد تمامه وسئل معمر عن الحور بعد الكور
قال هو الكنتي فقال له عبد الرزاق وما الكنتي قال الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء وقال ابو عمرو يقال
للرجل اذا شاخ كنتي كانه نسب الى قوله • فاصبحت كنتيا واصبحت عاجنا • وشر خصال المرء كنت وعاجن
عجن الرجل اذا نهض معتمدا على الارض من الكبر وقال ابن الانباري الكنتي هو الذي يقول كنت شابا وكنت
شجاعا والكاني هو الذي يقول كان لي مال وكنت اهب وكان لي خيل وكنت اركب قوله تعالى فلا اقسم • اي
فاقسم ولا صلة • بالشفق • اي بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تاتي صلاة العشاء الاخرة قال اشهب
وعبد الله بن الحكم ويحيى بن يحيى وغيرهم وكثير عددهم عن مالك الشفق الحمرة التي في المغرب فاذا ذهبت الحمرة
فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء وروى ابن وهب قال اخبرني غير واحد عن علي بن ابي
طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وابي هريرة ان الشفق الحمرة وبه قال مالك بن انس
وذكر غير ابن وهب عمر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وانسا وابا قتادة وجابر بن عبد الله وابن الزبير
ومن التابعين سعيد بن جبير وابن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار والزهري وقال به من الفقهاء
الاوزاعي والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيد واحمد واسحق وقيل هو البياض روى ذلك عن ابن
عباس وابي هريرة ايضا وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي وابي حنيفة في احدى الروايتين عنه وروى اسد
ابن عمرو انه رجع عنه وروي عن ابن عمر ايضا انه البياض والاختيار الاول لان اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء
عليه ولان شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفراء سمعت بعض العرب يقول
لثوب عليه مصبوغ كانه الشفق وكان احمر فهذا شاهد للحمرة قال الشاعر احمر اللون كمحمر الشفق •
وقال اخر قم يا غلام اعني غير مرتبك • على الزمان بكاس حشوها شفق • ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح
الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب من العتمة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب

الشمس الى وقت العشاء الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق ثم قيل اصل الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق
اي لا تماسك له لرقته واشفق عليه اي رق قلبه عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة
القلب وكذلك الشفق قال الشاعر تهوى حياتي واهوى موتها شفقا • والموت اكرم نزال على الحرم •
فالشفق بقية ضوء الشمس وزعم الحكماء ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية
فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الى افق ولم اره يغيب وقال بن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر
قال علماؤنا فلما لم يتحدد وقته سقط اعتباره وفي سنن ابي داود عن النعمان بن بشير قال انا اعلمكم بوقت
صلاة العشاء الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد ثم الحكم معلق باول الاسم
لا يقال فينتقض عليكم بالفجر الاول لانا نقول الفجر الاول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا امساك لان النبي
بين الفجر بقوله وفعله فقال وليس الفجر ان يقول هكذا ورفع يده على فوق ولكن الفجر ان يقول هكذا وبسطها
وقد مضى بيانه في اية الصيام من سورة البقرة فلا معنى للاعادة وقال مجاهد الشفق النهار كله الا تراه
قال والليل وما وسق • وقال عكرمة ما بقي من النهار والشفق ايضا الردي من الاشياء يقال عطا مشفق اي
مقلل قال الكميت ملك اغر من الملوك تحلبت • للسائلين يداه غير مشفق قوله تعالى والليل وما وسق • اي جمع
وضم ولف واصله من سواد السلطان وغضبه فلولا انه خرج الى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد
لمجيه ولكن خرج من باب الرحمة فمزج بها فسكن الخلق اليه ثم اندعروا والتفوا وانقبضوا ورجع كل الى
ماواه يسكن فيه من هوله وحشا وهو قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي
بالليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار على ما تقدم فالليل يجمع ويضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه
هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم قال ضابي بن الحرث البرجمي فاني واياكم وشوقا اليكم •
كقابض ما لم تستقه انامله • يقول ليس في يدي من ذلك شي كما انه ليس في يد القابض على الماء شي فاذا جلل
الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها والوسق ضمك الشي بعضه الى بعض تقول
وسقته اسقه وسقا ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع وسق وهو ستون صاعا وطعام موسوق اي مجموع
وابل مستوسقة اي مجتمعة قال الراجز ان لنا قلائصا حقايقا • مستوسقات لو يجدن سايقا • وقال
عكرمة وما وسق اي وما ساق من شي الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم
والحمر وسيقة قال الشاعر كما قاف اثار الوسيقة قايف • وعن ابن عباس وما وسق اي وما جن وستر وعنه
ايضا وما حمل وكل شي حملته فقد وسقته والعرب تقول لا افعله ما وسقت عيني الماء اي حملته ووسقت
الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الماء فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم ونيام وصاحب
وصحاب قال بشر بن ابي حازم الط نحن نحدوهن حتى • تبينت الحبال من الوساق • ومواسيق ايضا واوسقت
البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان حمل من الظلمة قال
مقاتل او حمل من الكواكب القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل جلل بظلمته كل شي فاذا جللها فقد وسقها
ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها كقوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
وقال بن جبير وما وسق اي وما عمل فيه يعني التهجد والاستغفار بالاسحار قال الشاعر ويوما ترانا صالحين وتارة •
يقوم بنا كالواسق المتلبب • اي كالعامل قوله تعالى والقمر اذا اتسق • اي تم واجتمع واستوى قال الحسن اتسق اي
امتلا واجتمع ابن عباس استوى قتادة استدار الفرا اتساقه امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال
من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع على
الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي اذا تتابع • لتركبن طبقا عن طبق • قرا عمر وبن مسعود وابن عباس وابو
العالية ومسروق وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بفتح الباء خطابا للنبي

لتركبن يا محمد حالا بعد حال قاله ابن عباس الشعبي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد
رتبة في القربة من الله تعالى ابن مسعود لتركبن السماء حالا بعد حال يعني حالاتها التي وصفها الله بها من الانشقاق
والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان وعن ابرهيم عن عبد الله لتركبن طبقا عن طبق قال السماء تقلب حالا بعد حال قال
تكون وردة كالدهان وتكون كالمهل وقيل لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح وهو اسم للجنس
ومعناه الناس وقرا الباقون لتركبن بضم الباء خطابا للناس واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى
بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الاية فمن اوتي كتابه بيمينه ومن اوتي كتابه وراء ظهره اي لتركبن
حالا بعد حال من شدايد القيمة او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبياء قلت
وكله مراد وقد جاءت بذلك احاديث فروى ابو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما يخلقه الله عز وجل له ان الله لا اله غيره اذا اراد خلقه قال للملك
اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك
ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاءه ملك الموت ثم
فيقبض روحه فاذا دخل حفرته رد الروح الى جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان
فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا
معه واحد سايق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا
عظيم فاستعينوا بالله العظيم فقد اشتمل هذا الحديث على احوال تعتري الانسان من حين يخلق الى حين يبعث وكله
شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزا وفي كل حال من هذه شدايد وقال صلى الله عليه وسلم لتركبن
سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن خرجه البخاري واما اقوال المفسرين فقال عكرمة حالا بعد حال فطيما بعد رضيع وشيخا قال الشاعر
كذلك المرء ان ينسا له اجل • يركب على طبق من بعده طبق • وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا
عليه وقال الحسن امرا بعد امر رخا بعد شدة وشدة بعد رخا وغنى بعد فقر وفقر بعد غنى وصحة
بعد سقم وسقما بعد صحة سعيد بن جبير منزلة بعد منزلة قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الاخرة وقوم
كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الاخرة وقيل منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك ان كان
على صلاح دعاه الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه لان كل شي يجر الى شكله ابن زيد
ولتصيرن من طبق الدنيا الى طبق الاخرة وقال ابن عباس الشدايد والاهوال والموت ثم البعث ثم العرض والعرب
تقول لمن وقع في امر شديد وقع في بنات طبق واحدى بنات طبق ومنه قيل للداهية الشديدة ام طبق
واحدى كتاب طبق واصلها من الحيات اذ يقال للحية ام طبق لتحويها والطبق في اللغة الحال كما وصفنا
قال الاقرع بن حابس التميمي اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبق منه الى طبق • وهذا ادل دليل على
حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكماء من كان اليوم على حالة وغدا على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره
الى سواه وقيل لابي الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف
الاركان وقهر المنية ونسخ العزيمة ويقال اتانا طبق من الناس وطبق من الجراد اي جماعة وقول
العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم • تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • اي قرن من
الناس يكون طباقا للارض اي ملاها والطبق ايضا عظم رقيق يفصل بين الفقارين ويقال مضى طبق من
الليل وطبق من النهار اي معظم منه والطبق واحد الاطباق فهو مشترك وقرئ لتركبن بكسر الباء على

خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان وعن طبق في محل نصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا الطبق
او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة قوله تعالى
فما لهم لا يؤمنون • يعني اي شيء يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار
وقيل تعجب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الايات قوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون • اي
لا يصلون وفي الصحيح عن ابي هريرة قرا اذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلعم سجد فيها
وقد قال مالك انها ليست من عزايم السجود لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بواجباته ابن العربي
والصحيح انها منه وهي رواية المدنيين عنه وقد اعتضد فيها القران والسنة قال ابن العربي لما اممت بالناس تركت
قراءتها لاني ان سجدت انكروه وان تركتها كان تقصيرا مني فاجتنبتها الا اذا صليت وحدي وهذا تحقيق
وعد الصادق بان يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا وقد قال صلى الله عليه وسلم لعايشة لولا حدثان قومك
بالكفر لهدمت البيت ولرددته على قواعد ابرهيم ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند
الرفع منه وهو مذهب مالك والشافعي ويفعله الشيعة فحضر عندي يوما في محرس ابن الشوا بالثغر موضع
تدريسي عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم الى الصف وانا في موخره قاعدا على طاقات
البحر اتنسم الريح من شدة الحر ومعي في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر وقايده مع نفر من اصحابه ينتظر الصلاة
ويطلع على مراكب تحت المنار فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الراس منه قال ابو ثمنة الا ترون الى هذا
المشرقي كيف دخل مسجدنا فقوموا اليه فاقتلوه وارموا به الى البحر فلا يراكم احد فطار قلبي من بين جوانحي
وقلت سبحان الله هذا الطرطوشي فقيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه وجعلت اسكنهم واسكتهم حتى فرغ من صلاته وقمت معه
الى المسكن من المحرس ورأى تغير وجهي فانكره وسالني فاعلمته فضحك فقال من اين لي ان اقتل على سنة
فقلت له ولا يحل لك هذا فانك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام
وخذ في غيره قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون • محمدا صلعم وما جاء به وقال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير
وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار والله اعلم بما يوعون • اي بما يضمرونه في انفسهم
من التكذيب كذا روى الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم ابن زيد يجمعون من الاعمال
الصالحة والسيئة ماخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه يقال اوعيت الزاد والمتاع اذا جعلته في الوعاء قال
الشاعر الخير ابقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد • ووعاه اي حفظه تقول وعيت الحديث
اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم • فبشرهم بعذاب اليم • اي موجع في جهنم على تكذيبهم اي اجعل ذلك بمنزلة
البشارة • الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • استثناء منقطع كانه قال لكن الذين صدقوا بشهادة ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض المفروضة عليهم لهم اجر • اي ثواب غير ممنون
اي غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقد تقدم وسال نافع بن الازرق ابن عباس
عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب قال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث
يقول فترى خلفهن من سرعة الرجع • منينا كانه اهباء • قال المبرد المنين الغبار لانها تقطعه وراءها
وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وذكر ناس من اهل العلم ان قوله الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات ليس استثناء وانما هو بمعنى الواو كانه قال والذين امنوا وقد مضى في البقرة القول فيه
والحمد لله

تفسير سورة البروج وهي مكية

سورة البروج مكية باتفاق وهي ثنتان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسماء ذات البروج • قسم اقسم الله به جل وعز وفي البروج اقوال اربعة احدها ذات النجوم
قاله الحسن ومجاهد ايضا قال عكرمة هي قصور في السماء مجاهد فيها الحرس الثالث ذات الخلق الحسن قاله

للنهال

للنهال بن عمرو والرابع ذات المنازل قاله ابو عبيدة ويحيى بن سلام وهي اثنا عشر برجا وهي منازل الكواكب
والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستتر ليلتين
ويسير الشمس في كل برج منها شهرا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت والبروج في كلام العرب القصور قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة
وقد تقدم قوله تعالى واليوم الموعود • به وهو قسم اخر وهو يوم القيمة من غير اختلاف بين اهل التاويل قال
ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه • وشاهد ومشهود • اختلف فيهما فقال علي وابن
عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو
هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلعم اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة
خرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث موسى بن عبيدة يضعف
في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الايمة عنه
قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه قلت وكذلك ساير الايام والليالي فكل يوم شاهد
وكذا كل ليلة ودليله ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلعم قال ليس من يوم
ياتي على العبد الا ينادى فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك
به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معوية تفرد به عنه
زيد العمي ولا اعلمه مرفوعا عن النبي صلعم الا بهذا الاسناد وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد
يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى اسرايل عن ابي
اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقاله النخعي وعن علي ايضا
المشهود يوم عرفة وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهم المشهود يوم القيمة لقوله تعالى ذلك
يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قلت وعلى هذا اختلف قول العلما في الشاهد فقيل الله تعالى
عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير بيانه وكفى بالله شهيدا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد
بيني وبينكم وقيل محمد صلعم عن ابن عباس ايضا والحسين بن علي وقرا ابن عباس فكيف اذا جينا من كل امة
بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قلت
واقرا انا ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبياء يشهدون على اممهم لقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وقيل ادم وقيل عيسى بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ايضا
ومحمد بن كعب الشاهد دليله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا مقاتل اعضاوه دليله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود ساير الامم
بيانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم
وقيل الليالي والايام وقد بيناه • قلت وقد يشهد المال على صاحبه والارض بما عمل عليها ففي صحيح مسلم
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم ان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن اعطى منه المسكين
واليتيم وابن السبيل وكما قال رسول الله صلعم وانه من ياخذه بغير حقه كالذي ياكل ولا يشبع ويكون شهيدا
عليه يوم القيمة وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلعم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها
قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل
على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا فهذه اخبارها قال حديث حسن غريب صحيح وقيل الشاهد
الخلق شهدوا لله عز وجل بالوحدانية والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى وقيل المشهود يوم الجمعة
لما روى ابو الدردا قال قال رسول الله صلعم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة

وذكر الحديث خرجه ابن ماجة وغيره **قلت** فعلى هذا يوم عرفة مشهود لان الملائكة تشهده وتنزل فيه الرحمة
وكذا يوم النحر ان شاء الله وقال ابو بكر العطار الشاهد الحجر الاسود يشهد لمن لمسه بصدق واخلاص ويقين
والمشهود الحاج وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلعم بيانه واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله وانا معكم من الشاهدين **قوله تعالى** قتل اصحاب الاخدود اي لعن قال ابن عباس كل شيء في القران
قتل فهو لعن وهذا جواب القسم في قول الفراء واللام فيه مضمرة كقوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد
افلح من زكاها اي لقد افلح وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج قاله ابو
حاتم السجستاني ابن الانباري وهذا غلط لانه لا يجوز لقائل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله
وقال قوم جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهذا قبيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل ان الذين فتنوا وقيل
جواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وهذا اختيار ابن الانباري والاخدود الشق العظيم
المستطيل في الارض كالخندق وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها
ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح **قال طرفة** ووجه كان الشمس حلت رداءها
عليه نقي اللون لم يتخدد النار ذات الوقود النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال الوقود بفتح الواو
قراءة العامة وهو الحطب وقرا قتادة وابو رجاء ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر اي ذات الاتقاد
والالتهاب وقيل ذات الوقود بابدان الناس وقرا اشهب العقيلي وابو السمال العدوي وابن السميقع النار ذات
بالرفع فيهما اي احرقتهم النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود اي الذين خدوا الاخاديد وقعدوا عليها يلقون
فيها المومنين وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلعم وقد اختلفت الرواية في حديثهم والمعنى متقارب
ففي صحيح مسلم عن صهيب ان رسول الله صلعم قال كان ملك فيمن كان قبلكم كان له ساحر فلما كبر قال للملك قد كبرت
فابعث لي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان في طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه وسمع
منه كلاما فاعجبه وكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه واذا اتى الساحر ضربه فشكى ذلك الى الراهب
فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على
دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب فاخذ حجرا وقال بسم الله اللهم
ان كان امر هذا الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها
ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني وقد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى وان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر
الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هنا لك اجمع ان انت شفيتني قال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان انت امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله فشفاه الله فاتى الملك
فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي
وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك
ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل
على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع
شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا
وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا الجبل
فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال
كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع
عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات بهم السفينة فغرقوا وجاء

يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال للملك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به
قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد وصلبه
على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه به فوقع السهم
في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب الغلام امنا برب الغلام فاتى الملك فقيل له ارايت
ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود في افواه السكك فخدت واضرم
النار وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة ومعها صبي لها فتقاعست
ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري فانك على الحق خرجه الترمذي بمعناه وفيه وكان على طريق
الغلام راهب في صومعته قال معمر احسب ان اصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين وفيه ان الدابة التي
حبست كانت اسدا وان الغلام دفن قال فيذكر انه اخرج في زمن عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها
حين قتل وقال حديث حسن غريب ورواه الضحاك عن ابن عباس قال كان ملك بنجران وفي رعيته رجل
له ابن فبعثه الى ساحر يعلمه السحر وكان طريق الفتى على راهب يقرا الانجيل فكان يعجبه ما يسمعه
من الراهب فدخل في دين الراهب فاقبل يوما فاذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم فاخذ حجرا فقال
بسم الله رب السموات والارض وما بينهما فقتلها وذكر نحو ما تقدم وان الملك لما رماه بالسهم وقتله قال
اهل المملكة لا اله الا اله عبد الله بن ثامر وكان اسم الغلام فغضب الملك وامر فخدت اخاديد وجمع فيها
حطب ونار وعرض اهل مملكته عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على دينه قذفه في النار وجيء
بامراة مرضع فقيل لها ارجعي عن دينك والا قذفناك وولدك قال فاشفقت وهمت بالرجوع فقال لها
الصبي المرضع يا امي اثبتي على ما انت عليه فانما هي غميضة فالقوها وابنها وروى ابو صالح عن ابن عباس
ان النار ارتفعت من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا وقال الضحاك هم قوم من
النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلعم باربعين سنة اخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري
وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا وحرقهم فيه حكاه الماوردي وحكى الثعلبي عن ان اصحاب
الاخدود من بني اسرائيل اخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم الاخاديد ثم اوقدوا فيها النار ثم اقيم المومنون
عليها وقيل لهم تكفرون او تقذفون في النار ويزعمون انه دانيال واصحابه وقاله عطية العوفي وروي
نحو هذا عن ابن عباس وقال علي رضي الله عنه ان ملكا سكر فوقع على اخته ثم اراد ان يجعل ذلك شرعا
في رعيته فلم يقبلوا فاشارت عليه ان يخطب بان الله احل نكاح الاخوات فلم يسمع منه فاشارت عليه
ان يخطب بان الله عز وجل احل نكاح الاخوات وهم المجوس وكانوا اهل كتاب وروي عن علي ايضا ان اصحاب
الاخدود كان سببهم ان نبيا بعثه الله الى الحبشة فاتبعه ناس فخد لهم قومهم اخدودا فمن تبع النبي رمي
فيها فجيء بامراة لها بني رضيع فجزعت فقال لها يا اماه امضي ولا تجزعي وقال ايوب عن عكرمة قال
قتل اصحاب الاخدود قال كانوا من قوم من السجستان وقال الكلبي هم نصارى بنجران اخذوا قوما مومنين
فخدوا لهم سبعة اخاديد طول كل اخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا ثم طرح فيه النفط
والحطب ثم عرضوهم عليها فمن ابى قذفوه فيها وقيل قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان
قسطنطين وقال مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد بنجران والاخر بالشام والاخر بفارس اما الذي
بالشام فانطانيوس الرومي والذي بفارس بخت نصر والذي بارض العرب يوسف ابن ذي نواس فلم ينزل
الله في الذي بفارس والشام قرانا وانزل قرانا في الذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين احدهما
بتهامة والاخر بنجران اجر احدهما نفسه فجعل يعمل ويقرا الانجيل فرات ابنة المستاجر النور في قراءة

الانجيل فاخبرت اباها فاسلم وبلغوا سبعة وثمانين ما بين رجل وامراة بعد ما رفع عيسى فخد لهم يوسف ابن ذي نواس بن تبع الحميري اخدودا واوقد فيه النار وعرضهم على الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار وقال من رجع عن دين عيسى لم يقذف فـان امراة معها ولدها صغير لم يتكلم فرجعت فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفى فقذفا جميعا انفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في يوم واحد سبعة وسبعين وقال ابن اسحق عن وهب بن منبه كان رجل من بقايا اهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا في القرى لا يعرف بقرية الا مضى عنها وكان بنا يعمل الطين قال محمد بن كعب القرظي وكان اهل نجران اهل شرك يعبدون الاصنام وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر فلما نزل بها فيميون بنا بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر فجعل اهل نجران يبعثون غلمانهم الى ذلك الساحر ليعلمهم السحر فبعث اليه تامر عبد الله بن التامر فكان مع غلمان اهل نجران وكان عبد الله اذا مر بصاحب الخيمة اعجبه ما يرى من امر صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى سلم فوحد الله وعبده وجعل يسئله عن اسم الله الاعظم وكان الراهب لا يعلمه اياه وقال يا ابن اخي انك لن تحمله اخشى ضعفك عنه وكان ابوه التامر لا يظن الا ان ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الى العلماء فلما راى عبد الله ان الراهب قد بخل عليه بتعليم اسم الله الاعظم عمد الى قداح ثم لم يبق لله تعالى اسما يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى اذا احصاها اوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فاخذه ثم قام الى صاحبه فاخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذي كتمه اياه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع فقال له يا ابن اخي قد اصبته فامسك على نفسك وما اظن ان تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق احدا به ضر الا قال يا عبد الله اتوحد الله وتدخل في ديني فادعو الله لك فيعافيك مما انت فيه من البلا فيقول نعم فيوحد الله له فيشفى حتى لم يبق احد بنجران به ضر الا اتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي حتى رفع شانه الى ملكهم فدعاه فقال له افسدت على اهل قريتي وخالفت ديني ودين ابائي فلامثلن بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على راسه فيقع على الارض ليس به باس وجعل يبعث به الى مياه نجران بحار لا يلقى فيها شيء الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس فيه باس فلما غلبه قال له يا عبد الله بن التامر والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما امنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت علي وقتلتني فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة ثم ضربه بعصا فشجه شجة صغيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع اهل نجران على دين عبد الله بن التامر فكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم اصابهم ما اصاب اهل دينهم من الاحداث فمن ذلك كان اصل النصرانية بنجران فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك او القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم سبعين الفا وقال وهب بن منبه اثني عشر الفا وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا قال وهب لما غلب ارياط على اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال ابن اسحق وذو نواس كان اسمه زرعة بن تبان اسعد الحميري وكان ايضا يسمى يوسف وكان له غدائر من شعر تنوس اي تضطرب فسمي ذا نواس وكان فعل هذا باهل نجران فافلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان فساق الحبشة لينتصر بهم فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر القى نفسه **وفيه يقول عمرو بن معدي كرب** اتوعدني كانك ذو رعين • بانعم عيشة او ذو نواس • وكاين كان قبلك من نعيم • وملك ثابت في الناس راسي • قديم عهده من عهد عاد • عظيم قاهر الجبروت قاسي • ازال الدهر ملكهم فاضحى • ينقل من اناس الى اناس • وذو رعين ملك من ملوك حمير ورعين حصن له

وهو من

وهو من ولد الحرث بن عمرو بن حمير بن سبا **مسئلة** قال علماؤنا اعلم ان الله عز وجل اعلم المؤمنين من هذه الامة ما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد يؤنسهم بذلك وذكر لهم النبي صلعم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الاذى والالام والمشقات التي كانوا عليها ليتاسوا بمثل هذا الغلام في تصلبه وصبره في الحق وتمسكه به وبذله نفسه في حق اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره وكذلك كثير من الناس لما امنوا بالله ورسخ الايمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم ابن العربي وهذا منسوخ عندنا حسبما تقدم في سورة النحل قال الشيخ رحمه الله ليس بمنسوخ وان الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه اولى قال الله تعالى مخبرا عن لقمن يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك لمن عزم الامور وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلعم قال ان من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير خرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب وروى ابو سنجر محمد بن سنجر عن اميمة مولاة النبي صلعم قالت كنت اوضي النبي صلعم فاتاه رجل فقال اوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وان قطعت وحرقت بالنار الحديث قال علماؤنا ولقد امتحن كثير من اصحاب النبي صلعم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد ولم يلتفتوا الى شيء من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب واصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والاسر وغير ذلك وقد مضى في النحل هذا اجماع ممن تقوى في ذلك فتامله هنالك **قوله تعالى** قتل اصحاب الاخدود دعا على هولاء الكفار بالابعاد من رحمة الله وقيل معناه الاخبار عن قتل اولئك المؤمنين اي انهم لما قتلوا بالنار صبروا وقيل هو اخبار عن اولئك الظالمين فانه روي ان الله قبض ارواح الذين القوا في الاخدود قبل ان يصلوا الى النار وخرجت نار من الاخدود فاحرقت الذين هم عليها قعود وقيل ان المؤمنين نجوا واحرقت النار الذين قعدوا وذكره النحاس ومعنى عليها اي عندها وعلى بمعنى عند وقيل عليها اي على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما قال وبات على النار الندى والمحلق والعامل في اذ قتل اي امنوا قبل هذا الوقت • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • اي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن ابى القوه في النار وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك وقيل على بمعنى مع اي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود **قوله تعالى** وما نقموا منهم • اي ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقهم • الا ان يؤمنوا • اي الا ان يصدقوا بالله العزيز • اي الغالب المنيع الحميد • اي المحمود في كل حال • الذي له ملك السموات والارض • لا شريك له فيهما ولا نديد • والله على كل شيء شهيد • اي عالم باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية **قوله تعالى** ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات • اي حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محترقة ويقال للحرة فتين اي كانها احرقت حجارتها بالنار وذلك لسوادها • ثم لم يتوبوا • اي من قبيح صنيعهم مع ما اظهر الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات على يدي الغلام • فلهم عذاب جهنم • لكفرهم • ولهم عذاب الحريق • والحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسماء وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب بحرها • ان الذين امنوا • اي هولاء الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا برسله • وعملوا الصالحات لهم جنات • اي بساتين تجري من تحتها الانهار • من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى • ذلك الفوز الكبير • اي العظيم الذي لا يشبهه شيء **قوله تعالى** ان بطش ربك لشديد • اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله جل ثناؤه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقد تقدم قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم المعنى والسماء ذات البروج ان بطش ربك لشديد وما بينهما معترض مؤكد للقسم وكذلك قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ان القسم واقع على ذكر صفته بالشدة • انه هو يبدئ ويعيد • يعني الخلق عند اكثر العلماء يخلقهم ابتداء ويعيدهم عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار من احيا الله جل ثناؤه الاموات وقال ابن عباس يبدئ لهم عذاب

الحريق في الدنيا ثم بعيد عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري **وهو الغفور** اي الستور لذنوب عباده المؤمنين
لا يفضحهم بها **الودود** اي المحب لاوليائه وروى الضحاك عن ابن عباس قال كما يود احدكم بالبشرى والمحبة
وعنه ايضا الودود اي المتودد الى اوليائه بالمغفرة وقال مجاهد الواد لاوليائه فعول بمعنى فاعل وقال ابن
زيد الرحيم وحكى المبرد عن اسماعيل بن اسحق القاضي ان الودود الذي لا ولد له **وانشد قول الشاعر** واركب
في الروع عريانة ذلول الجناح لقاحا ودودا اي لا ولد له يحن اليه ويكون معنى الاية انه يغفر لعباده
وليس له ولد يغفر لهم من اجله ليكون بالمغفرة متفضلا من غير اجزاء وقيل الودود بمعنى المودود كركوب
وحلوب اي يوده عباده الصالحون ويحبونه **ذو العرش المجيد** قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالخفض نعتا
للعرش وقيل لربك اي ان بطش ربك المجيد لشديد ولم يمتنع الفصل لانه جار مجرى الصفة في التشديد الباقون
بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالى واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان المجيد النهاية في الكرم في اخر المؤمنين
تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي تناهيا فيه حتى يقتبس منهما ومعنى ذو العرش اي
ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب
سلطانه وقد مضى بيان هذا في الاعراف وخاصة في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى **فعال
لما يريد** اي لا يمتنع عليه شيء يريده الزمخشري فعال خبر ابتداء محذوف وانما قيل فعال لان ما
يريد ويفعل في غاية الكثرة قال الفرا هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع
فعال وهي نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلعم على ابي بكر يعودونه
فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد راني قالوا فما قال لك قال اني فعال لما اريد **قوله تعالى** **هل اتاك حديث الجنود**
اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم يؤنسه بذلك ويوسيه ثم بينهم فقال **فرعون
وثمود** وهما في موضع جر على البدل من الجنود المعنى انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا انبياءه
ورسله **بل الذين كفروا** اي من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك **في تكذيب** لك كمن قبلهم وانما خص فرعون
وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان
مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما والله اعلم **قوله تعالى**
والله من ورائهم محيط اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل والله عالم
بهم فهو مجازيهم **بل هو قران مجيد** اي متناه في الشرف والكرم والبركة وهو بيان ما بالناس الحاجة اليه
من احكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق **في لوح محفوظ** اي مكتوب في لوح
وهو محفوظ عند الله تعالى من جنود الشياطين وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتاب وروى الضحاك
عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمرا اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك يقال له ماطريون
كتابه نور وقلمه النور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الا وهو يفعل ما يشاء يرفع
وضيعا ويضع رفيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشاء لا اله الا هو وقال انس بن مالك
ومجاهد ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة اسرافيل وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين
العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي فيه اصناف الخلق والخليقة وبيان امورهم وذكر اجالهم وارزاقهم واعمالهم
والاقضية النافذة فيهم وعواقب امورهم وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ
لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ الها سواي وكتب
الحجاج الى محمد بن الحنفية رضي الله عنه يتوعده فكتب اليه ابن الحنفية بلغني ان الله تعالى في كل ليلة ينظر
ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ يعز ويذل ويبلي ويفرج ويفعل ما يريد فلعل نظرة منها
تسلبك نفسك فتشتغل بها ولا تتفرغ وقال بعض المفسرين اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه

في السماء محمد

وقرا ابن السميقع وابو حيوة قران مجيد على الاضافة اي قران رب مجيد وقرا نافع في لوح محفوظ بالرفع
نعتا للقران اي بل هو قران مجيد محفوظ في لوح الباقون بالجر نعتا للوح والقراء متفقون على فتح اللام
الا ما روي عن يحيى بن يعمر فانه قرا في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو نور وعلو وشرف الزمخشري
واللوح الهوا يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح وفي الصحاح لاح الشيء يلوح اي لمح ولاحه السفر
غيره ولاح لوحا ولواحا عطش والتاح مثله واللوح الكتف وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه
واللوح بالضم الهوا بين السماء والارض والله اعلم **سورة الطارق مكيه وهي سبع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله تعالى **والسماء والطارق** قسمان والسماء قسم والطارق قسم والطارق النجم وقد بينه الله تعالى بقوله
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب واختلف فيه فقيل هو زحل الكوكب الذي في السماء السابعة ذكره محمد
ابن الحسين في تفسيره وذكر له اخبارا والله اعلم بصحتها وقال ابن زيد انه الثريا وعنه ايضا انه زحل وقاله
الفرا ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما النجم الثاقب نجم في السماء لا يسكنها
غيره من النجوم واذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة
وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفرا ثقب الطائر اذا ارتفع وعلا وروى
ابو صالح عن ابن عباس كان رسول الله صلعم قاعدا مع ابي طالب فانحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع
ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب ونزل والسماء
والطارق وما يطرق فيها وعن ابن عباس وعطا الثاقب الذي ترمى به الشياطين قتادة وهو عام في
ساير النجوم لان طلوعها بليل وكل من اتاك بليل فهو طارق **قال** ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا
فالهيتها عن ذي تمائم مغيل **قال** الم تر اني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب فالطارق النجم
اسم جنس سمي بذلك لانه يطرق ليلا ومنه الحديث نهى النبي صلعم ان يطرق المسافر اهله ليلا كي
تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقا يقال طرق فلان اذا جاء
بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق **ولابن الرومي** يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن
اسحارا لا تفرحن بليل طاب اوله فرب اخر ليل اجج النارا وفي الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب
الصبح ومنه قول هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق اي ان ابانا في الشرف كالنجم المضيء الماوردي
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق
قال قوم انه يكون نهارا والعرب تقول اتيتك اليوم طرقتين اي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اعوذ بك من شر طارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن **وقال جرير في الطرق** طرقتك
صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام ثم بين فقال وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
والثاقب المضيء ومنه شهاب ثاقب يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضاء وثقوبه ضوءه والعرب تقول
اثقب نارك اي اضئها **قال** اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب الثقوب ما اشتعل
به النار من دقاق العيدان وقال مجاهد الثاقب المتوهج القشيري والمعظم على ان الطارق والثاقب
اسم جنس اريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد وما ادريك ما الطارق تفخيما لشان هذا المقسم به وقال
سفيان كل ما في القران وما ادراك فقد اخبره به وكل شيء قال فيه وما يدريك لم يخبر به **قوله تعالى**
ان كل نفس لما عليها حافظ قال قتادة حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك وعنه ايضا
قال قرينه يحفظ عليه عمله من خير او شر هذا جواب القسم وقيل الجواب انه على رجعه لقادر من
قول الترمذي محمد بن علي وان مخففة من الثقيلة وما مؤكدة اي ان كل نفس لعليها حافظ وقيل المعنى
ان كل نفس الا عليها حافظ يحفظها من الافات حتى يسلمها الى القدر قال الفرا الحافظ من الله يحفظها

حتى يسلمها الى المقادير وقاله الكلبي وقال ابو امامة قال النبي صم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا
يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل
الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقراءة ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد الميم اي ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقول قايلهم نشدتك
لما قمت الينا قون بالتخفيف على انها زايدة مؤكدة كما ذكرنا ونظير هذه الاية قوله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقيل الحافظ هو الله سبحانه فلولا حفظه لها
لم تبق وقال الحافظ عليه عقله يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره قال المصنف رحمه الله العقل
وغيره وسايط والحافظ بالحقيقة هو الله قال الله عز وجل فالله خير حافظا وقال قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن وما كان مثله قوله تعالى فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق ووجه
الاتصال بما قبله توصية الانسان بالنظر في اول امره وسنته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر
على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزا ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبة امره ومم خلق
استفهام اي من اي شي خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق اي مدفوق
كما قالوا امر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق
الله روحه اذا دعي عليه بالموت قال الفرا والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم الزجاج هو
ماء ذي اندفاق يقال دارع وفارس ونابل اي ذو فرس ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق
هو المندفق بشدة قوته واراد ما يمني ماء الرجل وماء المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما
ماء واحدا لامتزاجهما وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزج يخرج اي هذا الماء من بين الصلب اي
الظهر وفيه لغات اربع صُلْب وصُلُب وقرئ بهما وصَلَب بفتح اللام وصالب على وزن قالب ومنه قول
العباس تنقل من صالب الى رحم والترائب اي الصدر الواحدة تريبة وهو موضع القلادة من النحر قال
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل والصلب من الرجل والترائب من المراة
قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه ما بين ثدييها وقال عكرمة وروي ان ترائب المراة اليدين
والرجلين والعينين وقال الضحاك وقال سعيد بن جبير هو الجيد مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه
الصدر وعنه التراقي وعن ابن جبير عن ابن عباس الترائب اربعة الاضلاع من كل جانب وحكى الزجاج
ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وقال معمر عن ابي خيثمة
المدني غضارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور من كلام العرب انها عظام النحر في الصدر قال
دريد بن الصمة فان تدبروا ناخذكم في ظهوركم وان تقبلوا ناخذكم في الترائب وقال اخر وبدت كان
ترائبا في نحرها جمر الغضا في ساعة تتوقد وقال اخر والزعفران على ترائبها شرق به اللبات
والنحر وعن عكرمة الترائب الصدر ثم انشد نظام در على ترائبها وقال ذو الرمة ضرجن برودا
عن ترائب حرة اي شققن ويروى صرحن بالحاء اي القين وفي الصحاح والتريبة واحدة الترائب
وهو عظام الصدر ما بين الترقوة والسرة قال الشاعر اشرق ثدياها على التريب وقال المثقب العبدي
ومن ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غصون عن غير الجوهري وفي التفسير يخلق
من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المراة الذي يخرج من ترائبها اللحم
والدم وقاله الاعمش وقد تقدم وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ حتى يجتمع في الانثيين
وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب والترائب وحكى الفرا
ان مثل هذا يأتي عن العرب وعليه فيكون معنى من بين الصلب من الصلب وقال الحسن المعنى يخرج من

صلب

صلب الرجل وترائب الرجل ومن صلب المراة وترائب المراة ثم انا نعلم ان النطفة من اجزاء البدن ولذلك
يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا المكثر من الجماع يجد وجعا
في ظهره وصلبه وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماء وروى اسماعيل عن اهل مكة يخرج من بين
الصلب بضم اللام ورويت عن عيسى الثقفي حكاه المهدوي وقال من جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه
فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان وقرئ الصلب بفتح الصاد
واللام وفيه اربع لغات صُلْب وصُلُب وصَلَب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المودم وفي مدح النبي
صلعم تنقل من صالب الى رحم الابيات مشهورة معروفة انه اي ان الله جل ثناؤه على رجعه اي على رد الماء في الاحليل
لقادر كذا قال مجاهد والضحاك وعنهما ايضا ان المعنى انه على رد الماء في الصلب وقال عكرمة عن الضحاك ايضا ان المعنى
انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر لقادر وكذا في المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الى
الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال ابن عباس وقتادة والحسن
وعكرمة انه على رجعه لقادر لقوله يوم تبلى السرائر الماوردي ويحتمل انه يعيده الى الدنيا بعد بعثه في الاخرة
لان الكفار يسالون الله تعالى فيها الرجعة قوله تعالى يوم تبلى السرائر فيه مسئلتان الاولى العامل في يوم في
قول من جعل المعنى انه على بعث الانسان قوله لقادر ولا يعمل فيه رجعه لما فيه من التفرقة بين الصلة
والموصول بخبر ان وعلى الاقوال الاخر التي في انه على رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا يعمل
فيه لقادر لان المراد في الدنيا وتبلى اي تمتحن وتختبر قال ابو الغول الطهوري ولا تبلى بسالتهم وان هم
صلوا بالحرب حينا بعد حين ويروى تبلى بسالتهم فمن رواه تبلى بضم التاء جعله من الاختبار وتكون البسالة
على هذه الرواية الكراهة لانه قال لا يعرف لهم كراهة وتبلى تعرف قال الراجز قد كنت قبل اليوم تزدرين فاليوم
ابلوك وتبتلين اي اعرفك وتعرفني ومن رواه تبلى بفتح التاء فالمعنى انهم لا يضعفون عن الحرب ان كررت عليهم
زمانا بعد زمان وذلك ان الامور الشداد اذا تكررت على الانسان هدته واضعفته وقيل تبلى السرائر اي تخرج
مخباتها وتظهر وهو كل ما استسره الانسان من خير او شر واضمره من ايمان او كفر كما قال الاحوص سيبلى لكم من مضمر السر
والحشى سريرة ود يوم تبلى السرائر الثانية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايتمن الله خلقه على اربع على
الصلاة والصوم والزكاة والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله عز وجل يوم القيمة ذكره المهدوي وقال ابن عمر قال النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث من حافظ عليها فهو ولي لله حقا ومن اختانهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل
من الجنابة ذكره الثعلبي وذكر الماوردي عن زيد بن اسلم قال رسول الله صم الامانة ثلاث الصلاة والصوم والجنابة
ايتمن الله عز وجل ابن ادم على الصلاة فان شاء قال صليت ولم يصل ايتمن الله عز وجل ابن ادم على الصوم فان
شاء قال صمت ولم يصم ايتمن الله عز وجل ابن ادم على الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرؤا ان شئتم
يوم تبلى السرائر وذكره الثعلبي عن عطا وقال مالك في رواية اشهب عنه وسالته عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر
ابلغك ان الوضوء من السرائر قال وقد بلغني فيما يقول الناس فاما حديث احدث به فلا والصلاة من السرائر
والصيام من السرائر ان شاء قال صليت ولم يصل ومن السرائر ما في القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي
قال ابن مسعود يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة
واشد ذلك الوديعة تمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في
عنقه فاذا رجا ان يخرج بها زلت منه فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت المراة
على فرجها قال اشهب قال لي سفيان في الحيضة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تات بما يعرف منه
انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الامانة وقال ابن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر خفي فيكون زينا
في الوجوه وشينا في الوجوه والله عالم بكل شي ولكن يظهر علامات للملائكة والمؤمنين قوله تعالى فما له اي

للانسان من قوة • اي منعة تمنعه • ولا ناصر • قال هولاء الملوك مالهم يوم القيمة من قوة ولا ناصر وقال سفين القوة العشيرة والناصر الحليف وقيل ماله من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله وهو معنى قول قتادة قوله تعالى والسماء ذات الرجع • اي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة المفسرين وقال اهل اللغة الرجع المطر وانشدوا للمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء • ابيض كالرجع رسوب اذا • ما ناخ في محتفل يختلي • قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقيل يسمى المطر ايضا اوبا كما يسمى رجعا قال • رباء شماء لا ياوي لقلتها • الا السحاب والا الاوب والسبل • وقال عبد الرحمن بن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في اخرى وقيل ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم • والارض ذات الصدع • قسم اخر اي تصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع عنه الارض فتصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور • انه لقول فصل • على هذا وقع القسم اي القران يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحارث عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقيل المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة من قوله انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر • وما هو بالهزل • اي ليس القران بالباطل واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت يجد بنا في كل يوم ويهزل • انهم • اي اعداء الله يكيدون كيدا • اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا • واكيد كيدا • اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة عند قوله تعالى الله يستهزئ بهم مستوفى قوله تعالى فمهل الكافرين • اي اخرهم ولا تسال الله تعجيل اهلاكهم وارض بما يريده من امورهم ثم نسخت باية السيف اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم • امهلهم تاكيد ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل وامهله انظره ومهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال الاستنظار وتمهل في امره اي اتاد واتمهل اتمهلالا اي اعتدل وانتصب والاتمهلال ايضا سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا • رويدا • اي قريبا عن ابن عباس قتادة قليلا والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود وكذا قال ابو عبيدة وانشد كانها ثمل يمشي على رود • اي على مهل وتفسير رويد مهلا وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقاء الساكنين ونصب للفاعل وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم الفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويد عمرا اي ارود عمرا بمعنى امهله والصفة نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد عمرو بالاضافة كقوله تعالى فضرب الرقاب بما قال جميعه الجوهري والذي في الاية من هذه الوجوه ان يكون نعتا للمصدر اي امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل والله اعلم

تفسير سورة الاعلى مكية

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة اية وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى • يستحب للقارئ اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول على عقبه سبحان ربي الاعلى قاله النبي ﷺ وقاله جماعة من الصحابة والتابعين على ما ياتي وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال ان الله تعالى خلق ملكا يقال له حزقيائيل له ثمانية الاف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل تقدر ان يبصر العرش فزاده الله اجنحة مثلها وكان

له ستة

قايمة من صح

له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام ثم اوحى الله تعالى اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ راس قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الاجنحة والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة اخرى فلم يصل ايضا فاوحى الله اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي ﷺ اجعلوها في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له وقال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى كما قال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكم • وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحدون وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك ان يسمى به احدا سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم ولذكره محترم وجعل الاسم بمعنى التسمية والاولى ان يكون الاسم هو المسمى روى نافع عن ابن عمر قال لا تقل على اسم الله فان اسم الله هو الاعلى وروى ابو صالح عن ابن عباس صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان تقول سبحان ربي الاعلى وروي عن علي وابن عباس وابن الزبير وابي موسى وابن عمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره في ابتدائها ويختار الاقتداء بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القران كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل انها في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى وكان ابن عمر يقراها كذلك وفي الحديث كان رسول الله ﷺ اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره قال ابو بكر الانباري حدثني محمد بن شهريار حدثنا حسين بن الاسود حدثنا عبد الرحمن بن ابي حماد حدثنا عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المؤمنين اتزيد هذا في القران قال ما هو قيل سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشيء فعلته وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام وقال النبي ﷺ لجبريل يا جبريل اخبرني بثواب من يقول سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا فوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت له وادخلته الجنة فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فاوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فاذهب به الى الجنة وقال الحسن سبح اسم ربك الاعلى اي صل لربك الاعلى وقيل اي صل باسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية وقيل ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما • سبح الحجيج وكبروا تكبيرا • قوله تعالى الذي خلق فسوى • وقد تقدم معنى التسوية في الانفطار وغيرها اي سوى ما خلق فلم يكن في خلقه تثبيج وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس حسن ما خلق وقال الضحاك خلق ادم فسوى خلقه وقيل خلق في اصلاب الاباء وسوى في ارحام الامهات وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل اي خلق الانسان وهياه للتكليف • والذي قدر فهدى • قرا علي رضي الله عنه والسلمي والكسائي قدر مخففة الدال وشدد الباقون وهما بمعنى واحد اي قدر ووفق لكل شكل شكله فهدى اي ارشد قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلالة وعنه قال هدى الانسان للسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر ارزاقهم واقواتهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله وهدى قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال في طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها

منهما وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى
اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها
فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها
حتى تهجم بعض البساتين على شجرة الرازيانج فتحك بها عينها وترجع باصرة باذن الله تعالى وهداية الانسان
الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم
والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف فسبحان ربي الاعلى وقال السدي قدر مدة
الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر ثم هداه للخروج من الرحم وقال الفراء اي قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما
كقوله سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعنى دعى الى الايمان كقوله وانك لتهدي اي لتدعو وقد دعى الكل الى الايمان
وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا ولا خلاف ان من شدد الدال من قدر انه من التقدير
كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ومن خفف فيحتمل ان يكون من التقدير فيكونان بمعنى ويحتمل ان يكون
من القدرة والملك اي ملك الاشياء وهدى من يشاء قال الشيخ رحمه الله تعالى وسمعت بعض اشياخي يقول الذي خلق
فسوى وقدر فهدى هو تفسير للعلو الذي يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته • والذي اخرج المرعى • اي النبات
والكلا الاخضر قال الشاعر وقد ينبت المرعى على دمن الثرى • وتبقى حزازات النفوس كما هي • فجعله غثاء احوى •
الغثاء ما يقذف به السيل على جوانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش وكذلك الغثاء بالتشديد والجمع الاغثاء
قتادة الغثاء الشيء اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا تحطم ويبس غثاء وهشيم وكذلك للذي يكون حول الماء من
القماش غثاء كما قال كان ذرى راس المجيمر غدوة • من السيل والاغثاء فلكة مغزل • وحكى اهل اللغة غثى الوادي وجفى
وكذلك الماء اذا علاه من الزبد والقماش ما لا ينتفع به احوى اي ان النبات يضرب الى الحوة من شدة الخضرة كالاسود والحوة
السواد قال الاعشى لها في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب • وفي الصحاح والحوة سمرة الشفة يقال رجل
احوى وامراة حواء وقد حويت وبعير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوى احيوى في لغة من قال اسيود
ثم قيل يجوز ان يكون احوى حالا من المرعى ويكون المعنى كانه من خضرته يضرب الى السواد والتقدير اخرج المرعى احوى فجعله
غثاء فقال قد حوى البيت حكاه الكسائي وقال وغيث من الوسمي حو تلاعه • تبطنته بشطيم صلتان • ويجوز
ان يكون احوى صفة لغثاء والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه وقدمه
والرطب اذا يبس اسود قال عبد الرحمن بن زيد اخرج المرعى اخضر ثم لما يبس اسود ثم صار غثاء تذهب به الرياح والسيول
وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها قوله تعالى سنقرئك • اي القران يا محمد فلنعلمك
فلا تنسى • اي فتحفظ رواه ابن وهب عن مالك وهذه بشرى من الله تعالى لنبيه بان اعطاه اية بينة وهي ان يقرا
عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال
كان يتذكر مخافة ان ينسا فقيل كفيته قال مجاهد والكلبي كان النبي م اذا انزل جبريل عليه بالوحي لم يفرغ جبريل
من اخر الاية حتى يتكلم بعد ذلك شيئا قد كفيتك ووجه الاستثناء على هذا ما قاله الفرا الا ما شاء الله • وهو
لم يشا ان تنسا شيئا كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ولا يشاء ويقال في الكلام
لاعطينك كل ما سالت الا ما شئت والا ان اشاء ان امنعك والنية على ان لا يمنعه شيئا فعلى هذا مجاري الايمان يستثنى
فيها ونية الحالف التمام وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس فلم ينس بعد نزول هذه الاية الا ما شاء الله وعن سعيد
عن قتادة قال كان رسول الله صم لا ينسا شيئا الا ما شاء الله وعلى هذه الاقوال قيل الا ما شاء الله ان ينسا ولكنه
لم ينس شيئا منه بعد نزول هذه الاية وقيل الا ما شاء الله ان ينسا ثم يذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر
ولا ينسى نسيانا كليا وقد روي انه اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال
نسيتها وقيل هو من النسيان اي الا ما شاء الله ان ينسيك ثم قيل هذا بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخه والا

نوع

نوع من النسخ وقيل النسيان بمعنى الترك اي يعصمك من ان تترك العمل به الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا في نسخ العمل
والاول في نسخ القراءة قال الفرغاني كان يغشى مجلس الجنيد اهل النسك من العلوم وكان يغشاه ابن كيسان النحوي وكان رجلا جليلا
فقال يوما ما تقول يا ابا القاسم في قوله سنقرئك فلا تنسى فاجابه مسرعا كانه تقدم له السؤال قبل ذلك باوقات لا تنسى
العمل به فقال ابن كيسان لا يفضض فاك مثلك يصدر عن رايه وقوله فلا النفي لا للنهي وقيل للنهي وانما اثبتت الياء لان
روس الاي على ذلك والمعنى لا تغفل قراءته وتكراره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيك برفع تلاوته للمصلحة والاول
هو المختار لان الاستثناء من النهي لا يكاد يكون الا وقتا معلوما وايضا فان الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها
القرا وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله وقيل المعنى فجعله غثاء احوى الا ما شاء الله ان يناله بنو ادم والبهائم
فانه لا يصير كذلك قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى • من السر وعن ابن عباس ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان
الصدقة واخفاها وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك • ونيسرك • معطوف
على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعنى لليسرى • اي للطريقة اليسرى وهي عمل الخير قال ابن عباس
نيسرك لان تعمل خيرا ابن مسعود لليسرى اي للجنة وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحاء السهلة قال
معناه الضحاك وقيل اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به قوله تعالى فذكر • اي فعظ قومك يا محمد بالقران • ان
نفعت الذكرى • اي الموعظة وروى يونس عن الحسن قال تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر وقال ابن عباس يقول تنفع اوليائي
ولا تنفع اعدائي وقال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع والمعنى فذكر ان نفعت الذكرى او لم تنفع فحذف كما قال
سرابيل تقيكم الحر وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا
بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن شجرة وذكر بعض اهل العربية ان ان بمعنى اذ اي اذ نفعت الذكرى
كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فلم يخبر بعلوهم الا بعد ايمانهم وقيل بمعنى قد قوله تعالى سيذكر من يخشى •
اي من يتق الله ويخافه فروى ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في ابن ام مكتوم الاعمى الماوردي وقد يذكر من يرجوه
الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا وقيل
اي عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الرجا حكاه القشيري قوله
تعالى ويتجنبها • اي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الاشقى • اي الشقي في علم الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعتبة ابن ربيعة • الذي يصلى النار الكبرى • اي العظمى وهي السفلى من اطباق النار قاله الفرا وعن الحسن الكبرى
نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقاله يحيى بن سلام • ثم لا يموت فيها ولا يحيى • اي لا يموت فيستريح من العذاب ولا
يحيى حياة تنفعه كما قال الشاعر الا ما لنفس لا تموت فينقضي • عناها ولا تحيى حياة فتنعم • وقد مضى في النساء
وغيرها حديث ابي سعيد الخدري وان الموحدين من المذنبين اذا دخلوا جهنم وهي النار الصغرى على قول الفرا
احترقوا فيها وماتوا الا ان يشفع الله فيهم خرجه مسلم وقيل اهل الشقا متفاوتون في شقائهم وهذا الوعيد
للاشقى وان كان ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة قوله تعالى قد افلح من تزكى • فيه ثلاث مسائل الاولى قوله قد افلح
اي صادف البقاء في الجنة اي من تطهر عن الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطا وعكرمة وقال الحسن والربيع من
كان عمله زاكيا ناميا وقال معمر عن قتادة يتزكى قال بعمل صالح وعنه وعن عطا وابي العالية نزلت في صدقة
الفطر وعن ابن سيرين قد افلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى • قال ادى وقال عكرمة كان الرجل يقول اقدم زكاتي
بين يدي صلاتي فقال سفيان قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وروي عن ابي سعيد الخدري
وابن عمر ان ذلك في صدقة الفطر وصلاة العيد وكذلك قال ابو العالية وقال اهل المدينة لا يرون صدقة
افضل منها ومن سقاية الماء وروى كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده عن النبي م في قوله قد افلح من تزكى
قال اخرج زكاة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال صلاة العيد وقال ابن عباس وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة
العيد وقيل المراد بالاية زكاة الاموال كلها قاله ابو الاحوص وعطا روى ابن جريج قال قلت لعطا قد افلح من تزكى للفطر

قال للصدقات كلها وقيل زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي تطهر في اعماله من الريا والتقصير لان الاكثران يقال
في المال زكى لا تزكى وروى جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي من شهد ان لا اله الا الله وخلع
الانداد وشهد اني رسول الله وعن ابن عباس تزكى قال لا اله الا الله وروى عنه عطا قال نزلت في عثمان بن
عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق كانت له نخلة بالمدينة مايلة في دار رجل من الانصار
اذا لعبت الرياح اسقطت البسر والرطب الى دار الانصاري فياكل هو وعياله فخاصم المنافق فشكى ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع
الى منزله فياكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها فقال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا
ان عثمان بن عفان اعطاه حايطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في الذي قال
ويتجنبها الاشقى • وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه **الثانية** قد ذكرنا القول في
زكاة الفطر في سورة البقرة مستوفى وقد تقدم ان هذه السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد
ولا زكاة فطر القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل اموره في زكاة الفطر وصلاة العيد فيما يامر
به في المستقبل **الثالثة** قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى وروى عطا عن ابن عباس قال يريد ذكر معاده
وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في اول الصلاة لانها لا
تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبها يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة
لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسماء الله عز وجل وهذه
مسلة خلافية بين الفقهاء وقد مضى القول في هذا في اول سورة البقرة وقيل هي تكبيرات العيد قال
الضحاك وذكر اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ليكون استيفاوه
لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه وهو ان يفتتح اول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم فصلى اي وصلى
وذكر ولا فرق بين ان تقول اكرمتني فزرتني وبين ان تقول زرتني فاكرمتني قال ابن عباس هذا في الصلاة المفروضة
وهي الصلوات الخمس وقيل الدعاء اي دعاه بحوايج الدنيا والاخرة وقيل صلاة العيد قال ابو سعيد الخدري وابن
عمر وغيرهما وقد تقدم وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاته قال ابو الاحوص وهو مقتضى قول عطا وروى
عن عبد الله قال من اقام الصلاة ولم يوت الزكاة فلا صلاة له **قوله تعالى** بل توثرون الحيوة الدنيا • قراءة
العامة بل توثرون بالتا تصديقه قراءة ابي بل انتم توثرون وقرا ابو عمرو ونصر بن عاصم بل يوثرون
بالياء على الغيب تقديره بل يوثرون ان لا يبتون الحياة الدنيا وعلى الاول فيكون تاويلها بل توثرون ايها
المسلمون والاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود انه قرا هذه الاية فقال اتدرون
لم اثرنا الحيوة الدنيا على الاخرة لان الدنيا احضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها
والاخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل وروى ثابت عن انس قال كنا مع ابي موسى في مسير
والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا قال ابو موسى يا انس ان هولاء يكاد احدهم يفري الاديم بلسانه فريا
فتعال فلنذكر ربنا ساعة ثم قال يا انس ما ثبر الناس ما بطا بهم قلت الدنيا والشيطان والشهوات قال لا ولكن
عجلت الدنيا وغيبت الاخرة اما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا ميلوا **قوله تعالى** والاخرة خير وابقى • اي والدار
الاخرة اي الجنة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع صحيح وقد تقدم وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة
من خزف يبقى لكان الواجب ان يوثر خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والاخرة من خزف يبقى **قوله
تعالى** ان هذا لفي الصحف الاولى • قال قتادة وابن زيد قوله والاخرة خير وابقى وقال لا تتابعت كتب الله
جل ثناؤه كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى قال كتب الله كلها الكلبي

ان هذا لفي الصحف الاولى من قوله قد افلح الى اخر السورة لحديث ابي ذر على ما ياتي وقال عكرمة عن ابن عباس ان هذا
لفي الصحف الاولى قال هذه السورة وقال الضحاك ان هذا القران لفي الصحف الاولى • صحف ابرهيم وموسى يعني
الكتب المنزلة ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما هو على المعنى اي معنى هذا الكلام وارد وروى
الاجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابرهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط
المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها
ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان يكون له ساعات يناجي فيها ربه وساعة يفكر
فيها في صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا
في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما
كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل قال
قلت يا رسول الله فهل في ايدينا شي مما كان في يدي ابرهيم مما انزل الله عليك قال نعم اقرا يا ابا ذر قد افلح
من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل توثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابرهيم وموسى والله اعلم **سورة الغاشية مكية في قول الجميع** وهي ست وعشرون اية **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية • هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد
حديث الغاشية اي القيامة التي تغشى الخلايق باهوالها وافزاعها قاله اكثر المفسرين وقال سعيد بن
جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو صالح عن ابن عباس ودليله قوله تعالى
وتغشى وجوههم النار وقيل تغشى الخلق وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل
الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل معنى هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم
قومك قال ابن عباس لم يكن اتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور ههنا وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام
لرسوله ومعناه ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي **قوله تعالى** وجوه يومئذ
خاشعة • عاملة ناصبة • قال ابن عباس لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال وجوه يومئذ اي يوم
القيمة خاشعة قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وكل متضايل خاشع ساكن ويقال خشع في صلاته
اذا تذلل ونكس راسه وخشع الصوت خفي قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والمراد بالوجوه
اصحاب الوجوه وقال قتادة وابن زيد خاشعة اي في النار والمراد وجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام
وقيل اراد وجوه اليهود والنصارى قاله ابن عباس ثم قال عاملة ناصبة في الدنيا خاشعة في الاخرة
قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب في سيره قد عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل
يعمل عملا وذا سحاب عمل **قال الهذلي** حتى سناها كليلا موهنا عمل • باتت طرابا وبات الليل لم ينم •
ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب اذا تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره فروى الضحاك عن ابن عباس
قال هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل وعن الكفر مثل عبدة الاوثان وكفار اهل
الكتاب مثل الرهبان لا يقبل الله منهم الا ما كان خالصا له وقال سعيد عن قتادة قال عاملة ناصبة
تكبرت في الدنيا عن طاعة الله عز وجل فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال
والوقوف عراة حفاة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وسعيد بن جبير لم تعمل لله
في الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم فينصبون فيها اشد ما يكون من النصب بمعالجة
السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاوها في صعود من نار وهبوطها

تفسير سورة الغاشية
مكية

فحدورمنها بالحجر فخلت من عذابها وقاله ابن عباس وقرا ابن محيصن وعيسى وحميد ورواه عبيد عن شبل
عن ابن كثير ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم الباقون بالرفع على الصفة وعلى اضمار مبتدا فيوقف
على خاشعة ومن جعل المعنى في الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يتوقف على خاشعة
وقيل عاملة ناصبة اي عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة خاشعة قال عكرمة والسدي عملت في الدنيا
بالمعاصي وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم هم الرهبان اصحاب الصوامع وقاله ابن عباس وقد تقدم
في رواية الضحاك عنه وروى عن الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام اتاه راهب
شيخ كبير متقهل عليه سواد فلما راه عمر بكى فقيل له يا امير المؤمنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا
ورجا رجاء فاخطاه وقرا قول الله عز وجل وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة وعن علي رضي الله عنه
انهم اهل حروراء يعني الخوارج الذين ذكرهم رسول الله م فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم واعمالكم مع اعمالهم
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث قوله تعالى تصلى نارا حامية • اي يصيبها صلاها و
حرها حامية شديدة الحر اي قد اوقدت واحميت المدة الطويلة ومنه حمي النار بالكسر وحمي التنور حميا
فيهما اي اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى وقال ابو عمرو وابو بكر ويعقوب
تصلى بفتح التاء الباقون بضمها وقرئ تصلى وقد تقدم القول فيهما في اذا السماء انشقت الماوردي
فان قيل فما معنى صفتها بالحمي وهي لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة
الناقصة قيل قد اختلف في المراد بالحامية ههنا على اربعة اوجه احدها ان المراد بذلك انها دائمة
الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها الثاني ان المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب المحظورات
وانتهاك المحارم كما قال النبي م الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه الثالث انها تحمي نفسها عن ان تطاق ملامستها وترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه ومثل قول
النابغة تعدو الذئاب على من لا كلاب له • وتتقي صولة المستاسد الحامي • الرابع انها حامية حمي غيظ
وغضب مبالغة في شدة الانتقام ولم يرد حمي جرم وذات كما يقال قد حمي فلان اذا اغتاظ وغضب
عند ارادة الانتقام وقد بين الله بقوله هذا المعنى تكاد تميز من الغيظ قوله تعالى تسقى من عين آنية • الاني
الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخير ومنه آنيت وآذيت وآناه يؤنيه ايناء اي اخره وحبسه وابطاه
ومنه يطوفون بينها وبين حميم آن وفي التفاسير من عين آنية اي تناهى حرها فلو وقعت نقطة منها
على جبال الدنيا لذابت وقال الحسن آنية اي حرها اذابل وقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها
وردا عطاشا وعن ابن ابي نجيح قال بلغت اناها وحان شربها قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع • لما ذكر
شرابهم ذكر طعامهم قال عكرمة ومجاهد الضريع نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق
اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو اخبث الطعام
واشنعه على هذا عامة المفسرين الا ان الضحاك روى عن ابن عباس قال شيء يرمى به في البحر يسمى الضريع
من اقوات الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا والصحيح ما قاله الجمهور انه نبت
قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى • وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال الهذلي وذكر
ابلا وسوء مرعاها • وحبسن في هزم الضريع فكلها • حدباء دامية اليدين حرود • وقال الخليل الضريع نبات
اخضر منتن الريح يرمي به في البحر وقال الوالبي عن ابن عباس هو شجر من نار ولو كانت في الدنيا لاحترقت الارض
وما عليها وقال سعيد بن جبير هو الحجارة وقال عكرمة والاكثرون انه شجر ذو شوك حسبما هو في الدنيا وعن
ابن عباس عن النبي م قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من
الجيفة واحر من النار سماه الله ضريعا وقال خالد بن زياد سمعت المتوكل بن حميدان سئل عن هذه الاية

ليس لهم طعام الا من ضريع قال بلغني ان الضريع شجرة من نار جهنم حملها القيح والدم اشد مرارة من الصبر
فذلك طعامهم وقال الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون
ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان آكله يضرع في ان يعفى عنه لكراهته وخشونته
قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي ذو ضراعة وعن الحسن ايضا هو الزقوم وقيل هو واد
في جهنم فالله اعلم وقد قال الله تعالى في موضع اخر فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال هنا الا
من ضريع وهو غير الغسلين ووجه الجمع ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من
طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم
في درجة اخرى ويجوز ان تحمل الايتان على حالتين كما قال يطوفون بينها وبين حميم آن القتبي ويجوز ان يكون الضريع
وشجرة الزقوم نبتين من النار او من جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت
على ما نعلم لما بقيت على النار وانما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالاسماء متفقة الدلالة والمعاني مختلفة
وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها القشيري واجمل من قول القتبي ان الذي يُبقي الكافرين في النار ليدوم
عليهم العذاب يُبقي النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار وزعم بعضهم ان الضريع بعينه لا ينبت
في النار ولا انهم ياكلونه فالضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع وهلكت
هزلا فاراد ان هؤلاء يقتاتون بما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلا انهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته
الضريع قال الترمذي الحكيم وهذا نظر سقيم من اهله وتاويل دني كانه يدل على انهم تحيروا في قدرة الله وان الذي
انبت في هذا التراب هذا الضريع قادر على ان ينبته في حريق النار كما جعل لنا في الدنيا من الشجر الاخضر نارا فلا النار
تحرق الشجر ولا رطوبة الماء في الشجر تطفئ النار فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وكما
قيل حين نزلت ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم قالوا يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم على
ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم فلا يتحير في مثل ذلك الا ضعيف القلب اوليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها وقال سرابيلهم من قطران وقال ان لدينا انكالا اي قيودا وجحيما وطعاما ذا غصة قيل ذا شوك فانما
يتلون عليهم العذاب بهذه الاشياء قوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع • يعني الضريع لا يسمن آكله وكيف يسمن
من ياكل الشوك قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني
من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبت
النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يشبع ولا يغني من جوع قوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة • اي ذات
نعمة وهي وجوه المؤمنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها • اي لعملها الذي عملته
في الدنيا راضية • في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها ومجازه لثواب سعيها راضية وفيها واو مضمرة المعنى ووجوه
يومئذ • ليفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية • اي مرتفعة لانها فوق
السموات حسب ما تقدم وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون قوله
تعالى لا تسمع فيها لاغية • اي كلاما ساقطا غير مرضي وقال لاغية واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال عن اللغا
ورفث التكلم وقال الفراء والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها ستة اوجه احدها يعني كذبا وبهتانا
وكفرا بالله عز وجل قاله ابن عباس الثاني لا باطل ولا اثم قاله قتادة الثالث انه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية
قاله الحسن الخامس لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب قاله الفراء وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة
السادس لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم
الدائم قاله الفراء ايضا وهو احسنها لانه يعم ما ذكر وقرا ابو عمرو وابن كثير لا يسمع بياء غير مسمى الفاعل وكذلك
نافع بالتاء المضمومة لان اللاغية اسم مؤنث فانث الفعل لتانيثه ومن قرا بالياء فلانه حال بين الاسم والفعل

للجار والمجرور وقرا الباقون بالتاء لاغية نصبا على اسناد ذلك للوجوه اي لا تسمع الوجوه فيها لاغية قوله
تعالى فيها عين جارية اي بماء مندفق وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقد
تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا فعين بمعنى عيون والله اعلم فيها سرر مرفوعة اي عالية وروى
انه كان ارتفاعها قدر ما بين السماء والارض ليرى ولي الله ملكه حوله واكواب موضوعة اي اباريق و
اواني والابريق هو ما له عروة وخرطوم والكوب ما ليس له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا في سورة
الزخرف وغيرها ونمارق اي وسائد الواحدة نمرقة مصفوفة اي واحدة الى جنب الاخرى قال الشاعر
وانا لنجري الكاس بين شروبنا وبين ابي قابوس فوق النمارق وقال اخر كهول وشبان حسان وجوههم
على سرر مصفوفة ونمارق وفي الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة
حكاها يعقوب وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة عن ابي عبيد وزرابي مبثوثة قال ابو عبيدة
الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدتها زربية وقاله الكلبي والفرا والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة
وقيل بعضها فوق بعض قاله عكرمة وقيل كثيرة قاله الفرا وقيل متفرقة في المجالس قاله القتبي قلت
هذا اصوب فهي كثيرة متفرقة ومنه وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانباري احمد بن الحسين قال
حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية
وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكئين فيها ناعمين قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال المفسرون
لما ذكر الله عز وجل امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وانه قادر
على كل شي كما خلق الحيوانات والسماء والارض ثم ذكر الابل اولا لانها كثيرة في العرب ولم يروا الفيلة فنبههم
جل ثناوه على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل
فينهض بثقيل حمله وليس ذلك في شي من الحيوانات غيره فاراهم عظيما من خلقه يدل على توحيده وعظيم
قدرته وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا ببلاد لا ابل بها فتفكر ثم قال يوشك ان
تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان ظماها ليرتفع الى
العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شي نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه ساير البهايم وقيل لما ذكر السرر
المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك
السرر تتطامن ثم ترتفع قال معناه قتادة وغيره وقيل الابل هنا قطع العظام من السحاب قاله المبرد قال
الثعلبي وقيل في الابل هنا السحاب ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمة قلت قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد
الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت بالتخفيف عنى به البعير لانه من ذوات
الاربع يبرك فتحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قايم ومن قراها بالتثقيل فقال
الابل عنى بها السحاب التي تحمل الماء للمطر وقال الماوردي وفي الابل وجهان احدهما وهو اظهرهما واشهرهما
انها الابل من النعم الثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات الدالة على قدرته
والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من ساير الحيوان
لان ضروبه اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور
القدرة فيها اتم وقال الحسن انما خصها بالذكر لانها تاكل النوى والقت وتخرج اللبن وسيل الحسن ايضا عنها
وقالوا الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا
يحلب دره وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والابل لا واحد لها من
لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث لها لازم واذا صغرتها ادخلتها الهاء فقلت ابيلة وغنيمة ونحو
ذلك وربما قالوا للابل ابل يسكنون الباء للتخفيف والجمع ابال قوله تعالى والى السماء كيف رفعت اي رفعت

عن الارض

عن الارض بلا عمد وقيل رفعت فلا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت اي نصبت على الارض لا تزول وذلك ان
الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والى الارض كيف سطحت اي
بسطت ومدت وقال انس صليت خلف علي رضي الله عنه فقال كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت بضم التاءات
اضاف الضمير الى الله تعالى وبه كان يقرا محمد بن السميقع وابو العالية والمفعول محذوف والمعنى خلقتها وكذلك
سايرها وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد الطاء واسكان التاء وكذلك قرا الجماعة الا انهم خففوا
الطاء وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة وقد قيل
هو اقرب الى الناس في حق العرب لكثرتها عندهم وهم من اعرف الناس بها وايضا مرافق الابل اكثر من مرافق
الحيوانات الاخر فهي ماكولة ولبنها مشروب وتصلح للحمل والركوب وقطع المسافات البعيدة عليها والصبر
على العطش وقلة العلف وكثرة الحمل وهي معظم اموال العرب فكانوا يسيرون على الابل منفردين مستوحشين
عن الناس ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره فقد ينظر في مركوبه ثم يمد بصره الى السماء ثم الى الارض فامروا با
لنظر في هذه الاشياء فانها ادل دليل على الصانع المختار القادر قوله تعالى فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما
انت مذكر واعظ لست عليهم بمصيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقرا هارون الاعور بمسيطر
بفتح الطاء والمسيطرون وهي لغة تميم وفي الصحاح المسيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد احواله
ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا
وقال تعالى لست عليهم بمسيطر وسطره اي صرعه الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى عن
الوعظ والتذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع
والقحط والاسر والقتل ودليل هذا التاويل قراءة ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه وقيل هو استثنا
متصل والمعنى لست بمسلط الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر
فلا نسخ في الاية على هذا التقدير وروي ان عليا اتي برجل ارتد فاستتابه ثلاثة ايام فلم يعاود الاسلام فضرب
عنقه وقرا الا من تولى وكفر وقرا ابن عباس الا على الاستفتاح والتنبيه كقول امرئ القيس الا رب يوم لك منهن صالح
ومن على هذا الشرط والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفاء مضمر والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو اريد
الجواب بالفعل الذي بعد الفاء لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت يقال
اب يوب اي رجع قال عبيد وكل ذي غيبة يوب وغايب الموت لا يوب وقرا ابو جعفر ايابهم بالتشديد
قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ويجوز ان يكون فيعالا في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى الزمخشري
قرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعال من الاياب وان يكون
اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد تفسير سورة الفجر
وهي مكية وهي اثنتان وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر اقسم بالفجر وليال عشر
والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة واختلف في الفجر فقال قوم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل
يوم قاله علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه
اوله وقال ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس ايضا فجر المحرم ومثله قاله قتادة قال فهو فجر اول يوم من المحرم
منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال والفجر يريد صبيحة يوم
النحر لان الله جل ثناوه جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم
عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع الفجر
فجر يوم النحر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر
ذي الحجة لان الله تعالى قرن الايام به فقال وليال عشر من ذي الحجة وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في قوله

تفسير سورة الفجر مكية

تعالى عشر هو عشر ذي الحجة وقاله ابن عباس وقال مسروق هي العشر التي ذكرها الله في قصة موسى عليه السلم واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة وروى ابو الزبير عن جابر ان رسول الله ص قال والفجر وليال عشر قال العشر الاضحى فهي ليالي عشر على هذا القول لان ليلة يوم النحر داخلة فيه اي قد خصها الله بان جعلها موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها فلو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير فنكر من بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان وقاله الضحاك وقال ابن عباس ايضا ويمان والطبري هو العشر الاول من المحرم الذي عاشره يوم عاشورا وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر **قوله تعالى** والشفع والوتر الشفع الاثنان والوتر الفرد واختلف في ذلك فروى عن عمران بن الحصين عن النبي ص انه قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي ص والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلعم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سئل النبي ص عن قوله تعالى والشفع والوتر فقال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس ايضا الشفع خلقه قال الله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله عز وجل فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن النبي ص ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر والبرد والشمس والقمر والصيف والشتا والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله عز وجل قال الله جل ثناؤه قل هو الله احد الله الصمد وقال النبي ص ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن عباس ايضا الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب قال الربيع بن انس وابو العالية هي صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع يوما منى الحادي عشر والثاني عشر والثالث الوتر قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وهو قول عطا وقيل ان الشفع والوتر ادم وحوى لان ادم كان فردا فشفع بزوجه حوا فصار شفعا بعد وتر رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس وفي رواية الشفع ادم وحوا والوتر هو الله وقيل الشفع والوتر الخلق شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد يقسم الله تعالى باسمائه وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر والانثى ويقسم بمفعولاته لعجايب صنعته كما قال والشمس وضحاها والسماء وما بناها والطارق وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار لانها سبعة وهذا قول الحسين بن الفضل كانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال سفيان بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله وهو الشفع ايضا لقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق الشفع تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والحياة والموت والبصر والعمى والسمع والصمم والكلام والخرس والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وبصر بلا عمى وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما واذاها وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وهو اقسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة وهما الحرمان والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع القران بين الحج والعمرة او التمتع بالعمرة الى الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما ينمى والوتر ما لا ينمى وقيل غير هذا وقرا ابن مسعود واصحابه والكسائي وحمزة وخلف والوتر بكسر الواو

الباقون بفتح الواو وهما لغتان بمعنى واحد وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الواو الدخل هذه لغة اهل العالية فاما لغة اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر فيهما **قوله تعالى** والليل اذا يسر وهذا قسم خامس وبعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل على العموم ومعنى يسر اي يسرى فيه كما يقال ليل نايم ونهار صايم **قال** لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتبي والاخفش وقال اكثر المفسرين معنى يسرى سار فذهب وقال قتادة وابو العالية جاء واقبل وروى عن ابرهيم والليل اذا يسرى قال اذا استوى وقال عكرمة والكلبي ومجاهد ومحمد ابن كعب في قوله والليل هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها وقيل انه اراد عموم الليل كله **قلت** وهو الاظهر كما تقدم والله اعلم وقرا ابن كثير وابن محيصن ويعقوب يسرى باثبات اليا في الحالين على الاصل لانها ليست بمجزومة فثبتت فيها اليا وقرا نافع وابو عمرو باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف وروي عن الكسائي قال ابو عبيد كان الكسائي يقول تارة باثبات اليا في الوصل ويحذفها في الوقف اتباعا للمصحف ثم رجع الى حذف اليا في الحالين جميعا لانها راس اية وهي قراءة اهل الشام والكوفة واختيار ابي عبيد اتباعا للخط لانها وقعت في المصحف بغير يا قال الخليل تسقط اليا منها اتفاقا لرؤوس الاي قال الفرا قد تحذف العرب اليا وتكتفي بكسر ما قبلها **وانشد بعضهم**
كفاك كف ما تليق درهما * جودا واخرى تعط بالسيف دما *
يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق به وقال المؤرج سالت الاخفش عن العلة في اسقاط اليا من يسر فقال لا اجيبك حتى تبيت على باب داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه فهو مصروف وكما صرفته على جهة بخسة من اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها من باغية الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري هو ان ربك لبالمرصاد وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم وقيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى بل في ذلك مقنع لذي حجر والجواب على هذا ان ربك لبالمرصاد ومعنى حجر اي لذي لب وعقل **قال الشاعر**
وكيف ترجى ان تتوب وانما * يرجى من الفتيان من كان ذا حجر *
كذا قال عامة المفسرين الا ان مالكا قال لذي حجر لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفرا الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه وضبطه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها وقال الفرا العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل **قوله تعالى** الم تر كيف فعل ربك اي مالكك وخالقك * بعاد ارم * قراءة العامة بعاد منون وقرا الحسن وابو العالية بعاد ارم مضافا فمن لم يضف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا منه او عطف بيان ومن قراه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدتهم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقراءة العامة ارم بكسر الهمزة وعن الحسن ايضا بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد ذات اعلام وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما وقال مجاهد والضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام واحدها ارم

وفي الكلام تفخيم وتأخير اي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد الم تر اي الم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار وبلاد فرعون متصلة بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى في سورة البروج وغيرها بعاد اي بقوم هود وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة ولو اجتمع عليه خمسماية من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلوه وان كان احدهم ليدخل قدمه في الارض فتدخل فيها ارم قيل هو سام بن نوح قاله ابن اسحق وروى عطا عن ابن عباس وحكي عن ابي اسحاق ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا ابو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال ابن اسحق كان سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة ورواه ابن ابي نجيح وعن مجاهد ايضا ان معناها القوية وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال الله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبله ارما • وقال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد وثمود وكانت القبائل تنتسب الى ارم ذات العماد • التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في رواية عطاء كان الرجل منهم طوله خمسماية ذراع والقصير منهم ثلثماية ذراع بذراع نفسه وروى عن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعون ذراعا ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في الهوا فلم يزل الخلق ينقص الى الان وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة ايضا كانوا عماد القوم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا قيل لهم ذلك لانهم كانوا ينتقلون بابياتهم للانتجاع فكانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى منازلهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور قال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد وفي الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتونث قال عمرو بن كلثوم ونحن اذا عماد الحي خرت على الاحفاض نمنع من يلينا والواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما للزائر والاحفاض جمع حفض بالتحريك وهو متاع البيت اذا هيئ ليحمل اي خرت على المتاع ويروى عن الاحفاض اي خرت عن الابل التي تحمل حفض البيت وقال الضحاك ذات العماد ذات القوة والشدة ماخوذة من قوة الاعمدة دليله قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة وروى عوف عن خالد الربعي ارم ذات العماد قال هي دمشق وهو قول عكرمة وسعيد المقبري ورواه ابن وهب واشهب عن مالك وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية قوله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد • الضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل يرجع الى المدينة والاول اظهر وعليه الاكثر حسب ما ذكرناه ومن جعل ارم مدينة قدر حذفا المعنى كيف فعل ربك بمدينة عاد ارم او بعاد صاحبة ارم وارم على هذا مؤنثة معرفة واختيار ابن العربي انها دمشق لانه ليس في البلاد مثلها بكثرة مياهها وخيراتها ثم قال وان في الاسكندرية العجايب لو لم يكن الا المنار فانها مبنية الباطن والظاهر على العمد ولكن لها امثال واما دمشق فلا مثل لها وقد روى معن عن مالك ان كتابا وجد بالاسكندرية فلم يدر ما هو فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم ماية سنة لا يرون فيها جنازة وذكر عن ثور بن يزيد انه قال انا شداد بن عاد وانا رفعت العماد وانا الذي شددت بذراعي بطن الواد وانا الذي كنزت كنزا على سبعة اذرع لا يخرجه الا امة وروي انه كان لعاد

ابنان

ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثماية سنة وكان عمره تسعماية سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناوها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وقيل اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفة بالعمد فالكناية للعماد والعماد على هذا جمع عمد وقيل الارم الهلاك يقال ارم بنو فلان اي هلكوا وقاله ابن عباس وقرا الضحاك ارم ذات العماد اي اهلكهم فجعلهم رميما قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد • اي ثمود هم قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه فلان يجوب البلاد اي يقطعها وانما سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر وكان نزل على ابن الزبير بمكة فكتب له بستين وسقا ياخذها بالكوفة فراحت رواحا قلوصي وهي حامدة • آل الزبير ولم تعدل بهم احدا • راحت بستين وسقا في حقيبتها • ما حملت حملها الادنى ولا السددا • ما ان رايت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا • اي قطعت قال المفسرون اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فبنوا من المداين الفا وسبعماية مدينة كلها من الحجارة ومن الدور والمنازل الفي الف وسبعماية الف كلها من الحجارة وقال وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور وينقبون الجبال ويجعلونها بيوتا لانفسهم • بالواد • اي بواد القرى قاله محمد بن اسحق وروى ابو الاشهب عن ابي نضرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد • اي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب الناس بالاوتاد ويشدهم بها الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا وهكذا فعل بامراته آسية وماشطة ابنته حسب ما تقدم في اخر سورة التحريم وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يوخذ الانسان فيوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه وقد مضى في سورة ص من ذكر اوتاده ما فيه كفاية والحمد لله قوله تعالى الذين طغوا في البلاد • يعني عادا وثمودا وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان فاكثروا فيها الفساد • اي الجور والاذى والذين طغوا احسن الوجوه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود • فصب عليهم ربك سوط عذاب اي افرغ عليهم والقى يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة فصب عليه الله احسن صنعه • وكان له بين البرية ناصرا • سوط عذاب اي نصيب عذاب ويقال شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال الشاعر الم تر ان الله اظهر دينه • وصب على الكفار سوط عذاب • وقال الفرا هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فهو سائط فالسوط خلط الشي بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وساطه اي خلطه واكثر ذلك يقال سوط فلان اموره قال فسطها ذميم الراي غير موفق • فلست على تسويطها بمعان • قال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة حكاه عنه يعقوب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شي عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب

قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد • اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه قاله الحسن وعكرمة وقيل اي عليه طريق
العباد لا يفوته احد والمرصد والمرصاد الطريق وقد مضى في سورة براءة والحمد لله وروى الضحاك عن ابن عباس
قال ان على جهنم سبع قناطر يسئل الانسان عند اول قنطرة عن الايمان فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الثانية
ثم يسئل عن الصلاة فان جاء بها جاز الى الثالثة ثم يسئل عن الزكاة فان جاء بها جاز الى الرابعة ثم يسئل عن صيام
شهر رمضان فان جاء به جاز الى الخامسة ثم يسئل عن الحج والعمرة فان جاء بهما جاز الى السادسة ثم يسئل عن صلة
الرحم فان جاء بها جاز الى السابعة ثم يسئل عن المظالم وينادي مناد الا من كانت له مظلمة فليات فيقتص للناس
منه ويقتص له من الناس فذلك قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقال الثوري يعني جهنم عليها ثلاث قناطر قنطرة فيها
الرحم وقنطرة فيها الامانة وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى قلت اي حكمه وامره وارادته والله اعلم وعن ابن
عباس ايضا لبالمرصاد يسمع ويرى قلت هذا قول حسن يسمع اقوالهم ويرى اي يعلم اعمالهم واسرارهم فيجازي
كلا بعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك قال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ
هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر قال الزمخشري عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من
الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه
قوله تعالى فاما الانسان • يعني الكافر قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن
خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه • اي امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة • فاكرمه • بالمال ونعمه
بما وسع عليه • فيقول ربي اكرمن • فيفرح بذلك ولا يحمده • واما اذا ما ابتلاه • اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر
اي ضيق عليه رزقه • على مقدار البلغة • فيقول ربي اهانن • اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا
يؤمن بالبعث انما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه
بطاعته وتوفيقه المؤدي الى حظ الاخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قلت الايتان صفة كل
كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق
هذا لم يعطنيه الله وكذا ان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه وقراءة العامة فقدر مخففة الدال وقرا ابن عامر مشددا
وهما لغتان والاختيار التخفيف لقوله ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقدر اي قتر وقدر مشددا هو ان
يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن وقرا اهل الحرمين وابو عمرو بفتح الياء في الموضعين
واسكن الباقون واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب الياء من اكرمن واهانن في الحالين لانها اسم فلا تحذف
واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف وخير ابو عمرو في اثباتها في الوصل او حذفها لانها
راس اية وحذفها في الوقف لخط المصحف الباقون بحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير ياء والسنة الا
يخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة قوله تعالى كلا • رد اي ليس الامر كما يظن فليس الغنى لفضله ولا الفقر
لهوانه وانما الفقر من تقديري وقضائي وقال الفراء في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا
ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر وفي الحديث يقول الله عز وجل كلا اني لا اكرم من اكرمت بكثرة الدنيا
ولا اهين من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من اهنت بمعصيتي قوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم •
اخبار عما يصنعونه من منع اليتيم الميراث واكل ماله اسرافا وبدارا ان يكبروا وقرا ابو عمرو ويعقوب
يكرمون بالياء ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء لانه تقدم ذكر الانسان والمراد به الجنس فعبر عنه بلفظ
الجمع الباقون بالتاء في الاربعة على الخطاب والمواجهة كانه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وترك اكرام اليتيم
بدفعه عن حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف
ولا يحضون على طعام المسكين • اي لا يامرون اهليهم باطعام مسكين يجيئهم وقرا الكوفيون ولا تحاضون
بفتح التاء والحاء والالف اي يحض بعضهم بعضا واصله تتحاضون فحذفت احدى التاءين لدلالة الكلام عليها

وهو اختيار

وهو اختيار ابي عبيد وروي عن ابرهيم والشيزري عن الكسائي والسلمي تحاضون بضم التاء وهو تفاعلون من الحض
وهو الحث • وتاكلون التراث • اي ميراث اليتامى واصله الوراث من ورثت فابدلوا الواو تاء كما قالوا في تجاه وتخمه
وتكاه وتالله ونحو ذلك وقد تقدم قوله تعالى اكلا لما • اي شديدا قاله السدي وقيل لما جمعا من قولهم لممت الطعام
لما اذا اكلته جمعا قال الحسن وابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب يقال لممت الشيء المه لما جمعته ومنه يقال
لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من اموره قال النابغة ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب •
ومنه قولهم ان دارك لمومة اي تلم الناس وتربهم وتجمعهم قول الطائي يمدح علقمة بن سيف • واحبني حب الصبي
ولمني لم الهدي الى الكريم الماجد • وقال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم فالاكل يلم الثريد فيجمعه لقما
ثم ياكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال الحسن ياكل نصيبه ونصيب غيره قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه •
فلا قدس الرحمن تلك الطواحيا • يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم وقال ابن زيد هو انه اذا اكل ماله
الم بمال غيره فاكله ولا يتفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال وكان اهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان بل
ياكلون ميراثهم وتراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حرامه
وحلاله ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه
وياكله اكلا واسعا جامعا بين المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل البطالون • وتحبون المال
حبا جما • اي حلاله وحرامه والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا
اجتمع وكثر قال الشاعر ان تغفر اللهم تغفر جما • واي عبد لك لا الما • والجمة المكان الذي يجتمع فيه ماؤه والجموم
البير الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر في البير واجتمع بعد ما استقي فيها
قوله تعالى كلا • اي ما هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو رد لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها فان من فعل ذلك
يندم يوم تدك الارض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق وقد تقدم اذا زلزلت الارض وحركت تحريكا
بعد تحريك وقال الزجاج اذا زلزلت فدك بعضها بعضا وقال المبرد اي الصقت وذهب بعضها ارتفاعها
يقال ناقة دكا اي لا سنام لها والجمع دك وقد مضى في سورة الاعراف والحاقة القول في هذا ويقولون
دك الشيء اي هدم قال هل غير غاد دك غارا فانهدم قلت اي مرة بعد مرة زلزلت فكسر بعضها بعضا
فتكسر كل شيء على ظهرها وقيل دكت جبالها وانشازها حتى استوت وقيل استوت في الانفراش فذهب دورها
وقصورها وجبالها وساير ابنيتها ومنه سمي الدكان لاستوائه في الانفراش والدك حط المرتفع من الارض
بالبسط وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس تمد الارض مد الاديم قوله تعالى وجاء ربك • اي امره وقضاؤه
قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل اي جاءهم الرب بالايات العظيمة وهو كقوله تعالى الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام اي بظلل وقيل جعل مجيء الايات مجيئا له تفخيما لشان تلك الايات ومنه قوله تعالى في
الحديث يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل وجاء ربك
اي زالت الشبه ذلك اليوم وصارت المعارف ضرورية كما تزول الشبه والشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك
فيه وقال اهل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان وانى
له التحول والانتقال ولا مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشيء
فوت الاوقات ومن فاته شيء فهو عاجز قوله تعالى والملك • اي الملائكة صفا صفا • اي صفوفا • وجيء يومئذ
بجهنم • قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير
حتى تنصب عن يسار العرش وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابو سعيد الخدري لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم تغير
لون رسول الله صلعم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقراني جبريل كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية

وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقوم بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يا رب امتي امتي

قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان • اي يتعظ ويتوب وهو الكافر ومن همته معظم الدنيا • وانى له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ والتوبة وقد فرط فيهما في الدنيا ويقال اي ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يومئذ يتذكر وبين انى له الذكرى تناف قاله الزمخشري قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي • اي في حياتي فاللام بمعنى في وقيل اي قدمت من الخير لنجاتي من النار فاكون فيمن له حياة هنية قوله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد • اي لا يعذب كعذاب الله احد • ولا يوثق وثاقه احد والكناية ترجع الى الله تعالى وهو قول ابن عباس والحسن وقرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق كما يوثق الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام على انه اشد الناس عذابا لاجل اجرامه فاطلق الكلام لاجل ما صحبه من التفسير وقال انه امية بن خلف حكاه الفرا يعني انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في كفره وعناده وقيل اي لا يعذب مكانه احد فلا يؤخذ منه فداء والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق ومنه قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا • وقيل لا يعذب احد ليس بكافر عذاب الكافر واختار ابو عبيد وابو حاتم فتح الذال والثاء وتكون الهاء ضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد كعذاب الله وقد روى ابو قلابة عن النبي صلعم انه قرا بفتح الذال والثاء وروي ان ابا عمرو رجع الى قراءة النبي صلعم وقال ابو علي يجوز ان يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر فتكون الهاء للكافر والمراد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة • لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اغنائه وافقاره ذكر حال من اطمانت نفسه الى الله فسلم لامره واتكل عليه وقيل هو من قول الملائكة لاولياء الله عز وجل والمطمئنة الساكنة الموقنة ايقنت ان الله ربها فاخبتت لذلك قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس اي المطمئنة بثواب الله وعنه المؤمنة وقال الحسن المؤمنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطيها وقال مقاتل المؤمنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس المطمئنة وقيل التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقال ابن عطا العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل المطمئنة بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة بعد الموت وعند البعث ويوم الجمع وروى عبد الله بن بريدة عن ابيه قال يعني نفس حمزة والصحيح انها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع قال الحسن البصري ان الله تعالى اذا اراد قبض روح عبده المؤمن اطمانت النفس الى الله واطمان الله اليها وقال عمرو بن العاص اذا توفي المؤمن ارسل الله اليه ملكين وارسل معهما بتحفة من الجنة فيقولان لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة راضية مرضية ومرضيا عنك اخرجي الى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح المسك وجد احد من انفه على ظهر الارض وذكر الحديث وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلعم يا ايتها النفس المطمئنة فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فجاء طاير لم ير على خلقه طاير قط فدخل نعشه فلم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا ندري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية • وروى الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومة وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه

الى المدينة فحول الله وجهه نحو القبلة والله اعلم ومعنى الى ربك الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختاره الطبري ودليله قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد فيامر الله تعالى الارواح غدا ان ترجع الى الاجساد وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقال الحسن ارجعي الى ثواب ربك وكرامته وقال ابو صالح المعنى ارجعي الى الله وهذا عند الموت • فادخلي في عبادي • اي في الصالحين من عبادي كما قال لندخلنهم في الصالحين وقال الاخفش في عبادي اي في حزبي والمعنى واحد اي انتظمي في سلكهم • وادخلي جنتي • معهم

تفسير سورة البلد

لا اقسم بهذا البلد • يجوز ان تكون لا زائدة كما في لا اقسم بيوم القيمة قاله الاخفش اي اقسم لانه قال اقسم بهذا البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم به وقد اقسم به

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع • اي يتقطع ودخل حرف لا صلة ومنه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك بدليل قوله تعالى في ص ما منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم بغير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل ليست بنفي القسم وانما هو كقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد قال ليس له رد لانه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد لمن انكر البعث ثم ابتدا القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لم يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم والبلد مكة اجمعوا عليه اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك وقال الواسطي اي يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة نزلت بمكة باتفاق قوله تعالى وانت حل بهذا البلد • يعني في المستقبل مثل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم ومحبو وهو في كلام الله واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية قبل الفتح فروى منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى السدي قال انت في حل ممن قاتلك ان تقتله وروى ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة من نهار ثم اطبقت وحرمت الى يوم القيمة وذلك فتح مكة وثبت عن النبي صلعم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة فلم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث وقد تقدم في سورة المائدة ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلعم وقيل وانت مقيم فيه وهو محلك وقيل انت فيه محسن وانا عنك راض وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرام ومحرم وحرم وقال قتادة انت حل به لست باثم وقيل هو ثناء على النبي صلعم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه اي اقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ثم هم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك قوله تعالى ووالد وما ولد • قال مجاهد والضحاك والحسن وابو صالح ووالد ادم عليه السلام وما ولد اي وما نسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله على و

الارض لما فيهم من التبيان والنطق والتدبير وفيهم الانبياء والدعاة الى الله وقيل هو اقسام بادم والصالحين من ذريته
واما الطالحون فانهم بهايم وقيل الوالد ابرهيم وما ولد ذريته قاله ابو عمران الجوني ثم يحتمل انه يريد جميع ذريته
ويحتمل انه يريد المسلمين من ذريته قال الفرا وصلحت ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله وما خلق الذكر والانثى
وهو الخالق للذكر والانثى وقيل ما مع ما بعدها في معنى المصدر اي ووالد وولادته كقوله تعالى والسماء وما
بنيها وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقاله ابن
عباس وما على هذا نفي وهو بعيد ولا يصح الا باضمار اي ووالد والذي ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل
هو عموم في كل والد وكل مولود قاله عطية العوفي وروي معناه عن ابن عباس ايضا وهو اختيار الطبري الماوردي
ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد
اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد الى هنا انتهى القسم وهذا جوابه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته ليعظمها كما تقدم والانسان هنا ابن
ادم في كبد اي في شدة وعنا من مكابدة الدنيا واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد
ومنه الكبد لانه دم تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته قال يا عين هلا بكيت اربد اذ
قمنا وقام الخصوم في كبد قال ابن عباس والحسن في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله
وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروى عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد
الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امها الا منكبة على
وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما ابن كيسان منتصبا راسه في
بطن امه فاذا اذن الله ان يخرج من بطن امه قلب راسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصايب الدنيا
وشدايد الاخرة وعنه ايضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لانه لا يخلو من احدهما ورواه
ابو عمرو وقال اليمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علماؤنا اول ما يكابد
قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد
نبت اسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الاوجاع والختان والاحزان
ثم يكابد المعلم وصولته والمودب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج
ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم يكابد الكبر والهرم وضعف
الركبة والقدم في مصايب يكثر تعدادها ونوايب يطول ايرادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين
وغم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي
فيه شدة ولا يكابد الا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مسايلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث
والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في جنة واما في نار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو
كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل
امره وقال ابن زيد الانسان هنا ادم وقوله في كبد اي في وسط السماء وقال الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني
جمح كان يقال له ابو الاشدين وكان ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا
فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعداء النبي ﷺ وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد
يعني لقوته وروي عن ابن عباس ومعنى في كبد اي في شدة يد يعني شديد الخلق وكان من اشد رجال قريش وكذلك
ركانة بن هاشم بن المطلب وكانا مثلا في الباس والشدة وقيل في كبد اي جري القلب غليظ الكبد مع ضعف
خلقته ومهانة مادته ابن عطا في ظلمة وجهل الترمذي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه قوله تعالى
ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن يعاقبه الله عز وجل يقول اهلكت اي انفقت مالا

لبدا

لبدا اي كثيرا مجتمعا ايحسب اي ايظن ان لم يره اي لم يعاينه احد بل علم الله عز وجل ذلك منه وكان كاذبا
في قوله اهلكت ولم يكن انفقه وروى ابو هريرة قال يوقف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقتك
فيقول انفقته وزكيته فيقال انك انما فعلت ذلك ليقال سخي فقد قيل ذلك ثم يومر به الى النار وعن سعيد
عن قتادة انك مسئول عن مالك من اين جمعت وكيف انفقت وعن ابن عباس قال كان ابو الاشدين يقول انفقت
في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى
النبي ﷺ فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد وهذا
القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه او اسفا عليه فيكون ندما وقرا ابو جعفر
مالا لبدا بتشديد الباء مفتوحة على جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد ونحوه وقرا
مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففا جمع لبود الباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا جمع لبدة
وهو ما تلبد يريد الكثرة وقد مضى في سورة الجن القول فيه وروي عن النبي ﷺ انه كان يقرا ايحسب بضم السين
في الموضعين وقال الحسن يقول اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به دعني احسبه الم يعلم ان الله قادر على
محاسبته وان الله جل وعز يرى صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه ما
عمله وقال ابو حازم قال النبي ﷺ ان الله تعالى قال يا ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد
اعنتك عليه بطبقين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبق
والشفة اصلها شفهة حذفت منها الهاء وتصغيرها شفيهة والجمع شفاه ويقال شفهات وشفوات والهاء
اقيس والواو اعم تشبيها بالسنوات وقال الازهري يقال هذه شفة في الوصل وشفة بالتاء والهاء وقال
قتادة نعم الله ظاهرة يقررك بها حتى تشكر قوله تعالى وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر
اي بيناهما له بما ارسلنا من الرسل والنجد الطريق في ارتفاع وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وروى
قتادة قال ذكر لنا ان النبي ﷺ كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم تجعل نجد الشر احب
اليك من نجد الخير وروي عن عكرمة قال النجدان الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروي عن ابن عباس
وعلي رضي الله عنهم لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فالنجد العلو وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها
عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال امرؤ القيس فريقان منهم جازع بطن نخلة واخر
منهم قاطع نجد كبكب قوله تعالى فلا اقتحم العقبة اي فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة محمد
هلا انفقه لاقتحام العقبة فيامن والاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قحم في الامر
قحوما اي رمى نفسه فيه من غير روية وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشي
ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم
قحط فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق وقال الفرا والزجاج وذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا
مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام اخر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وانما افردها لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين امنوا
قايما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعاء كقوله لا نجا ولا سلم وما
ادريك ما العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادريك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما
يدريك فانه لم يخبر به وقال معنى فلا اقتحم العقبة اي فلا يقتحم كقول زهير وكان طوى كشحا على مستكنة
فلا هو ابداها ولم يتقدم اي فلم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي لا بمعنى لم ذكره البخاري عن
مجاهد اي فلم يقتحم العقبة في الدنيا فلا يحتاج الى التكرير ثم فسر العقبة وركوبها فقال فك رقبة

وكذا وكذا فيين وجوهًا من الذهب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام والاستفهام الذي
معناه الانكار تقديره افلا اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام
السغبان فيكون خيرًا له من انفاقه في عداوة محمد ﷺ ثم قيل اقتحام العقبة ههنا ضرب مثل اي هلا تحمل
عظام الامور في انفاق ماله في طاعة ربه والايمان به وهذا انما يليق به قول من حمل فلا اقتحم العقبة
على الدعاء اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها
بعقبة فاذا اعتق رقبة وعمل صالحًا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه
وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة جبل في جهنم وعن ابي رجا قال بلغنا ان العقبة مصعدها سبعة الاف سنة
ومهبطها سبعة الاف سنة وقال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسور فاقتحموها بطاعة
الله وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلًا وصعودًا
وهبوطًا واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر الى العشا وقيل اقتحامه عليه قدر ما يصلي صلاة مكتوبة
وروي عن ابي الدردا انه قال ان دارنا عقبة انجى الناس منها اخفهم حملًا وقيل النار نفسها هي العقبة فروى ابو رجا
عن الحسن قال بلغنا انه ما من مسلم يعتق رقبة الا كانت فداه من النار وعن عبد الله بن عمر قال من اعتق رقبة
اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوًا منه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال من اعتق رقبة
عتق الله بكل عضو منها عضوًا من اعضائه من النار حتى فرجه بفرجه وفي الترمذي عن ابي امامة وغيره
من اصحاب النبي ﷺ قال ايما امرئ مسلم اعتق امرًا مسلمًا كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منها عضوًا
منه وايما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوًا منها قال هذا
حديث صحيح غريب وقيل العقبة خلاصه من هول العرض وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر وقال الحسن
هي والله عقبة شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان قال الشاعر اني بليت باربع يرمينني
بالنبل قد نصبوا علي شراكا • ابليس والدنيا ونفسي والهوى • من اين ارجو بينهن فكاكا • يا رب ساعدني بعفو انني
اصبحت لا ارجو لهن سواكا • قوله تعالى وما ادراك ما العقبة • فيه حذف اي وما ادراك ما اقتحام العقبة
وهذا تعظيم لالتزام امر الدين والخطاب للنبي ﷺ ليعلمه اقتحام العقبة قال القشيري وحمل العقبة على عقبة
جهنم بعيد اذ احد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم الا ان يحمل على ان المراد فهلا صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة
جهنم غدا واختار البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة في الدنيا قال ابن العربي وانما اختار ذلك لاجل انه قال
بعد ذلك في الاية الثانية وما ادراك ما العقبة ثم قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي الاية الرابعة
او اطعام في يوم ذي مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيمًا ذا مقربة ثم قال في الاية السادسة او مسكينًا ذا
متربة فهذه الاعمال انما تكون في الدنيا المعنى فلم يات في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الاخرة قوله
تعالى فك رقبة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فك رقبة فكها خلاصها من الاسر وقيل من الرق وفي الحديث
وفك الرقبة ان تعين في ثمنها من حديث البرا وقد تقدم في سورة براءة والفك هو حل القيد والرق
قيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكًا كفك الاسير من الاسر
قال حسان كم من اسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها • وروى عقبة بن عامر الجهني ان النبي صلعم
قال من اعتق رقبة مؤمنة كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيًا انه اراد فك رقبته وخلاص
نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب الثانية قوله
رقبة قال اصبغ الرقبة الكافرة ذات الثمن افضل في العتق من الرقبة المؤمنة القليلة الثمن لقول النبي ﷺ
وقد سئل اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنًا وانفسها عند اهلها ابن العربي والمراد في هذا الحديث من
المسلمين بدليل قوله عليه السلام من اعتق امرأ مسلمًا ومن اعتق رقبة مؤمنة وما ذكره اصبغ وهلة

وانما نظ

وانما نظر الى تنفيس المال والنظر الى تحرير العتق للعبادة وتفريغه للتوحيد اولى الثالثة العتق والصدقة
من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية
ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في
قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي ﷺ قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوًا منه
من النار قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة • اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع وقرا الحسن او
اطعام في يوم ذا مسغبة بالالف في ذا وانشد ابو عبيد فلو كنت جارًا يا ابن قيس بن عاصم • لما بت شبعانًا
وجارك ساغبا • واطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام وروي عن النبي ﷺ انه قال ان من موجبات
الرحمة اطعام المسلم السغبان • يتيمًا ذا مقربة • اي قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان
الصدقة على القرابة افضل منها على غير القرابة كما ان الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة على
اليتيم الذي يجد من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيمًا لضعفه يقال يتم الرجل يتمًا اذا ضعف و
ذكروا ان اليتيم من الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الامهات وقد مضى في سورة البقرة مستوفى
وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت ابواه وقال قيس بن الملوح الى الله فقد ليلى كما اشتكى الى الله فقد
الوالدين يتيم قوله تعالى او مسكينًا ذا متربة • اي لا شيء له كانه لصق بالتراب من الفقر ليس له ماوى الا التراب
وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره
وقال قتادة انه ذو العيال عكرمة المديون ابو سنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد وروى عكرمة
عن ابن عباس ذو المتربة البعيد التربة يعني الغريب البعيد عن وطنه وقال ابو حامد الخارزنجي المتربة هنا
من التريب وهي شدة الحال يقال ترب اذا افتقر قال الهذلي وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا • سفكنا دماء البدن
في تربة الحال • وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بنصب الكاف على الفعل الماضي رقبة نصبًا لكونها
مفعولًا او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف على الفعل الماضي ايضا لقوله ثم كان من الذين امنوا فهو اشكل
بفك واطعم وقرا الباقون فك رفعًا على انه مصدر فككت رقبة خفض بالاضافة او اطعام بكسر الهمزة
والف ورفع الميم وتنوينها على المصدر ايضا واختاره ابو عبيدة وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالى وما ادراك
ما العقبة ثم اخبره فقال فك رقبة او اطعام المعنى اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام ومن قرا بالنصب
فهو محمول على المعنى اي ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي مسغبة فكيف يجاوز العقبة وقرا الحسن
وابو رجا ذا مسغبة بالنصب على انه مفعول اطعم اي يطعمون ذا مسغبة ويتيمًا بدل منه الباقون ذي
مسغبة فهو صفة ليوم ويجوز ان يكون قراءة النصب لموضع الجار والمجرور لان قوله في يوم ظرف منصوب
الموضع فيكون وصفًا له على المعنى دون اللفظ قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا • يعني انه لا يقتحم العقبة
من فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون من الذين امنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات
الايمان بالله فالايمان بالله بعد الانفاق لا ينفع بل يجب ان تكون الطاعة مصحوبة بالايمان قال الله تعالى
في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وقالت عايشة يا رسول الله ابن
جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل على ابله لله فهل
ينفعه ذلك شيئًا قال لا انه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وقيل ثم كان من الذين امنوا اي
فعل هذه الاشياء وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الوفاة نظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن
وعمل صالحًا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عند الله تعالى وقيل اتى بهذه
القرب لوجه الله ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قال حكيم بن حزام بعد ما اسلم يا رسول الله انا كنا نتحنث

باعمال في الجاهلية فهل لنا منها شيء فقال عليه السلام اسلمت على ما قدمت من الخير وقيل ان ثم بمعنى الواو
اي كان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين امنوا وتواصوا بالصبر اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصايب وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق
فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله
محمد بن كعب القرظي وغيره وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن
وقيل لان منزلتهم عن اليمين قاله ميمون بن مهران والذين كفروا باياتنا اي القران هم اصحاب المشئمة
اي ياخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا
من شق ادم الايسر ميمون لان منزلتهم عن اليسار قلت ويجمع هذه الاقوال ان يقال ان اصحاب الميمنة
اصحاب الجنة واصحاب المشئمة اصحاب النار قال الله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وما كان مثله وعليهم نار موصدة اي
مطبقة مغلقة قال يحن الى جبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعا موصدة وقيل مبهمة لا يدرى
ما داخلها واهل اللغة يقولون اوصدت الباب واصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت قال الاسم
الوصاد ومن قال اصدت قال الاسم الاصاد وقرا ابو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب والشيزري عن
الكسائي موصدة هنا بالهمز وفي الهمزة الباقون بلا همز وهما لغتان وعن ابي بكر بن عياش لنا امام
يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته

تفسير سورة والشمس وضحاها وهي مكية وهي سبعة عشر اية

تفسير سورة والشمس وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحاها قال مجاهد وضحاها اي ضوءها
واشراقها وهو قسم ثان واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة نهارها
السدي حرها وروى الضحاك عن ابن عباس وضحاها قال جعل فيها الضوء وجعلها حارة وقال اليزيدي
هو انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبمخلوقات الارض كلها حكاه الماوردي
والضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن
ذكر ذهب الى انه اسم على فعل نحو صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى
اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفراء الضحى هو النهار كقول قتادة والمعروف عند العرب
ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن قال الضحى النهار كله فذلك
لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس وحرها فنور الشمس لا يكون الا مع حرها وقد استدل من
قال ان الضحى حر الشمس بقوله تعالى ولا تضحى اي لا يؤذيك الحر وقال المبرد اصل الضحى من الضح وهو
نور الشمس والالف مقلوبة من الحاء الثانية تقول ضحوة وضحوات وضحوات وضحى فالواو من
ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية والالف في ضحى مقلوبة عن الواو وقال ابو الهيثم الضح نقيض
الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الواو فقلبوها
الفا قوله تعالى والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك اذا سقطت رئي الهلال يقال تلوت فلانا
اذا تبعته قال قتادة انما ذلك ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رئي الهلال وقال ابن زيد اذا غربت
الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب الفراء تلاها
اخذ منها يذهب الى ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وقال قوم والقمر اذا تلاها حين استوى واستدار فكان
مثلها في الضياء والنور وقاله الزجاج قوله تعالى والنهار اذا جلاها اي كشفها فقال قوم جلى الظلمة
وان لم يجر لها ذكر كما تقول اصبحت غداة باردة وهذا قول الفراء والكلبي وغيرهما وقال قوم الضمير في
جلاها للشمس والمعنى انه يبين بضوئه جرمها ومنه قول ابن الخطيم تجلت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب

منها

منها وضنت بحاجب وقيل جلا الدنيا وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر ومثله قوله تعالى حتى توارت بالحجاب
على ما تقدم انفا قوله تعالى والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس فيذهب بضوئها عند سقوطها قاله
مجاهد وغيره وقيل يغشى الدنيا بالظلم فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور قوله تعالى والسماء
وما بناها اي وبنيانها فما مصدرية كما قال بما غفر لي ربي بغفران قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعنى
ومن بناها قاله الحسن ومجاهد وهو اختيار الطبري اي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى وحكي عن
اهل الحجاز سبحان ما سبحت له اي سبحان من سبحت له قوله تعالى والارض وما طحاها اي وطحوها وقيل
ومن طحاها على ما ذكرنا انفا اي بسطها كذا قال عامة المفسرين مثل دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما
طحاها ودحاها واحد اي بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحى يطحى طحيا وطحيت اضطجعت عن
ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها قسمها وقيل خلقها قال الشاعر وما تدري جذيمة من طحاها ولا من ساكن العرش
الرفيع الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما خلق عليها ويقال في بعض
ايمان العرب لا والقمر الطاحي المشرف المشرق المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري اين
طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شيء قال طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان
مشيب قوله تعالى ونفس وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما بمعنى المصدر وقيل المعنى ومن سواها وهو الله
عز وجل وفي النفس قولان احدهما ادم الثاني كل نفس منفوسة وسوى بمعنى هيا وقال مجاهد سواها سوى
خلقها وعدل وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم اقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة
عليه قوله تعالى فالهمها اي عرفها كذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد اي عرفها طريق الفجور والتقوى وقاله ابن
عباس وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب قال اذا اراد الله بعبده الخير الهمه الخير فعمل به واذا
اراد به السوء الهمه الشر فعمل به وقال الفراء فالهمها قال عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين وروى الضحاك
عن ابن عباس قال الهم المومن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره وعن سعيد عن قتادة قال بين لها فجورها وتقواها والمعنى
متقارب وروي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلعم فالهمها فجورها وتقواها قال اللهم ات نفسي تقواها زكها انت خير
من زكاها انت وليها ومولاها ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلعم كان اذا قرا هذه الاية فالهمها
فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وانت خير من زكاها وفي صحيح
مسلم عن ابي الاسود الدؤلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي ومضى
عليهم من قدر ما سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم
ومضى عليهم قال فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك
يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من
مزينة اتيا رسول الله صلعم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى
فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى
فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران
في موضع المفعول به قوله تعالى قد افلح من زكاها هذا جواب القسم بمعنى لقد قال الزجاج اللام حذفت لان الكلام
طال فصار طوله عوضا منها وقيل الجواب محذوف اي والشمس وكذا وكذا لتبعثن الزمخشري تقديره ليدمدمن
الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلعم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها
فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على
التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها افلح من زكاها
اي من زكى الله نفسه بالطاعة وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دسها الله جل ثناؤه بالمعصية وقال ابن عباس

خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي
قاله قتادة وغيره واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكا الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه
يرفعه بالتعديل وذكر الجميل وقد تقدم هذا المعنى في اول سورة البقرة مستوفى فمصطنع المعروف والمبادر الى اعمال
البر شهر نفسه ورفعها وكانت اجواد العرب تنزل الربا وارتفاع الارض ليشتهر مكانها للمعتفين وتوقد النيران في
الليل للطارقين وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفى مكانها عن الطالبين فاولئك علوا
انفسهم وزكوها وهؤلاء اخفوا انفسهم ودسوها وكذا الفاجر ابدا خفي المكان زمر المروة غامض الشخص ناكس
الراس بركوب المعاصي وقيل دساها اغواها قال وانت الذي دسيت عمرا فاصبحت حلائله منه ارامل ضيعا قال
اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء في الشيء فابدلت سينه ياء كما يقال قصيت اظفاري
واصلها قصصت اظفاري ومنه قولهم في تقصص تقصي وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دسها اي دس نفسه
في جملة الصالحين وليس منهم قوله تعالى كذبت ثمود بطغويها اي بطغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان
قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وعن ابن عباس بطغويها اي بعذابها الذي وعدت به قال وكان اسم العذاب الذي
الطغوى لانه طغا عليهم وقال محمد بن كعب بطغويها باجمعها وقيل هو مصدر وخرج على هذا المخرج لانه
اشكل برؤس الاي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء ابدلت في الاسم واوا
ليفصل بين الاسم والوصف وقراءة العامة بفتح الطاء وقرا الحسن والجحدري وحميد بضمها في المصادر وقيل
هما لغتان اذ انبعث اي نهض اشقاها لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى في الاعراف بيان
هذا وهل كان واحدا او جماعة وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلعم يخطب وذكر الناقة
والذي عقرها فقال رسول الله صلعم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة
وذكر الحديث خرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي صلعم قال اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله
اعلم قال عاقر الناقة اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك فقال لهم رسول الله يعني
صالحا ناقة الله ناقة منصوب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والحذار الحذار اي احذروا
ناقة الله اي عقرها وقيل ذروا ناقة الله كما قال هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب اليم وسقياها اي ذروها وشربها وقد مضى في سورة الشعراء بيانه والحمد لله
وايضا في سورة اقتربت الساعة فانهم اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من
بيرهم ولها شرب يوم مكان ذلك عليهم فكذبوه اي كذبوا صالحا عليه السلام في قوله انكم تعذبون
ان عقرتموها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وقال قتادة ذكر لنا انه لم
يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل
الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم فلهذا لم يقل اشقياها قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم
بذنبهم اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وروى الضحاك عن
ابن عباس دمدم عليهم قال دمر عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفراء دمدم ارجف وحقيقته الدمدمة
تضعيف العذاب وترديده ويقال دممت على الشيء اي اطبقت عليه ودمم عليه القبر اي اطبقه وناقة
مدمومة اي البسها الشحم فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت والدمدمة اهلاك باستيصال قاله المؤرج
وفي الصحاح ودمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم القشيري
وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويت عليه فقوله فدمدم عليهم اي اهلكهم فجعلهم تحت التراب
فسويها اي سوى عليهم الارض وعلى الاول فسويها اي سوى الدمدمة والاهلاك عليهم وذلك ان الصيحة
اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج

الرجل

الرجل وقال بعض اللغويين الدمدمة الادامة تقول العرب ناقة مدمومة اي سمينة وقيل فسويها اي فسوى
الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم وشريفهم وذكرهم وانثاهم وقرا ابن الزبير فدهدم وهما لغتان
كما قالوا امتقع لونه واهتقع قوله تعالى ولا يخاف عقبيها اي فعل الله ذلك بهم غير خايف ان تلحقه تبعة
الدمدمة من احد قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والهاء في عقبيها ترجع الى الفعلة كقوله من اغتسل
يوم الجمعة فبها ونعمت اي فبالفعلة والخصلة وقال السدي والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي
عقرها عاقبة ما صنع وقاله ابن عباس ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير مجازه اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقبيها
وقيل لا يخاف رسول الله صالح عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد انذرهم
ونجاه الله تعالى حين اهلكهم وقرا نافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء وهو الاجود لانه يرجع الى المعنى الاول اي فلا
يخاف الله عاقبة اهلاكهم الباقون بالواو وهي اشبه بالمعنى الثاني اي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع وروى
ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالا اخرج الينا مالك مصحفا لجده زعم انه كتبه في ايام عثمان بن عفان حين
كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذا هي في مصاحف اهل مكة والعراقيين بالواو واختاره ابو عبيد
وابو حاتم اتباعا لمصحفهم سورة والليل مكية وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية باجماع بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة والليل مكية

قوله تعالى والليل اذا يغشى اي يغطي ولم يذكر معه مفعولا للعلم به فقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل
الخلايق وقيل يغشى كل شيء بظلمته وروى سعيد عن قتادة قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما
فجعل الظلمة ليلا مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا والنهار اذا تجلى اي انكشف ووضح وظهر وبان
بضوئه عن ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى قال الحسن معناه والذي خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم
بنفسه جل وعز وقيل معناه وخلق الذكر والانثى فما مصدرية على ما تقدم واهل مكة يقولون للرعد سبحان
ما سبحت له فما على هذا بمعنى من وهو قول ابي عبيدة وغيره وقد تقدم وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى
فتكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا
وقال ابو عبيدة وما خلق اي ومن خلق كذلك قوله والسماء وما بنيها ونفس وما سويها ما في هذه المواضع
بمعنى من وروي عن ابن مسعود انه كان يقرا والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح
مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدردا فقال فيكم احد يقرا على قراءة عبد الله فقلت نعم
انا فقال فكيف سمعت عبد الله يقرا هذه الاية والليل اذا يغشى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت
رسول الله صلعم يقروها ولكن هؤلاء يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم قال ابو بكر الانباري وحدثنا محمد
ابن يحيى المروزي قال حدثنا محمد قال حدثنا ابو احمد الزبيري قال حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن ابي عبد الرحمن
ابن يزيد عن عبد الله قال اقراني رسول الله صلعم اني انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابو بكر كل من هذين الحديثين
مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين والبناء
على سندين يوافقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد يخالفه الاجماع والامة وما يبنى على رواية واحد اذا
حاذاه رواية جماعة يخالفه اخذ برواية الجماعة وابطل نقل الواحد لما يجوز عليه من النسيان والاغفال
ولو صح الحديث عن ابي الدردا وكان اسناده مقبولا معروفا ثم كان ابو بكر وعثمان وعلي وساير الصحابة رضي الله
عنهم يخالفونه لكان الحكم العمل بما روته الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد الذي يسرع اليه من
النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفي المراد بالذكر والانثى قولان احدهما ادم وحوا قاله ابن عباس
والحسن والكلبي الثاني يعني جميع الذكور من بني ادم والبهايم لان الله تعالى خلق جميعهم وقيل كل ذكر وانثى من
الادميين دون البهايم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان عملكم
لمختلف قال عكرمة وساير المفسرين الشعبي فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها يدل عليه قوله عليه السلام

الناس غادٍ فبائع نفسه فمعتقها او موبقها وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى
لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلالة وبعضه هدى اي فمنكم
مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاصي وقيل لشتى اي لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل
اي لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى • فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاما من اعطى واتقى قال ابن مسعود يعني ابا بكر رضي الله عنه
وقاله عامة المفسرين فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام عجايز ونساء قال
فقال له ابوه ابو قحافة اي بني لو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون معك فقال يا ابة انما اريد
ما يريد وعن ابن عباس في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى اي محارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق
بالحسنى اي بالخلف من الله فسنيسره لليسرى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما من يوم يصبح
العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا
وروي من حديث ابي الدردا ان رسول الله صلعم قال ما من يوم غربت شمسه الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان
يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى في ذلك
من القران فاما من اعطى واتقى الايات وقال اهل التفسير فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق
الله تعالى الذي عليه وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله قاله الضحاك
والسلمي وابن عباس ايضا وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الاية وقال قتادة
بموعود الله الذي وعده ان يثيبه زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم الحسن بالخلف من عطائه وهو
اختيار الطبري وتقدم عن ابن عباس وكله متقارب المعنى اذ يرجع كله الى الثواب الذي هو الجنة قوله
تعالى فسنيسره لليسرى • اي نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم للجنة
وفي الصحيحين والترمذي عن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة بالبقيع فاتى النبي صلعم فجلس وجلسنا
معه ومعه عود ينكت به الارض فرفع راسه الى السماء فقال ما من نفس منفوسة الا كتب مدخلها
فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فمن كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة ومن كان
من اهل الشقاوة فانه يعمل للشقاوة وانه ييسر لعمل الشقاء ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى • واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى • لفظ الترمذي
وقال فيه حديث حسن صحيح وسال غلامان شابان رسول الله صلعم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير ام في شي يستانف قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل
قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالان نجد ونعمل الثانية قوله واما من بخل واستغنى
اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وقد تقدم بيانه وثمرته في الدنيا في سورة ال عمران وفي الاخرة ماله
النار كما في هذه الاية روى الضحاك عن ابن عباس فسوف نيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين
الايمان بالله ورسوله وعنه عن ابن عباس ايضا قال نزلت في امية بن خلف وروى عكرمة عن ابن عباس
واما من بخل واستغنى يقول بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف وروى ابن ابي نجيح
عن مجاهد وكذب بالحسنى قال بالجنة وباسناد اخر عنه بالحسنى بلا اله الا الله فسنيسره اي نسهل طريقه
للعسرى اي للشر وعن ابن مسعود للنار وقيل فسنعسر عليه اسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه
فعلها وقد تقدم ان الملك ينادي صباحا ومساء اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا رواه ابو
الدردا الثالثة قال العلما ثبت بهذه الاية وبقوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية الى غير ذلك من الايات ان الجود من مكارم الاخلاق والبخل من ارذلها وليس

الجواد الذي يعطي في غير موضع العطا والبخيل الذي يمنع في موضع العطا فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا
فهو الجواد ومن استحق بالمنع ذما فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا ولا حمدا وانما استوجب به ذما
فليس بجواد انما هو مسرف مذموم وهو من المبذرين الذين جعلهم الله اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم
ومن لم يستوجب بالمنع عقابا ولا ذما واستوجب به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام
على اموال غيرهم لحسن تدبيرهم وسداد رايهم الرابعة قال الفرا يقول القايل كيف قال فسنيسره للعسرى
وهل في العسرى تيسير فيقال في الجواب هذا في اجازته بمنزلة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والبشارة
في الاصل على الفرح والسار فاذا اجتمع في كلامين هذا خير وهذا شر جاءت البشارة فيهما وكذلك التيسير في
الاصل على الفرح فاذا اجتمع في كلامين هذا خير وهذا شر جاء التيسير فيهما جميعا قال الفرا وقوله فسنيسره
سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت او تهيات للولادة قال هما سيدانا يزعمان وانما يسودانا
ان يسرت غنماهما قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى • اي مات يقال ردي الرجل يردى ردى اذا هلك
قال صرفت الهوى عنهن من خشية الردى • وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى اي سقط في جهنم ومنه
المتردية ويقال ردي في البير وتردى اذا سقط في بير او تهور من جبل يقال ما ادري اين ردي اي ذهب وما
يحتمل ان يكون جحدا اي ولا يغني عنه ماله شيا ويحتمل ان يكون استفهاما معناه التوبيخ اي اي
شي يغني عنه اذا هلك ووقع في جهنم • ان علينا للهدى • اي ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق
الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته
ومعصيته وقاله قتادة وقال الفرا من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل
يقول من اراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال
كقوله بيدك الخير وبيده كل شي وكما قال سرابيل تقيكم الحر وهي البرد عن الفرا ايضا وقيل ان علينا ثواب
هداه الذي هديناه • وان لنا للاخرة والاولى • الاخرة الجنة والاولى الدنيا وكذا روى عطا عن ابن عباس
اي الدنيا والاخرة لله تعالى وروى ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله من كان يريد
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق قوله تعالى فانذرتكم
اي حذرتكم وخوفتكم • نارا تلظى • اي تلهب وتتوقد واصله تتلظى وهي قراءة عبيد بن عمير ويحيى
ابن يعمر وطلحة بن مصرف • لا يصلاها • اي لا يجد صلاها وهو حرها • الا الاشقى • اي الشقي الذي
كذب نبي الله محمدا صلعم • وتولى • اي اعرض عن الايمان وروى مكحول عن ابي هريرة قال كل يدخل الجنة
الا من اباها قالوا يا ابا هريرة ومن يابى ان يدخل الجنة قال الذي كذب وتولى وقال مالك صلى بنا عمر
ابن عبد العزيز المغرب فقرا والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم نارا تلظى وقع عليه البكا فلم يقدر
يتعداها من البكا فتركها وقرا سورة اخرى وقال الفرا الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل
ثناوه وروى الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى امية بن خلف ونظراوه الذين كذبوا محمدا صلعم
وقال قتادة كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقال الفرا لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر
عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن اتباعه قال
وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لجدهم مكذوبة يقول اذا لقوا صدقوا القتال ولم يرجعوا وكذلك
قوله جل ثناوه ليس لوقعتها كاذبة يقول هي حق وسمعت سلم بن الحسن يقول سمعت ابا اسحق الزجاج
يقول هذه الاية التي من اجلها قال اهل الارجا فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر لقوله جل ثناوه لا يصلاها
الا الاشقى الذي كذب وتولى ولاهل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه
كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجايز ان يعذب به وقال جل ثناوه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فايده وكان
يغفر ما دون ذلك لا معنى له الزمخشري الاية واردة في الموازنة بين حالتي من المشركين وعظيم من
المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان
النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل
او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه قوله تعالى وسيجنبها اي يكون بعيدا عنها الاتقى • اي التقي
الخايف قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه يزحزح عن دخول النار ثم وصف الاتقى فقال • الذي يؤتي
ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا
به وجه الله وقال بعض اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى اي التقي والشقي كقول طرفة تمنى رجال
ان اموت وان امت • فتلك سبيل لست فيها باوحد • اي واحد ووحيد ووضع افعل موضع فعيل كقولهم
الله اكبر وهو اهون بمعنى هين قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى • اي ليس يتصدق ليجازي على
نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي ولسوف يرضى اي بالجزاء وعن عطا عن ابن عباس قال عذب المشركون
بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا
يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى الى امية
ابن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده
فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي عند ابي بكر مزيد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى
وقيل اشترى ابو بكر من امية وابي ابني خلف بلالا ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله فنزلت ان سعيكم
لشتى وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر حين قال له اتبيعنيه فقال نعم ابيعه بنسطاس
وكان نسطاس عبدا لابي بكر صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر
على الاسلام على ان يكون له ماله فابى فباعه ابو بكر به فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذا الا ليد كانت
لبلال عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يجوز الرفع في
المستثنى وانشد في العباس بشر بن ابي خازم اضحت خلاء قفارا لا انيس بها • الا الجآذر والظلمان تختلف
وقول القايل وبلدة ليس بها انيس • الا اليعافير والا العيس • وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم وقد
تقدم وجه ربه الاعلى اي مرضاته وما يقرب منه والاعلى من نعت الرب الذي يستحق صفات العلو ويجوز
ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة
نعمة ولسوف يرضى اي سوف يعطيه في الجنة ما يرضى وذلك انه يعطيه اضعاف ما انفق وروى ابو حيان
التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق
بلالا من ماله ولما اشتراه ابو بكر قال له بلال هل اشتريتني لعملك او لعمل الله قال بل لعمل الله قال فذرني وعمل
الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنهم
وقال عطا وروي عن ابن عباس ان السورة نزلت في ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بحايط له فيما ذكر الثعلبي
عن عطا وقال القشيري عن ابن عباس باربعين نخلة ولم يسم الرجل قال عطا كان لرجل من الانصار نخلة يسقط
من بلحها في دار جار له فيتناول صبيانه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيعها بنخلة في الجنة فابى
فخرج فلقيه ابو الدحداح فقال هل لك ان تبيعنيها بحسنى حايط له فقال هي لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلعم
وقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده قال هي لك يا رسول الله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فنزلت والليل اذا يغشى الى اخر السورة في بستان ابي الدحداح
وصاحب النخلة فاما من اعطى يعني ابا الدحداح وصدق بالحسنى اي بالثواب فسنيسره لليسرى يعني الجنة

واما من بخل واستغنى يعني الانصاري وكذب بالحسنى بالثواب فسنيسره للعسرى يعني جهنم وما يغني
عنه ماله اذا تردى مات الى قوله لا يصليها الا الاشقى يعني ذلك الخزرجي وكان منافقا فمات على نفاقه
وسيجنبها الاتقى يعني ابا الدحداح الذي يؤتي ماله يتزكى في ثمن تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة
تجزى يكافيه عليها يعني ابا الدحداح ولسوف يرضى اذا ادخله الله الجنة والاكثر ان السورة نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه روي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله ابن الزبير وغيرهم وقد ذكرنا خبر الخزرجي في
الدحداح في سورة البقرة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا

تفسير سورة والضحى مكية في قول
الجميع وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى • تقدم القول في الضحى والمراد
به النهار لقوله والليل اذا سجى • فقابله بالليل وفي سورة الاعراف افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا
وهم نايمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر اقسم
بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي خر فيها السحرة سجدا بيانه قوله تعالى
وان يحشر الناس ضحى وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله اضمار مجازه ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله
قتادة ومجاهد وابن زيد يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال
سجى الشي يسجو سجوا اذا سكن وسجى البحر اذا سكن قال الاعشى فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم •
وبحرك ساج ما يواري الدعامصا وقال الراجز يا حبذا القمراء والليل الساجي • وطرق مثل ملاء النساج •
وقال اخر ولقد رميتك يوم رحن باعين • ينظرن من خلل الستور سواجي • وقال الضحاك سجى غطى كل شي
قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشي بظلامه وقاله ابن عباس
وعنه اذا ذهب وعنه ايضا اذا اظلم وقال سعيد بن جبير اقبل وروي عن قتادة ايضا وروى ابن ابي
نجيح عن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة سجى سكن اي سكن الناس فيه كما يقال نهار
صايم وليل قايم وقيل سكونه استقرار ظلامه واستواوه ويقال والضحى والليل اذا سجى يعني عباده الذين يعبدونه
في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم ويقال الضحى يعني نور الجنة اذا تنور والليل اذا
سجى يعني ظلمة النار اذا اظلم ويقال والضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار والليل اذا
سجى يعني السواد الذي في قلوب الكافرين كهيئة الليل فاقسم الله عز وجل بهذه الاشياء • ما ودعك ربك
هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قلاه الله وودعه فنزلت الاية
وقال ابن جريج احتبس عنه الوحي اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين
يوما وقال مقاتل اربعين يوما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله
لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبياء وفي البخاري عن جندب بن سفيان قال
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك
قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلث فانزل الله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى وفي الترمذي عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا
اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • قال وابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل
الله ما ودعك ربك وما قلى هذا حديث حسن صحيح لم يذكر الترمذي فلم يقم ليلتين او ثلاثا اسقطه
الترمذي وذكره البخاري وهو اصح ما قيل في ذلك والله اعلم وقد ذكر الثعلبي ايضا عن جندب بن سفيان
البجلي قال رمي النبي صلى الله عليه وسلم في اصبعه بحجر فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •
فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك
لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت والضحى وروي عن ابي عمران الجوني قال ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة والضحى مكية

حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعوا فنكث بين كتفيه وانزل عليه ما ودعك
ربك وما قلى وقالت خولة وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي
الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي جبريل لا ياتيني قالت خولة فقلت لو
هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار
فجاء نبي الله ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله
هذه السورة ولما نزل جبريل ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة
ولما سالته اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف قال ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فاحتبس
عنه الوحي الى ان نزل جبريل بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه
وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المسلمين قالوا يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك
الوحي فقال وكيف لا ينزل علي وانتم لا تنقون رواجبكم وفي رواية براجمكم ولا تقصون اظفاركم ولا
تاخذون من شواربكم فنزل جبريل بهذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل
وانا كنت اشد اليك شوقا ولكني عبد مامور ثم انزل عليه وما نتنزل الا بامر ربك وودعك بالتشديد
قراة العامة من التوديع وذلك كتوديع المفارق وروي عن ابن عباس وابن الزبير انهما قرآه ودعك
بالتخفيف ومعناه تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرايس اطراف المثقفة السمر واستعماله
قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه قال المبرد محمد بن يزيد لا يكادون يقولون ودع ولا ودر لضعف الواو
اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قوله تعالى وما قلى اي ما ابغضك ربك منذ احبك وترك الكاف لانه
راس اية والقلى البغض فان فتحت القاف تقول قلاه يقليه قلى وقلا كما تقول قريت الضيف اقريه
قرى وقراء وبقلاه لغة طي وانشد ثعلب يا ديار لعمر ولا تقلاها اي لا تبغضها وتقلى اي تبغض وقال
اسيبي بنا واحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال امرؤ القيس ولست بمقلي الخلال ولا قالي
وتاويل الاية ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف لانه راس اية كما قال عز وجل والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اي والذاكرات الله قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فروى سلمة عن ابن اسحق قال وللاخرة
خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن
عباس اري النبي صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل بقوله وللاخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس الفلاح في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن
ابن عباس الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك رفعه الاوزاعي قال حدثني اسماعيل بن عبيد عن علي بن عبد الله
ابن عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل والضحى الى قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى فاعطاه جل ثناؤه الف قصر في الجنة ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج
والخدم وعنه قال رضي محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقال السدي وقيل هي الشفاعة في جميع
المومنين وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه لي رضيت
يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله في ابرهيم
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه
فقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتى جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله فاخبره فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له ان الله يقول لك انا سنرضيك في
امتك ولا نسوءك وقال علي رضي الله عنه لاهل العراق انكم تقولون ان ارجى اية في كتاب الله تعالى قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل البيت

نقول

نقول ان ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الحديث لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا والله لا ارضى وواحد من امتي في النار قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى عدد سبحانه منته
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال الم يجدك يتيما فاوى يتيما لا اب لك قد مات ابوك فاوى اي جعل لك ماوى
تاوي اليه عند عمك ابي طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا
يكون لمخلوق عليه حق وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل فمجاز الاية الم يجدك
واحدا في شرفك لا نظير لك فاواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك قوله تعالى ووجدك ضالا
اي غافلا عما يراد بك من امر النبوة فهداك اي ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله تعالى لا يضل
ربي اي لا يغفل وقال في حق نبيه وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال قوم ضالا لم تكن تدري القران
والشرايع فهداك الله الى القران وشرايع الاسلام عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى
قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب على ما بيناه في سورة الشورى وقال قوم ووجدك ضالا اي في قوم
ضلال فهداهم الله بك هذا قول الكلبي والفرا وعن السدي نحوه اي ووجد قومك في ضلال فهداك
الى ارشادهم وقيل ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا اي ناسيا شان الاستثناء حين سئلت
عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فاذكرك كما قال الله تعالى ان تضل احداهما وقيل ووجدك طالبا
للقبلة فهداك اليها بيانه قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال
طالب وقيل ووجدك متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك اليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضال
متحير وقيل ووجدك ضايعا في قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل ووجدك محبا
للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
اي في محبتك قال الشاعر هذا الضلال اشاب مني المفرقا والعارضين ولم اكن متحققا عجبا لعزة في
اختيار قطيعتي بعد الضلال فحبلها قد اخلقا وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك ورد الى جدك عبد
المطلب قال ابن عباس ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب مكة فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى
جده عبد المطلب فمن الله عليه بذلك حين رده الى جده على يدي عدوه وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم
مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام الناقة في ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام
فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقال كعب ان حليمة لما قضت
حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة
اليوم يرد اليك النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح شاني فسمعت هدة شديدة فالتفت
فلم اره فقلت معشر الناس ابن الصبي قالوا لم نر شيئا فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكا على عصا فقال
اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده عليك ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك
على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شيت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام
وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه
فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة
سبعا وتضرع الى الله ان يرده وقال يا رب رد ولدي محمدا اردده واتخذ عندي يدا يا رب انت ما لم يرجعا
فشمل قومي كلهم تبددا فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله
ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم
قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل
وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال ابو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا تحت ابا طالب

فهداك الى محبة ربك وقال هشام بن عبد الله ووجدك ضالاً بنفسك لا تدري من انت فعرفك بنفسك
وحالك وقال الجنيد ووجدك متحيراً في بيان الكتاب فعلمك البيان بيانه لتبين للناس ما نزل اليهم الاية
لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجر
معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالاً اي لا احد على دينك وانت
وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الي **قلت** هذه الاقوال كلها احسان ثم منها ما هو معنوي ومنها
ما هو حسي والقول الاخير اعجب الي لانه لا يجمع الاقوال المعنوية وقال قوم انه كان على جملة ما كان القوم
عليه لا يظهر لهم خلافاً في ظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل كان على مراسم القوم في الظاهر اربعين
سنة وقال الكلبي والسدي هذا على ظاهره اي وجدك كافراً والقوم كفار فهداك وقد مضى هذا القول
والرد عليه في سورة الشورى وقيل وجدك مغموراً باهل الشرك فميزك عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه
ائذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته وفي قراءة ووجدك ضالاً
فهدى اي وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على التفسير وقيل ووجدك ضالاً لا يهتدي اليك
قومك ولا يعرفون قدرك فهدى المسلمين اليك حتى امنوا بك **قوله تعالى** ووجدك عائلاً اي فقيراً
لا مال لك فاغنى اي فاغناك بخديجة رضي الله عنها يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر **قال الجحدر بن
الحلاج** فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل اي يفتقر وقال مقاتل فرضاك بما اعطاك
من الرزق وقال الكلبي قنعك بالرزق وقال ابن عطا ووجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقال الاخفش وجدك
ذا عيال دليله فاغنى ومنه **قول جرير** الله نزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل وقيل وجدك
فقيراً من الحجج والبراهين فاغناك بها وقيل اغناك بما فتح لك من الفتوح وافاءه عليك من اموال الكفار
القشيري وفي هذا نظر لان السورة مكية وانما فرض الجهاد بالمدينة وقراءة العامة عائلاً وقرا ابن السميقع
عيلاً بالتشديد مثل طيب وطين **قوله تعالى** فاما اليتيم فلا تقهر الى اخر السورة فيه اربع مسايل **الاولى** قوله
فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش وقيل هما لغتان
بمعنى وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر وقرا النخعي والاشهب العقيلي تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف
ابن مسعود فعلى هذا يحتمل ان يكون نهياً عن قهره بظلمه واخذ ماله وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير
الله تعالى فغلظ في امره بتغليظ العقوبة على ظالمه والعرب تعاقب بين الكاف والقاف النحاس
وهذا غلط انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي
حين تكلم في الصلاة برد السلام فبابي هو وامي ما رايت معلماً قبله ولا بعده احسن تعليماً منه يعني
رسول الله صلعم فوالله ما كهرني ولا ضربني الحديث وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر **الثانية** ودلت الاية
على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه حتى قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم وروي عن ابي هريرة
ان رجلاً شكا الى النبي صلعم قسوة قلبه فقال له ان اردت ان يلين فامسح راس اليتيم واطعم المسكين وفي الصحيح
عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال انا وكافل اليتيم له او لغيره كهاتين واشار بالسبابة والوسطى ومن
حديث ابن عمر ان النبي صلعم قال ان اليتيم اذا بكا اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى يا ملائكتي من ذا
الذي ابكى هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فتقول الملائكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالى لملائكته
يا ملائكتي اشهدوا ان من اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيمة فكان ابن عمر اذا راى يتيماً مسح براسه
واعطاه شيئاً وعن انس قال قال رسول الله صلعم من ضم يتيماً فكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له
حجاباً من النار يوم القيمة ومن مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال اكثم بن صيفي الاذلاء
اربعة النمام والكذاب والمديون واليتيم **الثالثة** قوله تعالى واما السائل فلا تنهر اي لا تزجره

فهو نهي عن اغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره وروي عن
ابي هريرة ان النبي صلعم قال لا يمنعن احدكم السائل وان يعطيه اذا سئل ولو راى في يده قلبين من ذهب
وقال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابرهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجي الى باب
احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم بشي وورد عن النبي صلعم ردوا السائل ببذل يسير او رد جميل فانه ياتيكم
من ليس من الانس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسال عن
الدين اي فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين قاله سفيان قال ابن العربي واما السائل عن الدين
فجوابه فرض على العالم على الكفاية كاعطاء السائل البر سواء وقد كان ابو الدرداء ينظر الى اصحاب الحديث
ويبسط رداءه لهم ويقول مرحباً باحبة رسول الله صلعم وفي حديث ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري
قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحباً بوصية رسول الله صلعم ان النبي صلعم قال ان الناس لكم تبع وان رجالاً
ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيراً وفي رواية ياتيكم رجال من قبل المشرق
فذكره واليتيم والسائل منصوبان بالفعل الذي بعده وحق المنصوب ان يكون بعد الفاء والتقدير مهما
يكن من شي فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل وروي ان النبي صلعم قال سالت ربي مسئلة وددت اني لم اسئلها
قلت يا رب اتخذت ابرهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلاناً
كذا فقال عز وجل الم اجدك يتيماً فاويتك الم اجدك ضالاً فهديتك الم اجدك عائلاً فاغنيتك الم
اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احداً قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلاً كما اتخذت
ابرهيم خليلاً قلت بلى يا رب **الرابعة** قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي انشر ما انعم الله عليك
بالشكر والثنا والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد واما بنعمة ربك بالقران
وعنه قال بالنبوة اي بلغ ما ارسلت به والخطاب للنبي صلعم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما قال اذا اصبت خيراً او عملت خيراً فحدث به الثقة من اخوانك وعن عمرو بن ميمون قال اذا لقي الرجل
من اخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا وكان ابو فراس عبيد بن غالب
اذا اصبح يقول لقد رزقني الله البارحة كذا قرات كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فيقال
له يا ابا فراس ان مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وتقولون انتم لا تحدثون
بنعمة الله ونحوه عن ابي ايوب السختياني وابي رجا العطاردي رضي الله عنهم وقال بكر بن عبد الله المزني
قال النبي صلعم من اعطي خيراً فلم يشكر عليه سمي بغيض الله معادياً لنعم الله وروى الشعبي عن النعمان بن بشير
قال قال النبي صلعم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر
وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال كنت عند النبي صلعم
جالساً فراني رث الثياب فقال الك مال قلت نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا اتاك الله مالاً فلير اثره
عليك وروى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلعم انه قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة
على عبده **فصل** يكبر القاري في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب
عن النبي صلعم اذا بلغ اخر والضحى كبر بين كل سورتين تكبيرة الى ان يختم القران ولا يصل اخر السورة بتكبيره
بل يفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن النبي صلعم اياماً فقال ناس من المشركين قد
ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس فامرني و
اخبرني به عن ابي عن النبي صلعم ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القران **قلت**
القران ثبت نقلاً متواتراً سوره واياته وحروفه لا زيادة ولا نقصان فالتكبير على هذا ليس بقران واذا
كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس بقران فكيف بالتكبير الذي هو ليس بمكتوب

امثا انه ثبت سنة بنقل الاحاد فاستحبه ابن كثير لا انا اوجبه فخطا من تركه ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد
ابن عبد الله الحافظ في كتاب المستدرك له على البخاري ومسلم حدثنا ابو يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله
ابن يزيد المقري الامام بمكة في المسجد الحرام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصايغ قال حدثنا
احمد بن محمد بن القاسم بن ابي برة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرات على اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين
فلما بلغت والضحى قال لي كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرا على مجاهد واخبره مجاهد ان ابن
عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي بن كعب ان رسول الله صلعم
امره بذلك هذا حديث صحيح ولم يخرجاه سورة الم نشرح مكية في قول الجميع وهي ثمان ايات بسم الله

تفسير سورة الم نشرح مكية

الرحمن الرحيم قوله تعالى الم نشرح لك صدرك، شرح الصدر فتحه اي الم نفتح لك صدرك للاسلام
وروى ابو صالح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل
لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزول الموت
وقد مضى هذا المعنى في الزمر عند قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام وروى عن الحسن قال
الم نشرح لك صدرك قال ملئ حكما وعلما وفي الصحيح عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من
قومه ان نبي الله صلعم قال فبينما انا عند البيت بين النايم واليقظان اذ سمعت قايلا يقول احد الثلاثة
فاتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعني قال الى
اسفل بطني قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث
قصة وروى عن النبي صلعم قال جاءني ملكان في صورة طاير معهما ماء وثلج فشرح احدهما صدري وفتح
الاخر بمنقاره فيه فغسله وفي حديث اخر قال جاءني ملك فشق عن قلبي فاستخرج منه عذرة وقال
قلبك وكيع وعيناك بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد رسول الله لسانك صادق ونفسك
مطمئنة وخلقك قثم وانت قثم قال اهل اللغة وكيع اي يحفظ ما يوضع فيه يقال سقا وكيع اي قوي
يحفظ ما فيه واستوكعت معدته اذا قويت وقوله قثم اي جامع يقال رجل قثوم للخير اي جامع له
ومعنى الم نشرح قد شرحنا الدليل على ذلك في النسق ووضعنا عنك وزرك فهذا عطف على التاويل
لا على التنزيل لانه لو كان على التنزيل لقال ونضع عنك وزرك فدل هذا ان معنى الم نشرح قد شرحنا
ولم جحد وفي الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم
الحاكمين ومعناه الله احكم الحاكمين وكذا اليس الله بكاف عبده ومثل قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح المعنى انتم كذا قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
اي حططنا عنك ذنبك وقرا انس وحللنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية
مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل الجميع كان قبل النبوة والوزر الذنب اي وضعنا
عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه وان لم يكن
عبد صنما ولا وثنا قال قتادة والحسن والضحاك كانت للنبي صلعم ذنوب اثقلته فغفرها الله له الذي
انقض ظهرك اي اثقله حتى سمع نقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا
سمعت له صريرا من شدة الحمل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره قال حسان وحتى تداعت
بالنقيض حباله وهمت بواني زوره ان تحطما فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعف
الله عنه الذي انقض ظهرك اي اثقله واوهنه قال وانما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل مع كونها
مغفورة لشدة اهتمامهم بها وتندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال السدي ووضعنا عنك وزرك اي وحططنا
عنك ثقلك وهي في قراءة عبد الله بن مسعود وحططنا عنك وقرك اي حططنا عنك ثقل اثام الجاهلية

وقال الحسين

وقال الحسين بن الفضل يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز
ابن يحيى وابو عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى لا يثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل
عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاءه جبريل واراه نفسه وازيل عنه ما كان
يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس
حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر من الادناس قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني بالتاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد وضم الاله
اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد وروى الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا
ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى
وايام التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض و
مغاربها ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم
ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل اي اعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم
بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملايكة في السماء وفي الارض
عند المومنين ونرفع في الاخرة بما نعطيك من المقام المحمود وكرايم الدرجات قوله تعالى فان مع العسر يسرا
اي ان مع الضيقة والشدة يسرا اي سعة وغنى ثم كرر فقال ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير
تاكيد للكلام كما يقال ارم ارم اعجل اعجل قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظيره في
تكرار الجواب بلى بلى لا لا وذلك للاطناب والمبالغة قاله الفرا ومنه قول الشاعر هممت لنفسي بعض الهموم
فاولى لنفسي اولى لها وقال قوم ان من عادة العرب اذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو واذا نكروه
ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان ليكون اقوى للامل وابعث على الصبر قاله ثعلب وقال ابن عباس يقول
الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين ولن يغلب عسر يسرين وجاء في الحديث عن النبي صلعم في هذه السورة
انه لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
ولن يغلب عسر يسرين وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما اما بعد فانه مهما ينزل بعبد
مومن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول في كتابه
يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال قوم منهم الجرجاني هذا قول مدخول
لانه يجب على هذا التدريج اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا ان يكون الفارس واحدا
والسيف اثنين والصحيح ان يقال ان الله بعث نبيه محمدا صلعم مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره حتى قالوا له
نجمع لك مالا فاغتم وظن انهم كذبوه لفقره فعزاه الله وعدد عليه نعمه ووعده الغنى بقوله فان مع العسر يسرا
اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى
فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المايتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد
لاهله قوت سنة فهذا الفضل كله في امر الدنيا وان كان خاصا بالنبي صلعم فقد يدخل فيه بعض امته ان
شاء الله تعالى ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة وفيه تاسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم فقال مبتديا
ان مع العسر يسرا فهو شيء اخر والدليل على ابتدايه تعريه من فاء او واو وغيرهما من حروف النسق التي تدل
على العطف فهذا وعد عام لجميع المومنين لا يخرج احد منه اي ان مع العسر في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة
لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة والذي في الخبر لن يغلب عسر يسرين يعني العسر الواحد لن يغلبهما
وانما يغلب عسر يسرين يعني العسر الواحد لن يغلبهما وانما يغلب احدهما ان غلب وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة
فكاين لا محالة ولن يغلبه شيء وقيل ان مع العسر وهو اخراج اهل مكة النبي صلعم من مكة يسرا وهو دخوله

يوم الفتح مكة مع عشرة الاف رجل مع عز وشرف قوله تعالى فاذا فرغت فانصب فيه مسئلتان الاولى قوله
فاذا فرغت قال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ في الدعاء وسله حاجتك
وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب
اي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة ايضا فرغت من جهاد عدوك فانصب
لعبادة ربك وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ونحوه عن الجنيد قال الجنيد اذا
فرغت من امر الخلق فاجتهد في عبادة الحق وقال ابن العربي ومن المبتدعة من قرا هذه الاية فانصب بكسر
الصاد والهمزة في اوله وقالوا معناه انصب الامام الذي تستخلفه وهذا باطل في القراءة باطل في المعنى
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا وقراها بعض الجهال فانصب بتشديد الباء اذا فرغت لقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة
من العذاب يمنع احدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الرجوع الى اهله واشد
الناس عذابا واسوءهم مباءا ومآبا من اخذ معنى صحيحا فركب عليه من قبل نفسه قراءة او حديثا فيكون
كاذبا على الله كاذبا على رسوله ومن اظلم من افترى على الله كذبا قال المهدوي وروي عن ابي جعفر المنصور
انه قرا الم نشرح لك صدرك بفتح الحاء وهو بعيد وقد تاول على تقدير النون الخفيفة ثم ابدلت النون
الفا للوقف ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت الالف وانشد عليه اضرب عنك الهموم طارقها ضربك
بالسوط قونس الفرس اراد اضربن وروي عن ابي السمال فاذا فرغت بكسر الراء وهي لغة فيه وقرئ فرغب
الناس الى ما عنده الثانية قال ابن العربي روي عن شريح انه مر بقوم يلعبون يوم عيد فقال ما بهذا امر
الفارغ وفيه نظر فان الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر ودخل ابو
بكر في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها وعندها جاريتان من جواري الانصار تغنيان فقال ابو بكر امزمور
الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد وليس يلزم الدءوب على العمل بل هو مكروه للخلق

سورة التين وهي ثمان ايات مكية في قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والتين والزيتون فيه ثلاث

تفسير سورة التين مكية

مسائل الاولى قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا بن ابي رباح
وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال الله تعالى وشجرة
تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وقال ابو ذر اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فقال كلوا واكل منه
ثم قال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع
من النقرس وعن معاذ انه استاك بقضيب زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة
المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وهي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وروي عن ابن عباس ايضا التين مسجد
نوح عليه السلم الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون
المسجد الاقصى ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس قتادة التين الجبل الذي عليه
دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون
ايليا وقال كعب الاحبار وقتادة ايضا وعكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار
الطبري وقال الفرا سمعت رجلا من اهل الشام يقول التين جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام
وهما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتانهما وكذا روى ابو مكين عن
عكرمة قال التين والزيتون جبلان بالشام قال زهير اتينا التين عن عرض وهذا اسم موضع ويجوز ان يكون
ذلك على حذف مضاف اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل ولا من قول
لا يجوز خلافه قاله النحاس قلت اصح هذه الاقوال الاقوال الاول لانه الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة
الى المجاز الا بدليل وانما اقسم الله بالتين لانه كان ستر ادم في الجنة لقوله تعالى يخصفان عليهما من ورق

الجنة وكان ورق التين وقيل اقسم به ليبين وجه المنة العظمى فيه فانه جميل المنظر طيب المخبر نشر الرائحة سهل
الجنى على قدر المضغة ولقد احسن القائل فيه انظر الى التين في الغصون ضحى ممزق الجلد مائل العنق كانه
رب نعمة سلبت فعاد بعد الجديد في الخلق اصغرها في العيون اكبره لكن ينادي عليه في الطرق وقال اخر
التين يعدل عندي كل فاكهة اذا انثنى مائلا في غصنه الزاهي مخمش الوجه قد سالت حلاوته كانه راكع
من خشية الله واقسم بالزيتون لانه مثل به ابرهيم في قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة وهو
اكثر ادم اهل الشام والمغرب يصطبغون به ويستعملونه في طبيخهم ويستصبحون به ويداوى به ادواء
الجوف والقروح والجراحات وفيه منافع كثيرة وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقد
مضى في سورة المؤمنين القول فيه الثانية قال ابن العربي ولامتنان الباري سبحانه وتعظيم المنة في التين
انه مقتات مدخر فلذلك قلنا بوجوب الزكاة فيه وانما فر كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيه تقية
جور الولاة فانهم يتحاملون في الاموال الزكاتية فياخذونها مغرما حسب ما انذر به الصادق صلى الله عليه
وسلم فكره العلماء ان يجعلوا لهم سبيلا الى مال اخر يتشططون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج عن نعمة ربه
باداء حقه وقد قال الشافعي بهذه العلة وغيرها لا زكاة في الزيتون والصحيح وجوب الزكاة فيهما قوله
تعالى وطور سينين روى ابن ابي نجيح عن مجاهد وطور قال هو جبل وسينين حسن وقال قتادة سينين
هو المبارك الحسن وعن عكرمة قال الجبل نادى الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلم وقال الكلبي ومقاتل سينين
كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت مع عمر بن الخطاب
العشاء بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد قال وهكذا هي في قراءة عبد
الله ورفع صوته تعظيما للبيت وقرا في الركعة الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره
ابن الانباري النحاس وفي قراءة عبد الله سينا بكسر السين وفي حديث عمرو بن ميمون بفتح السين وقال الاخفش
طور جبل وسينين شجر واحدته سينينة وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه
كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديدة للقطعة من التمر وحيديد للطويل ولم ينصرف سينا لانه
جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر
وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله فيهما كما قال الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله قوله تعالى وهذا البلد الامين يعني مكة سماه امينا لانه امن كما قال انا جعلنا حرما امنا
فالامين بمعنى الامن قاله الفرا وغيره قال الم تعلمي يا اسم ويحك انني حلفت يمينا لا اخون اميني
يعني امني وبهذا احتج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت المقدس فاقسم بجبل دمشق لانه
ماوى عيسى وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء عليهم السلام وبمكة لانها دار ابرهيم ودار محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد
فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان ادم وذريته في احسن تقويم وهو اعتداله واستواء
شبابه كذا قال عامة المفسرين وهو احسن ما يكون فيه لانه خلق كل شي منكبا على وجهه وخلقه هو
مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر بن طاهر مزينا بالعقل مؤديا للامر مهديا
بالتمييز مديد القامة يتناول ماكوله بيده ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله
خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب سبحانه وعنها عبر
بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله خلق ادم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها وفي رواية
على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان تكون معاني وقد اخبرنا المبارك ابن

عبد الجبار الاندى قال حدثنا القاضي ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن عن ابيه كان عيسى بن موسى الهاشمي
يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت
طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر للمنصور جزعا عظيما فاستحضر
الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا
فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد
الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن
منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل ابو جعفر المنصور الى زوجة
الرجل ان اطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك فهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله باطنا وظاهرا
جمال هيئته وبديع تركيب الراس بما فيه والصدر بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما طواه واليدان
وما بطشتاه والرجلان وما حملتاه ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات
اجمع فيه الثانية قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين • اي الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة حتى يصير كالصبي في الحال الاول قاله الضحاك والكلبي وغيرهما وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد
ثم رددناه اسفل سافلين الى النار يعني الكافر وقاله ابو العالية وقيل لما وصفه بتلك الصفات التي ركب
الانسان عليها طغى وعلا حتى قال انا ربكم الاعلى وحين علم الله هذا من عبده وقضاؤه صادر من عنده
رده اسفل سافلين بان جعله مملوا قذرا مشحونا نجاسة على ظاهرها اخرجها مستكرها على وجه الاختيار
تارة وعلى وجه الغلبة حتى اذا شاهد ذلك من امره رجع الى قدره وقرا عبد الله اسفل السافلين قوله
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • فانه يكتب لهم حسناتهم ويمحا سيئاتهم قاله ابن عباس قال وهم الذين
ادركهم الكبر لا يؤاخذون بما عملوه روى الضحاك عنه انه قال اذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة كثير
الصيام والصدقة ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه اجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه وفي الحديث
قال النبي صلعم اذا سافر العبد كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وقيل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانه لا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقله من كان عالما عاملا به وعن عاصم الاحول عن عكرمة قال من قرا
القران لم يرد الى ارذل العمر عن ابن عمر عن النبي صلعم انه قال طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان العبد
المؤمن اذا مات امر الله ملكيه ان يتعبدا على قبره الى يوم القيمة ويكتب له ذلك وقرا اسفل سافلين
على الجمع لان الانسان واحد وتقول هذا افضل قايم وتقول افضل قايمين فانك تضمر الواحد فان كان
الواحد غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون
وقوله تعالى وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم وقد قيل ان معنى
رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى الضلال كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي الا هؤلاء فلا يردوا الى الهرم والاستثناء على قوله من قال اسفل سافلين النار متصل ومن قال انه
الهرم فهو منقطع • فلهم اجر غير ممنون • قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع قوله تعالى فما يكذبك
بعد بالدين • قيل الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجة اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في
احسن تقويم وانه يردك الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء
وقد اخبرك محمد صلعم به وقيل الخطاب للنبي صلعم اي استيقن مع ما جاءك من الله عز وجل انه احكم الحاكمين
روى معناه عن قتادة ايضا والعرا المعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذا البيان بالدين واختاره الطبرى
كانه قال فمن يقدر على ذلك على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان
والجزاء قال الشاعر دنا عنهم كما كانت اوايلنا • دانت اوايلهم في سالف الزمن قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين

اي اتقن

اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق وقيل باحكم الحاكمين قضاء بالحكم الحاكمين وعدلا بين الخلق وفيه تقرير
لمن اعترف من بصانع وقدير والف الاستفهام اذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار
ايجابا كما قال • الستم خير من ركب المطايا • وقيل فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله
عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين فيختار ذلك والله اعلم
ورواه الترمذي عن ابي هريرة قال من قرا سورة والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين

تفسير سورة العلق مكية

فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين سورة العلق وهي مكية باجماع وهي اول ما نزل من القران
في قول ابي موسى وعايشة رضي الله عنهما وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقرا باسم
ربك الذي خلق • هذه السورة اول ما نزل من القران في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي صلعم
وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقيل ان اول ما نزل يا ايها المدثر قاله جابر بن عبد الله
وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابو ميسرة الهمداني وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والصحيح الاول قالت عايشة اول ما بدي به
رسول الله صلعم الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم خرجه البخاري وفي الصحيحين عنها قالت اول ما بدي به رسول الله صلعم من الوحي
الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو
بغار حرا يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه
الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقارى قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارى فغطني الثانية ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارى
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجا العطاردي
وكان ابو موسى الاشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة فيقعدنا حلقا فيقرينا
القران فكاني انظر اليه بين ثوبين له ابيضين وعنه اخذت هذه السورة اقرا باسم ربك الذي
خلق وكانت اول سورة انزلها الله على محمد صلعم وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت
على رسول الله صلعم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي وعن
الزهري اول ما نزلت سورة اقرا باسم ربك الذي ما لم يعلم فحزن رسول الله صلعم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها
المدثر ومعنى اقرا باسم ربك اي اقرا ما انزل اليك من القران مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر
التسمية في ابتداء كل سورة فمحل الباء في باسم ربك النصب على الحال وقيل الباء بمعنى على اي اقرا
على اسم ربك يقال فعل كذا باسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا فالمقرو محذوف اي اقرا القران
وافتتحه باسم الله وقال قوم اسم ربك هو القران فهو يقول اقرا باسم ربك اي اسم ربك والباء
زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وكما قال سود المحاجر لا يقران بالسور • اراد لا يقران السور وقيل
معنى اقرا باسم ربك اي اذكر اسمه امره ان يبتدي القراءة باسم الله قوله تعالى خلق الانسان • يعني
ابن ادم من علق • اي من دم جمع علقة والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق
فذكره بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من
دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقة وقال الشاعر

تركناه يخر على يديه يمج عليهما علق الوتين • وخص الانسان بالذكر تشريفًا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته
عليه بان خلقه من علقة مهينة حتى صار بشرًا سويًا وعاقلًا مميزًا قوله تعالى اقرا تاكيد وتم
الكلام ثم استانف فقال • وربك الاكرم • اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم
والاول اشبه بالمعنى لانه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على كرمه وقيل اقرا يا محمد وربك يعينك
ويفهمك وان كنت غير القاري الاكرم بمعنى المتجاوز عن جهل العباد قوله تعالى الذى علم بالقلم • فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله الذى علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم وروى سعيد
عن قتادة قال القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح شيء فدل على كمال كرمه
سبحانه بانه علم عباده سبحانه ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم
الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحفظ بها الا هي وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت
اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين والدنيا
وسمي قلمًا لانه يقلم اي يقطع ومنه تقليم الظفر وقال بعض شعراء المحدثين يصف القلم
فكانه والحبر يخضب راسه • شيخ لوصل خريدة يتصنع • الا لا الحظه بعين جلالة • وبه الى الله
الصحايف ترفع • وعن عبد الله بن عمر قال قلت لرسول الله صلعم اكتب ما اسمع منك من الحديث قال
نعم فاكتب فان الله علم بالقلم وروى مجاهد عن ابن عمر قال خلق الله عز وجل اربعة اشياء بيده ثم
قال لسائر الحيوانات كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة
اقاويل احدها انه ادم عم لانه اول من كتب قاله كعب الاحبار الثاني ادريس وهو اول من كتب قاله
الضحاك الثالث انه ادخل من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله سبحانه وجمع بذلك نعمته عليه في
تعليمه استكمالا للنعمة عليه الثانية صح عن النبي صلعم من حديث ابي هريرة قال لما خلق الله الخلق كتب في
كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وثبت عنه عم انه قال اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب
فكتب ما يكون الى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع رسول
الله صلعم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكًا وخلق سمعها وبصرها و
جلدها ولحمها وعظمها ثم يقول يا رب ذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول
يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك
ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص وقال تعالى وان عليكم لحافظين كرامًا
كاتبين قال علماؤنا فالاقلام في الاصل ثلاثة القلم الاول الذى خلقه بيده وامره ان يكتب والقلم
الثاني قلم الملائكة جعلها الله بايديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس
جعلها الله بايديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مآربهم وفي الكتابة فضائل جمة والكتابة من جملة
البيان والبيان مما اختص به الادمي الثالثة قال علماؤنا كانت العرب اقل الخلق معرفة بالكتابة واقل
العرب به معرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك اثبت لمعجزته واقوى في
حجته وقد مضى هذا مبينًا في سورة العنكبوت وروى حماد بن سلمة عن عبد السلام عن ايوب بن عبد الله
الفهري عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال
علماؤنا انما حذرهم النبي صلعم ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعًا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن
ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة والبلاء فحذرهم ان
يجعلوا لهن غرفًا ذريعة الى الفتنة وهو كما قال رسول الله صلعم ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال
ولا يرين الرجال وذلك انها خلقت من الرجل فنهمتها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنًا له

فغير ما هو من كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببًا للفتنة وذلك اذا علمت
الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغايب والخط هو اثار يده وفي
ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلعم ان ينقطع عنهن
اسباب الفتنة تحصينًا لهن وطهارة لقلوبهن قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم • قيل الانسان هنا ادم عم علمه
اسم كل شيء حسب ما جاء به القران في قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها فلم يبق شيء الا وعلم سبحانه ادم
اسمه بكل لغة وذكره ادم للملائكة كما علمه وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت
حجة الله على الملائكة وحجته قائمة وامتثلت الملائكة الامر لما رات من شرف الحال ورات من جلال القدرة
وسمعت من عظيم الامر ثم توارثت ذلك ذريته خلفًا بعد سلف وتناقلوه قومًا عن قوم وقد مضى هذا في
سورة البقرة مستوفى والحمد لله وقيل الانسان هنا الرسول محمد صلعم دليله قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وعلى هذا فالمراد يعلمك المستقبل فان هذا من اوائل ما نزل وقيل هو عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئًا قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى • الى اخر السورة قيل انه نزل في ابي جهل وقيل نزلت
السورة كلها في ابي جهل نهى النبي صلعم عن الصلاة فامر الله نبيه صلعم ان يصلي في المسجد ويقرا باسم الرب وعلى
هذا فليست السورة من اوائل ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول ما نزل ثم نزلت البقية
في شان ابي جهل وامر النبي صلعم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف السور جرى بامر من الله الا ترى ان
قوله تعالى واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل ثم قبله بكلام طويل وكلا بمعنى حقًا اذ ليس قبله
شيء والانسان هنا ابو جهل والطغيان مجاوزة الحد في العصيان • ان راه • اي لان راى نفسه • استغنى •
اي صار ذا مال وثروة وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه
ابو جهل فقال يا محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبًا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا
ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عم فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاءوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يسلموا فعلنا
بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلعم ان القوم لا يقبلون ذلك فكف عنهم ابقاء عليهم وقيل ان راه استغنى
بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان راه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم وقال
الفراء لم يقل راى نفسه كما قيل قتل نفسه لان راى من الافعال التي تريد اسمًا وخبرًا نحو الظن والحسبان
فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول رايتني وحسبتني ومتى تراك
خارجًا ومتى تظنك خارجًا وقرا مجاهد وحميد وقنبل عن ابن كثير ان راه استغنى بقصر الهمزة الباقون
راه بمدها وهو الاختيار قوله تعالى ان الى ربك الرجعى • اي مرجع من هذا وصفه فيجازيه والرجعى والمرجع
والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعًا ومرجعًا ورجعى على وزن فعلى قوله تعالى ارايت الذي ينهى • وهو
ابو جهل • عبدًا • وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال ان رايت محمدًا يصلي لاطان على عنقه (اذا صلى صح)
قاله ابو هريرة فانزل الله هذه الايات تعجبًا منه وقيل في الكلام حذف والمعنى امن هذا الناهي عن الصلاة
من العقوبة قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى • ارايت يا ابا جهل ان كان محمد على هذه الصفة
اليس ناهيه عن التقوى والصلاة هالكًا قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى • يعني ابا جهل كذب بكتاب الله عز
وجل واعرض عن الايمان وقال الفراء المعنى ارايت الذي ينهى عبدًا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي
مكذب متول عن الذكر اي فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم • ابو جهل بان الله يرى • اي يراه ويعلم فعله فهو
تقرير وتوبيخ وقيل كل واحد من ارايت بدل من الاول والم يعلم بان الله يرى الخبر قوله تعالى كلا لئن لم ينته •
اي ابو جهل عن ايذائك يا محمد لنسفعًا • اي لناخذن • بالناصية • يوم القيامة ويطوى مع قدميه ويطرح
في النار كما قال تعالى فيوخذ بالنواصي والاقدام فالاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد

لمن يمنع غيره عن الطاعة واهل اللغة يقولون سفعت بالشي اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا ويقال
سفع بناصية فرسه **قال** قوم اذا كثر الصياح رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع • وقيل هو ماخوذ من سفعته
النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد **قال** اتاني سفعا في مفرش رجلي • ونوى كجذم الحوض اثلم خاشع •
والناصية شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان كما يقال هذه ناصية مباركة اشارة الى جميع الانسان
وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا بناصيته وقال المبرد السفع الجذب بشدة
اي لنجرنه بناصيته الى النار وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب المعنى اي يجمع عليه الضرب
عند الاخذ ثم يجر الى جهنم ثم قال على البدل **ناصية كاذبة خاطئة** • اي ناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها
والخاطي معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله الى ربها
ناظرة وقيل اي صاحبها كاذب خاطي كما يقال نهار صايم وليل قايم • **فليدع ناديه** • اي اهل مجلسه وعشيرته فليستنصر
بهم • **سندع الزبانية** • اي الملائكة الغلاظ الشداد عن ابن عباس وغيره واحدهم زبني قاله الكسائي والاخفش زابن
ابو عبيدة زبنية وقيل زباني وقيل هو اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وهو ماخوذ
من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وقيل انما سموا الزبانية لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم حكاه ابو
الليث السمرقندي رحمه الله قال وروي في الخبر ان النبي صلعم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية
قال ابو جهل انا ادعوا قومي حتى يمنعوا عني ربك فقال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانية
رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال
الي الفارس فخشيت منه ان ياكلني وفي الاخبار ان الزبانية رؤوسهم في السماء وارجلهم في الارض فهم يدفعون
الكفار في جهنم وقيل انهم اعظم الملائكة خلقا واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه
قال الشاعر مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى • زبانية غلب عظام حلومها • وعن عكرمة عن ابن عباس
سندع الزبانية قال قال ابو جهل لان رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فقال النبي صلعم لئن فعل لاخذته
الملائكة عيانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى عكرمة عن ابن عباس قال مر ابو جهل على النبي صلعم
وهو يصلي عند المقام فقال الم انهك عن هذا يا محمد فاغلظ له رسول الله صلعم فقال ابو جهل باي شي تهددني
يا محمد والله اني لاكثر اهل الوادي ناديا فانزل الله عز وجل فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه وقال حسن غريب والنادي
في كلام العرب المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما **قال جرير** لهم مجلس صهب
السبال اذلة **وقال زهير** وفيهم مقامات حسان وجوههم **وقال اخر** واستب بعدك يا كليب المجلس وقد ناديت
الرجل ناديه اذا جالسته **قال زهير** وجار البيت والرجل المنادي • امام الحي عقدهما سوا • **قوله تعالى كلا** • اي
ليس الامر على ما يظنه ابو جهل • **لا تطعه** • فيما دعاك اليه من ترك الصلاة • **واسجد** • اي صل لله • **واقترب**
اي تقرب الى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعاء روى عطا
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اقرب ما يكون العبد من ربه واحبه اليه ما كانت جبهته في الارض ساجدا
لله قال علماؤنا وانما ذلك لانها نهاية العبودية والذلة ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها فكلما
بعدت من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره وفي الحديث الصحيح ان النبي صلعم قال اما الركوع
فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم **ولقد احسن من قال** واذا تذللت
الرقاب تواضعا • منا اليك فعزها في ذلها • وقال زيد بن اسلم اسجد انت يا محمد مصليا واقترب انت يا ابا
جهل من النار قوله واسجد هذا السجود يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون سجود التلاوة
في هذه السورة قال ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة لقوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه

واسجد

واسجد واقترب لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الايمة عن ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول
الله صلعم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين فكان هذا ايضا نصا على ان المراد سجود
وقد روى ابن وهب عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن علي بن ابي طالب قال عزايم السجود اربع
الم وحم تنزيل من الرحمن الرحيم والنجم واقرا باسم ربك قال ابن العربي وهذا ان صح يلزم عليه السجود الثاني
من سورة الحج وان كان مقترنا بالركوع لانه يكون معناه واركعوا في موضع الركوع واسجدوا في موضع
السجود وقد قال ابن نافع ومطرف وكان مالك يسجد في خاصة نفسه بخاتمة هذه السورة من اقرا باسم ربك
وابن وهب يراها من العزايم **قلت** وقد روينا من حديث مالك بن انس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر
قال لما انزل الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق قال رسول الله صلعم لمعاذ اكتبها يا معاذ فاخذ معاذ اللوح والقلم والنون
وهي الدواة فكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب سجد اللوح وسجد القلم وسجدت النون
وهم يقولون اللهم ارفع به ذكرا اللهم حطط به وزرا اللهم اغفر به ذنبا قال معاذ سجدت واخبرت رسول
الله صلعم فسجد والله اعلم والحمد لله على ما فتح ومنح **سورة القدر وهي مدنية في قول اكثر المفسرين** ذكره الثعلبي
وحكى الماوردي عكسه **قلت وهي مدنية في قول الضحاك** وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة
وهي خمس ايات **بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى** انا انزلناه في ليلة القدر • يعني القران وان لم يجر له ذكر
في هذه السورة لان المعنى معلوم والقران كله كالسورة الواحدة وقد قال شهر رمضان الذي انزل فيه القران
وقال حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام
الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلعم
عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلعم واسطة قوله
في ليلة القدر قال مجاهد في ليلة الحكم **قوله تعالى** وما ادراك ما ليلة القدر • قال ليلة الحكم والمعنى ليلة التقدير
سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى مثلها من السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق
وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور وهم اربعة من الملائكة اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلم
وعن ابن عباس قال يكتب من ام الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج قال عكرمة يكتب
حاج بيت الله تعالى في ليلة القدر باسمائهم واسماء ابائهم ما يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم وقاله سعيد بن جبير
وقد مضى في اول سورة الدخان هذا المعنى وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقيل انما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر
اي شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا
وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لان من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر اذا احياها
وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر وقيل لانه ينزل
فيها ملائكة ذوو قدر وخطر وقيل لان الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وقال سهل سميت بذلك
لان الله قدر فيها الرحمة على المومنين وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى ومن قدر عليه
رزقه اي ضيق **قوله تعالى** وما ادراك ما ليلة القدر قال الفرا كل ما في القران من قوله وما ادراك فقد ادراه وما كان
من قوله وما يدريك فلم يدره وقاله سفيان وقد تقدم • ليلة القدر خير من الف شهر • بين فضلها وعظمها وفضيلة
الزمان انما يكون بكثرة ما يقع فيه من الفضايل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر
والله اعلم وقال كثير من المفسرين اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقال ابو العالية ليلة
القدر خير من الف شهر رمضان لا تكون فيه ليلة القدر وقيل عنى بالف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر
الالف في غاية الاشياء كما قال يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وقيل ان العابد كان فيما مضى لا

تفسير سورة القدر مدنية

يستغني عما يرى حتى يعبد الله الف شهر ثلاث وثمانين سنة واربعة اشهر فجعل الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه
وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان خمسماية شهر وملك ذى
القرنين خمسماية شهر فصار ملكهما الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن
مسعود ان النبي صلعم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت انا
انزلناه الاية خير من الف شهر الذي لبس الرجل فيها سلاحه في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس ووهب بن منبه
ان ذلك الرجل كان مسلما وان امه جعلته نذيرا لله وكان من قرية قوم يعبدون الاصنام وكان سكن
قريبا منها فجعل يغزوهم وحده ويقتل ويسبي ويجاهد وكان لا يقاتلهم الا بلحيي بعير وكان اذا قاتلهم وقاتلوهم
فعطش انفجر له من اللحيين ماء عذب فيشرب منه وكان قد اعطي قوة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره
وكان اسمه شمسون وقال كعب الاحبار كان رجلا ملكا في بني اسرائيل فعل خصلة واحدة فاوحى الله الى نبي
زمانهم قل لفلان يتمنى قال يا رب اتمنى ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله الف ولد وكان يجهز الولد
بماله في عسكره ويخرجه مجاهدا في سبيل الله فيقوم شهرا ويقتل ذلك الولد ثم يجهز اخر في عسكره فكان كل
ولد يقتل في الشهر والملك مع ذلك قايم الليل صايم النهار فقتل الالف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل فقتل فقال
الناس لا احد يدرك منزلة هذا الملك فانزل الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر من شهور ذلك الملك في
القيام والصيام والجهاد بالمال والنفس والاولاد في سبيل الله وقال عروة ذكر النبي صلعم اربعة من بني اسرائيل فقال
عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون
فعجب اصحاب النبي صلعم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر لم يعصوا الله طرفة
عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر ففسر بذلك رسول الله صلعم وقال مالك
في الموطا من رواية ابن القاسم وغيره سمعت من اثق به يقول ان رسول الله صلعم اري اعمال الامم قبله فكانه
تقاصر اعمار امته الا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف
شهر وفي الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلعم اري بني امية على منبره فساءه ذلك فنزلت
انا اعطيناك الكوثر يعني نهرا في الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر
خير من الف شهر يملكها بعدك بنو امية قال القاسم بن الفضل الحداني فعددنا فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما
ولا تنقص يوما قال حديث غريب قوله تعالى تنزل الملائكة اي تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى ومسكن
جبريل على وسطها فينزلون الى الارض ويؤمنون على دعاء الناس الى وقت طلوع الفجر فذلك قوله تعالى
تنزل الملائكة والروح اي جبريل عليه السلام وحكى القشيري ان الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة
على سايرهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وقال مقاتل هم اشرف الملائكة واقربهم من الله
تعالى وقيل انهم جند من جند الله عز وجل من غير الملائكة رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا ذكره الماوردي
وحكى القشيري قيل هم صنف من خلق الله ياكلون الطعام ولهم ايدي وارجل وليسوا ملائكة وقيل الروح
خلق عظيم يقوم صفا والملائكة كلهم صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل مع الملائكة في هذه الليلة
على اهلها دليله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر
باذن ربهم اي بامره من كل امر اي بكل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس كقوله
تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقراءة العامة تنزل بفتح التاء الا ان البزي شدد التاء وقرا طلحة
ابن مصرف وابن السميقع بضم التاء على الفعل المجهول وقرا علي وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ وروي
عن ابن عباس ان معناه من كل ملك وتاولها الكلبي على ان جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرئ
مسلم فمن بمعنى على وعن انس قال النبي صلعم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون

على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله تعالى قوله تعالى سلام قيل ان تمام الكلام من كل امر ثم قال سلام روي ذلك عن نافع
وغيره اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها هي حتى مطلع الفجر اي الى طلوع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله في
تلك الليلة الا السلامة وفي ساير الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل هي سلام اي ذات سلامة من ان يوثر فيها شيطان
مومن ومومنة وكذا قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيه سوا ولا اذى وروي مرفوعا وقال
الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مومن ويقولون
السلام عليك ايها المومن وقيل يعني سلام الملائكة بعضها على بعض فيها وقال قتادة سلام هي خير هي حتى مطلع اي
الى مطلع وقرا الكسائي وابن محيصن مطلع بكسر اللام الباقون بالفتح والفتح والكسر لغتان في المصدر والفتح الاصل في فعل
يفعل نحو المقتل والمخرج والكسر على انه مما شذ عن قياسه نحو المشرق والمغرب والمبيت والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط
والمجزر حكي ذلك كله الفتح والكسر على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث مسايل الاولى في تعيين ليلة القدر وقد
اختلف العلماء في ذلك والذي عليه المعظم انها ليلة سبع وعشرين لحديث زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ان اخاك
عبد الله بن مسعود يقول من قام الحول يصيب ليلة القدر فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن لقد علم انها في العشر الاواخر
من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين قال قلت باي شي تقول ذلك يا ابا المنذر قال بالاية التي اخبرنا بها رسول الله
صلعم او بالعلامة ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرجه مسلم وقيل هي في
شهر رمضان دون ساير العام قاله ابو هريرة وغيره وقيل هي في ليالي السنة كلها فمن علق طلاق امراته او عتق
عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق الى مضي سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت
اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وكذلك العتق وما كان مثله من يمين وغيره وقال
ابن مسعود من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان
ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا القول ذهب ابو حنيفة انها في جميع السنة وقيل عنه انها رفعت يعني ليلة
القدر وانها انما كانت مرة واحدة والصحيح انها باقية وروي عن ابن مسعود ايضا انها اذا كانت في يوم من
هذه السنة كانت في العام المقبل في يوم اخر والجمهور على انها في كل عام من رمضان ثم قيل انها الليلة الاولى
من الشهر قاله ابو رزين العقيلي وقال الحسن وابن اسحق وعبد الله بن الزبير هي ليلة سبع عشرة من رمضان
وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر كانهم نزعوا بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان وكان ذلك ليلة سبع عشرة وقيل هي ليلة التاسع عشر والصحيح المشهور انها في العشر الاواخر
من رمضان وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي وابي ثور واحمد ثم قال قوم هي الحادي والعشرون ومال اليه
الشافعي رضي الله عنه لحديث الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري خرجه مالك وغيره وقيل ليلة الثالث
والعشرين لما رواه ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلعم ارى
رؤياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين قال
معمر فكان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وفي صحيح مسلم في ماء وطين قال عبد الله بن انيس فرايته
صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقيل ليلة خمس لحديث ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلعم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى رواه مسلم قال
مالك يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين والسابعة ليلة ثلث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين
وقيل ليلة سبع وعشرين وقد مضى دليله وقول علي رضي الله عنه وعايشة ومعوية وابي بن كعب وروى ابن
عمر ان النبي صلعم قال من كان متحريا ليلة القدر فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليلة القدر ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق ان الله تعالى قسم ليالي هذا
الشهر شهر رمضان على كلمات هذه السورة فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها قال هي وايضا فان ليلة القدر

كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فهي سبعا وعشرين وقيل تسع وعشرين لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر التاسعة والعشرون وان الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى وقد قيل انها في الاشفاع قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين سنة فرايتها تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار في تلك الليلة وقيل انها مستورة في جميع السنة ليجتهد المرء في احياء جميع الليالي وقيل اخفاها في شهر رمضان ليجتهدوا في العمل والعبادة ليالي رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى الصلاة الوسطى في الصلوات واسمه الاعظم في اسمائه الحسنى وساعة الاجابة في ساعات الجمعة وساعات الليل وغضبه في المعاصي ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات والعبد الصالح بين العباد رحمة منه وحكمة **الثانية** في علاماتها منها ان الشمس تطلع في صبيحة يومها بيضا لا شعاع لها وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ان من اماراتها انها ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسا **الثالثة** في فضائلها وحسبك بقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها وفي الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى منهم جبريل ومعهم الالوية ينصب منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طور سينا ولا تدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا تسلم عليه الا مدمن الخمر او اكل الخنزير او المتضمخ بالزعفران وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل ولا شيء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر وقال الشعبي وليلها كيومها ويومها كليلها وقال الفرا لا يقدر الله في ليلة القدر الا السعادة والنعم ويقدر في غيرها البلايا والنقم وقد تقدم عن الضحاك ومثله لا يقال من جهة الراي فهو مرفوع وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة المغرب والعشاء الاخرة من ليلة القدر في جماعة فقد اخذ بحظه من ليلة القدر ذكره الثعلبي في تفسيره وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ارايت ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني

سورة لم يكن وهي مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وهي تسع ايات وقد جاء في فضلها حديث لا يصح رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي ابو عبد الرحمن بن نمير اذهب الى ابي الهيثم الخشاب فاكتب عنه فانه قد كتب فذهبت اليه فقال حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب لعطلوا الاهل والمال فتعلموها فقال رجل من خزاعة وما فيها من الاجر يا رسول الله قال لا يقرؤها منافق ابدا ولا عبد في قلبه شك في الله والله ان الملائكة المقربين يقرؤونها منذ خلق الله السموات والارض وما يفترون من قرائتها وما من عبد يقرؤها الا بعث الله اليه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة قال الحضرمي فجئت الى ابي عبد الرحمن بن نمير فالقيت هذا الحديث عليه فقال هذا قد كفانا مؤنته فلا تعد اليه قال ابن العربي روى اسحاق بن بشير الكاهلي عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا لعطلوا الاهل والمال ولتعلموها وهذا حديث باطل وانما الحديث الصحيح ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني لك قال نعم فبكى **قلت** خرجه البخاري ومسلم وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة لم يكن مكية ومدنية

فاداه

فاداه بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع منه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله رسوله ان يقرا عليه قال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الهيثم بن خالد قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا عكرمة عن عاصم عن زر قال في قراءة ابي بن كعب ابن ادم لو اعطي واديا من مال لالتمس ثانيا ولو اعطي واديين من مال لالتمس ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عكرمة قرا علي عاصم لم يكن ثلاثين اية هذا فيها قال ابو بكر هذا باطل عند اهل العلم لان قراءتي ابن كثير وابي عمرو متصلتان بابي بن كعب لا يقرا فيها هذا المذكور في لم يكن مما هو معروف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكيه عن رب العالمين في القران وما رواه اثنان معهما الاجماع اثبت مما يحكيه واحد مخالف مذهب الجماعة **بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا** كذا قراءة العامة وخط المصحف وقرا ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراءة على التفسير قال ابن العربي وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف **قوله تعالى من اهل الكتاب** يعني اليهود والنصارى والمشركين في موضع جر عطفا على اهل الكتاب قال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة والذين حولها وهم مشركو قريش **منفكين** اي منتهين عن كفرهم زائلين عنه **حتى تاتيهم** اي اتتهم **البينة** اي محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء وقيل منفكين زائلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وفك السالم **قال طرفة** فاليت لا ينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند **وقال ذو الرمة** حراجيج ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا فزاد الا وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا او يفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة قال ابن كيسان اي لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** الاية وعلى هذا فقوله والمشركين اي ما كانوا يسبون القول في محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الامين حتى اتتهم البينة على لسانه وبعث اليهم فحينئذ عادوه قال بعض اللغويين منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتصير المعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب وقال قوم في المشركين انهم من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل اهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة فكفروا حين بلغوا فلهذا قال والمشركين وقيل المشركون وصف اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاني العقلاء والظرفاء وانت تريد بذلك قوما بعينهم تصفهم بالامرين فالمعنى من اهل الكتاب المشركين وقيل ان الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله حتى تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد صلى الله عليه وسلم الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد وقد كانوا من قبل معظمين له فمنتهين عن هذا الكفر الى ان يبعث الله محمدا اليهم ويبين لهم الايات فحينئذ يؤمن قوم وقرا الاعمش وابراهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين والقراءة الاولى ابين لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون منفكين وفي مصحف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وقد تقدم حتى تاتيهم البينة قيل حتى اتتهم

والبينة محمد صلى الله عليه وسلم رسول من الله اي بعيث من الله جل ثناؤه قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفرا اي هي
رسول من الله او هو رسول الله لان البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان وفي حرف ابي وابن مسعود رسولا بالنصب على القطع
يتلوا اي يقرا يقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك
والنفاق والضلالة وقال قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد اي يقرا ما تتضمن الصحف
من المكتوب ويدل عليه انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت
الصحف وهو كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر وهي نعت لما في الصحف
من القران وقيل مطهرة اي ينبغي لا يمسها الا المطهرون كما قال في سورة الواقعة حسب ما تقدم بيانه وقيل الصحف
المطهرة هي التي عند الله في ام الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبيا من الكتب كما قال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
قال الحسن يعني في الصحف المطهرة في السما فيها كتب قيمة اي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام يقوم
اذا استوى وصح وقال بعض اهل العلم الصحف هي الكتب فكيف قال في صحف فيها كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى
الاحكام قال الله عز وجل كتب الله لاغلبن بمعنى حكم وقال صلى الله عليه وسلم لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى
بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله وقال الشاعر وما الولا بالبلا فملتم
وما ذاك قال الله اذ هو يكتب وقيل الكتب القيمة هي القران فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى خص اهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين
مع الكافرين لانهم مظنون بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف الا من بعد ما جاتهم
البينة اي اتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران موافقا للذي في ايديهم من الكتاب
بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث جحدوا وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم
من امن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه
نبي مرسل قال العلماء من اول السورة الى قوله قيمة حكمها فيمن امن من اهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق حكمه
فيمن لم يومن من اهل الكتاب بعد قيام الحجج قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى وما امروا اي وما امر هولاء الكفار في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدوه واللام
في ليعبدوا بمعنى ان كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين لكم ويريدون ليطفئوا نور الله وامرنا لنسلم وفي حرف
عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي العبادة ومنه قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا
غيره الثانية قوله تعالى حنفا اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول حنفا على دين ابرهيم
عليه السلام وقيل الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصله انه تحنف الى الاسلام اي مال
اليه الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلاة اي يودوها في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها وذلك
دين القيمة اي ذلك الدين الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال الزجاج اي ذلك دين الملة المستقيمة والقيمة
نعت لموصوف محذوف وقيل دين الامة القيمة بالحق اي القايمة بالحق وفي حرف عبد الله وذلك الدين القيم
قال الخليل القيمة جمع القيم والقايم واحد وقال الفرا اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا
هو من باب اضافة الشي الى نفسه ودخلت الها للمدح والمبالغة وقيل الها راجعة الى الملة والشريعة وقال محمد بن
الاشعث الطالقاني القيمة هاهنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف اليها قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين المشركين معطوف على الذين ويكون مجرورا معطوفا على اهل في نار جهنم خالدين فيها اولئك
هم شر البرية قرا نافع وابن ذكوان بالهمز على الاصل في الموضعين من قولهم برا الله الخلق وهو البارئ الخالق وقال
من بيان ان برا ها الباقون بغير همز وشد اليا عوضا منه قال الفرا ان اخذت البرية من البرا وهو التراب فاصله

عن الهمز

عن الهمز تقول منه براه الله يبروه بروا اي خلقه قال القشيري ومن قال البرية من البرا وهو التراب قال لا تدخل
الملايكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته فتدخل فيه الملايكة ولكنه قول
ضعيف لانه يجب منه تخطية من همز وقوله شر البرية اي شر الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على التعميم
وقال قوم اي هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي
زمانكم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل هذا من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح
وكذا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل
بقراءة الهمز من فضل بني ادم على الملايكة وقد مضى في سورة البقرة القول فيه وقال ابو هريرة رضي الله عنه
المومن اكرم على الله من بعض الملايكة الذين عنده قوله تعالى جزاوهم اي ثوابهم عند ربهم اي خالقهم
ومالكهم جنات عدن اي بساتين عدن اي اقامة والمفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة
اي وسطها تقول عدن بالمكان يعدن عدنا اقام ومعدن الشي مركزه ومستقره قال الاعشى وان يستضافوا
الى حكمه يضافوا الى راجح قد عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يظعنون ولا يموتون
رضي الله عنهم اي رضي اعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه اي رضوا بثواب الله عز وجل ذلك اي الجنة
لمن خشي ربه اي خاف ربه فتناهى عن المعاصي تفسير سورة الزلزلة مدنية في قول ابن عباس وقتادة
ومكية في قول ابن مسعود وعطا وجابر وهي تسع ايات قال العلما وهذه السورة فضلها كثير وتحتوي
على عظيم روى الترمذي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القران
ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القران
قال حديث غريب وفي الباب عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت
اربع مرات كان كمن قرا القران كله وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال لما نزلت اذا زلزلت بكى ابو بكر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون ويغفر الله لكم لخلق امة يخطئون ويذنبون ويغفر لهم انه هو الغفور الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت من اصلها كذا روى عكرمة عن ابن عباس وكان
يقول في النفخة الاولى يزلزلها وقال مجاهد كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل
ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتاكيد ثم اضيف الى الارض كقولك لاعطينك عطيتك
اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة روس الاي بعدها وقراءة العامة بكسر الزاي من الزلزال وقرا الجحدري
وعيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر ايضا كالوسواس والقلقال والجرجار وقيل الكسر المصدر والفتح الاسم
قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا
كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل
للجن والانس الثقلان وقالت الخنسا ابعد ابن عمرو من ال الشريد حلت به الارض اثقالها تقول لما مات
عمرو صار حلية لاهل القبور من شرفه وسودده وذكر بعض اهل العلم قال كانت العرب تقول اذا كان الرجل
سفاكا للدما كان ثقلا على ظهر الارض فلما مات حطت الارض عن ظهرها ثقلها وقيل اثقالها كنوزها
ومنه الحديث تقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله تعالى وقال الانسان
ابن ادم اي الكافر فروى الضحاك عن ابن عباس قال هو الاسود بن عبد الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد
ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مومن وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من اشراط الساعة
في ابتدا امرها فيختص عمومها فلذلك سال بعضهم بعضا عنها وعلى قول من قال ان المراد بالانسان الكفار
خاصة جعلها زلزلة القيمة لان المومن معترف بها فهو لا يسال عنها والكافر جاحد لها فلذلك سال
عنها ومعنى ما لها اي ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شي زلزلت

تفسير سورة الزلزلة
وهي مدنية

ويجوز ان يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثم تحرك الارض فتخرج الموتى وقد راوا الزلزلة وانشقاق
الارض عن الموتى احياء فيقولون من الهول ما لها قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها • يومئذ منصوب بقوله
تحدث اخبارها اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى ومن
قول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلعم هذه الاية
يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد
على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا قال فهذه اخبارها قال هذا حديث حسن
صحيح غريب قال الماوردي قوله يومئذ تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها
باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة القيمة الثاني تحدث
اخبارها بما اخرجت من اثقالها قاله يحيى بن سلام وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة قلت
وفي هذا المعنى حديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلعم انه قال اذا كان العبد اوثبته الى حاجة اليها حتى
اذا بلغ اقصى اثره قبضه الله فتقول الارض يوم القيمة رب هذا ما استودعتني خرجه ابن ماجة في سننه
وقد تقدم الثالث انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها قاله ابن مسعود فتخبر ان امر الدنيا
قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافرين وانذارا للمؤمنين
وفي حديثها باخبارها ثلاثة اقاويل احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني
ان الله تعالى يحدث فيها الكلام الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام الطبري تبين اخبارها بالرجفة
والزلزلة واخراج الموتى • بان ربك اوحى لها • اي انها تحدث اخبارها بوحي من الله اي اليها والعرب
تضع لام الصفة موضع الى قال العجاج يصف الارض اوحى لها القرار فاستقرت • وشدها بالراسيات الثبت •
وهذا قول ابي عبيدة اوحى لها اي اليها وقيل اوحى لها اي امرها قاله مجاهد وقال السدي اوحى لها اي قال
لها وقيل سخرها وقيل المعنى يوم تكون الزلزلة واخراج الارض اثقالها تحدث الارض اخبارها ما كان عليها
من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من خير وشر وروي ذلك عن الثوري وغيره • يومئذ يصدر الناس
اشتاتا • اي فرقا جمع شت قيل عن موقف الحساب فريق ياخذ جهة اليمين الى الجنة وفريق ياخذ عن الشمال
الى النار كما قال تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وقيل يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب
اشتاتا يعني فرقا فرقا • ليروا اعمالهم • يعني ثواب اعمالهم وهذا كما روي عن النبي صلعم انه قال ما من احد يوم القيمة الا
ويلوم نفسه فان كان محسنا يقول لم لا ازددت احسانا وان كان غير ذلك يقول لم لا نزعت عن المعاصي
وهذا عند معاينة الثواب والعقاب وكان ابن عباس يقول اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان
على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدور انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور
فيصار بهم الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم فكانهم وردوا القبور فدفنوا فيها
ثم صدروا عنها فالوارد الجائي والصادر المنصرف اشتاتا اي يبعثون من اقطار الارض وعلى القول
الاول فيه تقديم وتاخير مجازه تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ
يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وقراءة العامة ليروا بضم الياء اي ليريهم الله اعمالهم
وقرا الحسن والزهري وقتادة والاعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها وروي ذلك عن النبي صلعم قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره كان ابن عباس يقول من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة
ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من
المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الاخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل
منه

منه ويضاعف له في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل من
عمل ابن ادم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم الكلام هناك في الذر
وانه لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق بها من التراب فهو الذر
وكذا قال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة وقال محمد بن كعب
القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج
من الدنيا وليس له عند الله خير دليله ما رواه العلماء الاثبات من حديث انس ان هذه الاية نزلت على
النبي صلعم وابو بكر ياكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنرى ما عملنا من خير وشر قال ما رايت مما تكره فهو
مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيمة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب
الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل
ويطعمون الطعام على حبه كان احدهم ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان
الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله النار على الكبائر فنزلت
يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر
وقاله سعيد بن جبير والاثم الصغير في عين صاحبه يوم القيمة اعظم من الجبال وجميع محاسنه اقل في عينه
من كل شيء الثانية قراءة العامة يره بفتح الياء فيهما وقرا الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وابان عن عاصم
يره بضم الياء اي يريه الله اياه والاولى الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية
وسكن الهاء في قوله يره في الموضعين هشام وكذلك رواه الكسائي عن ابي بكر وابي حيوة والمغيرة واختلس
يعقوب والزهري والجحدري وشيبة واشبع الباقون وقيل يره اي يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم فلا
يرى وانشدوا ان من يعتدي ويكسب اثما • وزن مثقال ذرة سيراه • ويجازى بفعله الشر شرا • وبفعل
الجميل ايضا جزاه • هكذا قوله تبارك ربي • في اذا زلزلت وجل ثناه • الثالثة قال ابن مسعود هذه احكم
اية في القران وصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية القائلون بالعموم ومن لم يقل به وروى كعب
الاحبار انه قال لقد انزل على محمد ايتين احصتا ما في التورية والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلعم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة كما في الصحيح
لما سئل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد لان البغل والحمار لا كر فيهما ولا فر فلما ذكر النبي صلعم
ما في الخيل من الاجر الدائم والثواب المستمر سال السائل عن الحمر لانهم لم يكن عندهم بغل ولا دخل الحجاز منها
الا بغلة النبي صلعم الدلدل التي اهداها له المقوقس فافتاه في الحمير بعموم الاية وان في الحمار مثاقيل كثيرة
قاله ابن العربي وفي الموطا ان مسكينا استطعم عايشة ام المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ
حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويعجب فقالت عايشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وروي
عن سعد بن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقبض السائل يده فقال للسائل ويقبل الله منا مثاقيل الذرة وفي
التمرة مثاقيل كثيرة وروى المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع النبي صلعم يقرؤها فقال يا رسول الله امثقال ذرة
قال نعم فقال الاعرابي واسوأتاه مرارا ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلعم لقد دخل قلب الاعرابي الايمان قال
الحسن قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلعم فلما سمع مثقال ذرة الايات قال لا ابالي الا اسمع من القران غيرها
حسبي فقد انتهت الموعظة ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي ان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق اتى
النبي صلعم يستقرئه فقرا عليه هذه الاية فقال صعصعة حسبي حسبي ان عملت مثقال ذرة شرا رايته وروى معمر
عن زيد بن اسلم ان رجلا جاء الى النبي صلعم فقال علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى بلغ
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي فاخبر النبي صلعم فقال دعوه فانه قد فقه

ويحكى ان اعرابيًّا اخرخيرًا ابن فيثل اقدمت الخيل على الشر فقال خذ بطن عرسي اوفقاها فانه كالاجانبي
عرسي لحن طريق **تفسير سورة العاديات وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا
ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى**
والعاديات ضبحًا اي الافراس تعدو كذا قال عامة المفسرين واهل اللغة اي تعدوا في سبيل الله فتضبح قاله
قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال الفرا الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون ابن عباس ليس شي من الدواب
يضبح غير الا الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه
الحال بقوة قال ابن العربي اقسم الله بمحمد فقال يس والقران الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال والعاديات ضبحا الايات الخمس وقال
اهل اللغة • وطعنة ذات رشاش واهية • طعنتها عند صدور العادية يعني الخيل وقال اخر والعاديات
اسابي الدماء بها كان اعناقها انصاب ترجيب يعني الخيل **وقال عنترة** والخيل تعلم حين تضبح في حياض الموت
ضبحًا **وقال اخر** لست بالتبع اليماني ان لم تضبح الخيل في سواد العراق • وقال اهل اللغة واصل الضبح والضباح
للثعالب فاستعير للخيل وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه **وقال الشاعر**
فلما ان تلهوجا سوا به الهيان مهتوءًا ضبيحًا • وانضبح لونه اذا تغير الى السواد قليلا **وقال**
علقتها قبيل انضباح لوني • وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من فزع او تعب او طمع
ونصب ضبحا على المصدر اي والعاديات تضبح ضبحا والضبح ايضا الرماد وقال البصريون ضبحا نصب
على الحال وقيل مصدر في موضع الحال قال ابو عبيدة ضبحت الخيل ضبحا مثل ضبعت وهو السير وقال ابو
عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو والسير وكذا قال المبرد الضبح مد اضباعها في السير وروي ان رسول الله ﷺ
بعث سرية الى اناس من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان
احد النقباء فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي ﷺ بسلامتها وبشارة له باغارتها
على القوم الذين بعثت اليهم وممن قال ان المراد بالعاديات الخيل ابن عباس وانس والحسن ومجاهد والمراد الخيل
التي يغزو عليها المؤمنون وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق وقول
ثان انها الابل قال مسلم نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل وقلت قال علي هي الابل في
الحج ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي تمارى علي وابن عباس في العاديات فقال علي هي الابل تعدو في الحج
وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال علي ليس
كما قلت لقد راينا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد ثم قال له علي اتفتي الناس
بما لا تعلم والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام وما معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف
تكون العاديات ضبحا انما العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى عرفة قال ابن عباس فرجعت
الى قول علي وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي ومنه **قول صفية بنت عبد المطلب**
فلا والعاديات غداة جمع • بايديها اذا سطع الغبار • يعني الابل وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو
وهو تباعد الارجل في سرعة المشي **قال قومٌ** راى صاحبي في العاديات نجيبة • وامثالها في الواضعات
القوامس • ومن قال هي الابل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا فالحاء عنده مبدلة من العين لانه يقال ضبعت
الابل وهو ان تمد اعناقها في السير وقال المبرد الضبح مد اضباعها في السير والضبح اكثر ما يستعمل في الخيل
والضبع في الابل وقد تبدل الحاء من العين ابو صالح الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل التنفس وقال عطا
ليس شي من الدواب يضبح الا الفرس والثعلب والكلب وروي عن ابن عباس وقد تقدم عن اهل اللغة
ان العرب تقول ضبح الثعلب وضبح في غير ذلك ايضا **قال الحيري** ولو ان ليلى الاخيلية سلمت • علي

ودوني

ودوني تربة وصفائح • لسلمت تسليم البشاشة او زقا • اليها صدى من جانب القبر صائح • **فالموريات
قدحا** • قال عكرمة وعطا والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها وروي عن ابن
عباس وعنه ايضا اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سائر ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في
الابل وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد والعاديات ضبحا فالموريات قدحا قال قال ابن عباس هو في القتال
وهو في الحج ابن مسعود هي الابل تطأ الحصى فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت
العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته وركي قدوح يغرف
باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحة ما تقدح به النار والقداحة الحجر الذي
يورى النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة اخرى وري الزند بالكسر
يري فيهما وقد مضى في سورة الواقعة وقدحا انتصب بما انتصب به ضبحا وقيل هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها
ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس ومنه قوله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله وروي معناه عن ابن عباس ايضا وقاله قتادة وعن ابن عباس ايضا ان المراد با
لموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وقاله مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد ان يمكر بصاحبه
والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم
وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا وكل من قرب من العدو يوقد نيرانا
كثيرة ليظنهم العدو كثيرا فهذا اقسام بذلك قال محمد بن كعب هي النار بجمع وقيل هي افكار الرجال توري
نار المكر والخديعة وقال عكرمة هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر بها من الحجج واقامة
الدلائل وايضاح الحق وابطال الباطل وروى ابن جريج عن بعضهم اي فالمنجحات امرا كالناجح الزند اذا اورى
قلت هذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يوري زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها
تقدح النار بحوافرها قال مقاتل العرب تسمي تلك النار نار ابي حباحب وكان ابو حباحب شيخا من مضر في
الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد
اخرى فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا
ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها **قال الشاعر** ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب • تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب **قوله تعالى**
فالمغيرات صبحا • الخيل تغير على العدو عند الصبح عن ابن عباس واكثر المفسرين وكانوا اذا ارادوا الغارة سروا
ليلا وياتون العدو صبحا لان ذلك وقت غفلة الناس ومنه قوله تعالى فساء صباح المنذرين وقيل لعزهم
اغاروا نهارا وصبحا على هذا اي علانية تشبيها بظهور الصبح وقال ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما هي
الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح وقاله القرظي والاغارة سرعة
السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير **قوله تعالى** فاثرن به نقعا اي غبارا يعني الخيل تثير الغبار بشدة
العدو في المكان الذي اغارت به **قال عبد الله بن رواحة** عدمت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من كنفي كداء •
والكناية في به ترجع الى المكان او الى الموضع الذي تقع فيه الاغارة واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر
بالتصريح كما قال حتى توارت بالحجاب وقيل فاثرن به نقعا وقد تقدم ذكر العدو وقيل النقع ما بين مزدلفة الى منى
قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار
والجمع نقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البئر والنقع الارض
الحرة الطين يستنقع فيها الماء والجمع نقاع وانقع مثل بحار وابحر **قلت** وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث
عمر حين قيل له ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نساء بني المغيرة ان يسفكن من دموعهن

ومن جلوس على ابي سليمان مالم يكن نقع ولا لقلقة قال ابو عبيد يعني بالنقع رفع الصوت على هذا رايت قول الاكثر من اهل العلم ومنه قول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق يجلبوها ذات جرس وزجل ويروى يحلبوها ايضا يقول متى سمعوا صراخا احلبوا الحرب اي جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في الماتم يقول منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيد ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في الماتم وقال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الراس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذلك وهو يكره لهن القيام فقال يبكين من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد اي ادت اثارة ثار ذلك ومن خفف فهو من اثار اذا حرك ومنه واثاروا الارض

قوله تعالى فوسطن به جمعا مفعول بوسطن اي فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع الذين اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي صرت وسطهم وقرا علي رضي الله عنه فوسطن بالتشديد وهي قراءة قتادة وابن سيرين وابي رجا لغتان بمعنى يقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى واحد وقيل معنى التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف صرن في وسط الجمع وهما يرجعان الى معنى

قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا جواب القسم اي طبع الانسان على كفران النعمة قال ابن عباس لكنود لكفور جحود لنعم الله وكذلك قال الحسن يذكر المصايب وينسى النعم اخذه الشاعر فنظمه

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
الى متى انت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروى ابو امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد روي عن ابن عباس ايضا انه قال الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيئ الملكة وقال مقاتل وقال الشاعر

كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنود النعماء الرجال يبعد

اي كفور ثم قيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة كندة لانها جحدت اباها وقال ابراهيم بن هرمة الشاعر

دع البخلاء ان سمحوا وصدوا وذكري بخل غانية كنود

وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى

اميطي تميطي بصلب الفواد وصول حبال وكنادها

فهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزاير المعتاد

اي كفور للمواصلة وقال ابن عباس الانسان هنا الكافر ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة المبرد الكنود المانع لما عليه وانشد لكثير

احدث لها تحدث لوصلك انها كنود لوصل الزاير المعتاد

وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال ابو بكر الوراق الكنود الذي يرى النعمة من نفسه واعوانه وقال الترمذي الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود الحسود وقيل هو الجهول لقدره وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره قلت هذه الاقوال كلها ترجع الى معنى الكفران والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة واحوال غير محمودة فان صح فهو اعلا ما يقال ولا يبقى لاحد معه مقال وقال عدي

وانه على ذلك لشهيد اي وان الله جل ثناوه على ذلك من ابن ادم لشهيد وكذا روى منصور عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وهو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه اي وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع وروي عن مجاهد ايضا قوله تعالى وانه اي الانسان من غير خلاف لحب الخير اي المال ومنه

قوله تعالى

قوله تعالى ان ترك خيرا قال طرفة

ماذا احب النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها

لشديد اي لقوي في حبه للمال وقيل الشديد اي بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال الشاعر

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى ويامركم بالفحشاء اي البخل قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا او حراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك وسمى الجهاد سوا فقال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما يسميه الناس قال الفرا نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال شديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا الايام فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من اخره ذكر الريح كانه قال في يوم عاصف الريح

قوله تعالى افلا يعلم ابن ادم اذا بعثر ما في القبور اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه وعن محمد بن كعب قال ذلك حين يبعثون قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر بالحاء مكان العين وحكاها الماوردي عن ابن مسعود وهما بمعنى وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر كذا قال المفسرون وقال ابن عباس ابرزه وقرا عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها اي ظهر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم وقوله اذا بعثر العامل في اذا بعثر ولا يعمل فيه خبير وان فصلت اللام بينهما لان موضع اللام الابتداء وانما دخلت في الخبر لدخول ان على المبتدا ويروى ان الحجاج قرا هذه السورة على المنبر يحضهم على الغزو فجرى على لسانه ان ربهم بفتح الالف ثم استدركها فقال خبير بغير لام ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها وقرا ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير

تفسير سورة القارعة وهي مكية باجماع وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة ما القارعة اي القيامة والساعة كذا قال عامة المفسرين وذلك انها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فظيع وقال ابن احمر

وقارعة من الايام لولا سبيلهم لزاحت عنك حينا

وقال اخر

متى نقرع بمروتكم نسؤكم ولا توقد لنا في القدر نار

وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدايد الدهر قوله تعالى ما القارعة استفهام اي اي شيء القارعة وكذا وما ادراك ما القارعة كله استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كما قال الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة على ما تقدم

قوله تعالى يوم يكون الناس يوم منصوب على الظرف تقديره تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقاله ابو عبيدة وقال الفرا انه الهمج الطاير من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة قال

طويش من نفر اطياش اطيش من طايرة الفراش

وقال اخر

وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي الباب عن ابي هريرة والمبثوث المتفرق وقال في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لان لها وجها تقصد والمبثوث المتفرق المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة كقوله اعجاز نخل خاوية وقال ابن عباس والفرا كالفراش المبثوث كغوغا الجراد يركب بعضها بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا

قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الذي ينفش باليد اي يصير هباء ويزول كما قال جل ثناوه في موضع اخر هباء منبثا واهل اللغة يقولون

العهن المصبوغ وقد مضى في سورة سال سائل قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
قد تقدم القول في الميزان في الاعراف والكهف والانبيا وان له كفة ولسانا يوزن فيه الصحف المكتوب
فيها الحسنات والسيئات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل يزن اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين
كما قال فلكل حادثة فيها موازين وقد ذكرناه فيما تقدم وذكرناه ايضا في كتاب التذكرة وقيل ان الموازين
الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر قد كنت قبل لقايكم ذا مرة عندي لكل مخاصم
ميزانه ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو
اللين والانقياد لاهلها فالفعل للعيشة لانها اعطت الرضى من نفسها وهو اللين والانقياد فالعيشة كلمة
تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنى منها ولي
الله اتضعت حتى يستوي ثم ترتفع كهيئتها ومثل الشجرة فروعها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا اشتهى
ولي الله ثمرتها تدلت اليه حتى يتناولها قاعدا وقايما وذلك قوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما
مشى او ينتقل من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شاء علوا او سفلا وذلك قوله تعالى يفجرونها
تفجيرا فيروى في الخبر انه يشير بقضيبه فيجري من غير اخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه
وهذه الاشياء كلها عيشة قد اعطت الرضى من نفسها فهي فاعلة للرضى وهي انذالت وانقادت بذلا
وسماحة ومعنى فامه هاوية يعني جهنم وسماها اما لانه ياوي اليها كما ياوي الى امه قاله ابن زيد
ومنه قول امية بن ابي الصلت فالارض معقلنا وكانت امنا فيها مقابرنا وفيها نولد وسميت النار
هاوية لانه يهوي فيها مع بعد قعرها ويروى ان الهاوية اسم للباب الاسفل من النار وقال قتادة معنى
فامه هاوية مصيره الى النار عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه الاخفش امه مستقره والمعنى متقارب
كما قال يا عمرو لو نالتك ارماحنا كنت كمن تهوي به الهاويه والهاوية المهواة وتقول هوت امه فهي هاويه
اي ثاكلة قال كعب بن سعد الغنوي هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب
والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وما
ادراك ماهيه الاصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ماهي نار
بغير هاء في الوصل ووقفوا بها وقد مضى في سورة الحاقة بيانه نار حامية اي شديدة الحرارة وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة ان النبي قال ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم
قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروي عن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال انما ثقل ميزان من ثقل ميزانه لانه وضع فيه الحق وحق لميزان يكون
فيه الحق ان يكون ثقيلا وانما خف ميزان من خف ميزانه لانه وضع فيه الباطل وحق لميزان يكون فيه
الباطل ان يكون خفيفا وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي ان الموتى يسالون الرجل مات قبله فيقول
ذلك مات قبلي اما مر بكم فيقولون لا والله انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاويه فبيست الام
المربية وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة

تفسير سورة التكاثر وهي مكية

تفسير سورة التكاثر وهي مكية في قول جميع المفسرين وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم
المقابر فيه خمس مسايل الاولى قوله الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال فالهيتكم عن ذي تمايم مغيل اي شغلكم
المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر وقيل الهاكم انساكم التكاثر اي من
الاموال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبايل والعشاير وقال الضحاك
الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره
واضربت عنه والهاه اي شغله ولهاه به تلهية اي علله والتكاثر المكاثرة قال مقاتل وقتادة وغيرهما

نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا
ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من
قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي نحن اكثر
سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عايذا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم
سهم فنزلت الهاكم التكاثر باحيايكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وروى
سعيد عن قتادة قال كانوا يقولون نحن اكثر من بني فلان وهم كل قوم يتساقطون الى اخرهم والله
ما زالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كلهم وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار
وعن شيبان عن قتادة قال نزلت في اهل الكتاب قلت الاية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي صحيح مسلم عن
مطرف عن ابيه قال اتيت النبي وهو يقرا الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك يا ابن ادم من
مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس
وروى البخاري عن ابن شهاب اخبرني انس بن مالك ان رسول الله قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب احب ان
يكون له واديان ولن يملا فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس كنا نرى هذا من
القران حتى نزلت الهاكم التكاثر قال ابن العربي وهذا نص صحيح مليح غاب عن اهل التفسير فجهلوا وجهلوا
والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرا النبي الهاكم التكاثر قال تكاثر الاموال جمعها من غير حقها وشدها
في الاوعية الثانية قوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها
كرجوع الزاير الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات
على ما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا القبور فترون ما ينزل بكم من عذاب
الله جل وعز الثالثة قوله المقابر جمع مقبرة ومقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر قال ارى اهل القصور
اذا اميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور ابوا الا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور وقد جاء في الشعر
المقبر قال لكل اناس مقبر بفنايهم وهم ينقصون والقبور تزيد وهو القبر والمقبرى والمقبري لسعيد المقبري
وكان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره قبرا اي دفنته واقبرته اي امرت بان يقبر وقد مضى
في سورة عبس القول فيه والحمد لله الرابعة لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وزيارتها من
اعظم الدوا للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة
فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة
رواه ابن مسعود اخرجه ابن ماجه وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة فانها تذكر الموت وفي الترمذي
عن بريدة فانها تذكر الاخرة قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله لعن زوارات
القبور قال وفي الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال ابو عيسى وهذا حديث حسن صحيح وقد راى بعض اهل
العلم ان هذا كان قبل ان يرخص النبي في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنسا وقال بعضهم
انما كره زيارة القبور للنسا لقلة صبرهن وكثرة جزعهن قلت لزيارة القبور للرجال متفق عليه عند
العلما مختلف فيه للنسا اما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فمباح لهن ذلك وجايز لجميعهن ذلك
اذا انفردت بالخروج عن الرجال ولا يختلف فيه ان شاء الله وعلى هذا المعنى يكون قوله زوروا القبور عاما
واما موضع او وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز فبينا الرجل يخرج ليعتبر
فيقع بصره على امراة فيفتتن وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مازورا غير ماجور والله اعلم
قال العلماء ينبغي لمن اراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر الى طاعة ربه ان يكثر من ذكر هادم اللذات
ومفرق الجماعات ومؤتم البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور اموات المسلمين فهذه

ثلاثة امور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه ان يستعين بها على دائه ويستصرخ بها على فتن الشيطان
واعوانه فان انتفع بالاكثار من ذكر الموت وانجلت فيه قساوة قلبه فذاك وان عظم عليه ران القلب واستحكمت
فيه دواعي الذنب فان مشاهدة المحتضرين من اموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الاول لان ذكر الموت
اخبار للقلب بما اليه المصير وقايم له مقام التخويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات
من المسلمين معاينة ومشاهدة فلذلك كان ابلغ من الاول قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة رواه ابن
عباس واما الاعتبار بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الاوقات وقد لا يتفق لمن اراد علاج قلبه في ساعة
من الساعات واما زيارة القبور فوجودها اسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغي لمن عزم على الزيارة ان
يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف على الاجداث فقط فان هذه حالة
تشاركه فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه او نفع الميت
بما يتلوا عنده من القران والدعاء ويتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل
الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في زيارته كمخاطبته حيا ولو
خاطبه حيا لكان الادب استقباله بوجهه فكذلك هاهنا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن
الاهل والاحباب بعد ان قاد الجيوش والعساكر ونافس الاصحاب والعشاير وجمع الاموال والذخاير
فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه فليتامل الزاير حال من مضى من اخوانه ودرج من اقرانه
الذين بلغوا الامال وجمعوا الاموال كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم
وافترقت في القبور اجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتيم اولادهم واقتسم طريفهم وتلادهم
وليتذكر ترددهم في المارب وحرصهم على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الاسباب وركونهم الى الصحة
والشباب وليعلم ان ميله الى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك
السريع كغفلتهم وانه لابد صاير الى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا الى اغراضه وقد تهدمت
رجلاه وكان يتلذذ بالنظر الى ما خوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد اكل الدود
لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد ابلى التراب اسنانه وليتحقق ان حاله كحاله ومآله كمآله وعند
هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويقبل على الاعمال الاخروية فيزهد في طاعة هواه
ويلين قلبه وتخشع جوارحه **قوله تعالى** كلا قال الفراء ليس الامر على ما انتم عليه من التفاخر والتكاثر
والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا ثم كلا سوف تعلمون وعيد بعد وعيد
قاله مجاهد ويحتمل ان يكون تكراره على وجه التاكيد والتغليظ وهو قول الفراء وقال ابن عباس كلا سوف
تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالاول في القبر
والثاني في الاخرة والتكرار للحالتين وقيل كلا سوف تعلمون عند المعاينة ان ما دعوتكم اليه حق ثم كلا سوف
تعلمون عند البعث ان ما دعوتكم به صدق وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب
القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله كلا سوف تعلمون يعني في القبور وقيل كلا سوف تعلمون
اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسلي تنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون اذا دخلتم قبوركم وجاءكم منكر ونكير
وحاط بكم هول السوال وانقطع منكم الجواب **قلت** فتضمنت السورة القول في عذاب القبر وذكرنا في كتاب
التذكرة ان الايمان به واجب والتصديق به لازم حسب ما اخبر به الصادق وان الله تعالى يحيي العبد المكلف
في قبره برد الحياة اليه ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسال عنه وما يجيب به
ويفهم ما اتاه من ربه وما اعد له في قبره من كرامة وهوان وهذا هو مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة
من اهل الملة وقد ذكرناه هناك مستوفى والحمد لله وقيل كلا سوف تعلمون عند النشور انكم مبعوثون ثم كلا

سوف تعلمون

سوف تعلمون في القيمة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيمة من بعث وحشر وسوال وعرض الى غير ذلك
من اهوالها وافزاعها حسب ما ذكرناه في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة وقال الضحاك كلا سوف
تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون قال المؤمنون وكذلك كان يقروها الاولى بالتاء والثانية بالياء بالتاء صح
قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين اعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشي اخر كانه قال لا تفعلوا
فانكم تندمون لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب واضافة العلم الى اليقين كقوله تعالى ان هذا لهو حق
اليقين وقيل اليقين هاهنا الموت قال قتادة وعنه ايضا البعث لانه اذا جاء زال الشك اي لو تعلمون علم
البعث وجواب لو محذوف اي لو تعلمون من البعث ما تعلمونه اذا جاءتكم نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم
كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا وقيل كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو قد تطايرت الصحف
فشقي وسعيد وقيل ان كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم وقال الفراء هي بمعنى حقا وقد
تقدم الكلام فيها مستوفى **قوله تعالى** لترون الجحيم هذا وعيد اخر وهو على اضمار القسم اي لترون الجحيم في الاخرة
للكفار الذين وجبت لهم النار وقيل هو عام وان منكم الا واردها فهي للكفار دار وللمؤمن ممر وفي الصحيح فيمر اولهم
كالبرق ثم كالريح ثم كالطير الحديث وقد مضى في سورة مريم وقرا الكسائي وابن عامر لترون بضم التاء من اريته
الشي اي تحشرون اليها فترونها وعلى فتح التاء هي قراءة الجماعة اي لترون الجحيم بابصاركم على البعد منكم ثم لترونها
عين اليقين اي مشاهدة وقيل هي اخبار عن دوام مقامهم في النار اي هي روية دايمة متصلة والخطاب على
هذا للكفار وقيل معنى لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين مما امامكم مما وصفت به
لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فوادك وهو ان تتصور لك تارات القيامة وقطع
مسافاتها ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ثم لتسالن يومئذ
عن النعيم في موقف الحساب والعرض **قوله تعالى** ثم لتسالن يومئذ عن النعيم روى مسلم في صحيحه عن ابي
هريرة قال خرج رسول الله ص ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من
الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله ص اين فلان قالت ذهب
يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله ص وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اكرم اضيافا
مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه واخذ المدية فقال له رسول الله ص اياك
والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال رسول الله ص
لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن نعيم هذا اليوم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم
ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم خرجه الترمذي وقال هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسالون عنه
يوم القيمة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وكنى الرجل من الانصار فقال ابو الهيثم بن التيهان وذكر
ابا الهيثم في هذه القصة **قلت** اسم هذا الرجل الانصاري مالك بن التيهان ويكنى ابا الهيثم وفي هذه
القصة **يقول عبد الله بن رواحة** يمدح ابا الهيثم بن التيهان ۞ فلم ار كالاسلام عزا لامة ۞ ولا مثل اضياف
الاراشي معشرا ۞ نبي وصديق وفاروق امة ۞ وخير بني حواء فرعا وعنصرا ۞ فوافوا لميقات وقدر
قضية ۞ وكان قضاء الله قدرا مقدرا ۞ الى رجل نجد يباري بجوده ۞ شموس الضحى جودا ومجدا
ومفخرا ۞ وفارس خلق الله في كل غارة ۞ اذا لبس القوم الحديد المسمرا ۞ ففدى وحيا ثم ادنى قراهم ۞ فلم
يقرهم الا سمينا مسمرا ۞ وذكر ابو نعيم الحافظ عن ابي عسيب مولى رسول الله ص قال خرج علينا رسول الله ص
ليلا فدعاني فخرجت اليه ثم مر بابي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى
دخل حايطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحايط اطعمنا بسرا فجاء بعذق فاكلوا ثم دعا بماء فشرب فقال

لتسئلن عن هذا يوم القيمة قال واخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلعم قال يا رسول الله
انا المسئولون عن هذا يوم القيمة قال نعم الا ثلاث كسرة يسد بها جوعته او ثوب يستر به عورته او جحر يأوي فيه
من الحر والقر واختلف اهل التاويل في النعيم المسئول عنه على عشرة اقوال احدها الامن والصحة قاله ابن مسعود
الثاني الصحة والفراغ قاله سعيد بن جبير وفي البخاري عنه عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ الثالث الادراك بحواس السمع والبصر قاله ابن عباس وفي التنزيل ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا وفي الصحيح عن ابي هريرة وابي سعيد قالا قال رسول الله صلعم يؤتى بالعبد يوم
القيمة فيقول له الم اجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا الحديث خرجه الترمذي وقال فيه حديث حسن
صحيح الرابع ملاذ الماكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الانصاري وحديث ابي هريرة يدل عليه
الخامس انه الغدا والعشا قاله الحسن السادس قول مكحول الشامي انه شبع البطون وبارد الشراب وظلال
المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ورواه زيد بن اسلم عن ابيه قال قال رسول الله صلعم لتسئلن يومئذ عن
النعيم يعني عن شبع البطون ذكره الماوردي وقال وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر الا ان سؤال
المؤمن تبشير بان يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الاخرة وسؤال الكافر تقريع ان قابل نعيم الدنيا بالكفر
والمعصية وقال قوم هذا السؤال عن كل نعمة انما يكون في حق الكفار فقد روي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول
الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب اتخاف
علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسئل عنه فقال عليه السلام ذلك للكفار ثم قرا وهل نجازي الا الكفور ذكره
القشيري ابو نصر وقال الحسن لا يسئل عن النعيم الا اهل النار قال القشيري والجمع بين الاخبار ان الكل يسئلون
فسؤال الكفار سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر وهذا النعيم قلت
هذا قول الحسن لان اللفظ يعم ذكر الفرهاني قال حدثنا ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم قال كل شيء من لذة الدنيا وروى ابو الاحوص عن عبد الله عن النبي صلعم قال ان الله تعالى ليعدد
نعمه على العبد يوم القيمة حتى يعد عليه سألتني فلانة ان ازوجها فيسميها باسمها فزوجتكها وفي الترمذي
عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول الله عن اي النعيم نسئل
فانما هما الاسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال رسول الله صلعم
ان اول ما يسئل عنه يوم القيمة يعني العبد ان يقال له الم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد وقال
حديث غريب وروي من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلعم يقول اذا كان يوم القيمة دعا الله بعبد
من عباده فيوقفه بين يديه فيساله عن جاهه كما يساله عن ماله والجاه من نعيم الدنيا لا محالة وقال مالك
رحمه الله تعالى انه صحة البدن وطيب النفس وهو القول السابع وقيل النوم مع الامن والعافية وقال
سفيان بن عيينة ان ما سد الجوعة وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسئل عنه المرء يوم القيمة
وانما يسئل عن النعيم قال والدليل عليه ان الله اسكن ادم الجنة فقال له ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى فكانت هذه الاشياء الاربعة ما يسد به الجوع وما يدفع به العطش وما يكن
من الحر ويستر به عورته لادم عليه السلام بالاطلاق لا حساب عليه فيها لانه لا بد له منها قلت ونحو
هذا ذكر القشيري ابو نصر قال ان مما لا يسئل به العبد لباسا يواري سوأته وطعاما يقيم صلبه ومكانا
يكنه من الحر والبرد انتهى قلت وهذا منتزع من قوله عليه السلام ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال
بيت يكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي وقال النضر بن شميل جلف الخبز ليس معه
ادام وقال محمد بن كعب النعيم هو ما انعم الله علينا بمحمد صلعم وفي التنزيل لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم وقال الحسن ايضا والمفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القران قال الله تعالى وما جعل عليكم في الدين

من حرج

تفسير سورة العصر مكية

من حرج وقال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر قلت وكل هذه نعم فيسئل العبد عنها هل شكر ذلك
ام كفر والاقوال المتقدمة اظهر والله اعلم تفسير سورة العصر مكية وقال قتادة مدنية وروي عن ابن عباس
انها ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعصر فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى والعصر اي الدهر
قاله ابن عباس وغيره فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر
وشهر الهوى دهر اي عصر اقسم الله به عز وجل لما فيه من التنبيه بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة
على الصانع وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا
ما تيمما والعصران ايضا الغداة والعشي قال وامطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم
يقول اذا جاءني اول النهار وعدته اخره وقيل انه العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها قاله الحسن وقتادة ومنه
قول الشاعر يروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر وعن قتادة ايضا هو اخر ساعة
من ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر وهي الوسطى لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذن للعصر
اي لصلاة العصر وصلينا العصر اي صلاة العصر وفي الخبر الصحيح الصلاة الوسطى صلاة العصر وقد مضى في سورة
البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبي صلعم لفضله بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر الثانية قال مالك من
حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف ان لا يكلم امرا عصرا على السنة
لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله في تغليظ المعنى في الايمان وقال الشافعي يبر بساعة الا ان تكون له
نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل ويجي
على مذهب مالك ان يحمل على ما يفسر والله اعلم قوله تعالى ان الانسان هذا جواب القسم والمراد به الكافر قاله
ابن عباس في رواية ابي صالح وروى الضحاك عنه قال يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث وقيل يعني بالانسان جنس
الناس لفي خسر لفي غبن وقال الاخفش هلكة الفرا عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا
ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعنى متقارب وروي عن سلام والعصر بكسر الصاد وقرا الاعرج وطلحة
وعيسى الثقفي خسر بضم السين وروى ذلك هارون عن ابي بكر عن عاصم والوجه فيهما الاتباع ويقال
خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان علي يقراها والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر
الدهر وقال ابرهيم ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم
اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم نظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة والمصاحف
وقد مضى الرد في مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان وان هذا ليس بقران يتلى فتامله هناك
قوله تعالى الا الذين امنوا استثنا من الانسان اذ هو بمعنى الناس على الصحيح قوله تعالى وعملوا الصالحات اي
ادوا الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلعم قال ابي بن كعب قرات على رسول الله صلعم والعصر ثم قلت
ما تفسيرها يا رسول الله قال والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا
ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس
على المنبر موقوفا عليه ومعنى تواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد
كذا روى الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة بالحق اي القران وقال السدي الحق هنا هو الله عز وجل وتواصوا
بالصبر على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه وقد تقدم تفسير سورة الهمزة مكية باجماع وهي

تفسير سورة الهمزة مكية

تسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة قد تقدم القول في الويل في غير موضع
ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون

للاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبي صلعم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وعن ابن عباس ان الهمزة القتات واللمزة العياب وقال ابو العالية والحسن ومجاهد
وعطا بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه اذا غاب ومنه قول
حسان همزتك فاختضعت بذل نفس بقافية تاجج كالشواظ واختار هذا القول النحاس قال ومنه قوله تعالى
ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب في
الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم ويلمز بعينيه وراسه وحاجبيه
وقال مرة هما سوا وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب قال زياد بن الاعجم تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا وان اغيب
فانت الهامز اللمزه وقال اخر اذا لقيتك عن سخط تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزه الشحط البعد والهمزة
اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى كما يقال سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك بالناس وقرا ابو جعفر ومحمد بن
علي همزة لمزة بسكون الميم فيهما فان صح ذلك عنهما فهي بمعنى المفعول وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه
ويضحكوا منه ويحملهم على الاغتياب وقرا عبد الله بن مسعود وابو وايل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة
واصل الهمز الكسر والعض على الشي بعنف ومنه همز الحرف ويقال همزت راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته وقيل
لاعرابي اتهمزون الفارة فقال انما تهمزها الهرة قال العجاج لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك همزه اي دفعه
وضربه قال الراجز ومن همزنا عزه تبركعا على استه زوبعة او زوبعا البركعة القيام على اربع وبركعه
فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح والاية نزلت في الاخنس بن شريق فيما روى الضحاك عن ابن
عباس وكان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقال ابن جريج في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلعم
من ورائه ويقدح في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر الثقفي وقيل انها مرسلة على
العموم من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته وقال
الفرا يجوز ان يذكر الشي العام ويقصد به الخاص قصد الواحد اذا قال لا ازورك ابدا فتقول من لم يزرني فلست
بزايره يعني ذلك القايل قوله تعالى الذي جمع مالا وعدده اي اعده لنوايب الدهر مثل كرم واكرم وقيل
احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل اي فاخر بعدده وكثرته
والمقصود الذم على امساك المال على سبيل الطاعة كما قال تعالى مناع للخير وقال جمع فاوعى وقراءة الجماعة جمع
مخفف الميم وشددها ابن عامر وحمزة والكسائي على التكثير واختاره ابو عبيد لقوله وعدده
وقرا الحسن ونصر بن عاصم وابو العالية جمع مخففا وعدده مخففا ايضا فاظهروا التضعيف لان اصله
عده وهو بعيد لانه وقع في المصحف بدالين وقد جاء مثله في الشعر لما ابرزوا التضعيف خففوه قال
مهلا امامة قد جربت من خلقي اني اجود لاقوام وان ضننوا اراد ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف لكن
الشعر موضع ضرورة قال المهدوي من خفف وعدده فهو معطوف على المال اي جمع عدده فلا يكون
فعلا على اظهار التضعيف لان ذلك لا يستعمل الا في الشعر قوله تعالى يحسب اي يظن ان ماله اخلده
اي يبقيه حيا لا يموت قاله السدي وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى
المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل كلا رد لما توهمه الكافر اي لا يخلد ولا يبقى له
مال وقد مضى القول في كلا مستوفى وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة اذا سمعت الله عز وجل يقول كلا
فانه يقول كذبت لينبذن اي ليطرحن وليلقين وقرا الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد
وحميد وابن محيصن لينبذان بالتثنية اي هو وماله وعن الحسن ايضا لينبذن على معنى لينبذن
ماله وعنه ايضا بالنون لننبذنه على التعظيم المراد الهمزة واللمزة والمال وجامعه في الحطمة وهي نار الله
سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه قال الراجز انا حطمنا بالقضيب مصعبا

حين كسرنا انفه ليغضبا وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي وحكى
القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع ابن زيد اسم
من اسماء جهنم وما ادراك ما الحطمة على التعظيم لشانها والتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال
نار الله الموقدة اي التي اوقد عليها الف عام والف عام والف عام فهي غير خامدة اعدها الله للعصاة
التي تطلع على الافيدة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع ما في اجسادهم حتى اذا بلغت الى الفواد و
خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا روى خالد بن ابي عمران عن النبي صلعم ان النار تاكل
اهلها حتى اذا اطلعت على افيدتهم انتهت ثم اذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة
التي تطلع على الافيدة وخص الافيدة لان الالم اذا صار الى الفواد مات صاحبه اي انهم في
حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فهم اذا احيا في معنى الاموات
وقيل معنى تطلع على الافيدة اي تعلم ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب وذلك بما استبقاه
الله تعالى من الامارة الدالة عليه يقال اطلع فلان على كذا اي علمه وقد قال تعالى تدعوا من ادبر
وتولى وقال تعالى اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فوصفها بهذا فلا يبعد ان
يوصف بالعلم قوله تعالى انها عليهم موصدة اي مطبقة قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في
سورة البلد القول فيه وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد
ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات قال الشاعر ان في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصدا عليه
الحجاب في عمد ممددة الفاء بمعنى البا اي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قراته
بعمد ممددة وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلعم ثم ان الله تعالى يبعث اليهم ملايكته باطباق من نار ومسامير
من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها
خلل تدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل اهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون
بعدها وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفير وشهيق فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد ممددة
وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم وقيل
قيود في ارجلهم قاله ابو صالح وقال القشيري والمعظم على ان العمد اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار
تشد تلك الاطباق بالاوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح وقيل ابواب النار مطبقة
عليهم وهم في عمد اي في سلاسل واغلال مطولة وهي احكم وارسخ من القضبية وقيل هم في عمد ممددة اي
في عذابها والمها يضربون بها وقيل المعنى في دهر ممدود اي لا انقطاع له وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
في عمد بضم العين والميم جمع عمود وكذلك عمد ايضا قال الفرا والعمد والعمد جمعان صحيحان لعمود مثل اديم وادم
وافيق وافق وعمد بفتحتين وكذلك ابو حاتم اعتبارا بقوله تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها واجمعوا على فتحها
قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرى بهما قوله تعالى في عمد ممددة
وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب وحديد وهو اصل للبنا مثل العماد عمدت الشي فانعمد اي اقمته
بعماد يعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله

تفسير سورة الفيل وهي مكية

تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى الم تر اي الم تخبر وقيل الم تعلم وقال
ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اي الم
تروا ما فعلت باصحاب الفيل اي قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تومنون وكيف في موضع
نصب بفعل ربك لا بالم تر كيف في معنى الاستفهام الثانية قوله تعالى باصحاب الفيل الفيل معروف والجمع
افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعلا فكسر

من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل فيل الراي اي ضعيفه
الراي والجمع افيال ورجل فال اي ضعيف الراي مخطي الفراسة وقد فال الراي يفيل فيولة وقيل فيولة اي ضعفه
فهو فيل الراي **الثالثة** في قصة اصحاب الفيل وذلك ان ابرهة بنى القليس بصنعا وهي كنيسة لم ير مثلها
في زمانها بشيء من الارض وكان نصرانيا ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن
مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتهٍ حتى اصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي
غضب رجل من النساة فخرج حتى اتى الكنيسة فقعد فيها اي احدث ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك ابرهة
فقال من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من اهل هذا البيت الذي يحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك اصرف اليها
حج العرب فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وبعث رجلا كان عنده الى بني
كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ابرهة ذلك غضبا وحنقا ثم
امر الحبشة فتهيات وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وقطعوا به وراوا
جهاده حقا عليهم حين سمعوا انه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اهل اليمن
وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب ابرهة وجهاده عن بيت الله
تعالى وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه
واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون
بقائي معك خيرا لك فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة
على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم
شهران وناهس ومن تبعه من قبايل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم
بقتله قال له نفيل لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس
بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال
من ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا
الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا
معه ابا رغال حتى انزله المغمس فلما انزله به مات ابو رغال هناك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم
الناس بالمغمس **قال الشاعر** وارجم قبره في كل عام * كرجم الناس قبر ابي رغال * فلما نزل ابرهة بالمغمس بعث رجلا
من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال تهامة من قريش وغيرهم
واصاب فيها مايتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل
ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهة حناطة الحميري
الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول اني لم ات لحربكم انما جئت لهدم
هذا البيت فان لم تعرضوا له بحرب فلا حاجة له بدمائكم فان هو لم يرد حربي فاتني به فلما دخل حناطة
مكة سال عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهة فقال
له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله تعالى الحرام وبيت خليله
ابرهيم عليه السلام او كما قال فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا
دفع عنه فقال له حناطة فانطلق اليه فانه قد امرني ان اتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه
بعض بنيه حتى اتى العسكر فسال عن ذي نفر وكان صديقا له حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا
ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر ان يقتله غدوا
وعشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان انيسا سايس الفيل صديق لي فسارسل اليه واوصيه

بك

بك واعظم عليه حقك واسله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر
على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الى انيس فقال ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل
والوحوش في رؤس الجبال وقد اصاب له الملك مايتي بعير فاستاذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال
افعل فكلم انيس ابرهة فقال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عير مكة في السهل
والوحوش في رؤس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب اوسم الناس
واجملهم واعظمهم فلما راه ابرهة اجله واعظمه عن ان يجلس تحته فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه و
اجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي ان يرد علي الملك مايتي
بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين رايتك ثم قد زهدت فيك حين
كلمتني اتكلمني في مايتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه
قال له عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك فرد عليه
ابله وانصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب
تخوفا عليهم معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله
ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو اخذ بباب الكعبة * لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك * ان يدخلوا البلد الحرام فامر ما بدا لك * يقولوا اي شيء ما بدا لك لم تكن
تفعله بنا والحلال جمع حل والمحال القوة وقيل ان عبد المطلب لما اخذ بحلقة باب الكعبة قال يا رب لا ارجو لهم
سواكا * يا رب فامنع منهم حماكا * ان عدو البيت من عاداكا * انهم لن يقهروا قواكا * وقال عكرمة ابن عامر بن هاشم
ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قال لاهم اخز الاسود بن مقصود * الاخذ الهجمة فيها التقليد * بين حرا وثبير فالبيد
يحبسها وهي اولات التطريد * فضمها الى طماطم سود * قد اجمعوا ان لا يكون معبود * ويهدموا البيت الحرام المعمود *
والمروتين والمشاعر السود * اخفرهم ربي وانت محمود * قال ابن اسحق ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم
انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما اصبح
ابرهة تهيا لدخول مكة وهيا فيله وعبا جيشه وكان اسم الفيل محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف
الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود
وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد
حتى صعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في راسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم
في مراقه فبزغوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك
ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طاير منها ثلاثة احجار
يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت
وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا ويسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن
فقال نفيل بن حبيب حين راى ما انزل الله بهم من نقمته **قال الشاعر** اين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب
ليس الغالب **وقال ايضا** حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا * فكل القوم يسال عن نفيل * كان علي
للحبشان دينا * فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم
يسقط انملة انملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطاير
فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان يزيد احدهما وينقص الاخر سبب
الفيل فيما روي ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى يسميها
النصارى الهيكل فاوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف على النار فاضطرمت البيعة نارا

فاحترقت فاتى الصريخ الى النجاشي فاخبره فاشتاط غضبا فاتاه ابرهة بن الصباح وحجر بن شراحيل وابو
مكتوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة وسبي مكة وكان النجاشي هو الملك وابرهة صاحب الجيش
وابو يكسوم نديم وقيل وزير وحجر بن شراحيل من قواده وقال مجاهد ابو يكسوم هو ابرهة ابن
الصباح فساروا ومعهم الفيل قال الاكثرون هو فيل واحد وقيل هي ثمانية فيلة ونزلوا بذي المجاز واستاقوا
سرح مكة وفيها ابل عبد المطلب واتى الراعي نذيرا فصعد الصفا فصاح واصباحاه ثم اخبر الناس بمجي
الجيش والفيل فخرج عبد المطلب وتوجه الى ابرهة وساله في ابله واختلف في النجاشي هل كان معهم
فقال قوم كان معهم وقال الاكثرون لم يكن ونظر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر فقال عبد
المطلب ان هذه الطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية وانها اشباه اليعاسيب وكان
في مناقيرها وارجلها حجارة فلما اظلت على القوم القتها عليهم حتى هلكوا قال عطا بن ابي رباح جاءت الطير
عشية فباتت ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم وقال الكلبي في مناقيرها حصى كحصى الخذف امام كل فرقة طاير
يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فلما جاءت عسكر القوم وتوافت اهالت ما في مناقيرها على
من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به وقيل كان على كل حجر مكتوب من اطاع الله نجا ومن عصاه
غوى ثم انصاعت راجعة من حيث جاءت وقال العوفي سالت عنها ابا سعيد الخدري فقال حمام مكة منها
وقيل كان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها ويقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض
من شدة وقعه وكان اصحاب الفيل ستين الفا لم يرجع منهم احد الا اميرهم رجع ومعه شرذمة لطيفة
فلما اخبروا بما راوا هلكوا وقال الواقدي ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمان النبي م وابرهة هو الاشرم
سمي بذلك لانه تفاتن مع ارياط حتى تزاحفا ثم اتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله الامر فتبارزا
وكان ارياط جسيما عظيما في يده حربة وابرهة قصيرا حادرا حليما ذا دين في النصرانية ومع ابرهة وزير له
يقال له عتودة فلما دنوا ضرب ارياط بحربته راس ابرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وانفه وشفته فلذلك
سمي الاشرم وحمل عتودة على ارياط فقتله فاجتمعت الحبشة لابرهة فغضب النجاشي وحلف ليجزن ناصية
ابرهة ويطا بلاده فجز ابرهة ناصيته وملا مزودا من تراب ارضه وبعث بهما الى النجاشي وقال انما كان
عبدك وانا عبدك وانا اقوم بامر الحبشة وقد جززت راسي وبعثت اليك بتراب ارضي لتطاه وتبر يمينك
فرضي عنه النجاشي ثم بنى ابرهة كنيسة بصنعا ليصرف اليها حج العرب على ما تقدم **الرابعة** قال مقاتل كان عام الفيل
قبل مولد النبي م باربعين سنة وقال الكلبي وعبيد بن عمير كان من قبل مولد النبي م بثلاث وعشرين سنة و
الصحيح ما روي عن النبي م انه قال ولدت عام الفيل وروي عنه انه قال يوم الفيل حكاه الماوردي في التفسير
له وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله م يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل
بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اشباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان
قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان
وقد قيل انه عليه السلام حملت به امه امنة في يوم عاشورا المحرم ويومين من التاسع وقيل انه ولد يوم
عاشورا من شهر المحرم حكاه بن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا له وولد يوم الاثنين لاثنتي
عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فكان مدة حمله ثمانية اشهر كملا ويومين من التاسع ابن العربي
قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله م عام الفيل وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله م عام الفيل
وقد روى الناس عن مالك من مروءته ان لا يخبر بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه وان كان كبيرا
استهرموه وهذا قول ضعيف لان مالكا لا يخبر بسن رسول الله م ويكتم سنه وهو من اعظم العلماء قدوة
به فلا باس بان يخبر الرجل بسنه كان كبيرا او صغيرا وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر

ام النبي

ام النبي م فقال رسول الله م اكبر مني وانا اسن منه ولد النبي م عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين
مقعدين يستطعمان الناس وقيل لبعض القضاة كم سنك قال سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلعم
مكة وكان سنه يومئذ دون العشرين **الخامسة** قال علماونا كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي م
وان كانت قبله وقبل التحدي كانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله م هذه السورة
كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قائد الفيل وسايقه
اعميين يتكففان الناس وقالت عايشة رضي الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه
اعميين يستطعمان وقال ابو صالح رايت في بيت ام هاني بنت ابي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة سودا
مخططة بحمرة **قوله تعالى** الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال وتضييع لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل
والسبي والبيت بالتخريب والهدم فحكي عن عبد المطلب انه بعث ابنه عبد الله على فرس له ينظر ما لقوا من تلك
الطير فاذا القوم مشدخين جميعا فرجع يركض فرسه كاشفا عن فخذه فلما راى ذلك ابوه قال ان ابني هذا افرس
العرب وما كشف عن فخذه الا بشيرا او نذيرا فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت قالوا ما وراك قال
هلكوا جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه فاخذوا اموالهم وكانت اموال بني عبد المطلب منها وبها تكاملت
رياسة عبد المطلب لانه احتمل من صفرا وبيضا ثم خرج اهل مكة بعده فنهبوا وقيل ان عبد المطلب حفر
حفرتين فملاهما من الذهب والجوهر ثم قال لابي مسعود الثقفي وكان خليلا لعبد المطلب اختر ايهما شئت
ثم اصاب الناس من اموالهم حتى ضاقوا ذرعا فقال عبد المطلب عند ذلك **قال** انت منعت الجيش والافيالا
وقد رعوا بمكة اجبالا • وقد خشينا منهم قتالا • وكل امر لهم معضالا • شكرا وحمدا لك ذا الجلالا • **قال**
ابن اسحق ولما رد الله الحبشة من مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم
وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم في قصة اصحاب الفيل • انت الجليل ربنا لم تدنس • انت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشر مبلس • حبسته في هيئة المكركس • وما له من فرج ومنفس • والمكركس المنكوس المطروح
قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل • قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها
وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله م يقول انها طير بين السماء والارض تعشش
وتفرخ وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا
خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة رضي الله عنها
هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشباه الوطاويط حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير ايضا هي
طير سود بحرية في مناقرها واظافيرها الحجارة وقيل انها العنقا المغرب التي يضرب بها الامثال قاله عكرمة
ابابيل اي مجتمعة وقيل متتابعة بعضها في اثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد وقيل مختلفة متفرقة تجي من
كل ناحية من ها هنا وها هنا قاله ابن مسعود وابن زيد والاخفش قال النحاس وهذه الاقوال متفقة
وحقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال فلان يوبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل
واختلف في واحد ابابيل فقال الجوهري قال الاخفش يقال جاءت ابلك ابابيل اي فرقا وطير ابابيل قال وهذا
يجي في معنى التكثير وهو من الجمع الذي لا واحد له وقد قال بعضهم واحده ابول مثل عجول وقال بعضهم ابيل مثل
سكين قال ولم اجد العرب تعرف له واحدا في غير الصحاح وقيل في واحده ابال **قال روبة بن العجاج في الجمع** ولعبت
طير بهم ابابيل • فصيروا مثل كعصف ماكول **وقال الاعشى** طريق وجبار رواء اصوله • عليه ابابيل من الطير تنعب •
وقال اخر كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل **وقال اخر** تراهم الى الداعي سراعا كانهم
ابابيل طير تحت دجن مسخن • قال الفرا لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها
ابالة مشددة وحكى الفرا ابالة مخففا قال سمعت بعض العرب يقول ضغث على ابالة يريد خصبا على

خصب قال ولو قال قايل ابيا له كان صوابا مثل دينار ودنانير وقال اسحق بن عبد الله بن الحرث بن نوفل الابابيل
ماخوذ من الابل المؤبلة وهي الاقاطيع قال ابن مقبل ترميهم بحجارة من سجيل في الصحاح حجارة من سجيل قالوا
حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال
عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت
اللام نونا كما قالوا في اصيلان اصيلال وقال الاخر ضربا تواصت به الابطال سجينا وانما هو سجيلا وقال الزجاج
من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل وقد مضى القول في سجين في هود مستوفى قال
عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا اصاب احدهم خرج به الجدري لم يُرَ قبل ذلك اليوم وكان
الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده فكان ذلك اول الجدري
وقراءة العامة ترميهم بالتاء لتانيث جماعة الطير وقرا الاعرج وطلحة يرميهم بالياء اي يرميهم الله
دليله قوله ولكن الله رمى ويجوز ان يكون راجعا الى الطير لخلوها من علامات التانيث ولان تانيثها
غير حقيقي قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت
به من اسفل شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزائه روى معناه عن ابن زيد وغيره وقد مضى القول في العصف
في سورة الرحمن ومما يدل على انه ورق الزرع وقال الشاعر تسقى مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من
اتي الماء مطمور وقال رؤبة بن العجاج قول علقمة ومسهم ما مس اصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طيرهم ابابيل فصيروا مثل كعصف ماكول العصف جمع واحده عصفة وعصافة وعصيفة وادخل
الكاف في كعصف للتشبيه مع مثل كقوله تعالى ليس كمثله شي ومعنى ماكول ماكول فيه كما يقال فلان حسن
اي حسن وجهه وقال ابن عباس فجعلهم كعصف ماكول ان المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي يكون فيه
حبة القمح ويروى ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحبة
وقال ابن مسعود لما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فكانت لا تقع على
احد الا هلك ولم يسلم الا رجل من كندة فقال فانك لو رايت ولو ترانا لدى جنب المغمس ما لقينا خشيت الله
اذ قد بث طيرا وظل سحابة يمور علينا وباتت كلهم تدعو بحق كان لها على الحبشان دينا ويروى انها
لم تصبهم كلهم لكنها اصابت من شاء الله منهم وقد تقدم ان اميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه فلما اخبروا
بما راوا هلكوا فالله اعلم وقال ابن اسحق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا قاتل الله عنهم وكفاهم
مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم تفسير سورة قريش مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك
والكلبي وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لايلاف قريش قيل ان هذه السورة متصلة بالتي
قبلها في المعنى يقول اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتاتلف قريش او لتتفق قريش او لكي تامن قريش
فتؤلف رحلتيها وممن عد السورتين واحدة ابي بن كعب ولا فصل بينهما في مصحفه وقال سفيان بن عيينة
كان لنا امام لا يفصل بينهما ويقراهما معا وقال عمرو بن ميمون الاودي صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقرا في الاولى والتين والزيتون وفي الثانية الم تر ولايلاف وقال الفراء هذه السورة متصلة
بالسورة الاولى لانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لايلاف قريش اي فعلت ذلك
باصحاب الفيل نعمة منا على قريش لان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها ولا تقرب في الجاهلية
يقولون هم اهل بيت الله عز وجل حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة وياخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن
يحج الناس اليه فاهلكهم الله عز وجل فذكرهم نعمته اي فجعل الله ذلك لايلاف قريش اي ليالفوا الخروج ولا
يجترا عليهم وهو معنى قول مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه ذكره النحاس حدثنا احمد بن شعيب
قال اخبرني عمرو بن علي قال حدثنا عامر بن ابراهيم وكان ثقة من خيار الناس قال حدثني خطاب بن جعفر بن ابي

تفسير سورة قريش مكية

المغيرة

المغيرة قال حدثني ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى لايلاف قريش قال نعمتي على قريش ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف وعلى هذا القول يجوز الوقف على رؤوس
الاي وان لم يكن الكلام تاما على ما نبينه اثناء السورة وقيل ليست بمتصلة لان بين السورتين بسم الله الرحمن
الرحيم وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الاخرى وان اللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا اي فليعبد
هؤلاء رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتيار وكذا قال الخليل ليست متصلة كانه
قال الف الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت وعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لانها زايدة غير عاطفة
كقولك زيدا فاضرب وقيل اللام في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش قاله الكسائي
والاخفش وقيل بمعنى الى وقرا ابن عامر لالاف مهموزا مختلسا بلا ياء وقرا ابو جعفر الاعرج ليلاف بلا همز
طلبا للخفة والباقون لايلاف بالياء مهموزا مشبعا من الفت او لفت ايلافا قال الشاعر اذا النجوم تغيرت و
الظاعنين لرحلة الايلاف ويقال الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر ايضا لالف قريش وقد جمعهما من قال
زعمتم ان اخوتكم قريشا لهم الف وليس لكم الاف قال الجوهري وفلان قد الف هذا الموضع بالكسر يالف الفا والفه
اياه غيره ويقال ايضا الفت الموضع اولفه ايلافا وكذلك الفت الموضع اولفه مؤالفة والافا فصار صورة
افعل وفاعل في الماضي واحدا وقرا عكرمة ليالف بفتح اللام على الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح
لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وكان عكرمة يعيب على من يقرا لايلاف قريش وقرا بعض اهل مكة الاف
قريش واستشهد بقول ابي طالب يوصي اخاه ابا لهب برسول الله صلعم فلا تتركنه ما حييت لمعظم وكن
رجلا ذا نجدة وعفاف تذود العدا عن عصبة هاشمية الافهم في الناس خير الاف واما قريش فهم بنو
النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون بني كنانة ومن
فوقه وربما قالوا قريشي وهو القياس قال الشاعر لكل قريشي عليه مهابة فان اردت بقريش الحي صرفته
وان اردت به القبيلة لم تصرفه قال الشاعر وكفى قريش المعضلات وسادها والتقريش الاكتساب
وتقرشوا اي اجتمعوا وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا
قال الشاعر ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر وقد قيل ان قريشا بنو فهر بن مالك
ابن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي والاول اصح واثبت وقد روي عن النبي صلعم انه قال انا ولد النضر بن
كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وقال واثلة بن الاسقع قال النبي صلعم ان الله اصطفى كنانة من ولد
اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم صحيح ثابت
خرجه البخاري ومسلم وغيرهما واختلف في تسميتهم قريشا على اقوال احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش
التجمع والالتئام قال ابو جلدة اليشكري اخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم
الثاني انهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والتقريش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع
قال الفراء وبه سميت قريش الثالث لانهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته والقرش
التفتيش قال الشاعر ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقاء الرابع ما روي ان معاوية سال ابن عباس
لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر من اقوى دوابه يقال لها القرش تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى
وانشد قول تبع وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا تاكل الغث والسمين ولا تترك
فيها لذي الجناحين ريشا هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا ولهم اخر الزمان نبي يكثر
القتل فيهم والخموشا قوله تعالى ايلافهم قرا مجاهد وحميد الفهم ساكنة اللام بغير ياء وروي نحوه عن ابن
كثير وكذلك روت اسما انها سمعت رسول الله صلعم يقرا الفهم وروي عن ابن عباس وغيره وقرا ابو جعفر والوليد
عن اهل الشام وابو حيوة الافهم مهموزا مختلسا بلا ياء وقرا ابو بكر عن عاصم ائلافهم بهمزتين الاولى مكسورة

والثانية ساكنة والجمع بين الهمزتين في الكلمتين شاذ الا ان قوت ايلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار وهو بدل من
لايلاف الاول للبيان وهو مصدر الف اذا جعلته يالف والف هو يالف الفا على ما تقدم ذكره من القرآة
اي وما قد الفوه من رحلة الشتآء والصيف روى ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف قال لا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره وكان اصحاب
الايلاف اربعة اخوة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يولف
ملك الشام اي اخذ منه حبلا وعهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يولف الى الحبشة
والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يولف يجير فكان هولاء الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش
يختلفون الى الامصار بحبل هولاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجازة بالخفارة يقال
الف يولف والف يولف اذا اجاز الحمايل بالخفارة والحمايل جمع حمولة قال والتاويل ان قريشا كانوا سكان الحرم
ولم يكن لهم زرع ولا ضرع وكانوا يمتارون في الشتآء والصيف امنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا
اذا عرض لهم عارض قالوا نحن اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وذكر ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا في تفسير
حدثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل الدمياطي باسناده الى ابن عباس في قول الله عز وجل لايلاف قريش الفهم
رحلة الشتآء والصيف وذلك ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع
معروف فضربوا على انفسهم خباء فماتوا حتى كان عمرو بن عبد مناف وكان سيدا في زمانه وله ابن يقال له
اسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فقال له نحن غدا نعتفر قال ابن فارس هذه لفظة في هذا
الخبر لا ادري بالدال هي ام بالراء فان كانت بالراء فلعلها من العفر وهو التراب وان كانت بالدال فما ادري
معناها وتاويله على ما اظنه ذهابهم الى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد قال فدخل اسد على امه يبكي
وذكر ما قاله تربه قال فارسلت ام اسد الى اولئك بشحم ودقيق فعاشوا به اياما ثم ان تربه اتاه ايضا فقال نحن
غدا نعتفر فدخل اسد على ابيه يبكي وخبره خبر تربه فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف فقام خطيبا في قريش
وكانوا يطيعون امره فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب وتذلون وتعز العرب وانتم اهل
حرم الله جل وعز واشرف ولد ادم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفار ياتي عليكم قالوا نحن لك تبع قال
ابتدوا بهذا الرجل يعني ابا ترب اسد فاغنوه عن الاعتفار ففعلوا ثم انه نحر البدن وذبح الكباش والمعز
ثم هشم الثريد واطعم الناس فسمي هاشما وفيه قال الشاعر عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون
عجاف ثم جمع كل بني اب على رحلتين في الشتآء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه
وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز
من قريش وهو قول شاعرهم والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي فلم يزالوا كذلك حتى بعث
الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف
ان يكثر العرب او يقلوا قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف رحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم رحلة اي بوقوع
ايلافهم عليه او على الظرف ولو جعلتها في محل الرفع على معنى هما رحلة الشتآء والصيف لجاز والاول اولى
والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتآء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف
الى الشام لانها بلاد باردة وعن ابن عباس ايضا قال كانوا يشتون بمكة لدفاتها ويصيفون بالطايف لهوائها
وهذه من جل النعم ان يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتا وناحية باردة تدفع حر الصيف فذكرهم
الله تعالى هذه النعمة وقال الشاعر تشتي بمكة نعمة ومصيفها بالطائف وهنا اربع مسائل الاولى اختار
القاضي ابو بكر بن العربي وغيره من العلماء ان قوله تعالى لايلاف متعلق بما قبله ولا يجوز ان يكون متعلقا بما
بعده وهو قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق بالسورة الاخرى وقد قطع عنه بكلام

مبتدا واستيناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم فقد تبين جواز الوقف في القراءة للقرآء قبل تمام الكلام وليست
المواقف التي ينتزع بها القرآء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا
علموها وقفوا حيث شاءوا فاما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ولا تعد ما قبله اذا اعتراك ذلك
ولكن ابدا من حيث وقف به نفسك هذا رأيي فيه ولا دليل على ما قالوه بحال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية
الخروج عنهم قلت ومن الدليل على صحة هذا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف
الرحمن الرحيم ثم يقف وقد مضى في مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول ليس
بقبيح وكيف يقال انه قبيح وهذه السورة تقرأ في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية فيتخللهما مع
قطع القراءة اركان وليس احد من العلماء يكره ذلك وما كانت العلة فيه الا ان قوله فجعلهم كعصف ماكول
انتهاء اية فالقياس على ذلك ان لا يمتنع الوقف عند اعجاز الايات سوا كان الكلام يتم والغرض ينتهي ولا يتم ولا
ينتهي وايضا فان الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور ولا يخفى ان
الكلام المنظوم احسن فثبت بذلك ان الفواصل من محاسن الكلام المنظوم فمن اظهر فواصله بالوقوف
عليها فقد ابدى محاسنه وتركه الوقوف يخفي على تلك المحاسن ويشبه المنظوم بالمنثور وذلك اخلال
بحق المقرو الثانية قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها ولم ازل ارى ربيعة بن عبد الرحمن
ومن معه لا يخلعون عمايمهم حتى تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر من بشانس وهو يوم خمسة وعشرين
من عدد الروم او الفرس واراد بطلوع الثريا ان تخرج السعاة ويسير الناس بمواشيهم الى مياههم وان طلوع
الثريا اول الصيف ودبر الشتاء وهذا مما لا خلاف فيه بين اصحابه عنه وقال عنه اشهب وحده اذا
سقطت الهقعة نقص الليل فلما جعل الثريا اول الصيف وجب ان يكون له في مطلق السنة ستة اشهر
ثم يستقبل الشتا من بعد ذهاب الصيف ستة اشهر وقد سئل بعد الحكم عن من حلف ان لا يكلم امرا حتى
يدخل الشتا فقال لا يكلمه حتى تمضي سبعة عشر من هتور ولو قال حتى يدخل الصيف لم يكلمه حتى يمضي سبعة
عشر من بشانس قال القرطبي اما ذكره هذا عن محمد فهو سهو انما هو تسعة عشر من بشانس لانك اذا حسبت
المنازل على ما هي عليه من ثلاث عشر ليلة كل منزلة علمت ان ما بين تسعة عشر من هتور لا تنقضي منازله
الا بدخول تسعة عشر من بشانس والله اعلم الثالثة قال قوم الزمان اربعة اقسام شتا وربيع وصيف
وخريف وقال قوم هو شتا وصيف وقيظ وخريف والذي قال مالك اصح لان قسمة الله الزمان قسمين
ولم يجعل لهما ثالثا الرابعة لما امتن الله عز وجل على قريش برحلتين شتا وصيفا على ما تقدم كان فيه
دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين محلين يكون حالهما في كل زمان انعم من الاخر كالجلوس في
المجلس البحري في الصيف وفي القبلي في الشتا وفي اتخاذ الباذهنجات والخيش للتبريد واللبد واليانوسة
للدفء قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت امرهم تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين ودخلت
الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوا لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى
فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشان هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة والبيت الكعبة وفي تعريف
نفسه لهم بانه رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه عنها الثاني انهم بالبيت
شرفوا على سائر العرب فذكرهم ذلك تذكيرا لنعمته وقيل فليعبدوا رب هذا البيت اي ليالفوا عبادة
رب الكعبة كما كانوا يالفون الرحلتين قال عكرمة كانت قريش قد الفوا رحلة الى بصرى ورحلة الى اليمن
فقيل لهم فليعبدوا رب هذا البيت اي يقيموا بمكة رحلة الشتا الى اليمن والصيف الى الشام قوله تعالى الذي
اطعمهم من جوع وامنهم من خوف قال ابن عباس وذلك بدعوة ابرهيم حيث قال رب اجعل هذا بلدا امنا
وارزقهم من الثمرات وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها من بعض فامنت قريش من

ذلك المكان الحرم وقرا ولم تمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف
فالقى الله في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوه فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا
لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام واغاثوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى
جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلى الله
عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع
الله لنا فانا مومنون فدعا فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال
الضحاك والربيع وشريك وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وامنهم
من ان تكون الخلافة الا فيهم وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك فالله اعلم واللفظ يعم تفسير سورة الماعون
مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول له اخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع
ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين الى اخر السورة فيها ست مسائل الاولى
قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزاء والحساب في الاخرة وقد تقدم في الفاتحة وارايت بثبات
الهمزة الثانية اذ لا يقال في ارايت ريت ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا ذكره الزجاج وفي الكلام
حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطي واختلف فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن
ابن عباس قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وقاله الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من
المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي جهل الضحاك في عمرو بن عايد ابن جريج في ابي سفيان
وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه فانزل الله هذه السورة ويدع يدفع
كما قال يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد تقدم وقاله الضحاك عن ابن عباس فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه
عن حقه قتادة يقهره ويظلمه والمعنى متقارب وقد تقدم في سورة النساء انهم كانوا لا يورثون النساء ولا
الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع الثانية
قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه بالجزاء وهو مثل قوله تعالى في
سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين وقد تقدم وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم
كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فنزلت هذه الاية وتوجه الذم
اليهم فيكون معنى الكلام لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا الثالثة قوله تعالى فويل للمصلين
اي عذاب لهم وقد تقدم في غير موضع الذين هم عن صلاتهم ساهون فروى الضحاك عن ابن عباس هو المصلي الذي
ان صلى لم يرج له ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا الذين يوخرونها عن اوقاتها وكذا
المغيرة عن ابرهيم قال ساهون اضاعوا الوقت وعن ابي العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها
ولا سجودها قلت ويدل على هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة حسب ما تقدم بيانه
في سورة مريم وروي عن ابرهيم ايضا انه الذي اذا سجد قال براسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا
يقرا ولا يذكر الله في قراءة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وقال سعد بن ابي وقاص قال النبي صلى الله عليه
وسلم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يوخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها وعن
ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
الاية ويدل على انها في المنافقين قوله الذين هم يراوون وقاله ابن وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال
في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم قال الزمخشري
فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قوله في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك

تفسير سورة الماعون مكية

لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم
فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم ابن العربي لان السلامة
محال وقد سها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته والصحابة وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا
يتدبرها ولا يعقل قراءتها وانما همه في اعدادها وهذا رجل ياكل القشور ويرمي اللب وما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يسهو في صلاته الا لفكرته في اعظم منها اللهم الا انه قد يسهو في صلاته من يقبل على وسواس الشيطان
اذا قال له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكره حتى يضل الرجل ان يدري كم صلى الرابعة قوله تعالى الذين هم
يراوون اي يري الناس انه يصلي طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال
انه يصلي وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة واصله طلب المنزلة في قلوب الناس واولها تحسين السمت وهو
من اجزاء النبوة فيريد بذلك الجاه والثناء وثانيها الرياء بالثياب القصار الخشنة ليأخذ بذلك هيبة الزهد في
الدنيا وثالثها الرياء بالقول باظهار التسخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على ما يفوت من الخير والطاعة
ورابعها الرياء باظهار الصلاة والصدقة او بتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وذلك يطول وهذا دليله
قاله ابن العربي قلت قد تقدم في سورة النساء وهود واخر الكهف القول في الرياء واحكامه وحقيقته بما فيه
كفاية والحمد لله الخامسة ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان
بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها
يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه
ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه
بالصلاح وعن بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان في
بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله تعالى
ان تبدوا الصدقات وفي غير موضع والحمد لله على ذلك السادسة قوله تعالى ويمنعون الماعون فيه الماعون اثنا عشر
قولا الاول انه زكاة اموالهم كذا روى الضحاك عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وقاله مالك
والمراد به المنافق يمنعها وقد روى ابو بكر بن عبد العزيز عن مالك قال بلغني ان قول الله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراوون ويمنعون الماعون قال ان المنافق اذا صلى صلى رياء وان فاتته لم
يندم عليها ويمنعون الماعون الزكاة التي فرض الله عليهم قال زيد بن اسلم لو خفيت لهم الصلاة كما خفيت
لهم الزكاة ما صلوا القول الثاني ان الماعون المال بلسان قريش بلسان شهاب وسعيد بن المسيب وقول
ثالث انه اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار وما اشبه ذلك قاله ابن مسعود وروي عن ابن عباس
ايضا قال الاعشى باجود منه بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم الرابع ذكر الزجاج وابو عبيد والمبرد ان
الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداح وكل ما فيه منفعة من قليل
وكثير وانشدوا بيت الاعشى قالوا والماعون في الاسلام الطاعة والزكاة وانشدوا قول الراعي خليفة الرحمن
انا معاشر حنفاء نسجد بكرة واصيلا عرب نرى لله من اموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا قوم على
الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا يعني الزكاة الخامس انه العارية روي عن ابن عباس
ايضا السادس انه المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قاله محمد بن كعب والكلبي السابع انه الماء
والكلاء الثامن الماء وحده قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وانشدني فيه
يمج صبيره الماعون صبا الصبير السحاب التاسع انه منع الحق قاله عبد الله بن عمر العاشر انه المستغل من منافع
الاموال ماخوذ من المعن وهو القليل حكاه الطبري وابن عباس قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن الشيء

القليل تقول العرب ماله سعة ولا منعة اي شيء قليل فسمى الله الصدقة والزكاة ونحوه من المعروف ماعونا
لانه قليل من كثير ومن الناس الماعون اصله معونة والالف عوض من الهاء حكاه الجوهري ابن العربي مفعول من
اعان يعين والعون هو الامداد بالقوة والالات والاسباب الميسرة للامر الحادي عشر انه الطاعة والانقياد
حكى الاخفش عن اعرابي فصيح لو قد نزلنا لصنعت بناقتك صنيعا تعطيك الماعون اي تنقاد لك وتطيعك قال
الراجز متى تصادفهن في البرين يخضعن او يعطين بالماعون وقيل هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار
لان عايشة رضوان الله عليها قالت قلت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول
الله هذا الماء فما بال النار والملح فقال يا عايشة من اعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح ومن سقى شربة
من الماء حين لا يوجد فكانما احيا نفسا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ذكره الثعلبي في تفسيره وخرجه
ابن ماجه في سننه وفي اسناده لين وهو القول الثاني عشر للماوردي ويحتمل انه المعونة بما خف فعله وقد ثقله
الله والله اعلم وقيل لعكرمة مولى ابن عباس من منع شيئا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن
فله الويل يعني ترك الصلاة والرياء والبخل بالماعون قلت كونها في المنافقين اشبه وبهم اخلق لانهم جمعوا
الاوصاف الثلاثة ترك الصلاة والرياء والبخل بالمال قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ولا ينفقون الا وهم كارهون وهذه احوالهم ويبعد ان توجد من مسلم
محقق وان وجد بعضها فيلحقه جزء من التوبيخ وذلك في منع الماعون اذا تعين كالصلاة والزكاة اذا تركها
والله اعلم بما يكون منهما قبيحا في المروة في غير حال الضرورة والله اعلم تفسير سورة الكوثر وهي مكية
في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث
ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فيه مسئلتان الاولى قوله انا اعطيناك الكوثر
قراءة العامة انا اعطيناك بالعين وقرا الحسن وطلحة بن مصرف انطيناك بالنون وروي عن ام سلمة عن
النبي صلى الله عليه وسلم وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة مثل النوفل من النفل
والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال سفيان قيل لعجوز رجع ابنها
من السفر بم اب ابنك قالت بكوثر اي بمال كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير قال الكميت وانت كثير
يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع
والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر قال الشاعر وقد ثار نقع الموت حين تكوثرا الثانية واختلف
اهل التاويل في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا الاول انه نهر في الجنة
رواه البخاري عن انس والترمذي ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج هذا حديث
حسن صحيح الثاني انه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطا وفي صحيح مسلم عن انس قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله
قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير هو
حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال انك
لا تدري ما احدث بعدك والاخبار في حوضه في الموقف كثيرة ذكرناها في كتاب التذكرة وان على
اركانه الاربعة خلفاوه الاربعة رضوان الله عليهم وان من ابغض واحدا منهم لم يسقه الاخر وذكرنا
هناك من يطرد عنه فمن اراد الوقوف على ذلك تامله هناك ثم يجوز ان يسمى ذلك النهر او الحوض كوثرا
لكثرة الواردة والشاربة من امة محمد عليه السلام هناك ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير

الثالث ان الكوثر النبوة والكتاب قاله عكرمة الرابع القرآن قاله الحسن الخامس الاسلام حكاه المغيرة السادس
تيسير القرآن وتخفيف الشرايع قاله الحسين بن الفضل السابع هو كثرة الاصحاب والامة والاشياع قاله
ابو بكر بن عياش ويمان بن رياب الثامن انه الايثار قاله ابن كيسان التاسع انه رفعة الذكر حكاه
الماوردي العاشر انه نور في قلبك دلك علي وقطعك عما سواي وعنه هو الشفاعة وهو الحادي عشر وقيل
معجزات الرب هدي بها اهل الاجابة لدعوتك حكاه الثعلبي وهو الثاني عشر قال هلال بن يساف هو لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وهما الرابع عشر والخامس عشر وقال
ابن اسحق هو العظيم من الامر وذكر لبيد وصاحب ملحوب فجعنا بفقده وعند الرداع بيت اخر كوثر اي عظيم
قلت اصح هذه الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلعم نص في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض
فقال ما كنت ارى ان اعيش حتى ارى امثالكم يتمارون في الحوض لقد تركت عجايز خلفي ما تصلي امراة منهن الا
سالت الله ان يسقيها من حوض النبي صلعم وفي حوضه يقول الشاعر يا صاحب الحوض من يدانيكا وانت حقا حبيب
باريكا وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد اعطيه رسول الله صلعم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا قوله تعالى فصل لربك وانحر فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فصل اي اقم الصلاة المفروضة
عليك كذا رواه الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك
وقال انس كان النبي صلعم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير ايضا صل لربك صلاة الصبح
المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد بن جبير نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلعم عن البيت فامره
الله ان يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله فصل الصلوات
الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة
فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلوات
لاقترانها بالنحر قوله تعالى واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد باجماع
فيما حكاه ابو عمر قال ابن العربي فاما مالك فقال ما سمعت فيها شيئا والذي يقع في نفسي ان المراد بذلك صلاة
يوم النحر والنحر بعدها وقال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذا النحر في
الصلاة وروي عن ابن عباس ايضا وروي عن علي ايضا ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وكذا قال
جعفر بن علي فصل لربك وانحر قال النبي صلعم لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني الله بها قال ليست بنحيرة ولكنه
يامرك اذا تحرمت بالصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت فانه
صلاتنا وصلاة الملايكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وان زينة الصلاة رفع اليدين
عند كل تكبيرة وعن ابي صالح عن ابن عباس قال استقبل القبلة بنحرك وقاله الفرا والكلبي وابو الاحوص
ومنه قال الشاعر ابا حكم ما انت عم مجالد وسيد اهل الابطح المتناحر اي المتقابل قال الفرا سمعت بعض
العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته قال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في
الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وروي عن عطا قال امره ان يستوي بين السجدتين
جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي يعني وارفع يديك بالدعاء الى نحرك وقيل معناه واعبد وقال
محمد بن كعب القرظي انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون
لغير الله وقد اعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ونحرك الا لله قال ابن العربي والذي عندي انه اراد اعبد
ربك وانحر له فلا يكن عملك الا لمن خصك بالكوثر وبالحرى ان يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من
الكوثر وهو الخير الكثير الذي اعطاكه الله او النهر الذي طينه مسك وعدد انيته نجوم السماء اما ان
يوازي هذا صلاة يوم النحر وذبح كبش او بقرة او بدنة فذلك يبعد في التقدير والتدبير وموازنة الثواب

للعبادة والله اعلم الثانية قد مضى القول في سورة الصافات القول في الاضحية وفضلها ووقت ذبحها فلا معنى
لاعادة ذلك وذكرنا ايضا في سورة الحج جملة من احكامها قال ابن العربي ومن عجيب الامر ان قول بعض العلماء
ان من ضحى قبل الصلاة اجزاه والله تعالى يقول في كتابه فصل لربك وانحر فبدا بالصلاة قبل النحر وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع
فننحر من فعل فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء واصحابه
ينكرون حديثا الموافقة الثالثة واما ما روي عن علي عليه السلام فصل لربك وانحر قال وضع اليمين
على الشمال في الصلاة خرجه الدارقطني فقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة اقوال لا توضع في فريضة
ولا نافلة لان ذلك من باب الاعتماد ويجوز في الفرض ولا يستحب في النفل الثاني لا يفعلها في الفريضة
ويفعلها في النافلة استعانة لانه موضع ترخص الثالث يفعلها في الفريضة والنافلة وهو الصحيح
لانه ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث وائل بن حجر وغيره وقال ابن المنذر روينا
قال مالك واحمد واسحق وحكى ذلك عن الشافعي واستحب ذلك اصحاب الراي ورات جماعة ارسال اليد
وممن روينا ذلك عنه ابن الزبير والحسن البصري وابرهيم النخعي قلت وهو مروي ايضا عن مالك قال ابن
عبد البر ارسال اليدين ووضع اليمين على الشمال كل ذلك من سنة الصلاة الرابعة واختلفوا في الموضع
الذي توضع عليه اليد فروى عن علي بن ابي طالب انه وضعهما على صدره وقال سعيد بن جبير واحمد بن حنبل
فوق السرة وروى ذلك عن علي وابي هريرة والنخعي وابي مجلز وبه قال سفيان الثوري واسحاق الخامسة واما
رفع اليدين في التكبير عند الافتتاح والركوع والرفع من الركوع والسجود فاختلف في ذلك فروى الدارقطني
من حديث حميد عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا دخل في الصلاة واذا ركع واذا رفع راسه من
الركوع واذا سجد لم يروه عن حميد غير عبد الوهاب الثقفي والصواب انه من فعل انس وفي الصحيحين من حديث
ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين
يرفع راسه ويقول سمع الله لمن حمده ولا يفعل ذلك حين يرفع راسه من السجود قال ابن المنذر وهذا قول
الليث بن سعد والشافعي واحمد واسحاق وابي ثور وحكى ابن وهب عن مالك هذا القول وبه اقول لانه الثابت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة يرفع المصلي يديه حين يفتتح الصلاة ولا يرفع فيما سوى ذلك هذا قول سفيان
الثوري واصحاب الراي قلت وهو المشهور من مذهب مالك الحديث ابن مسعود خرجه الدارقطني من حديث
ابن ابي اسرائيل قال حدثنا محمد بن جابر عن حماد عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يرفعوا ايديهم الا عند التكبيرة الاولى في افتتاح الصلاة قال اسحق به ناخذ في
الصلاة كلها قال الدارقطني تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن ابرهيم وغير حماد يرويه عن ابرهيم
مرسلا عن عبد الله من فعله غير مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقد روى يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى عن البراء انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما اذنيه ثم لم يعد
ذلك الى شيء من ذلك حتى فرغ من الصلاة قال الدارقطني لقن يزيد في اخر عمره ثم لم يعد فتلقنه وكان
قد اختلط وفي مختصر ما ليس في المختصر عن مالك لا يرفع اليدين في شيء من الصلاة قال ابن القاسم ولم ار مالكا
يرفع يديه عند الاحرام قال واحب الى ترك رفع اليدين عند الاحرام قوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي مبغضك
وهو العاصي بن وائل وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فيقال ان العاصي
وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي
عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة فانزل الله جل ثناؤه ان شانئك هو الابتر اي المقطوع ذكره من
خير الدنيا والاخرة وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما مات ابرهيم

ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقالوا بتر محمد فانزل الله جل ثناؤه ان شانئك هو الابتر يعني بذلك ابا جهل
وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقيل ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما
مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم بمكة وابرهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه
الاية قاله السدي وابن زيد وقيل هو جواب لقريش حين قالوا لكعب بن الاشرف لما قدم مكة نحن اصحاب السقاية
والسدانة والحجابة واللواء وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه قال كعب بل انتم
خير فنزلت في كعب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في قريش
ان شانئك هو الابتر قاله ابن عباس ايضا وعكرمة وقيل ان الله عز وجل لما اوحى الى رسوله ودعا قريشا الى الايمان
قالوا انبتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبتورون قاله ايضا عكرمة وشمر
ابن حوشب قال اهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل امر انقطع
من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر
السيف القاطع والابتر المقطوع الذنب تقول منه بتر بالكسر يبتر بترا وفي الحديث ما هذه البتيراء وخطب
زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ابن السكيت الابتران العير والعبد قال سميا ابترين
لقلة خيرهما وقد ابتره الله اي صيره ابتر ويقال رجل اباتر بضم الهمزة للذي يقطع رحمه قال الشاعر
لئيم نزت في انفه خنزوانة * على قطع ذي القربى اخذ اباتر * والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة
ابن سعد ولقبه الابتر واما الصنبور فلفظ مشترك قيل هو النخلة تبقى منفردة ويدق اسفلها وينقشر
يقال صنبر اسفل النخلة وقيل هو الرجل الفرد لا ولد له ولا اخ وقيل هو مثعب الحوض خاصة حكاه
ابو عبيد وانشد ما بين صنبور الى الازاء والصنبور قصبة تكون في الاداوة من حديد او رصاص يشرب
منها حكى جميعه الجوهري رحمه الله

تفسير سورة الكافرون وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن
وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وفي الترمذي من حديث
انس انها تعدل ثلث القران وفي كتاب الرد لابن الانباري اخبرنا عبد الله بن ناجية قال حدثنا يوسف
قال حدثنا القعنبي وابو نعيم عن موسى بن وردان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل
ربع القران ورواه موقوفا عن انس قوله وخرج الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم
باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال قرات بكم ثلث القران وربعه
قالوا فوالله لقد كنت غير كثير المال اذا سافرت اكون ابذهم هيئة واقلهم زادا فمذ قراتهن صرت
من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع من سفري ذلك وروى فروة بن نوفل الاشجعي قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني
قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك خرجه ابو بكر الانباري وغيره وقال ابن عباس
ليس في القران اشد غيظا لابليس منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي انهما تبرئان من النفاق وقال ابن السكيت يقال للقروح والجدري
اذا يبس وتقرف وللجرب في الابل اذا قفل وتوسف جلده وتقشر جلده وتقشقش جلده بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون الايات ذكر ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس ان سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد
ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا فقد شركناك فيه واخذنا
بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله
عز وجل قل يا ايها الكافرون وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة
لصدقناك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه واذوه واذوا اصحابه والالف

تفسير سورة الكافرون مكية

واللام للمعنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت صفة لأي لانها مخاطبة لمن سبق في علم الله انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعتابا للكافرين قوما معينين لا لجميع الكافرين لان منهم من امن فعبد الله ومنهم من مات او قتل على كفره وهم المخاطبون بهذا القول ومنهم المذكورون وقال ابو بكر بن الانباري وقرا من طعن في القران قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال ما قصده الله من ان يذل نبيه المشركين بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم ما يانف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقراءتنا على كل ما عندهم وسقط من باطلهم احسن لفظا وابلغ معنى اذ كان الرسول عليه السلام لا يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان تبسط عليه منهم يد او تقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزل الله اسقط اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل اهل الاسلام ان لا يسارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا بينهم باعتزال الفضائل التي منحه الله اياها وشرفه بها واما وجه التكرير فقد قيل انه للتاكيد في قطع اطماعهم كما تقول والله لا افعل كذا ثم والله لا افعله قال اكثر اهل المعاني نزل القران بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار لارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار لارادة التخفيف والايجاز لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء الى شيء اولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان ويل يومئذ للمكذبين و كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا كل هذا على التاكيد وقد يقول القايل ارم ارم اعجل اعجل ومنه قوله عليه السلام في الحديث الصحيح فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني الحديث خرجه مسلم وقال الشاعر هلا سالت جموع كندة • حين ولوا اين اينا وقال اخر يا للبكر انشروا لي كليبا • يا للبكر اين اين الفرار وقال اخر يا علقمة يا علقمة يا علقمة • خير تميم كلها واكرمه وقال اخر يا اقرع بن حابس يا اقرع • انك ان يصرع اخوك تصرع وقال اخر الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي • ثلاث تحيات وان لم تكلم • ومثله كثير وقيل هذا مطابقة قولهم تعبد الهتنا ونعبد الهك ثم تعبد الهتنا ونعبد الهك فنجري على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا قال ابن عباس قالت قريش للنبي نحن نعطيك من المال ما تكون به اغنى رجل بمكة ونزوجك من شئت ونطا عقبك اي نمشي خلفك وتكف عن شتم الهتنا فان لم تفعل فنحن نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح تعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونحن نعبد الهك سنة فنزلت السورة فكان التكرار في لا اعبد ما تعبدون لان القوم كرروا عليهم مقالهم مرة بعد مرة والله اعلم وقيل انما كرر بمعنى التغليظ وقيل اي لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ثم قال ولا انا عابد • في المستقبل ما عبدتم ولا انتم عابدون • في المستقبل ما اعبد • قاله الاخفش والمبرد وقيل انهم كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا وسلموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها الهة يعبدونها فامر ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين ايديكم ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم اي بالامس من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد الهي وقيل ان قوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وقوله ولا انا عابد ما عبدتم على نفي العبادة منه لما عبدوا في الماضي ثم قال ولا انتم عابدون على التكرير في

اللفظ

اللفظ دون المعنى من قبل ان التقابل يوجب ان يكون ولا انتم عابدون ما عبدت فعدل عن لفظ عبدت الى اعبد اشعارا بان الذي عبد في الماضي هو الذي يعبد في المستقبل مع ان الماضي والمستقبل قد يقع احدهما موقع الاخر واكثر ما ياتي ذلك في اخبار الله عز وجل وقال ما اعبد ولم يقل من اعبد ليقابل به ولا انا عابد ما عبدتم وهي اصنام واوثان ولا يصلح فيها الا ما دون من فحمل الاول على الثاني ليتقابل الكلام ولا يتنافى وقد جاءت ما لمن يعقل ومنه قولهم سبحان ما سخركن لنا وقيل ان معنى الايات وتقديرها قل يا ايها الكافرون لا اعبد الاصنام التي تعبدون ولا انتم عابدون الله عز وجل الذي اعبده لاشراككم به واتخاذكم الاصنام فان زعمتم انكم تعبدونه فانتم كاذبون لانكم تعبدونه مشركين فانا لا اعبد ما عبدتم اي مثل عبادتكم فما مصدرية وكذلك ولا انتم عابدون ما اعبد مصدرية ايضا معناه ولا انتم عابدون مثل عبادتي التي هي توحيد قوله تعالى لكم دينكم ولي دين • فيه معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم وكان هذا قبل الامر بالقتال فنسخ باية السيف وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزاء دينكم ولي جزاء ديني وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وتولوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وفتح الياء من ولي دين نافع والبزي عن ابن كثير باختلاف عنه وهشام عن ابن عامر وحفص عن عاصم واثبت الياء في ديني في الحالين نصر بن عاصم وسلام بن يعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينكم والتاء في قمت الباقون بغير ياء مثل قوله تعالى فهو يهدين وفاتقوا الله واطيعون ونحوه اكتفاء بالكسرة واتباعا لخط المصحف فانه وقع فيه بغير ياء

تفسير سورة النصر مكية

تفسير سورة النصر وهي مدنية باجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وهي اخر سورة نزلت جميعا قاله ابن عباس وهو في صحيح مسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي • بلاد تميم وانصري ارض عامر • يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا نصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبري وقيل نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المداين والقصور وقيل فتح ساير البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد اي قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويمكن ان يكون معناه اذا يجيئك قوله تعالى ورايت الناس اي العرب وغيرهم • يدخلون في دين الله افواجا • اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا امة امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعماية انسان مؤمنين طايعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرءون القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلعم بذلك وبكى عمر وابن عباس وروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلعم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افئدتهم لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني معناه ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار وروى جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلعم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي ولفظ الثعلبي وقال ابو عمار حدثني جار لجابر قال سالني جابر عن حال الناس فاخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم فجعل يبكي ويقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون من

دين الله افواجا **واستغفره انه كان توابا** اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الغفران وقيل المراد التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له بالاستغفار ومداومة الذكر والاول اظهر روى الائمة واللفظ للبخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران في غير الصحيح وقالت ام سلمة كان النبي اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال ابو هريرة اجتهد النبي بعد نزولها حتى تورمت قدماه ونحل جسمه وقل تبسمه وكثر بكاؤه وقال عكرمة ما كان النبي قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان منه عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي على اصحابه ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول فعاش بعدها ستين يوما ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما ان هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي فقال النبي صدقتما نعيت الي نفسي وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب ياذن لاهل بدر وياذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا ياذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال لهم عمر انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب اليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك ولكن اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه تلومونني عليه وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول ورواه الترمذي قال كان عمر يسئلني مع اصحاب النبي فقال له عبد الرحمن بن عوف اتسئله ولنا بنون مثله فقال له عمر انه من حيث تعلم فساله عن هذه الاية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل رسول الله اعلمه اياه وقرا السورة الى اخرها فقال له عمر والله ما اعلم منها الا ما تعلم قال هذا حديث حسن صحيح **فان قيل** ماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار **قيل له** كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي خطاي وعمدي وجدي وهزلي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شي قدير فكان صلى الله عليه وسلم يستغفر لنفسه لعظيم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته لكي لا يامنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا اي على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره روى مسلم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال خبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدهما النبي ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسة

تفسير تبت مكية

وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدى وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير هذا مما تقدم في البقرة بيانه والحمد لله

تفسير سورة تبت وهي مكية باجماع وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب

فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تبت يدا ابي لهب في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قرا الاعمش الى اخر السورة زاد الحميدي وغيره فلما سمعت امراته ما نزل في زوجها وفيها من القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه اخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه اني لشاعرة **ثم قالت** مذمما عصينا ۔ وامره ابينا ۔ ودينه قلينا ۔ ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها راتك قال ما راتني لقد اخذ الله بصرها عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله مذمما ثم يسبونه وكان يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال ما لي عليهم فضل قال واي شي تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون وهولاء سواء فانزل الله فيه تبت يدا ابي لهب وتب ۔ وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال كان اذا وفد على النبي وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر بذلك رسول الله فاكتاب لذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به ومعنى تبت خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل ضلت قاله عطا وقيل هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن رياب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا **يقول** لقد خلوك وانصرفوا ۔ فما ابوا ولا رجعوا ۔ ولم يوفوا بنذرهم ۔ فيا تبا للذي صنعوا ۔ وخص اليدين بالتباب لان العمل اكثر ما يكون بهما اي خسرتا وخسر هو وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى بما قدمت يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشي عن كله تقول اصابته يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اي اصابه كل ذلك **قال الشاعر**

لما اكبت يد الرزايا عليه ۔ نادى الا مجير وتبا ۔

قال الفرا التب الاول دعا والثاني خبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وفي قراءة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه عبد العزى وهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق المجاز اذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد يزعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطا عن ابن عباس قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن فلا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن **الثانية** قوله ابي لهب قيل سمي باللهب لحسنه واشراق وجهه وقد ظن قوم ان في هذا دليلا على تكنية المشرك وهو باطل وانما كناه الله بابي لهب

عند العلماء المعاني اربعة الاول انه كان اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يضف الله العبودية في كتابه الى صنم
الثاني انه بكنيته اشهر منه باسمه فصرح بها الثالث ان الاسم اشرف من الكنية لحطه الله جل وعز عن الاشرف
الى الانقص اذ لم يكن بد من الاخبار عنه ولذلك دعى الله الانبياء باسمائهم ولم يكن باحد منهم ويدل على شرف
الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمي ولا يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكنية اليه لتقدسه
عنها الرابع ان الله تعالى اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون ابا لهب تحقيقا للنسب وامضا للفال
والطيرة التي اختار لنفسه وقيل اسمه هو كنيته فكان اهله يسمونه ابا لهب لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله
عن ان يقولوا ابو نور وابو الضيا الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه واجرى على السنتهم ان يضيفوه
الى لهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو النار ثم حقق ذلك بان يجعلها مقره وقرا مجاهد وابن كثير
وحميد وابن محيصن ابي لهب باسكان الهاء ولم يختلفوا في ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا فيها رؤس الاي
الثالثة قال ابن عباس لما خلق الله جل وعز القلم قال له اكتب ما هو كاين وكان فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال
منصور سئل الحسن عن قوله تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وهل كان ابو لهب يستطيع ان لا يصلى النار
فقال والله ما كان يستطيع ان لا يصلاها وانها لفي كتاب الله من قبل ان يخلق ابو لهب وابواه ويؤيده قول
موسى لادم انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته اغويت
الناس واخرجتهم من الجنة قال ادم وانت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه واعطاك التورية تلومني
على امر كتبه علي قبل ان يخلق الله السموات والارض قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وقد تقدم
هذا وفي حديث همام عن ابي هريرة ان ادم قال لموسى بكم وجدت الله كتب التورية قبل ان يخلقني قال بالفي عام
قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على شيء كتب الله علي ان افعله من قبل ان اخلق
بالفي عام فحج ادم موسى وفي حديث طاوس وابن هرمز والاعرج عن ابي هريرة باربعين عاما **قوله تعالى**
ما اغنى عنه ماله وما كسب ۰ اي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وقال مجاهد من ولد وولد
الرجل من كسبه وقرا الاعمش وما اكتسب ورواه عن ابن مسعود وقال ابو الطفيل جا بنو ابي لهب يختصمون ابن عباس
فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث
يعني ولده وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه
وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال ابن عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما
يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب وما في قوله ما اغنى
عنه يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما اي اي شيء اغنى وما الثانية يجوز ان تكون بمعنى الذي
ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا اي ما اغنى عنه ماله وكسبه **قوله تعالى** سيصلى نارا ذات لهب ۰ اي ذات
اشتعال وتلهب وقد مضى في سورة المرسلات القول فيه وقراءة العامة سيصلى بفتح اليا وقرا ابو رجا
والاعمش بضم اليا ورواه محبوب عن اسماعيل عن ابن كثير وحسين عن ابي بكر عن عاصم ورويت عن الحسن
وقرا اشهب العقيلي وابو سمال العدوي ومحمد بن السميفع سيصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام
ومعناها سيصليه الله من قوله وتصلية جحيم والثانية من الاصلاء اي يصليه الله من قوله سنصليه
نارا والاولى هي الاختيار لاجماع الناس عليها وهي من قوله الا من هو صال الجحيم **قوله تعالى** وامراته ۰ ام
جميل وقال ابن العربي ام قبيح وكانت عوراء حمالة الحطب ۰ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت
تمشي بالنميمة بين الناس تقول العرب فلان يحطب على فلان اذا وشى عليه **قال الشاعر** ان بني الادرم
حمالو الحطب ۰ هم الوشاة في الرضا وفي الغضب ۰ عليهم اللعنة تترى والحرب **وقال اخر** من البيض لم تصطد على
ظهر لامة ۰ ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب ۰ يعني لم تمش بالنمايم وجعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذي

هو زيادة

هو زيادة في الشر وقال اكثم بن صيفي لبنيه اياكم والنميمة فانها نار محرقة وان النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل
الساحر في شهر **اخذه بعض الشعرا فقال** ان النميمة نار ويك محرقة ۰ ففر عنها وجانب من تعاطاها ۰ ولذلك
قيل نار الحقد لا تخبو وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند
الله وجيها وقال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقال كعب الاحبار اصاب بني اسرائيل
قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال موسى الهي عبادك فاوحى الله اليه اني لا
استجيب لك ولا لمن معك لان فيهم رجلا نماما قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه
من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما قال فتابوا باجمعهم فسقوا والنميمة من الكباير لا خلاف في
ذلك حتى قال الفضيل بن عياض ثلاث تهد العمل الصالح ويفطرن الصايم وينقضن الوضو الغيبة والنميمة والكذب
وقال عطا ابن السايب ذكرت للشعبي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة سافك دم ولا مشاء بنميمة ولا تاجر يربي فقلت
يا ابا عمرو قرن النمام بالقاتل واكل الربا فقال وهل تسفك الدماء وتنتهب الاموال وتهيج الامور العظام
الا من اجل النميمة وقال قتادة وغيره كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاة والشوك فتطرحه
بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقاله ابن عباس وقال الربيع فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير
وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم باتالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات
يوم حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها وقال سعيد بن جبير
حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره دليله قوله تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم
وقيل المعنى حمالة الحطب في النار وفيه بعد وقراءة العامة حمالة بالرفع على ان يكون خبرا وامراته مبتدا ويكون
في جيدها حبل من مسد جملة في موضع الحال من المضمر في حمالة او خبرا ثانيا او يكون حمالة الحطب نعتا
لامراته والخبر في جيدها من مسد فيوقف على هذا على ذات لهب ويجوز ان يكون وامراته معطوفة على
المضمر في سيصلى فلا يوقف على ذات لهب ويوقف على امراته وتكون حمالة الحطب خبر ابتداء محذوف
وقرا عاصم حمالة الحطب بالنصب على الذم كانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص كقوله
تعالى ملعونين اينما ثقفوا وقرا ابو قلابة حاملة الحطب **قوله تعالى** في جيدها ۰ اي عنقها **قال امرؤ القيس**
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ۰ اذا هي نصته ولا بمعطل ۰ حبل من مسد ۰ اي من ليف **قال النابغة** مقذوفة
بدخيس النحض بازلها ۰ له صريف صريف القعو بالمسد ۰ **وقال اخر** يا مسد الخوص تعوذ مني ۰ ان كنت لدنا لينا فاني ۰
ما شيت من اشمط مقسين ۰ وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها **قال** ومسد امر من اياتق ۰ ليس بانياب
ولا حقايق ۰ وجمع الجيد اجياد والمسد امساد وكانت تغتل قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا فكانت تعير
النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله جل وعز به
فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وقال ابن عباس في رواية ابي صالح في جيدها حبل من مسد قال
سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وقاله مجاهد وعروة بن الزبير تدخل فيها وتخرج من اسفلها وتلوى
سايرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع الحسن انما كان خرزا في عنقها سعيد بن
المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون
عذابا في جيدها يوم القيمة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها
من الشقا كالمربوط في جيدها بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد
فتله **قال** يمسد اعلى لحمه ويارمه ۰ يقول ان البقل يقوي ظهر هذا الحمار ويشده ودابة ممسودة الخلق اذا كانت
شديدة الاسر **قال الشاعر** ومسد امر من ايانق ۰ صهب عتاق ذات مخ زاهق ۰ ليس بانياب ولا حقايق ۰

ويروى ولا اضعاف مجبن زاهق * قال الفرا هو مرفوع والشعر مكفا يقول بل مجبن مكتنز رفعه على الابتداء
قال ولا يجوز ان يريد ولا اضعاف زاهق مجبن كما لا يجوز ان تقول مررت برجل ابوه قايم بالخفض وقال غيره الزاهق
هنا بمعنى الذاهب كانه قال ولا اضعاف مجبن ثم رد الزاهق على الضعاف ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية
حسنة المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة
في المساب وهو نحي السمن وسقا العسل قال جميعه الجوهري وقد اعترض فقيل ان كان حبلها الذي تحتطب به
فكيف يبقى في النار واجيب عنه بان الله جل وعز قادر على تجديده كلما احترق والحكم ببقاء ابي لهب وامراته
في النار مشروط ببقائهما على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر صدق الاخبار عنهما ففيه معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم فامراته خنقها الله بحبلها وابو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد ان شجته
ام الفضل وذلك انه لما قدم الحيسمان مكة بخبر بدر قال له ابو لهب اخبرني خبر الناس قال نعم والله ما هو
الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاءوا ومع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا
على خيل بلق لا والله ما تبقي منا يقول ما تبقي شيئا قال ابو رافع وكنت غلاما للعباس انحت الاقداح في
صفة زمزم وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاء من الخبر فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله
الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة منكرة وثاورته وكنت رجلا ضعيفا فاحتملني فضرب
بي الارض وبرك على صدري يضربني وتقدمت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فتاخذه وتقول استضعفته
ان غاب عنه سيده وتضربه بالعمود على راسه فتفلقه شجة منكرة فقام يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة
فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى
العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضخوا عليه
الحجارة **تفسير سورة الاخلاص مكية في قول ابن مسعود** وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن
عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع ايات **بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل هو الله احد** اي الواحد
الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة ومنه
قول النابغة على مستانس وحد * وقد تقدم في سورة البقرة الفرق بين واحد واحد وفي كتاب الاسنى في
شرح اسماء الله الحسنى ايضا مستوفى والحمد لله واحد مرفوع على معنى هو احد وقيل المعنى قل الامر والشان
الله احد وقيل احد بدل من قوله الله وقرا جماعة احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وفرارا من التقاء الساكنين
ومنه **قول الشاعر** ولا ذاكر الله الا قليلا **الله الصمد** اي الذي يصمد اليه في الحاجات كذا روى الضحاك
عن ابن عباس قال الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون قال اهل اللغة
الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحوائج **قال** الا بكر الناعي بخير بني اسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد
الصمد * وقال قوم الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل تفسيره ما بعده **لم يلد ولم يولد**
قال ابي بن كعب الصمد الذي لا يلد ولا يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا يورث
وقال علي وابن عباس ايضا وابو وايل وشقيق بن سلمة وسفيان الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده
في انواع الشرف والسودد ومنه **قول الشاعر** علوته بحسام ثم قلت له * خذها حذيف فانت السيد الصمد *
وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغايب والمستعان
به في المصايب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي
لا عيب فيه ومنه **قول الزبرقان** سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا * ولا رهينة الا سيد صمد * وقال
الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير الصمد المصمت الذي لا جوف له **قال الشاعر** شهاب حروب لا تزال جياده
عوابس يعلكن الشكيم المصمدا **قلت** قد اتينا على هذه الاقوال مبينة في الصمد في كتاب الاسنى والصحيح ما

تفسير سورة الاخلاص مكية

شهد له

ما شهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه
وجعل النار مقامه ومثواه وقرا الله الواحد الصمد في الصلاة والناس يستمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس
من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فابطل معنى الاية
لان اهل التفسير قالوا نزلت الاية جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن
ذهب ام من نحاس ام من صفر فقال الله عز وجل ردا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع الرد ومكان
الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله عز وجل والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم
وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله ص انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد
الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث
وان الله تعالى لا يموت ولا يورث **ولم يكن له كفوا احد** قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء وروى
عن ابي العالية ان النبي ص ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد فذكر
نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح قاله الترمذي **قلت** ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله
احد وتفسير الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى
وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن له مثلا احد وفيه
تقديم وتاخير تقديره ولم يكن له احد كفوا فقدم خبر كان على اسمها لينساق اواخر الاي على نظم واحد وقرئ
كفوا بضم الفاء وسكونها وقد تقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في
عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا لعلة تقدمت وقرا حفص كفوا مضموم
الفاء غير مهموز وكلها لغات فصيحة **القول في الاحاديث الواردة في فضل هذه السورة** وفيه ثلاث
مسائل **الاولى** ثبت في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها
فلما اصبح جاء الى النبي ص فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله ص والذي نفسي بيده انها لتعدل
ثلث القران وعنه قال قال النبي ص لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم
وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران خرجه مسلم من حديث
ابي الدردا بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله ص احشدوا فاني سا قرا عليكم ثلث القران
فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرا قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض
اني ارى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي ادخله ثم خرج فقال اني قلت لكم سا قرا عليكم ثلث القران
الا انها تعدل ثلث القران قال بعض العلماء انما عدلت ثلث القران لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد فانه لا يوجد
في غيرها من السور وكذلك احد وقيل ان القران انزل اثلاثا ثلثا منه احكام وثلثا منه وعد ووعيد
وثلثا منه اسماء وصفات وقد جمعت قل هو الله احد احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات ودل على
هذا التاويل ما في صحيح مسلم من حديث ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزا القران
ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزءا من اجزاء القران وهذا نص وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص
والله اعلم **الثانية** روى مسلم عن عايشة ان رسول الله ص بعث رجلا على سرية وكان يقرا لاصحابه في
صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ص فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال
انها صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها فقال رسول الله ص اخبروه ان الله عز وجل يحبه وروى الترمذي عن
انس بن مالك قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قبا وكان كلما افتتح سورة يقرا بها لهم في الصلاة
فقرا بها افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه
فقالوا انك تقرا بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرا بسورة اخرى فاما ان تقرا بها واما ان تدعها

وتقرا سورة اخرى قال اما انا بتاركها ان احببتم ان اومكم بها فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه افضلهم
وكرهوا ان يومهم غيره فلما اتاهم النبي ﷺ اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ما تامرك به اصحابك
وما يحملك ان تقرا هذه السورة في كل ركعة فقال يا رسول الله اني احبها فقال رسول الله ﷺ ان حبها ادخلك
الجنة قال حديث حسن غريب صحيح قال ابن العربي فكان هذا دليلا على انه يجوز تكرار سورة في كل ركعة وقد
رايت على باب الاسباط فيما يقرب منه اماما من جملة الثمانية وعشرين اماما كان يصلي فيه التراويح
في رمضان بالاتراك فيقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد حتى تتم التراويح تخفيفا عليه ورغبة
في فضلها وليس من السنة ختم القران في المساجد قال الشيخ رحمه الله قال مالك وليس ختم القران في المساجد
بسنة **الثالثة** روى الترمذي عن انس بن مالك قال اقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال
رسول الله ﷺ وجبت قلت وما وجبت قال الجنة قال هذا حديث حسن قال حدثنا محمد بن مرزوق البصري
قال حدثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال من قرا كل يوم مائة
مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال
من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيمة يقول
الرب جل وعز يا عبدي ادخل على يمينك الجنة قال هذا حديث غريب من حديث ثابت عن انس وفي
مسند ابي محمد الدارمي عن انس بن مالك قال رسول الله ﷺ من قرا قل هو الله احد خمسين مرة غفرت له
ذنوب خمسين سنة قال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال اخبرني ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب
يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرات بني له قصر في الجنة ومن قراها
عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بني له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يا رسول الله اذا تكثر قصورنا فقال رسول الله ﷺ الله اوسع من ذلك قال ابو محمد ابو
عقيل زهرة بن معبد وزعموا انه كان من الابدال وذكر ابو نعيم الحافظ من حديث ابي العلاء يزيد بن عبد الله
ابن الشخير عن ابيه قال رسول الله ﷺ من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن
من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيمة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة قال هذا حديث
غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي وذكر ابو بكر محمد بن علي بن ثابت الحافظ عن عيسى بن ابي
فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن انس يقول اذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة
فياخذون باقطار الارض فلا يزالون يقراون قل هو الله احد حتى يسكن غضبه عز وجل وخرج من حديث
محمد بن خالد الجندي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع
ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة قل هو الله احد فذلك مائتا مرة في اربع ركعات
لم يمت حتى يرى منزله من الجنة او يرى له وقال ابو عمر مولى جرير بن عبد الله البجلي عن جرير قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن اهل ذلك المنزل والجيران
وعن انس قال قال رسول الله ﷺ من قرا قل هو الله احد مرة بورك عليه ومن قراها مرتين بورك عليه وعلى
اهله ومن قراها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قراها اثني عشر مرة بنى الله له اثني
عشر قصرا في الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فان قراها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب
خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قراها اربعمائة مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة فان قراها الف مرة
لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى له وعن سعد الساعدي قال شكا رجل الى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة
فقال له رسول الله ﷺ اذا دخلت البيت فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم علي واقرا قل هو الله
احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه وقال انس كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك

فطلعت

فطلعت الشمس بيضاء لها شعاع ونور لم ارها طلعت فيما مضى قط كذلك فاتى جبريل فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما لي ارى الشمس طلعت بيضاء بشعاع لم ارها طلعت كذلك فيما مضى قط فقال
ذلك لان معاوية الليثي توفي بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه قال ومم ذاك
قال كان يكثر قراءة قل هو الله احد اناء الليل واناء النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول
الله ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي **تفسير سورة الفلق وهي**
مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات
وهذه السورة وسورة الناس والاخلاص نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهودية
على ما ياتي وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان اي تبريان من النفاق وقد تقدم وزعم ابن
مسعود انهما دعاء تعوذ به وليستا من القران خالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة
لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله
عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر
الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما
بكلمات الله التامة من كلام البشرين وكلام الخالق الذي هو اية لمحمد صلى الله عليه وسلم وحجة باقية
على جماعة المشركين لا يلتبس بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف
باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان
فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لها فرد هذا
القول على قائله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله وانا اعطيناك الكوثر والعصر وقل هو الله احد وهن يجرين
مجرى المعوذتين في انهن غير طوال والحفظ لهن اسرع ونسيانهن مامون وكلهن يخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة
لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل ما يقرا بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف
على معنى الثقة ببقاء حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك
بها طريقها وقد مضى هذا المعنى في سورة الفاتحة والحمد لله **بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب**
الفلق الى اخر السورة فيه تسع مسائل **الاولى** روى النسائي عن عقبة ابن عامر قال اتيت النبي ﷺ وهو راكب فوضعت
يدي على قدمه فقلت اقريني سورة يوسف فقال لن تقرا شيئا ابلغ عند الله من قل اعوذ برب الفلق
وعنه قال بينا انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ باعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ
بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة وروى النسائي عن عبد الله قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر كلاما معناه فخرج رسول الله ﷺ فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله
احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفك كل شيء وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فقراهن رسول
الله ﷺ ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن او لا يتعوذ الناس بمثلهن وفي حديث ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس هاتين السورتين وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على
نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها النفث النفخ ليس معه
ريق **الثانية** ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ان النبي ﷺ سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن
الاعصم حتى يخيل اليه انه كان يفعل الشيء ولا يفعله فمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث في غير الصحيح سنة ثم قال
يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني ملكان جلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي قال

ماشان الرجل قال المطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيما ذا قال في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة
في بير ذي ازوان فجاء البير واستخرجه انتهى الصحيح وقال ابن عباس اما شعرت يا عايشة ان الله تعالى اخبرني
بداي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البير كانه نقاعة الحنا ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة
صخرة تترك اسفل البير يقوم عليها المايح واخرجوا الجف فاذا مشاطة راس انسان واسنان من مشط واذا وتر
معقود وفيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية على عدد
تلك العقد وامران يتعوذ بهما فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فكانما
انشط من عقال وقام ليس به باس وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من
شر حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول الله الا يقتل الخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير
على الناس شرا وذكر القشيري في تفسيره انه ورد في الصحاح ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه
اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم والمشاطة بضم الميم ما يسقط من الشعر عند المشط واخذ عدة
من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي وذكر نحو ما
تقدم عن ابن عباس **الثالثة** تقدم في البقرة القول في السحر وحقيقته وما ينشا عنه من الالام والمفاسد وحكم
الساحر فلا معنى للاعادة **الرابعة** قوله الفلق اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن عباس وقال ابي بن كعب
بيت في جهنم اذا فتح صاح اهل جهنم من حره وقال الحبلي ابو عبد الرحمن هو اسم من اسماء جهنم وقال الكلبي واد في
جهنم وقال عبد الله بن عمر شجرة في النار سعيد بن جبير جب في النار النحاس يقال لما اطمان من الارض فلق
فعلى هذا يصح هذا القول قال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ايضا ومجاهد وقتادة والقرظي
وابن زيد الفلق الصبح **وقال الشاعر** يا ليلة لم انم بها بت مرتفقا • ارعى النجوم الى ان نور الفلق • وقيل الفلق
الجبال لانها تنشق من خوف الله عز وجل **قال زهير** وما زلت ارقبهم حتى اذا هبطت • ايدي الركاب بهم من راكس فلقا •
الراكس بطن الوادي وكذلك هو في **قول النابغة** ودونه راكس فالضواجع • والراكس ايضا الهدي وهو الثور
وسط البيدر تدور عليه الثيران في الدياسة وقيل الرحم تنفلق بالحيوان وقيل انه كلما انفلق عن جميع ما
خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شي من نبات وغيره قاله الحسن وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله
قال وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • سرا وقد اذن بامر عقق **قلت** هذا القول يشهد له الاشتقاق
فان الفلق الشق فلقت الشي فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن
شي من حيوان وصبح وحب ونوى وما فهو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى **وقال**
ذو الرمة يصف الثور الوحشي حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق • هاديه في اخريات الليل منتصب • يعني بالفلق
هنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمان من الارض بين الربوتين وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا كان
ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر من الارض بين الربوتين والفلق ايضا مقطرة السجان فاما
الفلق بالكسر فالداهية والامر العجيب تقول منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق والفلق
ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد منهما فلق وقولهم جاء بعلق فلق وهي
الداهية لا تجرى يقال منه اعلقت وافلقت اي جئت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته
وقوله تعالى من شر ما خلق • قيل انه ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله
عز وجل **الخامسة** قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب • اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق اول ظلمة الليل
يقال منه غسق الليل يغسق اي اظلم **قال قيس بن الرقيات** ان هذا الليل قد غسقا • واشتكيت الهم والارقا •
وقال اخر يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا • جئتنا طارقا والليل قد غسقا • هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة
والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير اظلم قاله ابن عباس الضحاك دخل قتادة ذهب يمان بن رياب سكن

وقيل

وقيل نزل يقال وقب العذاب على الكافرين نزل **قال الشاعر** وقب العذاب عليهم فكانهم • لحقتهم نار السموم فاحصدوا
وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من
اجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل الشر على العبث والفساد وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اسقطت كثرت
الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب
وقيل هو القمر قال القتبي اذا وقب القمر اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق
وقال قتادة اذا وقب اذا غاب وهو اصح لان في الترمذي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة
استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال محمد بن
يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون وجبة القمر **وانشد** اراحني الله
من اشياء اكرهها • منها العجوز ومنها الكلب والقمر • وهذا يستقذ بر • وهذه ضمور قوامة السحر • وقيل الغاسق
الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل ووقب نابها اذا دخل في اللديغ وقيل
الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها **السادسة** قوله تعالى
ومن شر النفاثات في العقد • يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ
كما يعمل من يرقي **قال الشاعر** اعوذ بربي من النافثات • ومن عضه العاضه المعضه **وقال متمم بن نويرة**
نفثت في الخيط شبيه الرقى • من خشية الجنة والحاسد **وقال عنترة** فان يبرا فلم انفث عليه • وان يفقد فحق
له الفقود **السابعة** روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث
فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه واختلف في النفث عند الرقى فمنعه
قوم واجازه اخرون قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال ابرهيم كانوا يكرهون
النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث
فعوذته بالمعوذتين وقال ابن جريج قلت لعطا القران ينفخ به او ينفث قال لا شي من ذلك ولكن تقراه
هكذا ثم قال بعد انفث ان شئت وسئل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها فقال لا اعلم بها باسا واذا
اختلفوا فالحاكم بينهم السنة روت عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية رواه الايمة وقد ذكرناه
اول السورة وفي سبحن وعن محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به امه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها
ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث ذهب بي الى عايشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني
ونفثت واما ما روي عن عكرمة انه قال لا ينبغي للراقي ان ينفث فكانه ذهب فيه الى ان الله تعالى جعل النفث
في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه عوذة وليس هذا هكذا لانه لو كان النفث في العقد اذا كان مذموما
لوجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث في العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا
النفث لاستصلاح الابدان فلا يقاس ما ينفع بما يضر واما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة قال علي رضي
الله عنه اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني
وعافني وان كان بلا فصبرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما
عاد ذلك الوجع بعد وقرا عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورويس عن يعقوب ومن شر
النافثات في وزن فاعلات وروي عن عبد الله بن القاسم مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وروي ان
نساء سحرن النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة اية قال ابن زيد كن من اليهود يعني
السواحر المذكورات وقيل هن اخوات لبيد بن الاعصم **قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد** قد تقدم في سورة
النساء معنى الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة هو تمني مثلها وان لم تزل
فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة وهي الغبطة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن يغبط والمنافق يحسد

وفي الصحيحين لا حسد الا في اثنتين يريد لا غبطة وقد مضى في سورة النساء والحمد لله قال العلماء الحاسد
لا يضر الا اذا ظهر حسده بفعل او قول وذلك بان يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فيتبع مساويه
ويطلب عثراته قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ الحديث وقد تقدم والحسد اول ذنب عصي الله به
في السماء واول ذنب عصي به في الارض فحسد ابليس آدم وحسد قابيل هابيل والحاسد ممقوت مبغوض مطرود
وملعون ولقد احسن من قال قل للحسود اذا تنفس طعنة . يا ظالما وكانه مظلوم . هذه السورة دالة
على ان الله سبحانه خالق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق
وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثرة ضرره والحاسد عدو نعمة الله قال بعض الحكماء بارز الحاسد
ربه من خمسة اوجه احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم
قسمت هذه القسمة وثالثها انه ضاد فعل الله اي ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله ورابعها
انه خذل اولياء الله او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدوه ابليس وقيل الحاسد
لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا وغما ولا ينال
في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يستجاب
دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل وحسد للمسلمين تفسير سورة الناس
مثل الفلق لانها احدى المعوذتين وروى الترمذي من حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قد انزل الله علي آيات لم ير مثلهن قل اعوذ برب الناس الى آخرها وقل اعوذ برب الفلق الى آخرها قال
هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس
اي مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر انه رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون
فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي
يعيذ منهم وانما قال ملك الناس لان في الناس ملوكا فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم
ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجأ اليه دون الملوك والعظماء قوله تعالى من شر الوسواس
الخناس يعني الشيطان والمعنى من شر ذي الوسواس فحذف المضاف قاله الفراء وهو بفتح الواو بمعنى الاسم
اي الموسوس وبكسر الواو المصدر يعني الوسوسة وكذا الزلزال والزلزال والوسوسة حديث النفس
يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو ويقال لهمس الصائد والكلاب واصوات
الحلي وسواس قال ذو الرمة فبات يشئزه ثأد ويسهره . تذوب الريح والوسواس والهضب قال الاعشى
تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت . كما استعان بريح عشرق زجل . ويقال ان الوسواس الخناس ابن لابليس جاء به الى
حواء ووضعه بين يديها وقال اكفليه فجاء آدم فقال ما هذا قالت جاء عدونا بهذا وقال اكفليه فقال الم اقل لك
لا تطيعيه في شيء هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية وعمد الى الولد فقطعه اربعة ارباع وعلق كل ربع على شجرة
غيظا له فجاء ابليس فقال يا حواء اين ابني فاخبرته بما صنع به آدم فقال يا خناس فاجابه فجاء به الى حواء وقال
اكفليه فجاء آدم فحرقه بالنار وذر رماده في البحر فجاء ابليس فقال يا خناس فجيء فجاء به الى حواء الثالثة
فقال اكفليه فنظر اليه آدم فذبحه وشواه واكلاه جميعا فجاء ابليس فسالها فاخبرته فقال يا خناس فاجابه
من جوف آدم وحواء فقال ابليس هذا الذي اردت وهذا مسكنك في صدور بني آدم فهو ملتقم قلب ابن آدم
ما دام غافلا يوسوس فاذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول باسناد
عن وهب بن منبه وما اظنه يصح والله اعلم ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم
بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر العبد الله اي يتاخر وفي الخبر ان الشيطان
جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر واقصر وقال قتادة الخناس الشيطان له خرطوم

كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم وسوس له واذا ذكر العبد ربه خنس يقال خنسته فخنس اي اخرته
فتاخر واخنسته ايضا ومنه قول العلاء بن الحضرمي انشده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وان دحسوا بالشر فاعف
تكرما . وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل . وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن
آدم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه فوسوس وقال ابن عباس اذا ذكر الله العبد خنس من قلبه
فذهب واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال ابرهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل سمي
خناسا لانه يرجع اذا غفل العبد عن ذكر الله والخنس الرجوع قال الراجز . وصاحب يمتعس امتعاسا . يزداد ان
خنسته خناسا . وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين احدهما انه الراجع بالوسوسة
عن الهدى الثاني انه الخارج بالوسوسة عن اليقين قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس قال مقاتل ان
الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم وهذا يصح ما قاله مقاتل وروى شهر بن حوشب عن
ابي ثعلبة الخشني قال سالت الله ان يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرايته يداه في يديه ورجلاه
في رجليه ومشاعبه في جسده غير ان له خطما كخطم الكلب فاذا ذكر الله خنس ونكس واذا سكت عن ذكر
الله اخذ بقلبه فعلى ما وصف ابو ثعلبة انه متشعب في الجسد اي في كل عضو منه شعبة وروي عن عبد
الله بن الاسود او غيره من التابعين انه قال وقد كبر سنه ما امنت الزنا وما يؤمنني ان يدخل الشيطان
ذكري فيوتده فهذا القول يبين انه يتشعب في الجسد وهو معنى قول مقاتل ووسوسته هو الدعاء الى
طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت قوله تعالى من الجنة والناس اخبر ان الموسوس
قد يكون من الناس قال الحسن هما شيطانان اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان
الانس فياتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن
والانس وروي عن ابي ذر انه قال لرجل تعوذ بالله من الانس فقال او من الانس شياطين قال نعم لقوله وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى ان الناس هنا يراد به الجن سموا ناسا كما سموا
رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس قاله الفراء فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير
لاختلاف اللفظين وذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الانس فقيل من انتم
فقالوا ناس من الجن وهو معنى قول الفراء وقيل الوسواس هم الشياطين وقيل من الجنة بيان انه من الجن
والناس معطوف على الوسواس اي ومن شر الناس فعلى هذا امر ان يستعيذ بالله من شر الجن والانس
والجنة جمع جني كما يقال انسي والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما
يوسوس في صدور الانس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيان لمن يوسوس
في صدره وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس وثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به رواه ابو هريرة خرجه
مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم تمت النسخة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم
وكان الفراغ من كتابتها في يوم الخميس المبارك
في شهر جمادى الاول من شهور سنة
سبع وسبعين من بعد
الالف من الهجرة النبوية
على يد افقر العباد
واحوجهم لرحمة ربه
يوم المعاد الفقير
محمود
احمد
م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد [illegible] الصدور [illegible]
١٢٧٥